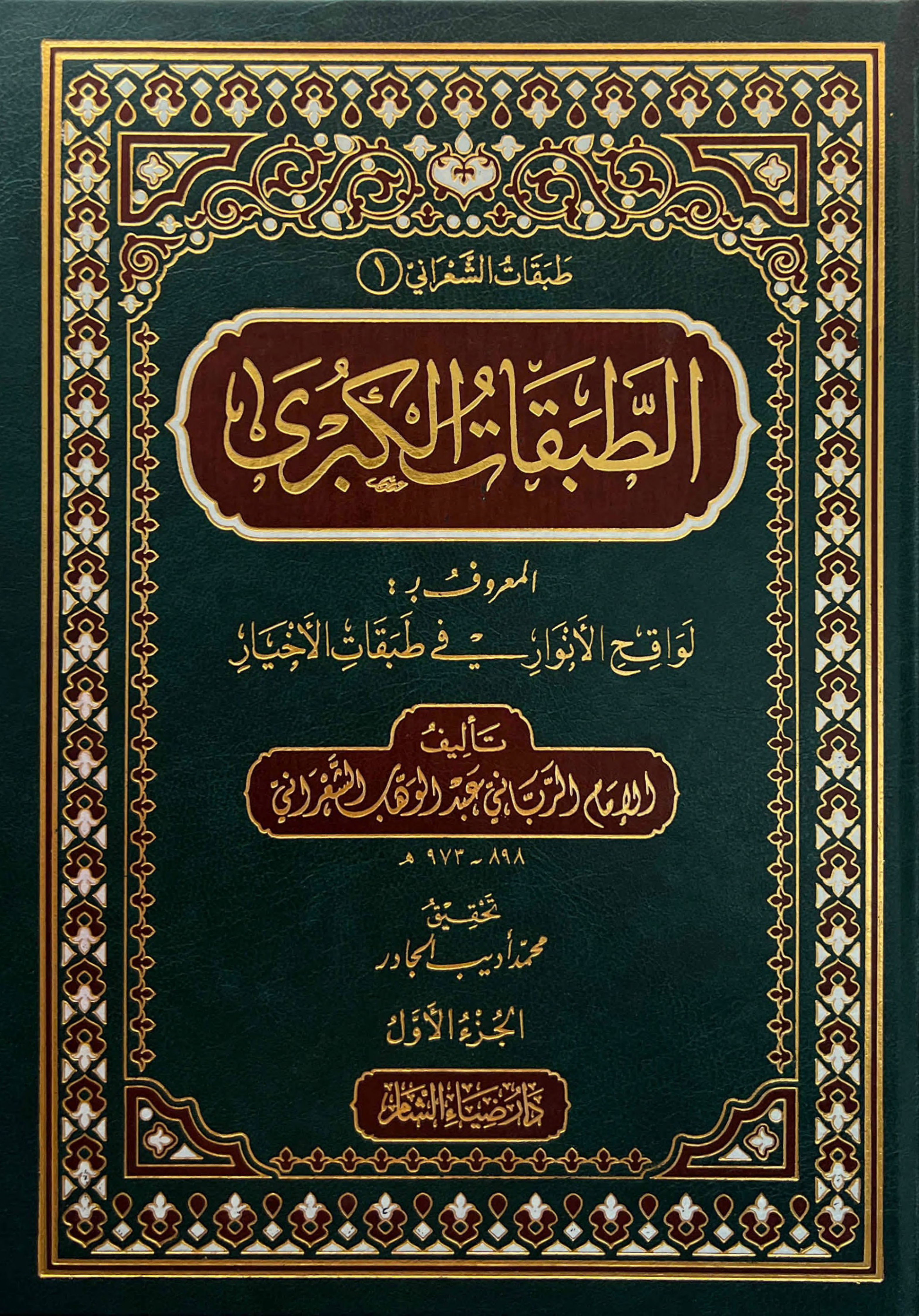

طبقات الشعراني ١
الطبقات الكبرى
المعروف بـ:
لواقح الأنوار في طبقات الأخيار
تأليف
الإمام الرباني عبد الوهاب الشعراني
٨٩٨ - ٩٧٣ هـ
تحقيق
محمد أديب الجادر
الجزء الأول
دار ضياء الشام

الطَّبَقَاتُ الكُبْرَى

الجُزْءُ الأَوَّلُ



الكتـــاب : الطبقات الكبرى - الجزء الأول
(لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)

المؤلـــف : الإمام الرباني عبد الوهاب الشعراني

تحقيـــق : محمد أديب الجادر

الناشـــر : دار ضياء الشام

التنفيذ الطباعي : مطبعة ضياء الشام

عدد الصفحات : ٦٠٠

سـنة الطباعة : ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

بلد الطباعة : سوريا

الطبعـــة : الأولى

ISBN: 978-9933-9326-1-9





سـورية - دمشـق - حـلبـوني
هـاتـــف : ٠٠٩٦٣ ١١ ٢٢٤ ٦٨ ٤٢
جوال : ٠٠٩٦٣ ٩٣٣٨٧٨٠٧٥ / ٠٠٩٦٣ ٩٥٨٨١١٧٠٠
البريد الإلكتروني : deaa.nsr@gmail.com

الطبقات الكبرى

المعروف بـ:

لواقح الأنوار في طبقات الأخيار

تأليف

الإمام الرباني عبد الوهاب الشعراني

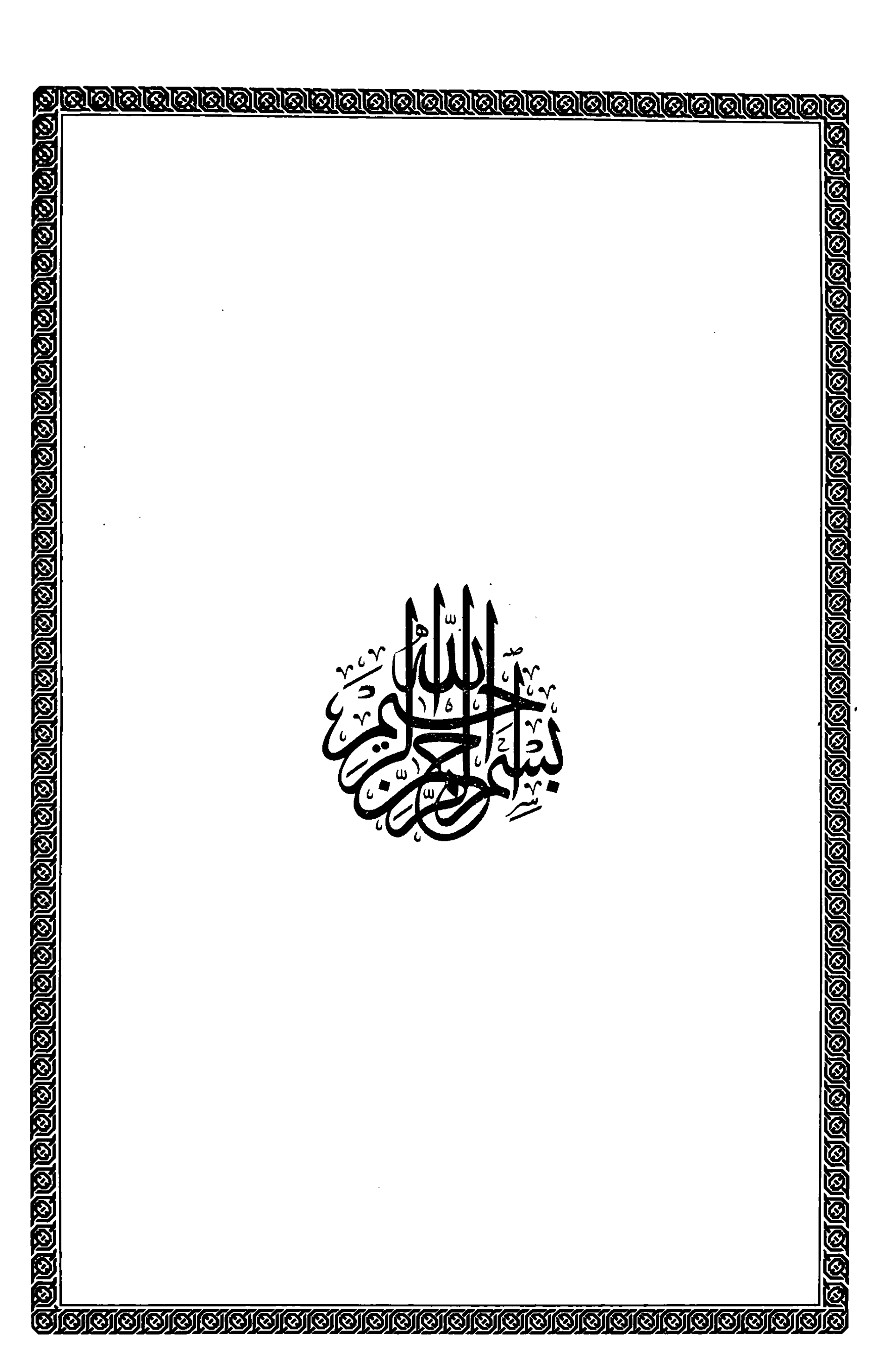
٨٩٨ - ٩٧٣ هـ

تحقيق

محمد أديب الجادر

الجزء الأول

دار ضياء الشام


بسم الله الرحمن الرحيم

قالوا في الإمام الشعراني رحمه الله تعالى :

• قال الإمام الخطيب الشربيني في تفسيره السراج المنير :

شيخ وقته الشيخ عبد الوهاب الشعراني . (٢/٢٩٠)

وقال في موضع آخر :

وحضر عندي سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله ببركته . (٢/٥٣٦)

• وقال الإمام الغزي في الكواكب السائرة :

الشيخ الإمام العارف الشعراني ... له طبقات الأولياء ثلاث ، والعهود ، والسنن وغير ذلك ، وكتبه كلها نافعة . (٢/١٥٧)

• وقال الإمام الشرقاوي في التحفة البهية في طبقات الشافعية :

الإمام العالم العامل المعتقد العارف بالله والدال عليه . (٧٠١)

بين يدي الكتاب

الحمدُ لله الذي رفع شأنَ الأولياء وشيَّدَ بنيانهم ؛ ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٧] ، ووضعَ من شأن أعدائهم وهدّم أركانهم ؛ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٨] ، **والصلاةُ والسلام علىٰ** مَنْ بذكره تتفتَّح كمائم أزهار الشوق إلى النظر إليه ، وعلىٰ آله وصحبه وكلِّ مصلٍّ ومسلِّم عليه .

وبعدُ :

فقد كان **للإمام المجدِّد عبد الوهاب الشعراني** أثرٌ كبير في إيقاظ المعاني الأخلاقية الزكية الرضية في قلوب العامة والخاصة ، **وكان لتلوُّن تأليفاته مزيَّةٌ خاصة** ؛ إذ ولجت كتبُهُ إلىٰ مكتبات الفقهاء والعلماء والمؤرخين والأدباء ، وإلىٰ رفوف وسجادات العابدين ، ودروج العامة وخزائن المتقين ؛ وما ذاك إلا لما آتاه الله سبحانه من ليونة في العبارة ، مع وضوح وجلاء في المعنىٰ .

والعجبُ : أنه ممَّنِ اختُلف في شأنه من الصدِّيقيَّة إلى الزندقة !! وهـٰذا شأن كلِّ عظيم ، **واستحقِرْ من لا يُحسد ولا يُقذف ، واستصغِرْ من بالكفر أو الضلال لا يُقرف** ، ومَن علَتْ مراقيه ومشاهدُهُ عابته العقول الصغيرة ، ولا يعرف الفضلَ لأولي الفضل إلا ذووه .

وأنت بين أن تسمع كلامَ أقرانه وأهلِ العلم والتقوىٰ فيه ، وأن تسمع كلام حسَّاده وأدعياء العلم اليومَ فيه ، وكلُّ إناء بالذي فيه ينضح ، ثم الطيور علىٰ أشكالها تقع .

وقد حلَّتْ « طبقاته » التي سطرتها يراعته **مكانةً معتبرة** ضمن السلاسل التاريخية المكتوبة علىٰ طريقة التأريخ بالترجمات وبأحداث القرون ؛ **فعدُّوها من الكتب المهمَّة في التأريخ لطبقات المشتهرين بالولاية على العموم** ؛ من زمن النبوة إلىٰ أواسط القرن

العاشر ، **وللمشتهرين من أولياء مصر على الخصوص** ، وللأحداث الاجتماعية في القرن التاسع والعاشر في مصر تحديداً ، وعلاقتها بالسلطنة العثمانية وغيرها من البلاد .

ولئن كان للإمام الشعراني التعظيمُ البالغ في مصر المحروسة . . **فلقد كان لكتبه وسيرته العطرة في بلاد الشام أطيبُ أُحدوثة** ؛ فكانت وما زالت إلىٰ يومنا هـٰذا بفضل الله تعالىٰ تقرأ كتبه من قبل العلماء والمربِّين ، وتنتشر انتشاراً محموداً مبشراً بالخير ، **وكان لقمر الشام العلامة محمد بدر الدين الحسني عنايةٌ بها وبإقرائها** ، ولا سيما في أخريات عمره ، ولهـٰذا معنىً جليل عند العارفين بأقدار الرجال .

ورغبت دار (**ضياء الشام**) أن يكون لها حظٌّ وافر في خدمة زهرة كتب هـٰذا الإمام ؛ وعلىٰ رأسها الكتبُ التي لاقت قبولاً جمًّا عند العلماء وطلبة العلم والعامة ، وكانت سابقات طبعاتها لا تخلو من شكاةٍ وحذر ؛ لوجود بعض الأخطاء المطبعية التي قد تعكِّر صفو مجلس القراءة ، **فسرَّها ما اقترحَ الأستاذ الفاضل محمد أديب الجادر حفظه الله بشأن جمع « الطبقات الشعرانية » بين دفتين** ، وإخراجه في طبعة فريدة محققة ؛ لتكون مرجعاً تاريخياً ، ومن قبل ذلك منبعاً تربوياً ، **وسمَّته بـ « طبقات الشعراني »** ، راجية من الله تعالى القبول والتوفيق ، والسداد إلىٰ سواء الطريق .

الناشر

ترجمة
الإمام عبد الوهاب الشعراني[1]

الإمام المجدِّد ، العابد الزاهد ، الفقيه المحدث ، الصوفي المربي ، قدوة الأولياء والعارفين ، وأستاذ أهل الإرشاد والتسليك ؛ أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن شهاب الدين الشعراني الأنصاري الشافعي الشاذلي الحنفي ؛ نسبة إلىٰ محمد بن الحنفية رحمه الله تعالىٰ .

والشعراني : نسبة إلىٰ قرية أبي شعرة من ضواحي مصر ، قال العلامة الزبيدي في « تاج العروس » : (وإليها نُسبَ القطب أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي نسباً الشعراوي قُدِّس سرُّه)[2] .

والحنفي : نسبة إلىٰ محمد بن الحنفية ابن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

مولده ونشأته

ولد في بلدة قَلْقَشَنْدَة ـ قرية جده لأمه بمصر ـ سنة (٨٩٨ هـ) علىٰ أصح الأقوال ، ثم نُقل إلىٰ ساقية أبي شعرة ـ بلدة أبيه ـ بعد أربعين يوماً من مولده .

نشأ الشعراني يتيماً ؛ وكان والده قبيل وفاته قد أخذ له الإجازةَ من الإمام السيوطي ، فأجازه بجميع مروياته ومؤلفاته .

حفظ القرآن وهو ابن ثماني سنين ، ثم حفظ « متن أبي شجاع » و« متن

---

(١) انظر ترجمته : « المنن الكبرىٰ » للشعراني ، و« المناقب الكبرىٰ » للمليجي ، و« الكواكب الدرية » (٣/ ٣٩٢) للمناوي ، و« الكواكب السائرة » (٣/ ١٥٧) ، و« شذرات الذهب » (١٠/ ٥٤٤) ، و« الخطط التوفيقية » (١٤/ ١٠٩) لعلي مبارك ، و« طبقات الشاذلية الكبرىٰ » (ص١٣٠) للكوهن الفاسي .

(٢) تاج العروس (ش ع ر) ، والشعراني ، والشعراوي : نسبتان صحيحتان إلىٰ ساقية أبي شعرة .

الآجرُّومية » قبل أن يناهز الحلم ، ثم حلَّ ما حفظ على يد أخيه الشيخ عبد القادر بعد وفاة أبيه .

ثم جاء إلىٰ مصر افتتاحَ سنة إحدىٰ عشرة وتسع مئة ـ وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة ـ فأقام في جامع سيدي أبي العباس الغَمْري سبع عشرة سنة[1] ، وحنَّن الله عليه شيخ الجامع وأولادَهُ ، فكان واحداً منهم ؛ يأكل مما يأكلون ويلبس مما يلبسون ، فأقام عندهم حتىٰ **حفظ متون الكتب الشرعية وآلاتها وحلَّها على الأشياخ ، فكان ممَّا حفظه** : « المنهاج » للنووي ، و« ألفية ابن مالك » ، و« التوضيح » لابن هشام ، ثم « جمع الجوامع » ، ثم « ألفية العراقي » ، ثم « تلخيص المفتاح » ، ثم « الشاطبية » ، ثم « قواعد ابن هشام » ، وغيرها من المختصرات .

وقد ارتفعت همَّتُهُ إلىٰ حفظ كتاب « الروض » مختصرِ « الروضة » ، فحفظ منه إلىٰ باب (القضاء على الغائب) ، ثم لقيه بعض أرباب الأحوال فقال له مكاشفاً : (قف علىٰ باب القضاء على الغائب ، ولا تقضِ علىٰ غائب بشيء)[2] ، فما قدر بعد ذلك علىٰ حفظ شيءٍ منه ، لـٰكنه طالع الكتاب ودرَّسه أكثرَ من مئة مرة .

قال المناوي : (وذلك من كراماته ؛ فقد وقفت علىٰ ما لا يكاد يحصىٰ من الطبقات والتواريخ ، فلم أرَ في ترجمة أحدٍ من الأعيان أنه حفظه ولا بعضَهُ)[3] .

ثم شرح محفوظاته على المشايخ ، وهم نحو خمسين شيخاً[4] .

تحول الإمام من مسجد الغمري إلى المدرسة المعروفة بـ (أم خَوَند) بخط كافور الإخشيدي ؛ لأن جماعةً من أهل الغمري حسدوه على اجتماع الناس عليه في مجلس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان قد رتَّبه سنة (٩١٨هـ) ، فتعصَّبوا عليه ، وبسطوا ألسنتهم في شأنه ، وأسمعوه غليظ القول ، وتحالفوا على المصحف ألا

---

(١) وكان مسجد الغمري يومها منارة للعلم ، ومثابةً للطلاب .

(٢) انظر « المنن الكبرىٰ » (١/ ١٤٠) .

(٣) انظر « الكواكب الدرية » (٣/ ٣٩٢) .

(٤) انظر « المنن الكبرىٰ » (١/ ١٤١) ، وفيها ذكر المشايخ الذين قرأ عليهم ، والكتب التي قرأها .

يحضروا مجلس الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم !

فلما انعزل عنهم بمدرسة (أم خَوَند) التأم إليه جماعةٌ يحضرون مجلسه المشتمل على الذكر والصلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بجوار هـٰذه المدرسة : الأمير محيي الدين بن يوسف المعروف بابن أُصيبعة ، وكان حينئذ متقلِّداً مناصبَ سنيَّة وافرةَ العدد ، ممّن هو دونه : الجمال بن الأمير ، فكان يتردد إلى المدرسة في أوقات الصلوات ، ويجمع عليه أولاد الجمال بن الأمير المذكور بمقتضى الجوار ليتشرف به ، فكان يجتمع بمجلس الشيخ ويعتقده ويعوِّل عليه .

ثم إن أولاد الأمير احتفلوا به ، وذكروه في مجالسهم بسوق أمير الجيوش ، فكانوا أول من عزَّزه ونصره ، وأشهر ذكره وخبره .

ثم إن القاضي عبد القادر الأرزيكي اشترىٰ قطعةَ أرضٍ مكملةَ الجدارِ على الخليج الحاكمي تجاه الدرب الكافوري ، وعمَّرها مدرسةً على الصفة التي هي بها ، وجعل بها مدفناً له ، ونقل إليها الشيخ عبد الوهاب الشعراني ، ووقف حصصاً من الطين كانت له علىٰ جهات البرِّ عليه وعلىٰ ذرِّيته وعلىٰ جميع القاطنين عنده بالمدرسة ؛ رجالاً ونساء وصغاراً ، وكان ذلك قَدْراً حافلاً ، فهرع الناس من كلِّ أوب من الأقاليم ، ونزلوا عند الشيخ بالزاوية وقطنوا بها .

وانتظم حينئذ مجلس الذكر ، وشاع ذكر الشيخ والمدرسة والوقف بالأقاليم ، فاجتمع عنده الجمُّ الغفير ، وكثر بها القاصدون والواردون ، وأقبلوا إليها من كلِّ حدبٍ ينسلون ؛ من الفقراء ، والزمنىٰ ، والعميان ، والشبان ، والأطفال ، والنساء .

واشتهر الشيخ اشتهاراً ، إذ لحظته العيون بالوقار ، وأقبلت نحوَهُ القلوبُ ، وعطفت عليه الخواطر .

ولم تزل شهرته تتزايد ، ومشايخ العرب وأكابر القاهرة مترددون إليه في المدرسة الأرزيكية ، ورسائله مقبولة عندهم في الغالب عند كل مهمٍّ وقضية .

واتفق من عناية الله تعالىٰ بالشعراني : أنه لمَّا وقع التفتيش على الرزق السلطانية وغيرها تفتيشاً عاماً في ولاية علي باشا سنة نيف وخمسين وتسع مئة ، وكشف عن رزق مدرسته . . جاء الجواب بإجرائه فيه علىٰ أحسن العوائد وأتم الفوائد ؛ إنعاماً من الإمام

الأعظم ، واستجلاباً للدعاء من الموقوف عليه في مجالس الذكر وأوقات العبادات التي هي المغنم .

وعطفت على إشارات الشيخ الخواطر ، ولهجت بذكر محبته ألسن مشايخ العرب والأكابر ، حتى صار الحال في الغالب ألا يتولَّى أحدٌ منصباً سلطانياً إلا بعد أن يجتمع بالشيخ ، ويأخذ خاطره في شأنه .

ولم تزل مدرسته مأوى الفقراء والمجاورين ، ولهم بها الراتب في الغداة والعشي من ذلك الوقف وما يفتح الله به على تداول الأوقات والسنين ، مع إحياء ليلة الاثنين والجمعة ، واجتماع العدد الوافر والجمِّ الغفير بعد صلاتها في تلك البقعة ، وملازمته لإلقاء الدروس من الفقه ومن مصنفاته الصوفية على مريديه في أوقات متعددة ، حتى وافته المنية ، رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً .

شيوخه

تهيأ للإمام الشعراني جِلَّةٌ من المشايخ الأعلام ؛ فقد قرأ على خمسين شيخاً ؛ منهم :

- **الشيخ الإمام المحدث أمين الدين إمام جامع الغَمْري (ت٩٢٨هـ)** : قرأ عليه الكتب الستة ، و« الغيلانيات » ، و« مسند عبد بن حميد » ، وغيرها من كتب الحديث ، وأجازه بجميع مروياته ، **وكان له السند العالي** ، فقد أخذ عن الحافظ ابن حجر وغيره ، كما قرأ عليه ، « شرح المنهاج » للجلال المحلي ، و« شرح جمع الجوامع » للشيخ جلال الدين ، و« حاشية الشيخ كمال الدين بن أبي شريف » ، و« شرح ابن عقيل » .

- **الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الدواخلي (ت٩٣٩هـ)** : قرأ عليه أيضاً « شرح المنهاج » للمحلي ، وبعضاً مما قرأ على الشيخ أمين الدين ، وغيرها من الكتب ، وكان فقيهاً أصولياً نحوياً ، محققاً في العلوم .

- **الشيخ شمس الدين السمانودي (ت٩٢١هـ)** : وكان فقيهاً وخطيباً بجامع الأزهر .

ـ **الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين المسيري** : قرأ عليه قطعة من « شرح جمع الجوامع » ، ونحوَ النصف من « شرح المنهاج » للمحلي أيضاً .

ـ **الشيخ الإمام المحقق نور الدين المحلي** : قرأ عليه « شرح جمع الجوامع » بحاشيته ، و« شرح العقائد » للنسفي ، و« حاشية ابن أبي شريف » عليه ، و« شرح المقاصد » للتفتازاني ، و« سراج العقول » للقزويني .

ـ **الشيخ نور الدين الجارحي (ت٩٣١هـ)** : المدرس بجامع الغمري ، قرأ عليه « شرح ألفية العراقي » للمؤلف ، و« شرح الشاطبية » لابن القاصح .

ـ **الإمام شهاب الدين القسطلاني (ت٩٢٣هـ)** : قرأ عليه غالب « شرحه على البخاري » ، وقطعة من « المواهب اللدنية » .

ـ **الشيخ نور الدين الأشموني**(١) **: قرأ عليه قطعة من « المنهاج » ، وقطعة من « ألفية ابن مالك » ، ونظمه لـ « جمع الجوامع »** .

ـ **شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ)** : قرأ عليه شرحه لـ « رسالة القشيري » ، و« شرح آداب البحث » ، و« شرح التحرير » ، و« شرح الروض » ، و« شرح مختصره لجمع الجوامع » مع « حاشيته على شرح الجلال المحلي » ، وغيرها من الكتب .

ـ **الإمام شهاب الدين الرملي (ت٩٥٧هـ)** : قرأ عليه كتاب « الروضة » إلىٰ أثناء كتاب الجراح .

ـ **شيخ الإسلام برهان الدين القلقشندي (ت٩٢٢هـ)** : قرأ عليه قطعة من « المنهاج » ، وقطعة من « ألفية ابن مالك » ، و« مسند عبد بن حميد » ، و« الغيلانيات » ، وكان عالي السند في الحديث .

ومنهم : العلامة نور الدين السنهوري الضرير ، والإمام المحقق المتفنن في العلوم

---

(١) قال نجم الدين الغزي في « الكواكب السائرة » (١/ ٢٨٥) : (لعل وفاته ما بين العشرين إلى الثلاثين وتسع مئة) ، ووقع في هامش (ب) : (توفي صاحب الترجمة سنة سبع عشرة وتسع مئة) .

ملا علي العجمي ، والشيخ جمال الدين الصاني ، والشيخ عيسى الإخنائي ، والشيخ شمس الدين الديروطي ، والشيخ شمس الدين الدمياطي ، والشيخ مجلي ، والشيخ صلاح الدين القليوبي ، والشيخ نور الدين بن ناصر ، والشيخ سعد الدين الذهبي ، وشيخ الإسلام شهاب الدين الششيني الحنبلي ، رحم الله الجميع رحمة الأبرار الأخيار .

مشايخه في الطريق :

قال الشعراني في « المنن الكبرىٰ » (١/ ١٨٤) : (**مما منَّ الله به عليَّ** : إلهامي لطلب الاجتماع بأهل الطريق وانقيادي لهم ، فاجتمعتْ بحمد الله تبارك وتعالىٰ عليَّ خلائقُ لا تحصىٰ من أهل الطريق ، فلم يكن لي وديعة عند أحدٍ سوىٰ هـٰؤلاء الثلاثة ؛ وهم : **سيدي علي المرصفي ، وسيدي محمد الشناوي ، وسيدي علي الخواص** ؛ سلكت على الأوَّلَيْن يسيراً ، وكان فطامي بحمد الله تعالىٰ علىٰ سيدي علي الخواص ؛ أعني : الفطامَ اليسيرَ المعهود بين القوم ، وإلا فالحق أنه لا فطام حتىٰ يموت العبد) .

تلامذته

علىٰ سعة الدائرة التربوية التي كان قطب رحاها الإمام الشعراني . . لا نرىٰ كمًّا ملفتاً للنظر ممن تخرَّج به علمياً ، وذاك عائد لطبيعة الحياة الاجتماعية التي اختارها الإمام ، ولـٰكن من جملة من تأثَّر به وأخذ عنه :

ـ العلامة الحافظ عبد الرؤوف المناوي ، المتوفىٰ سنة (١٠٣١هـ) ، وقد نصَّ هو علىٰ ذلك[١] .

ـ العلامة المحدث أحمد بن محمد البقاعي العرعاني ، المتوفىٰ سنة (١٠٤٩هـ) ، ذكره المحبي[٢] .

ـ العلامة المحدث المقرئ محمد حجازي الملقب بـ (الواعظ القلقشندي)

(١) انظر « الكواكب الدرية » (٣/ ٣٩٢) .
(٢) انظر « خلاصة الأثر » (١/ ٣١٥) .

المتوفىٰ سنة (١٠٣٥هـ) ، ذكره المحبي أيضاً[١] .

ـ الأمير حسن بك صنجق الذي هجر الإمارة وترك السلطان في سبيل التتلمذ علىٰ يده رحمه الله .

ـ ولده عبد الرحمـٰن ، وكان قد خلف أباه بعد وفاته ، قال المناوي : (وقام بالزاوية بعده ولده الشيخ عبد الرحمـٰن ، لـٰكنه أقبل علىٰ جمع المال ، ثم توفي سنة « ١٠١١هـ »)[٢] .

ـ **وممن رباهم أيضاً** : محمد بن الموفق ؛ كاتب ديوان الجيش ، ومحمد بن الأمير ؛ شيخ سوق أمير الجيوش ، وأبو الفضل الجزيري القباني ، وعلي ابن أمير كبير أزبك ، والحاج علي البسطي ، وغيرهم .

زاوية الشعراني

الحياة المادية في الزاوية : حوَّل الشعراني الزاوية التي بناها محيي الدين الأرزيكي ، وأوقف عليها أوقافاً وأرزاقاً كفلت الحياة لموظفيها ؛ من مؤذنين وأئمة وخطباء إلىٰ رباطٍ للعبادة ، ومدرسةٍ للعلم والتعليم ، وزاويةٍ للصوفيين ، ومسجدٍ للصلاة وإقامة الشعائر ، وتكيةٍ للفقراء والمحتاجين ، **وكان الشيخ عبد الوهاب قطبَ الرحىٰ لتلك الحركة الدائبة** .

اتَّسعتِ الحياة داخل الزاوية ، فأقبل عليها آلافُ المريدين وطلبة العلم ، فكفل لهم الحياة الكريمة ، وأعانه علىٰ هـٰذا ما أوقفه الموسرون من أحباسٍ وعطايا وهدايا .

فاستقرَّ في الزاوية مئتا طالبِ علمٍ ، بينهم تسعةٌ وعشرون كفيفاً طاعمين كاسين ، بل قد نهضَ الشيخ بتزويج أربعين مجاوراً من مريديه ، قام عنهم بسداد المهر ونفقاتِ الزواج ، وزوَّدَ زوجاتِهم حتىٰ باللِّبان الشامي والشمع والخضاب .

وأرسل الشعراني أفواجاً من تلامذته حجاجاً إلىٰ مكة والمدينة علىٰ نفقته .

---

(١) انظر « خلاصة الأثر » (٤/ ١٧٥) .

(٢) انظر « الكواكب الدرية » (٣/ ٣٩٧) .

ولم تقف مكارمه عند هـٰذا ، بل كان يقوم بتزويد العلماء والفقهاء والمشايخ بالغذاء والكساء .

وأما الحياة الروحية : فيحدِّثنا المؤرخون بأن زاويته كانت من أعظم المنارات العلمية والتعبدية في العالم الإسلامي خلال القرن العاشر ؛ فقد كان الشعرانيُّ من أوسع أهل عصره علماً ، وأعلاهم في التصوف كعباً ، وأرشدهم عبادةً وخلقاً ، وبهـٰذه الصفات الطيبة طبعَ الشعراني مرتادي زاويته ، وربَّىٰ مريديه عليها ، فدرسوا علىٰ يديه العلوم الشرعية على اختلاف أنواعها ، وتلقَّوا المعارفَ الصوفية على اتساع آفاقها وشمولها ودقائق أسرارها .

كان القراء يُواصلون قراءة القرآن ليلَ نهار ، والمجالس العلمية لا تكاد تهدأ ، فلا يفرغُ طالبُ علمِ الحديث حتىٰ يبدأ طالبُ علم التفسير ، ولا ينتهي قارئ كتب التصوف حتىٰ يليه قارئٌ في الفقه بلا انقطاع ، فكان لزاويته دويٌّ كدوي النحل .

الشعراني والطريق

بعدما ألمَّ الشعرانيُّ بعلوم الظاهر وأحكمَها أشار عليه الشيخ أحمد البُهلول أحدُ أولياء عصره بأن يقنعَ بما جمعَ من علمٍ ، وأن يلتمس السلوك عند صاحب التصريف في مصر الشيخِ علي الخواص وارثِ مقام شيخه إبراهيم المتبولي الذي ذُكر عنه أنه يجتمع برسول الله يقظةً ، وينقل عن اللوح المحفوظ من غير واسطة .

وقد أخذ شيخنا الشعراني بتِلْكمُ الإشارة ، وتوجَّه تلقاء الشيخ علي الخواص ، ملتمساً الفتح علىٰ يديه ، فأمره الخواص في أول اجتماع معه أن يبيع كتبه ، وينفقَ ثمنها في سبيل الله ، فاستجاب لمطلبه ، وباعَ كتبَهُ التي دوَّن علىٰ هوامشها الكثير من تعليقاته وحواشيه ، ثم طلب منه شيخُهُ أن ينصرفَ عن طلب العلم وحضور حِلَقِهِ عاماً كاملاً ، ويعتزل الناس ويتحامىٰ مجالسهم ، وينقطع لذكر الله سرّاً وجهراً ، ثم أمره بالزهد في لذاذات الطعام .

ولما ظنَّ الشعراني أنه وصل شرع يفيضُ في تفسير القرآن والحديث النبوي ، ويستنبط الأحكام ، ومن ثمَّ عرضَ هـٰذا علىٰ شيخه ، وكان مئةَ كراسة ، فأمره شيخُهُ

علي الخواص بمحوها والعملِ علىٰ تصفية القلب من شوائب النظر العقلي ؛ لأن بينه وبين العلم اللَّدني ألفَ مقام ، فمحا ما دوَّنَهُ ، ثم كتب ، ثم محا ، ثم كتب بعلم آداب العبودية ، فاعترف له شيخُهُ بأنه وصل ، وفتح الله عليه ، وقال له : (تمَّ أمرك ، وعلا قدرُك ، ورويَ قلبك ، فأبقِ علىٰ ما تكتب) ، فسمى الشعراني هـٰذا الكتاب : « الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية » .

سلك الشعراني الطريق علىٰ عدد من الشيوخ ، فقد تلقَّى الذكر من الشيخ علي المرصفي بعد لأيٍ طويلٍ ، وأخذ العهد ولبس الخرقة علىٰ يد الشيخ محمد الشناوي ، وكان شيخُ الإسلام زكريا الأنصاري قد ألبسه الخرقة في أول طلبه .

واتصل الشعراني بشيوخ عصره ، وأخذ عنهم كافة الطرق الصوفية المعروفة في أيامه ؛ من رفاعية ، وقادرية ، وأحمدية ، وشاذلية ، وغيرها الكثير .

لقد عرف الشعراني الطريق ، واستبان الهدىٰ لديه ، وهاله ما رآه ممنِ انتسب زوراً إليه ، فشدَّ مئزره ، وكشف عن ساقه ، يبيِّنُ أُسَّ الانحراف ، ويهدم بنيان الضلال .

هاجم المتصوِّفة الطاعمين الكاسين ، الذين يُقيمون في الزوايا ويجمعون المال ، ويكنزون الذهب والفضة ، بل أوجبَ طرد هـٰؤلاء من الزوايا ؛ عظةً لغيرهم من الأدعياء .

وأفتى الشعرانيُّ فيما أفتىٰ : أن بعض من ينتسبُ إلى الأحمدية والرفاعية والبسطامية والدسوقية في عهده . . بعيدون عن شريعة الله ؛ لأنَّ أفعالهم يكذِّبُها طريقُ شيوخهم الذين ينتسبون إليهم ، كما يُكذِّبها الكتابُ والسنة ؛ فالزهد ـ كما يراه ـ لا يكون عن خلوِّ اليد من متاع الدنيا ، وإنَّما يكون بخلوِّ القلب من امتلاء اليد .

ولا يُفهم أن أدعياء التصوف قد استكانوا لحملة الشعراني وألقوا سلاحهم ، بل هاجموه بكلِّ سلاحٍ استطاعوا إليه سبيلاً ، فملؤوا الدنيا عليه تشهيراً ، وتحالفوا مع فقهاء السوء ضدَّه ، وأثاروا عليه الأزهر ، بل أرصدوا له من يقتله غيلة وغدراً !

وقد وضع الشعرانيُّ رحمه الله رسالته « ردع الفقرا عن دعوى الولاية الكبرىٰ » نصيحةً لأهل النصيحة ، وتقريعاً لمدَّعي الولاية زوراً وبهتاناً ، ومحترفي التصوف كذباً

ونفاقاً ؛ الذين قنعوا بالزِّيِّ ، وما عرفوا قواعد الإيمان ، ولا فرائض الوضوء !

ودعا الشعراني فيه إلى الجمع بين العبادة والعمل ، بل قد فضل الصنَّاع على العبَّاد ؛ لأن الصُّناع يساهمون في نفع الناس ، بينما العبَّاد يقتصر نفعهم على أنفسهم .

وكان يقول : (ما أجمل أن يجعلَ الخياطُ إبرتَهُ سبحتَهُ ، والنجارُ منشارَهُ سبحتَهُ !) .

وصرَّح أن ترك الكسب غير المشروع ، والتماسَ الرزق عند المحسنين ؛ كفعل بعض متصوفة عصره . . جهلٌ بمقام التوكل الصحيح .

وجعل مقولته التي كان يرددها كثيراً في كتبه : (**العاقل من عرف زمانه**) . . شعاراً اتخذه على نفسه ، ومنهاجاً يهدي به غيره ، ولسان حاله يقول : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ [هود : ٨٨] .

هـٰذا هو الشعراني وطريق التصوف .

لـٰكنه مع ذلك **لم يُسلِّم بأن العلم اللَّدني يأتي دون مكابدة العلم الشرعي عادةً** ، فما كان سبحانه أن يتخذ وليّاً جاهلاً ، والأدلة الشرعية تؤيد صحة مقولته : (إن علم الباطن لا يُخالف علمَ الظاهر ، وإن أهلَ الحقيقة هم أهلُ الشريعة ، وإنَّ كلَّ صوفي فقيه) ، وقد حاول جهده التوفيق بينهما حتى أوقف على هـٰذه الغاية مؤلفه « اليواقيت والدرر » .

محنة الشعراني

كان الشعراني رحمه الله مثالاً مشرقاً بين علماء عصره ؛ فهو الصوفي المربي ، والعالم المتفنن ؛ فالتفَّ حوله المريدون وطلبة العلم من كل حدب وصوب ، وقد أوجب ذلك ـ إضافة لطبيعته الناقدة لأدعياء العلم والتصوف من أهل عصره ـ خصومة بعض المدَّعين ، **ردَّ أسبابها الشعراني إلى الحسد والغيرة** ، حتى اتَّهمهم أنهم زيَّفوا مُقدِّمة كتابه « كشف الغمة » ، وأنهم استعاروا نسخةً من كتابه « البحر المورود » الذي هاجمهم فيه ، ودسُّوا فيه تعاليمَ تُخالف ظاهر الشريعة ، ونحلوا وجوهاً من العبث لا تتَّفق مع وقاره وحشمته ، وضروباً من الأعمال الماجنة الساذجة التي لا تليق بعلمه

وصلاحه ، وأذاعوا هـٰذا في مصر ومكة ، وحرصوا على التشهير به بين رجال الأزهر .

ولبثت الفتنة ثلاثَ سنوات ، تولَّىٰ كِبْرها وأذكىٰ نارها في الأزهر حسين العبادي ، ورغم تصدِّي محبي الشعراني لهم ، وعلىٰ رأسهم : ناصرُ الدين اللقاني ، وشهاب الدين الرَّملي . . لبثتِ الفتنةُ قائمةً ، وخصومُهُ ينالون من عرضه ودينه ، حتى اتصل بهم ، وأرسل إليهم نسختَهُ الأصلية من كتابه « البحر المورود » ، وعليها إجازاتُ أربعة من أعلام عصره ؛ أحدهم حنبلي ؛ وهو : شيخ الإسلام **الفتوحي** ، والثاني حنفي ؛ الشهاب أحمد ابن يونس المعروف **بابن الشلبي** ، والثالث مالكي ؛ **ناصر الدين اللقاني** ، والرابع شافعي ؛ **شهاب الدين الرملي** ، وعندئذ انكشفَ دسُّ خصومه وحساده ، وبرئت ساحته .

ولما فضح الله دسَّهم علىٰ كتب الشعراني **لجؤوا إلىٰ سلاح آخر برعوا فيه ؛ وهو تحريضُ الولاة والحكام على المتصوفة** ، فأوغروا صدر سلطان مصر والخليفة على الشعرانيِّ ؛ بدعوىٰ خطورته على الأمن والنظام والدولة السلطانية والخليفة ، ولن ندرك خطورة ما رموه به ما لم نعلم القانون الذي أصدرته الدولة العثمانية وطبَّقته تطبيقاً حازماً بعقاب كلٍّ من عارض أركان الدولة ، أو تظاهر بصفات الملوك ؛ من أبهةٍ ، وكثرةِ أتباع ومريدين قد يشكلون خطورة . . بالحبس أو النفي أو الإعدام ، لـٰكن الله سلَّم ، وردَّ كيد الذين أرادوا أذاه إلىٰ صدورهم .

أما الشعراني رحمه الله فقد اعتبر حملته على الفقهاء الجامدين المنتفعين . . جانباً كبيراً من جهاده في سبيل بناء الفكر الإسلامي من جديد ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء وأحسنه .

مؤلفات الشعراني

جادت يراعة الإمام الشعراني بموسوعة كبيرة جداً من المصنفات ، عُدَّ معها من أفراد المصنفين في تاريخنا الإسلامي ؛ فقد بلغت نحواً من الثلاث مئة كتاب ، وقد قال الشعراني نفسه في « المنن الوسطىٰ » : (وممَّا منَّ الله به عليَّ أنني **ألفت نحو الثلاث مئة كتاب**) ، وقد استغرقَ بعضها عدة مجلدات ، تناولت التفسير ، والحديث ، والفقه ،

والكلام ، والنحو ، والطب ، وأما في التصوف والأخلاق فعن البحر حدِّث ولا حرج .

وقد أحصىٰ له كارل بروكلمان (٦٧) كتاباً منثوراً في مكتبات العالم ، وقد زدت عليه وأحصيتُ له ما سأسرده عليك ، منبهاً ـ إتماماً للفائدة ـ علىٰ مؤلفات الإمام الشعراني الموجودة في مكتبة الأسد الوطنية ، مع ذكر رقم المخطوط وعدد أوراقه .

ـ « إجازة الشعراني لبعض العلماء » : نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (١٣٤٨٥) ، عدد أوراقها (٣) .

ـ « الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية » (بروكلمان) .

ـ « الأخلاق الزكية والعلوم اللدنية » (هدية العارفين) .

ـ « الأخلاق المتبولية المفاضة من الحضرة المحمدية » : كتبه نقلاً عن إبراهيم المحمدي ؛ المعلم بالزاوية في بركة الحاج في القاهرة . (بروكلمان) (ط) .

ـ « آداب الصحبة » : نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (١٤١١٦) ، عدد أوراقها (٤٦) .

ـ « آداب الفقراء » . (بروكلمان) .

ـ « أدب المريد الصادق مع من يريد الخالق » = « سبيل المريد » (بروكلمان) .

ـ « إرشاد السالكين في معرفة الأولياء » = « موازين القاصرين » . (فهرس مخطوطات الظاهرية « ١/ ٦١ ») (ط) .

ـ « إرشاد الطالبين إلىٰ مراتب العلماء العاملين » . (بروكلمان) ، وله نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (١٧٣٢٥) ، عدد أوراقها : (٣٥) .

ـ « إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلىٰ شروط صحبة الأمراء » . (ط) .

ـ « الأسئلة » . (بروكلمان) ، وله نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (١٥٤١٠) ، عدد أوراقها (١٣٢) .

ـ « أسرار العبادات » : نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (١٩٧٥٨) ، عدد أوراقها (٥٠) .

ـ « الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية » . (ط) .

ـ « الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية » . (ط) .

ـ « البحر المورود في المواثيق والعهود » ، المسمىٰ بـ « العهود الصغرىٰ » . (ط) .

ـ « البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير » : طبع الكتاب سنة (١٢٧٧هـ ـ ١٨٦١م) .

ـ « البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف » . (هدية العارفين) .

ـ « بهجة النفوس والأحداق فيما تميَّزَ به القوم من الآداب والأخلاق » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس » . (فهرس مخطوطات الظاهرية « ١/ ٢٤٥ ») .

ـ « تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « تعليق علىٰ وصية المتبولي » . (فهرس مخطوطات الظاهرية « ١/ ٢٩٧ ») .

ـ « تنبيه الأغبياء علىٰ قطرة من بحر علوم الأولياء » . (هدية العارفين) .

ـ « التنبيه من النوم » . (بروكلمان) .

ـ « تنبيه المغترين في القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر »[١] . (بروكلمان) ، وقد طبع الكتاب أكثر من طبعة أولها سنة (١٢٧٨هـ ـ ١٨٦١م) .

ـ « التنفير عن المغترِّين » . (ط) .

ـ « الجواهر والدرر » : جمع فيه أقوال شيخه علي الخواص ، **وله ثلاث روايات** :

أ ـ « الكبرىٰ » : جمعها سنة (٩٤٠هـ) ، طبع علىٰ هامش كتاب « الإبريز » سنة (١٢٧٦هـ ـ ١٨٥٩م) .

---

(١) ورد اسم الكتاب في « الأعلام » (١/ ١٨١) للزركلي ، و« معجم المطبوعات العربية » (١١٣٠) : (المفترين) بدل (الطاهر) ، وعند بروكلمان : (المغتربين) .

ب ـ « الوسطىٰ » : جمعها سنة (٩٤٢هـ) (ط) ، ولها نسخة خطية محفوظة في مكتبة الأسد برقم (٦٢٣٩ت٣) .

ت ـ « الصغرىٰ » : طبع في مطابع شاهين سنة (١٢٧٦هـ) ، ولها نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (١٤٠٨١) ، عدد أوراقها (١٠٤) .

ـ « الجوهر المصون في علم كتاب الله المكنون » = « سر المسير والتزود ليوم الدين » . (بروكلمان) ، (كشف الظنون) .

ـ « الجوهر المصون (المكنون) والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « حزب الشعراني » : نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (١١٨٣٢) ، عدد أوراقها (٤) .

ـ « حقوق إخوة الإسلام بتناول واجبات المسلمين تجاه بعضهم البعض » . (بروكلمان) .

ـ « خاتمة في جملة صالحة من البلايا » ، وانظر مستأنساً كتاب : « تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا » . (بروكلمان) .

ـ « الدر المنظوم في زهد العلوم » . (بروكلمان) .

ـ « درر الغواص علىٰ فتاوىٰ (مناقب) سيدي علي الخواص » : طبع سنة (١٢٧٧هـ) .

ـ « الدرر المنثورة في بيان العلوم المشهورة » . (بروكلمان) ، طبع عدَّة طبعات أولها في (بطرسبرغ) سنة (١٩١٤م) .

ـ « الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « ديوان شعر » . (بروكلمان) .

ـ « ردع الفقرا عن دعوى الولاية الكبرىٰ » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « رسالة الأنوار » (ط) .

ـ « رسالة الفتح في تأويل ما صدر عن الكُمَّل من الشطح » = « الفتح في تأويل » . (بروكلمان) .

ـ « رسالة في اثني عشر إماماً شيعياً » . (بروكلمان) .

ـ « رسالة في آداب تلقين الذكر » . (فهرس مخطوطات الظاهرية « ١/ ٦٤٧ ») .

ـ « رسالة في أهل العقائد الزائغة ، وأمور تنفع من يريد الخوض في علم الكلام » . (بروكلمان) .

ـ « رسالة في بيان جماعة سمَّوا أنفسهم بالصوفية » . (بروكلمان) ، طبع سنة (١٢٩٧هـ) .

ـ « رسالة في التسليك » . (بروكلمان) .

ـ « رسالة في التصوف » : نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (٥١٠٣ ت ٩) ، عدد أوراقها (٢) .

ـ « رسالة في التوحيد » : نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (١٦٧٥٨) ، عدد أوراقها (٣) .

ـ « زبدة العلوم المشهورة » . (فهرس مخطوطات الظاهرية « ٢/ ٦ ») .

ـ « السر المرقوم فيما اختص به أهل الله من العلوم » . (هدية العارفين) .

ـ « سر المسير والتزود ليوم المصير » = « الجوهر المصون » .

ـ « سواطع الأنوار القدسية فيما صدَّرت به الفتوحات المكية » . (بروكلمان) .

ـ « حاشية على شرح جمع الجوامع » للمحلي . (هدية العارفين) .

ـ « شرح دائرة أبي الحسن الشاذلي » . (بروكلمان) .

ـ « شرح ورد الأقطاب » (ط) ، وله نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (١٤١٣٣) ، عدد الأوراق (٩) .

ـ « الطبقات الشعرانية » **وهي كتابنا هـٰذا ، وطبقاته ثلاث :**

أ ـ « الطبقات الكبرى » ، المسمىٰ بـ « لواقح الأنوار في طبقات الأخيار » .

ب ـ « الطبقات الوسطى » ، المسمىٰ بـ « لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية » .

ت ـ « ذيل الطبقات » أو « الطبقات الصغرى » ، المسمىٰ بـ « لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية » .

ـ « الطراز الأبهج علىٰ خطبة المنهج » : نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (١٠٢١٥) ، عدد الأوراق (١٦) .

ـ « طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالىٰ والعباد » . (هدية العارفين) .

ـ « العقيدة الشعرانية » : نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (١٦٧٥٨) ، عدد الأوراق (٣) .

ـ « العهود الصغرىٰ » . (فهرس مخطوطات الظاهرية « ٢/ ٣١٢ ») .

ـ « فتاوى الشعراني » . (كشف الظنون) .

ـ « الفتح المبين في ذكر جملةٍ (شيء) من أسرار الدين » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « فتح الوهاب في فضائل الآل والأصحاب » . (كشف الظنون) .

ـ « فرائد القلائد في (علم العقائد) بيان عقائد الأكابر » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « قنية الأغنياء علىٰ قطرة من بحر علوم الأولياء » . (كشف الظنون) .

ـ « القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلـٰهية » . (ط) .

ـ « القول المبين في بيان آداب الطالبين » . (هدية العارفين) .

ـ « القول المبين في الردِّ عن محيي الدين » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر » . (بروكلمان) ، طبع الكتاب سنة (١٢٧٧هـ ـ ١٨٦٠م)[١] .

ـ « كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان » . (بروكلمان) ، طبع سنة

---

(١) اختصر الشعراني « الفتوحات المكية » وسماه : « لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية » ، ثم لخص تلخيصه هـٰذا وسماه : « الكبريت الأحمر من علوم الشيخ الأكبر » .

(١٣٥٧م) بالقاهرة وله سبع نسخ خطية في مكتبة الأسد ؛ إحداها : برقم (١٧٤٠٤) ، وثانية : برقم (١٨٧٥٦) .

ـ « كشف الغمّة عن جميع الأمة » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « الكشف والتبيين » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « لباب الإعراب المانع من اللحن في السنة والكتاب » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق » ، المسمىٰ بـ « المنن الكبرىٰ » . (بروكلمان) ، وللكتاب أكثر من طبعة ، وطبع أخيراً بدار التقوىٰ ـ دمشق الشام سنة (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م) .

ـ « لواقح الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية » : مختصر من « الفتوحات المكية » . (ط) .

ـ « لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية » ، المسمىٰ أيضاً بـ « مشارق الأنوار القدسية » (بروكلمان) ، وللكتاب أكثر من طبعة ، وطبع أخيراً بدار التقوىٰ ـ دمشق الشام سنة (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م) .

ـ « المآثر والمفاخر في علماء القرن العاشر » . (هدية العارفين) .

ـ « المختار من الأنوار في صحبة الأخيار » . (ط) .

ـ « مختصر الألفية لابن مالك في النحو » . (هدية العارفين) .

ـ « مختصر تذكرة السويدي » . (ط) .

ـ « مختصر تذكرة القرطبي » . (ط) .

ـ « مختصر الخصائص النبوية » للإمام السيوطي . (كشف الظنون) .

ـ « مختصر سنن البيهقي الكبرىٰ » . (كشف الظنون) .

ـ « مختصر سنن البيهقي الصغرىٰ » . (كشف الظنون) .

ـ « مختصر القواعد في الفروع » للزركشي . (كشف الظنون) .

ـ « مختصر المدونة » في الفروع المالكية . (هدية العارفين) .

ـ « مدارج السالكين إلىٰ رسوم طريق العارفين » . (فهرس مخطوطات الظاهرية « ٢/ ٦٤١ ») . (بروكلمان) (ط) طبع بأخرة في دار ضياء الشام .

ـ « المرويات » : ذكره في نهاية كتابه « البحر المورود » (ص ٣٧٦) ، طبعة المطبعة الميمنية .

ـ « مشارق الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية » . (فهرس مخطوطات الظاهرية « ٢/ ٦٦٥ ») .

ـ « مفتاح السر القدسي في تفسير آية الكرسي » . (بروكلمان) .

ـ « مقاصد العارفين » = « منهاج العابدين » . (بروكلمان) .

ـ « مقتحم الأكباد في مواد الاجتهاد » . (هدية العارفين) .

ـ « المقدمة النحوية في علم العربية » = « المقدمة الشعرانية » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « مقدمة في ذم الرأي » (ط) ، وله نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (٧٦٦٤ت) ، عدد الأوراق (١٨) .

ـ « الملتقطات من حاشية ابن أبي شريف علىٰ شرح جمع الجوامع للسبكي » (ط) ، وله نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ذات الرقم (٧٦٦٤ت١) ، عدد الأوراق (٢٥) .

ـ « المنح السنية على الوصية المتبولية » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « منح المنة في التلبس (التمسك) بالسنة » . (بروكلمان) (ط) .

ـ « منع الموانع » . (هدية العارفين) .

ـ « المنن الوسطىٰ »[1] . (فهرس مخطوطات الظاهرية « ٢/ ٧٧٨ ») (ط) .

ـ « منهج الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدَّعين للطريق » : نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (١٧٧٩٨) ، عدد الأوراق (٣٧) (ط) .

---

(١) اختصره من كتابه : « لطائف المنن » .

ـ « المنهج المبين في أخلاق العارفين » . (بروكلمان) .

ـ « المنهج المبين في بيان أدلة أئمة المجتهدين » . (كشف الظنون) .

ـ « الموازين الذرية (الذهبية) المبينة لعقائد الفرق العلية » . (فهرس مخطوطات الظاهرية « ٢/ ٨٠٠ ») ، (بروكلمان) (ط) .

ـ « موازين القاصرين » = « إرشاد السالكين » .

ـ « الميزان الخضرية » . (ط) .

ـ « الميزان الشعرانية الكبرى » ، المسمىٰ بـ « الميزان الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلّديهم في الشريعة المحمدية » . (بروكلمان) له عدة طبعات ، وطبع أخيراً بدار التقوىٰ ـ دمشق الشام .

ـ « الميزان الصغرىٰ » .

ـ « النصائح والوصايا » . (فهرس مخطوطات الظاهرية « ٣/ ٤٠ »)

ـ « النور الفارق (الكوكب الشاهق) بين المريد الصادق وغير الصادق » (ط) .

ـ « هادي الحائرين إلىٰ رسوم أخلاق العارفين » . (بروكلمان) .

ـ « ورد الأقطاب والمكملين من أصحاب الدوائر الكبرىٰ » : نسخة محفوظة في مكتبة الأسد ، ذات الرقم (١٧٣٥٧) ، عدد الأوراق (٤) .

ـ « ورد الرسول صلى الله عليه وسلم » . (بروكلمان) .

ـ « وصايا العارفين » . (بروكلمان) .

ـ « اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر » . (بروكلمان) (ط) .

ثناءات أهل العلم عليه

ـ قال عنه شيخه الإمام الفقيه شهاب الدين الرملي الشافعي : **(بدايتك نهايةُ غيرك ؛ فإني ما رأيتُ أحداً تيسَّرَ له مطالعةُ هٰذه الكتب كلها في هٰذا الزمان)**[1] .

---

(١) المنن الكبرىٰ (١/ ١٤٦) .

ـ وقال عنه شيخه الإمام **ناصر الدين اللقاني المالكي** في تقريظه لكتابه « المنهج المبين في بيان أدلة المجتهدين » : (فقد وقفت على هذا المؤلف العظيم الشأن . . . ، وكيف لا يكون كذلك **ومؤلفه المحققُ** الفهامة ، **شيخ الحقيقة وأستاذ الطريقة** ، **الجامعُ بين المنقول والمعقول** ، والمرجع والتعويل عليه فيما يفتي ويقول ، **سيدنا وقدوتنا إلى الله تعالى** ؛ الشيخ أبو محمد عبد الوهاب الشعراني ، المرشد المسلك المربي ، أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته ، وحشرنا في زمرته)[١] .

ـ وقال عنه الشيخ **شهاب الدين البهوتي الحنبلي** في تقريظه للكتاب السابق : (وأنت خبير بأن الله تعالى قد **جمع لمؤلفه بين الحال والقال**)[٢] .

ـ وقال عنه تلميذه الإمام المحدث **عبد الرؤوف المناوي** : (**شيخنا** ، الإمام العامل ، والهمام الكامل ، العابد الزاهد ، الفقيه المحدث ، الصوفي المربي المسلك)[٣] .

ـ وقال عنه الإمام المؤرخ شهاب الدين أحمد بن محمد **المقري** التلمساني ـ في معرض بيانه لما وقع من الدسِّ في كتب بعض العلماء ـ : (**ولي الله الرباني** ؛ سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله تعالى ببركاته)[٤] .

ـ وقال عنه الإمام المؤرخ **ابن العماد الحنبلي** : (هو **فقيه النظر** ، **صوفي الخبر** ، له دربةٌ بأقوال السلف ومذاهب الخلف ، كان مواظباً على السنَّة ، مبالغاً في الورع ، مؤثراً ذوي الفاقة على نفسه حتى بملبوسه ، متحمِّلاً للأذى ، موزعاً أوقاته على العبادة ما بين تصنيف وتسليك وإفادة)[٥] .

ـ وقال عنه الإمام المحدث المؤرخ **نجم الدين الغزي** : (الشيخ العالم العارف الشعراني . . . ، **كان رحمه الله من آيات الله تعالى في العلم والتصوف والتأليف**)[٦] .

---

(١) المنن الكبرى (١/ ١٧٠) .
(٢) المنن الكبرى (١/ ١٧٠) .
(٣) الكواكب الدرية (٣/ ٣٩٢) .
(٤) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٣/ ٥٥) .
(٥) شذرات الذهب (١٠/ ٥٤٥ـ٥٤٦) .
(٦) الكواكب السائرة (٣/ ١٥٨) .

ـ ووصفه الإمام المتفنن **مرتضى الزبيدي** بـ (القطب الشعراني قدس سره)[١] .

ـ وقال عنه العلامة المحدث **عبد الحي الكتاني** : (هو الإمام الفقيه المحدث ، الصوفي العارف المسلك ، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني)[٢] .

ـ وقال عنه العلامة المؤرخ **علي مبارك** : (الإمام العلامة ، المعتقد المسلك ، مربي المريدين ، قدوة العلماء والصالحين ؛ عبد الوهاب بن أحمد . . . الشعراني)[٣] .

ـ وقال شيخ الأزهر الدكتور **عبد الحليم محمود** رحمه الله : (كان عالماً مستنيراً بكل ما تحمله هـٰذه الكلمة من معانٍ)[٤] .

وفاته رحمه الله تعالىٰ

ولم يزل الإمام الشعراني معظَّماً في صدور الصدور ، مبجَّلاً في عيون الأعيان ، وتتردد إلىٰ أعتابه أمراء الألوية فمن دونهم ، وخضع لأوامره أكابر الأمراء والباشوات ، إلىٰ أن اقترب القدر المحتم ، فقال في وقت من الأوقات ما معناه : لقد طاب الموت ؛ لما رأىٰ من الفساد وسوء الحالات ، فلم يمض غيرُ لمحةِ الطرف حتىٰ ورد عليه واردُ المنية ، وبدأ به حال عظيم اعتقل به لسانه ، وبطلت حركته بالكلية ، فاستمر طريحاً داخل داره ، والأكابر والأصاغر واردون إلىٰ زاويته ، مستفهمون عن أخباره ، **إلىٰ أن توفي عصر يوم الاثنين الثاني عشر من شهر جمادى الأولىٰ عام ثلاث وسبعين وتسع مئة** .

وكانت مدة مرضه قرابة الشهر ، فاجتمع لوفاته الخلائق من كلِّ أوب وصوب ، وخرج نعشُهُ من زاويته يوم الثلاثاء إلىٰ مصلى الجامع الأزهر في مشهد حافل جدّاً .

وممن صلّىٰ عليه : علي باشا ومَنْ دونه من أمراء الألوية ، ومشايخ العرب

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٤/ ٤٨٦) .

(٢) فهرس الفهارس (٢/ ١٠٧٩) .

(٣) الخطط التوفيقية (١٤/ ١٠٩) .

(٤) عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر (ص٧) .

والأعيان ، ومشايخ العلم والفقهاء ، والتجار ، وأرباب الزوايا .

قال صاحب « الدرر المنظمة » : (ولا أعلم أني رأيت مشهداً سابقاً لعالم أو وليٍّ لله كمشهده ، ولا جمعاً كجمعه)[1] .

صُلي عليه بالجامع الأزهر ، وحُمل نعشه من المقصورة إلىٰ فسقية بنيت له بجانب زوايته وقت مرضه ، وفُتح له بابٌ منها ، ودُفن في تلك الفسقية ، رحمه الله ، وأجزل مثواه ، آمين .

* * *

---

(١) انظر « الخطط التوفيقية » (١٤/ ١١٢) .

كلمة عن
« طبقات الشعراني »

ما كاد القرن العاشر الهجري يطلع حتىٰ وقعت جملةٌ من المتغيرات الجسام ، فها هو حكمُ المماليك يؤذن بالمغيب ، وجلُّ العالم الإسلامي يتأهَّبُ لاستقبال الحكم العثماني ، إنه عصرٌ غابت فيه اللغة العربية عن لغة الخلافة ، وتربَّعتْ مكانها اللغة التركية ، بل هو عصر شهد خروجَ عاصمة الخلافة من المنطقة العربية ، وعاش العرب في دائرة ظلِّ عصرٍ عجَّ بالمتغيرات الدولية ؛ فقد انتهت العصور الوسطىٰ وبدأ عصر النهضة ، بمغيبِ شمس حضارةٍ استبيحت ثرواتها ، وشروق شمسٍ حضارة بزغت باكتشافات جغرافية ـ كرأس الرجاء الصالح ـ .

تأثرت الدولة الإسلامية عامَّةً بهـٰذه التغيُّرات ، لا سيما مصر التي فقدت زعامتها بزوال دولة المماليك وما رافق ذلك من اضطراب في شتَّىٰ مناحي الحياة ؛ فازداد الفساد ، وكثرت المظالم ، وخبا العلم ، وانتشر الجهل ، وعاشت البلاد في سبات ثقافي اجتماعي ، واقتصادي سياسي ، ولا أقول : كان هـٰذا وليدَ الحكم العثماني ، بل إن السِّنَةَ التي أخذتِ الأمة آتت أُكلها ، وما زالت تثمرُ تخلُّفاً وجهلاً ، وتُزهر ضَعةً وهواناً وصغاراً ، حتىٰ بلغتِ الأمور غايتها ، فكان يجلسُ الشيخ شعبان المجذوب في المسجد ، ويقرأ في الجمع ما يزعم أنَّه قرآن كريم ، ثم يعقب ذلك : (اللهم ؛ اجعل ثواب ما قرأناه من الكلام العزيز في صحائف فلان وفلان) ، ويعلق الشعراني علىٰ هـٰذا قائلاً : (ولم أسمع قطُّ أحداً يُنكر عليه شيئاً من حاله ، بل يعدون رؤيته عيداً عندهم !!)[1] .

ويحاور شيخنا الشعراني بعضَ مشايخ الأحمدية والبرهامية في عصره ، ويسأله عن قواعد الإيمان ، وعن فروض الوضوء ، وعن شروط الصلاة وأركانها ، وفي كلِّ مرة

---

(١) انظر « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٥١٥) .

يقول : لا أدري ، ويقول الشعراني معلقاً : (مع أنه شيخ في زاوية يأخذ العهد !) .

هـٰذا ؛ وتعتبر « طبقات » الإمام الشعراني من أهم كتبه رحمه الله ، بل لا أتعدى الحقيقة إن قلت : **إن « طبقاته » هـٰذه من أهم وأجل الكتب التاريخية والاجتماعية والثقافية والدينية التي تناولت زماناً** : القرنَ التاسعَ والعاشرَ الهجريين ، **ومكاناً** : مصر حماها الله ، التي كانت تمثل درة العالم الإسلامي .

وعليه : فلا يمكن لدارس هـٰذين القرنين إلا أن يقف عند هـٰذه الطبقات طويلاً ، وينهل من معينها ، ويرجع إليها اقتباساً ونقلاً .

أما المتابع للحركة الفكرية والاجتماعية والثقافية في مصر بشكل خاص ، والبلاد العربية بشكل عام . . فإنه سيقف علىٰ ترجماتها وقفة المتروي والمتأني .

إن « الطبقات » موسوعةٌ علمية بحق ، صاغها شاهدٌ علىٰ أحداثها ؛ فقد عاين واختبر وعرف ، ثم عايش وجرَّب واستنتج ، ترجم لأساتذته وأترابه وتلامذته ـ مَنْ أحبَّ منهم ومن لم يحب ـ وصنَّف ووصفَ وحكمَ .

« الطبقات الكبرىٰ »

تعدُّ « الطبقات الكبرىٰ » أشهرَ طبقاته الثلاث وأكثرَها انتشاراً ؛ يدلُّ علىٰ ذلك ذيوع نسخها في مكتبات العالم ، وكثرة تداولها بين أيدي الناس .

وأما تسميتها بـ « الطبقات الكبرىٰ » : فهو اسم لم يصرح به الإمام الشعراني في هـٰذه « الطبقات » ، وإنما سماها بـ « **لواقح الأنوار في طبقات الأخيار** » كما نص علىٰ ذلك في ديباجة هـٰذا الكتاب[١] .

لـٰكنه سماها بـ « الطبقات الكبرىٰ » في « طبقاته الوسطىٰ » فقال في ترجمة (الحسين ابن علي بن يزدانيار) : (وقد ذكرنا بقية الأقسام في « **الطبقات الكبرىٰ** » فراجعها)[٢] .

وقد وُجدت هـٰذه التسمية علىٰ طرة أقدم النسخ الخطية التي وقفنا عليها ؛ وهي

---

(١) انظر « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٩٠) .

(٢) الطبقات الوسطىٰ (٣/ ٢٩٣) .

النسخة (أ) المحفوظة في جامعة (برنستون) ، والمنسوخة في سنة (١٠١٠هـ) عن نسخة كتبها بخط يده سنة (٩٥٤هـ) تلميذُ الإمام الشعراني الشيخ علي الحموي .

ثم شاعت هٰذه التسمية بين العلماء ، فقد أحال عليه الإمام ابن علان في « الفتوحات الربانية » (١/ ٢٥٨) فقال : (وفي « طبقات الشعراني الكبرىٰ ») .

وأكد ذلك المليجي في « المناقب الكبرىٰ » ؛ فقال في تعداده لمؤلفات الإمام الشعراني : (وكتاب « لواقح الأنوار في طبقات الأخيار » وهي « الكبرىٰ »)[١] .

داعية تأليف « الطبقات الكبرىٰ » : صرح الشعراني في مقدمتها بها ، وبالفترة الزمنية التي ترجم لها فقال : (فهٰذا كتاب **لخصت فيه طبقاتِ جماعة من الأولياء الذين يُقتدىٰ بهم في طريق الله عز وجل** ؛ من الصحابة والتابعين إلىٰ آخر القرن التاسع وبعض العاشر .

ومقصودي بتأليفه : فقه طريق القوم في التصوف ؛ من آداب المقامات والأحوال لا غير ، **ولم أذكر من أحوالهم إلا عيونَهُ وجواهرَهُ** ، دون ما شاركهم غيرهم فيه مما هو مسطور في كتب أئمة الشريعة)[٢] .

ابتدأ الشعراني في « الكبرىٰ » بترجمة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وختمها برجالات سنة (**٩٥٢هـ**) ، **وهي سنة فراغه من تأليف الكتاب** .

« الطبقات الوسطىٰ »

وهي ثاني « طبقاته » تأليفاً ؛ حيث ألفها بعد « الكبرىٰ » ، وجاءت ترجماتها في غالبها مختصرة عما في « الكبرىٰ » ، كما أضاف إليها كثيراً من الترجمات ، وحلاَّها بديباجة ذكر فيها شذراتٍ من أخلاق النبي ، وجملةٍ من شمائله العطرة صلى الله عليه وسلم .

وأما عن تسميتها بـ « الطبقات الوسطىٰ » : فهو اسم لم يصرِّحْ به الشعراني في جميع « طبقاته » ، وإنما وجد علىٰ طرر بعض النسخ الخطية التي كتبت في عصر تلامذة

---

(١) المناقب الكبرىٰ (ص ٦٧) .

(٢) الطبقات الكبرىٰ (١/ ٨٨) .

الشعراني ؛ كالنسخة (ب) من نسخنا المعتمدة ، والمنسوخة سنة (١٠٢٦هـ) ، ولعلَّ بعض العلماء استحلىٰ تسميتها بـ « الوسطىٰ » ؛ لتأخُّرِ تأليفها عن « الكبرىٰ » ، وتقدُّمِ تأليفها على « الصغرىٰ » .

وقد شاعت تسميتها بـ « **الطبقات الوسطىٰ** » بين العلماء أيضاً ، فها هو مترجم الإمام الشعراني المَلِيجي يقول في « المناقب الكبرىٰ » (ص٦٧) : (وكتاب « **لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية** » وهي « **الوسطىٰ** ») .

ومثله المحبي في « خلاصة الأثر » في ترجمته للإمام شمس الدين الرملي التي قال فيها : (وذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراني في « **طبقاته الوسطىٰ** »)[١] .

وأما عن تسميتها بـ « **لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية** » ، فهو اسم صرح به الشعراني كما في خاتمة النسخة (ل) ، قال الشعراني : (وليكن ذلك آخر كتابنا المُسمَّىٰ بـ « **لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية** ») ، وإلىٰ هـٰذا الاسم أشار المَلِيجي في « المناقب الكبرىٰ » كما تقدم آنفاً .

وأما داعية تأليف « **الطبقات الوسطىٰ** » : فقد بيَّن الشعراني في مقدمتها سببَ تأليفها ، والفترة الزمنية التي ترجم لها ، فقال : (**فهـٰذه طبقات عظيمة ذكرتُ فيها جملةً صالحة من مناقب الصالحين والعلماء العاملين** ؛ ممن لهم كلامٌ في الشريعة والحقيقة ، أو حالٌ يُنهض همَّةَ الطالبين إلىٰ طلب طريق الله عز وجل ، دون ذكر من لم يبلغنا عنه حالٌ ولا قالٌ ، وإن كان عند الله عظيماً ، **وابتدأت** بذكر الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، **وختمت** برجال سنة ثمان وستين من القرن العاشر .

ولا أعلم أحداً أنهى الطبقات إلىٰ هـٰذا الحدِّ في عصره ولا غيره ، ولا التزم هـٰذا الالتزام ، مع أنها في غاية الاختصار ؛ **فإني لا أذكر من كلامِ كل شيخ وأحوالِهِ إلا ما غلب اختصاصه به** ، ولم يشركه فيه أحدٌ إلا في النادر ، فليس فيه بحمد الله تعالىٰ كلمةٌ واحدةٌ يُرمىٰ بها ، أو يَستغني المؤمنُ في دينه عن التخلق بها)[٢] .

---

(١) خلاصة الأثر (٣/ ٣٤٣) .

(٢) الطبقات الوسطىٰ (٣/ ٧) .

ولا بدَّ من وقفةٍ هنا مع تاريخ تأليف الإمام الشعراني لـ « **طبقاته الوسطىٰ** » ، فقد حار كثير من الباحثين في تحديد تأليف هـٰذه الطبقات ، ومرجع تلك الحَيرة إلىٰ وجود عدة تواريخ علىٰ نسخ « الطبقات الوسطىٰ » وهي : (٩٦١ ـ ٩٦٥ ـ ٩٦٦ ـ ٩٦٨) .

وسبب ذلك : أن الإمام الشعراني أعمل قلمه في « الطبقات الوسطىٰ » أكثر من مرة :

أولاها : في سنة (٩٦١هـ) ، إذ قال ـ كما في خاتمة النسخة (ل) من نسخنا المعتمدة ـ : (وكان الفراغ من تأليفي هـٰذه « الطبقات » في تاسع شوال سنة **إحدىٰ وستين وتسع مئة** بمنزلي ؛ بخط بين السورين بمصر المحروسة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل) .

ومما يدلُّ علىٰ ذلك إجازةُ الشعراني لتلميذه نور الدين النجاري ، التي أثبتت في خاتمة النسختين (أ ، ط) : (بلغ الأخ الصالح العالم العلامة الشيخ نور الدين النجاري . . .) إلىٰ أن قال : (نفع الله بعلومه ؛ قراءة لهـٰذه الطبقات المباركة من أولها إلىٰ آخرها قراءةَ بحثٍ وتدقيق . . . ، وذلك قبيل العصر من يوم الثلاثاء رابع شهر صفر الخير **سنة إحدىٰ وستين وتسع مئة** ، بمنزله بالمدرسة القادرية بخط بين السورين من القاهرة المحروسة)[١] .

وأشار الإمام الشعراني في « المنن الكبرىٰ » إلى التاريخ الذي ختم فيه هـٰذه « الطبقات » قال : (وصنفت . . . كتاب « **طبقات الصوفية** » ، وهي من أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلىٰ ختام **سنة ستين وتسع مئة**)[٢] .

ويغلب على الظن أن « طبقات » الشعراني هـٰذه التي ألفها سنة (٩٦١هـ) كانت تضم « الوسطىٰ » و« الصغرىٰ » معاً ، قبل أن يعيد تحرير « الوسطىٰ » ويستبدل الباب الثالث منها بباب آخر ، وسيأتي بيانه .

وأما المرة الثانية : فكانت سنة (٩٦٥هـ) ، كما وقع التصريح به في أغلب النسخ الخطية : (وليكن ذلك آخر ما التزمنا ذكره في « طبقاتنا » ، **وهو سنة خمس وستين**

---

(١) الطبقات الوسطىٰ (٤/ ٤٨٢ـ٤٨٣) .

(٢) المنن الكبرىٰ (١/ ١٦٥ ـ ١٦٦) .

وتسع مئة)[١] ، وفي هـٰذا التاريخ حذفَ الإمام الشعراني الباب الثالث الذي تفردت به « الصغرىٰ » ؛ وهو في ذكر مناقب جماعة من علماء عصره الأحياء ممن صحبهم إلىٰ ختام سنة ستين ، واستبدل به خاتمة « الوسطىٰ » وقد ترجم فيها لجماعة من علماء الشافعية ممن لم يشتهر بزهد ولا ورع ولا كثرة عبادة[٢] .

وأما المرة الثالثة : فكانت سنة (٩٦٦هـ) ، وهي تبييض للنسخة التي كتبها سنة (٩٦٥هـ) ، كما جاء في ست نسخ من نسخنا الخطية المعتمدة : (**وكان الفراغ من تبييض هـٰذه « الطبقات »** علىٰ يد مؤلفها وكاتبها عبد الوهاب بن أحمد الشعراني **في ثالث رجب سنة ست وستين وتسع مئة** بمصر المحروسة)[٣] .

وأما التاريخ الأخير ؛ وهو سنة (٩٦٨هـ) : فقد وقع التصريح به في مقدمة « الطبقات الوسطىٰ » فقال : (فهـٰذه طبقاتٌ عظيمة ذكرتُ فيها جملةً صالحة من مناقب الصالحين والعلماء العاملين . . .) حتىٰ قال : (وابتدأت بذكر الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وختمت برجال **سنة ثمان وستين من القرن العاشر**)[٤] .

ولعلَّ الإمام الشعراني أعاد كتابة مقدمته لـ « طبقاته الوسطىٰ » سنة (٩٦٨هـ) ، أو هو سبق قلم منه رحمه الله ؛ لأن جميع النسخ المعتمدة التي ذكرتْ هـٰذا التاريخ في المقدمة خالفته في خاتمة الكتاب ، وصرَّحَتْ بأن تاريخ الفراغ هو سنة (٩٦٥هـ) ، والله أعلم .

« الطبقات الصغرىٰ »

وهي أصغر « طبقاته » حجماً ، خصصها لترجمة من صحبهم من علماء وصوفية عصره .

وأما تسميتها بـ « الطبقات الصغرىٰ » فهو مشكل جداً ؛ لأن الشعراني صرح في

---

(١) الطبقات الوسطىٰ (٤/ ٤٧٤) .

(٢) انظر « الطبقات الوسطىٰ » (٤/ ٤٥٨) .

(٣) الطبقات الوسطىٰ (٤/ ٤٧٥) .

(٤) الطبقات الوسطىٰ (٣/ ٧) .

خاتمة « طبقاته » هـٰذه فقال : (وليكن هـٰذا آخر كتابنا المسمىٰ بـ « **لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية** »)[١] ، وهـٰذا يومئ إلىٰ أن هـٰذه « الطبقات الصغرىٰ » إنما كانت في أصلها قطعة من « الطبقات الوسطىٰ » ، لا علىٰ أنها كتابٌ برأسها ؛ لاشتراكهما في التسمية وتاريخ التأليف في التدوين الأول « للوسطىٰ » .

ولم نعثر علىٰ نسخة خطية كتب علىٰ طرتها « الطبقات الصغرىٰ » ، بل اتفقت جميع طُرر النسخ الخطية المعتمدة لدينا علىٰ تسميتها بـ « ذيل الطبقات » ، واختلفت في كونها ذيلاً لـ « الوسطىٰ » أو لـ « الكبرىٰ » ، وقد قطع المليجي هـٰذا الخلاف فقال في « المناقب الكبرىٰ » : (وكتاب « ذيل الطبقات الوسطىٰ » خلافاً لمن ظن أنه « ذيل الطبقات الكبرىٰ »)[٢] ، ووافقه علىٰ ذلك العلامة محمد زاهد الكوثري في « نبراس المهتدي »[٣] ، ولعل مراد المَلِيجي ومن بعده الكوثري أنها في أصلها قطعةٌ خَتمَ بها الإمام الشعراني « الوسطىٰ » ، ثم أفردها برأسها ؛ فلذلك عُرفت بـ « ذيل الطبقات الوسطىٰ » .

وأقدم من سماها بـ « الطبقات الصغرىٰ » ـ بحسب ما وقفت عليه ـ **المَلِيجي** ؛ إذ قال في « المناقب الكبرىٰ » : (وكتاب « الطبقات الصغرىٰ » ، وكتاب « ذيل الطبقات الوسطىٰ »)[٤] ، وهـٰذا مشكل أيضاً ؛ إذ لم يعرف للإمام الشعراني في فن الطبقات إلا الطبقات الثلاث المتداولة ؛ فقد قال المناوي في « الكواكب الدرية » : (و« طبقاته » ثلاث)[٥] ، وقال الغزي في « الكواكب السائرة » : (له « طبقات الأولياء » ثلاث)[٦] ، ولعل ما ذكره المليجي هو : (وكتاب « الطبقات الصغرىٰ » و[هو] كتاب « ذيل الطبقات الوسطىٰ »)[٧] ، والله أعلم .

---

(١) الطبقات الصغرىٰ (٥/ ١٥٩) .

(٢) المناقب الكبرىٰ (ص ٦٨) .

(٣) انظر « نبراس المهتدي في اجتلاء أنباء العارف بالله دمرداش محمدي » (ص ٣٠) .

(٤) المناقب الكبرىٰ (ص ٦٨) .

(٥) الكواكب الدرية (٣/ ٣٩٥) .

(٦) الكواكب السائرة (٣/ ١٥٨) .

(٧) المناقب الكبرىٰ (ص ٦٨) ، وما بين المعقوفين أُثبت ضرورةً لتستقيمَ العبارة ؛ لأن الشعراني لم يؤلف سوىٰ طبقات ثلاث .

وربّما كانت تسمية المليجي له بـ « الطبقات الصغرىٰ » : للمناسبة مع « الكبرىٰ » و« الوسطىٰ » ، أو لصغر حجمه ، وبهـٰذا الاسم اشتَهر ، وطُبع هـٰذا الكتاب مؤخراً .

وأما داعية تأليف « الطبقات الصغرىٰ » : فلما كانت « الصغرىٰ » في أصلها هي القسم الثالث من « الطبقات الوسطىٰ » في إبرازته الأولىٰ ، وكان تأليف هـٰذا القسم ـ أعني الثالث من « الطبقات الوسطىٰ » ـ لتنبيه طلبة العلم علىٰ ضرورة الإفادة من علماء عصرهم ، وألا يحجبَهم عنهم حجابُ المعاصرة . . **ارتأى الإمام الشعراني** ـ بحسب ما ترجح لدي ـ أن يفرد القسم الثالث من « الوسطىٰ » بكتاب مستقل يسهل نسخه وتداوله بين طلبة العلم ؛ ليعمَّ نفعه ، وتتحققَ الغايةُ من تأليفه ؛ ليستضيء أهل عصرهم بأنوارهم ، ويتعطروا بنفحات أخلاقهم وصفاتهم ، وما كانوا عليه من الزهد والورع[1] ، وهو الذي عرف فيما بعد بـ « ذيل الطبقات » ، أو « الطبقات الصغرىٰ » .

ومما يدعم هـٰذا الفرض : أن الإمام الشعراني لم يضم إلى « الطبقات الصغرى » الباب الأخير من القسم الثالث من « الطبقات الوسطىٰ » ، وهو الذي خصصه لترجمة من لم يشتهر بالزهد من علماء الأمة الإسلامية عبر قرونها ، وإنما استبدل به باباً ذكر فيه مناقب من صحبه من الأقران المدرِّسين إلىٰ ختام سنة (٩٦٠هـ) ، وقد سبقت الإشارة إلىٰ ذلك عند الكلام على « الطبقات الوسطىٰ » .

وأما تاريخ تأليف « ذيل الطبقات » أو « **الطبقات الصغرىٰ** » : فهو سنة (**٩٦١هـ**) باتفاق جميع النسخ ، مما يدلُّ علىٰ أن الإمامَ الشعراني استلَّ « الصغرىٰ » من « الوسطىٰ » قبل إعادة كتابتها سنة (٩٦٥هـ) ، والله أعلم .

ولا بدَّ من التنبيه علىٰ ما امتازت به هـٰذه الطبعة لكتاب « الطبقات الصغرىٰ » عن سائر الطبعات السابقة ؛ **إذ هي الطبعة الأولى الكاملة للكتاب** ؛ حيث **تفرَّدتْ بذكر أربعة تراجم** سقطت من باقي الطبعات ؛ **وهي ترجمة** : الشيخ شهاب الدين أحمد الشعراوي ، والشيخ علي النبتيتي الضرير ، والشيخ حسن الشامي الغمري الضرير ، والشيخ شمس الدين الدواخلي .

---

(١) انظر « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٨ ـ ٩) .

وقد تفردت النسخة (أ) من نسخنا المعتمدة بذكر هـٰذه الترجمات ، ومع ذلك أثبتناها في أصل الكتاب ؛ لكون الإمام الشعراني قد ذكر هـٰذه التراجم في القسم الثالث من « الطبقات الوسطىٰ » ، وقد سبق التنبيه علىٰ أن « الطبقات الصغرىٰ » مستلٌّ أصالةً من « الوسطىٰ » .

الخلاصة في الاسم العلمي لـ « طبقات الشعراني »

وخلاصة القول في تسمية هـٰذه « الطبقات » : أن تسميتها بـ « الكبرىٰ » و« الوسطىٰ » و« الصغرىٰ » . . أقربُ إلى المجاز منها إلى الحقيقة ، إذ إن مؤلفها كان قد ارتضىٰ لها أسماءً بعيدةً عن هـٰذا الفنّ ؛ إذ مبنى المختصرات على اختزال الكلام ، وانتقاء الأعلام ، وهـٰذا ما لا نجده في سيرة هـٰذه « الطبقات » ، فإننا نلحظ أنها تصلح أن تكون كتباً مستقلة برأسها ، ونجد أن « **الوسطىٰ** » إنما هي استكمالٌ لـ « **الكبرىٰ** » ، **وأجلىٰ ما فيها** : هي الترجمات المضافة بعد سنة (٩٥٢هـ) إلىٰ سنة (٩٦٦هـ) ؛ وهي سنة تبييض « الوسطىٰ » ، أما « **الصغرىٰ** » فكان قد اعتنىٰ فيها بترجماتٍ استكمالية أيضاً لمعاصريه من أهل الكمال ، غير أنَّ ضمَّ بعضِها إلىٰ بعض ـ وروحُ فنِّ الترجمة سارٍ فيها ـ أمرٌ جدير بالاهتمام عند الباحثين ، وعند المتتبِّعين لآثار أولـٰئك الهداة المهديين .

أقول : إن هـٰذه « **الطبقات** » الثلاث **تعدُّ كُلاً واحداً لا يُغني كتابٌ منها عن الآخر** ، ولا يعكِّر علىٰ هـٰذا وجود بعض الترجمات المكرورة ، كيف وهناك زيادات ونقولات تُلفَىٰ في طبقة ولا تُلفَىٰ في أخرىٰ ؟! فإن ترجمة **السيدة نفيسة بنت الحسن** تختلف كمّاً بين « الكبرىٰ » و« الوسطىٰ » ، ومثلها ترجمة **عبد الله المنوفي** ؛ فقد جاءت ترجمته في « الطبقات الكبرىٰ » (٣٠٤) في خمسة أسطرٍ ، بينما هي في « الوسطىٰ » من الصفحة (٣/ ٤٤١) إلى الصفحة (٣/ ٤٥٤) .

مع الملاحظة : أن الإمام الشعراني لم يرتب في « طبقاته » الأعلامَ والكنىٰ والأنساب والنساء والمجاهيل ترتيباً دقيقاً يلتزمه في عامة الترجمات ، كما أنه لم يقصد بها علية القوم وعلماء الأمة ، وإنما جعلها لطلبة العلم وعامة المؤمنين المخبتين .

وكذا لم يلتزم بما قرره في مقدمة « الكبرىٰ » و« الوسطىٰ » من أنه لن يذكر من كلام المترجم لهم وأحوالِهم إلا عيونَهُ وجواهرَهُ ، وسيأتي بسطُ الكلام علىٰ ذلك قريباً .

ولمَّا كان ما سبق سمةً مشتركة بين جميع « الطبقات » ، وكان بعضُها لا يُغني عن بعض . . **ارتأينا إخراجها في كتاب واحد** ، وفي ذلك من الفوائد ما لا يخفىٰ ؛ **فمنها** :

ـ أنَّ هناك تكراراً في التراجم ما بين « الكبرىٰ » و« الوسطىٰ » ، وما بين « الوسطىٰ » و« الصغرىٰ » ، علىٰ أنَّ هـٰذا التكرار له فائدته ومادته المميزة ؛ كالزيادات ضمن الترجمة الواحدة ، كما مرت الإشارة إليه في ترجمة السيدة نفيسة ، والمنوفي .

ـ شرح بعض المبهمات الواردة في « الطبقات » ، ومن أمثلة ذلك : ما جاء في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١٩) : (بكىٰ آدم على ابنه حين قُتل أربعين عاماً) ، فقد جاءت مُبيَّنة في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٠٨) : (بكىٰ على ابنه هابيل لما قُتل أربعين عاماً) .

ـ وما عليك يا أخي إلا مقارنةُ ترجمات « الطبقات الكبرىٰ » بما ترجمه في « الطبقات الوسطىٰ » ؛ حتىٰ ترى الفرق بينهما ، وانظر علىٰ سبيل المثال ترجمة (أبي بكر الحديدي) (٣٥٧) في « الكبرىٰ » ، و(٤٠١) في « الوسطىٰ » .

ولا بدَّ من وقفةٍ إحصائية تُميطُ ما خفي من عدد تراجمِ كلِّ طبقةٍ ، وما اتَّفق بينهما ، وما انفردت به كلُّ طبقة :

أما ما جاء في « **الطبقات الكبرىٰ** » فقد كان عدد المترجم لهم (٤٦٠) ترجمة ؛ بدءاً بسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتىٰ عصر المؤلف .

وأما ما جاء في « **الطبقات الوسطىٰ** » : فقد كان عدد المترجم لهم (٦٠٠) ترجمة ؛ ابتداءً بشذرات من سيرة المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم إلىٰ عصر المؤلف ، وقد توافقت مع « الكبرىٰ » في (٤٥٣) ترجمة ، وانفردت بـ (١٤٣) ترجمة .

وأما « **الطبقات الصغرىٰ** » : فقد ضمَّت (١١٣) ترجمة ممن عاصرهم مؤلفنا رحمه الله وشاهدهم ، وقد توافقت مع « الطبقات الوسطىٰ » في (٥٦) ترجمة ، وانفردت بـ (٥٠) ترجمة .

ولا بد من تبيان أعداد الترجمات في كل الكتاب ؛ وهي : (٤٦٠) ، (٦٠٠) ، (١١٣) تساوي : (١١٧٣) مع المكررات ، وإن حذفنا المشترك يكون معنا (٩٦٣) ترجمة .

وختاماً : فإن الترجمات المكررة : منها ما جاء بحروفه وكلماته ، ومنها ما جاء فيه زيادة كلمات ؛ مثل ترجمة برهان الدين بن أبي شريف (٤/ ٤٠٤) و(٥/ ٥٤) ، أو جاء بزيادة جمل ؛ مثل ترجمة شهاب الدين بن الصائغ الحنفي (٤/ ٤٥٠) و(٥/ ١٠٢)، أو صفحات وأوراق ؛ كما تقدم في ترجمة عبد الله المنوفي ونفيسة بنت الحسن .

* * *

الشعراني المؤرخ

يخطئ من يظنّ أن كتاب « الطبقات » كتاب تصوف فقط ، بل هو كتاب موسوعي اشتمل ـ إضافة إلىٰ موضوعه الأساسي ـ علىٰ مادة تأريخ لرجالاتِ عصره ، رجالاتٍ غدت مناراتٍ في عالمنا الإسلامي ، فأضاء من خلال ترجماته لهم جوانبَ لا نراها عند غيره من كُتَّاب السير والتاريخ .

ولقد غدا كتابنا مصدراً أساسياً لكثيرٍ من كتب التاريخ والاجتماع ، ولجغرافية مصر بشكل عام ، والقاهرة وخططها بشكل خاص ؛ فهو أحد أهم مصادر كتاب « الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة » لنجم الدين الغزي ، وكتاب « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » لابن العماد الحنبلي ، وكتاب « الكواكب الدرية في مناقب السادة الصوفية » للحافظ المناوي ، وكتاب « الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة » لعلي مبارك .

وقد استشهد به وأدرجه ضمن مادته المحبي في كتابه « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » ، والكتاني في كتابه « التراتيب الإدارية » ، والعجلوني في كتابه « كشف الخفا » .

ولكون مادة الكتاب ترجمةً لرجالات التصوف ، ونظرةً لتطور الفكر الصوفي خلال القرون الماضية . . فقد وقع الإمام الشعراني في أشياء لم يتأكد من تاريخ وقوعها ، فساقها دون التثبُّتِ منها ، ممَّا استدعىٰ تناوله بالجرح من قبل رجالات الفن .

قال نجم الدين الغزي في « الكواكب السائرة » عند ترجمته لأبي الخير الكليباتي : (وقال الشعراوي : إنه مات سنة اثنتي عشرة وتسع مئة ، والأولىٰ هو ما حرَّره الشيخ الحمصي في « تاريخه » ـ من أنه توفي سنة (٩٠٩هـ) ـ وكان يومئذٍ بمصر ، وما قاله أصحُّ ؛ لأنه يتقيد بالوقائع والحوادث يوماً يوماً ، وأكثرُ ما أرخه الشعراوي

رحمه الله تعالىٰ في « طبقاته ». . تقريبٌ)[١] .

وجاء في « الكواكب السائرة » أيضاً في ترجمة (محمد أبي السعود الجارحي) : (قال الشعراوي : إنه مات سنة نيف وثلاثين وتسع مئة ، وقال في موضع آخر : إنه توفي سنة ثلاث وثلاثين ، قلت : وهو تقريب بلا شك ؛ وإنما كانت وفاته سنة تسع وعشرين وتسع مئة ، بتقديم التاء المثناة في تسع ، كما قرأته بخط الشيخ موسى الكناوي ، وحررت من « تاريخ العلائي » : أنه توفي ليلة الأربعاء مستهل جمادىٰ من سنة تسع المذكورة)[٢] .

والإمام الشعراني رحمه الله لم يدقق في كثير من تأريخ تراجمه ، فلم يتحرَّ سنة وفاة كثيرٍ من رجال القرن العاشر ؛ من أترابه وتلامذته وأساتذته ، ولم يضبط إلا في أحيان قليلة أماكنَ وفاتهم ، فكثيراً ما يكتفي بقوله : (مات سنة نيفٍ وكذا) ، أو يقول : (مات قريباً من سنة عشرين وتسع مئة) ، بينما نجد غيره قد ضبط ساعة وفاة من ترجم له ، فضلاً عن اليوم والشهر والسنة .

وكان له ـ كأي مؤرخ ـ هناتٌ لا تذهب ببريق كتابه ؛ فمن ذلك : عدمُ ضبطه لأسماء وصفات من ترجم لهم ، والاكتفاءُ بكلامٍ عام لا أثر له في علم التاريخ ، كما أنه قد يروي خبراً دون كبير تثبت ، فلا بد فيه من مراجعة المراجع التاريخية المؤلفة بهٰذا الشأن .

أما عن سرده للترجمات ، فنجد هوةً زمنية بين تراجمه ، يسرد عدَّة شخصيات بشكل متسلسل زمنياً ، ثم يتنبه لفوت ترجمة عالم متقدم ، فيستدركه في غير محل ترجمته .

فقد سار متيقِّظاً من أول « طبقاته الكبرىٰ » حتىٰ وصل إلىٰ ترجمة محمد بن عبد الخالق الذي توفي سنة نيف وسبعين وثلاث مئة ، فنجده يترجم بعدها لعبد القادر الجيلي الذي توفي سنة (٥٦١هـ) ، ثم نراه يذكر رجالات القرن السابع ، وفجأة يذكر

---

(١) الكواكب السائرة (١/ ١٢١) .

(٢) الكواكب السائرة (١/ ٤٩) .

النفَّري المتوفىٰ سنة (٣٥٤هـ) ، ويعقب رحمه الله بقوله : (كان من أهل القرن الرابع ، ولـٰكن هـٰكذا وقع لنا ذكره ، وإن كنَّا لم نلتزم ذكرهم علىٰ ترتيب الزمان) ، والكتاب مبنيٌّ علىٰ ترتيب تاريخي في أغلبه ، ولعل ما ذكره هنا اعتذارٌ منه رحمه الله لما وقع من عدم الترتيب في هـٰذا الموضع وأمثاله .

وقد اهتدى الإمام الشعراني رحمه الله إلىٰ ترتيب جزء من رجالاته بترتيب رجالات كتابَيْ « طبقات الصوفية » للسُّلمي ، وكتاب « مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار » للحسين بن نصر ابن خميس ، المتوفىٰ سنة (٥٥٢هـ) ، فاقتفىٰ أثرهما ، وأدرج رجالات تراجمه كما أدرجا ورتَّبا .

ومن نافلة القول : أن هـٰذه الهنات لا تغضي من أهمية الكتاب وثرائه ، وما هي إلا كالشعرة السوداء في الإهاب الأبيض .

* * *

كلمة حول
الانتقادات الواردة على هٰذه « الطبقات »

هٰذه سطورٌ عاجلة ، نحاول فيها رفْعَ غاشية ألمَّت ببعض أهل العلم المحبِّين لطريق القوم ، المنتهجين لسُبُلهم ، المحسنين الظنَّ بهم ، ولٰكن استوقفَتهم بعضُ المواضع الحرجة في هٰذه « **الطبقات** » جاء الحديث فيها عن أفعالٍ لا تليقُ إلا بأهل الخسَّة والضَّعَة ، والبذاءة والفجور ، قد حكىٰ رجالَها وأخبارَها إمامُنا الشعراني ، وكان قد وعدَ في فاتحة « **طبقاته الكبرىٰ** » ألا يُحدِّث إلا عن أهل الكمال والرفعة ؛ ممَّن هم أسوةٌ وقدوة ، أوَيُعقلُ أن يكون هٰؤلاء من هٰؤلاء ، وبينهما كما بين الأرض والسماء ؟!

وقبل الخوض في هٰذا الحديث الذي كنَّا نودُّ ألا نُحمَّلَ عبءَ الكتابة فيه . . ننبِّهُ إلىٰ أمر هو في غاية الأهمية ؛ وهو أن المعترضين لسِيَر هٰؤلاء المأخوذين عن أنفسهم هم **في الحقيقة علىٰ ضربين** :

الأول : أناسٌ لا تروقُ لهم طريقةُ الصوفية وعلومُهم أصلاً ، فهٰؤلاء يتخذون أمثالَ هٰذه القصصِ مِعْولاً لهدم التصوف رأساً ، ولتبشيعِهِ في آذان وأعين المراقبين أو الداخلين فيه دخولَ حذرٍ وتجربة ؛ ليكون ذلك ردعاً لهم عن التفكير في متابعة المسير .

وكلامُنا الآتي لا يتوجَّهُ لهٰذه القلوب التي انعقدَتْ علىٰ بغض طريق القوم ؛ إذ لو نحن فعلنا لكان كلامُنا عبثاً وهباء ؛ **فإن هٰذه « الطبقات » لم تكتب لهم أصلاً** ، بل حقُّهم علينا إن هم صدقوا أن نعرِّفَهم على التصوف وسيرة الصوفية من نحو كتاب « الرعاية » و« الرسالة » للمحاسبي ، وكتاب « بداية الهداية » للغزالي ، و« صفة الصفوة » لابن الجوزي ، وما شاكلها من كتب الأخلاق والتربية والسِّيَر الرضيَّة .

وليس هـٰذا شأنَ التصوف وحده ، بل هو شأن كلِّ علم ؛ ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ [البقرة : ١٨٩] ، فقبيحٌ بطالب الفقه أن يقرأ عويصات مسائله قبلَ أن يتقنَ أصوله ومبادئه ، وكم رأينا من أناسٍ يعترضون على الفقهاء عند سماعهم لبعض الأحكام الفقهية في النوازل النادرة ، فيحسبون أنهم يطبخون فتاواهم من عند أنفسهم ، وأنْ لا رصيدَ لهم من كتاب وسنة ! وهل مثل هـٰذا يعقلُ في حقِّ مَنْ نال رتبة الفقهِ في الدين ؟!

والثاني : أناسٌ لا ينكرون طريقَ القوم ، ولـٰكن ينكرون وجودَ أمثال هـٰذه الأخبار والحكايات في كتبهم ؛ فتارةً يتخلَّصون منها بدعوى الدسِّ ، وأخرىٰ بتنحية الكتاب جملةً عن ميدان النفع والمطالعة .

ولعلَّ دعوى الدسِّ علىٰ تحقُّقها قد لا تنفعُ في مثل الكتاب الذي بين أيدينا ؛ إذ تعسرُ نسبة الدسِّ لخبر ذُكر وتكرَّر في أكثر من طبقة ، واجتمعت علىٰ روايته أكثرُ من عشر نسخٍ خطية ، وعُقِّبَ بكلام للمؤلف يلتمسُ فيه العذر أو يوضِّح المشكل منه .

أما المطالبةُ بتنحية قراءة كتابٍ أو سلسلةِ كُتب ـ كما هنا ـ لأجل سطور لو جُمعت لم تكن لتساوىٰ عُشرَ عَشِيره . . **فذاك جبنٌ وخَورٌ** ، وليس من الشجاعة العلمية في شيء .

نعم ؛ يمكنُ أن يُقال مثل هـٰذا لمن لا يُؤمَنُ عليه من الزَّلَق ، ويُخاف عليه من الإنكار على القوم لضيق عطنه في الفهم ، أما أن يعمَّمَ مثلُ هـٰذا تعميماً يحرمُ الكتاب من دخول أروقة المكتبة الإسلامية والعربية . . فهـٰذا ظلمٌ للعلم والتاريخ .

ولننتزعْ بمِنْقاش العلم وحسنِ الظنِّ الأشواكَ التي دخلَتْ عَقِبَ هـٰذه « الطبقات » ، مستعينينَ بالله ، وهو سبحانه خيرُ معين ، وخيرُ الكلام ما قلَّ ودلَّ .

أخبارُ المجاذيب وأحوالهم :

المجاذيبُ ليسوا هم الصوفية ، وأخبارُهم وإن حُكيت في بعض كتب القوم لا تمثلُ مذهبَ التصوف ورجالاته ، **بل تُروىٰ للعبرة** ، **أو استكمالاً للوحة العصر وحفظِ حرمة التاريخ** ، **أو بياناً للفرق بين الصحو والجذب** ؛ ليستفيد الناظر في كتب التصوف أن مثلَ هـٰؤلاء **لا يجوز أن يُقتدىٰ بأحوالهم وفِعالهم** .

وهـٰذا أمرٌ لا يُعدُّ خافياً ؛ لـٰكن أوجب الحديثَ عنه الخلطُ من قِبل إخواننا لم ينظروا إليهم نظرهم لآخرين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، وإنما كانت لهم نظرة قاصرة وسوء تقدير ، إذ جعلوا الجمع واحداً، وحكموا حكماً فطيراً ، ولم يلتمسوا عذراً ، أو يؤولوا خبراً ، فكفّروا وقزّموا . فلبّسوا أمر القوم على عامة الأمة، فغفر الله لنا ولهم .

ومصطلح الجذب عند الصوفية دائرٌ بين معنيين رئيسين :

المعنى الأول : اجتباءُ الحقِّ سبحانه وتعالىٰ لعبدٍ من غير طولِ سير وعناء مجاهدة ، وهو الاختصاصُ المشار إليه في قوله جلَّ من قائل : ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورىٰ : ١٣] ، **ولا يتوقف الاختصاصُ علىٰ عبادة وعمل** ، وهـٰذا أصلٌ من أصول أهل السنة والجماعة التي نازعهم فيها القائلون بوجود السببية والمقتضي على الله ، تعالىٰ مولانا عن قولهم ، وقد جاء الردُّ عليه صريحاً في قوله سبحانه : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف : ٦]، وهـٰذا أمر لا ينكرُهُ إلا جاهلٌ بأصول الدين .

المعنى الثاني : أن يُؤخذَ المرءُ وهو في حالةِ وَلَهٍ أو واردٍ إلـٰهيٍّ قويٍّ ضعُفَ عن تحمُّله قلبُهُ وعقله ، فصارت صورته صورة مجنون ، غير أنَّك تجدُ بينه وبين المجانين فروقاً ؛ **من أهمِّها** : سماعُكَ منه كلامَ حكمة ، أو إخباراً بغيبٍ صدَّقه الوقوع ، أو رؤيتُك له وهو في أحوال عجيبة ، وتصرُّفات غريبة ، تشعرُ ـ إن كنت ذا ذوق ـ بأن لها استناداً إلىٰ أمر عُلْوي غيبي ، وقد يفاجئك بعضُهم فيُحدِّثك بما يجول في نفسك تفصيلاً ، فتعلم أنه يفارقُ المجانين ، وبأنك لو ساويته بهم لظلمت نفسك .

ومن أحكام هـٰؤلاء المجاذيب : أن فقهاءنا وعلماءنا اتَّفقوا علىٰ عدم تكليفِهم ، وأنهم لذلك لا يعدُّون قدوةً لغيرهم ، فلا يقتدي بفِعالهم المخالفة للشريعة إلا فاجرٌ أو فاسق ، ولا تروقُ قصصُهم إلا للبطَّالين والمفلِسين من العمل ؛ إذ يمنُّون أنفسهم بهم ، ويعذرونها بمشاهدة صورِ المخالفة منهم .

وقد كتب أهل الفقه في أحكام المجانين ؛ تكليفاً وأمراً بالمعروف ونهياً عن

المنكر ، ورعاية وصوناً ، والحقُّ أن هـٰؤلاء المجاذيب من حيث الفقه الظاهر يعاملون معاملة المجانين[١] .

وبناءً علىٰ ذلك : وجبَ علىٰ من يراهم أن ينكر أفعالهم الظاهرة له منهم ، وإن سلَّم لهم حالهم مع مولاهم ؛ فإن رأىٰ منهم ما تنكره الشريعة رفعَهُ برفْقٍ ، وبما يليقُ ؛ كما قال فقهاؤنا في المجنون يزني بمجنونة : إنه يجب أن يُمنعا من ذلك ، وكذا من شرب الخمر ، وحكموا إنْ هو أتلفَ محترماً بالضمان علىٰ وليِّه ، وأن لا قصاصَ عليه في الجنايات بإقامة حدٍّ ؛ كقطع وقتل ، كما كتبوا في أحكام حبسه وإطلاقه ، إلىٰ غير ذلك مما هو مبثوثٌ في كتب الفقه .

وبهـٰذا تعلم : أن ما فعله بعضُ سلاطين بني عثمان من قتل المجاذيب لم يكن علىٰ رسم الفقه ، بل علىٰ طريق الساسة ؛ فإنَّ مَنْ قُتلَ منهم لا يخلو : **إما أن يكون مجذوباً حقّاً** ، فلا سبيلَ إلىٰ قتله بحالٍ ، بل إن ثبت خطره حُجرَ عليه ، **أو هو ممَّن يتستر بذلك** ؛ فهـٰذا لا يُقام عليه حدُّ القتل عند المخالفة إلا بالبيِّنة ، فتنبَّه لذلك ، ولا تجعل لمثل هـٰذه الأخبار مروراً دون رقابةٍ صارمة ، واحفظ للفقه في الدين حقَّه ، ولا تكن كهـٰؤلاء الحانقين ، الذين يرونَ أمثال هـٰذه الأفعال بطولةً وغيرة ، ولا بطولةَ ولا غيرةَ في مخالفة أحكام الشريعة .

وتعلمُ أيضاً : أن كلام المجاذيب ساقطٌ وهدر ، فلا يحاسبون عليه ، وكلماتُ الحكمة المسموعة منهم أو المحفوظة عنهم ، هي كالكلمات التي روتها كُتب الأدب عن عقلاء المجانين ، تحفظ وتروىٰ لما فيها من الحكمة ، وطريفِ كونها من مجذوب ، وهـٰذه سمةٌ لامعة في الفرق بين المجنون والمجذوب .

غير أن لهم كلاماً هو في ذاته عَتَهٌ وحماقة ، بل ظاهرُ بعضه كفرٌ وفجور ، **ولـٰكنْ وراءه عند بصيرٍ متأمِّلٍ رشقةُ تأديب وحَرْبةُ تنبيه** ، فهو بالنظر إلى الحكمة العالية سوطٌ يُوقظُ من رقدة الغفلة ، فمَنْ جعل عينَ هـٰذا الكلام حكمةً . . **فهو أبلهُ** ، ومن عرفَ ما انطوَتْ عليه حكمة الله من إجرائه علىٰ لسان هـٰذا المجذوب . . **فهو يَقِظٌ مُنبَّه** ،

---

(١) ليت هـٰؤلاء الذين أكثروا من رسائلهم في الطعن علىٰ هـٰؤلاء المجاذيب . . اشتغلوا ببيان الأحكام الفقهية الواجبة علينا نحوهم ، فهـٰذا أنفع لهم وللأمة .

ولا تعجبْ أن يكون لله تعالىٰ حكمة وتأديبٌ فيما هو كفر صُراح ؛ فقد اتفق أهل الحق أن أفعالَ المولىٰ لا تنفكُّ عن حكمة ، وأنه تعالىٰ خالق الخير والشر ، وأن في خلق الكفر والكافر حكمةً ، تولانا مولانا بعين الرأفة والرحمة .

فمن ذلك : ما أوردَهُ الإمام في « طبقاته الكبرىٰ » من خبر الشيخ **محمد الخضري** ؛ وهـٰذا الشيخ لم يكن مجذوباً خالصاً ، بل كانت تأتيه نوباتُ جذب ، وفي إحداها خطب خطبةً يخاطبُ فيها بعضَ أناسٍ على المنبر يومَ الجمعة بقوله : أشهدُ أن لا إلـٰه لكم إلا إبليس ![1] .

إنها كلمة شنيعة ، غيرَ أنها تذكِّرك بقوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۞ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ [يس : ٦٠ـ ٦٢] ، إنها آياتٌ مذكِّرة منذرة ، فهل ترانا نطيع مولانا ولا نجعلُ للشيطان علينا سبيلاً ، أم أننا ممن تساوره وساوسُ الماكر ، فيطيعه ويهجرُ طاعة الله ؟!

فلنسألْ مولانا السترَ الجميل ، ولنذكرْ قالةَ عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ وقد سمع رجلاً يلعن الشيطان ؛ فقال له : لا تكنْ ممَّن يلعن إبليسَ في العلانية ، ويطيعه في السِّرِّ !

ومثل خبر الخضري خبرُ **إبراهيم عصيفير**[2] ؛ ذاك الذي سمع المؤذِّن يقول : الله أكبر ، وعادةُ الناس الغافلين أن يقولوا هـٰذه الكلمة عندما يرون من يجور عليهم ويتعالىٰ ، ولا يمكنهم استيفاء حقِّهم منه ؛ فكان يقوم إلى المؤذِّن الذي يكبِّرُ غافلاً فيرميه بالحجارة ويقول له : الله أكبر عليك ، ثم يعلِّل ردَّهُ وكأن المؤذن يخاطبه هو ، فيقول : نحن كفرنا يا مسلمين حتىٰ تكبِّروا علينا ؟! وكأنه يظهرُ ما في باطن العامة من الغفلة .

ومثلُ خبرهما خبرُ شهاب الدين النشيلي[3] ؛ ذاك الذي كانوا ينادي خادمه وهو

---

(١) انظر « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٣١٠) .
(٢) انظر « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٣٩٤) .
(٣) انظر « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٣٩٧) .

يصلي ، فإن لم يجبْهُ ذهب إليه وصكَّه وجرَّهُ وقال : لا تعذْ لهـٰذه الصلاة المشؤومة ! لو لم يرَ أنها صلاةُ غفلة ، صلاة حركات جوفاء ، خالية من الخشوع . . ما كان ليقول مثل هـٰذه الكلمة ، فهي كلماتُ تحذير .

ولنذكرْ : أن كلاً من الخضريِّ وإبراهيم عصيفير والنشيلي لو قالوا ما قالوا ساعةَ صحوٍ . . **لحوسبوا وجُوزوا بما يليق بمكلَّفٍ يقول مثل هـٰذا** ، ولـٰكن هـٰذه رسائلُ تهزُّ النفوس ، ولا يمكن محاسبةُ قائلها .

ومن صور الجذب وهو ليس من الجذب : أفعالُ المَلامتية ؛ التي ظاهرُها منكرٌ شرعاً ، ولـٰكن لفاعلها نياتٍ حسنة بينه وبين مولاه ، **وعلىٰ رأسها** : إسقاط جاهه من قلوب الناس .

والحديث عن الملامتية طويل الذيل ، لا أرىٰ له مكاناً هنا ، ولـٰكن الفقهاء أجمعوا على الإنكار عليهم ، وتفويض جزائهم لمولاهم جلَّ وعزَّ ؛ كقصة لصِّ الحمام الشهيرة التي أوردها الغزالي في « إحياء علوم الدين »[١] ، وخبر الشيخ **علي أبي خودة** الذي أورده الإمام الشعراني في « طبقاته الكبرىٰ »[٢] ، وقريب منه خبر الشيخ الشويمي أيضاً[٣] ، فمراودةُ امرأة أو أمردَ عن نفسه لا خلاف فيه عند الشعراني ولا عند غيره أنه ذنب ، ولـٰكن من أُسُس الملامتية خسارة واحد وربح عشرة ؛ **هـٰكذا هي فلسفتهم !**

ومثالُ ذلك : رجل صالحٌ دفع مالاً لمومس وطلب منها الخلوةَ بها ، وظاهر الخلوة بالأجنبية منكرٌ بلا شك ، حتىٰ إذا ما خلا بها قال لها : أنت الليلة محبوسة بما دفعت لك من أجر ، وعليك طاعتي ، فقومي فتوضَّئي ، وصلِّي معي ركعتين ، ثم دعا المولىٰ سائلاً لها الهداية ، ومناجياً له بأنه أحضر له بدنها ، فليكرمها بحضور قلبها ، فكان ذلك ، وتابت المرأة ، ولأن يهدي الله بهداك رجلاً خيرٌ لك من حُمْر النَّعم ، فهـٰذا رجل كُتبت له سيئة ، وفاز بجبل من الحسنات .

ولـٰكن حذارِ أن تغترَّ بهـٰؤلاء وإن كانوا من جملة الصادقين ؛ فطريقُهم مخطرة ،

---

(١) انظر « إحياء علوم الدين » (٨/ ٥٧٧ـ٥٧٨) .

(٢) انظر « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٣٨١) .

(٣) انظر « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٣٠٢) .

ونتائجُها غير مضمونة ، بل غالباً لا يبوء صاحبها إلا بمزيد خسران ، والسلامةُ في التمسك بظاهر الشريعة .

ومن المجاذيب من كانت له أفعالٌ مشينة ؛ دائرٌ ظاهرُها في الحكم الفقهي بين الكراهة والتحريم ، **والكلامُ** له منعطفاتٌ يمكنك حمله علىٰ وجهٍ دون آخر ، **أما الفعلُ** فصارمٌ ، لا تقوىٰ دوماً علىٰ تبريره وتأويله ، ولـٰكنه لمَّا كان فعل مجذوب ، وقد علمت أن فعله شرعاً هدرٌ لا يحاسب هو عليه . . **هان الأمر والقول فيه** ، وبقي لنا من فعله التفتيشُ عن حكمة إبرازه إلىٰ دائرة الوجود من الحكيم العليم .

فالأفعال التي كان يفعلها **إبراهيم العريان**[١] ، **وخطبته التي كان يخطب بها أمام عامَّةٍ هان عليهم أمرُ دينهم . . هي اللائقةُ بمثلهم ، وأفعالُهُ المخجلة أمام الكبراء فيها كسرٌ من شوكة تكبُّرهم .**

ومثلُ ذلك في كسر عنجهيَّة المتعالين على الناس خبر علي وحيش ، غير أنك صرت تعلم أن فعله هـٰذا هو في نفسه لا يُؤاخذ عليه لجذبه ، ولو أمكن إنكارُهُ لكان ، لـٰكن الخبر فيه أنَّهم ما كانوا يتمكَّنون من ذلك ، فسبحانَ من أدَّبَ بالمعصية كما أدَّبَ بالطاعة !

أما إفطار المجذوب في رمضان فذاك فعلٌ لا يُجازىٰ هو عليه[٢] ، وليس لنا فيه أي قدوة ، وإنما هو خبر من الأخبار في بيان صفة بعضهم .

ولعلَّ أشنع خبر حكاه الإمام الشعراني هو خبر **عبد القادر السبكي**[٣] ، **وأنه تعرَّىٰ أمام مخطوبته ؛ حتىٰ تنظر إليه وإلىٰ عورته ؛ فلا تدعي عليه أن به برصاً وغير ذلك ؛ تُرىٰ هل كان هـٰذا الفعل بعد العقد وقبل الدخول ؟ لا يبعدُ ذلك ، ولا سيما أنه ذكر أن ذلك كان بحضرة أبيها ، وما أحسب إلا أن هـٰذا الشيخ قد كاشف هـٰذه المرأة فعلم أنه لو لم يحتط لادَّعت ذلك ، فلم يمكنه الاعتذار ، وأنها ستفعل هـٰذا معه أو مع غيره ،**

(١) انظر « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٤٠٢) .
(٢) انظر « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٤٢٧) .
(٣) انظر « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٥١٠) .

فأراد صونها وصرم لسانها ، فإن لم يصحَّ شيء من هـٰذا فما على المجاذيب من حرج ، بل علىٰ هـٰذا الأب وهـٰذه المخطوبة الحرج .

ولعلَّك تقول : ما كلَّفنا مولانا بالتماس العذر لمثل هـٰؤلاء .

والجواب : هو ذاك ، ولـٰكن طلبُ المرءِ الحكمةَ في أفعال الله تعالى التي يجريها علىٰ عباده بل عموم مخلوقاته . . عبادةُ الحكيم ، ولعلَّ الإمام الشعراني وأمثاله قد رأوا من هـٰؤلاء ما عرفوا أنهم ليسوا مجانين ، بل هم مجاذيب ، بل هـٰذا هو اللائق بعالم نحرير غائص كالإمام الشعراني .

ولا تنسَ أن هـٰذه الترجمات كلَّها قد نبَّه الإمام أنها ليست ترجمة لعاميٍّ من الصوفية بلهَ أئمَّتهم ؛ إذ جاءت آخر كتابه ، وهي في « الطبقات الوسطىٰ » ترجمات للمجاذيب بالنصِّ .

واعلمْ : أنه ما من صُقع وزمان إلا وفيه مجاذيبُ ، في بلدك وبلدي ، في زماننا وزمن آبائنا وأجدادنا ، وأحوالُهم مشاهدة ، وما حكاه الإمامُ نجد له أخواتٍ من الحكايا والأخبار ، ولا يجوز لنا أن ننزعها عن سياقها التاريخي ، وأن نذكر الفعل أو القول دون ملابساته ، وكذلك قل في تلك الأخبار الشنيعة التي وددت والله لو أن الإمام لم يسطرها في هـٰذا الكتاب الرفيع ، ولـٰكن هـٰذا مبلغنا من العلم ، فلعلَّ حكمةً خُبئت في تسطيرِ ذلك .

ثم ما هو حجم هـٰذه القصص أمامَ كمِّ الترجمات النزيهة التي هي جلُّ الكتاب ؟! فاجعل هـٰذه الأخبار خلفك ظهرياً ، وأصغِ إلىٰ ما ينفعك ويقرِّبك من مولاك .

وإن كنت ممَّن يحسن الظنَّ بأمثال هـٰؤلاء المجاذيب . . **فإياك أن تبيع نعمة العقل التي ميَّزك الله بها عن جميع مخلوقاته** ، فتجعل من كلِّ أبلهَ وأحمق ومجنون ، أو محتال صاحب حرفة ودهاء ، يجيد محاكاة الصور والأفعال . . فتلحقه ملتمساً منه البركة ، وسائلاً تصريف أمورك وتدبير شؤونك ، وتجعل من تخاريفه حِكَماً ، فتشاركه في تهويساته وأنت صحيح سليم !

فإن لم تكن لديك فراسة فيهم ، ومعرفةٌ بصادقهم من كاذبهم أو مجانينهم . . ففي البُعدِ عنهم السلامةُ ؛ فإن كانوا أهل جذب على التحقيق فلتكفك الاستقامة ، وإن كانوا أهل جنون أو مخرقة فلتهنك السلامة .

ثم لنأتِ على رسم النقل ، وسماع كلام المحدِّثين عنهم من أهل العلم ، وكلامُ مؤرخ العلوم ابن خلدون فيهم شهير ، وإليك حديثه عنهم :

قال في « شفاء السائل » : (وأما المجذوب ـ وهو المأخوذ عن نفسه غير المالك لها ؛ اشتغالاً بربِّهِ وانقطاعاً إليه ؛ بحيث لا يرجع إلى تدبير نفسه ولا يقدر على ذلك ـ فوظيفتُهُ إن أشكلَ عليه أمر ألا يقتدي بالكتب فيه ، بل إن كان من قبيل ما عند الفقيه رجع إليه فيه)[1] .

وقال : (**واعلمْ** : أن المجذوب لا وظيفة له ؛ فإنه عندهم المختطفُ عند المطلع ؛ مثل بهلول وغيره من مجانين أهل السلوك ، وهو فاقد لعقل التكليف أبداً ، ولم تبق له وظيفة ؛ إذ الوصول قد حقَّ ، والوظائف إنما هي وسائل للوصول ، **وهـٰذا المجذوب الذي قد وصل وشاهد الأنوار ، وجُذبَ عن نفسه وعقله** ، فهو لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان ولا النقل . . إنما هو سابحٌ دائماً في بحر المعرفة والتوحيد ، مختطف عن الحسِّ والمحسوس) .

ثم قال : (**خاتمة وتحقيق** : ما زال يختلج في نظري : أن المجذوب فاقد لعقل التكليف ، **وهو أدون مراتب النوع الإنساني** ، فيكون خارجاً عن زمرة المؤمنين بما سقط عنه من التكليف وسيَّما العبادات ، **فكيف يلحق بمراتب الأولياء ويعدُّ منهم كما هو معلوم قديماً وحديثاً وغير نكير ؟!** حتى ألهمَ الله إلى كشف الغطاء عن ذلك بمنِّه وهدايته .

وذلك أن العقل الذي ناط به الشرع التكليفَ هو عقل تدبير المعاش ؛ وهو قيام الإنسان على معاشه وتدبير منزله ؛ فإن فُقدَ هـٰذا العقل لنقصٍ في ذاته وفي لطيفته الروحانية ؛ كسائر الحمقى والمجانين . . نزلَ عن رتبة النوع الإنساني ، **ولم يكن من الإيمان في شيء فضلاً عن الولاية**) ، إلى أن ذكر أن أصل السعادة بالتخصيص ، لا بظواهر العبادات[2] .

---

(١) انظر « شفاء السائل » (ص ١٦٢) .

(٢) انظر « شفاء السائل » (ص ١٦٤ـ١٦٥) .

وقال أيضاً في « مقدمة تاريخه » المشتَهرة : (**ومن هٰؤلاء المريدين من المتصوفة** : قوم بهاليلُ معتوهون ، أشبهُ بالمجانين من العقلاء ، **وهم مع ذلك قد** صحَّت لهم مقاماتُ الولاية وأحوال الصدِّيقين ، **وعلمَ ذلك من أحوالهم مَنْ يفهمُ عنهم من أهل الذوق** ، مع أنهم غيرُ مكلَّفين ، ويقع لهم من الإخبار عن المغيَّباتِ عجائبُ ؛ لأنهم لا يتقيَّدون بشيء ، فيطلقون كلامَهم في ذلك ، ويأتون منه بالعجائب .

وربما ينكرُ الفقهاءُ أنهم علىٰ شيء من المقامات ؛ لما يرون من سقوط التكليف عنهم ، والولاية لا تحصلُ إلا بالعبادة ! **وهو غلطٌ** ؛ فإن فضلَ الله يؤتيه من يشاء ، ولا يتوقَّفُ حصولُ الولاية على العبادة ولا غيرها ، **وإذا كانت النفسُ الإنسانية ثابتةَ الوجود فالله تعالىٰ يخصُّها بما شاء من مواهبه** ، وهٰؤلاء القوم لم تعدمْ نفوسُهم الناطقة ولا فسدَتْ كحال المجانين ، وإنما فُقدَ لهم العقلُ الذي يناط به التكليفُ ؛ وهي صفة خاصَّة للنفس ؛ وهي علوم ضرورية للإنسان يشتدُّ بها نظرُهُ ، ويعرفُ أحوال معاشه واستقامةَ منزلِهِ ، وكأنه إذا ميَّزَ أحوالَ معاشه واستقامةَ منزله لم يبقَ له عذرٌ في قبول التكاليف لإصلاح معاده ، وليس مَنْ فقدَ هٰذه الصفة بفاقدٍ لنفسه ولا ذاهلٍ عن حقيقته فيكونَ موجودَ الحقيقة معدومَ العقل التكليفيِّ الذي هو معرفةُ المعاش ، ولا استحالةَ في ذلك ، ولا يتوقَّفُ اصطفاءُ الله عبادَهُ للمعرفة علىٰ شيء من التكاليف .

وإذا صحَّ ذلك فاعلمْ : أنه ربما يلتبسُ حال هٰؤلاء بالمجانين الذين تفسدُ نفوسهم الناطقة ويلتحقون بالبهائم ، **ولك في تمييزهم علاماتٌ** :

منها : أن هٰؤلاء البهاليلَ لا تجدُ لهم وجهةً أصلاً .

ومنها : أنهم يُخلقون على البلهِ من أول نشأتهم ، والمجانين يعرضُ لهم الجنون بعد مدة من العمر لعوارضَ بدنيةٍ طبيعية ، فإذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسُهم الناطقة . . ذهبوا بالخيبة .

ومنها : كثرةُ تصرُّفهم في الناس بالخير والشرِّ ؛ لأنهم لا يتوقَّفون علىٰ إذن ؛ لعدم التكليف في حقِّهم ، والمجانين لا تصرُّفَ لهم)[1] .

---

(١) انظر « تاريخ ابن خلدون » (١٣٨/١) .

وقال القاشاني في « لطائف الإعلام » (ص٧٢) : (**الاصطلام** : هو نعتُ ولَهٍ يرد على القلب ، فيسكن تحت سلطانه ، فإن دام ذلك بالعبد حتىٰ سلبَهُ عن نفسه ، وأخذَهُ عن حسِّهِ ؛ بحيث لم يُبق منه اسماً ولا أثراً ، ولا عيناً ولا طللاً ، حتىٰ صار مسلوباً عن المكوَّنات بأسرها ، فما دام العبدُ كذلك ، فهو ممحوُّ الآثار ، فلهـٰذا لا يجري عليه أحكامُ التكليف ، ولا يوصف بتحسين ولا يُخصُّ بتشريف ، فهو في ظُنون الخلقِ متصرِّفاً ، وفي التحقيق متصرَّفاً) .

الأوهام التاريخية واللغة العامية الواردة في الكتاب[1] :

كتابنا « الطبقات » كأي كتاب يقعُ في يد عالم وباحث ؛ يعتوره الضعفُ البشري ، ولا تنمحي عنه سمة مؤلفه ، والإمام الشعراني لم يكن مكثراً من التأليف فحسب ، بل كان وقته كلُّهُ مصروفاً في الدعوة إلى الله تعالىٰ ؛ تأليفاً وتربية وتسليكاً ، وقياماً بواجبات الأولاد والزوجات ، والجيران والأرحام ، وله صلات بالسلاطين والأمراء والكبراء والتجار ، وغيرهم من عموم الناس ترحاً وفرحاً ، وهو من قبل ذلك العالمُ المتبحر ، والعابد الذاكر في خلواته وجلواته ، وهو إمام مسجد ، وشيخ زاوية أم خَوَند ، ومصلح اجتماعي ، إلىٰ غير ذلك من الوظائف التي تنوء بالعصبة أولي القوة !

ثم الناظر في حياته ـ سيرة وعلماً ـ يقرُّ له بالنجاح والتفوق ، ويعلم أن عناية الله وتوفيقه كانا يلزمانه ، وقد نال رضي الله عنه من قبل أعلام أهل عصره من العلماء البررة الصادقين ، ومن يليهم إلىٰ يومنا بل إلىٰ يوم الدين . . الإجلال والتقدير ، وعرفوا كما سيعرف كل منصف مكانتَهُ بين العلماء المجدِّدين والأعلام المصلحين ؛ إذ هو واحد من قلَّة قليلة من العلماء الذي كان لهم اتصال بالجمهور عامة وخاصة وخاصة الخاصة ، وعلىٰ أوسع نطاق ، وهـٰذا عند من مارس الدعوة إلى الله وطلب العلم والعمل . . لا يكاد يظفر به إلا أهل الاصطفاء والعناية .

وبهـٰذا تعلم : أن الإمام الشعراني كان يكتب لدائرة فيها كل الألوان والأشكال ؛ للعالم المحقق والعالم المغرور ، وللعابد الصادق والعابد الملبَّس عليه ، لأهل

---

(١) سبق الحديث عن نماذج من تلك الأوهام التاريخية .

السلطنة والنفوذ ، ولأصحاب القفاف وصغرة الباعة ، للفسَّق وأهل الفجور ، للنساء واليافعين ، لشرائحَ قلَّ أن يتقن إنسان توجيه كتاب واحد لها جميعاً .

والشعراني لم يعدُ بهٰذا شعاره الذي كان يردده دائماً ـ كما أشرنا إليه سابقاً ـ ؛ (العاقل من عرف زمانه) ، فلذلك انطلق هو وأمثاله من متأخري الصوفية من فكرة الدعوة والتبليغ ، فلم يتخيَّروا الفصيح ، ولم يدقِّقوا في صقلِ الأساليب ؛ لذا تجدُ عندهم ما لا تجدُ عند غيرهم ؛ من ألفاظٍ وتعابير عاميَّة محلِّية ، أو إغفال لأوجه الإعراب ، وذلك لأنَّ البلاغة والفصاحة عندهم تقوم علىٰ أساس أصيل ؛ هو تبليغ الدعوة الأخلاقية إلىٰ سواد الناس ، ورحم الله القائل :

سر الفصاحة كامن في المعدن والسر في الأرواح لا في الألسن

فكانت لغتهم سهلة بسيطة مأنوسة لأهل قطرهم الذي كُتبت فيه ، ولأهل زمانهم الذي خوطبوا به ، وهي في الوقت نفسه تحوي مفرداتٍ غريبةً مُبهمة ، لا يفهمها من ابتعدَ عن أرضِ ولادتها ؛ مكاناً أو زماناً .

وأكثرُ الألفاظ المحلية التي يعبرون بها هي الألفاظ المدنية المتَّصلة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية ، أما الألفاظ الفكرية التي تعيِّن أحوال النفوس ، فقد بقيت في الأغلب علىٰ صورتها الأصيلة ؛ لأنَّ المتصوفة حرصوا عليها أشد الحرص .

والشعراني خيرُ مثالٍ علىٰ ما قلناه ، فألفاظه بقيت ألفاظاً مَنوفية قد يصعب بعضها على ابن القاهرة ، فما بالك فيمن سواه !

ولهٰذا كلِّه : حاكى الأدباء في أدبهم ، وساير العامة في عامِّيَّة لغتهم ، وأتىٰ بأخبار السلف ، ودوَّن قصصاً عاشها ورآها ، دوَّنها كما سمعها ، لم يتكلَّف متحذلقاً لغة غير لغتها ، أرادها وثيقة للتاريخ ، ولفقه اللغة ، ولعلم الاجتماع ، وعندما نأى الشيوخ عن تدوين ذلك انتهز المجرمون الفرصة ، فسلَّطوا أقلامهم علىٰ هفوات الناس وأفعال فجَّارهم ، وصنعوا مجتمعاً تعلوه سمة الفسوق والعصيان !

وإنك إن تتبَّعت كتبه لا ترىٰ خبراً يهزُّ مشاعر العفيف إلا ويلحقه التأديب والتصحيح ، ولا حياء في بيان أمور الدين ، فأي عيب في ذلك ؟!

ومن الناس من أصابهم العور في بصيرتهم ، فلا يرون إلا ما تقتضيه طباعهم ؛ من لؤم وجحود وعدم إنصاف ، فوجود بعض الأغلاط في التأريخات في الوفيات وغيرها ، أو سهو في بعض الأخبار التي يجزم المحققون بكذبها ؛ كرواية أو اجتماع بين من باعدت بينهم القرون ، أو خلط في بعض الأسماء ، وهو قليل جداً . . لا يسقط كتاباً يكاد ينفرد بجملة من الترجمات التي لن يظفر الباحثون عنها إلا فيه .

واذكر دوامة العلائق الاجتماعية التي كان يعيش وسطها الشيخ الإمام ، ومهامَّهُ التي حملها متطوعاً علىٰ عاتقه ، والمخلَّف الكبير الذي تركته صحائفه وأقلامه .

ومع هٰذا : يجب أن تعلم أن كتب الإمام ابتليت بنُسَّاخ غير متقنين ؛ يظهر هٰذا من المخطوطات الكثيرة لكتبه مع اتفاقها علىٰ أخطاء ننزِّه عنها قلم الإمام ، ولم يكن علىٰ ما يظهر حوله تلامذة من المحققين المدققين الغيورين علىٰ إرثه العلمي .

* * *

منهج تحقيق « الطبقات »

لِكُتُبِ الإمام الشعراني من بين الكتب التراثية حكايةٌ خاصة عند الحديث عن منهج التحقيق ؛ فنسخُ تراثه الخطية علىٰ وَفْرة ولله الحمد ، غير أنها قلَّ أن تجدَ بينها نسخةً تطمئن لها النفس ، ويرتاح لها البال ، ولا يقف الأمر هنا ، بل تأتيك عاصفةُ فروقِ النسخ التي تحول بينك وبين يقين ترجيح نسخة علىٰ أخرىٰ .

ولعلك تسأل : ما سببُ ذلك ؟ أهو خشونة خطِّ الشعراني وعسرُ فكِّهِ ، أم هي عجلة النسَّاخ وقلَّة خبرتهم ، أو تباينُ مسوَّدةٍ ومبيَّضة لأصل الكتاب ، أو إجراءُ القلم زيادة وحذفاً حين قراءة بعضها علىٰ مؤلفها ، أو بعضُ تحريفات وقعت في الطبقة الأولىٰ من نسخِ التأليف فتوارثتها أجيالُهُ التي أتت بعده ، أم اجتهاداتُ بعضِ التلامذة والمحبِّين في بعض السطور ؟

والجوابُ : كلُّ ذلك محتمل ، ولا قطعَ في واحدة منها ، ولعل بعضها قد اجتمع ، وأقدارُ الله تعالىٰ قبل ذلك كلِّهِ .

لقد كان معنا في رحلة إخراج « الطبقات الشعرانية » **عشراتُ النسخ** ؛ من « كبراها » إلىٰ « صغراها » ، بعضها ما اعتُمد ووُصفَ ، وبعضها ما استأنسنا به وأعرضنا عن تفصيل صفته ، فتمَّ اعتماد تسع نسخ خطية معتمدة وست نسخ للاستئناس لـ « **الطبقات الكبرىٰ** » وحدها ، وإحدىٰ عشرة نسخة لـ « **الطبقات الوسطىٰ** » ، وست نسخ لـ « **الذيل** » ، وكان للنسختين (و ، ط) لـ « الكبرىٰ » ، وللنسخ (أ ، ز ، ط) لـ « الوسطىٰ » ، وللنسخة (أ ، هـ) لـ « الذيل » أكبر الأثر في تصحيح النص واستدراك السقوطات التي قد لحقته .

وكم تطاولَتْ بنا الأوقات عند النظر في عديدِ نسخِهِ لأجل حلِّ إشكال وقع عند قراءة كلمة فضلاً عن عبارة ، وهـٰذا العمل علىٰ شيوعه عند كلِّ محقق مؤتمن كان سبباً رئيساً

في استصناع نصٍّ نحسبُ أنه أقربُ ما يكون لما يريده المؤلف .

فبعد **نسْخِ** الكتاب ، **ومقابلته** بثلاث نسخ معتمدة لكل طبقة من « الطبقات الثلاث » مقابلة تامة ، **ومراجعة** مواطن الإشكال في سائر نسخه ، **والإشارة** إلىٰ ما هو الصحيح بالرجوع إلى الأصول المنقول عنها ، **وإثبات** بعض المغايرات التي قد تبرز معنىً مراداً . . مرَّ بما يلي :

ـ **شَبْكُ ترجمات « الطبقات » فيما بينها** ؛ لما للكتاب من أهمية تأريخية ، ولما لهٰذا الربط من استكمالٍ للوحة المترجَمِ له ، **وتذييلُ أول كل ترجمة ببعض المراجع التاريخية التي تعين على التوسع** .

ـ **إعدادُ ترقيم تسلسلي للمترجم لهم** ، وهٰذا كالاستكمال للخدمة التأريخية لـ « الطبقات » .

ـ **تخريجُ جميع الأحاديث والآثار** الواردة في جميع « الطبقات » ولو تكرَّرت ؛ وذلك للتفاضل الحاصل فيما بينها من حيث الطباعة .

ـ **تخريجُ الأشعار والأرجاز والمقطَّعات النظمية** قدْرَ الاستطاعة .

ـ **ضبط الكلمات المشكلة** ، **وشرح ما استعجم منها** ، ولا سيما العاميَّات التي كانت مألوفة زمنَ المؤلف ، وذلك علىٰ قدر الوسع والطاقة ، علماً أننا لم نلتفت إلى الأخطاء النحوية والإملائية عند ظهورها .

ـ **تحريرُ إحالات المؤلف** ، وبيان مواضعها ولو تكررت .

ـ **إعدادُ ترجمة للإمام الشعراني** ؛ بيَّنَّا فيها أبرز ملامح حياته العامرة بجهاد التربية والتأليف .

ـ **كتابةُ كلمة علمية عن « الطبقات »** من حيث أهميَّتُها ، ورفع إصر بعض إشكالاتٍ وُجِّهت لها .

ـ **إعدادُ فهارس علمية تفصيلية تليق بكتب « الطبقات »** بلغت والحمد لله ستة عشر فهرساً .

وأخيراً أتوجه بالشكر وبالغ الثناء لأخي وصديقي الأستاذ **أبي سميح إبراهيم صالح** لقراءته الكتاب ، ولملاحظاته التي استفدت منها[١] .

أسأل المولى القدير أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم .

﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾

* * *

---

(١) رحمك الله أبا سميح ، لم يجف المداد ، ولم ترفع صحف كتابنا لمَّا افتقدتك أخاً وصديقاً ظهر الاثنين (٦ صفر ١٤٤٣هـ)، الموافق (١٣ أيلول ٢٠٢١) ، بل افتقدتك العربية ، وما عهدتك إلا محباً لها ؛ كونها جزءاً من دينك .

وصف النسخ الخطية لـ « الطبقات الكبرى »

تم بحمد الله اختيار خمس عشرة نسخة خطية لهـٰذه « الطبقات » ، وقد اعتمدنا منها تسع نسخ ؛ إحداها : نسخة كتب علىٰ طرَّتها أنها بخط الإمام الشعراني ؛ وهي النسخة (ح)[1] ، وأخرىٰ : منقولة عن نسخة تلميذ الإمام الشعراني ؛ وهي النسخة (أ) ، كما تم الاستئناس بست نسخ خطية تمام الخمس عشرة ، ورجعنا إليها في المواطن المشكلة ، وإليك ترتيب النسخ المعتمدة بحسب تاريخ نسخها الزمني :

النسخة الأولىٰ

نسخة **جامعة برنستون** من مجموعة (جاريت) في قسم مخطوطات (يهودا) ، ذات الرقم (٦٣) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٢٥٥) ورقة ، وكتبت بخط نسخي واضح ، وميزت أسماء المترجمين باللون الأحمر .

تُعَدُّ هـٰذه النسخة من أقدم النسخ ؛ حيث وقع الفراغ من نسخها في أواخر جمادى الآخرة من شهور **سنة عشر بعد الألف** من الهجرة النبوية .

وهي نسخة منقولة من نسخة تلميذ الإمام الشعراني ؛ الشيخ علي الحموي ، الذي نسخها **سنة أربع وخمسين وتسع مئة** .

ورمز لها بـ (أ) .

النسخة الثانية

نسخة مكتبة **حاجي سليم آغا** من ملحقات المكتبة السليمانية بتركيا ، ذات الرقم (٨٢٣) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (١٩٨) ورقة ، وكتبت بخط نسخي وبلونين متغايرين .

---

(١) وهي نسخة ملفقة أولها بخط الشعراني ، وسيأتي الكلام عنها قريباً .

وقع الفراغ من نسخها تاسع عشرين رمضان المعظم من سنة **أربعة عشر وألف** ، على يد كاتبها : عبد الرحمن بن علي البديوي البساطي ، وقد وقع بخاتمة الورقة الأخيرة والتي قبلها فهرسة للرجال المترجم لهم .

ورمز لها بـ (ب) .

النسخة الثالثة

نسخة **المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية** بالسيدة زينب بمصر ، ذات الرقم العام (٧٧٣) والخاص (٦٧٨) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٢٣٩) ورقة ، وكتبت بخط نسخي ، وفي هامشها بعض الفوائد المهمة .

وقع الفراغ من نسخها **سنة ثلاثين وألف** ، على يد كاتبها : كمال الدين بن الشيخ كمال الدين الشابي .

ورمز لها بـ (ج) .

النسخة الرابعة

نسخة **المكتبة الحميدية** من ملحقات السليمانية بتركيا ، ذات الرقم (٦٩٤) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٤٠٢) ورقة ، وكتبت بخط نسخي معتاد ، وميزت عناوين التراجم باللون الأحمر .

وقع الفراغ من نسخها **سنة سبع وثلاثين وألف** ، على يد كاتبها : محمد بن محمد الصردي الأحمدي ، القاطن بزاوية مؤلفه .

ورمز لها بـ (د) .

النسخة الخامسة

نسخة **المكتبة الأزهرية** بالقاهرة ، ذات الرقم العام (١٠٦٦٩) والخاص (٧١٣) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٢٥٠) ورقة ، وكتبت بخط نسخي ، وبلونين متغايرين ؛ حيث أبرزت عناوين التراجم باللون الأحمر ، وجاء في الورقة الأولى منها نبذة في ذكر الأولياء والأبرار والصالحين .

وقع الفراغ من نسخها سنة ثمان وثلاثين وألف ، علىٰ يد كاتبها : داود بن سليمان أبي البركات .

ورمز لها بـ (هـ) .

النسخة السادسة

نسخة **جامعة الملك سعود** بالرياض ، ذات الرقم العام (٢٩٤٧) ، وهي نسخة ناقصة ملفقة ؛ أولها « الطبقات الكبرىٰ » حتىٰ ترجمة الشيخ عبد الحليم المنزولاي في اللوحة (٣٤٠) ، والقسم الثاني منها « الطبقات الوسطىٰ »[١] ، ومع ذلك كان لها أثر جيد في إصلاح بعض الأخطاء التي وقعت في كثير من النسخ ، وقد وقعت في (٣٤٠) ورقة ، وكتبت بخط نسخي معتاد ، وميز أسماء المترجمين بلون أحمر .

ورمز لها بـ (و) .

النسخة السابعة

نسخة **المكتبة الظاهرية** بدمشق ، ذات الرقم (٤٨٠٩) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٢٩٩) ورقة ، وكتبت بخط نسخي واضح ، وميزت أسماء تراجمها باللون الأحمر ، وقد جاء في الورقات الأولىٰ منها فهرسة بأسماء المترجمين .

وقع الفراغ من نسخها سابع عشر جمادى الآخرة سنة إحدىٰ وسبعين وألف من الهجرة النبوية .

ورمز لها بـ (ز) .

النسخة الثامنة

نسخة **المكتبة الوطنية** بباريس ، ذات الرقم (٢٠٤٥) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٣١٣) ورقة ، ووجد على الورقة الأولىٰ منها : (تشرَّف بتمليك هـٰذه النسخة الذي هي **بخط مؤلفها سيدي عبد الوهاب الشعراني مكملها** ؛ الفقير محمد أبو صابر

---

(١) وسيأتي الحديث عنها في وصف النسخ الخطية لـ « الطبقات الوسطى » . انظر (١/) .

فاشه عبد السادات الوفائية نفعنا الله ببركاتهم ، آمين) ، وقد انتهى الخط الأول في آخر الورقة (٢٢٧) في منتصف ترجمة الشيخ أبي الحسن الششتري رحمه الله ، **ويغلب على الظن أنها بخط الإمام الشعراني** .

وقع الفراغ من تكميل هـٰذه النسخة سنة **إحدىٰ وتسعين ومئة وألف** ، علىٰ يد كاتبها محمد أبي صابر فاشه .

ورمز لها بـ (ح) .

النسخة التاسعة

نسخة **معهد دراسات الثقافة الشرقية** بجامعة طوكيو ، ذات الرقم (٢٤٤) ، وهي نسخة تامة جيدة ، وقعت في (٢٢٤) ورقة ، وكان لها أثر كبير في إصلاح بعض العبارات ، وعلىٰ ورقة الغلاف بعض التملكات ، أقدمها سنة (١١١٥هـ) .

ورمز لها بـ (ط) .

وأما نسخ الاستئناس فهي :

ـ **النسخة العاشرة** : نسخة **المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية** بالسيدة زينب بمصر ، ذات الرقم العام (٣٢٩) والخاص (٦٧٨) ، تاريخ نسخها (١٠٣١هـ) .

ـ **النسخة الحادية عشرة** : نسخة **المكتبة الأزهرية** ، ذات الرقم العام (٤٣٠٣٨) والخاص (٢٧٧٠) ، تاريخ النسخ (١٠٣٥هـ) .

ـ **النسخة الثانية عشرة** : نسخة **جامعة الملك سعود** ، ذات الرقم العام (٢٥٠٠) والخاص (٩٢٢) ، تاريخ نسخها (١٠٣٨هـ) .

ـ **النسخة الثالثة عشرة** : نسخة **المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية** بالسيدة زينب بمصر ، ذات الرقم العام (١٠٨٩) والخاص (٦٧٨) .

ـ **النسخة الرابعة عشرة** : نسخة **مكتبة فيض الله** ، ذات الرقم (١٥١٣) .

ـ **النسخة الخامسة عشرة** : نسخة **مكتبة حكيم أوغلو** ، ذات الرقم (٧٧٦) .

* * *

وَصفُ النُّسخِ الخطِّيَّةِ لـ« الطَّبقاتِ الوسطى »

تم بحمد الله وعونه اعتماد **اثنتي عشرة نسخة خطية** ، وكانت النسخ (أ ، ج ، ز ، ط) الأفضل في تصحيح كثير من العبارات .

وإليك ترتيبها حسب تاريخ نسخها الزمني :

النسخة الأولىٰ

نسخة **الخزانة العامة** بالرباط ، ذات الرقم (١٠٩٩) ، **وهي نسخة تامة** ، كتبت بخط نسخي ، ووقعت في (٤٢٤) ورقة ، لـٰكنها غير مرتبة الأوراق ؛ فقد ابتدأت من منتصف ترجمة أبي الحسن الشاذلي ، ثم رجع في الورقة (١٩) إلىٰ ذكر بعضٍ من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي نهايتها إجازات وبلاغات .

وقع الفراغ من نسخها في رجب الفرد سنة **تسع عشرة وألف** من الهجرة ، علىٰ يد كاتبها : أحمد بن سليمان الدرازي المالكي البحري .

ورمز لها بـ (أ) .

النسخة الثانية

نسخة **دار الكتب القومية** بالقاهرة ، ذات الرقم (٨٦٨) تاريخ تيمور ، **وهي نسخة شبه تامة** ، سقط بعض أوراقها البالغة (٢٣٠) ، وكتبت بخط نسخي .

وقع الفراغ من نسخها **سنة ست وعشرين وألف** من الهجرة ، علىٰ يد كاتبها : محمد زين العابدين القلقشندي الشعراوي .

ورمز لها بـ (ب) .

النسخة الثالثة

نسخة **مكتبة نور عثمانية** بإستنبول ، ذات الرقم (٢٤٩٩) ، **وهي نسخة تامة** ،

وقعت في (٣١٦) ورقة ، وكتبت بخط نسخي ، وضبطت أواخر الكلمات ، وميزت أسماء المترجمين وبداية الفقرات باللون الأحمر ، **وتعتبر النسيج العام لهٰذه الطبقات** .

وقع الفراغ من نسخها تاسع عشر ربيع الأول **سنة خمس وثلاثين وألف** من الهجرة .

ورمز لها بـ (ج) .

النسخة الرابعة

نسخة **مكتبة راغب باشا** بإستنبول ، ذات الرقم (١٠١٩) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٣٠٣) ورقات ، كتبت بخط نسخي ، وميزت أسماء المترجمين باللون الأحمر ، وفي الورقة الأولىٰ والثانية منها مرثية بالإمام الشعراني رحمه الله .

وقع الفراغ من نسخها في شهر شوال من سنة سبع وثلاثين وألف من الهجرة النبوية .

ورمز لها بـ (د) .

النسخة الخامسة

نسخة مكتبة **حالت أفندي** بإستنبول ، ذات الرقم (٢١٥) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٣٤٤) ورقة ، وكتبت بخط نسخي ، وميزت أسماء المترجمين وعناوين الأبواب باللون الأحمر ، وفي الورقة الأولىٰ والثانية منها فهرسة بأسماء التراجم ، وفي الورقة الأخيرة منها ترجمة الإمام الشعراني .

وقع الفراغ من نسخها سادس عشر رجب **سنة تسع وخمسين وألف** ، علىٰ يد كاتبها : أحمد بن المرحوم الشيخ عيسى الدنوشري الحنبلي .

ورمز لها بـ (هـ) .

النسخة السادسة

نسخة **المكتبة الأزهرية** ، ذات الرقم العام (٤١٢٧٣) والخاص (٢٦٧٠) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٤٥٥) ورقة ، وكتبت بخط نسخي مقروء ، وميزت أسماء المترجمين وبعض العناوين باللون الأحمر .

وقع الفراغ من نسخها في جمادى الآخرة من سنة اثنتين وسبعين وألف من الهجرة النبوية .

ورمز لها بـ (و) .

النسخة السابعة

نسخة **المكتبة الأزهرية** ، ذات الرقم (٤٢٧١١) والخاص (٢٧٥٥) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٣٢١) ورقة ، وكتبت بخط نسخي ، وميزت أسماء التراجم بلون أحمر ، وهي نسخة جيدة كان لها الأثر في تصحيح كثير من العبارات .

وقع الفراغ من نسخها خامس شهر جمادى الأولىٰ من **سنة مئة وعشرين وألف** من الهجرة النبوية ، علىٰ يد كاتبها : يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل .

ورمز لها بـ (ز) .

النسخة الثامنة

نسخة **دار الكتاب القومية** بالقاهرة ، ذات الرقم (٣٠٠) تاريخ ، وهي نسخة ناقصة غير تامة ، وقعت في (٢٣٢) ورقة ، وكتبت بخط نسخي .

ورمز لها بـ (ح) .

النسخة التاسعة

نسخة **مكتبة تشستربيتي** بإيرلندا ، ذات الرقم (٥٣١٦) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٣٣٣) ورقة ، **وهي نسخة جيدة** ، كتبت بخط نسخي ، وتميزت بتصحيح كثير من الكلمات ، ويوجد عليها إجازات وسماعات موافقة لإجازات وسماعات النسخة (أ) .

ورمز لها بـ (ط) .

النسخة العاشرة

نسخة مكتبة **فيض الله** بإستنبول ، ذات الرقم (١٤٧٩) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (١٨٩) ورقة ، وكتبت بخط نسخي ، وفيها بعض الأخطاء ، ووضع خط أحمر فوق أسماء التراجم .

كاتبها : علي بن علي الشافعي رحمه الله تعالىٰ .

ورمز لها بـ (ي) .

النسخة الحادية عشرة

نسخة مكتبة راشد **أفندي** بإستنبول ، ذات الرقم (٩٤٥) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٢٩٨) ورقة ، **وقد نقلت عن نسخة بخط الإمام الشعراني** ، وكتبت بخط نسخي واضح ، وميزت أسماء المترجمين وبداية الفقرات باللون الأحمر .

وقع الفراغ من نسخها شهر ربيع الثاني من **سنة إحدىٰ وعشرين وألف** من الهجرة النبوية ، علىٰ يد كاتبها : أحمد بن علي الشبراهارسي الشعراوي .

وهي مع نفاستها قد وصلتنا متأخرة ، ولذلك **رمز لها بـ (ك) .**

النسخة الثانية عشرة

نسخة **جامعة الملك سعود** بالرياض ، ذات الرقم العام (٢٩٤٧) ، وهي نسخة ناقصة ملفقة ؛ أولها « الطبقات الكبرىٰ » ، وتبتدئ « الطبقات الوسطىٰ » من اللوحة (٣٤١) عند ترجمة الشيخ عبيد البلقسي[1] ، وقد وقعت في (١٤١) ورقة ، وكتبت بخط نسخي معتاد ، وميزت أسماء المترجمين بلون أحمر .

وتتميز هـٰذه النسخة بكونها قطعة من الأصل الأول لـ « الطبقات الوسطىٰ » قبل أن يعيد الإمام الشعراني تحريرها سنة (٩٦٥هـ) .

وقع الفراغ منها **سنة أربع وأربعين وألف** من الهجرة النبوية ، علىٰ يد كاتبها : محمد بن عمر بن محمد الفيومي .

ورمز لها بـ (ل) .

* * *

---

(١) وقد جاء في هـٰذه النسخة وحدها (النبتيتي) بدل (البلقسي) ، وانظر « الطبقات الوسطىٰ » (٢٢٢/١) .

وصف النسخ الخطية لـ « ذيل الطبقات »

تم اختيار **ست نسخ خطية** لـ « ذيل الطبقات » ، وتم ترتيب النسخ بحسب تاريخها الزمني ، ما عدا النسخة (أ) **لتفردها بزيادة ليست في غيرها** ، وأما النسخ ؛ فهي :

النسخة الأولىٰ

نسخة **المكتبة الظاهرية** بدمشق ذات الرقم (٤٨٠٩) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٣٧) ورقة ، ضمن مجموع أوله « الطبقات الكبرىٰ » ، **وقد امتازت هـٰذه النسخة بزيادة ديباجة للكتاب وأربع تراجم** ليست في باقي النسخ[1] ، وكتبت بخط نسخي واضح ، وميزت أسماء المترجمين باللون الأحمر .

وقع الفراغ من نسخها في ذي الحجة من سنة **اثنتين وثلاثين ومئة وألف** من الهجرة النبوية .

ورمز لها بـ (أ)

النسخة الثانية

نسخة **المكتبة الأزهرية** بالقاهرة ، ذات الرقم العام (٤١٢٧٤) والخاص (٢٦٧١) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٩٠) ورقة ، وكتبت بخط نسخي ، **وتعدُّ النسيج العام لهـٰذا الكتاب** ، ويوجد بهامشها وفياتُ مَنْ لم تذكر وفاتهم بالأصل بخط الناسخ .

وقد وقع الفراغ من نسخها في رجب الفرد من سنة **تسع عشرة وألف** من الهجرة النبوية ، علىٰ يد كاتبها : عثمان بن أحمد بن محمد الدميري نسباً المالكي مذهباً .

ورمز لها بـ (ب) .

---

(١) وقد ظهر لنا أثناء التحقيق أن هـٰذه الزيادة من أصل الكتاب .

النسخة الثالثة

نسخة **المكتبة الظاهرية** بدمشق ، ذات الرقم العام (٩٧٥٧) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (٦٢) ورقة ، وكتبت بخط نسخي .

وقد وقع الفراغ من نسخها في جمادى الآخرة من **سنة اثنتين وستين وألف** من الهجرة النبوية ، على يد كاتبها : نور الدين علي بن عرفات المحلي الحنفي الشناوي الأحمدي .

ورمز لها بـ (ج) .

النسخة الرابعة

نسخة **دار الكتب الوطنية** بتونس ، ذات الرقم (٩٨١٩) ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (١١٩) ورقة ، وكتبت بخط نسخي ، وعليها تملك لمحمد أحمد أبي الأمان في سنة (١١١٣هـ) .

كاتبها : محمد (. . .)[1] الشاذلي الحنبلي .

ورمز لها بـ (د) .

النسخة الخامسة

نسخة **المكتبة التيمورية** بالقاهرة ، ذات الرقم (٤٩٣) تاريخ ، **وهي نسخة تامة** ، وقعت في (١٣٣) ورقة ، وكتبت بخط نسخي واضح ، سهّل بها إصلاح بعض الكلمات ، وعليها تملك في سنة (١١١٤هـ) .

ورمز لها بـ (هـ) .

النسخة السادسة

نسخة **المكتبة الظاهرية** بدمشق ، ذات الرقم (٧٤٥٩) ، **نسخة شبه تامة** ، سقطت منها الورقة الأخيرة ؛ وهي خاتمة المؤلف رحمه الله ، ووقعت في (٦٦) ورقة ، وكتبت بخط نسخي واضح .

ورمز لها بـ (و) .

* * *

---

(١) كلمة غير واضحة في المخطوط .

صور من المخطوطات المستعان بها

روامیز الطبقات الكبرى



راموز ورقة العنوان من النسخة أ



راموز ورقة الأخيرة من النسخة أ



راموز ورقة العنوان من النسخة ب



راموز ورقة الأخيرة من النسخة ب



راموز ورقة العنوان من النسخة ج



راموز ورقة الأخيرة من النسخة ج

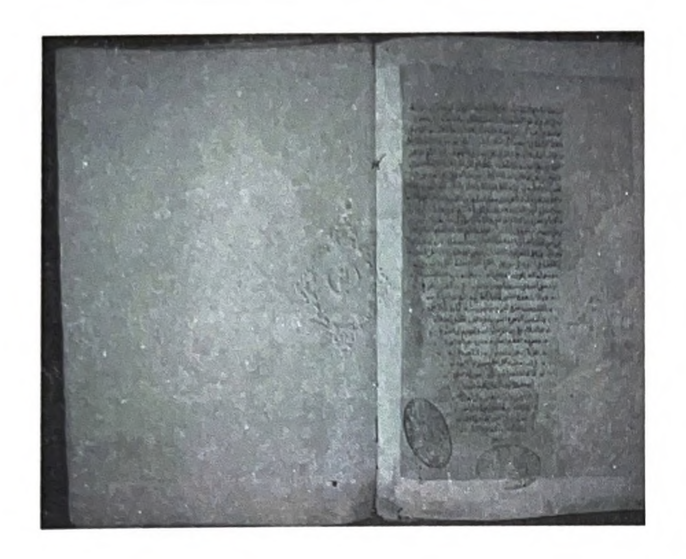


راموز ورقة العنوان من النسخة د



راموز ورقة الأخيرة من النسخة د

راموز ورقة العنوان من النسخة هـ



راموز ورقة الأخيرة من النسخة هـ



راموز ورقة العنوان من النسخة و



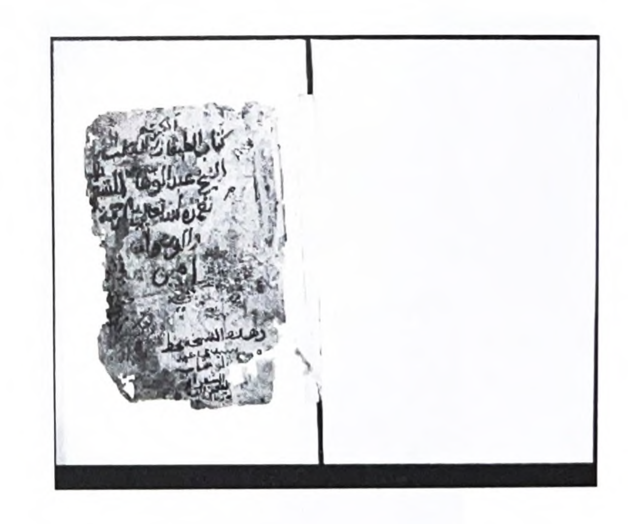
راموز ورقة الأخيرة من النسخة و



راموز ورقة العنوان من النسخة ز



راموز ورقة الأخيرة من النسخة ز



راموز ورقة العنوان من النسخة ح



راموز ورقة الأخيرة من النسخة ح



راموز ورقة العنوان من النسخة ح

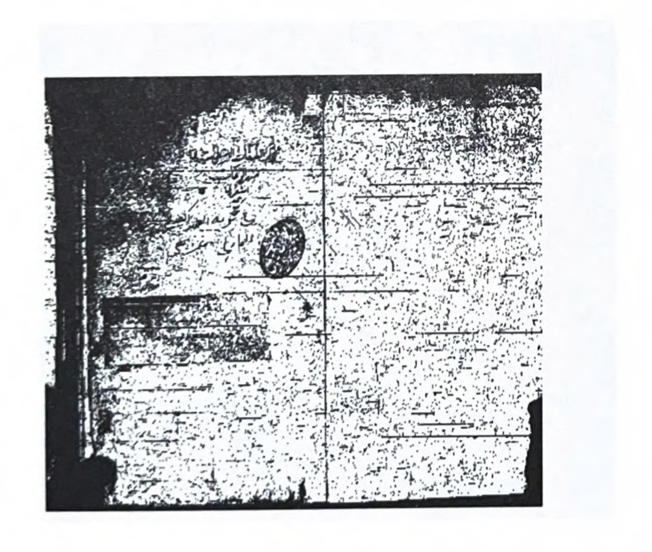


راموز ورقة الأخيرة من النسخة ح

رواميز الطبقات الوسطى



راموز ورقة الأخيرة من النسخة أ



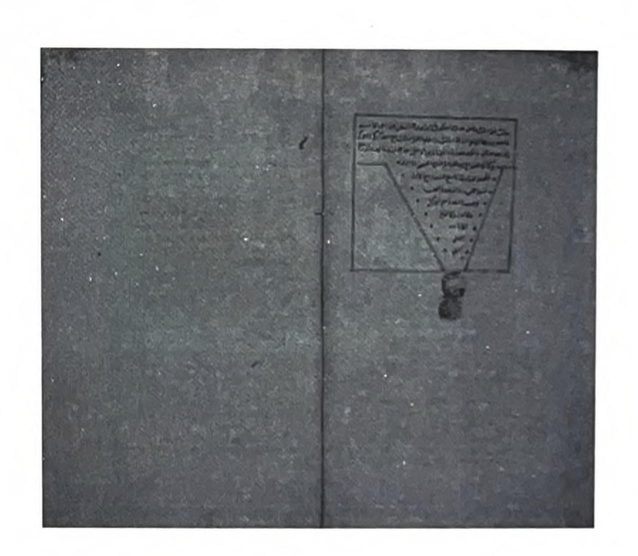
راموز ورقة العنوان من النسخة ب



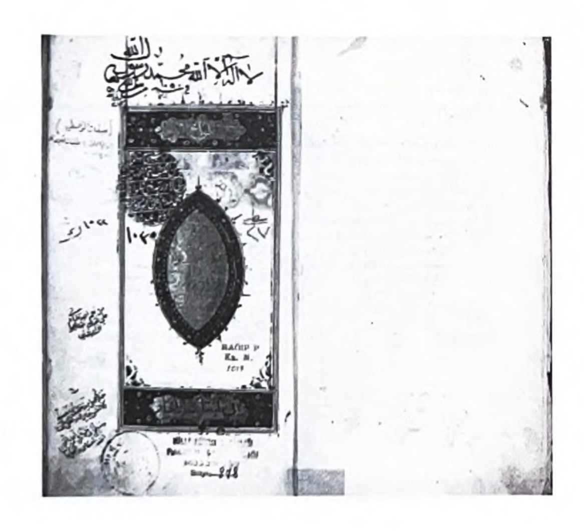
راموز ورقة الأخيرة من النسخة ب



راموز ورقة العنوان من النسخة ج



راموز ورقة الأخيرة من النسخة ج

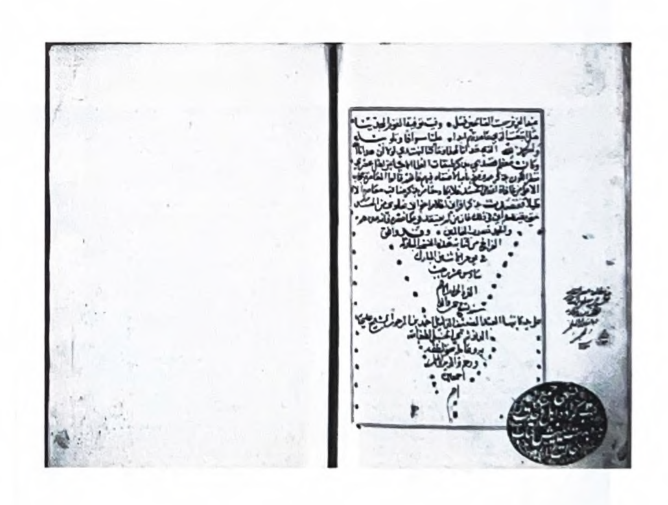


راموز ورقة العنوان من النسخة د

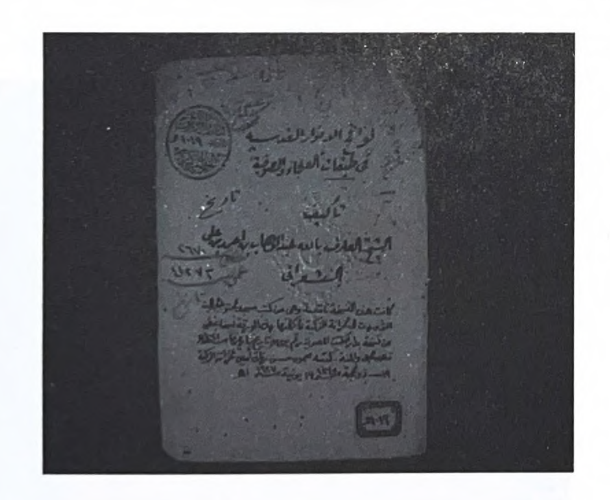
راموز ورقة الأخيرة من النسخة د



راموز ورقة العنوان من النسخة هـ



راموز ورقة الأخيرة من النسخة هـ



راموز ورقة العنوان من النسخة و



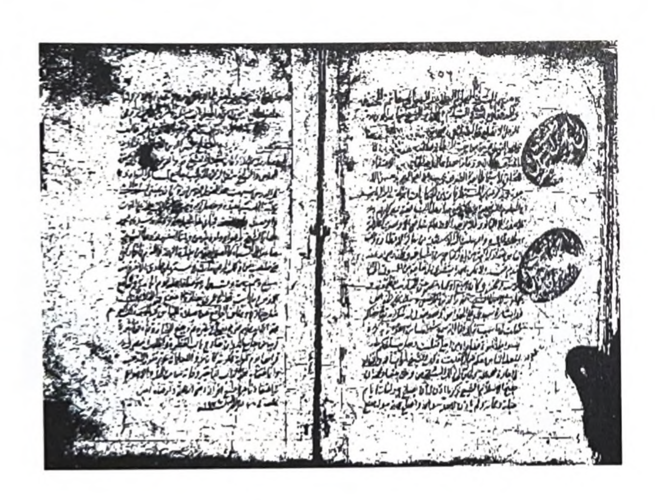
راموز ورقة الأخيرة من النسخة و



راموز ورقة العنوان من النسخة ز

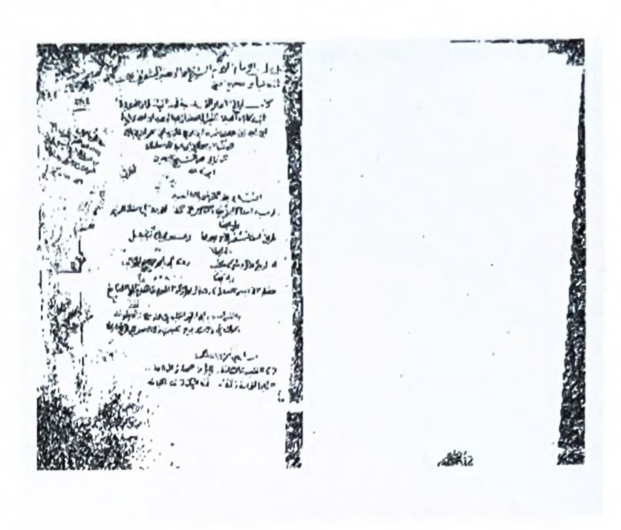


راموز ورقة الأخيرة من النسخة ز

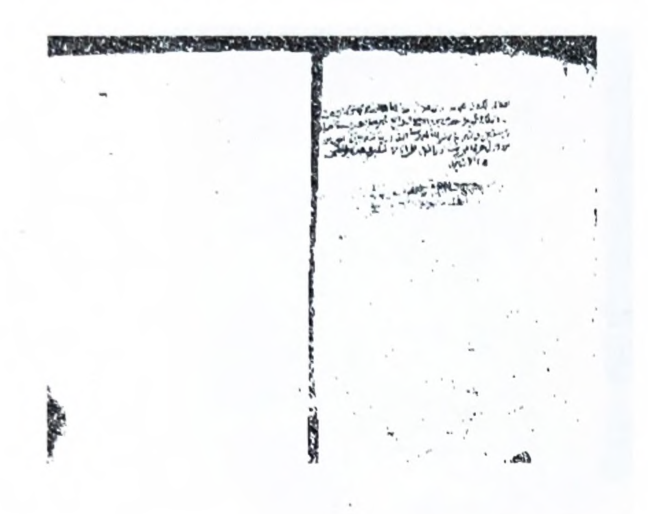


راموز ورقة الأخيرة من النسخة ح





راموز ورقة العنوان من النسخة ط



راموز ورقة الأخيرة من النسخة ط



راموز ورقة العنوان من النسخة ي



راموز ورقة الأخيرة من النسخة ي

راموز ورقة العنوان من النسخة ك

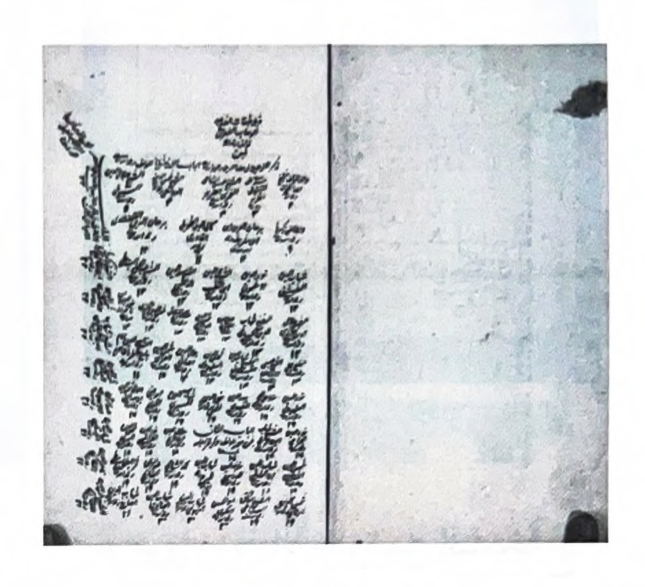


راموز ورقة الأخيرة من النسخة ك

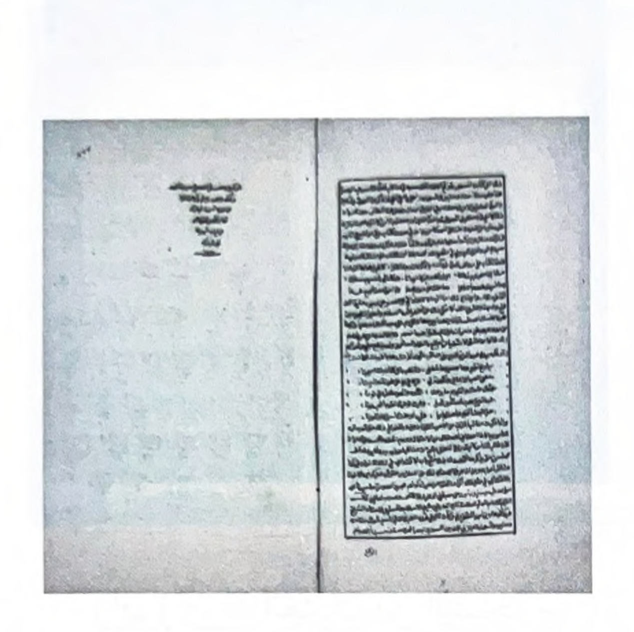


راموز ورقة الأخيرة من النسخة ل

رواميز الطبقات الصغرى



راموز ورقة العنوان من النسخة أ



راموز ورقة الأخيرة من النسخة أ



راموز ورقة العنوان من النسخة ب



راموز ورقة الأخيرة من النسخة ب



راموز ورقة العنوان من النسخة ج



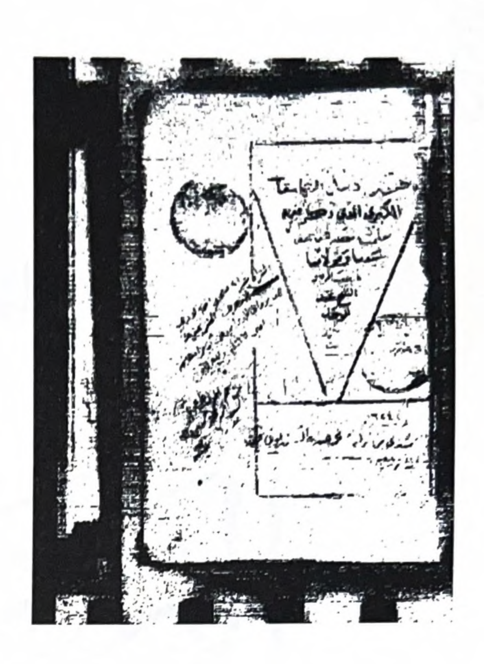
راموز ورقة الأخيرة من النسخة ج



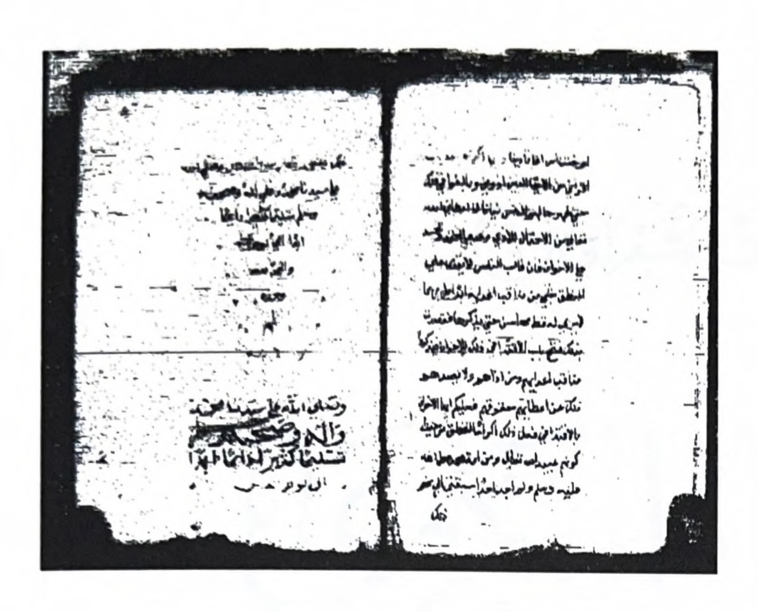
راموز ورقة العنوان من النسخة د



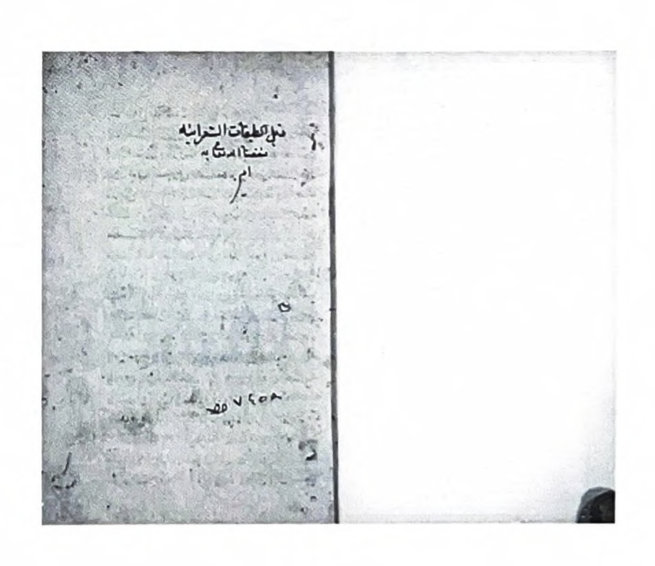
راموز ورقة الأخيرة من النسخة د



راموز ورقة العنوان من النسخة هـ



راموز ورقة الأخيرة من النسخة هـ



راموز ورقة العنوان من النسخة و



راموز ورقة الأخيرة من النسخة و

طبقاتُ الشّعْرانيّ (١)

الطَّبقاتُ الكُبرىٰ

المعروفُ بـ:

لَواقِحِ الأَنْوارِ في طَبقاتِ الأَخْيارِ

تأليفُ

الإمام الرّبّانيّ عبد الوهّاب الشّعْرانيّ

٨٩٨ - ٩٧٣ هـ

ديباجة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيِّدُنا ومولانا وقدوتُنا إلى الله تعالى الشيخُ الإمام العالم العامل ، العارفُ بالله تعالىٰ ، إمامُ المحقِّقين ، وقدوة العارفين ، ومربِّي الفقراء والمريدين ، بأقوىٰ قواعدِ التمكين ، فاتحُ أقفال غوامض معنويات إشارات المحقِّقين ، ومعبِّرُ رموز مجلاَّت مُشكلات العارفين ، واسطةُ عِقد السالكين ، وريحانةُ وجود الواصلين ، الذي أقامتْهُ القدرةُ الإلـٰهية ، ورتَّبته العنايةُ الربَّانية واللطائف الرحمانية ، وسلكَ الطريقَ الإلـٰهية ، مُتَّبعاً للكتاب العزيز والسُّنة المحمدية ، وتفقَّه حتىٰ وصلَ إلى الغاية في مذهبِ السادة الشافعية ، وفتح الله عليه بالافتتاحات الربانية ، أبو المواهب عبدُ الوهاب بنُ أحمد بن علي بن أحمد الشعراوي الأنصاريُّ ، طاب ثراه ، وجعل قبرَهُ روضةً من رياض الجنة ، ونفعنا به وببركات علومه وأسراره ونفحاته في الدنيا والآخرة ، آمين[1] .

الحمد لله الذي خلع علىٰ أوليائه خلع إنعامه ، فهم بذلك له حامدون ، واختصَّهم بمحبَّته ، وأقامهم في خدمته ، فهم ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام : ٩٢] ، ودعاهم إلىٰ حضرته ، وأظهر فيها مراتبهم ، فالسابقون السابقون أولئك المقربون ، وفتح لهم أبواب حضرته ، ورفع عن قلوبهم حجابَ بُعدِهِ ، فهم بين يديه متأدِّبون ، ولاطفهم بودِّهِ ، وأمَّنَهم من إعراضِه وصدِّه ، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس : ٦٢] ، ونوَّرَ بصائرَهم بفضله ، وطهَّرَ سرائرَهم ، وأطلعهم على السرِّ المصون ، وصانهم عن الأغيار ، وسترهم عن أعين الفجَّار ؛ لأنهم عرائسُ ، ولا يرى العرائسَ المجرمون ، فإذا مرَّ عليهم وليٌّ من أولياء الله تعالى ينسبونه إلى الزندقة والجنون ، ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف : ١٩٨] ؛ فمنهم المنكر

---

(١) أثبتت الديباجة من (هـ ، و ، ط) .

لكراماتهم ، ومنهم المنقصُ لمقاماتهم ، ومنهم الثالبُ لأعراضهم ، ومنهم المعترضون يعترضون علىٰ أحوالهم ، ويخوضون بجهلهم في مقالهم ، وبهم يستهزئون ، ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة : ١٥] .

فسبحان من قرَّبَ أقواماً واصطفاهم لخدمته ، فهم علىٰ بابه لا يبرحون ! وسبحان من جعلهم نجوماً في سماء الولاية ، وجعل أهل الأرض بهم يهتدون ! وسبحان من أباحهم حضرة قُربه ، والمنكرون عليهم عنها مبعدون ! فالأولياء في جنة القُربِ متنعِّمون ، والمنكرون عليهم في نار الطرد والبُعد معذَّبون ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

وأشهدُ أنَّ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، شهادةً شهدَ بها الموقنون ، وأشهد أنَّ سيِّدَنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم عبدُه ورسولُه ، النورُ المخزون ، والسرُّ المصون .

اللهم ؛ فصلِّ وسلِّم عليه وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين ، وعلىٰ آلهم وصحبهم أجمعين ، كلَّما ذكرك الذاكرون ، وغفل عن ذكرك الغافلون .

وبعد : فهـٰذا كتاب **لخَّصتُ فيه طبقاتِ جماعةٍ من الأولياء الذين يُقتدىٰ بهم في طريق الله عز وجل** ؛ من الصحابة والتابعين إلىٰ آخر القرن التاسع وبعض العاشر .

ومقصودي بتأليفه : بيانُ فقه طريق القوم في التصوف ؛ من آداب المقامات والأحوال لا غير .

ولم أذكر من كلامهم إلا عيونَهُ وجواهرَهُ ، دون ما شاركهم غيرُهم فيه ، ممَّا هو مسطورٌ في كتب أئمة الشريعة .

وكذلك لا أذكر من أحوالهم في بداياتهم إلا ما كان منشِّطاً للمريدين ؛ كشدَّةِ الجوع ، والسهر ، ومحبة الخمول وعدم الشهرة ، ونحو ذلك ، أو كان يدلُّ علىٰ تعظيم الشريعة ؛ دفعاً لمن يتوهَّمُ في القوم أنَّهم رفضوا شيئاً من الشريعة حين تصوَّفوا ، كما صرَّح به ابن الجوزي في حقِّ الغزالي ، بل في حقِّ الجُنيد والشِّبلي ، فقال في حقِّهم : ولعمري ؛ لقد طوىٰ هـٰؤلاء بساطَ الشريعة طيّاً ، فيا ليتهم لم يتصوَّفوا[١] .

---

(١) انظر « تلبيس إبليس » (ص ٢٨٦) ، وساق كلامه بالمعنى .

قلت : وكذلك قال لي جماعةٌ من أهل عصري حين اجتمعتُ بالفقراء واشتغلت بطريقهم .

وهٰذا الذي التزمتُهُ من ذكر عيون كلامهم فقط ما أظنُّ أنَّ أحداً ممّن ألَّفَ في طبقاتهم التزمه ، إنما يذكرون عنهم كلَّ ما يجدونه من كلامهم وأحوالهم ، ولا يفرِّقون بين ما قالوه أو وقع منهم في حال البداية ، ولا بين ما وقع منهم في حال التوسُّط والنهاية .

ومن فوائد تخصيص عيون كلامهم بالذكر : تقريبُ الطريق علىٰ مَنْ صحَّ له الاعتقادُ فيهم ، وأخذ كلامَهم بالقبول ؛ فإن المريد الصادق هو من إذا سمع من شيخه كلاماً فعمل به علىٰ وجه الجزم واليقين . . ساوىٰ شيخَه في المرتبة ، وما بقي له على المريد زيادة ، إلا كونه هو المفيض عليه .

ومن هنا قالوا : **بدايةُ المريد نهايةُ شيخه** ؛ فإن ما قاله الشيخ ، أو فعله أواخر عمره . . هو زبدةُ جميع مجاهداته طول عمره .

وسلكتُ في هٰذه « الطبقات » نحوَ مسلك المحدِّثين ؛ وهو أن ما كان من الحكايات والأقوال في الكتب المسندة ؛ كـ« رسالة القشيري » ، و« الحلية » لأبي نُعيم ، وصرَّح صاحبُهُ بصحة سنده . . أذكرُهُ بصيغة الجزم ، وكذلك ما ذكره بعض المشايخ المُكملين في سياق الاستدلال علىٰ أحكام الطريق . . أذكرُهُ بصيغة الجزم ؛ لأن استدلاله به دليلٌ علىٰ صحَّةِ سنده عنده ، وما خلا عن هٰذين الطريقين فأذكره بصيغة التمريض ؛ كـ(يُحكىٰ) ، و(يُروىٰ) .

ثم لا يخفىٰ : أنَّ حكم ما في كتب فقه القوم ؛ كـ« عوارف المعارف »[١] ، ونحوِهِ كحكم صحيح السند ، فأذكره بصيغة الجزم ، كما يقول العلماء : قال في « شرح المهذَّب »[٢]

---

(١) **عوارف المعارف** : لشهاب الدين أبي حفص عمر السُّهروردي ، المتوفىٰ سنة (٦٣٢هـ) من كتب القوم ، يشتمل علىٰ (٦٣) باباً ، كلُّها في سير القومِ وأحوالِهم ، وسلوكِهم وأعمالِهم .

(٢) **المهذب في الفروع** : لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الشيرازي الفقيه الشافعي ، المتوفىٰ سنة (٤٧٦هـ) ، بدأ بتصنيفه سنة (٤٥٥هـ) ، وفرغ منه سنة (٤٦٩هـ) ، وهو كتاب جليل القدر ، اعتنىٰ بشأنه فقهاء الشافعية ، وشرحه الإمام النووي وسمَّاهُ بـ(المجموع) .

كذا ، قال في « شرح الروضة »[١] كذا ، ونحو ذلك .

وختمت هـٰذه « **الطبقات** » بذكر نبذةٍ صالحة من أحوال مشايخي الذين أدركتهم في القرن العاشر ، وخدمتهم زماناً ، أو زرتهم تبرُّكاً في بعض الأحيان ، وسمعتُ منهم حكمةً أو أدباً ؛ فأذكر ذلك عنهم علىٰ طريق ما ذكرناه في مشايخ السلف ، وجميعُهم من مشايخ مصر المحروسة وقراها ، رضي الله عنهم أجمعين .

ثم اعلم يا أخي : أنَّ كلَّ مَنْ طالع في هـٰذا الكتاب علىٰ وجه الاعتقاد ، وسمع ما فيه . . فكأنه عاصر جميعَ الأولياء المذكورين فيه ، وسمع كلامَهم ؛ وذلك لأن عدم الاجتماع بالشيخ لا يقدحُ في محبَّتِهِ وصحبته ؛ فإنَّا نحبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والصحابةَ والتابعين ، والأئمةَ المجتهدين ، وما رأيناهم ، ولا عاصرناهم ، وقد انتفعنا بأقوالهم ، واقتدينا بأفعالهم كما هو مشاهد ؛ فإنَّ صورةَ المعتقدات إذا ظهرت وحصلت . . لا يحتاج إلىٰ مشاهدة صور الأشخاص .

ثم إنَّ مَنْ طالع مثلَ هـٰذا الكتاب ، ولم يحصلْ عنده نهضةٌ ولا شوقٌ إلىٰ طريق الله عز وجل . . فهو والأموات سواء ، والسلام .

وسمَّيته بـ « **لواقح الأنوار في طبقات الأخيار** » ، وصدَّرتُهُ بمقدِّمةٍ نافعة تزيدُ الناظرَ فيها اعتقاداً في هـٰذه الطائفة إلى اعتقاده ، وتُشير من طَرْفٍ خفيٍّ إلىٰ أنَّ الإنكار علىٰ هـٰذه الطائفة لم يزل عليهم في كلِّ عصرٍ ؛ وذلك لعلوِّ ذوق مقامهم علىٰ غالب العقول ، ولـٰكنَّهم لكمالهم لا يتغيَّرون كما لا يتغيَّرُ الجبلُ من نفخةِ الناموسة ، فأكرمْ به من كتابٍ ، جمعَ ـ مع صغر حجمه ـ غالبَ فقه أهل الطريق ، فهو في جميع نصوص أهل الطريق ومقلِّديهم كـ « الروضة » في مذهب الشافعي رضي الله عنه ، جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ، ونفعَ به مؤلِّفَه وكاتبَهُ وسامعَهُ والناظرَ فيه ؛ إنَّه قريبٌ مجيب .

إذا علمتَ ذلك فأقول وبالله التوفيق :

---

(١) روضة الطالبين وعمدة المتقين في فروع الشافعية : للإمام النووي ، اختصره من كتاب « شرح الوجيز » للرافعي . كشف الظنون (١/ ٩٢٩) .

مُقدمة في بيان أن طريق القوم مُشيدة بالكتاب والسُّنَّة




مقدّمة

في بيانِ أن طريقَ القوم مشيَّدةٌ بالكتاب والسنة ، وأنها مبنيّةٌ علىٰ سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء ، وبيانِ أنَّها لا تكون مذمومةً إلاَّ إن خالفتْ صريحَ القرآن ، أو السنة ، أو الإجماع لا غير ، وأما إذا لم تخالف فغايةُ الكلامِ : أنه فهمٌ أُوتيه رجلٌ مسلم ، فمن شاء فليعمل به ، ومن شاء تركه .

ونظيرُ الفهم في ذلك الأفعالُ ، وما بقي بابٌ للإنكار إلا سوءُ الظنِّ بهم ، وحملهم على الرِّياء ، وذلك لا يجوز شرعاً .

ثم اعلم يا أخي ـ رحمك الله ـ : أنَّ علم التصوف عبارةٌ عن علمٍ انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، فكلُّ من عمل بهما انقدحَ له من ذلك علومٌ وآداب وأسرار ، وحقائقُ تعجزُ الألسنُ عنها ، نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حين عملوا بما علموا من أحكامها .

فالتصوُّفُ : إنما هو زبدةُ عمل العبد بأحكام الشريعة ؛ إذا خلا عملُهُ من العلل وحظوظ النفس ، كما أنَّ علم المعاني والبيان زبدةُ علم النحو .

فمن جعلَ علم التصوف علماً مستقلاً صدق ، ومن جعله من عين أحكام الشريعة صدق .

كما أن من جعل علم المعاني والبيان علماً مستقلاً . . فقد صدق ، ومن جعله من جملة علم النحو فقد صدق .

لـٰكنه لا يشرف علىٰ ذوق أنَّ علم التصوف تَفرَّعَ من عين الشريعة إلاَّ من تبحَّرَ في علم الشريعة حتىٰ بلغ إلى الغاية .

ثم إنَّ العبد إذا دخل طريق القوم ، وتبحَّر فيها . . أعطاه الله هناك قوَّةَ الاستنباط ، نظير الأحكام الظاهرة علىٰ حدٍّ سواء ، فيستنبط في الطريق واجباتٍ ، ومندوباتٍ ،

وآداباً ، ومحرَّماتٍ ، ومكروهاتٍ ، وخلافَ الأولىٰ ، نير ما فعله المجتهدون ، وليس إيجابُ مجتهدٍ باجتهاده شيئاً لم تصرِّحِ الشريعةُ بوجوبه . . أولىٰ من إيجاب وليٍّ لله تعالىٰ حكماً في الطريق لم تصرِّحِ الشريعةُ بوجوبه ، كما صرَّح بذلك اليافعيُّ وغيرُهُ .

وإيضاح ذلك : أنهم كلَّهم عدولٌ في الشرع ، اختارهم الله عز وجل لدينه ، فمن دقَّقَ النظرَ علم أنَّه لا يخرجُ شيءٌ من علوم أهلِ الله تعالىٰ عن الشريعة ، وكيف تخرجُ علومهم عن الشريعة ، والشريعةُ هي وصلتُهم إلى الله عز وجل في كلِّ لحظة ؟! ولـٰكنَّ أصلَ استغراب من لا له إلمامٌ بأهل الطريق ؛ أنَّ علم التصوف من عين علم الشريعة . . كونه لم يتبحَّرْ في علم الشريعة ؛ ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالىٰ : علمُنا هـٰذا مشيَّدٌ بالكتاب والسنة ؛ ردّاً علىٰ من توهَّمَ خروجَهُ عنهما في ذلك الزمان ، أو غيره .

وقد أجمع القومُ علىٰ أنَّه لا يصلحُ للتصدُّرِ في طريق الله عز وجل إلا من تبحَّرَ في الشريعة ، وعلمَ منطوقَها ومفهومَها ، وخاصَّها وعامَّها ، وناسخَها ومنسوخَها ، وتبحَّرَ في لغة العرب حتىٰ عرفَ مجازاتها واستعاراتها ، وغيرَ ذلك ، فكلُّ صوفيٍّ فقيهٌ ، ولا عكس .

وبالجملة : فما أنكرَ أحوال الصوفية إلا مَنْ جهلَ حالهم .

وكان القشيريُّ يقول : (لم يكن عصرٌ في مدة الإسلام وفيه شيخٌ من هـٰذه الطائفة إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ ، وتواضعوا له ، وتبرَّكوا به ، ولولا مزيةٌ وخصوصيةٌ للقوم لكان الأمرُ بالعكس) انتهىٰ .

قلت : ويكفينا مدحاً للقوم إذعانُ الإمام الشافعي رضي الله عنه لشيبان الراعي حين طلبَ الإمامُ أحمد بن حنبل أن يسألَه عمَّن نسي صلاةً لا يدري أيَّ صلاة هي ، وإذعانُ الإمام أحمد بن حنبل لشيبان كذلك حين قال شيبان : هـٰذا رجلٌ غفل عن الله عز وجل ، فجزاؤه أن يؤدَّبَ .

وكذلك يكفينا : إذعانُ الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه لأبي حمزة البغدادي الصوفي رضي الله عنه ، واعتقادُه ، حتىٰ كان يُرسلُ له دقائقَ المسائل ، ويقول : ما تقول في هـٰذا يا صوفي ؟ كما سيأتي بيانُ ذلك في ترجمة أبي حمزة رضي الله

عنه[١] ، فشيءٌ يقفُ في فهمه الإمام أحمد ويعرفه أبو حمزة غايةُ المنقبة للقوم .

وكذلك يكفينا : إذعانُ أبي العباس بن سُريج للجُنيد حين حضره وقال : لا أدري ما يقولُ ، ولـٰكن لكلامه صولةٌ ليست بصولة مُبطل .

وكذلك : إذعانُ الإمام أبي عمران للشبلي حين امتحنه في مسائلَ من الحيض ، وأفاده سبعَ مقالات لم تكن عند أبي عمران .

وحكى الشيخ قطب الدين بن أيمن رضي الله عنه أنَّ الإمامُ أحمد بنَ حنبل رضي الله عنه كان يحثُّ ولده على الاجتماع بصوفية زمانه ، ويقول : إنَّهم بلغوا في الإخلاص مقاماً لم نبلغه .

وقد أشبع القولَ في مدح القومِ وطريقِهم الإمامُ القشيري في « رسالته » والإمام عبد الله بن أسعد اليافعي في « روض الرياحين » ، وغيرُهما من أهل الطريق ، وكتُبُهم كلُّها طافحةٌ بذلك .

وقد كان الإمامُ أبو تُراب النَّخْشبي أحدُ رجال الطريق رضي الله عنه يقول : (إذا ألفَ القلبُ الإعراضَ عن الله تعالىٰ صحبتْهُ الوقيعةُ في أولياء الله) .

قلت : وسمعتُ شيخي ومولاي أبا يحيىٰ زكريا الأنصاري شيخَ الإسلام رحمه الله يقول : (إذا لم يكن للفقيه علمٌ بأحوال القوم واصطلاحاتهم . . فهو جاف) .

وكنت أسمعه يقول كثيراً : الاعتقادُ صبغةٌ ، والانتقادُ حرمان . انتهىٰ .

وكان شيخنا الشيخ محمد المغربي الشاذلي رضي الله عنه يقول : (اطلب طريق ساداتك من القوم وإن قلُّوا ، وإياك وطريقَ الجاهلين بطريقهم وإن جلُّوا) .

وكفىٰ شرفاً بعلم القوم قولُ موسىٰ عليه الصلاة والسلام للخضر : ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾ [الكهف : ٦٦] ، وهـٰذا أعظمُ دليلٍ علىٰ وجوب طلب علم الحقيقة ، كما يجب طلب علم الشريعة ، وكلٌّ عن مقامه يتكلم . انتهىٰ .

---

(١) انظر (١/ ٣٨٦) .

قلت : وقد رأيتُ رسالةً أرسلها الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه للشيخ فخر الدين الرازي صاحبِ « التفسير »[١] . . يبيِّنُ له فيها نقصَ درجته في العلم ، هـٰذا ، والشيخ فخر الدين الرازي مذكورٌ في العلماء الذين انتهت إليهم الرياسة في الاطلاع على العلوم ؛ **من جملتها** :

اعلم يا أخي وفَّقنا اللهُ وإيَّاك : أنَّ الرجلَ لا يكملُ عندنا في مقام العلم حتىٰ يكونَ علمُه عن الله عز وجل بلا واسطةٍ من نقلٍ ، أو شيخ ؛ فإنَّ من كان علمُهُ مُستفاداً من نقلٍ ، أو شيخ فما برح عن الأخذ من المحدثات ، وذلك معلولٌ عند أهل الله عز وجل ، ومن قطع عمرَهُ في معرفة المُحدثات وتفاصيلها فاتَهُ حظُّه من ربِّه عز وجل ؛ لأنَّ العلومَ المتعلقة بالمحدثات يُفني الرجلُ عمرَه فيها ولا يبلغُ إلىٰ حقيقها ، ولو أنَّكَ يا أخي سلكتَ علىٰ يد شيخٍ من أهل الله عز وجل لأوصلك إلىٰ حضرةِ شهود الحقِّ تعالىٰ ، فتأخذ عنه العلمَ بالأمور من طريق الإلهام الصحيح ، من غير تعبٍ ، ولا نصب ، ولا سهرٍ ، كما أخذه الخضرُ عليه السلام ، فلا علمَ إلا ما كان عن كشفٍ وشهود ، لا عن نظرٍ وفكر ، وظنٍّ وتخمين .

وكان الشيخ الكامل أبو يزيد البِسطامي رضي الله عنه يقول لعلماء عصره : (أخذتم علمَكم عن علماء الرسوم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحيِّ الذي لا يموت) .

وينبغي لك يا أخي : ألا تطلبَ من العلوم إلا ما تُكمِّلُ به ذاتك ، وينتقلُ معك حيث انتقلت ، وليس ذلك إلا العلم بالله تعالىٰ ، من حيث الوهب والمشاهدة ؛ فإن علمك بالطبِّ مثلاً إنَّما يُحتاج إليه في عالم الأسقام والأمراض ، فإذا انتقلت إلىٰ عالَمٍ ما فيه سقم ولا مرض فمن تُداوي بذلك العلم ؟!

فقد علمتَ يا أخي : أنه لا ينبغي للعاقل أن يأخذَ من العلوم إلا ما ينتقل معه إلى البرزخ ، دون ما يُفارقُهُ عند انتقاله إلىٰ عالم الآخرة ، وليس المُنتقل معه إلا علمان فقط : العلم بالله عز وجل ، والعلم بمواطن الآخرة ، حتىٰ لا يُنكرَ التجلِّيات الواقعة

---

(١) هو التفسير المعروف بـ« مفاتيح الغيب » لعمر بن محمد الرازي ، المتوفىٰ سنة (٦٠٦هـ) قال ابن خلكان : (جمع فيه كل غريب ، وهو كبير جدّاً ؛ لـٰكنه لم يكمله) .

فيها ، ولا يقول للحقِّ إذا تجلَّىٰ له : « نعوذُ باللهِ منكَ » كما ورد[١] .

فينبغي لك يا أخي الكشفُ عن هٰذين العلمين في هٰذه الدار ؛ لتجني ثمرةَ ذلك في تلك الدار ، ولا تحمل من علوم هٰذه الدار إلا ما تمسُّ الحاجة إليه في طريق سيرك إلى الله عز وجل ، علىٰ مصطلح أهل الله عز وجل ، وليس طريق الكشف عن هٰذين العلمين ، إلا بالخلوة ، والرياضة ، والمجاهدة ، أو الجذب الإلـٰهي .

وكنتُ أريد أن أذكر لك يا أخي الخلوةَ وشروطَها ، وما يتجلَّىٰ لك فيها على الترتيب شيئاً فشيئاً ، لٰكن منعني من ذلك الوقت ؛ وأعني بالوقت : مَنْ لا غوصَ له في أسرار الشريعة ، ممَّن دأبُهم الجدالُ ، حتىٰ أنكروا كلَّ ما جهلوا ، وقيَّدهم التعصُّبُ ، وحبُّ الظهور والرياسةُ ، وأَكلُ الدنيا بالدين عن الإذعان لأهل الله تعالىٰ ، والتسليم لهم . انتهىٰ .

وقد ذكر الشيخ محيي الدين بنُ العربي في « الفتوحات » وغيرِها : (أنَّ طريق الوصول إلىٰ علوم القوم الإيمانُ والتقوىٰ ، قال الله تعالىٰ : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف : ٩٦] ؛ أي : أطلعناهم على العلوم المتعلِّقة بالعلويات والسفليات ، وأسرار الجبروت ، وأنوار الملك والملكوت .

وقال تعالىٰ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق : ٢ـ٣] ، **والرزق نوعان : روحاني ، وجسماني .**

وقال تعالىٰ : ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ؛ أي : يعلِّمكم ما لم تكونوا تعلمونه بالوسائط من العلوم الإلـٰهية ؛ ولذلك أضاف التعليم إلى اسم الله الذي هو دليلٌ على الذات ، وجامعٌ للأسماء ، والأفعال ، والصفات) .

ثم قال رضي الله عنه : فعليك يا أخي بالتصديق والتسليم لهٰذه الطائفة ،

(١) هو جزء من حديث رواه البخاري (٦٥٧٣) ، ومسلم (١٨٣) ، فبعد أن يدخل المشركون والكفار النار « حتىٰ إذا لم يبق إلا من يعبد الله من برٍّ وفاجر أتاهم الله في أدنىٰ صورةٍ من التي رأوه فيها ، قال : فما تنتظرون ؟ تتبعُ كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : يا ربنا ؛ فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنَّا إليهم ، ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربُّكم ، فيقولون : **نعوذُ بالله منك** ، لا نشرك بالله شيئاً . . . » .

ولا تتوهَّم فيما يفسِّرون به الكتاب والسنة أن ذلك إحالةٌ للظاهر عن ظاهره ، ولـٰكن لظاهر الآية والحديث مفهومٌ بحسب الناس ، وتفاوتهم في الفهم ، فمن المفهوم ما جلَّت له الآية والحديث ، ودلَّت عليه في عرف اللسان ، وثَمَّ أفهامٌ أُخرُ باطنةٌ تُفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله تعالىٰ عليه ؛ إذ قد ورد في الحديث النبوي : « إنَّ لكلِّ آيةٍ ظاهِراً وباطِناً ، وحَدّاً ومَطلَعاً إِلىٰ سَبعةِ أَبْطنٍ ، وإلىٰ سَبعينَ »[1] ، **فالظاهرُ** هو المعقول والمقبول من العلوم النافعة التي تكونُ بها الأعمالُ الصالحة ، **والباطن** هو المعارف الإلـٰهية ، **والمطلعُ** هو معنىً يتَّحدُ فيه الظاهر والباطن والحدُّ ، فيكون طريقاً إلى الشهود الكلي الذاتي .

فافهم يا أخي ، ولا يصدَّنَّكَ عن تلقِّي هـٰذه المعاني الغريبة عن فهوم العلوم من هـٰذه الطائفة الشريفة قولُ ذي جدلٍ ومعارضة : إنَّ هـٰذا إحالةٌ لكلامِ الله تعالىٰ ، وكلامِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه ليس ذلك بإحالةٍ ، وإنَّما يكونُ إحالةً لو قالوا : لا معنىٰ للآية الشريفة أو الحديث إلا هـٰذا الذي قلناه ، وهم لم يقولوا ذلك ، بل يُقرُّون الظواهر علىٰ ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ، ويفهمون عن الله تعالىٰ في نفوسهم ما يُفهمُهم بفضله ويفتحُهُ علىٰ قلوبهم برحمته ومنَّته .

ومعنى الفتح في كلام هـٰؤلاء القوم حيث أطلقوه : كشفُ حجاب النفس ، أو القلب ، أو الروح ، أو السرِّ لما جاء به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب العزيز والأحاديث الشريفة ؛ إذِ الوليُّ لا يأتي قطُّ بشرعٍ جديد ، وإنَّما يأتي بالفهم الجديد في الكتاب والسنة الذي لم يكن يُعرف لأحدٍ قبله ؛ ولذلك يستغربُهُ كلَّ الاستغراب مَنْ لا إيمانَ له بأهل الطريق ، ويقول : هـٰذا لم يقلْه أحدٌ ، علىٰ وجه الذمِّ ، وكان الأولىٰ أخذَهُ منه علىٰ وجهِ الاعتقاد ، واستفادته من قائله .

ومن كان شأنه الإنكار لا ينتفعُ بأحدٍ من أولياء عصره ، وكفىٰ بذلك خسراناً مُبيناً .

وربَّما يفهم المعترضُ من اللفظ ضدَّ ما قصدَهُ لافظُهُ ؛ كما وقع لشخصٍ من علماء

---

(١) أخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٧٥) ، والبزار في « مسنده » (٢٠٨١) ، والطبري في « تفسيره » (١/٢٣) ، والبغوي في « شرح السنة » (١/٢٦٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود دون قوله : « إلىٰ سبعة أبطن وإلىٰ سبعين » .

بغداد ؛ أنه خرج يوماً إلى الجامع ، فسمع شخصاً من شربة الخمر ينشد[١] : [من الوافر]

إِذَا العُشْـرُونَ مِـنْ شَعْبَانَ وَلَّـتْ فَـوَاصِـلْ شُـرْبَ لَيْلِـكَ بِـالنَّهَـارِ
وَلا تَشْـرَبْ بِـأَقْـدَاحٍ صِغَـارٍ فَـإِنَّ ٱلْـوَقْـتَ ضَـاقَ عَـنِ الصِّغَـارِ

فخرج هائماً علىٰ وجهه في البراري إلىٰ مكَّةَ ، فلم يزل علىٰ ذلك الحالِ إلىٰ أن مات .

فما منعَ من سماع الأشعار والتغزلات إلا المحجوبُ الذي لم يفتحِ الله تعالىٰ عين فهمِ قلبِهِ ؛ إذ لو فتحَ الله تعالىٰ عينَ فهمِ قلبِهِ لنظر بصفاء الهمَّةِ ، وسمعَ بثاقب الفهم ونور المعرفة ، وأخذ الإشارة من معاني الغيب ، واتَّبع أحسنَ القول بحسب ما سبق إلىٰ سرِّه ، قال تعالىٰ : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٧ـ١٨] .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : (ولقد ابتلى اللهُ تعالى هـٰذه الطائفةَ الشريفةَ بالخَلْقِ ، خصوصاً بأهل الجدال ، فقلَّ أن تجدَ منهم أحداً شرحَ الله صدرَهُ للتصديق بوليٍّ معين ، بل يقول لك : نعم ، نعلمُ أنَّ لله تعالىٰ أولياءَ وأصفياءَ موجودين ، ولـٰكن أين هم ؟! فلا تذكرُ له أحداً ، إلا وأخذ يدفعُهُ ، ويردُّ خصوصية الله تعالىٰ له ، ويُطلق اللسان بالاحتجاج علىٰ كونه غيرَ وليٍّ لله تعالىٰ ، وغاب عنه أنَّ الوليَّ لا يعرفُ صفاتِهِ إلا الأولياءُ ، فمن أين لغيرِ الوليِّ نفيُ الولاية عن إنسان ؟!

ما ذاك إلا محضُ تعصُّب ، كما نرىٰ في زماننا هـٰذا من إنكار ابنِ تيمية علينا ، وعلىٰ إخواننا من العارفين .

فاحذرْ يا أخي ممن كان هـٰذا وصفه ، وفرَّ من مجالسته فرارك من السبع الضاري ، جعلنا الله وإيَّاكم من المصدِّقين لأوليائه ، المؤمنين بكراماتهم ، بمنِّه وكرمه) انتهىٰ .

وحكى الموصلي في كتاب « مناقب الأبرار » عن الفُضيل بن عياض رضي الله عنه : أنه كان يقول : (إيَّاكَ ومجالسةَ القرَّاء ؛ فإنَّهم إنْ أحبُّوك وصفوك بما ليس فيك ، فغطوا عليك عيوبَك ، وإن أبغضوك جَرحوك بما ليس فيك وقبله الناسُ منهم)[٢] .

---

(١) البيتان لأحمد بن علي المشكهري . انظر « خريدة القصر » (قسم الشام) (٢/٢٤٨) .
(٢) مناقب الأبرار (١/٩) ، وفيه : (تباعدْ من القرَّاء) .

قال سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : (وقد جرت سُنةُ الله تعالىٰ في أنبيائه وأصفيائه أن يسلِّطَ عليهم الخلقَ في مبتدأ أمرهم ، وفي حال نهايتهم كلما مالت قلوبُهم لغير الله تعالىٰ ، ثم تكونُ الدولةُ والنصرة لهم في آخر الأمر إذا أقبلوا على الله تعالىٰ كلَّ الإقبال) انتهىٰ .

قلت : وذلك لأنَّ المريدَ السالك يتعذَّرُ عليه الخلوصُ والسيرُ إلىٰ حضرة الله عز وجل مع ميلِهِ إلى الخلق ، وركونِهِ إلى اعتقادهم فيه ، فإذا آذاه الناس ، وذمُّوه ونقصوه ، ورموه بالبهتان والزور . . نفرتْ نفسُهُ منهم ، ولم يصرَّ عنده ركونٌ إليهم أَلبتة ، وهناك يصفو له الوقتُ مع ربِّه ، ويصحُّ له الإقبالُ عليه ؛ لذهاب التفاته إلىٰ وراء[1] ، فافهم .

ثم إذا رجعوا بعد انتهاء سيرهم إلىٰ إرشاد الخلق يرجعون وعليهم خلعةُ الحلم ، والعفو ، والستر ، فتحمَّلوا أذى الخلق ، ورضوا عن الله تعالىٰ في جميع ما يصدرُ عن عباده في حقِّهم ، فرفع الله بذلك قدرَهم بين عباده ، وكمَّل بذلك أنوارَهم ، وحقَّق بذلك ميراثَهم للرسل في تحمُّل ما يَرِدُ عليهم من أذى الخلق ، وظهر بذلك تفاوتُ مراتبهم ؛ فإنَّ الرجل يُبتلىٰ علىٰ حسب دينه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ [السجدة : ٢٤] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [الأنعام : ٣٤] ؛ وذلك لأنَّ الكُمَّلَ لا يخلو أحدُهم عن هـٰذين الشهودين ؛ إما أن يشهدَ الحقَّ تعالىٰ بقلبه ، فهو مع الحقِّ لا التفات له إلىٰ عباده ، وإما أن يشهدَ الخلقَ ، فيجدهم عبيدَ الله تعالىٰ ، فيكرمهم لسيِّدهم ، وإن كان مصطلماً فلا كلامَ لنا معه ؛ لزوال تكليفه حالَ اصطلامه .

فعلم : أنه لا بدَّ لمن اقتفىٰ آثارَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الأولياء والعلماء . . أن يُؤذىٰ كما أُوذوا ، ويُقال فيه البهتانُ والزور كما قيل فيهم ؛ ليصبر كما صبروا ، ويتخلَّق بالرحمة على الخلق ، رضي الله عنهم أجمعين .

وسمعت سيدي علياً الخوَّاصَ رضي الله عنه يقول : (لو أنَّ كمالَ الدعاةِ إلى الله

---

(١) في (هـ ، و ، ط) : (لعدم التفاته) بدل (لذهاب التفاته) .

تعالىٰ كان موقوفاً علىٰ إطباق الخلق عليهم علىٰ تصديقهم.. لكان الأولىٰ بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والأنبياءُ قبله ، وقد صدَّقهم قومٌ وهداهم الله بفضله ، وحُرم آخرون فأشقاهم الله تعالىٰ بعدله .

ولما كان الأولياء والعلماء علىٰ أقدامِ الرسل عليهم الصلاة والسلام في مقام التأسِّي بهم(١).. انقسمَ الناس فيهم فريقين ؛ فريقٌ معتقدٌ مُصدِّق ، وفريقٌ منتقدٌ مكذِّب ، كما وقعَ للرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ ليحقِّقَ اللهُ تعالىٰ بذلك ميراثهم ، فلا يصدِّقُهم ويعتقدُ صحَّةَ علومهم وأسرارهم إلا من أراد الله عز وجل أن يُلحقَهُ بهم ، ولو بعد حين ، وأما المكذِّب لهم ، المُنكر عليهم فهو مطرودٌ عن حضرتهم ، لا يزيده اللهُ تعالىٰ بذلك إلا بعداً .

وإنما كان المعترفُ للأولياء والعلماء بتخصيصِ الله تعالىٰ لهم ، وعنايتِهِ بهم ، واصطفائِهِ لهم.. قليلاً من الناس ؛ لغلبة الجهل بطريقهم ، واستيلاء الغفلة ، وكراهةِ غالب الناس أن يكون لأحدٍ عليهم شرفٌ بمنزلة أو اختصاصٍ ؛ حسداً من عند أنفسهم .

وقد نطق الكتاب العزيز بذلك في حقِّ قوم نوح عليه الصلاة والسلام فقال : ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود : ٤٠] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هود : ١٧] ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٧] وقال الله تعالىٰ : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] ، وغير ذلك من الآيات) .

وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول : (ومن أين لعامَّةِ الناس أن يعلموا أسرارَ الحقِّ تعالىٰ في خواصِّ عباده من الأولياء والعلماء ، وشروقِ نوره في قلوبهم ؛ ولذلك لم يجعلهم إلا مستورين عن غالب خلقه لجلالتهم عنده ، ولو كانوا ظاهرين فيما بينهم وآذاهم إنسانٌ.. لكان قد بارز الله تعالىٰ بالمحاربة ، فأهلكه الله تعالىٰ ، فكان سترُهُم عن الخلق رحمةً بالخلق ، ومن ظهر من الأولياء للخلق إنَّما ظهر لهم

---

(١) **علىٰ أقدام الرسل** ؛ أي : علىٰ طريقة الرسل .

من حيث ظاهرُ علمه ، ووجود دلالته ، وأما من حيث سرُّ ولايته فهو باطنٌ لم يزل) .

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : (لكلِّ وليٍّ سترٌ أو أستار ، نظير السبعين حجاباً التي وردتْ في حقِّ الحق تعالىٰ ، حيث إنه تعالىٰ لم يُعرف إلاَّ من ورائها[1] ، فكذلك الولي .

فمنهم : من يكون ستره بالأسباب ، **ومنهم** : من يكون ستره بظهور العزَّةِ ، والسطوة ، والقهر ، علىٰ حسب ما يتجلَّى الحقُّ تعالىٰ لقلبه ، فيقول الناس : حاشا أن يكونَ هـٰذا وليّاً لله تعالىٰ وهو في هـٰذه النفس ؛ وذلك لأنَّ : الحقَّ تعالىٰ إذا تجلَّىٰ علىٰ قلبِ العبدِ بصفةِ القهر كان قهَّاراً ، أو بصفةِ الانتقام كان مُنتقماً ، أو بصفة الرحمة والشفقة كان رحيماً مُشفقاً ، وهـٰكذا .

ثم لا يصحب ذلك الوليَّ الذي ظهر بمظهر العزِّ والسطوة والانتقام من المريدين إلا من محقَ اللهُ تعالىٰ نفسَه وهواه ، ولم يزل في كلِّ عصرٍ وأوانٍ أولياءُ وعلماء تذلُّ لهم ملوكُ الزمان ، ويقابلونهم بالسمع والطاعة والإذعان .

ومنهم : من يكون سترُهُ بالاشتغال بالعلم الظاهر ، والجمود علىٰ ظاهر النقول ، حتَّىٰ لا تكادُ تُخرجه عن آحاد طلبةِ العلم القاصرين .

ومنهم : من يكون سترُهُ بالمزاحمة على الدنيا ، والتظاهر بحبِّ الرياسة ، والملابس الفاخرة ، وهو علىٰ قدم عظيمٍ في الباطن .

ومنهم : من يكون سترُهُ كثرةَ التردُّدِ إلى الملوك والأمراء والأغنياء ، وسؤالهم الدنيا ، وطلبه الوظائف ، من تدريسٍ ، وخطابة ، وإمامةٍ ، وعمالة ، ونحو ذلك ، ليقوم فيها بالعدل ، ويتصرَّفُ في ذلك بالمعروف على الوجه الذي لا يهتدي إلىٰ معرفته غيرُهُ من الأمراء والعمال وآحاد الفقهاء ، ثم لا يأكل هو من معلومها شيئاً ، أو يأكلُ منه سدَّ الرمق لا غير ، فيقول القاصرُ في الفهم والإدراك : لو كان هـٰذا وليّاً لله عز وجل

---

(١) روى الطبراني في « الأوسط » (٦٤٠٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سألتُ جبريلَ : هلْ ترَىٰ ربَّكَ ؟ قالَ : إنَّ بَيْنِي وبينَهُ سبعينَ حِجاباً منْ نُورٍ ، لوْ رأيتُ أدناهَا لاحترقتُ » . وانظر « مجمع الزوائد » (١/ ٧٩) .

ما تردَّدَ إلىٰ هـٰؤلاء الأمراء ، ولجلس في زاويته أو بيته يشتغلُ بالعلم ، وبعبادة ربِّه عز وجل ، ورحم الله تعالى الأولياء الذين كانوا ، ونحو ذلك من ألفاظ الجور .

ولو استبرأ هـٰذا القائل لدينه وعرضه لتوقَّف وتبصَّرَ في أمرِ هـٰؤلاء الأولياء والعلماء قبل أن ينتقدَ عليهم ، فربَّما كان تَرَدُّدُهم لكشفِ ضرٍّ ، أو خلاصِ مظلوم من سجنٍ ، أو قضاء حاجةٍ لأحدٍ من عباد الله العاجزين الذين لا يستطيعون توصيل حوائجهم إلىٰ تلك الأمراء ، فيسألون في ذلك مَنْ يعتقدون فيه من الأولياء والعلماء ، فيجبُ عليهم الدخولُ لتلك المصالح ، ويحرمُ عليهم التخلُّف عنهم ، لا سيما إن رأينا ذلك المتردِّدَ من الأولياء والعلماء زاهداً فيما في أيديهم ، متعزِّزاً بعزِّ الإيمان وقتَ مجالستهم ، آمراً لهم بالمعروف ، ناهياً لهم عن المنكر ، لا يقبلُ هديةً ممن شفعَ له عندهم ؛ فإن هـٰذا من المحسنين ، ولا يجوز لأحدٍ الاعتراضُ عليه بسبب ذلك) .

وقد سمعتُ سيدي عليّاً الخوَّاصَ رضي الله عنه يقول : (إذا علم الفقيرُ من أمراء الجَور أنَّهم يقبلون نُصحَهُ لهم ، وشفاعتَهُ عندهم . . وجبَ عليه صحبتُهم ، والدخولُ إليهم ، وصاحبُ النُّور يعرف ما يأتي وما يذر) . انتهىٰ .

قلت : ومن الأولياء من يكون سترُهُ قبولَه من الخلق ما يعطونه له من الهدايا والصدقات ، ثم يخلطُ عليه من ماله ، ويُعلِمُ الناسَ بأنَّ ذلك كلَّه من صدقات الناس الأجانب ، ويمدحُ الناسَ الذين أعطوه بالكرم ، ويوهمُ الناسَ أنه انتقصَ من ذلك المال لنفسِهِ وعياله من وراء الفقراء أشياء ؛ بنحو قوله : مَنْ يقدرُ في هـٰذا الزمان أن يأخذَ مالاً ويفرِّقَهُ على الفقراء ولا يحدِّثُ نفسَه بانتقاص شيءٍ منه ، ولا يسعنا كلَّنا إلا العفو ، ويكون مأكولاً مذموماً ؟!

وهـٰذا من أكبر أخلاق الرجال الذين أخلصوا في معاملة الله عز وجل ؛ فإنه لا يهتدي أحدٌ إلىٰ كماله الذي هو عليه في باطن الحال مع ظهور احتقاره في أعين الناس ، واستهانتِهم به ؛ فإن الرجل إذا قَبِلَ من الخلق صَغُرَ في أعينهم ضرورةً ، كما أنَّ من ردَّ عليهم كَبُرَ في أعينهم ، ولعلَّ ذلك الرادَّ إنَّما ردَّ رياءً وسمعةً ، واستئلافاً لقلوب الناس عليه ؛ ليتوجَّهوا إليه بالتعظيم والتبجيل ، ويطلقوا ألسنتهم فيه بالثناء الحسن ، وقد قال الفُضيل بنُ عياض رحمه الله : **مَنْ طلبَ الحمدَ من الناس بتركِهِ**

الأخذَ منهم . . فإنَّما يعبدُ نفسَهُ وهواه ، وليس من الله في شيء .

قلت : ومعنىٰ يعبد : يطيع .

وكان يقول أيضاً : (ينبغي لمن يخافُ علىٰ نفسه من فتنةِ الردِّ أن يأخذ ، ثم يعطيه سرّاً لمن يستحقُّه ، ولا يأخذ هو لنفسه منه شيئاً ؛ فإنَّه بذلك يأمنُ من الفتنة إن شاء الله تعالىٰ) .

قال الشيخ مُحيي الدين رحمه الله تعالىٰ : وممَّا يفتحُ باب قلَّةِ الاعتقاد في أولياء الله تعالىٰ . . وقوعُ زلَّةٍ ممن تزيَّا بزيِّهم ، وانتسب إلىٰ مثلِ طريقهم ، والوقوفُ مع ذلك من أكبر القواطع عن الله عز وجل ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٨] ، وقال : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام : ١٦٤] ، فمن أين يلزمُ من إساءة واحدٍ أن يكونَ جميعُ أهل حرفته كذلك ؟! ما هٰذا إلا محضُ عنادٍ وتعصُّبٍ بباطل) ، كما قلت في ذلك : [من الخفيف]

استتارُ الرجالِ فِي كلِّ عصرٍ تحتَ سوءِ الظُّنونِ قَدْرٌ جليلُ
مَا يضُرُّ الهلالَ فِي حِنْدِسِ اللَّيْـ ـلِ سَوادُ السَّحابِ وهْوَ جميلُ

قلت : ومن أشدِّ حجابٍ عن معرفة أولياء الله عز وجل شهودُ المماثلة والمشاكلة ، وهو حجابٌ عظيم ، قد حجبَ اللهُ تعالىٰ به الأكثرين من الأوَّلين والآخرين ، كما قال تعالىٰ حاكياً عن قوم : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾[1] [المؤمنون : ٣٣] ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ ﴾ [القمر : ٢٤] ؛ يعني : لم نرَ أحداً يوافقه علىٰ ما يدَّعيه ، ويأمرنا به ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٧] ونحو ذلك .

ولٰكنْ إذا أراد الله عز وجل أن يُعرِّفَ عبداً من عبيده بوليٍّ من أوليائه ؛ ليأخذَ عنه الأدب ، ويقتدي به في الأخلاقِ . . طوىٰ عنه شهود بشريَّتِهِ ، وأشهدَهُ وجهَ الخصوصية فيه ، فيعتقده بلا شكٍّ ، ويحبُّه أشدَّ المحبة ، وأكثرُ الناس الذين يصحبون الأولياء لا يشهدون منهم إلا وجهَ البشرية ؛ فلذلك قلَّ نفعُهم ، وعاشوا عمرَهُم كلَّه معهم ، ولم ينتفعوا منهم بشيءٍ .

---

(١) في النسخ : (وقالوا : ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) .

وقد اقتضت الحكمةُ الإلـٰهية عدمَ اتفاق الخلقِ كلِّهم على الاعتقادِ في واحدٍ منهم ، والإذعان له ، وفي ذلك سرٌّ خفيٌّ ؛ لأنَّه لو كان الخلقُ كلُّهم مصدِّقين لذلك الولي . . لفاته أجرُ الصبرِ علىٰ تكذيب المكذِّبين له ، ولو كانوا كلُّهم مكذِّبين له . . لفاته الشكرُ علىٰ تصديق المصدِّقين له والمقتفين لآثاره ، فأراد الحقُّ تعالىٰ بحسن اختياره لأوليائه أن يجعلَ الناسَ فيهم قسمين ، كما تقدَّمَ[1] ؛ معتقدٌ مصدِّق ، ومنتقدٌ مكذِّب ؛ ليتعبَّدوا الله عز وجل فيمن صدَّقهم بالشكر ، وفيمن كذَّبهم بالصبر ؛ إذ الإيمان نصفان ؛ نصفٌ صبرٌ ، ونصفٌ شكرٌ .

وسمعت سيدي علياً الخوَّاصَ رضي الله عنه يقول : (النفسُ إذا مُدحتِ اتَّسخت ، وإذا ذُمَّتْ نظفت) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إيَّاك أن تُصغي لقولِ مُنكرٍ علىٰ أحدٍ من طائفة العلماء أو الفقراء فتسقط من عينِ رعاية الله عز وجل ، وتستوجب المقتَ من الله عز وجل) .

وكان الجُنيد رضي الله عنه يقول : (من قعدَ مع هؤلاء الفقراء وخالفهم في شيءٍ مما يتحقَّقون به . . نزعَ اللهُ تعالىٰ منه نورَ الإيمان) .

قلتُ : ومرادُهُ نور الإيمان بذلك الكلام الذي خالفهم فيه ، لا نور سائر أنواع الإيمان ؛ كالإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر . فافهم .

ونظيرُ ذلك : « لا يَزنِي الزانِي حينَ يَزنِي وهوَ مؤمنٌ »[2] ؛ أي : بأنَّ الله يراه حالَ الزنا ، وهـٰكذا .

وإنما نهى القوم عن المنازعة ؛ لأنَّ علومَهم مواجيدُ لا نقلَ فيها ، ومن كان يُخبرُ عما يُعاين ويشاهد لا يجوزُ للسامعِ مُنازعتُهُ فيما أتىٰ به ، بل يجبُ عليه التصديقُ به إن كان مريداً ، والتسليمُ له إن كان أجنبيّاً ؛ فإنَّ علومَ القوم لا تَقبلُ المنازعةَ ؛ لأنها وراثةٌ نبوية ، وفي الحديث : « عندَ نبيٍّ لا ينبغِي التنازعُ »[3] ، ونهىٰ صلى الله عليه وسلم

---

(١) تقدم (١/١٠١) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٧٢) ، ومسلم (٥٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري (١١٤) ، ومسلم (١٦٣٧/ ٢٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

عن الجدالِ ، وقال في المجادل : « فليتبوَّأْ مَقعَدَهُ منَ النارِ »[١] .

وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول : (أصلُ منازعة الناس في المعارف الإلـٰهية ، والإشارات الربانية . . كونُها خارجةً عن طور العقول ، ومجيئها بغتةً من غيرِ نقلٍ ونظر ، ومن غير طريق العقل ، فتنكَّرتْ على الناس من حيث طريقُها ، فأنكروها وجهلوها ، ومن أنكر طريقاً من الطُّرقِ عادىٰ أهلها ضرورةً ؛ لاعتقاده فسادَها ، وفسادَ عقائد أهلها ، وغاب عنه : أنَّ الإنكار من الجحود ، والعاقل يجبُ عليه أن يُغيِّر مُنكرَ إنكاره ليخرجَ عن طور الجحود ؛ فإن الأولياء والعلماء العاملين قد جلسوا مع الله عز وجل علىٰ حقيقة التصديق ، وعلى الصدق والتسليم ، والإخلاص ، والوفاء بالعهود ، وعلىٰ مراقبة الأنفاس مع الله عز وجل حتىٰ سلَّموا قيادَهم إليه ، وألقوا نفوسَهم سلماً بين يديه ، وتركوا الانتصارَ لنفوسهم في وقتٍ من الأوقات حياءً من ربوبية ربهم عز وجل ، واكتفاءً بقيُّوميَّتِهِ عليهم ، فقام لهم فيما يقومون لأنفسهم ؛ بل أعظم ، وكان تعالىٰ هو المحاربَ عنهم لمن حاربهم ، والغالبَ لمن غالبهم) .

قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : (ولمَّا علمَ الله عز وجل ما سيُقالُ في هـٰذه الطائفة علىٰ حسبِ ما سبقَ به العلم القديم . . بدأ سبحانه وتعالىٰ بنفسِهِ ؛ فقضىٰ علىٰ قومٍ أَعرض عنهم بالشقاء ، فنسبوا إليه زوجةً وولداً وفقراً ، وجعلوه مغلولَ اليدين ، فإذا ضاقَ ذرعُ الوليِّ ، أو الصدِّيق لأجل كلامٍ قيل فيه ؛ من كفرٍ وزندقة ، وسحرٍ وجنون ، وغير ذلك . . نادته هواتفُ الحقِّ في سرِّه : الذي قيل فيك هو وصفُك الأصلي لولا فضلي عليك ، أما ترىٰ إخوتك من بني آدم كيفَ وقعوا في جنابي ، ونسبوا إليَّ ما لا ينبغي لي ؟! فإن لم ينشرحْ لما قيل فيه ، بلِ انقبضَ نادته هواتف الحقِّ أيضاً : أما لك بي أسوةٌ ؟! فقد قيل فيَّ ما لا يليق بجلالي ، وقيل في حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي إخوانه من الأنبياء والرسل ما لا يليق بمرتبتهم ؛ من السحر والجنون ، وأنهم لا يُريدون بدعائهم إلا الرياسةَ والتفضيل عليهم .

---

(١) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٩/ ٢٠٤) ، وابن طاهر المقدسي في « ذخيرة الحفاظ » (٥١٥٨) ، وقال : (رواه يحيى بن عبيد الله ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، ويحيىٰ ليس بشيء) .

وانظر يا أخي مداواةَ الحقِّ جلَّ وعلا لمحمد صلى الله عليه وسلم حين ضاقَ صدره من قول الكفار ، بقوله تعالىٰ : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ * وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٨ـ٩٩] .

فيجب عليك أيُّها الوليُّ الاقتداءُ برسولك صلى الله عليه وسلم في ذلك ؛ إذ هو طِبٌّ إلـٰهيٌّ ، ودواءٌ ربَّاني ، وهو مزيلٌ لضيق الصدر الحاصل من أقوال الأغيار أهلِ الإنكار والاغترار ؛ وذلك لأن :

التسبيح : هو تنزيهُ اللهِ تعالىٰ عمَّا لا يليق بكماله ؛ بالثناء عليه تعالىٰ بالأمور السلبية ، ونفي النقائص عن الجناب الإلـٰهي ؛ كالتشبيه ، والتحديد .

وأما التحميدُ : فهو الثناءُ على الله تعالىٰ بما يليقُ بجماله وجلاله ، وهما مزيلان لمرض ضيقِ الصدر الحاصلِ من قول المنكرين والمستهزئين .

وأما السجودُ : فهو كنايةٌ عن طهارة العبد من طلب العلوِّ والرِّفعة ؛ لأن الساجدَ قد فني عن صفة العلوِّ حالَ سجوده ؛ ولذلك شُرع للعبدِ أن يقول في سجوده : « سبحانَ ربِّي الأعلَىٰ وبحمدِهِ »(١) .

وأما العبودية المشار إليها بقوله : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] : فالمرادُ بها إظهارُ التذلُّلِ ، والتباعد عن طلب العزِّ ، وهي إشارةٌ إلىٰ فناء العبد ذاتاً ، ووصفاً ، وذلك موجبٌ لخِلَعِ القُرب والاصطفاء والعزِّ .

والدنوُّ : المُشار إليه بقوله تعالى : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ [العلق : ١٩] ، وبحديث : « لا يزالُ عبدِي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتَّىٰ أُحِبهُ ، فإذَا أحببْتُهُ كنتُ لهُ سَمعاً وَبصراً . . . »(٢) الحديث .

والنوافلُ : عند أهل الطريق إشارةٌ إلىٰ فناء العبد في شهود نفسه عند شهود ربِّه عز وجل .

وأما اليقين : فهو من يقنَ الماءُ في الحوض إذا استقرَّ ، وذلك إشارةٌ إلىٰ حصول

---

(١) أخرجه أبو داود (٨٧٠) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

السكون ، والاستقرار ، والاطمئنان بزوالِ التردُّدِ ، والشكوك والوهم ، والظنون) .

قال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه : (وهٰذا السكون ، والاستقرار ، والاطمئنان إذا أُضيفَ إلى العقل والنفس يُقال له : علمُ اليقين ، وإذا أُضيف إلى الروح الروحاني يُقال له : عين اليقين ، وإذا أُضيف إلى القلبِ الحقيقي يُقال له : حقُّ اليقين ، وإذا أُضيف إلى السرِّ الوجودي يُقال له : حقيقةُ حقِّ اليقين ، ولا تجتمع هٰذه المراتبُ كلُّها إلا في الكامل من الرجال) انتهىٰ .

وكان الجُنيد رحمه الله تعالىٰ يقول كثيراً للشِّبلي رحمه الله تعالىٰ : (لا تُفشِ سرَّ الله تعالى بين المحجوبين)[١] .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا ينبغي لفقير قراءةُ كُتبِ التوحيد الخاصِّ إلا بين المصدِّقين لأهل الطريق ، أو المُسَلِّمينَ لهم ، وإلا يُخاف حصولُ المقت لمن كذَّبهم) .

وقد تقدَّمَ[٢] عن أبي تُراب النَّخْشي رضي الله عنه ؛ أنه كان يقول في حقِّ المحجوبين من أهل الإنكار : (إذا ألفَ القلبُ الإعراضَ عن الله تعالىٰ صحبته الوقيعةُ في أولياء الله) .

قلت : وذلك لأنَّه لو كان من المُقبلين بقلوبهم علىٰ حضرةِ الله تعالىٰ لشمَّ روائح أهل حضرة ربِّه ، فتأدَّبَ معهم ، ومدحهم ، وأحبَّهم ، وخدمَ نعالَهم حتىٰ يُقرِّبوه إلىٰ حضرتهم ، ويصيرَ مثلَهم ، كما هو شأن من يريدُ التقرُّبَ إلىٰ ملوك الدنيا .

قلت : ومن هنا : أخفى الكاملون من أهلِ الطريق الكلامَ في مقامات التوحيد الخاصِّ ؛ شفقةً علىٰ عامة المسلمين ، ورفقاً بالمجادلِ من المحجوبين ، وأدباً مع أصحاب ذلك الكلام من أكابر العارفين .

فكان الجنيد رضي الله عنه لا يتكلَّمُ قطُّ في علم التوحيد إلا في قعر بيته[٣] ، بعد أن

---

(١) في (أ) : (لا تفش سرك) بدل (لا تفش سرَّ الله) .

(٢) انظر (١/ ٩٥) .

(٣) في (أ) وحدها : (داخل بيته) .

يُغلقَ أبواب داره ، ويأخذ مفاتيحها تحت فخذه ، ويقول : أتحبُّون أن يكذِّبَ الناسُ أولياءَ الله تعالىٰ وخاصَّته ، ويرمونهم بالزندقة والكفر ؟!

وكان سببُ فعله ذلك تكلُّمَهم فيه كما سيأتي آخر هـٰذه المقدمة[١] ، فكان بعد ذلك يتسترُ بالفقه إلىٰ أن مات رضي الله عنه .

وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول : (من لم يقمْ بقلبه التصديقُ لما يَسمعُهُ من كلام هـٰذه الطائفة . . فلا يجالسْهم ؛ فإنَّ مجالستَهم من غيرِ تصديقٍ سمٌّ قاتلٌ) .

وكان سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالىٰ يقول : (كثيرٌ من كلام الصوفية لا يتمشَّىٰ ظاهرُهُ إلا علىٰ قواعد المعتزلة والفلاسفة ، فالعاقلُ لا يبادرُ إلى الإنكار بمجرَّدِ عزوِ ذلك الكلام إليهم ، بل ينظرُ ويتأمَّلُ في أدلَّتهم التي استندوا إليها ، فما كلُّ ما قاله الفلاسفة والمعتزلة في كتبهم يكون باطلاً ، وإنما حذَّرَ بعضُهم من مطالعة كتبهم خوفاً من حصول شبهةٍ تقعُ في قلب الناظر ، لا سيما في الإلهيات ؛ فإن خطأهم فيها أكثر من إصابتهم لا غير) انتهى .

ورأيتُ في رسالةِ سيدي الشيخ محمد المغربي الشاذلي رضي الله عنه ما نصه : (**اعلم** : أنَّ طريقَ القوم مبنيٌّ علىٰ شهود الإثبات ، وعلىٰ ما يَقرُب من طريق المعتزلة في بعض الحالات ، وهي حالةُ شهودِ غيبة الصفات في شهود وحدة جمال الذات ، حتىٰ كأنْ لا صفات ، وهـٰذه الحالةُ وإن كان غيرُها أرفعَ منها فهي عزيزةُ المرام ، شديدةُ الإيهام ، موقعةٌ في سوء الظنِّ في السادة الكرام ؛ لشبهها بمذهبِ المعتزلة ، ولا شبهةَ في تلك الحالة ، فليتنبَّهِ السالكُ لذلك ، وليحذرْ من الوقيعة في القومِ ؛ فإنها من أعظم المهالك) انتهىٰ .

قلتُ : ومن الأولياء من سدَّ بابَ الكلام في دقائق كلام القوم حتَّىٰ مات ، وأحال ذلك على السلوك ، وقال : مَنْ سلكَ طريقَهم اطَّلَعَ علىٰ ما اطَّلعوا عليه ، وذاق كما ذاقوا ، واستغنىٰ عن سماع كلام الناس ، وسيأتي في ترجمة أبي عبد الله القُرشي رضي الله عنه : أنَّ أصحابه طلبوا منه أن يُسمعَهم شيئاً من علم الحقائق ، فقال

---

(١) سيأتي (١/ ١١٨) .

لهم : كم أصحابي اليوم ؟ قالوا ست مئة رجل ، فقال الشيخ : اختاروا لكم منها[١] مئة ، فاختاروا ، فقال : اختاروا من المئة عشرين ، فاختاروا ، فقال : اختاروا من العشرين أربعةً ، فاختاروا .

قلت : وكان هٰؤلاء الأربعةُ أصحابَ كشوفات ومعارف .

فقال الشيخ : لو تكلَّمتُ عليكم في علم الحقائق والأسرار لكان أولَ من يُفتي بقتلي هٰؤلاء الأربعة . انتهىٰ .

قلتُ : ولا يجوز أن يعتقدَ في هٰؤلاء السادة أنَّهم زنادقةٌ في الباطن لكتمهم ما هم متحقِّقون به في الباطن عن العلماء والعوام ، وإنما يجبُ علينا حملُهم على المحامل الحسنة من كوننا جاهلين باصطلاحهم ؛ فإنَّ من لم يدخل حضرتَهم لا يعرف حالَهم ، فما أغلقوا أبوابهم عليهم في حالةِ تقريرهم للعلم إلا لكون غورِ بحرِ ذلك العلم عميقاً علىٰ غالب الناس من العلماء ، فضلاً عن غيرهم ، كما تقدم[٢] عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : أنَّه كان إذا أتاه سؤالٌ متعلِّقٌ بالقوم يُرسل إلىٰ أبي حمزة البغدادي رضي الله عنه ويقول : ما تقولُ في هٰذا يا صوفي ؟

ولا يسعُ العارفَ أن يتكلَّمَ بكلامٍ واحدٍ يعمُّ سائر الناس على اختلاف درجاتهم ؛ لأنَّ ذلك من خصائص رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، علىٰ نزاعٍ في ذلك أيضاً ؛ فإنه كان يقول : « أُمِرتُ أنْ أُخاطبَ الناسَ علىٰ قَدْرِ عقولِهِمْ »[٣] ، فافهم وتأمل .

فإنَّ مَنْ لا علمَ له بالطريق إذا سمع الفقير يقولُ : حقيقةُ التوبة هي التوبةُ من التوبة . . كيف يقولُ : منطوق هٰذا الكلام وفحواه خطأ ؛ لأنَّ التوبة من التوبة إصرار ، فإذا فسَّرَ له الفقير مراده علىٰ مصطلحه ، وقال : مُرادي عدمُ تزكية النفس ، وعدمُ الاعتماد على التوبة دون رحمة الله عز وجل ، لا الإصرار . . كيف يقولُ له : هٰذا الكلام مليح الآن ، وقد كان أنكره أولاً ؛ لأنَّ من شأن القوم أن يشهدوا أعمالهم بعين الرياء والدعاوي ، ولا يشهدون لهم إخلاصاً .

---

(١) في (و ، ط) : (منهم) .
(٢) تقدم (١/ ٩٤) .
(٣) انظر « المقاصد الحسنة » (١/ ١٦٤) .

ومثلُ ذلك يصحُّ تقرير قول بعضهم : حقيقةُ التقوىٰ هي تركُ التقوىٰ .

ونظيرُ ذلك أيضاً : قولُ سيِّدي عمر بنِ الفارض رضي الله عنه[١] : [من الطويل]

وقلتُ لزهدِي والتنسُّكِ والتُّقىٰ　　تخلَّوا وما بينِي وبينَ الهوَىٰ خلُّوا

وكذلك قوله[٢] : [من الطويل]

تمسك بأذيالِ الهوَىٰ واخلعِ الحَيَا　　وخَلِّ سبيلَ النَّاسكينَ وإنْ جَلُّوا

لأن من لا إلمامَ له بمصطلح أهلِ الطريق يُنكر مثلَ ذلك ، ويقول : ترك الزهد والعبادات والتقوىٰ مذموم ، بل بذلك يذهب دينُ العبدِ كلُّه ، فكيف يجوز اعتقاد صاحب هٰذا الكلام ؟! ولو كان له إلمامٌ بالطريق لعلم أن مُرادَ الشيخ عدمُ الوقوف مع الأعمال دون الله عز وجل .

فإنَّ المنقولَ عن الشيخ رضي الله عنه كثرةُ الزهد ، والعبادات ، والتقوىٰ كما درجَ عليه السَّلفُ الصالح رضي الله عنهم ، وكذلك عن الشيخ محيي الدين بنِ العربي رضي الله عنه ، وأضرابِهِ .

وما بلغنا قطُّ عن أحدٍ من القوم أنَّه نهىٰ أحداً عن الصلاة ، أو الزكاة ، أو الحج ، أو الصوم أبداً ، ولا تعرَّضَ لمعارضةِ شيءٍ من الشرائع ، وكيف يتركُ الوليُّ ما كان سبباً لوصوله إلىٰ حضرة ربِّه ؟! إنما يحثُّ الناسَ على الإكثار من أسباب الوصول ، فما بقي وجهُ الإنكار إلا علىٰ مواجيدهم وأفهامهم ، وتلك أمورٌ لا تُعارضُ شيئاً من صريح السنة ، والأمرُ في ذلك سهل ، فمن شاء فليصدِّقهم ويقتدي بهم ؛ كمقلِّدي المذاهب ، ومن شاء فليسكت ولا ينكر ؛ لأنهم مجتهدون في الطريق ، والمجتهدُ لا يقدح إنكاره علىٰ مجتهد آخر .

ونقل القزويني في كتابه « سراج العقول » عن إمام الحرمَيْنِ : أنه كان يقول حين يُسأل عن كلام غلاة الصوفية : لو قيل لنا : فَصِّلوا ما يقتضي التكفير من كلامهم مما

---

(١) ديوان ابن الفارض (ص ١٣٧) ، ومعنىٰ **تخلَّوا** : تنحَّوا ، **وخلّوا** : اتركونا وشأننا .

(٢) ديوان ابن الفارض (ص ١٣٤) .

لا يقتضيه.. لقلنا : هـٰذا طمعٌ في غيرِ مطمع ؛ فإنَّ كلامَهم بعيدُ المدرك ، وعرُ المسلك ، يَغترفُ من تيارِ بحار التوحيد ، ومن لم يحط علماً بنهايات الحقائق لم يحصل من دلائل التكفير علىٰ وثائق ، كما أنشد بعضُهم في هـٰذا المعنىٰ : [من الطويل]

تـركْنَـا ٱلبِحـارَ ٱلـزاخـراتِ وراءَنَـا فمِنْ أينَ يَدرِي الناسُ أينَ توجَّهْنَا

وسُئل سيدنا ومولانا شيخُ الإسلام تقيُّ الدين السُّبكي رحمه الله تعالىٰ : عن حكم تكفيرِ غلاة المبتدعة ، وأهلِ الأهواء ، والمتفوِّهين بالكلام على الذات المقدس ، فقال رضي الله عنه :

اعلمْ أيُّها السائل : أنَّ كلَّ من خاف من الله عز وجل استعظمَ القولَ بالتكفير لمن يقول : لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله ؛ إذِ التكفيرُ أمرٌ هائلٌ عظيمُ الخطر ؛ لأنَّ من كفَّرَ شخصاً فكأنه أخبرَ أنَّ عاقبته في الآخرة الخلودُ في النار أبدَ الآبدين ، وأنَّه في الدُّنيا مُباحُ الدمِ والمال ، لا يُمكَّنُ من نكاح مسلمةٍ ، ولا يجري عليه أحكامُ المسلمين ، لا في حياته ، ولا بعد مماته ، والخطأُ في تركِ ألفِ كافرٍ أهونُ من الخطأ في سفك محجمةٍ من دمِ امرئ مسلم ، وفي الحديث : « لأَنْ يُخطِئَ ٱلإمامُ في ٱلعَفوِ أَحبُّ إلى اللهِ مِنْ أنْ يُخطِئَ في ٱلعُقوبةِ »[1] .

ثم إنَّ تلك المسائلَ التي يُفتىٰ فيها بتكفير هـٰؤلاء القوم في غاية الدقَّةِ والغموض ؛ لكثرة شُعبها ، واختلافِ قرائنها ، وتفاوت دواعيها ، والاستقصاء في معرفة الخطأ من سائر صنوفِ وجوهه ، والاطلاع علىٰ حقائق التأويل ، وشرائطه في الأماكن ، ومعرفة الألفاظ المحتملة للتأويل ، وغير المحتملة ، وذلك يستدعي معرفةَ جميع طرقِ أهل اللسان من سائر قبائل العرب ، في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ، ومعرفة دقائق التوحيد وغوامضه ، إلىٰ غير ذلك مما هو متعذِّرٌ جداً علىٰ أكابر علماء عصرنا ، فضلاً عن غيرهم ، وإذا كان الإنسانُ يَعْجِزُ عن تحريرِ معتقده في عبارةٍ.. فكيف يحرِّرُ اعتقاد غيره من عبارته ؟! فما بقي الحكم بالتكفير إلا لمن صرَّح بالكفر ، واختارَهُ ديناً ،

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٢٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/٤٢٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

وجحدَ الشهادتين ، وخرجَ عن دين الإسلام جملةً ، وهٰذا نادرٌ وقوعُه ؛ فالأدبُ الوقوفُ عن تكفير أهلِ الأهواء والبدع ، والتسليمُ للقوم في كلِّ شيءٍ قالوه ممَّا لا يُخالفُ صريح النصوص . انتهىٰ كلامُ السُّبكي .

قلت : وقد أخبرني شيخُنا الشيخُ أمين الدين إمامُ جامع الغَمْريِّ بمصر المحروسة : أنَّ شخصاً وقع في عبارةٍ مُوهمةٍ للتكفير ، فأفتىٰ علماءُ مصر بتكفيره ، فلما أرادوا قتلَه قال السُّلطانُ جقمق[1] : هل بقي أحدٌ من العلماء لم يحضر ؟ فقالوا : نعم ، الشيخُ جلال الدين المحلي شارح « المنهاج » ، فأرسل السلطانُ وراءه ، فحضر ، فوجد الرجلَ في الحديد بين يدي السلطان ، فقال الشيخ : ما لهٰذا ؟! فقالوا : كفر . فقال : ما مستندُ من أفتىٰ بتكفيره ؟ فبادر الشيخ صالح البُلقيني ، وقال : قد أفتىٰ والدي شيخُ الإسلام الشيخُ سراج الدين في مثلِ ذلك بالتكفير ، فقال الشيخ جلال الدين رضي الله عنه : يا ولدي ؛ أتريدُ أن تقتل مُسلماً موحِّداً يحبُّ اللهَ ورسوله بفتوىٰ أبيك ؟! حلوا عنه الحديد ، فجرَّدوه ، وأخذه الشيخُ جلال الدين بيده وخرج ، والسلطانُ ينظرُ ، فما تجرَّأَ أحدٌ يتبعه رضي الله عنه .

وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول : (كثيراً ما يهبُّ علىٰ قلوب العارفين نفحاتٌ إلٰهية ، فإن نطقوا بها جهَّلَهُم كُمَّلُ العارفين ، وردَّها عليهم أصحابُ الأدلَّة من أهل الظاهر ، وغاب عن هٰؤلاء : أن الله تعالىٰ كما أعطىٰ أولياءَه الكرامات التي هي فرعُ المعجزات . فلا بدعَ أن يُنطِقَ ألسنتهم بالعبارات التي تعجزُ العلماءُ عن فهمها) انتهى .

قلتُ : ومن شكَّ في هٰذا القول فلينظرْ في كتاب « المشاهد » للشيخ محيي الدين ، أو كتاب « الشعائر » لسيدي محمد وفا ، أو في كتاب « خلع النعلين » لابن قَسِيٍّ ، أو كتاب « عَنقاء مُغْرب » لابن العربي ؛ فإنَّ أكبر العلماء لا يكادُ يفهمُ منه معنىً مقصوداً لقائله أصلاً ، بل هو خاصٌّ بمن دخلَ مع ذلك المتكلّم حضرة القدس ؛ فإنه لسانٌ قدسيٌّ لا يعرفه إلا الملائكة ، أو مَنْ تجرَّدَ عن هيكله من البشر ، أو أصحاب الكشف الصحيح .

---

(١) **جقمق العلائي الظاهري** سيف الدين ؛ أبو سعيد ، من ملوك دولة الشراكسة بمصر والشام والحجاز ، ولي السلطنة بعد خلع العزيز ، فانتظم له الأمر إلىٰ أن توفي بالقاهرة سنة (٨٥٧هـ) ، قال ابن إياس : كان ملكاً عظيماً ، جليلاً ، ديناً ، متواضعاً ، كريماً ، هدأت البلاد في أيامه من الفتن ، وكان فصيحاً بالعربية متفقهاً .

وكان الشيخ عزُّ الدين بنُ عبد السلام رضي الله عنه يقول بعد اجتماعه على الشيخ أبي الحسن الشاذلي وتسليمه للقوم : من أعظمِ الدَّليل علىٰ أنَّ طائفةَ الصوفيةِ قعدوا علىٰ أعظمِ أساسِ الدين ما يقعُ علىٰ أيديهم من الكرامات والخوارق ، ولا يقع شيءٌ من ذلك قطُّ لفقيه ، إلا إن سلكَ مسلكهم كما هو مشاهد .

وكان الشيخ عزُّ الدين رضي الله عنه قبل ذلك يُنكرُ على القوم ، ويقول : هل لنا طريقٌ غير الكتاب والسنة ؟! فلمَّا ذاقَ مذاقهم قطعَ السلسلةَ الحديد بكرَّاسة الورق وصار يمدحُهم كلَّ المدح[١] .

ولما اجتمع الأولياءُ والأصفياء والعلماء في وقعة الإفرنج بالمنصورة[٢] ، قريباً من ثغر دمياط . . جلس الشيخ عزُّ الدين ، والشيخ مكين الدين الأسمر ، والشيخ تقيُّ الدين ابنُ دقيق العيد ، وأضرابُهم ، وقُرئت عليهم « رسالة القشيري » ، وصار كلُّ واحدٍ يتكلَّمُ ؛ إذ جاء الشيخُ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، فقالوا له : نُريدُ أن تُسمعنا شيئاً من معاني هـٰذا الكلام ، فقال : أنتم مشايخُ الإسلام ، وكبراء الزمان ، وقد تكلَّمتم ، فما بقي لكلامِ مثلي موضعٌ ، فقالوا له : لا بدَّ ، فحمدَ الله وأثنىٰ عليه ، وشرعَ يتكلَّمُ ، فصاح الشيخ عزُّ الدين من داخل الخيمة ، وخرج يُنادي بأعلىٰ صوته : هلمُّوا إلىٰ هـٰذا الكلام القريبِ العهد من الله تعالىٰ فاسمعوه .

قال اليافعيُّ رضي الله عنه في كتابه « روض الرياحين » : (والعجبُ كلُّ العجبِ ممَّن يُنكر كرامات الأولياء ، وقد جاءت في الآيات الكريمات ، والأحاديث الصحيحات ، والآثار المشهورات ، والحكايات المستفيضات ، حتىٰ بلغتْ في الكثرة مبلغاً يخرج عن الحصر)[٣] .

---

(١) كذا في النسخ ، وفي « الانتصار للأولياء الأخيار » (ص٥١) ليوسف بن عبد الجليل الموصلي : (فلما ذاق مذاقهم وقطع سلسلة الجدل بكراسة الورع صار يمدحهم كل المدح) .

(٢) **وقعة المنصورة** : كانت سنة (٦٤٨هـ) بين المسلمين بقيادة المعظَّم ، والصليبيين بقيادة الفرنسيس ، وكان النصر مؤزَّراً ؛ إذ تمَّ قتل سبعة آلاف من الصليبيين ، وأَسر نيفٍ وعشرين ألفاً ، منهم الفرنسيس وكبار قوَّاده ، واستشهد من المسلمين مئة نفس .

(٣) روض الرياحين (ص٦٦) .

ثم قال رضي الله عنه : والناس في إنكار الكرامات على أقسام :

منهم : من يُنكرها مُطلقاً ؛ وهم أهلُ مذهبٍ معروفون ، وعن التقوىٰ مَصروفون[١] ، قال بعضهم : هم المجسِّمة .

ومنهم : من يصدِّقُ بكرامات من مضىٰ ، ويكذِّبُ بكرامات أهل زمانه : فهـٰؤلاء كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه كبني إسرائيل ؛ صدَّقوا بموسىٰ حين لم يروه ، وكذَّبوا بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، مع أنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم أعظمُ من موسىٰ ، وإنَّما كان ذلك حسداً منهم وعدواناً ، وشقاءً منهم .

ومنهم : من يُصدِّقُ بأنَّ لله تعالىٰ أولياءَ من أهلِ زمانه ، ولـٰكنْ لا يُصدِّق بأحدٍ معيَّنٍ ، فهـٰذا محرومٌ من الإمدادات ؛ لأنَّ من لم يُسلِّمْ لأحدٍ معين لا ينتفعُ بأحدٍ أبداً ، نسأل الله العافية .

قال : **فإن قيل** : إنَّ هـٰذه الكراماتِ تُشبه السحرَ ؛ فإنَّ سماعَ الإنسان الهواتفَ في الهواء ، وسماعَ النداء في بطنه ، وطيَّ الأرض له ، وقلبَ الأعيان ، ونحو ذلك . . غيرُ معهودٍ في الحسِّ أنه صحيح ، إنَّما يظهرُ ذلك من أهل السِّيمياء[٢] والنارنجات[٣] .

فالجواب : ما أجابَ به المشايخُ العارفون والعلماءُ المحقِّقون في الفرقِ بين الكرامة والسحر ؛ أنَّ السحرَ يظهرُ علىٰ أيدي الفسّاق والزنادقة ، والكفار الذين هم علىٰ غير شريعة ومتابعة ، وأما الأولياء رضي الله عنهم فإنَّما وصلوا إلىٰ ذلك بكثرة اجتهادهم واتِّباعهم للسنة ، حتىٰ بلغوا فيها الدرجة العليا ، فافترقا .

قال رضي الله عنه : ثم إنَّ كثيراً من المُنكرين لو رأوا أحداً من الأولياء والصالحين يطيرُ في الهواء . . لقالوا : هـٰذا سحرٌ واستخداماتٌ للجنِّ والشياطين ، ولا شكَّ أنَّ من حُرم التوفيق كذَّبَ بالحقِّ عياناً وحسّاً ، فكيف حال هـٰذا في تصديقِهِ بالمغيبات التي

---

(١) في « روض الرياحين » : (التوفيق) بدل (التقوىٰ) .

(٢) **السِّمياء** : السِّحر ، **وحاصله** : إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحسِّ . « المعجم الوسيط » (س ر م) .

(٣) **النِّيْرَنْج** : أُخَذٌ كالسِّحر وليس به ، « المعجم الوسيط » (ن و ر ج) .

أمرَ اللهُ تعالىٰ بالإيمان بها ؟! فربَّما زلَّت به القدمُ ، فخسر الدارين ؛ لأنه إذا أنكر المحسوسات ، فبالحقيق إنكارُهُ المغيبات ، وقد كان الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه يقول : الإنكارُ فرعٌ من النفاق(١) .

قلت : وذلك لأنَّ المنافقين لو لم يُنكروا علىٰ محمدٍ صلى الله عليه وسلم. . لآمنوا به ظاهراً وباطناً .

ثم قال اليافعيُّ رضي الله عنه : فوا عجباً كيف يُنسب السحرُ ، وفعلُ الشياطين إلى الأولياء المقرَّبين ، والأبرار الصالحين المتطهرين من الصفاتِ المذمومة ، المتحلِّين بالصفات المحمودة ، المعرضين عن كلِّ شيءٍ يشغلُهم عن ربِّهم عز وجل(٢) .

فإيَّاك يا أخي ـ بعد اطِّلاعك علىٰ ما بيَّنتُهُ لك في هـٰذه المقدمة ؛ من علوِّ شأن أهل الله عز وجل من أهل عصرك وغيرهم ـ أن يقومَ بك داءُ الحسد ، ولا تذعنَ للانقياد لهم ، وتسمعَ من بعض المنكرين عليهم ما يقولونه في حقِّهم ، فيفوتك منهم خيرٌ كثير ، كما فاتك الخيرُ في عدم عملك بكلامهم الذي هو كلُّه نصحٌ لك حين وزنته بميزان عقلك الجائر ؛ فإنَّ الكلامَ لم يزلْ في هـٰذه الطائفة من عصر ذي النون المصري ، وأبي يزيد البسطامي إلىٰ وقتنا هـٰذا .

بل نقل سيدي إبراهيمُ الدسوقي رضي الله عنه : أنَّهم تكلَّموا في جماعةٍ من الصحابة ، ونسبوهم إلى الرياء والنفاق ؛ منهم : الزُّبير رضي الله عنه ، كان كثيرَ الخشوع في الصلاة ، وكان بعضُهم يقول : إنَّما هو مراءٍ ، فبينما الزُّبير رضي الله عنه ساجداً ؛ إذ صبُّوا علىٰ رأسه ووجهه ماءً حارّاً ، فكشط وجهه وهو لا يشعر ، فلمَّا فرغَ من صلاته وصحا قال : ما هـٰذا ؟! فأخبروه ، فقال رضي الله عنه : غفر اللهُ تعالىٰ لهم ما فعلوا ، ومكثَ زماناً يتألَّمُ من وجهه(٣) .

---

(١) روض الرياحين (١/ ٤٢ـ٤٣) ، وفيها : (وعن التوفيق) بدل (وعن التقوىٰ) .

(٢) روض الرياحين (١/ ٤٤) .

(٣) روى النسائي في « سننه » (١١٨٦) عن صهيب قال : مررت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُصلي ، فسلَّمتُ عليه ، فردَّ عليَّ إشارةً . وروى البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٥٥٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل =

قلت : ودليلُ هـٰذا كلِّه قوله تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٠] .

ولـٰكن لكلِّ وليٍّ له من تلك الفتنة الحظُّ الوافر ؛ وذلك لأنَّ الابتلاءَ لمَّا كان شرفاً جمعَ الله تعالىٰ لخواصِّ هـٰذه الأمة من البلايا والمحن جميع ما كان متفرِّقاً في الأمم السالفة ؛ لعلوِّ درجتهم عنده .

فنقل الثقاتُ عن أبي يزيد البِسطامي رضي الله عنه : أنهم نفوه من بلده سبعَ مرات ؛ فإنّه لمَّا رجعَ إلىٰ بِسطام من سفرته ، وتكلَّمَ بعلومٍ لا عهدَ لأهل بلده بها في مقامات الأنبياء والأولياء . . أنكر ذلك الحسين بنُ عيسى البِسطامي إمامُ ناحيته ، والمدرِّسُ بها في علم الظاهر ، وأمرَ أهلَ بلده أن يُخرجوا أبا يزيد من بسطام ، فأخرجوه ، ولم يعدْ إليها إلا بعد موت حسين المذكور ، ثم بعد ذلك أَلِفَهُ الناسُ ، وعظَّموه ، وتبرَّكوا به ، ثم لم يزلْ يقوم له قائمٌ بعد قائمٍ ، وهو يُنفىٰ ، ثم استقرَّ أمرُهُ علىٰ تعظيم الناس له ، والتبرِّك به إلىٰ وقتنا هـٰذا .

وكذلك وقع لذي النُّون المِصري رضي الله عنه : أنهم وشوا به إلىٰ بعض الحُكَّام ، وحملوه من مصرَ إلىٰ بغداد مغلولاً مقيَّداً ، فكلَّم الخليفَةَ ، فأعجبه ، فقال : إن كان هـٰذا زنديقاً فما علىٰ وجه الأرض مسلمٌ ، كما يأتي في ترجمته[1] .

وكذلك وقع لسمنون المُحبِّ رضي الله عنه محنةٌ عظيمة ، وادَّعت عليه امرأةٌ كانت تهواه ، وهو يأبىٰ أن يأتيها في الحرام هو وجماعة من الصوفية ، وامتلأتِ المدينة بذلك ، ثم إنَّ الخليفة أمرَ بضربِ عنق سمنون وأصحابه ؛ فمنهم من هربَ ، ومنهم من تواریٰ سنين حتىٰ كشف اللهُ عنهم ذلك .

وكذلك وقع : أنهم رموا أبا سعيد الخرَّاز ، وأفتى العلماء بكفره بألفاظٍ وجدوها في

= يُصلِّي ، فأطالَ السجود ، حتىٰ ظننت أنّه قد قُبض ، فلمَّا رأيتُ ذلك قمت حتىٰ حرَّكتُ إبهامَهُ ، فتحرَّك ، وعنها أيضاً في « شعب الإيمان » (٣٥٥٦) : فقام ، فسجدَ ليلاً طويلاً حتىٰ ظننت أنه قُبض ، فقمت ألتمسه ، ووضعت يدي علىٰ باطن قدميه ، فتحرّك .

(١) انظر ترجمته (١/ ٢٩١) ، و(٣/ ١٩١) .

كتبه ؛ منها : لو قلت : من أين ؟ وإلىٰ أين ؟ لم يكن جوابي غيرَ (الله) ، مع ألفاظٍ أخرىٰ .

وتعصَّبَ مرةً فقهاءُ إخميم علىٰ ذي النُّون المصري رضي الله عنه ، ونزلوا في زورقٍ ليمضوا إلى السلطان بمصر ؛ ليشهدوا عليه بالكفر ، فأَعلموه بذلك ، فقال : اللهم ، إن كانوا كاذبين ؛ فغرِّقهم ، فانقلبَ الزورقُ والناسُ ينظرون ، فغرقوا حتىٰ رئيس المركب ، فقيل له : ما بالُ الرئيس ؟! فقال : قد حمل الفسَّاق .

وأخرجوا سهل بنَ عبد الله رضي الله عنه من بلده إلى البصرة ، ونسبوه إلىٰ قبائحَ ، وكفَّروه ، ولم يزل بالبصرة إلىٰ أن مات بها ، هـٰذا مع علمه ، ومعرفته ، واجتهاده ؛ وذلك أنه كان يقول : التوبةُ فرضٌ على العبدِ في كلِّ نَفَسٍ ، فتعصَّب عليه الفقهاء في ذلك لا غير .

وقُتل حسينٌ الحلاجُ بدعوة عمرو بنِ عثمان المكي ؛ وذلك أنه كان عنده جزءٌ فيه علومُ الخاصة من القوم ، فأخذه الحسينُ ، فقال عمرو : مَنْ أخذَ هـٰذا الكتابَ قُطعتْ يداه ورجلاه ، فكان كذلك ، وإنَّما كان القولُ بتكفيره تستيراً علىٰ دعوة عمرو ، كما سيأتي عن ابن خلكان[1] .

وشهدوا على الجُنيد رضي الله عنه حين كان يُقرِّرُ في علم التوحيد ، ثم إنه تستَّرَ بالفقه ، واختفىٰ مع علمه وجلالته[2] .

وأخرجوا محمد بن الفضل البلخي رضي الله عنه بسبب المذهب ، كما سيأتي في ترجمته[3] ، وذلك : أنَّ مذهبه كان مذهبَ أصحاب الحديث ، فقالوا له : لا يجوز لك أن تسكنَ في بلدنا ، فقال : لا أخرج حتىٰ تجعلوا في عُنقي حبلاً ، وتمرُّوا بي علىٰ أسواق البلد ، وتقولوا : هـٰذا مبتدع ، نُريد أن نُخرجَهُ ، ففعلوا به ذلك ، وأخرجوه ، فالتفتَ إليهم وقال : نزع اللهُ تعالىٰ من قلوبكم معرفتَهُ ، فلم يخرج بعد دعائه قطُّ من بلخٍ صوفيٌّ ، مع كونها كانت أكثرَ بلاد الله تعالىٰ صوفية .

---

(١) انظر (١/ ٤٠٠) .
(٢) انظر (١/ ١٠٨) .
(٣) انظر (١/ ٣٤٣) .

وعقدوا للشيخ عبد الله بن أبي جمرة رضي الله عنه مجلساً في الردِّ عليه حين قال : أنا أجتمع بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم يقظةً ، فلزم بيته ، فلم يخرج إلا للجمعةِ حتىٰ مات .

وأخرجوا الحكيمَ الترمذي رضي الله عنه إلىٰ بلخ حين صنَّفَ كتاب « علل الشريعة » ، وكتاب « ختم الأولياء » ، وأنكروا عليه بسبب هٰذين الكتابين ، وقالوا : فضَّلتَ الأولياء على الأنبياء ؟! وأغلظوا عليه ، فجمع كتبَهُ كلَّها ، وألقاها في البحر ، فابتلعتها سمكةٌ سنين ، ثم لفظتْها ، وانتفع الناس بها .

وأنكر زهَّاد الراز[1] وصوفيتُها علىٰ يوسف بنِ الحسين ، وتكلَّموا فيه ، ورموه بالعظائم إلىٰ أن مات ، لٰكنَّه لم يُبالِ بهم ؛ لتمكُّنه رضي الله عنه .

وأخرجوا أبا الحسين البُوشنجي ، وأنكروا عليه ، وطردوه إلىٰ نيسابور ، فلم يزل بها إلىٰ أن مات .

وأخرجوا أبا عثمان المغربي من مكة مع مجاهداته ، وتمام علمه وحاله ، وطافَ به العلويةُ علىٰ جملٍ في أسواق مكة بعد ضربه علىٰ رأسه ومنكبيه ، فأقامَ ببغداد ، ولم يزل بها إلىٰ أن مات .

وشهدوا على الشبليِّ بالكفر مراراً مع تمامِ علمه ، وكثرةِ مجاهداته ، واتِّباعِهِ للسُّنة إلىٰ حين وفاته ، حتىٰ إنَّ من كان يحبُّه شهدَ عليه بالجنون ؛ طريقاً لخلاصه ، فأدخلوه البيمارستان ، وقال فيه أبو الحسن الخوارزمي أحدُ مشايخ بغداد : إن لم يكنْ لله جهنمُ فإنه يخلقُ جهنماً بسبب الشبليِّ ؛ أي : يخلقها الله للذين آذوه وأنكروا عليه ، وكفَّروه بالباطل ، هٰذا معنىٰ قول أبي الحسن ؛ بدليل قوله عقب ذلك : وإنْ لم يدخل الشِّبليُّ الجنةَ فمن يدخلها ؟!

وقام أهل المغرب[2] على الإمام أبي بكر النابلسي مع فضله ، وعلمه ، وزهده ، واستقامة طريقه ، وتصدُّرِه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأخرجوه من المغرب

---

(١) كذا في النسخ ، والصواب : الري ، والنسبة إليها : رازي .

(٢) كان أهل المدينة يُسمُّون أهل الشام أهل المغرب . « تعطير الشام » (١/ ٢٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ١٤٩) .

مُقيَّداً إلىٰ مصر ، وشهدوا عليه عند السلطان ، ولم يرجع عن قوله ، فأُخذ وسُلخ وهو حيٌّ ، وقيل : إنه سُلخ وهو منكوسٌ ، وهو يقرأ القرآن ، فكادَ أن يُفتتنَ به الناسُ ، فرُفعَ الأمر إلى السلطان ، فقال : اقتلوه ، ثم اسلخوه .

وأخرجوا الشيخ أبا مدين المغربي رضي الله عنه من بِجَايَةَ ، كما سيأتي في ترجمته[١] .

وأخرجوا أبا القاسم النَّصْراباذي رضي الله عنه من البصرة ، وأنكروا عليه كلامَهُ وأحوالَهُ ، فلم يزل بالحرم إلىٰ أن ماتَ ، مع صلاحه ، وزهده ، وورعه ، واتِّباعه للسنة .

وأخرجوا أبا عبد الله السِّجزي صاحبَ أبي حفص الحداد ، قام عليه أبو عثمان الحِيري ، وهجره ، وأمر الناسَ بهجره حين رفع الناسُ قدرَهُ علىٰ أبي عثمان ، وأقبلوا عليه .

وشهدوا علىٰ أبي الحسن الحصْري رضي الله عنه بالكفر ، وحكوا عنه ألفاظاً كُتبت في درج ، وحُمل إلىٰ أبي الحسن قاضي القضاة ، فاستحضره القاضي ، وناظره في ذلك ، ومنعه من القعودِ في الجامع حتىٰ مات .

وتكلَّموا في ابن سمعون بالكلام الفاحش حتىٰ مات ، فلم يحضروا له جنازةً مع علمه وجلالته[٢] .

وتكلَّموا في الإمام أبي القاسم بن جميل بالعظائم إلىٰ أن مات ، ولم يتزلزلْ عمَّا هو فيه من الاشتغال بالعلم ، والحديث ، وصيام الدهر ، وقيام الليل ، وزهده في الدنيا ، حتىٰ لبس الحصير رضي الله عنه .

وكان أبو بكر الطَّمَسْتاني يقول : كان ابنُ دانيال يحطُّ على الجُنيد ، وعلىٰ رويم ، وسمنون ، وابن عطاء ، ومشايخ العراق ، وكان إذا سمعَ أحداً يذكرُهم بخيرٍ يتغيَّظُ ويتغيَّرُ .

---

(١) انظر (١/ ٥٣٠) ، و(٣/ ٣٣٧) .

(٢) انظر ترجمة الحسن بن سمعون (٢/ ٥٢٨) ، و(٤/ ٤٦٧) .

وأمَّا الحلاجُ : فإنه كان من القوم ـ وهو الصحيح ـ . فلا تَخفىٰ محنتُهُ ، وإن كان من غير القوم . فلا كلام لنا فيه ، وقد اختلف الناس فيه اختلافاً كثيراً .

قال ابن خلِّكان في « تاريخه » : (وإنما سُمِّي بالحلاج ؛ لأنه جلسَ علىٰ دُكانِ حلاجٍ ، وبها مخزونُ قطنٍ غيرُ مَحلوج ، فذهب صاحبُ الدكان في حاجته ، فرجع ، فوجد القطنَ كلَّه محلوجاً ، فسُمِّي حلاجاً .

وكان رضي الله عنه يأتي بفاكهة الصيفِ في الشتاء ، وعكسه ، ويمدُّ يدَه في الهواء ، فيردُّها مملوءةً دراهم ، يُسمِّيها دراهمَ القدرة)[١] .

قال ابن خلِّكان[٢] : وأما سببُ قتله : فلم يكنْ عن أمرٍ موجبٍ للقتل ، إنَّما عمل عليه الوزير حين أحضروه إلىٰ مجلسِ الحكم مرات ، ولم يظهرْ منه ما يُخالفُ الشريعة ، فقال لجماعته : هل له مصنَّفاتٌ ؟ فقالوا : نعم ، فذكروا أنهم وجدوا له كتاباً فيه : أنَّ الإنسان إذا عجزَ عن الحجِّ فليعمدْ إلىٰ غرفةٍ من بيته ، فيطهِّرها ، ويطيِّبها ، ويطوفُ بها ، ويكونُ كمن حجَّ البيت ، والله أعلمُ إن كان هـٰذا القول عنه صحيحاً ، فطلبه القاضي ، فقال : هـٰذا الكتابُ تصنيفك ؟ فقال : نعم ، فقال له : أخذته عمَّن ؟ فقال : عن الحسن البصري ، ولا يعلم الحلاج ما دسُّوه عليه فيه ، فقال له القاضي : كذبتَ يا مراقَ الدم ، ليس في كُتبِ الحسن البصريِّ شيءٌ من ذلك ، فلمَّا قال القاضي له : (يا مراق الدم) مسكَ الوزيرُ هـٰذه الكلمةَ على القاضي ، فقال : هـٰذا فرغ عن حكمك بكفرٍ[٣] ، وقال للقاضي : اكتبْ خطَّك بالتكفير ، فامتنع القاضي ، فألزمَهُ الوزيرُ بذلك ، فكتب ، فقامتِ العامة على الوزير ، فخاف الوزير علىٰ نفسه ، فكلَّمَ الخليفةَ بذلك ، فأمرَ بالحلاج ، فضُرب ألفَ سَوْط ، فلم يتأوَّه ، وقُطعت يداه ورجلاه ، وصُلب ، ثم أُحرق بالنار ، ووقع الاختلافُ فيه بين الناس : أهو الذي صُلب ، أو هو رُفع كما وقع في عيسىٰ عليه الصلاة والسلام .

---

(١) وفيات الأعيان (٢/١٤٦) .

(٢) لم أجد القول في المطبوع من كتاب « وفيات الأعيان » .

(٣) في (هـ ، ز) : (فرع) بدل (فرغ) .

وأفتوا بتكفير الإمام الغزالي رضي الله عنه ، وأحرقوا كتابه « الإحياء » ، ثم نصره الله تعالىٰ عليهم ، وكتبوه بماء الذهب ، وكان من جملة من أنكر على الغزالي ، وأفتىٰ بتحريق كتابه القاضي عِياضٌ ، وابنُ رشد ، فلمَّا بلغَ الغزاليَّ ذلك دعا على القاضي عياض ، فمات فجأةً في الحمام يومَ الدُّعاء عليه[١] ، وقيل : إنَّ المهديَّ هو الذي أمر بقتله في الحمام بعد أنِ ادَّعىٰ عليه أهلُ بلده بأنَّه يهوديٌّ ؛ لأنَّه كان لا يخرجُ يومَ السبت ؛ لكونه كان يُصنِّفُ في كتاب « الشفا » يوم السبت ، فقتله المهديُّ لأجل دعوة الغزالي .

وأخرجوا الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه من بلاد المغرب بجماعته ، ثم كاتبوا نائبَ الإسكندرية : بأنه سيقدمُ عليكم مغربيٌّ زنديق ، وقد أخرجناه من بلادنا ، فالحذرَ من الاجتماع عليه ، فجاء الشيخُ إلى الإسكندرية ، فوجد أهلَها كلَّهم يسبُّونه ، ثم وشوا به إلى السُّلطان ، ولم يزلْ في الأذىٰ حتىٰ حجَّ بالناس في سنين كان الحجُّ فيها قد قُطع من كثرة القطَّاع في طريقه ، فاعتقده الناس .

ورموا الشيخ أحمد بن الرفاعي بالزندقة والإلحاد ، وتحليل المحرمات ، كما سيأتي في ترجمته[٢] .

وقتلوا الإمام أبا القاسم بن قَسِيٍّ ، وابنَ بَرَّجان ، والخولي ، والمرجاني ، مع كونهم أئمةً يُقتدى بهم ، وقام الحسَّاد عليهم ، فشهدوا عليهم بالكفر ، فلم يُقتلوا ، فعملوا عليهم الحيلة ، وقالوا للسلطان : إن البلادَ قد خطبتْ لابنِ بَرَّجان في نحو مئة واثنتين وثلاثين بلداً ، فأرسل له من قتله ، وقتل جماعته .

وأما الشيخ محيي الدين بنُ العربي وسيِّدي عمر بنُ الفارض : فلم يزل المُنكرون يُنكرون عليهما إلىٰ وقتنا هـٰذا .

وعقدوا للشيخ عزِّ الدين بنِ عبد السلام مجلساً في كلمة قالها في العقائد ، وحرَّضوا السلطان عليه ، ثم حصل له اللطف .

وحسدوا شيخَ الإسلام تقي الدين ابن بنت الأعزِّ ، وزوَّروا عليه كلاماً للسلطان ،

---

(١) تأمل : مات القاضي عياض سنة (٥٤٤هـ) . أما الإمام الغزالي فقد توفي سنة (٥٠٥هـ) .
(٢) انظر (١/ ٤٩٤) ، و(٣/ ٣٢٨) .

فرسم بشنقه ، ثم تداركَهُ اللُّطفُ ، وذلك أن الملك الظاهر بيبرس قد كان انقادَ له انقياداً كلّياً ، حتىٰ كان لا يفصلُ شيئاً إلا بمشاورته ، فمشى الحسَّادُ بينهما بالكلام ، حتىٰ زيَّنوا للسلطان في مسألةٍ يقول فيها الحنفية : إنها صواب ، وما عليه الشافعية خطأ ، فعارضه الشيخ تقيُّ الدين ، فانتصر بعضُ الحسَّاد للسلطان ، ونصروه على الشيخ ، وكان لا يُحْكَمُ في مصر في ذلك الزمان إلا بقول الشافعيِّ رضي الله عنه فقط ، فولَّى السلطان الظاهر بيبرس القضاة الأربعة من تلك الواقعة ، فلم يزالوا إلىٰ عصرنا هـٰذا .

وأنكروا على الشيخ عبد الحقِّ بنِ سبعين ، وأخرجوه من بلاد المغرب ، وأرسلوا نجَّاباً بدَرْجٍ مكتوب أمامه يحذِّرون أهل مصر منه ، وكتبوا فيه : أنه يقول : أنا هو وهو أنا .

ومِحنُ الأئمة ؛ كأبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، وأضرابهم . . مشهورةٌ في كتب المناقب .

فانظر يا أخي ما جرىٰ لهـٰؤلاء الأئمة من المتقدِّمين والمتأخِّرين ، وخذْ لنفسك أسوةً فيما تقعُ فيه من المحن ، والله أعلم .

* * *

ذِكر مَناقِب بَعض الصّحَابة
رضوَان اللّـَه تعَالى عَليهم

ولنشرع الآن في مقصود الكتاب ، فنقول وبالله التوفيق :

فأولهم وأفضلهم على القطع والتحقيق :

(١) الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه[١]

واسمه عبد الله بن أبي قُحافة ، عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي ، يلتقي مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في مُرَّةَ بن كعب .

ومناقبه أكثرُ من أن تُحصىٰ .

وكان رضي الله عنه يقول : (أكيسُ الكيس التقوىٰ ، وأحمقُ الحمق الفجور ، وأصدقُ الصدق الأمانة ، وأكذبُ الكذب الخيانة) .

وكان رضي الله عنه إذا أكلَ طعاماً فيه شُبهةٌ ، ثم علم به استقاءه من بطنه ، ويقول : (اللهم ؛ لا تُؤاخذني بما شربَتِ العروقُ ، وخالط الأمعاء) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ هـٰذا الأمرَ لا يصلحُ آخرُهُ إلا بما صلحَ به أوَّلُه ، ولا يحتملُهُ إلا أفضلُكم مقدرةً ، وأملكُكم لنفسه) .

وكان رضي الله عنه يقول لمن يعظه : (يا أخي ؛ إنْ أنتَ حفظتَ وصيتي فلا يكن غائبٌ أحبَّ إليك من الموت ، وهو آتيك) .

وكان يقول : (إنَّ العبدَ إذا داخله العُجْبُ بشيءٍ من زينة الدنيا مقته الله تعالىٰ حتىٰ يفارقَ تلك الزينة) .

وكان يقول : (يا معاشر المسلمين ؛ استحيوا من الله ، فوالذي نفسي بيده ؛ إني لأظلُّ حين أذهبُ إلى الغائط في الفضاء متقنِّعاً استحياءً من ربِّي عز وجل) .

وكان يقول : (ليتني كنتُ شجرةً تُعضد ، ثم تؤكل) .

وكان يأخذُ بطرفِ لسانه ، ويقول : (هـٰذا الذي أوردني الموارد) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٣/ ١٥٥) ، و« حلية الأولياء » (١/ ٢٨) ، و« تاريخ دمشق » (٣٠/ ٣) (عبد الله بن عثمان) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٩) (٢) .

وكان إذا سقطَ خِطامُ ناقته يُنيخُها ويأخذه ، فيُقال له : هلا أمرتنا ، فيقول : إنَّ حبيبي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرني ألا أسأل الناسَ شيئاً[١] .

وكان رضي الله عنه يقول للصحابة رضي الله عنهم : (قد ولِّيْتُ أمرَكم ، ولستُ بأخيركم ، فأعينوني ، فإذا رأيتموني استقمتُ فاتَّبعوني ، وإذا رأيتموني زغتُ فقوِّموني) .

وغلب عليه الحزنُ والخوف ، حتىٰ كان يُشمُّ من فمه رائحةُ الكبد المشوي .

توفي رضي الله عنه بين المغرب والعشاء ، ثاني عشرين جُمادى الآخرة ، **سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابنُ ثلاث وستين سنة** ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢) الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢]

ويجتمع نسَبُه مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب .

واتَّفقوا علىٰ أنَّه أولُ من سُمِّي أميرَ المؤمنين .

وأجمعوا علىٰ كثرة علمه ، ووفورِ عقله وفهمه ، وزهده ، وتواضعه ، ورفقه بالمسلمين ، وإنصافِهِ ، ووقوفه مع الحق ، وتعظيمِهِ آثارَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشدَّة متابعته له .

ومحاسنه رضي الله عنه أكثر من أن تُحصىٰ .

وكان رضي الله عنه لا يَجمعُ في سماطه بين إدامين .

وقدَّمتْ إليه حفصةُ رضي الله عنها مرقاً بارداً ، وصبَّت عليه زيتاً ، فقال : إدامان في إناءٍ واحد ! لا آكلُه حتىٰ ألقى الله عز وجل .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (١/ ١١) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٣٠/ ٣٣٣) عن ابن أبي مليكة رحمه الله تعالىٰ .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٣/ ٢٦٥) ، و« حلية الأولياء » (١/ ٣٨) ، و« تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣) . وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٠) (٣) .

وكان في قميصه رضي الله عنه أربعُ رقاعٍ بين كتفيه ، وكان إزارُهُ مرقوعاً بقطعةٍ من جراب ، وعدُّوا مرَّةً في قميصه أربعَ عشرةَ رقعة ، إحداها من أدمٍ أحمر .

وكان يقول : (اللهم ؛ ارزقني شهادةً في سبيلك ، واجعل موتي في بلدِ رسولك صلى الله عليه وسلم) .

واستأذن رضي الله عنه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في العمرة ، فأذنَ له ، وقال : « لا تَنْسَنا يا أُخيَّ منْ دُعائِكَ »[1] ، وفي رواية : « أَشْرِكْنا يا أُخي في دُعائِكَ »[2] .

وكان رضي الله عنه إذا وقع بالمسلمين أمرٌ يكادُ يهلكُ ؛ اهتماماً بأمرهم .

وكان يأتي المجزرة ومعه الدِّرَّةُ ، فكلُّ من رآه يشتري لحماً يومين متتابعين يضربه بالدِّرَّة ، ويقول له : هلا طويتَ بطنَك لجارِك وابنِ عمك .

وأبطأ يوماً عن الخروج لصلاة الجمعة ، ثم خرج ، فاعتذر إلى الناس ، وقال : إنَّما حبسني عنكم غسلُ ثوبي هـٰذا ، كان يُغسل ، وليس عندي غيره .

وكان يقول : (لولا خوفُ الحساب لأمرتُ بكبشٍ يشوىٰ لنا في التنور) .

وكان رضي الله عنه يشتهي الشهوة ، وثمنُها درهم ، فيؤخِّرُها سنةً كاملةً .

وكان يقول : (من خافَ من الله تعالىٰ لم يَشفِ غيظَهُ ، ومن يتَّقِ الله لم يصنعْ ما يُريد) .

وصعد يوماً إلى المنبر فقال : الحمدُ لله الذي صيَّرني ليس فوقي أحد ، فقيل له : ما حملك علىٰ ما تقول ؟! فقال : إظهاراً للشُّكر ، ثم نزل .

وحجَّ رضي الله عنه من المدينة إلىٰ مكة ، فلم يُضربْ له فسطاطٌ ولا خباء حتىٰ رجع ، وكان إذا نزل يُلقىٰ له كساءٌ أو نطع علىٰ شجرةٍ ، فيستظل بذلك .

وكان رضي الله عنه أبيضَ ، تعلوه حمرة ، وإنما صار في لونه سمرةٌ في عام الرَّمادة[3] ، حين أكثرَ من أكل الزيت توسعةً على الناس أيام الغلاء ، فترك لهم اللحمَ

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٨) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٨) ، والترمذي (٣٥٦٢) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) كان عام الرمادة سنة (١٨) للهجرة ، وكان بها أيضاً طاعون عَمَواس .

والسمنَ واللبنَ وكان قد حلف ألا يأكلَ إداماً غيرَ الزيت حتىٰ يوسِّعَ اللهُ على المسلمين ، ومكثَ الغلاءُ تسعةَ أشهر ، وكانت الأرضُ قد صارتْ سوداءَ مثلَ الرماد ، وكان يخرجُ يطوفُ على البيوت ويقول : من كان مُحتاجاً فليأتنا .

وكان رضي الله عنه يقول : (اللهم ؛ لا تجعلْ هلاكَ أمّةِ محمد صلى الله عليه وسلم علىٰ يدي) .

وكان في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء .

وكان يمرُّ بالآية في وردِهِ ، فتخنقه العبرة ، فيبكي حتىٰ يسقطَ ، ثم يلزمُ بيته حتىٰ يُعادَ ، يحسبونه مريضاً ، وكان يُسمع خنينُهُ من وراء ثلاثة صفوف[١] .

وكان رضي الله عنه يقول : (ليتني كنت كبشَ أهلي ، سمَّنوني ما بدا لهم ، ثم ذبحوني ، فأكلوني وأخرجوني عذرةً ، ولم أكنْ بشراً) .

ولما مرض كانتْ رأسُه في حِجْر ولده عبد الله ، فقال له : يا ولدي ؛ ضع رأسي على الأرض ، فقال له عبد الله : وما عليك إن كانت علىٰ فخذي أم على الأرض ؟! فقال : ضعه على الأرض ، فوضع عبد الله رأسَه على الأرض ، فقال : ويلي ، وويل أمي إن لم يرحمني ربي ، ثم قال رضي الله عنه : وددت أن أخرجَ من الدنيا كما دخلت ، لا أجرَ لي ولا وزر عليَّ ، ثم قال : اللهم كبرتْ سنِّي ، وضعفتْ قوتي ، وانتشرت رعيتي ؛ فاقبضني إليك غيرَ مضيِّعٍ ، ولا مفرِّطٍ .

فلمَّا ماتَ رآه العباسُ رضي الله عنه ، فقال له : كيف وجدت الأمر يا أمير المؤمنين ؟ قال : كاد عرشي يهوي بي لولا أنِّي وجدتُ ربّاً رحيماً .

وكان إذا مرَّ علىٰ مزبلةٍ يقفُ عندها ويقول : هـٰذه دنياكم التي تحرصون عليها .

وكان يقول : (أضرُّوا بالفانية خيرٌ لكم من أن تضرُّوا بالباقية) ؛ يعني : الآخرة .

وكان يأخذ التبنةَ من الأرض ويقول : (يا ليتني كنتُ هـٰذه التبنة ، ليتني لم أُخْلَقْ ، ليتَ أمي لم تلدني ، ليتني لم أكُ شيئاً ، ليتني كنت نسياً منسياً) .

---

(١) **الخنين** : ضرب من البكاء دون الانتحاب ، وأصل الخنين : خروج الصوت من الأنف . « لسان العرب » (خ ن ن) .

وكان رضي الله عنه يحبُّ الصلاةَ في وسط الليل .

وكان إذا حصلَ بالناس همٌّ يخلع ثيابه ، ويلبس ثوباً قصيراً لا يكادُ يبلغُ ركبتيه ، ثم يرفعُ صوتَه بالبكاء والاستغفار ، وعيناه تذرفان حتىٰ يُغشىٰ عليه .

وكان يحملُ جرابَ الدقيق علىٰ ظهره للأرامل والأيتام ، فقال له بعضُهم : دعني أحملْ عنك ، فقال : ومن يحملُ عنِّي يوم القيامة ذنوبي ؟!

وأحواله كثيرةٌ مشهورة رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣) الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه[١]

ويجتمع نسبُه مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في عبد مناف .

وسُمِّي ذا النُّورَيْن ؛ لجمعه بين بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ رُقية ، ثم أم كلثوم .

وحصروه تسعةً وأربعين يوماً ، ثم قتلوه صبراً ، والمصحفُ مفتوحٌ بين يديه وهو يقرأ .

وكان رضي الله عنه شديدَ الحياء ، حتىٰ إنه ليكونُ في البيت والبابُ مغلقٌ عليه ، فما يضع عنه الثوبَ عند الغسل ليفيض عليه الماء ، يمنعه الحياءُ أن يقيم صلبه .

وكان يصوم النهار ، ويقومُ الليل ، إلا هجعةً من أوله .

وكان يختمُ القرآن في ركعة كثيراً .

وكان يخطبُ الناس ، وعليه إزارٌ عدني غليظ ثمنه أربعة دراهم ، أو خمسة دراهم .

وكان يُطعم الناسَ طعام الإمارة ، ويدخلُ بيته ، فيأكل الخلَّ والزيت .

وكان يردف خلفه خادمه أيام خلافته ، ولا يستعيب ذلك .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٣/ ٥٣) ، و« حلية الأولياء » (١/ ٥٥) ، و« تاريخ مدينة دمشق » (٣٩/ ٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٤) (٤) .

وكان إذا مرَّ على المقبرة بكىٰ حتىٰ يبلَّ لحيته رضي الله عنه .

ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله عنه ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٤) الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1]

ونسبه مشهور .

وكان رضي الله عنه يقول : (الدنيا جيفةٌ ، فمن أراد منها شيئاً فليصبرْ علىٰ مخالطةِ الكلاب) .

قلت : والمرادُ بالدنيا : ما زادَ على الحاجة الشرعية ، بخلاف ما دعتِ الضرورةُ إليه ، وذلك : أن فضول الدنيا شهوات ، وأهلُ الشهوات كثيرٌ ؛ ولذلك ما رُئي زاهدٌ قطُّ في محلٍّ مزاحمةٍ على الدنيا ، كما هو مشاهد .

وإنما سُمِّي طالبُ الفضول كلباً للدنيا لتعلُّقِ قلبه بها ؛ لأنَّ الكلبَ مأخوذٌ من التكليب ، وكلُّ من عسرَ عليه فراقُ شهوته فهو كلبها ، فافهم .

فما توسَّعَ مَنْ توسَّعَ في مأكلٍ أو ملبس إلا لقلَّة ورعه ، والشارعُ لم يأمرْنا بالتوسُّعِ في الشُّبهات ، والله أعلم .

قال أبو عُبيدة رحمه الله : (**ارتجل الإمامُ عليُّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه تسعَ كلمات ، قطعَ الأطماعَ عن اللحاق بواحدةٍ منهن** ؛ ثلاثٌ في المناجاة ، وثلاثٌ في العلم ، وثلاثٌ في الأدب :

فأما التي في المناجاة : فهي قوله : « كفاني عزّاً أن تكونَ لي ربّاً ، وكفىٰ بي فخراً أن أكونَ لك عبداً ، أنت لي كما أحبُّ فوفِّقني لما تحب » .

وأما التي في العلم : فهي قوله : « المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه ، فتكلَّموا تُعرفوا ، ما ضاعَ امرؤٌ عرف قدرَهُ » .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٣/ ١٩) ، و« حلية الأولياء » (١/ ٦١) ، و« تاريخ مدينة دمشق » (٤٢/ ٣) ، وسترد ترجمته ثانية : في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٤) (٥) .

وأما التي في الأدب : فهي قوله : « أَنعِمْ علىٰ من شئت تكنْ أميرَهُ ، واستغن عمَّن شئتَ تكنْ نظيرَه ، واحتجْ إلىٰ من شئتَ تكنْ أسيرَه ») .

وكان رضي الله عنه يقول: (والله ؛ لا يُحبُّني إلا مؤمن ، ولا يُبغضني إلا منافق).

وكان آخرُ كلامه من الدنيا : لا إلـه إلا الله ، محمدٌ رسول الله .

وكان رضي الله عنه يقول : (موتُ الإنسان بعد أن كَبِرَ وعرفَ ربَّه . . خيرٌ من موته طفلاً ، ولو دخل الجنة بغير حساب) .

قلتُ : لأنَّ أقلَّ ما هناك أنَّ العبدَ يُجالسُ ربَّه في الجنة بقدرِ ما عملَ من العبادات ، والله أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (أعلمُ الناس بالله أشدُّهم حبّاً وتعظيماً لأهل لا إلـه إلا الله) .

وقيل له مرَّةً : ألا نحرسُك يا أمير المؤمنين ؟! فقال : حارسُ كلِّ امرئ أجلُه .

وكان رضي الله عنه يقول : (كونوا لقبول أعمالكم أشدَّ اهتماماً منكم بالعمل ؛ فإنه لن يقلَّ عملٌ مع التقوىٰ ، وكيف يقلُّ عملٌ يتقبَّل ؟!) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا كان يوم القيامة أتتِ الدنيا بأحسن زينتها ، ثم قالت : يا ربِّ ؛ هبني لبعضِ أوليائك ، فيقول الله عز وجل لها : اذهبي يا لا شيء ، فلأَنت أهونُ من أن أهبَكَ لبعض أوليائي ، فتُطوىٰ كما يُطوى الثَّوبُ الخَلَقُ ، فتُلقىٰ في النار) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يَرْجُوَنَّ العبدُ إلا ربَّه ، ولا يخافنَّ إلا ذنبه) .

وكان يقول : (لا يستحيي جاهلٌ أن يسألَ عمَّا لا يعلم ، ولا يستحيي عالمٌ إذا سُئل عمَّا لا يعلم أن يقول : الله أعلم) .

كان رضي الله عنه يقول : (إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم اتِّباعُ الهوىٰ ، وطولُ الأمل ؛ فأما اتِّباعُ الهوىٰ فيضلُّ عن الحقِّ ، وأما طولُ الأمل فيُنسي الآخرة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الفقيهُ كلُّ الفقيه مَنْ لا يُقنِّطُ الناسَ من رحمة الله ،

ولا يُؤمِّنُهم من عذاب الله ، ولا يرخِّصُ في معاصي الله ، ولا يدع القرآنَ رغبةً منه إلىٰ غيره) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا خيرَ في عبادةٍ لا علمَ فيها ، ولا خيرَ في علمٍ لا فهمَ فيه ، ولا خيرَ في قراءةٍ لا تدبُّرَ فيها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كونوا ينابيعَ العلم ، مصابيحَ الليل ، خُلقان الثياب ، جُددَ القلوب . . تُعرفون به في ملكوت السماء ، وتُذكرون به في الأرض) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو حننتم حنينَ الواله الثكلان ، وجأرتُم جُؤَارَ مبتلى الرهبان ، ثم خرجتُم من أموالِكم وأولادكم في طلب القُرب من الله تعالىٰ ، وابتغاءِ رضوانه ، وارتفاعِ درجة عنده ، أو غفران سيئةٍ . . كان ذلك قليلاً فيما تطلبونه)[1] .

وكان رضي الله عنه يقول : (القلوبُ أوعيةٌ ، وخيرُها أوعاها ، ثم يقول : هاهْ هاهْ ! إنَّ ها هنا ـ وأشار بيده إلىٰ صدره ـ علماً لو أصبتُ له حَمَلةً) .

وأُتي له رضي الله عنه بفالوذج ، فوُضِعَ قدَّامَه ، فقال : إنَّك طيِّبُ الريح ، حسنُ اللون ، طيِّبُ الطعم ، لـٰكني أكرهُ أن أُعوِّدَ نفسي ما لم تعتد ، ولم يأكله .

ولم يأكل رضي الله عنه طعاماً منذ قُتل عثمان ونُهبت الدار إلا مختوماً ؛ حذراً من الشُّبهة ، وكان قوتُه وكسوتُه شيئاً يجيئه من المدينة .

ولم يأكلْ من طعام العراق إلا قليلاً .

وكان رضي الله عنه يرقِّعُ قميصَه ويقول : (إنَّ لبسَ المرقع يُخشعُ القلبَ ، ويقتدي به المؤمن) .

وكان يقطعُ من كمِّ قميصه ما زادَ علىٰ رؤوس الأصابع ، وكذلك كان عمر رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه يبردُ في الشتاء حتىٰ ترعدَ أعضاؤه من البرد ، فقيل له : أَلا تأخذُ لك كساءً من بيت المال ؛ فإنَّه واسع ، فقال : لا أنقص المسلمين من بيتِ مالهم شيئاً لي .

---

(١) أخرج الخبر أبو نعيم في « الحلية » (١ / ٧٧) .

وكان رضي الله عنه يقولُ : (**التقوىٰ** : هي تركُ الإصرار على المعصية ، وتركُ الاغترار بالطاعة) .

وكان رضي الله عنه يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنسُ بالليل وظلمته .

وكان يُحاسب نفسَه علىٰ كلِّ شيء .

وكان يُعجبُهُ من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن .

وكان رضي الله عنه يعظِّمُ أهلَ الدين والمساكين .

وكان يُصلِّي ليلَه لا يهجع إلا يسيراً ، ويقبضُ علىٰ لحيته ، ويتملْمَلُ تململَ السليم ، ويبكي بكاءَ الحزين حتىٰ يُصبح .

وكان رضي الله عنه يُخاطب الدنيا ويقول : (يا دنيا ؛ غرِّي غيري ، قد طلَّقتُك ثلاثاً ، عمرك قصير ، ومجلسُك حقير ، وخطرُك كبير ، آهٍ آهٍ من قلَّةِ الزاد ، وبُعْدِ السفر ، ووحشة الطريق) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**أشدُّ الأعمال ثلاثة** : إعطاءُ الحقِّ من نفسك ، وذكرُك الله تعالىٰ علىٰ كلِّ حالٍ ، ومواساةُ الأخ في المال) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لم يرضَ الحقُّ تعالىٰ من أهل القرآن الادِّهانَ في دينه ، والسكوتَ علىٰ معاصيه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تيئس عليه حزناً ، وليكن همُّك فيما بعد الموت) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ مع كلِّ إنسانٍ ملكين يحفظانه ممَّا لم يُقدَّر ، فإذا جاء القدرُ خَلَّيا بينه وبينه ، وإنَّ الأجلَ جُنَّةٌ حصينة) .

وكان ينشد ويقول[1] : [من الوافر]

حقيقٌ بالتواضعِ مَنْ يموتُ ... ويكفِي المرءَ مِنْ دنياهُ قوتُ

---

(١) ديوان علي بن أبي طالب : (ص ٤٥٩) .

فمَا للمرءِ يصبحُ ذَا همومٍ وحرصٍ ليسَ تُدركُهُ النعوتُ
فيَا هٰذَا ستَرحلُ عنْ قريبٍ إلىٰ قومٍ كلامُهُمُ السكوتُ

قال القضاعي رضي الله عنه : (وكان لعليٍّ رضي الله عنه من الأولاد الذكور أربعة عشر ولداً ذكراً ، ولم يكنِ النسلُ إلا لخمسةٍ منهم فقط : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، وعمر ، والعباس رضي الله عنهم أجمعين) .

ومناقبه رضي الله عنه كثيرة مشهورة .

ومنهم :

(٥) الإمام طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه[١]

ويجتمع نسبُهُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في مُرَّةَ .

وكان رضي الله عنه من الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحدٍ ، ووقاه بيدِهِ ونفسه ، فشَلَّتْ يدُهُ ، وجُرح يومئذ أربعاً وعشرين جراحة ، وسمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة الخير .

وكانت نفقتُهُ كلَّ يومٍ ألفاً ، وتصدَّقَ يوماً بمئة ألف ، وهو مُحتاجٌ إلىٰ ثوبٍ يذهبُ به إلى المسجد ، فلم يشترِ له قميصاً .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ رجلاً يبيت عنده الدنانيرُ في بيته لا يدري ما يطرقُهُ من الله تعالىٰ لغرير بالله)[٢] فكان إذا باتَ عنده دراهم لا ينامُ تلك الليلةَ حتىٰ يُصبح ويفرِّقَها .

قُتل رضي الله عنه يوم الجملَ سنة ستٍّ وثلاثين ، وقبرُهُ بالبصرة ظاهرٌ يُزار ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٣/ ٢١٤) ، و« حلية الأولياء » (١/ ٨٧) ، و« البداية والنهاية » (٧/ ٢٤٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٢/ ٢٨) (٦) .

(٢) غرير ؛ بمعنىٰ : مغرور ، فعيل بمعنىٰ مفعول ؛ كـ(قتيل ، وطريح) .

ومنهم :

(٦) الإمام الزُّبير بن العوام رضي الله عنه[1]

ويجتمع نسبه مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في قُصي .

وقاتل يومَ بدر قتالاً شديداً ، حتىٰ كان الرَّجلُ يُدخلُ يدَهُ في الجراح من ظهره وعاتقه .

ولمَّا حضرته الوفاةُ كان عليه دينٌ كثير ، وليس له مالٌ ، فقالوا له : ما نفعل في دينك ؟ فقال لأولاده : قولوا : يا مولى الزبير ؛ اقضِ دينه ، فقضاه اللهُ تعالىٰ عنه جميعَهُ ، وكان قدرُهُ ألفي ألفٍ ومئتي ألف .

وكان للزُّبير عمٌّ ، فكان يُعلِّقُ الزُّبير في حصيرٍ ، ويُدخِّنُ عليه بالنار ، ويقول له : ارجعْ إلى الكفر ، فيقول الزبير : لا أكفرُ أبداً .

وكان له ألفُ مملوك يؤدُّون الخراجَ إليه كلَّ يومٍ ، فكان يتصدَّقُ به في مجلسه ، ولا يقومُ منه بدرهمٍ ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٧) الإمام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[2]

ويجتمع نسبُهُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الأب الخامس .

ومرضَ رضي الله عنه ، فقال : يا ربِّ ؛ إنَّ لي بنين صغاراً ، فأخِّرْ عنِّي الموتَ حتىٰ يبلغوا ، فأخَّرَ عنه الموتَ عشرين سنة .

وكان بينه وبين خالد كلامٌ ، فذهب رجلٌ يقعُ في خالد عنده ، فقال : مه ؛ إن ما بيننا لم يبلغْ دِينَنا .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٣/ ١٠٠) ، و« حلية الأولياء » (١/ ٨٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٤١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٨) (٧) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٣/ ١٣٧) ، و« حلية الأولياء » (١/ ٩٢) ، و« تاريخ دمشق » (٢٠/ ٢٨٠) عند ترجمة (سعد بن مالك) ، و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٩٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٩) (٨) .

ولمَّا وقعت فتنةُ عثمان رضي الله عنه اعتزلَ الناس ، فلم يخرجْ من بيته .

وقد رمىٰ يوم أُحدٍ ألفَ سهم ، وأوصىٰ أن يكفَّنَ في جُبَّتِهِ التي كان قد لقي المشركين فيها يوم بدر ، فكفَّنوه فيها ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٨) الإمام سعيد بن زيد رضي الله عنه(١)

ويجتمع نسبُهُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي .

وكان مُجابَ الدعوة .

وقد ادَّعتْ عليه أروىٰ بنتُ أويس عند مروان : أنَّه أخذَ لها شيئاً من أرضها ، فقال سعيد : اللهم ؛ إنْ كانت كاذبةً فأعم بصرها ، واقتلها في أرضها ، فما ماتتْ حتىٰ ذهبَ بصرُها ، وبينما هي تمشي في أرضها ؛ إذ وقعتْ في حفرةٍ ، فماتت .

توفِّي بالعقيق ، وحُمل إلى المدينة ، ودُفن بها سنة خمسٍ وخمسين ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٩) الإمام أبو محمد عبدُ الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه(٢)

ويجتمع نسبُهُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في كلابِ بنِ مُرَّة .

كان رضي الله عنه يتصدَّق بالسبع مئة راحلة وأكثر للفقراء والمساكين بأحمالها ، وأقتابها ، وأَحلاسها .

ولم يزل خائفاً من منذ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عوفٍ**

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٣/ ٢٧٩) ، و« تاريخ دمشق » (٢١/ ٦٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (١/ ١٢٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٩) (٩) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٣/ ١٢٤ » ، و« حلية الأولياء » (١/ ٩٨) ، و« تاريخ دمشق » (٣٥/ ٢٣٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٦٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٠) (١٠) .

يدخُلُ الجنةَ حَبواً » ، ولمَّا بلغه ذلك جاءَ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **أَقرِضِ اللهَ قرضاً حسناً يُطلِقْ لكَ قدمَيك ، ثمَّ نزلَ جبريلُ ، فقالَ : مُرِ ابنَ عوفٍ فَليُضِفِ الضيفَ ، ولْيُطعمِ المسكينَ ، ولْيُعطِ السائلَ ، فإذَا فعلَ ذلكَ كانَ كفَّارةً لِمَا هوَ فيهِ** »[1] .

وروي : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عمَّمَهُ بيده ، وسدلها بين كتفيه .

وصلّىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خلفه ، وقال : « **إنهُ عبدٌ صالحٌ** » .

وكان رضي الله عنه من شدَّةِ خوفه وتواضعه لا يُعرفُ من بين عبيده .

توفي سنة اثنتين وثلاثين ، ودفن بالبقيع ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٠) الإمام أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه[2]

ويجتمع نسبُهُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في الأبِ السابع .

ودُفن بغور بيسان سنة ثماني عشرة عند قريةٍ تُسمَّىٰ عَمَّان .

وكان رضي الله عنه يقول : ألا رُبَّ مُبيِّضٍ لثيابه مُدنِّسٍ لدينه ، ألا ربَّ مُكرمٍ لنفسه ، وهو لها مُهين ؛ فبادروا ـ رحمَكم اللهُ ـ السيئاتِ القديمات بالحسناتِ الحديثات ، فلو أنَّ أحدَكم عملَ من السيئات ما بينه وبين السماء ، ثم عملَ حسنةً . . لعلتْ فوق سيئاته حتىٰ تقهرهن .

وكان رضي الله عنه يقول : (مثلُ المؤمن مثلُ العصفور يتقلَّبُ كلَّ يومٍ كذا كذا مرة) ، رضي الله عنه .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٩٩) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٣١١) .

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح . انظر « طبقات ابن سعد » (٣/ ٢٩٧) ، و« حلية الأولياء » (١/ ١٠٠) ، و« تاريخ دمشق » (٢٥/ ٤٣٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٥) ، وسترد ترجمته ثانية « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣١) (١١) .

ومنهم :

(١١) الإمام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[١]

وكان صاحبَ سرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووسادِهِ ، وسواكِهِ ، ونعليه ، وطهورِهِ في السفر .

وكان يُشبَّه بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم في هديه وسمته .

وكان رضي الله عنه من أجودِ الناس ثوباً ، ومن أطيبِ الناس ريحاً ؛ تعظيماً لنعلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حمله .

وكان هو الذي يُلبس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نعليه ، ويمشي أمامه بالعصا ، حتىٰ يدخلَ أمامَه الحجرةَ ، فإذا أتىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسَهُ نزعَ نعليه ، فأدخلهما في ذراعيه ، وأعطاه العصا .

وكان رضي الله عنه دقيقَ الساقين ، فكان بعضُ الصحابة يضحكُ من دقَّة ساقيه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **وٱلذي نفسِي بيدِهِ ؛ لَهُما أثقلُ فِي الميزانِ منْ جبلِ أُحدٍ** »[٢] .

وكان صلى الله عليه وسلم يسمعُ لقراءته في الليل ، ويقول : « **منْ سرَّهُ أنْ يقرأَ القرآنَ رَطباً كَمَا أُنزلَ . . فليَقرأْهُ علىٰ قراءةِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ** »[٣] .

وكان رضي الله عنه قليلَ الصوم ، كثيرَ الصلاة ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنِّي إذا

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٢/ ٣٤٢ ، ٣/ ١٥٠ ، ٦/ ١٣) ، و« حلية الأولياء » (١/ ١٢٤) ، و« تاريخ دمشق » (٣٣/ ٥١) ، و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٤٦١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣١) (١٢) .

(٢) أخرجه أحمد في « المسند » (١/ ١١٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٣١٧) عن سيدنا قُرة رضي الله عنه ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٥٣١٠) عن سيدنا زر بن حبيش رضي الله عنه ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٢٨٩) : (رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح) .

(٣) رواه ابن ماجه (١٣٨) ، وأحمد في « مسنده » (١/ ٢٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

صمتُ ضعفت عن الصلاة ، والصلاةُ عندي أهمُّ .

وسمع رجلاً يقول : اللهم ؛ إني أحبُّ أن أكون من المقرَّبين ، ولا أحبُّ أن أكونَ من أصحاب اليمين(١) ، فقال ابنُ مسعود رضي الله عنه : ها هنا رجلٌ يودُّ أنَّه إذا مات لا يبعث ؛ يعني : نفسه .

وكان رضي الله عنه يبكي ، ويلاقي دموعَه بكفَّيه ، ثم يقول بدموعه هٰكذا ؛ يرشُّ بها الأرض .

وخرج مرَّةً معه ناسٌ يشيِّعونه ، فقال لهم : ألكم حاجة ؟ فقالوا : لا ، فقال : ارجعوا ؛ فإنَّه ذلَّةٌ للتابع ، وفتنةٌ للمتبوع .

وكان يقول : (لو تعلمون منِّي ما أعلمُه من نفسي لحثيتم علىٰ رأسي التراب) .

وكان يقول : (حبذا المكروهان ؛ الموت ، والفقر) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما أصبحتُ قطُّ علىٰ حالةٍ فتمنَّيتُ أن أكونَ علىٰ سواها) .

وكان يقول : (إنَّ الرجلَ ليدخلَ على السلطان ومعه دينُهُ ، فيخرج ولا دينَ معه ؛ لأنَّه معرَّضٌ أن يعصي الله تعالىٰ ؛ إما بفعله ، وإما بسكوته ، وإما باعتقاده) .

وكان يقول : (لو أنَّ رجلا قامَ بين الرُّكن والمقام يعبدُ اللهَ تعالىٰ سبعين سنة ، وهو يحبُّ ظالماً لبعثه الله تعالىٰ يومَ القيامة مع مَنْ يُحبُّ) .

ولمَّا مرضَ رضي الله عنه عاده عثمان بنُ عفان رضي الله عنه ، فقال له : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي ، قال فما تشتهي ؟ قال : رحمةَ ربِّي ، قال له : ألا آمرُ لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني ، قال : ألا آمر لك بعطاء ؟ قال : لا حاجةَ لي فيه ، قال : يكونُ لبناتك ، قال : أتخشىٰ علىٰ بناتي الفقرَ ، وقد أمرتُهنَّ أن يقرأنَ كلَّ ليلةٍ سورة الواقعة ؟! إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « منْ قرأَ الواقعةَ

---

(١) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في سورة الواقعة [٨٨ ـ ٩١] : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ .

فِي كلِّ ليلةٍ لمْ تُصبْهُ فَاقةٌ أبداً »[١] .

وكان من دعائه : (اللهم ؛ إنِّي أسألُكَ إيماناً لا يرتدُّ ، ونعيماً لا ينفدُ ، وقرَّةَ عينٍ لا تنقطع ، ومرافقةَ نبيِّك صلى الله عليه وسلم في أعلىٰ جنان الخلد) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ليسَ العلمُ بكثرة الرواية ؛ إنَّما العلمُ بالخشية) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ويلٌ لمن لا يعلمُ ، ولو شاء اللهُ لعلَّمه ، وويلٌ لمن يعلم ثم لا يعمل) سبع مرات .

وكان يقول : (ذهب صفو الدنيا ، وبقي كدرُها ، والموتُ اليومَ تحفةٌ لكلِّ مسلم) .

وكان يقول : (لا يبلغُ عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتىٰ يحلَّ بذروته ، ولا يحلُّ بذروته حتىٰ يكونَ الفقرُ أحبَّ إليه من الغنىٰ ، والذلُّ أحبَّ إليه من العزِّ ، وحتىٰ يكونَ حامدُهُ وذامُّه عنده سواءً) .

وفسَّر هـٰذه الجملة أصحابُهُ فقالوا : حتىٰ يكون الفقرُ في الحلال أحبَّ إليه من الغنىٰ في الحرام ، والتواضعُ في طاعةِ الله أحبَّ إليه من الشرف في معصية الله ، وحتىٰ يكونَ حامدُهُ وذامُّه عنده في الحقِّ سواءً ، لا يميلُ إلىٰ من يحمدُهُ أكثر ممَّن يذمُّهُ .

وكان يقول : (لأن يعضَّ أحدُكم علىٰ جمرةٍ حتىٰ تُطفأ خيرٌ له من أن يقولَ لأمرٍ قضاه الله : ليتَ هـٰذا لم يكن) .

وكان يقول لأصحابه : (أنتم أطولُ صلاةً ، وأكثرُ اجتهاداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم كانوا أزهدَ منكم في الدنيا ، وأرغبَ منكم في الآخرة) .

وكان يقول : (إنَّ الرجل ليكونُ غائباً عن المنكرِ في بيوت الولاة ، ويكون عليه مثلُ وزرِ من حضر ؛ وذلك لأنه يبلغه فيرضىٰ به ، ويسكتُ عليه)[٢] ، والله أعلم .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢٦٨) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٦٨٠) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أي : يبلغه ما يجري في بيوتهم من منكر وظلم .

ومنهم :

(١٢) الإمام خَبَّاب بن الأَرَتِّ رضي الله عنه[١]

وكان يُعذَّبُ بالنار ليرجعَ عن دين الإسلام ، فلم يرجع .

وكان رضي الله عنه يبكي ويقول : (إن إخواننا مضوا ولم يأخذوا من أجرِهم شيئاً ، ولم تنقصْهُم الدنيا ، وإنَّا بقينا بعدهم ، وأُعطينا من المالِ ما لم نجدْ له موضعاً إلا التراب ، ولولا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعوَ بالموت لدعوتُ به)[٢] .

وقال له عمر رضي الله عنه : يا خبابُ ؛ ماذا لقيتَ من المشركين ؟ فقال : أوقدوا لي ناراً ، فما أطفأها إلا وَدَكُ ظهري[٣] ، رضي الله عنه .

توفي بالكوفة ، وصلَّىٰ عليه عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٣) أبي بن كعب رضي الله عنه[٤]

كان من القرَّاء ، وقرأ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ. . . ﴾ إلىٰ آخرها بأمرِ الله عز وجل له في ذلك .

وكان يقول : (عليكم بالسبيل والسنة ؛ فإنه ليس من عبدٍ علىٰ سبيلٍ وسنةٍ وذكرِ الرحمـٰن ففاضتْ عيناه من خشية الله تعالىٰ فتمسَّه النارُ ، وإنَّ اقتصاداً في سبيلٍ وسنةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في خلافِ سبيلٍ وسنةٍ) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٣/ ١٦٤) ، و« حلية الأولياء » (١/ ١٤٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢/ ٣٢٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٤) (١٣) .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٥/ ١٠٩) عن سيدنا خبَّابٍ رضي الله عنه .

(٣) **الوَدَك** : الدَّسَم والدُّهن .

(٤) انظر « طبقات ابن سعد » (٣/ ٤٩٨) ، و« حلية الأولياء » (١/ ٢٥٠) ، و« تاريخ دمشق » (٧/ ٣٠٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٣٨٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٤) (١٤) .

وكان يقول : (ما منْ عبدٍ تركَ شيئاً لله إلا أبدله اللهُ عز وجل ما هو خيرٌ منه من حيثُ لا يحتسب) رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٤) سلمان الفارسي رضي الله عنه[1]

كان عطاؤه خمسةَ آلاف .

وكان أميراً علىٰ زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين .

وكان يخطُبُ على الناس في عباءةٍ يفرشُ بعضَها ويلبسُ بعضَها ، فإذا خرج عطاؤه أمضاه .

وكان يأكلُ من سفيف يديه[2] ، ويستظلُّ بالفيء حيثما دار ، ولم يكنْ له بيتٌ ، وكان يأكل الشعير .

وكان يعجنُ عن الخادم حين يُرسلها في حاجةٍ ، ويقول : لا نجمعُ عليها عملين .

وكان يعملُ الخُوصَ ، ويقول : (أشتري خوصاً بدرهم ، فأعمله ، فأبيعه بثلاثة دراهم ، فأعيدُ درهماً فيه ، وأُنفق درهماً علىٰ عيالي ، وأتصدَّقُ بدرهم) .

وكان لا يأكلُ من صدقات الناس .

وكان الناسُ يسخِّرونه في جمل أمتعتهم لرثاثةِ حاله ، فربَّما عرفوه ، فيريدون أن يَحملوا عنه ، فيقول : لا ، حتىٰ أُوصلكم إلى المنزل ، وهو إذ ذاك أميرٌ على المدائن .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّما مثلُ المؤمن في الدنيا كمثل مريضٍ معه طبيبه الذي يعلمُ داءَهُ ودواءَهُ ، فإذا اشتهىٰ ما يضرُّه منعه ، وقال : إن أكلتَهُ هلكتَ ، وكذلك

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٤/ ٧٥) ، و« حلية الأولياء » (١/ ١٨٥) ، و« تاريخ دمشق » (١٠/ ٢٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٥٠٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٢) (٢٠) .

(٢) السفيف : النسج ، والسُّفَّةُ : ما يسفُّ من الخوص .

المؤمن يَشتهي أشياءَ كثيرةً ، فيمنعه الله عز وجل منها حتىٰ يموتَ ، فيدخله الجنة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (عجباً لمؤمِّل الدنيا والموتُ يطلبه ، وغافلٍ وليس بمغفولٍ عنه ، وضاحكٍ ولا يدري : أَربُّهُ راضٍ عنه أم ساخط ؟!) .

وكان رضي الله عنه يقول : (عهد إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عهداً ، فقال : « لِيكنْ بُلْغةُ أحدِكُمْ مِثلَ زادِ الراكبِ »[(١)]) .

عاش رضي الله عنه مئتين وخمسين سنة[(٢)] ، **وتوفي في خلافةِ عثمان رضي الله عنه .**

ومنهم :

(١٥) تميم الداري رضي الله عنه[(٣)]

كان كثيرَ التهجُّدِ ، قام ليلةً حتىٰ أصبحَ بآيةٍ واحدةٍ من القرآن يركع ، ويسجد ، ويبكي ؛ وهي قوله تعالىٰ : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ . . . ﴾الآية [الجاثية : ٢١] .

كان له هيئةٌ ولباسٌ وحُسنٌ .

وكان أوَّلَ من قصَّ على الناس بإذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٥/٤٣٨) ، وابن ماجه (٤١٠٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/١٩٥) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/٣١٧) ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٢) قال الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١/٥٥٥) : (وقد فتشت فما ظفرت في سِنِّه بشيء ، ومجموع أمره وأحواله وغزوه . . ينبئ بأنه ليس بمعمَّرٍ ولا هرم ؛ فقد فارق وطنه وهو حدث ، ولعله قدم الحجاز وله أربعون سنة ، أو أقل ، فلم ينشب أن سمع بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم هاجر ، فلعله عاش بضعاً وسبعين سنة ، وما أراه بلغ المئة ، وقد ذكرت في « تاريخي الكبير » (٢/٢٨٦) أنه عاش مئتين وخمسين سنة ، وأنا الساعة لا أرتضي ذلك ، ولا أُصحِّحه) .

(٣) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/٤٠٨) ، و« الاستيعاب » (١/١٩٣) ، و« تاريخ دمشق » (١١/٥٢) ، و« طبقات المناوي » (١/١٢٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٤٤) (٢١) .

وكان له حُلَّةٌ اشتراها بألف درهم ، فكان يلبسُها في الليلة التي يُرجىٰ أنها ليلة القدر ، والله تبارك وتعالى أعلم .

ومنهم :

(١٦) أبو الدرداء عويمر بن زيد رضي الله عنه[١]

كان يقول : (واللهِ الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ ما أمنَ أحدٌ علىٰ إيمانه أنْ يُسلبَ إلا سُلب) .

وكان يقول : (إنِّي لآمركُم بالأمرِ لا أفعله ، ولـٰكنِّي أَرجو به الأجرَ من قبلكم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (تفكُّرُ ساعةٍ خير من قيامِ ليلة) .

وكان يقول : (مثقالُ ذرَّةٍ من بِرٍّ مع تقوىٰ ويقين أفضلُ وأعظمُ وأرجحُ من أمثال الجبال من عبادة المغترِّين) .

وكان يقول : (إن من فقه الرجل رفقُهُ في معيشته) .

وكان يقول : (معاتبةُ الأخِ خيرٌ من فقده) .

وكان يقول : (إنْ ناقدتَ الناس ناقدوك ، وإن تركتَهُم لم يتركوك ، وإن هربتَ منهم أدركوك ، فهبوا أعراضَكم ليومِ فقركم) .

وكان يقول : (لو تعلمون ما أنتم راؤون بعد الموت لما أكلتم طعاماً علىٰ شهوة ، ولا شربتم ماءً علىٰ شهوة ، ولوددتُ أنِّي شجرة تعضد ، ثم تُؤكل) .

وكان يقول : (أدركتُ الناسَ ورقاً لا شوك فيه ، فأصبحوا شوكاً لا ورق فيه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ الذين ألسنتُهم رطبةٌ من ذكر الله عز وجل يدخل أحدُهم الجنة وهو يضحك) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٣٩١) ، و« تاريخ دمشق » (٤٧/ ٩٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢/ ٣٣٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ١١٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٤) (٢٢) .

قلت : والمراد بالرطبة : عدمُ الغفلة ؛ فإنَّ القلبَ إذا غفلَ يبسَ اللسانُ ، وخرج عن كونه رطباً .

وكان يقول : (لا تبغضْ من أخيك المسلم إذا عصىٰ إلا عملَه ، فإذا تركه فهو أخوك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (نعم صومعةُ الرَّجلِ المسلمِ بيتُهُ ، يكفُّ لسانَهُ ، وفرجَهُ ، وبصرَهُ) .

وقالت له أمُّ الدرداء : إنِ احتجتُ بعدك أفآكلُ الصدقة ؟ قال : لا ، اعملي وكلي ؛ فإن ضعفتِ عن العمل فالتقطي السُّنبلَ ولا تأكلي الصدقة .

وخطبها معاوية فأبت ، وقالت : لا أغيِّرُ علىٰ أبي الدرداء .

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه لم يزل يدفعُ الدنيا بالرَّاحتَيْنِ ، ويقول : إليك عنِّي .

وكان يقول : (لا يفقه الرجلُ كلَّ الفقه حتىٰ يمقتَ نفسَه في جانب الله أشدَّ المقتِ) .

وكان يقول : (ما في المؤمنِ بضعةٌ أحبُّ إلى الله من لسانه ، فليحفظْه ، لئلا يُدخلَهُ النار) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّا لنضحكُ في وجوه قومٍ ، وإنَّ قلوبَنا لتلعنُهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا تغيَّرَ أخوك واعوجَّ فلا تتركه لأجل ذلك ؛ فإنَّ الأخَ يعوجُّ مرَّةً ويستقيم أخرىٰ) .

وكان هـٰذا مذهبَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والنخعي ، وجماعة ، لا يهجرون عند الذنب ، ويقولون : لا تُحدِّثوا بزلَّةِ العالمِ ؛ فإنه يزلُّ الزلَّةَ ، ثم يتركُها .

وكانت زوجتُه أمُّ الدرداء تقول : (طلبتُ العبادة في كلِّ شيءٍ فما وجدتُ شيئاً أشفىٰ لصدري ولا أفضلَ من مجالس الذكر) ، فكانوا يحضرون عندها ، فيذكرون فتذكر معهم .

وأرسلت إلىٰ نَوف البِكالي وهو يعظُ الناس ، تقول له : اتَّقِ الله ، ولتكنْ موعظتُكَ لنفسك ، والله أعلم .

ومنهم :

(١٧) عبد الله بن عمر رضي الله تعالىٰ عنه[١]

كان من عُبّادِ الصحابة وزهّادهم .

لم يضع لبنةً علىٰ لبنةٍ ، ولا غرسَ شجرةً منذ ماتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان رضيَ الله عنه يقول : (يا بنَ آدم ؛ صاحبِ الدنيا ببدنك ، وفارقها بقلبك وهمَّتِك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يكونُ الرجلُ من أهلِ العلم حتىٰ لا يَحسدَ مَنْ فوقه ، ولا يحقرَ من دونه ، ولا يبتغي بالعلم ثمناً) ، والله أعلم .

ومنهم :

(١٨) أبو ذر رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

كان يظلُّ نهارَهُ أجمع يتفكَّرُ فيما هو صائرٌ إليه .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو أنَّ صاحبَ المنزل يَدَعُنا فيه لملأتُهُ أمتعةً ، ولـٰكنَّه يُريدُ نقلتنا منه) .

وكان يرىٰ تحريمَ ادخار ما زاد علىٰ نفقة اليوم .

وكان الرجلُ يدخلُ عليه ، فيقلِّبُ بصرَهُ في بيته ، فلا يجدُ فيه شيئاً من أمتعة الدنيا ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٢/ ٣٧٣ ، ٤/ ١٤٢) ، و« حلية الأولياء » (١/ ٢٩٢) ، و« تاريخ دمشق » (٣١/ ٧٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣/ ٢٠٣) ، و« طبقات المناوي » (١/ ١٦٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٦) (٢٣) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٤/ ٢١٩) ، و« حلية الأولياء » (١/ ١٥٦) ، و« تاريخ دمشق » (١١/ ٣٠٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢/ ٤٦) ، و« طبقات المناوي » (١/ ١١٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٦) (٢٤) .

ومنهم :

(١٩) حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[١]

صاحبُ سرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان يقول : (أَحبُّ يومٍ أكونُ فيه : حين يأتيني أهلُ بيتي ، فيقولون : ما عندنا شيءٌ نأكله ، لا قليل ولا كثير) .

وبكىٰ يوماً في صلاته ، ثم التفتَ فرأىٰ وراءه رجلاً ، فقال : (لا تُعلمنَّ بهـٰذا أحداً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (سيأتي على الناس زمانٌ يُقال للرجل فيه : ما أظرفَهُ ! ما أعقلَهُ ! وما في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من إيمان) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ليس خيرُكم الذين يتركون الدنيا للآخرة ، ولـٰكنَّ خيرَكم الذين يتناولون من كلٍّ منهما) .

ومنهم :

(٢٠) أبو هريرة رضي الله عنه[٢]

كانت له هرَّةٌ صغيرة ، فكنِّي بها .

وكان يقول : (لولا آيةٌ من كتاب الله عز وجل ما حدَّثتكم بشيءٍ أبداً ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة : ١٥٩]) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ١٥ ، ٧/ ٣١٧) ، و« حلية الأولياء » (١/ ٢٧٠) ، و« تاريخ دمشق » (١٢/ ٢٥٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢/ ٣٦١) ، و« طبقات المناوي » (١/ ١٣٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٧) (٢٥) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٢/ ٣٦٢ ، ٤/ ٣٢٥) ، و« حلية الأولياء » (١/ ٢٧٦) ، و« تاريخ دمشق » (٦٧/ ٢٩٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢/ ٥٧٨) ، و« طبقات المناوي » (١/ ١٢١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٨) (٢٦) .

وكان يخدمُ الناسَ قبل صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنه .

وكان لا يسألُ الناسَ شيئاً .

وكان رضي الله عنه يسبّحُ كلَّ يومٍ اثنتي عشرة ألف تسبيحة ، ويقول : أسبِّحُ بقدر ذنبي .

ورفع يوماً على جاريته سوطاً ، ثم قال : لولا خوفُ القصاص لأوجعتك ، ولكن سأبيعُك لمن يوفّيني ثمنَك ؛ اذهبي فأنت حرَّةٌ لوجه الله تعالى .

وكان هو وامرأتُهُ وجاريتُهُ يعتقبون الليل أثلاثاً ؛ يصلي هذا ، ثم يوقظ هذا ، ويصلي هذا ، ثم يوقظ هذا .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما وجعٌ أحبُّ إليَّ من الحمَّى ؛ لأنَّها تُعطي كلَّ مفصلٍ قسطَهُ من الأجر ؛ بسبب عموم الجسد بالوجع) .

وكان يقول : (المرضُ لا يدخله رياءٌ ولا سمعة ، بل هو أجرٌ محض) .

وقد قسَّمَ الشيخُ عبدُ القادر الجيلي رضي الله عنه **المرضَ على ثلاثة أقسام : عقوبة ، وكفَّارة ، ورفع درجة** ؛ فالعقوبة : ما صاحبه السخط ، والكفارةُ : ما صاحبه الرضا والصبر ، والدرجة : ما صاحبه الرضا وانشراح الصدر .

وكان يحملُ حزمةَ الحطب على رأسه وهو يومئذ خليفةٌ لمروان[1] ، ويقول : أوسعوا الطريقَ لأميركم .

ولمَّا حضرته الوفاة بكى ، فقيل له في ذلك ، فقال : أبكي على بُعْدِ سفري ، وقلَّةِ زادي ، وأني أصبحتُ على مهبطِ جنةٍ أو نار ، ولا أدري أيَّهما يأخذُ بي .

توفي في المدينة في خلافة معاوية ، وله ثمانٌ وسبعون سنة ، رضي الله عنه .

---

(١) وكان ذلك أيام إمارته على المدينة زمن معاوية رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢١) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[١]

كان يقول : (يا صاحبَ الذنب ؛ لا تأمن شرَّ عاقبته ؛ فإنَّ ضحكَكَ وأنت لا تدري ما اللهُ صانعٌ بك أعظمُ من الذنب ، وفرحَك بالذَّنبِ إذا ظفرتَ به أعظمُ من الذنب ، وحزنَك على الذنب إذا فاتَك أعظمُ من الذنب ، وعدمَ اضطرابِ قلبك من نظرِ الله تعالىٰ إليك وأنتَ على الذنب أعظمُ من الذنب) .

وكان مجرى الدُّموعِ في وجهه كأنه الشِّراكُ البالي .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو بغىٰ جبلٌ علىٰ جبلٍ لدكَّ الباغي) .

وكان يقول : (يأتي على الناس زمانٌ يُعْرَجُ فيه بعقولِ الناس ، حتىٰ لا تجدَ فيه أحداً ذا عقل) .

وكان يجلسُ يوماً للتأويل ، ويوماً للفقه ، ويوماً للمغازي ، ويوماً للشعر ، ويوماً لأيام العرب .

قلت : ومعنى الشعر أن يذكرَهُ استشهاداً للغة العرب .

وكان يقول : (لا يقبلُ اللهُ صلاةَ امرئٍ وفي جوفه حرامٌ) .

وكان يقول : (عيادةُ المريض مرة سُنَّةٌ ، فما زاد فهو نافلة) ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٢) عبد الله بن الزبير رضي الله عنه[٢]

كان من عُبَّادِ الصحابة ، وكان إذا قام في الصلاةِ كأنَّه عمودٌ من الخشوع .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٢/ ٣٦٥) ، و« حلية الأولياء » (١/ ٣١٤) ، و« تاريخ دمشق » (٢٩/ ٢٨٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣/ ٣٣١) ، و« طبقات المناوي » (١/ ١٧٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٥) (١٥) .

(٢) انظر « حلية الأولياء » (١/ ٣٢٩) ، و« تاريخ دمشق » (٢٨/ ١٣٧) ، و« سير أعلام النبلاء »=

وكان يسجدُ ويُطيل السجود حتىٰ تنزلَ العصافيرُ علىٰ ظهره ، لا تحسبُهُ إلا جدارَ حائط .

وكان يُحيي الدهرَ كلَّه : ليلةً قائماً حتىٰ يُصبح ، وليلةً يُحييها راكعاً حتىٰ يُصبح ، وليلةً يحييها ساجداً حتىٰ يصبح .

وكان يُسمَّىٰ **حمامة المسجد** .

قتل سنة ثلاثٍ وسبعين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، وصُلبَ علىٰ باب الكعبة .

وكان أطلسَ لا لحيةَ له .

وقتله الحجَّاجُ حين بُويع له بالخلافة ، وأطاعَهُ أهلُ الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، وأقام في الخلافة تسعَ سنين ، ثم حاصره الحجَّاجُ بمكة رضي الله تعالى عنه .

ومنهم :

(٢٣) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه(١)

ولد في النصف من رمضان سنة ثلاثٍ من الهجرة ، وأذَّنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في أذنه ، وسمَّاه الحسن .

وكان حليماً كريماً ورعاً ، دعاه ورعُهُ وحلمُهُ إلىٰ أن تركِ الدنيا والخلافةَ لله عز وجل .

وكان من المُبادرين إلىٰ نصرة عثمان رضي الله عنه .

وولي الخلافة بعد قتل أبيه ، وبايعه أكثرُ من أربعين ألفاً ، كانوا بايعوا أباه ، وبقي نحو سبعة أشهر خليفةً بالحجاز واليمن والعراق وخراسان ، وغير ذلك ، ثم سار إليه

= (٣/ ٣٦٣) ، و« طبقات المناوي » (١/ ١٧٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٦) (١٦) .

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ٤٧١) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٣٥) ، و« تاريخ دمشق » (١٣/ ١٦٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣/ ٢٤٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ١٣٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٦) (١٧) .

معاوية من الشام ، وسار هو إلىٰ معاويةَ ، فلمَّا تقاربا علمَ أنَّه لن تغلبَ إحدى الطائفتين حتىٰ تقتلَ أكثرَ الأخرىٰ ، فأرسل إلىٰ معاوية يبذلُ له تسليمَ الأمر علىٰ أن تكونَ الخلافةُ له من بعده ، وعلىٰ ألا يُطالبَ أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيءٍ ممَّا كان أيام أبيه ، وغير ذلك من القواعد ، فأجابه معاويةُ إلىٰ ما طلب ، فاصطلحا علىٰ ذلك ، وظهرتِ المعجزةُ النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ ٱبنِي هٰذَا سيدٌ يُصلحُ اللهُ بهِ بينَ فِئتينِ عظيمتَينِ منَ المسلمينَ »(١) ، وكان ذلك سنة إحدىٰ وأربعين .

وكان أشبهَ الناسِ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال القضاعي : (ولم يمتِ الحسنُ حتىٰ قتلَ عبدَ الرحمٰن بن مُلْجَم قاتلَ الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه) .

وسمع رضي الله عنه رجلاً يسألُ الله عز وجل أن يرزقَهُ عشرة آلاف درهم ، فانصرف الحسنُ وأرسل بها إليه .

وكان يقول : (إنِّي لأستحيي من ربِّي عز وجل أن ألقاه ولم أمشِ إلىٰ بيته) ، فمشىٰ عشرين مرة من المدينة علىٰ رجليه ، وإنَّ الجنائبَ لتقادُ معه .

وخرج من ماله لله تعالىٰ مرَّتين ، وقاسم الله تعالىٰ ثلاث مرَّات حتىٰ إنه كان ليعطي نعلاً ويُمسك نعلاً .

وكان رضي الله عنه يُجيز الواحدَ بمئة ألف درهم .

وكان إذا اشترىٰ من أحدٍ حائطاً ثم افتقرَ البائعُ يردُّ إليه الحائطَ ، ويردفه بالثمن معه .

وما قال قطُّ لسائل : لا .

وكان لا يُعطي لأحدٍ عطيةً إلا شفعها بمثلها .

وكان يقول لبنيه وبني أخيه : (تعلَّموا العلمَ ؛ فإنْ لم تستطيعوا حفظَهُ فاكتبوه ، وضعوه في بيوتكم) .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) .

ولمَّا شربَ السُّمَّ تقطَّعَ كبدُهُ ، فقال : (إني قد سُقيتُ السُّمَّ مراراً ، فلم أُسقَ مثلَ هـٰذه المرة) .

وقال له الحسينُ رضي الله عنه : يا أخي ؛ من تتَّهم ؟ قال : لِمَ ؟ قال : لنقتله ، قال : إن يكنِ الذي أظنُّه فاللهُ أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً ، وإن لم يكنْ فما أحبُّ أن يُقتلَ بي بريء .

فلمَّا نزل به الموتُ قال : أخرجوا فراشي إلىٰ صحن الدار ، فأُخرج ، فقال : اللهم ؛ إنِّي أحتسبُ نفسي عندك ؛ فإني لم أصبْ بمثلها .

ثم قُبض سنة خمسين ، ودفن بالبقيع رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٤) الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[١]

ولد في شعبان سنة أربعٍ من الهجرة .

وكان له من الأولاد خمسة : علي الأكبر ، وعلي الأصغر ـ وله العقبُ ؛ فإن الأشرافَ الآن منه[٢] ـ وجعفر ، وفاطمة ، وسكينة المدفونة بالمراغةِ بقربِ السيدة نفيسة[٣] .

وحجَّ رضي الله عنه خمساً وعشرين حجَّةً ماشياً وجنائبُهُ تُقادُ بين يديه .

وكان رضي الله عنه يقول : (اعلموا أنَّ حوائجَ الناس إليكم من نعمِ الله عز وجل عليكم ؛ فلا تملُّوا النعمَ ، فتعود نقماً) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/٣٩٩) ، و« حلية الأولياء » (٢/٣٩) ، و« تاريخ دمشق » (١٤/١١١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣/ ٢٨٠) ، و« طبقات المناوي » (١/ ١٤٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٨) (١٨) .

(٢) قوله : (فإن الأشراف الآن منه) يعني : الأشراف الحسينيين ، لا كل الأشراف ، كما نبه على ذلك الشعراني في ترجمته للإمام محمد الباقر رحمه الله تعالى . انظر (١/ ١٧٥) .

(٣) أجمعت المصادر التي ذكرت ترجمتها علىٰ أن وفاتها كانت بالمدينة ، وليست في مصر ، قال المناوي في « طبقاته » (١/ ١٥٠) معقباً علىٰ قول مؤلفنا : (وليس ذلك بصحيح) .

وكان يقول : (مَنْ جادَ ساد ، ومن بخلَ ذَلَّ ، ومن تَعجَّل لأخيه خيراً وجدَه إذا قدم عليه غداً) .

قُتل رضي الله عنه شهيداً يوم الجمعة ، يوم عاشوراء في المحرَّمِ ، سنة إحدىٰ وستين وهو ابن ستٍّ وخمسين سنة .

وقال أهل السِّير : (إنَّ الله عز وجل قتل بسبب يحيى بنِ زكريا خمسةً وتسعين ألفاً ، وذلك ديةُ كلِّ نبيٍّ) .

ويُروىٰ : أنَّ الله تعالىٰ أَوحىٰ إلىٰ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : « إنِّي قَتلتُ بيحيَى بنِ زكَريَّا خمسةً وتسعينَ ألفاً ، وَلأَقْتُلَنَّ بالحسينِ ابنِ بنتِكَ قَدْرَ ذلكَ مرتينِ »[1] .

وروي : أنّه لما قُتل الحسين رضي الله عنه احتزُّوا رأسَه ، وقعدوا في أول مرحلةٍ يشربون الخمر ، فخرج عليهم قلمٌ من حديدٍ من حائطٍ ، فكتب عليه سطراً : [من الوافر]

أَتــرجُــو أُمــةٌ قَتلــتْ حُسينــاً ... شفــاعــةَ جــدِّهِ يــومَ الحســابِ

وأنشدت أختُه زينبُ المدفونة بقناطرِ السباع من مصر المحروسة برفع صوتٍ ورأسُها خارجةٌ من الخباء : [من البسيط]

مــاذَا تقــولــونَ إنْ قــالَ النبــيُّ لكُــمْ ... مــاذَا فَعلْتُــمْ وأنتــمْ آخــرُ الأمــمِ
بِعتــرتِــي وبــأهلِــي بعــدَ مُفتقَــدِي ... منهــمْ أُسـارىٰ ومنهـمْ ضُمِّخُـوا بـدمِ
مَا كانَ هـٰذَا جزائِي إِذْ نصحتُ لكمْ ... أنْ تخلُفونِي بسوءٍ فِي ذَوي رَحِمِي

وحُملتْ رأسُه إلىٰ مصر ، ودُفنتِ بالمشهدِ المشهور بها ، ومشى الناس أمامها حفاةً من مدينة غزة إلىٰ مصر ؛ تعظيماً لها ، رضي الله عنه .

* * *

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (٢/٣١٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « الموضوعات » لابن الجوزي (١/٤٠٨) .

ذكر رجال من سادات التابعين
ومن بعدهم إلى عصر المؤلف

رجال من سادات التابعين

أولهم :

(٢٥) أويس القَرَني رضي الله عنه[١]

كان من أكابر الزهَّاد ، رثَّ البيت ، قليلَ المتاع .

وكان أشهلَ ، ذا صهوبة ، بعيدَ ما بين المنكبين ، معتدلَ القامة ، آدمَ شديد الأُدْمَة ، ضارباً بذقنه إلىٰ صدره ، رامياً ببصرِهِ إلىٰ موضع سجوده ، واضعاً يمينه علىٰ شماله ، وكان له طِمران من الثياب[٢] ، وكان يأتزرُ بإزارٍ من صوفٍ ورداء من صوف ، خامل الذكر لا يُؤبه له .

وكان إذا أمسىٰ يقول : (اللهم ؛ إنِّي أعتذرُ إليك اليومَ من كلِّ كبدٍ جائع ؛ فإنَّه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني) رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدعْ للمؤمن من صديقٍ ، فكلَّما أمرناهم بالمعروف شتموا أعراضنا ، ووجدوا علىٰ ذلك أعواناً من الفاسقين ، حتىٰ واللهِ ؛ لقد رموني بالعظائم) .

قال بِشر الحافي رضي الله عنه : (وبلغ مِنْ ورعِ أُويسٍ رضي الله عنه : أنَّه جلسَ في قَوْصرة[٣] من العري ، فهـٰذا وأَبيكَ هو الزهدُ) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ١٦١) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٧٩) ، و« تاريخ دمشق » (٩/ ٤٠٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ١٩) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢١٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٠) (١٩) .

(٢) **الطِّمْر** : الثوب الخَلَق البالي .

(٣) **القَوْصَرَّةُ** ، مخفف ومثقَّل : وعاء من قصب يرفع فيه التمر . « لسان العرب » (ق ص ر) .

وكان أويس رضي الله عنه يقول : (لا يَنالُ الناسُ هٰذا الأمرَ حتىٰ يكونَ الرجلُ كأنَّه قتلَ الناس أجمعين) .

وقال له رجلٌ : أوصني ، فقال : فرَّ إلىٰ ربِّك ، قال : فمن أين المعاش ؟! فقال : أفٍّ لقلوب يُخالطُها الشكُّ ، أتفرُّ إلى الله بدينك وتتَّهِمُهُ في رزقك ؟!

وكان رضي الله عنه مشغولاً بخدمة والدته ؛ فلذلك لم يجتمعْ برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رُوي : أنه اجتمعَ به مرات ، وحضر معه وقعةَ أحدٍ ، وقال : (واللهِ ؛ ما كُسرت رباعيتُه صلى الله عليه وسلم حتىٰ كُسرت رباعيتي ، ولا شُجَّ وجهُه حتىٰ شُجَّ وجهي ، ولا وطئ ظهرُه حتَّىٰ وطئ ظهري) هٰكذا رأيتُ هٰذا الكلامَ في بعض المؤلفات ، والله أعلم بالحال .

وكان قوتُه مما يلتقطُ من النوىٰ .

وكانوا لا يرونه إلا كلَّ سنةٍ أو سنتين مرَّةً ؛ لأنه لما نسبوه إلى الجنون بنىٰ له خُصّاً علىٰ باب دارهم ، فكانوا لا يرونه يخرجُ منه إلا في النادر .

وقال له رجلٌ مرَّةً : أوصني ، فقال : (وصيتي إليك كتابُ الله تعالىٰ ، وسنَّةُ المرسلين ، وصالحُ المؤمنين ، وعليك بذكر الموت ، ولا يُفارقْ قلبك ذكرُهُ طرفةَ عين ، وانصحِ الأمةَ جميعاً ، وإيَّاك أن تفارقَ الجماعة ، فتفارق دينَك وأنت لا تعلم ، فتدخل النار) .

وقال له رجلٌ : ادعُ لي ، فقال : (حفظك اللهُ ما دمتَ حيّاً ، ورضَّاك من الدنيا باليسير ، وجعلك لما أعطاه لك من الشاكرين) .

وطلبَ شخصٌ أن يُجالسه ، فقال : يا أخي ؛ لا أراك بعد اليوم ؛ فإني أكره الشهرةَ ، والوحدةُ أحبُّ إليَّ ؛ لأنِّي كثيرُ الغمِّ ما دمتُ مع الناس في هٰذه الدنيا ، فلا تسألني ، ولا تطلبني بعد فراقك ؛ فإنِّي لا أنساك يا أخي ، وإن لم أرك وترني .

وكان رضي الله عنه يتصدَّقُ إذا أمسىٰ بكلِّ ما في بيته .

وبلغ من عُريه أنَّه جلس في قَوْصَرَّةٍ .

وكان يلتقطُ الكِسَرَ من المزابل ، فيغسلها ، ويأكل بعضَها ، ويتصدَّقُ ببعضها .

وقال له هرمُ بن حيَّان : أوصني ، فقال : توسَّدِ الموتَ إذا نمت ، واجعلْه نصبَ عينك إذا قمت .

وكان رضي الله عنه يقول : (الدُّعاءُ بظهرِ الغيب أفضلُ من الزيارة واللقاء ؛ لأنَّهما قد يعرضُ فيهما التزيُّنُ والرياء) .

ولما دفنوه في قبره رجعوا فلم يجدوا لقبره عيناً ولا أثراً ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦) عامر بن عبد الله بن قيس رضي الله عنه[1]

كان رضي الله عنه يقول : (لو أنَّ الدُّنيا كانت لي بحذافيرها ، ثم أَمرني الله تعالىٰ بإخراجها كلِّها . . لأخرجتها بطيبِ نفس) .

وكان قد فرضَ علىٰ نفسه كلَّ يومٍ ألفَ ركعة ، وفي رواية ثمان مئة ركعة ، فلا ينصرفُ منها إلا وقد انتفختْ قدماه وساقاه ، ثم يقول لنفسه : إنَّما خُلقتِ للعبادة ، واللهِ ؛ لأَعْمَلَنَّ بك عملاً حتىٰ لا يأخذَ الفراشُ منك نصيباً .

وكان يقول : (لا أبالي حين أحببتُ اللهَ عز وجل علىٰ أيِّ حالٍ أَمسيتُ وأصبحت) .

وكان رضي الله عنه يقول : (منذ عرفتُ اللهَ تعالىٰ لم أخفْ سواه) .

وكان إذا تشوَّشَ من إنسان ، ودعا عليه يقول : (اللهم ؛ أكثرْ ماله ، وأصحَّ جسمَه ، وأطلْ عمره) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ١٠٣) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٨٧) ، و« تاريخ ابن عساكر » (عاصم ، عائذ) (٢٦/ ٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ١٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٤٠) ، وهو معروف بابن عبد قيس ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٥٧) (٢٨) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كم من شيءٍ كنتُ أُحسنُهُ أودُّ الآن أنِّي لا أُحسنه ، وما يُغني عنِّي ما أُحسنُ من الخير إذا لم أعملْ به) .

وكان إذا سافرَ إن شاءَ صبَّ من الركوةِ ماءً للوضوء ، وإن شاءَ صبَّ منها لبناً للشرب .

وكان إذا دخلَ عليه شيءٌ من الدراهم يُنفقُ منها على المساكين ما شاء ، ولا يُنْقَصُ منها شيءٌ .

وكان إذا أعطى السائل الرغيفَ يقول : (إنِّي لأستحيي أن يكونَ في ميزاني أقلُّ من رغيف)[١] .

وقيل له مرّةً : من هو خيرٌ منك ؟ فقال : من كان صمتُهُ تفكُّراً ، وكلامُهُ ذكراً ، ومشيُهُ تدبُّراً ، فهـٰذا خيرٌ منِّي .

وكان يقول : (ذكرُ الله شفاءٌ ، وذكرُ غيره داءٌ) .

وكان يقول : (مِنْ جهلِ العبدِ أن يخافَ على الناس من ذنوبهم ، ويأمنَ هو علىٰ ذنوب نفسه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما خيرُكم اليومَ بخيرٍ ، ولـٰكنَّه خيرٌ مِنْ أشرَّ منه) .

وكان يُطعم المجانين ، فيقول له الناس : إنَّهم لا يدرون بالأكل ، فيقول : إن لم يكونوا يَدرون ؛ فإنَّ الله تعالىٰ يدري .

وكان يقول : (تفقَّهْ ثم اعتزل) .

وكان رضي الله عنه يقول في قوله تعالىٰ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق : ٢] أي : من كلِّ شيءٍ ضاقَ على الناس .

وكان يقول : (إذا متُّ فلا تعلموا بي أحداً ، وسلُّوني إلىٰ ربِّي سلاً) رضي الله عنه .

---

(١) في (ج ، ح) زيادة : (أو أقل منه) .

ومنهم :

(٢٧) مسروق بن عبد الرحمـٰن رضي الله عنه[١]

سُرق وهو صغير ، ثم وجد ، فسُمِّي مسروقاً .

وكان رضي الله عنه يقول : (بحسب المؤمنِ من العلم أنْ يَخشى الله عز وجل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا بلغَ أحدُكم أربعين سنة فليأخذْ من اللهِ حذرَهُ) .

وكان رضي الله عنه يُصلِّي حتىٰ تورَّمتْ قدماه .

وكان يُرخي السِّترَ بينه وبين أهله ، ثم يُقبلُ علىٰ صلاته ، ويخلِّيهم ودنياهم .

وكان يقضي بين الناسِ ، ولا يأخذُ على القضاء أجراً .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما من شيء اليوم للمؤمن خيرٌ له من لحدٍ)[٢] ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٨) علقمة بن قيس رضي الله عنه[٣]

قيل له : ألا تجلسُ للناس تعلِّمُهم القرآن ؟ فقال : أكره أن تُوطأ عقبي ، ويُقال : هـٰذا علقمة .

وقيل له : ألا تدخلُ على السلطان فتشفع ؟! فقال : لا أُصيبُ من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من ديني مثلَهُ .

وكان رضي الله عنه يقول : (امشوا بنا نزدد إيماناً) أي : تفقُّهاً .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/٧٦) ، و« حلية الأولياء » (٢/٩٥) ، و« تاريخ دمشق » (٥٧/٣٩٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/٦٣) ، و« طبقات المناوي » (١/٤٤٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٥٨) (٢٩) .

(٢) في (ط) وحدها : (الحذر) بدل (لحد) .

(٣) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/١٠٣) ، و« حلية الأولياء » (٢/٨٧) ، و« تاريخ دمشق » (٤١/١٥٤) (عاصم ، عائذ) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/١٥) ، و« طبقات المناوي » (١/٣٦٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٥٩) (٣٠) .

وكان يتزوَّجُ بنات الفقراء ؛ يُريد بذلك التواضع .

ولم يُخلِّف بعد موته إلا رداءً وبرذوناً ، ومُصحفاً ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٩) الأسود بن يزيد النخعي رضي الله عنه[١]

كان يجهدُ نفسه في الصوم والعبادة حتى اخضرَّ جسمُهُ واصفرَّ .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ الأمرَ جدٌّ) إذا لاموه علىٰ تعذيبِ نفسه في العبادة .

وذهبت إحدىٰ عينيه من البكاء[٢] .

توفي رضي الله عنه بالكوفة سنة خمسٍ وسبعين ، والله أعلم .

ومنهم :

(٣٠) الربيع بن خُثيم رضي الله عنه[٣]

كان يقول رضي الله عنه : (كن وصيَّ نفسك يا أخي ، وإلا هلكتَ) .

وأصابه الفالجُ ، فقيل له : لو تداويتَ ؟! فقال : قد عرفتُ أنَّ الدواءَ حقٌّ ، ولـٰكن عن قريبٍ لا يبقى المُداوي ولا المُداوىٰ به .

وكان عملُهُ كلُّه سرّاً ، لا يطَّلعُ عليه إلا أهل بيته .

ودخل عليه رجلٌ وهو يقرأ في المصحف ، فغطَّاه بكمِّه .

وكان يقول : (كلُّ ما لا يُبتغىٰ به وجه الله تعالىٰ يضمحلُّ) .

وكان إذا وجد غفلةً من الناس يخرجُ إلى المقابر ، ويقول : (يا أهلَ المقابر ؛ كنَّا

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ٧٠) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ١٠٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٥٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٦٠) (٣١) .

(٢) ترددت النسخ بين (البكاء) و(الصوم) .

(٣) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ١٨٢) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ١٠٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٢٥٨) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢٨٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٦٠) (٣٢) .

وكنتم ، ثم يُحيي الليلَ كلَّه ، فإذا أصبح كأنَّه نُشر من قبره) .

وكان رضي الله عنه يأتي مسجدَ الجماعة يُهادىٰ بين رجلين ، فيقول له الناس : إنَّ الله قد رخَّص لك ، فيقول : فماذا أَصنعُ في منادي ربِّي وهو يقول : حيَّ على الصلاة ؟!

وكان رضي الله عنه يقول : (أيْ لُحيمة ؛ أَيْ دُمَيَّة[1] ؛ كيف تصنعان إذا سُيِّرتِ الجبال ، ودكَّتِ الأرضُ دكًّا ؟!) .

وكان يكنسُ البيت بنفسه ، ولا يمكِّنُ أهلَه من ذلك ، ويقول : إنِّي أُحبُّ أن آخذ لنفسي من المهنة .

وكان رضي الله عنه يقول : (لقد أدركنا أقواماً كنَّا نعدُّ أنفسَنا في جنبهم لصوصاً) .

مات رضي الله عنه سنة سبعٍ وستين ، في أيام معاوية[2] ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣١) هرم بن حيان رضي الله عنه[3]

كان يقول : (صاحب الكلام ؛ إمَّا أن يَعصي فيه فيُخصم ، أو يغرق فيه فيألم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (اللهم ؛ إنِّي أعوذُ بك من شرِّ زمانٍ يتمرَّدُ فيه صغيرُهم ، ويؤمِّلُ فيه كبيرُهم ، وتقرب فيه آجالهم ، ويرون أعزَّ إخوانهم على المعاصي فلا ينهونه) ، رضي الله عنه .

---

(١) أي : يا لحمي ، ويا دمي .

(٢) كذا في النسخ ، ومعاوية رضي الله عنه توفي سنة ستين ، وفي « طبقات خليفة » (ص ١٤١) : (توفي زمن ابن زياد) .

(٣) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ١٣١) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ١١٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٤٨) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٧٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ٦١) (٣٣) .

ومنهم :

(٣٢) أبو مسلم الخولاني رضي الله عنه[1]

كان رضي الله عنه على جانبٍ عظيم من العبادة ، حتى لو قيلَ له : إنَّ جهنمَ لتُسعَّرُ لما استطاعَ أن يزيدَ في عمله شيئاً .

وكان رضي الله عنه يتركُ الأكلَ ، ويقول : (الخيلُ إنما تجري وهي ضُمَّر) .

وكان يقول : (من شدَّ رجليه في الصلاة ثبَّتَ الله رجليه على الصراط) ، والله أعلم .

ومنهم :

(٣٣) أبو سعيد الحسن البصري رضي الله عنه[2]

كان والده من أهل مَيْسَان[3] ، فسُبي ، فهو مولى الأنصار .

وكان قد غلبَ عليه الخوفُ ، حتى كأنَّ النارَ لم تُخلقْ إلا له وحدَه .

وكان رضي الله عنه يقول : (ذهبتِ المعارفُ ، وبقيتِ المناكر ، ومن بقي من المسلمين فهو مغموم) .

وكان يقول : (ما من وسواسٍ نُبذ فهو من إبليس ، فيستعان عليه بالذكر والقرآن ، وما كان فيه إلحاحٌ فهو من النفس ، فيستعان عليه بالصلاة ، والصوم ، والرياضة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً في الدنيا لم يشغلْه بأهلٍ ولا ولدٍ) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/٤٤٨) ، و« حلية الأولياء » (٢/١٢٢) ، و« تاريخ دمشق » (٦٧/٢٢٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/٧) ، و« طبقات المناوي » (١/٢٢٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/٦٢) (٣٤) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/١٥٦) ، و« حلية الأولياء » (٢/١٣١) ، و« وفيات الأعيان » (٢/٦٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/٥٦٣) ، و« طبقات المناوي » (١/٢٥٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/٥٣) (٢٧) .

(٣) **ميسان** : كورة واسعة كثيرة القرى بين البصرة وواسط . « معجم البلدان » (٥/٢٤٢) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من شرطِ المتواضع : أن يخرجَ من بيته فلا يلقىٰ أحداً إلا رأىٰ له الفضلَ عليه) .

وكان يقول : (إذا أذنبَ العبدُ ثم تابَ لم يزددْ بتوبته من الله تعالىٰ إلا قرباً ، وإذا أذنب ثانياً لم يزددْ كذلك إلا قرباً) .

وقال له رجل : أشكو إليك قساوةَ قلبي ، فقال : ادنُ من مجالسِ الذكر .

وكان يقول : (شرُّ الناسِ للميتِ أهلُه يبكون عليه ، ولا يهون عليهم قضاءُ دينه) .

وكان يقول : (أدركنا أقواماً كانوا فيما أحلَّ الله لهم أزهدَ منكم فيما حُرِّمَ عليكم) .

وكان يقول : (لا تشترِ مودَّةَ ألفِ رجلٍ بعداوة رجلٍ واحد) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً أماتَ عياله وخلاه للعبادة) .

وكان يقول : (الطمعُ يشين العالِم) .

وكان يقول : (ذمُّ الرجلِ نفسَه في العلانية مدحٌ لها) .

وقيل له : هل في البصرة منافق ؟ فقال : لو خرجَ المنافقون منها لاستوحشتُ .

وكان يقول : (أكرمْ إخوانَك يدم لك ودُّهم) .

وكان يقول : (لو نظرتَ يا بن آدم إلىٰ سير أجلك لأبغضتَ غرورَ أملك) .

وكان رضي الله عنه إذا جلس يجلس كالأسير ، فإذا تكلَّم يتكلَّمُ كلامَ رجلٍ قد أُمر به إلى النار .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لبسَ الصوفَ تواضعاً لله عز وجل زادَهُ الله نوراً في بصره وقلبه ، ومن لبسَه للتكبُّرِ والخُيلاء كُوِّرَ في جهنم مع المردة) .

وكان ينشد ويقول[1] : [من الخفيف]

ليسَ مَنْ ماتَ فٱستراحَ بميتٍ ... إنَّما الميْتُ ميتُ الأحياءِ

---

(١) البيت لعدي بن الرعلاء الغساني . انظر « الأصمعيات » (ص ١٥٢) ، و« معجم الشعراء » للمرزباني (ص ٢٥٢) .

وكان يقول : (وددتُ أن أكلتُ أكلةً تصيرُ في جوفي مثلَ الآجرَّةِ ؛ فإنه بلغنا : أنَّها تبقىٰ في الماء ثلاث مئة سنة) .

وقيل له مرَّةً : إن الفقهاء يقولون : كذا وكذا ، فقال : وهل رأيتمُ فقيهاً قطُّ بأعينكم ، إنَّما الفقيهُ الزاهدُ في الدنيا ، البصيرُ بذنبه ، المداومُ علىٰ عبادة ربِّه عز وجل .

وكان يحلفُ بالله : إنَّه ما أعزَّ أحدٌ الدراهمَ إلا أذلَّه الله .

وكان إذا استأذنَ عليه أحدٌ من إخوانه ؛ فإن كان عنده طعامٌ أذن له ، وإلا خرجَ إليه ، ولا يتكلَّفُ فيما حضر .

وكان يقول : (كانوا يقولون : لسانُ الحكيم من وراء قلبه ، إنْ أرادَ أن يقولَ يرجعُ إلىٰ قلبه ، فإن كان له قالَ ، وإلا أمسك ، وإنَّ الجاهلَ قلبُه في طرف لسانه ، لا يرجعُ إلىٰ قلبه ، ما أتىٰ علىٰ لسانهِ تكلَّمَ به) .

وكان يقول : (الناسُ ينظرون الله يوم القيامة كما شاء بلا إحاطة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الدنيا مطيَّتُكَ ، إن ركبتَها حملتك ، وإن ركبَتْكَ قتلتك) .

وكان يقول : (ورعُ العلماء في الدنيا والأموال) .

وكان يقول : (إذا رأيتَ في ولدك ما تكرُهُ فاعلم أنَّه شيءٌ تُراد به أنتَ ، فأحسنْ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا أردتَ عداوةَ رجلٍ ؛ فإن كان مُطيعاً فإيَّاك وإيَّاه ؛ فإنَّ الله تعالىٰ لا يُسلِمه إليك ، ولا يُخلِّي بينك وبينه ، وإن كان عاصياً فقد كُفيتَ مُؤنته ، فلا تُتعبْ نفسك بعداوته) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلُّ من اتَّبعَ طاعةَ الله لزمتْك مودَّتُهُ ، ومَنْ أحبَّ رجلاً صالحاً فكأنما أحبَّ الله) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما رأينا أحداً طلبَ الدُّنيا فأدركَ الآخرةَ بها أبداً ، بخلاف العكس) .

وكان يقول : (يبعثُ اللهُ أقواماً يطلبون هٰذا العلم حسبةً ، ليس لهم فيه نيةٌ ، فيُتعبهُم في طلبه كي لا يضيع العلم ، ويبقي عليهم تبعته) .

وكان يقول : (الإسلام أن تُسلم قلبك لله ، فيسلمَ منك كلُّ مسلمٍ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (المحبُّ سكرانُ ، لا يفيقُ إلا عند مشاهدة محبوبه) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣٤) سعيد بن المسيَّب رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه يقول لنفسه إذا دخلَ الليلُ : (قومي يا مأوىٰ كلِّ شرٍّ ، واللهِ ؛ لأدعنَّكِ تزحفين زحفَ البعير) ، فكان يُصبح وقدماه مُنتفختان ، فيقول لنفسه : (بذا أُمرتِ ، ولذا خُلقتِ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا خيرَ فيمن لا يجمع الدنيا يَصونُ بها دينَهُ وجسمَهُ ، ويصلُ بها رحمَهُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما فاتتني فريضةٌ في جماعة منذ أربعين سنة ، وما أذَّنَ المؤذِّنُ منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد) .

وصلَّىٰ رضي الله عنه الصبحَ بوضوء العشاء خمسين سنةً .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما فاتتني تكبيرة الإحرام منذ خمسين سنة) .

وكان يقول وقد أتتْ عليه أربعٌ وثمانون سنة : (ما شيءٌ أَخوفُ عندي من النساء) .

وكان يقول : (الناسُ كلُّهم تحت كنف الله يعملون أعمالهم ، فإذا أرادَ اللهُ عز وجل فضيحةَ عبدٍ أخرجَهُ من تحت كنفه ، فبدتْ للناس عورتُهُ) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/١١٩) ، و« حلية الأولياء » (٢/١٦١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/٢١٧) ، و« طبقات المناوي » (١/٢٩٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٦٢) (٣٥) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم ، لكيلا تحبطَ أعمالُكم الصالحة) .

وضربه عبد الملك بن مروان ، وألبسه المُسوح ، وطافَ به أسواقَ المدينة حين امتنعَ من مُبايعته ، ومنع الناسَ من مجالسته ، فكان يقول : لا أحدَ يُجالسني ؛ فإنَّهم قد جلدوني ، ومنعوا الناسَ من مُجالستي ، فيرجع الناس عنه .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تقولوا : مُسَيْجِداً ، ولا مُصَيْحفاً ، فتصغروا ، ما كان لله تعالىٰ فهو عظيمٌ جليل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من استغنىٰ بالله افتقرَ الناسُ إليه) .

وكان الناسُ يستأذنونَ عليه من هيبته كما يَستأذنون على الأمراء .

وكان رضي الله عنه يقول : (ليس من شريفٍ ولا عالمٍ ولا ذي فضلٍ إلا وفيه عيبٌ ، ولـٰكنْ من الناس من لا ينبغي أن تُذكر عيوبُهُ ، فمن كان فضلُهُ أكثرَ من نقصه وُهِبَ نقصُهُ لفضله) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣٥) عُروة بن الزُّبير بن العوام رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه يقول : (إذا رأيتم من رجلٍ حسنةً فأحبُّوه عليها ، واعلموا أن لها عنده أخواتٍ ، وكذلك إذا رأيتم منه سيِّئةً فأبغضوه عليها ، واعلموا أن لها عنده أخواتٍ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كان داود عليه الصلاة والسلام يصنع القفَّةَ من الخُوص وهو على المنبرِ ، ثم يُرسلُ يبيعُها ، ويأكلُ منها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أزهدُ الناس في العالِمِ أهلُهُ) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/ ١٧٨) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ١٧٦) ، و« تاريخ دمشق » (٤٠/ ٢٣٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٤٢١) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٦٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ٦٤) (٣٦) .

ولمَّا اعتزل في قصره بالعَقيق ، وترك مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . . فقيل له في ذلك ، فقال : رأيتُ مساجدَهم لاهيةً ، وأسواقَهم لاغيةً ، والفاحشةَ في فجاجهم عالية ، فكان فيما هنالك عمَّا هم فيه عافية .

وكان رضي الله عنه يقول لأولاده : (تعلَّموا العلمَ ؛ فإنَّكم إن تكونوا صغارَ قومٍ فعسىٰ أن تكونوا كبارَ قومٍ آخرين ، ما أقبحَ الجهلَ ! ولا سيما من شيخ) .

وخرج إلى الوليد بن عبد الملك فوقعت في رجله الأَكَلَةُ ، فقطعوها ، فكانوا يَرون ذلك عقوبةً لمشيه بها إلى الوليد ، ثم قال : الحمدُ لله الذي أبقيتَ لي أختَها .

وكان رضي الله عنه يسردُ الصومَ ، فقطعوا رجلَه وهو صائم ، لم يُمسكْه أحدٌ حين قُطعت .

ومات رضي الله عنه وهو صائمٌ سنة أربعٍ وتسعين ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣٦) محمد بن الحنفية بن الإمام علي رضي الله عنهم[1]

كان رضي الله عنه يقول : (من كرمتْ عليه نفسُهُ لم يكنْ للدنيا عنده قدر) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ليس بحكيمٍ مَنْ لا يُعاشر بالمعروف مَنْ لم يجدْ من مُعاشرته بدّاً ، حتىٰ يجعلَ اللهُ له مخرجاً) .

ولما كتبَ ملكُ الروم إلىٰ عبد الملك بنِ مروان يتهدَّدُهُ ، ويتوعَّده ، ويحلف ليحملنَّ إليه مئةَ ألف في البرِّ ، ومئة ألف في البحر ، أو يؤدِّي إليه الجزية . . كتب عبدُ الملك إلى الحجَّاج : أنِ اكتبْ إلىٰ محمد بنِ الحنفية تتهدَّدُهُ ، وتتوعَّدُهُ ، ثم أَعلمني بما يردُّ عليك ، فكتب إليه ، فأرسل ابنُ الحنفية إلى الحجَّاج كتاباً يقول فيه : إن لله عز وجل ثلاث مئة وستين نظرة إلىٰ خلقه ، وأنا أَرجو أن ينظرَ اللهُ إليَّ نظرةً يمنعني بها منك ، فبعثَ الحجَّاجُ بذلك الكتاب إلىٰ عبد الملك ، فكتب مثلَ ذلك إلىٰ ملك

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/ ٩١) ، و« حلية الأولياء » (٣/ ١٧٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ١١٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٦٥) (٣٧) .

الروم ، فقال ملكُ الروم : ما خرجَ هـٰذا منك ، ولا كتبتَ أنت به ، وما خرجَ إلا من بيت نبوة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣٧) علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم[١]

وهو عليٌّ الأَصغرُ ، وأمَّا الأكبرُ : فقُتل مع الحسين رضي الله عنهم أجمعين ، وسيأتي في ترجمة محمد الباقر أن زين العابدين أبو الحُسينيين كلِّهم[٢] .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا نصحَ العبدُ لله تعالىٰ في سرِّه أطلعه اللهُ تعالىٰ علىٰ مساوئ عملِهِ ، فتشاغلَ بذنوبِهِ عن معايب الناس) .

وكان يقول : (كانت المصاحفُ لا تُباع ، إنَّما يأتي الرجلُ بورقِهِ عند المنبر ، فيقومُ الرجلُ المُحتسبُ ، فيكتب له من أوَّلِ البقرة ، ثم يجيءُ غيره حتىٰ يتمَّ المصحف) .

قالوا : ولمَّا قُتل أخوه كان عمرُهُ ثلاث عشرة سنةً ، إلا أنه كان مريضاً نائماً علىٰ فراشٍ ، فلم يُقتل .

وكان إذا توضَّأ اصفرَّ وجهُه ، فيقول له أهله : ما هـٰذا الذي يعتادُك عند الوضوء ؟! فيقول : أَتدرون بين يدي مَنْ أُريدُ أن أقومَ ؟!

وكان إذا مشىٰ لا تجاوزُ يدُه فخذَه ، ولا يخطِرُ بيده[٣] .

وكان إذا بلغه عن أحدٍ أنه يَتَنَقَّصُهُ ويقعُ فيه يذهب إليه في منزله ، ويتلطَّفُ به ، ويقول : يا هـٰذا ؛ إنْ كان ما قلتَهُ فيَّ حقّاً فيغفر اللهُ لي ، وإن كان باطلاً فغفرَ الله لك ،

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/ ٢١١) ، و« حلية الأولياء » (٣/ ١٣٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٣٨٦) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٧٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٦٥) (٣٨) .

(٢) انظر (١/ ١٧٥) ، وهو من قول الأصمعي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) خطر في مشيه إذا اهتزَّ وتبختر .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكان الرجل يقفُ على رأسِهِ في المسجد ، فما يتركُ شيئاً إلا ويقوله فيه ، وهو ساكتٌ لا يردُّ عليه ، رضي الله عنه ، فلمَّا ينصرفُ يقومُ الرجلُ وراءه ، ويلتزمُهُ من خلفه ويبكي ويقول : لا عدتَ تسمعُ منِّي شيئاً تكرهُهُ قطُّ .

وكان ينشد[١] : [من الوافر]

ومَـا شـيءٌ أحـبُّ إلـى لئيـمٍ إذا شتـمَ الكـريـمَ مـنَ الجـوابِ

وكان رضي الله عنه يقول : (فقدُ الأحبَّة غربة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (عبادةُ الأحرار لا تكون إلا شكراً لله ، لا خوفاً ، ولا رغبةً) .

وكان يقول : (كيف يكونُ صاحبَكم مَنْ إذا فتحتُم كيسَهُ فأخذتم منه حاجتكم فلم ينشرحْ لذلك ؟!) .

وكان رضي الله عنه يقول لأصحابه : (أَحبُّونا حبَّ الإسلام لله عز وجل ؛ فإنَّه ما برحَ بنا حبُّكم حتى صارَ علينا عاراً) ؛ إشارةً إلى ما وقع له مع عبد الملك بنِ مروان حين حملَهُ من المدينة إلى الشام مُثقلاً بالحديد في يديه ورجليه وعنقه ، فلمَّا دخل الزهريُّ على عبدِ الملك بن مروان قال له : ليس عليُّ بنُ الحسين حيث يُظنُّ من جهته الخلافة ، إنَّما هو مشغولٌ بنفسه ، وبعبادة ربه عز وجل ، فقال : نِعْمَ ما شغل به نفسَه ، وأطلقه .

وكان رضي الله عنه يحبُّ ألا يُعينَهُ على طَهورِهِ أحدٌ ، وكان يستقي الماءَ لطهوره ويُخمِّرُهُ ، وذلك قبل أن ينام[٢] .

وكان لا يتركُ قيامَ الليل لا سفراً ولا حضراً .

وكان يقول : (إن الله يحبُّ المؤمنَ المذنبَ التوَّابَ) .

---

(١) أورده ابن طرار في « الجليس الصالح » (١/ ٥٨٧) .

(٢) يُخَمِّرُه : يُغَطِّيه .

وكان رضي الله عنه يُثني على أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، ويترحَّمُ عليهم.

وكان يُصلِّي في كلِّ يومٍ وليلة ألفَ ركعة .

وكانت الريحُ تهيجُ فيخرُّ مغشياً عليه .

ولما حجَّ قال : لبَّيك ، فوقع مغشياً عليه ، فتهشَّم .

واستطال عليه رجلٌ فتطاول ، فتغافل عنه ، فقال له الرجل : إياك أعني ، فقال له عليٌّ زين العابدين : وعنكَ أغضي .

وخرج يوماً من المسجد ، فلقيه رجلٌ فسبَّه ، وبالغ في سبِّه ، فبادرت إليه العبيد والموالي ، فكفَّهم عنه ، وقال : مهلاً على الرجل ، ثم أقبلَ عليه ، فقال : ما سُتِرَ عنك من أمرنا أكثرُ ، ألك حاجةٌ نُعينك عليها ؟ فاستحى الرجل ، فألقى إليه خميصتَهُ التي عليه ، وأمرَ له بعطاءٍ فوق الألف درهم ، فقال الرجل : أشهدُ أنَّك من أولاد الرسول عليه الصلاة والسلام .

توفي رضي الله عنه سنة أربع وتسعين ، وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة ، ودفن بالبقيع ، وحُمل رأسُه إلى مصر ، ودفنت بالقرب من مجراة الماء إلى القلعة بمصر العتيقة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣٨) أبو جعفر محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين[١]

قال النَّوويُّ رحمه الله تعالى : (سُمِّي بالباقر ؛ لأنَّهُ بقرَ العلم ؛ أي : شقَّه ، فعرفَ أصلَهُ ، وعرفَ خفيَّه)[٢] . انتهى .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/ ٣٢٠) ، و« حلية الأولياء » (٣/ ١٨٠) ، و« تاريخ دمشق » (٥٤/ ٢٦٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٤٠١) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٤٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ٦٨) (٣٩) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٧) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ الصواعقَ تُصيبُ المؤمنَ وغيرَ المؤمن ، ولا تُصيب الذاكرَ لله عز وجل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما دخلَ قلبَ امرئ شيءٌ من الكِبر إلا نقصَ من عقله مثلُ ما دخل من ذلك الكبر أو أكثر) .

وكان يحبُّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، ويبالغُ في مدحه ، ويقول : (من لم يقل له الصدِّيقَ فلا صدَّقَ اللهُ له قولاً في الدنيا ولا الآخرة) .

وبلغه عن جماعةٍ من أهل العراق : أنَّهم يُبغضون أبا بكر وعمر ، ويزعمون أنَّهم يحبُّون أهلَ البيت ، فكتب إليهم : إنِّي بريءٌ ممن يُبغض أبا بكر وعمرَ ، ولو أنِّي وليتُ لتقرَّبْتُ إلى الله تعالىٰ بدماء مَنْ يكرههما .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما من عبادةٍ أفضلُ من عفَّة بطنٍ أو فرج) .

وكان إذا ضحك قال : (اللهم ؛ لا تمقتني) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ليس في الدنيا شيءٌ أعونَ من الإحسان إلى الإخوان) ، وكان لا يملُّ قطُّ من مجالستهم .

وكان رضي الله عنه يقول : (بئس الأخُ يرعاك غنيّاً ويقطعُك فقيراً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (اعرفِ المودَّةَ في قلب أخيك بما له في قلبك) .

قال الأصمعي رضي الله عنه : (ونَسْلُ الحُسينيين كلُّهم من قِبَلِ زين العابدين ؛ فهو أبو الحُسينيين كلهم ، رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين) .

مات رضي الله عنه سنة سبعَ عشرة ومئة ، وهو ابنُ ثلاثٍ وسبعين سنة ، وأَوصىٰ رضي الله عنه أن يكفَّنَ في قميصِهِ الذي كان يُصلِّي فيه ، والله أعلم .

ومنهم :

(٣٩) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين(١)

كان رضي الله عنه يقول : (**أربعٌ لا ينبغي لشريفٍ أن يأنفَ منها** : قيامُهُ من مجلسه لأبيه ، وخدمتُهُ لضيفه ، وقيامُهُ علىٰ دابَّتِه ولو أن له مئةَ عبد ، وخدمته لمن يتعلَّمُ منه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**لا يتمُّ المعروفُ إلا بثلاث خصال** : أن تُصغِّرَه إذا صنعته ، وتسترَهُ ، وتعجِّله ؛ وذلك أنَّك إذا صغَّرتَهُ عظُم ، وإذا سترتَهُ أتممتَهُ ، وإذا عجَّلته هنَّيته) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا أقبلتِ الدنيا علىٰ إنسانٍ أعطتْهُ محاسنَ غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبَتْهُ محاسنَ نفسه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا بلغك عن أخيك ما تكرهُهُ فاطلبْ له من عذرٍ واحد إلىٰ سبعين عذراً ، فإنْ لم تجدْ له عذراً فقل : لعل له عذراً لا أعرفه) .

ودخل عليه الثوريُّ رضي الله عنه ، فرأىٰ عليه جبَّةً من خَزٍّ(٢) ، فقال له : إنَّكم من بيت نبوة تلبسون هـٰذا ؟! فقال : ما تدري ، أدخلْ يدَكَ ؛ فإذا تحته مِسْحٌ من شعرٍ خشن ، ثم قال : يا ثوري ؛ أرني ما تحتَ جبَّتِكَ ، فوجد تحتها قميصاً أرقَّ من بياض البيض ، فخجل سفيان ، ثم قال : يا ثوري ؛ لا تدخلْ علينا كثيراً تضرُّنا ونضرُّكَ .

ودخل عليه أبو حنيفة رضي الله عنه ، فقال : يا أبا حنيفة ؛ بلغني أنك تقيس ، لا تفعل ؛ فإن أوَّلَ من قاس إبليس .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا سمعتم عن مسلمٍ كلمةً فاحملوها علىٰ أحسنِ

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٣/ ١٩٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/ ٢٥٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢٤٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٦٩) (٤٠) .

(٢) **الخَزُّ** : الحرير .

ما تجدون ، حتَّىٰ لا تجدوا لها محملاً ، فلوموا أنفسكم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تأكلوا من يدٍ جاعتْ ثم شبعت) .

وقال لرجل من قبيلة : مَنْ سيِّدُ هـٰذه القبيلة ؟ فقال الرجل : أنا ، فقال : لو كنتَ سيِّدَهم ما قلتَ أنا .

وكان يقول : (إذا أذنبتَ فاستغفرْ ، فإنَّما هي خطايا مطوَّقةٌ في أعناق رجالٍ قبل أن يُخلقوا ، وإنَّ الهلاكَ كلَّ الهلاك الإصرارُ عليها) .

وكان رضي الله عنه إذا احتاج إلىٰ شيءٍ قال : يا ربَّاه ، أنا محتاجٌ إلىٰ كذا ، فما يستتمُّ دعاءَه إلا وذلك الشيءُ بجنبه موضوعاً .

توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة ثمانٍ وأربعين ومئة .

وكان رضي الله عنه ، يقول : (من استبطأَ رزقه فليكثرْ من الاستغفار) .

وكان رضي الله عنه ، يقول : (من أُعجِبَ بشيءٍ من أحواله وأراد بقاءه . . فليقل : ما شاء الله لا قوة إلا بالله) .

وكان يلبسُ الجبَّةَ الغليظةَ القصيرة من الصوف علىٰ جسده ، والحلَّةَ من الخَزِّ علىٰ ظاهره ، ويقول : نلبسُ الجبَّةَ لله ، والخزَّ لكم ، فما كان لله أخفيناه ، وما كان لكم أبديناه .

وكان رضي الله عنه يقول : (أوحى اللهُ إلى الدنيا : أنِ اخدمي من خدمني ، وأتعبي من خدمك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الفقهاءُ أمناءُ الرسل ما لم يأتوا أبوابَ السلاطين) .

وكان يقول : (اللهم ؛ ارزقني مواساةَ مَنْ قتَّرْتَ عليه رزقَك ، وكلُّ ما أنا فيه من فضلك) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٤٠) عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[١]

كانتِ الشياهُ والذئاب في زمانه ترعىٰ سواءً من عدله .

وأتته الدُّنيا وهي راغمةٌ ، فتركها وزهدَ فيها .

وكانت حُجزةُ إزاره غائبةً في عُكْنته[٢] ، فلما ولي الخلافة فلو شئتَ أن تعدَّ أضلاعَه عدّاً من غيرِ مسٍّ لعددتها .

وكانت غلَّتُه خمسين ألف دينار ، فلما ولي الخلافة صار يُنفقها كلَّ حينٍ ، حتىٰ ما بقي له غيرُ قميصٍ واحد لا يخلعه حتىٰ يتَّسخَ ، فإذا اتَّسخَ غسله ، ومكثَ في البيت حتىٰ يجفَّ .

وكانت زوجتُهُ فاطمةُ بنتُ عبد الملك كذلك ؛ وضعتْ جميعَ مالها في بيت المال ، فصارتْ كآحادِ الناس .

قالت فاطمة رضي الله عنها : ومنذ ولي الخلافةَ ما اغتسلَ قطُّ من جنابةٍ إلىٰ أن مات ؛ فإنه لمَّا ولي الخلافة خيَّرَ جواريَهُ ، وقال : قد نزلَ بي أمرٌ شغلني عنكن إلىٰ يوم القيامة ، وحتىٰ يفرغَ الناسُ من الحساب ، فمن أحبَّتْ منكنَّ أن أعتقها أعتقتُها ، ومن أحبَّتْ أن أُمسكها علىٰ ألا يكونَ منِّي إليها شيءٌ أمسكتُها ، فبكين ، وارتفع بكاؤهن يأساً منه .

وخيَّرَ فاطمةَ بنتَ عبد الملك رضي الله عنها بين أن تُقيمَ عنده وبين أن تلحقَ بدار أبيها ، فبكتْ ، وعلا نحيبُها حتىٰ سمعَ ذلك الجيرانُ .

قالت فاطمة : (ولم أرَ أحداً من الرجال أشدَّ خوفاً من الله تعالىٰ من عُمر ، كان إذا

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/ ٣٣٠) ، و« حلية الأولياء » (٥/ ٢٥٣) ، و« تاريخ دمشق » (٤٥/ ١٢٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/ ١١٤) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٧٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٧١) (٤١) .

(٢) **احتجز الرجلُ** : شدَّ إزاره علىٰ وسطه ، **والحُجْزَةُ** : موضعُ الشَّدِّ ، **والعُكنة** بالضم : ما انطوىٰ وتثنَّىٰ من لحم البطن سمناً « القاموس المحيط » (ع ك ن) .

دخلَ عندي البيتَ ألقىٰ نفسَه في مسجده ، فلا يزالُ يبكي حتىٰ تغلبَهُ عيناه ، ثم يستيقظُ فيفعل مثلَ ذلك ليلَهُ أجمعَ) .

وكان يخطبُ الناسَ بقميصٍ مرقوعِ الجيب من بين يديه ومن خلفه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ الله قد أعطاك ، فلو لبستَ ، فنكسَ رأسَه ساعةً ، ثم قال : أفضلُ القصد عند الجدةِ ، وأفضل العفوِ عند المقدرة .

وكانت بناته لم يزلنَ عراةً ، فدعا واحدةً منهنَّ ، فلم تُجبه ، فأرسل الخادمَ ، فأتىٰ بها إليه ، فقال : ما منعك أن تُجيبيني ؟! فقالت : إني عُريانة ، فأمر لها بخيشةٍ ، فألبسها إياها .

وكان رضي الله عنه يبكي الدمَ .

وكان يجتمعُ بالخضر عليه الصلاة والسلام .

وكان رضي الله عنه كلَّ قليل يُرسلُ البريدَ بالسلام علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ، ليس له حاجةٌ إلا السلام .

وكان رضي الله عنه له سَرَبٌ ينزلُ فيه كلَّ ليلةٍ[1] ، فيضع الغلَّ في عُنقه ، فلا يزالُ يبكي ويتضرَّعُ إلى الصباح .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تَدخلْ علىٰ أميرٍ ولو نهيتَهُ عن المنكرِ وأمرته بالمعروف) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو أراد اللهُ ألا يُعصىٰ ما خلقَ إبليس) .

وكان رضي الله عنه يقول : (المُتَّقي مُلجمٌ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو تعلمون منِّي ما أعلمُ من نفسي ما نظرتم في وجهي) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّما الزهدُ في الحلال ، وأمَّا الحرامُ فنارٌ تسعر ؛ ترتعُ فيها الأموات ، ولو كانوا أحياء لوجدوا ألم النار) .

---

(١) السَّرَبُ : حَفِير تحت الأرض لا منفذ له .

وأخباره رضي الله عنه مشهورة في « الحلية » لأبي نُعيم[١] ، وغيرها .

مات رضي الله عنه في رجب سنة إحدىٰ ومئة ، وله من العمر تسعٌ وثلاثون سنة ، ودُفن بدير سمعان من أرض حمص .

وكانت خلافته سنتين وأربعة عشر يوماً ، ومات مسموماً .

قالتْ فاطمة بنت عبد الملك رضي الله عنها : (وكان جلُّ مرضه من كثرة الخوف من الله تعالىٰ ، كان أَقوىٰ سبباً من السُّم) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٤١) مُطَرِّفُ بنُ عبد الله بن الشِّخِّيرِ رضي الله عنه[٢]

كان رضي الله عنه يقول : (لو أتاني آتٍ من ربِّي عز وجل فقال : أنت مخيَّرٌ بين الجنة والنار أو تصيرَ تراباً . . لاخترتُ أن أصيرَ تراباً) .

ولما ماتَ ابنٌ له رضي الله عنه سرَّح لحيته ، ولبس أحسنَ ثيابه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أتأمروني أَنْ أستكينَ للمصيبة ؟! واللهِ ؛ لو أنَّ الدنيا وما فيها كانتْ لي ، ثم وعدني الحقُّ تعالىٰ علىٰ أخذها كلِّها بشربةِ ماء في الآخرة . . لاخترتُ تلك الشربة .

وكان رضي الله عنه يقول : (لأن أبيتَ نائماً وأصبحَ نادماً أحبُّ إليَّ من أن أبيتَ قائماً وأصبح مُعجباً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا استوتْ سريرةُ العبد وعلانيته قال الله عز وجل : هٰذا عبدي حقّاً) .

وكان إذا دخلَ في بيته وسبَّح تسبِّحُ معه آنيةُ بيته .

وظلمه رجلٌ ، فقال : أماتك اللهُ علىٰ عجل ، فمات في الحال ، فطلبوه إلىٰ زياد

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٢٥٣) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ١٤١) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ١٩٨) ، و« تاريخ دمشق » (٥٨/ ٢٨٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ١٨٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٤٨) . وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٧٣) (٤٢) .

وهو على البصرة ، فقال : هل مسَّهُ ؟ قالوا : لا ، قال : فهل هي إلا دعوةُ رجلٍ صالح وافقتْ قدراً ؟! فأطلقوه .

وكان رضي الله عنه يقول : (اللهم ؛ إنِّي أستغفرُكَ من كلِّ عملٍ ادَّعيتُ أني مخلصٌ فيه ، وأنِّي أردتُ به وجهَكَ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (اللهم ؛ ارضَ عنَّا ، فإن لم ترضَ عنَّا فاعفُ ؛ فإنَّ المولىٰ قد يَعفو عن عبده وهو غيرُ راضٍ عنه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أَجلُّوا اللهَ عز وجل أن تذكروه عند الحمارِ أو الكلب ، فيقول أحدُكم لكلبه : أخزاك الله ، أو : فعل الله بك كذا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (المُتَّقي عن ذكر خطايا الناس مشغول) .

وكان يقول : (أكثرُ الناسِ خطايا أفرغُهم لذكر خطايا الناس) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لم يجزعْ من الضَّربِ فهو لئيم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تحملْ قطُّ كتاباً إلىٰ أميرٍ وأنت لا تعلمُ ما فيه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ذهبَ العلم ، وبقيت عباراتٌ في أوعية سوء) .

وكان يقول : (لا يحتلم وَرِعٌ إلا علىٰ أهله) .

وكان رضي الله عنه عنه يوماً جالساً ، فسُئل عن الرجل يتبعُ الجنازةَ حياءً من أهلها فقط : هل له في ذلك أجرٌ ؟ فقال : ذهب ابنُ سيرين إلىٰ أنَّ له أجرين : أجر صلاته علىٰ أخيه ، وأجرُ صلته للحيِّ .

وكان رضي الله عنه يقول : (من تركَ النساءَ والطعام فلا بدَّ له من ظهور كرامة ! وكانوا يرون السائحَ مَنْ تركَ الطعامَ والشراب والنساء ، ولو كان مُقيماً في بلده) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا أمرتُ غلامي بحاجةٍ فقدَّمَ حاجةَ صديقي عليها . . ازددتُ في ذلك الغلام حبّاً) .

وكان يقول : (اللهم ؛ إني أعوذُ بك أن يكونَ غيري أسعدَ منِّي بما علَّمتَه له)[١] .

وكان رضي الله عنه يقول : (رأيتُ أنِّي نزلتُ إلى الأموات ، فرأيتهم جالسين ، فسلَّمتُ عليهم ، فلم يردَّ عليَّ منهم أحدٌ السلامَ ، فقلت لهم في ذلك ، فقالوا : إنَّ ردَّ السلام حسنة ، وإنَّا لا نستطيعُ أن نزيدَ في الحسنات) .

وسمع رجلاً يقول : اللهم ؛ لا تَرُدَّ هـٰؤلاء القوم من أجلي ، فقال : هـٰذا هو العارف بنفسه .

وكان يقول: لا يقل أحدُكم : إن الله تعالىٰ يقول ، ولـٰكن ليقل : إنَّ الله تعالىٰ قال.

وكان رضي الله عنه يقول : (مَنْ كذَّبَ صاحبَ كرامةٍ فهو أكذب) .

وكان يقول : (عليك بالسوق ؛ فإنك لا تزال كريماً علىٰ إخوانِك ما لم تحتجْ إليهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يودُّ أقوامٌ من الناس يومَ القيامة أنَّ أقلامَهم كانتْ من نار حتىٰ لا يكتبوا بها ما كتبوا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما بقي في زماننا قرَّاء ، إنما هم مُترفون في الدنيا) .

وكان يقول : (ليس بصاحبي من يَغتابُ عندي الناس) .

وكان يقول : (لولا الغفلةُ في قلوب الصدِّيقين لماتوا من عظيمِ ما تجلَّىٰ لقلوبهم) .

وكان يلبسُ المطارف والبرانس ، ويركبُ الخيول ، ومع ذلك كان يقول في دعائه : اللهم ؛ لا تردَّ السائلينَ معي من أجلي .

توفي رضي الله عنه بعد الطاعون الجارف[٢] ، لمَّا تولَّى الحجَّاجُ العراق سنة سبعٍ وثمانين ، رضي الله عنه .

---

(١) في (ز) وحدها : (بما علمته لي) ، وفي « الحلية » (٦/ ٧٣) : (تجعل غيري أسعد بما أتيتني مني) وعزاه لحسان بن عطية .

(٢) **الطاعون الجارف** : وقع في البصرة سنة (٨٧ هـ) في خلافة الوليد بن عبد الملك . انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ١٤٥) ، وسُمِّي بالجارف لأنه جرف الناس كجرف السيل .

ومنهم :

(٤٢) أبو العلاء بن الشخِّير ؛ أخوه رضي الله عنه[١]

كان يقول : (العافيةُ مع الشكر أحبُّ من البلاء مع الصبر) .

قال سُفيان الثوري رضي الله عنه : وذلك لأنَّ اللهَ مدح سُليمان مع العافية بقوله : ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٣٠] ، وقال في صفةِ أيوب مع البلاء الذي كان فيه : ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤٤] ، فاستوتِ الصفتان ؛ وهـٰذا معافىً ، وهـٰذا مُبتلىً ، فوجدنا الشكرَ قد قامَ مقامَ الصبر ، فلما اعتدلا كانتِ العافيةُ مع الشكر أحبَّ من البلاء مع الصبر ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٤٣) صفوان بن مُحرز المازني رضي الله عنه[٢]

كان يقول : (ما يُغني عنِّي ما أعلم من الخير إذا لم أعملْ به ؟! فيا ليتني لم أحسنْ شيئاً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا وجدتُ رغيفاً وكوزَ ماءٍ يوماً بعد يومٍ . . فعلى الدنيا العفاء) .

وكان له رضي الله عنه سَرَبٌ يبكي فيه[٣] .

وكان له بيتٌ ، فانكسر من سقفه جذعٌ ، فقيل له : ألا تُصلحُهُ ؟ فقال : أنا أموتُ غداً ، ولو أن صاحبَ المنزل يدعني أنَّ أقيمَ فيه لأصلحته .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ١٥٥) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٢١٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٤٩٣) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٨٧) ، واسمه يزيد بن عبد الله ، أبو العلاء ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ٧٤) (٤٣) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ١٤٧) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٢١٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٤٨٦) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٣١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ٧٥) (٤٤) .

(٣) تقدم تفسير كلمة السَّرب (١/ ١٧٩) .

وكان رضي الله عنه لا يخرجُ من بيته قطُّ إلا للصلاة ، ثم يرجعُ بسرعة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٤٤) أبو العالية رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه يقول : (يوثقُ كلُّ من كان الناسُ يخافون شرَّه بالحديد يومَ القيامة ، ثم يُؤمرُ به إلى النار مع الجبَّارين والشياطين) .

وكان رضي الله عنه يكره للرجلِ أن يلبسَ زِيَّ الرهبان من الصوف ، ويقولُ : زينةُ المسلمين التجمُّلُ بلباسهم .

وكان يحبُّ الوحدةَ ، وإذا جلسَ إليه أكثرُ من أربعةٍ قام وتركهم ؛ يخاف من اللغو .

وكان يقول : (ما مسستُ ذكري بيميني منذ خمسين سنة) .

وكان يقول : (مَنْ لم يخشعْ في صلاته ، فمتىٰ يخشع ؟!) .

وكان يقول : (مِنْ أعظمِ الذنوب أن يتعلَّمَ الرجلُ القرآن ، ثم ينام عنه ، ولا يتهجَّدُ به) .

توفي سنة تسعين رضي الله عنه .

ومنهم :

(٤٥) بكر بن عبد الله المزني رضي الله عنه[٢]

كان رضي الله عنه يقول : (أوثقُ أعمالي عندي حُبِّي للرجلِ الصالح) .

ووقف بعرفات فقال : (واللهِ ؛ لولا أنِّي فيهم لرجوتُ أن يغفرَ الله لهم أجمعين) .

---

(١) **أبو العالية** : هو رفيع بن مهران ، وانظر في ترجمته « طبقات ابن سعد » (٧/ ١١٢) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٢١٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٢٠٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٧٥) (٤٥) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٢٠٩) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٢٢٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٥٣٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢٣٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٧٦) (٤٦) .

وكان يقول : (لا يكونُ الرجل مُتَّقياً حتىٰ يكونَ بطيءَ الطمع ، بطيء الغضب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلَّما ازددتَ من اللباس وأمتعة الدار ، ازددت من الله تعالىٰ مقتاً ، وكلَّما ازددتَ مالاً عن إمساكٍ ، ازددتَ من الله طرداً) .

وكان يقول : (إذا وجدتَ من إخوانك جفاءً فذلك لذنبٍ أحدثتَهُ ، فتبْ إلى الله تعالىٰ ، وإذا وجدتَ منهم زيادةَ محبَّةٍ فذلك لطاعةٍ أحدثتها ، فاشكرِ الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (إذا رأيتم الرجلَ موكلاً بعيوب الناس ، خبيراً بها فاعلموا أنَّه قد مُكر به) .

مات سنة ثمانٍ ومئة رضي الله عنه .

ومنهم :

(٤٦) صِلَةُ بن أَشْيم العدوي رضي الله عنه[١]

كان يقول إذا مرَّ بقومٍ يلعبون : (أخبروني عن قومٍ أرادوا سفراً ، فقطعوا النهارَ في اللعبِ شغلاً عن الطريق ، وناموا ليلاً . . متىٰ يصلونَ مقصدَهُم ؟!) .

ومات أخٌ له في الله في بلادٍ بعيدة ، فسبق شخصٌ فأخبره به ، فقال رضي الله عنه : قد أخبرني به الله تعالىٰ قبلك ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] .

وكان رضي الله عنه يُصلِّي حتىٰ يزحفَ إلىٰ فراشه رضي الله عنه .

ومنهم :

(٤٧) العلاء بن زياد رضي الله عنه[٢]

كان قد ترك مجالسةَ الناس كلِّهم إلا في صلاةِ الجماعة ، أو فعلِ الخير .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ١٣٤) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٢٣٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣/ ٤٩٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٣٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٧٦) (٤٧) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٢١٧) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٢٤٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٢٠٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٧٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٧٦) (٤٨) .

وكان رضي الله عنه يقول : (وا حزناه على الحزن !)[١] .

وكان قد بكىٰ حتىٰ غشي بصره ، وربما بكىٰ سبعةَ أيام متوالية ، لا يذوقُ فيها طعاماً ولا شراباً .

توفي رضي الله عنه أيام ولاية الحجاج .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو علمَ الناسُ ما أمامهم لَمَا اطمأنُّوا ساعةً في هٰذه الدار ، ولا زرعوا ، ولا بنوا ، ولا أكلوا ، ولا شربوا ، ولا ناموا) ، رضي الله عنه .

وجاءه رجلٌ فقال : إني رأيتُكَ الليلة في الجنة ، فقال رضي الله عنه : ويحك ، أما وجدَ الشيطانُ أحداً يسخرُ به غيري وغيرك ؟!

وكان رضي الله عنه يقول : (إنكم في زمانٍ أقلُّكُم الذي ذهبَ عشرُ دينه ، وسيأتي عليكم زمانٌ أقلُّكم الذي يسلم له عُشرُ دينه) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٤٨) أبو حازم رضي الله عنه[٢]

كان رضي الله عنه يقول : (كلُّ مودَّةٍ يزيدُ فيها اللقاءُ لمدخولةٌ)[٣] .

وكان رضي الله عنه يقول : (أدركتُ العلماءَ والأمراءُ والسلاطينُ يأتونهم ، فيقفون علىٰ أبوابهم كالعبيد ، حتىٰ إذا كان اليوم رأينا الفقهاءَ والعلماءَ والعبَّادَ هم الذين يأتون الأمراءَ والأغنياءَ إلىٰ أبوابهم ، فلما رأوا ذلك منهم ازدروهم واحتقروهم ، وقالوا : لولا أن الذي بأيدينا خيرٌ مما بأيديهم ما فعلوا ذلك معنا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا كنتَ في زمان يُرضىٰ فيه بالقول عن العمل فأنت في شرِّ ناسٍ ، وشرِّ زمانٍ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يسيرُ الدنيا يشغلُ عن كثيرِ الآخرة) .

---

(١) ترددت النسخ بين (الخير) و(الحزن) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (القسم المتمم) (ص ٣٣٢) ، و« حلية الأولياء » (٣/ ٢٢٩) ، و« تاريخ دمشق » (٢٢/ ١٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/ ٩٦) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢١٩) ، وانظر تتمة ترجمته (١/ ١٩٤) ، واسمه : سلمة بن دينار .

(٣) في (أ ، هـ ، ز) : (لموجولة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تنزلُ الحكمةُ في قلبٍ فيه عزمٌ على معصية) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إيَّاك وكثرةَ الأصحاب ؛ فإنَّك لا تقومُ بواجب حقِّهم ، ووالله ؛ إني لأعجزُ عن القيام بواجبِ حقِّ صاحبٍ واحد) .

وكان يقول : (كان بين قول فرعون : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص : ٣٨] ، وبين قوله : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات : ٢٤] أربعون سنة) .

وكان يقول : (إذا صحَّتِ الضمائرُ غُفرت الكبائر) .

وكان رضي الله عنه أعرج ، فكان يعاقب نفسه ، فيقول : يُنادىٰ يوم القيامة : يا أهل خطيئة كذا وكذا ؛ قوموا ، فتقوم معهم ، ثم يقول : يا أهل خطيئة كذا وكذا ؛ قوموا ، فتقوم معهم ، فأراك يا أُعيرجُ تقومُ مع أهلِ كلِّ خطيئة .

توفي رضي الله عنه سنة أربعين ومئة رضي الله عنه[(١)] .

ومنهم :

(٤٩) محمد بن سيرين رضي الله عنه[(٢)]

كانوا إذا ذكروا أحداً عنده بسوء . . يذكرُهُ هو بالخير .

وكان ذا خشوعٍ وسمت .

وكان لا يدعُ أحداً يمشي بصحبته إذا خرج إلىٰ مكانٍ ويقول : إن لم يكن لك حاجةٌ فارجع .

وكان إذا كلَّمَ أمَّه لا يُكلِّمُها بلسانِهِ كلِّه ؛ إجلالاً لها .

ولما حُبس في دَيْنٍ قال له السجَّانُ : إذا جاءَ الليلُ فاذهبْ إلىٰ دارك ، وأتِ بكرةَ

---

(١) من قوله : (وكان رضي الله عنه يقول : يسير الدنيا) إلى قوله : (توفي رضي الله عنه سنة أربعين ومئة) جاءت في النسخ نهاية ترجمة (محمد بن كعب القرظي) الآتية (١/ ١٩٤ـ ١٩٥) ، ولٰكن الأقوال هي لسلمة بن دينار ، وانظر ترجمته في « حلية الأولياء » (٣/ ٢٣٠) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ١٩٣) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٢٦٣) ، و« تاريخ دمشق » (٥٣/ ١٧٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٦٠٦) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٢٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٧٧) (٤٩) .

النهار ، فقال : لا أُعينك علىٰ خيانة أمانتك .

وكان يقول : (سببُ حبسي أنِّي عيَّرتُ رجلاً بدَيْنٍ كان عليه ، فعُوقبت بذلك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من الظُّلمِ البيِّنِ لأخيك : أن تذكرَ شرَّ ما فيه ، وتكتمَ خيرَ ما فيه عند غضبك) .

وكان يقول : (لو أنَّ للذُّنوب ريحاً لَمَا قدرَ أحدٌ أن يدنو منِّي ؛ لكثرة ذنوبي) .

وكان إذا سُئل عن الرُّؤيا يقول للسائل : اتقِ الله في اليقظةِ ، ولا يضرُّكَ ما رأيتَ في النوم .

وقال له رجلٌ : اجعلني في حلٍّ ؛ فإني قد اغتبتُكَ ، فقال : إني أكرَهُ أن أُحلَّ ما حرَّمَ الله عز وجل من أعراض المسلمين ، ولـٰكن يغفرُ اللهُ لك .

وكان يقول إذا مَدحوه في فتياه ، وقالوا : ما كانتِ الصحابةُ تُحسن أكثرَ من هـٰذا : واللهِ ؛ لو أردنا فقهَهم لما أدركتْهُ عقولُنا .

توفي رضي الله عنه في سنة عشرٍ ومئة ، وهو ابن نيِّفٍ وثمانين سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٥٠) ثابت بن أَسلم البُنَاني رضي الله عنه[1]

كان إذا ذكرَ النَّارَ خرجتْ أعضاؤه من مفاصلها .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ أهلَ الذكر يجلسون للذِّكر وعليهم من الذُّنوبِ أمثالُ الجبال ، فيقومون وليس عليهم ذنبٌ واحد) .

وكان رضي الله عنه يقومُ الليل خمسين سنة ، فإذا كان السَّحَرُ يقول في دعائه : اللهم ؛ إنْ كنتَ أَعطيتَ أحداً من خلقك الصلاةَ في قبره فأعطنيها ، فلما ماتَ وسوُّوا عليه اللَّبِنَ وقعتْ لبنةٌ ، فإذا هو قائمٌ يُصلِّي في قبره .

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٢٣٢) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٣١٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/ ٢٢٠) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢٤٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٧٨) (٥٠) .

وكان يقول : (الصلاةُ خدمةُ الله في الأرض ، ولو علمَ اللهُ تعالىٰ شيئاً أفضلَ من الصلاة لَمَا قال : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾ [آل عمران : ٣٩]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كابدتُ الصلاةَ عشرين سنة ، وتنعَّمتُ بها عشرين سنة) ، ولما مات كان الناس يسمعونَ من قبره تلاوةَ القرآن ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٥١) يونس بن عبيد رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه يقول : ليس في هٰذه الأمة رياءٌ خالصٌ ، ولا كِبرٌ خالص ، فقيل له : لماذا ؟ فقال : لا كِبر مع السجود ، ولا رياءَ مع التوحيد ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٥٢) فرقد السبخي رضي الله عنه[٢]

كوفي نزل البصرة رضي الله عنه .

كان رضي الله عنه يقول : (رأيتُ في المنام منادياً يُنادي : يا أشباه اليهود ؛ كونوا علىٰ حياءٍ من الله عز وجل ؛ فإنَّكم لم تَشكروا إذ أعطاكم ، ولم تصبروا حين ابتلاكم) .

وكان يقول : (مرَّ عابدٌ من بني إسرائيل علىٰ كثيبِ رملٍ وقد أصابتْ بني إسرائيل مجاعةٌ ، فتمنَّىٰ أن يكونَ ذلك الرملُ دقيقاً يُشبع به بني إسرائيل ، فأوحى الله تعالىٰ لنبيٍّ لهم : قل للعابد قد أوجبتُ لك من الأجرِ ما لو كان دقيقاً لتصدَّقت به) رضي الله عنه .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٢٦٠) ، و« حلية الأولياء » (٣/ ١٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/ ٢٨٨) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ٦٣٨) ، وسترد ترجمته ثانية (١/ ٢٧٠) (١١٧) ، و« الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٦٢) (١١٤) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٢٤٣) ، و« حلية الأولياء » (٣/ ٤٤) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٩٤) .

ومنهم :

(٥٣) محمد بن واسع رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه يلبسُ الصوفَ ، فدخل يوماً علىٰ قتيبةَ بنِ مسلم ، فقال له قتيبةُ : ما دعاك إلىٰ لبس الصوف ؟! فسكتَ ، فقال له : أكلِّمُكَ فلا تُجيبني ! فقال : أكرهُ أن أقولَ : زاهد فأُزكِّي نفسي ، أو فقير فأشكو ربي عز وجل .

وكان رضي الله عنه يقول : (مَنْ زهدَ في الدنيا فهو ملك في الدنيا والآخرة) .

وكان يقول : (من أقبلَ بقلبه على الله تعالىٰ أقبلَ بقلوبِ العبادِ إليه) .

وكان يقول : (أدركنا الناسَ وهم يَنامون مع نسائهم علىٰ وسادةٍ واحدة ، ويبكون حتىٰ تبتلَّ تلك الوسادة من دموعهم عشرين سنة ، لا تشعر امرأتُهُ بذلك ، رضي الله عنهم) .

ومنهم :

(٥٤) سليمان التيمي رضي الله عنه[٢]

صلَّىٰ رضي الله عنه الغداةَ بوضوء العَتَمةِ أَربعين سنة .

وكان يَمشي حافياً ، وله هيبةٌ على السُّوقة وغيرهم .

وكان يدخلُ على الأمراء فيأمرُهم وينهاهم ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٢٤١) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٣٤٥) ، و« تاريخ دمشق » (٥٦/ ١٣٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/ ١١٩) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٣٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٧٩) (٥١) .

(٢) واسمه : سليمان بن طرخان ، وانظر في ترجمته « طبقات ابن سعد » (٧/ ٢٥٢) ، و« حلية الأولياء » (٣/ ٢٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/ ١٩٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣١٤) .

ومنهم :

(٥٥) أبو يحيىٰ مالك بن دينار رضي الله عنه[(١)]

كان رضي الله عنه يقول : (لولا أخشىٰ أن تكونَ بدعةً لأمرتُ أني إذا متُّ أن أُغلَّ ، فأدفع إلىٰ ربِّي مَغلولاً كما يُدفعُ العبدُ الآبق إلىٰ مولاه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**من علامةِ محبِّ الدنيا** : أن يكونَ دائمَ البطنة ، قليلَ الفطنة ، همَّتُهُ بطنُهُ وفرجُهُ ، يقول : متىٰ أُصبح فألهو وألعب ، وآكلُ وأشرب ؟ متىٰ أُمسي فأنام ؟ جيفةٌ بالليل ، بطَّالٌ بالنهار) .

وسئل رضي الله عنه عن لبس الصُّوف ، فقال رضي الله عنه : أمَّا أنا فلا أَصلحُ له ؛ لأنَّه يطلبُ صفاءً .

وكان رضي الله عنه يقول : (**لم يبقَ من روح الدنيا إلا ثلاثةٌ** : لقاءُ الإخوان ، والتهجُّدُ بالقرآن ، وبيتٌ خالٍ يُذكرُ الله فيه) .

وكان إذا سأله سائلٌ والسَّحابةُ مارَّةٌ يقول : اصبرْ حتىٰ تمرَّ هـٰذه السحابةُ ؛ فإني أخشىٰ أن يكونَ فيها حجارةٌ ترمينا بها .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما بقي لأحدٍ رفيقٌ يُساعده علىٰ عملِ الآخرة ، إنما هم يُفسدون على المرء قلبَهُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إني أكرهُ أن يأتيني أحدٌ من إخواني إلىٰ منزلي ؛ خوفاً ألا أقوم بواجب حقِّه) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [النمل : ٤٨] ، فكمِ اليومَ في كلِّ مدينةٍ ممن يُفسد ولا يُصلح ؛ يعني : أن ما عدا التسعةَ كانوا كلُّهم يصلحون ولا يفسدون .

وكان رضي الله عنه يقول : (الناسُ يستبطئون المطرَ ، وأنا أستبطئ الحجر) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٢٤٣) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٣٥٧) ، و« تاريخ دمشق » (٥٦/ ٣٩٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/ ٣٦٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤١٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٧٩) (٥٢) .

ورئي معه كلب ، فقيل له في ذلك ، فقال : هو خيرٌ من قرين السوء .

وكان رضي الله عنه يقول : (أدركنا الصحابةَ وهم لا يعيبُ بعضُهم علىٰ بعضٍ في الملابس ؛ من أعلىٰ وأدنىٰ ، فكان صاحبُ الخَزِّ لا يعيبُ علىٰ صاحب الصوف ، ولا صاحبُ الصوف يعيبُ علىٰ صاحب الخزِّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من الإخوان مَنْ يكون محبّاً لك ، وهو بعيدٌ ، ويمنعه من لقائك الشغلُ الذي هو فيه) .

وكان يقول : (قد اصطلحنا كلُّنا علىٰ حبِّ الدنيا ، فلا صالحَ ولا عالمَ يعيبُ علىٰ آخر حبه لها) .

وكان إدامُهُ في جميع سنته : أن يشتري له بفلسين مِلحاً ، وكان لا يأكل اللحمَ إلا في أضحيةٍ ؛ لما وردَ في الأكل منها[١] .

وكان رضي الله عنه يقول لأهله : (مَنْ وافقني على التقلُّلِ فهو معي ، وإلا فالفراقُ) .

وكان يتقوَّتُ من عمل الخوص ، وفي بعضِ الأوقات يكتبُ المصاحف .

وكان بيتُهُ خالياً ليس فيه غيرُ مصحفٍ ، وإبريقٍ ، وحصير ، ويقول : هلك أصحاب الأثقال .

وكان يقول في دعائه : (اللهم ؛ لا تُدخلْ بيتَ مالك بن دينار من الدنيا شيئاً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لولا أن يقولَ الناس : جُنَّ مالكٌ للبست المسوحَ ، ووضعت الرمادَ علىٰ رأسي بين الناس) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا تعلَّمَ العبدُ العلمَ ليعملَ به كثُر علمُهُ ، وإذا تعلَّمه لغيرِ العمل زادَهُ فجوراً وتكبُّراً ، واحتقاراً للعامة) .

وقال له بعضُ الولاة : ادعُ لنا ، فقال : كيف أدعو لكمُ وألفُ واحدٍ يدعون عليكم ؟!) .

وكان رضي الله عنه يقول : (منذ عرفتُ أنَّ ذمَّ الناس إفراطٌ ، ومدحَهم إفراطٌ . . لم أكره مذمَّتَهم) .

---

(١) كما قال تعالىٰ : ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ [الحج : ٢٨] .

توفي رضي الله عنه سنة إحدىٰ وثلاثين ومئة ، والله أعلم .

ومنهم :

(٥٦) محمد بن المنكدر رضي الله عنه[1]

كان رضي الله عنه يقول : (كابدتُ نفسي أربعين سنةً حتى استقامتْ علىٰ آثار السَّلف) .

وكان يحجُّ بالأطفال ، ويقول : نَعرضُهم على الله تعالىٰ ، لعلَّه ينظرُ إليهم .

وكان يقول : (إنَّ الفقيهَ يدخلُ بين الله وبين عباده ، فلينظر كيف يدخلُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إني أستحيي من الله عز وجل أنْ أعتقدَ أنَّ رحمتَهُ تَعْجِزُ عن أحدٍ من المسلمين ، ولو فعل ما فعل) .

توفي بالمدينة سنة ثلاثين ومئة ، والله تعالى أعلم .

ومنهم :

(٥٧) صفوان بن سُلَيْم رضي الله عنه[2]

كان رضي الله عنه يُصلِّي بالليل حتىٰ تورَّمتْ قدماه .

وكان يتهجَّدُ بالشتاء فوقَ السطح ؛ لئلا ينامَ .

ودخل سُليمان بنُ عبد الملك المسجدَ ، فرأىٰ صفوان ، فأعجبه سمتُهُ ، فأرسل إليه ألفَ دينار ، فقال للغلام : أنت غلطتَ ، ما هو أنا ، اذهبْ فاستثبتْ ، فذهبَ الغلام ، فهرب صفوان ، فلم يرجعْ حتىٰ خرجَ سُليمان من المدينة .

توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، والله أعلم .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » ، (القسم المتمم) (ص ١٨٨) ، و« حلية الأولياء » (٣/١٤٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/٣٥٣) ، و« طبقات المناوي » (١/٤٤١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٨١) (٥٣) .

(٢) انظر « حلية الأولياء » (٣/١٥٨) ، و« تاريخ دمشق » (٢٤/١٢١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/٣٦٤) ، و« طبقات المناوي » (١/٣٣٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٨٢) (٥٤) .

ومنهم :

(٥٨) موسى الكاظم رضي الله عنه[١]

أحدُ الأئمة الاثني عشر رضي الله عنهم[٢] ؛ وهو ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين .

كان رضي الله عنه يقول : (إذا صحبتَ رجلاً وكان موافقاً لك ، ثم غابَ عنك ، فلقيته ، فاضطربَ قلبُك عليه ، فارجعْ إلىٰ نفسك ، فانظر ؛ فإنْ كنتَ اعوججتَ فتُب ، وإن كنتَ مُستقيماً فاعلم أنَّه تركَ الطريق ، وقفْ عند ذلك ، ولا تقطع منه حتىٰ يستبين لك إن شاء الله تعالىٰ) .

وكان يلقب بالعبد الصالح ؛ لكثرة عبادته ، واجتهاده ، وقيامه الليل .

وكان إذا بلغه عن أحدٍ أنَّه يؤذيه يبعثُ إليه بمال .

ولد موسى بن جعفر رضي الله عنه سنة ثمانٍ وعشرين ومئة ، وأقدمَهُ المهدي إلى العراق ، ثم ردَّهُ إلى المدينة ، فأقامَ بها إلىٰ أيام الرشيد ، فلما قدمَ الرشيدُ المدينة حملَهُ معه ، وحبسه ببغداد إلىٰ أن تُوفي بها مسموماً رضي الله عنه سنة ثلاثٍ وثمانين ومئة ، وقبرُه بها مشهورٌ ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٥٩) محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه[٣]

كان رضي الله عنه يقول : (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً جعلَ فيه ثلاثَ خصال : فقهاً في

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١٣/ ٢٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/ ٢٧٠) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٦١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٨٢) (٥٥) .

(٢) وهو السابع رضي الله عنهم .

(٣) انظر « طبقات ابن سعد » (القسم المتمم) (١٣٤) ، و« حلية الأولياء » (٣/ ٢١٢) ، و« تاريخ دمشق » (٥٥/ ١٣٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/ ٦٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٢٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٨٣) (٥٦) .

الدين ، وزهادةً في الدنيا ، وتبصرةً بعيوبه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو رُخِّصَ لأحدٍ في تركِ الذكر لرُخِّصَ لزكريا عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى : ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ [آل عمران : ٤١]) .

وسأله رجلٌ فقال : أرأيتَ إنْ أعطيتُ اللهَ عز وجل عهداً أو ميثاقاً ألا أعصيه أبداً ؟! فقال له محمد : فمَنْ حينئذٍ أعظمُ منك جرماً ، وأنت تتألَّىٰ على الله ألا ينفذَ فيك أمرُه ؟!

توفي رضي الله عنه سنة سبعَ عشرةَ ومئة ، وكان يعظُ الناسَ ، فسقطَ عليهم المسجدُ ، فمات ، وماتوا كلهم رضي الله عنه(١) .

ومنهم :

(٦٠) عُبيد بن عُمَيْر رضي الله عنه(٢)

كان رضي الله عنه يقول : (**مِنْ صدقِ الإيمان** : إسباغُ الوضوء في المكاره بالليل ، وأن تخلو بالمرأة الحسناء لا تلتفتُ إليها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما بقي في الدنيا شيءٌ للمؤمن يتلذَّذُ به إلا سَرَبٌ يدخلُ فيه إلىٰ أن يموت) .

وكان يقول : (طوبىٰ لمن يَرى الشهوات بعينه ولم يشتهِ الخطايا بقلبه) .

وكان يقول : (**علامةُ الإخلاص** : ألا تطمعَ في الناس ، ولا تحبَّ محمدتَهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**حقُّ الضيف عليك ثلاثٌ** : ألا تتكلفَ له ، ولا تُطعمه إلا من حلال ، وتحفظ عليه أوقات الصلاة) .

---

(١) وقع هنا في النسخ بعض الأقوال لأبي حازم سلمة بن دينار ، وقد نقلت إلى ترجمته (١/ ١٨٦) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/ ٤٤٥) ، و« حلية الأولياء » (٣/ ٢٦٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ١٥٦) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٦٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٨٥) (٥٨) .

وكان يقول : (علامةُ المتقلِّل من الدنيا : أن يصلَ إلىٰ حدٍّ لو لم يأخذ لأثمَ) .

وكان يقول : (لا يكونُ الرجلُ متعلِّماً حتَّىٰ يتركَ الهوىٰ ، ولا يكون عالماً حتىٰ يُعلِّمَ الناسَ ما يرجو لهم فيه النجاة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (واللهِ ؛ ما المجتهدُ فيكم إلا كاللاعبِ فيمن مضىٰ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٦١) مجاهد بن جبر رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه يقول : إني لأَرَى الرجلَ يصنعُ شيئاً مما يُكره ، فأستحيي أن أنهاه عن ذلك ؛ أي : مع نهيي له[٢] .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلُّ موجبةٍ كبيرةٌ) .

وكان يقول : (لا يكونُ الرجلُ من الذاكرين الله كثيراً حتىٰ يذكرَ الله قائماً ، وقاعداً ، ومضطجعاً) .

وكان يقول : (إنَّ النَّملةَ التي كلَّمتْ سليمان كانت مثلَ الذِّئبِ العظيم) .

وكان يقول : (ليس أحدٌ إلا ويؤخذُ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم) .

وكان رضي الله عنه يقول : يُؤمرُ بالعبد إلى النار ، فيقول : يا ربِّ ؛ ما كان هٰذا ظنِّي بك ، وأنت أعلم ، فيقول الله عز وجل ـ وهو أعلم ـ : « مَا كانَ ظَنُّكَ بِي ؟ » فيقول : أن تغفرَ لي ، فيقول تعالىٰ : « خَلُّوا سبيلَهُ »[٣] .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/٤٤٦) ، و« حلية الأولياء » (٣/٢٧٩) ، و« تاريخ دمشق » (٥٧/١٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/٤٤٩) ، و« طبقات المناوي » (١/٤٢٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٨٥) (٥٩) .

(٢) سيرد قريب من هذه المقولة لسعيد بن جبير رحمه الله تعالى (١/٢٠٧) .

(٣) أخرجه أحمد في « الزهد » (٢٢٢١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/٢٩٢) عن مجاهد رحمه الله تعالىٰ .

وكان يقول : (ليكنْ آخرُ كلام أحدِكم عند منامه : « لا إلـه إلا الله » ؛ فإنَّها وفاةٌ ، لا يدري لعلَّها تكون منيةً) .

توفي رضي الله عنه وهو ساجد سنة اثنتين ومئة ، وله ثلاثٌ وثمانون سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٦٢) عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه(١)

كان رضي الله عنه إذا حدَّثَهُ أحدٌ بحديث وهو يعلمُهُ يُصغي إليه ، كأنَّه ما سمعَهُ قطُّ ؛ لئلا يُخجلَ الرجل .

وكان يقرأ في قيامه في صلاة الليل المئتي آية وأكثر .

وكان إذا استأذنَ عليه أحدٌ لا يفتحُ له حتىٰ يقولَ له : بأيِّ نيَّةٍ جئتَ إليَّ ؟ فإذا قال : لزيارتك ، يقول : ما مثلي مَنْ يُزار ، ثم يقول : قد خبثَ زمانٌ يُزارُ فيه مثلي .

وكان رضي الله عنه يقول : (من جلسَ مجلسَ ذكرٍ كفَّرَ الله تعالىٰ عنه بذلك المجلسِ عشرةَ مجالس من مجالس الباطل) .

وكان عطاء رضي الله عنه مولىً لأبي مَيْسرة الفِهري ، نشأَ بمكة .

وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول : (خزائنُ العلم لا يَقسمُها اللهُ تعالىٰ إلا لمن أحبَّ ، ولو كان يخصُّ بالعلم أحداً لكان أهلُ النسبِ أولىٰ ، فكان عطاء عبداً حبشياً ، وكان يزيد بن أبي حبيب نوبياً ، وكان الحسن البصري مولىً ، وكان ابن سيرين رضي الله عنه مولىً للأنصار) انتهىٰ .

قلت : ومن الموالي أيضاً : مكحول ، وطاوس ، والنَّخعيُّ ، وميمون بن مهران ، والضحاك بن مُزاحم . قاله الزهري .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٢/ ٣٨٦ ، ٥/ ٤٦٧) ، و« حلية الأولياء » (٣/ ٣١٠) ، و« تاريخ دمشق » (٤٠/ ٣٦٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/ ٧٨) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ٤٤٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٨٦) (٦٠) .

وكان عطاء يُعلِّمُ الأكابرَ العلم ، وجاءه سليمان بنُ عبد الملك ، فجلس بين يديه ، فعلَّمه مناسك الحجِّ ، ثم التفتَ إلىٰ أولاده وقال : تعلَّموا العلمَ ؛ فإنِّي لا أنسىٰ ذلَّنا بين يدي هـٰذا العبد الأسود .

وحجَّ عطاء رضي الله عنه سبعين حجة ، **وعاش مئة سنة ، وتوفي بمكة سنة خمسَ عشرة ومئة** ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٦٣) عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه[١]

كان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء : ١٧] : (الدُّنيا كلُّها قريب ، وكلُّها جهالة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من قرأَ سورةَ (يسٓ) في يومٍ لم يزلْ في سرورٍ ذلك اليوم حتىٰ يُمسي) .

وكان رضي الله عنه يقول : (سعةُ الشمس سعةُ الأرض وزيادة ثلاث مرات ، وسعةُ القمرِ سعةُ الأرض مرّةً) .

وكان قد جزَّأَ الليلَ ثلاثة أجزاء : ثُلثاً ينام ، وثلثاً يُحدِّثُ ، وثلثاً يُصلِّي ، والله أعلم .

ومنهم :

(٦٤) طاوس بن كيسان اليماني رضي الله عنه[٢]

كان رضي الله عنه يقول : (كان يقال : قم للقردِ في دولته) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/ ٢٨٧) ، و« حلية الأولياء » (٣/ ٣٢٦) ، و« وفيات الأعيان » (٣/ ٢٦٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/ ١٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٨٧) (٦١) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/ ٥٣٧) ، و« حلية الأولياء » (٤/ ٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/ ٣٨) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٣٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٨٨) (٦٢) .

وكان يقول : (يا ليتك تعلَّمُ العلمَ لنفسك ؛ فإنَّ الناسَ قد ذهبتْ منهم الأمانةُ والعملُ بالعلم) .

وكان يقول : (أفضلُ العبادة أخفاها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو وُزِنَ رجاءُ المؤمن وخوفُهُ لاعتدلا) .

مات سنة خمسٍ ومئة ، وحجَّ رضي الله عنه أربعين حجَّةً .

وكان إذا رأى النارَ يكاد يطيشُ عقله .

ورأىٰ مرَّةً روَّاساً يُخرجُ رأساً من التنُّور ، فغُشي عليه[1] .

وكان لا يسقي دابَّتَهُ من بئرٍ حفرها سلطانٌ .

وصلَّى الصبحَ بوضوءِ العتمة أربعين سنةً .

وكان قوَّالاً بالحق للولاة وغيرهم ، لا تأخذُهُ في الله لومةُ لائم ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٦٥) أبو عبد الله وهب بن منبه رضي الله عنه[2]

كان رضي الله عنه يقول : (في التوراةِ : علامةُ الرجلِ الصالحِ أن يُخاصِمَهُ قومُهُ الأقربُ فالأقرب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كان الناسُ ورقاً بلا شوك ، وأنتم اليوم شوكٌ لا ورق فيه ، إن تركهم العبدُ وهربَ تبعوه) .

وكان يكرهُ النُّطقَ بالشعر ، ويقول : (إنِّي أكرهُ أن يوجدَ في صحيفتي يومَ القيامة شعر) .

---

(١) روىٰ هـٰذا الخبر ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٢١١) عن محمد بن سيرين رحمه الله تعالىٰ .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/ ٥٤٣) ، و« حلية الأولياء » (٤/ ٢٣) ، و« تاريخ دمشق » (٦٣/ ٣٦٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٥٤٤) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٧٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٨٩) (٦٣) .

وكان يكره القياسَ في الدِّين ، ويقول : (أخافُ على العالِمِ أن تزلَّ قدمُهُ بعد ثبوتها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا قرأَ الشَّريفُ تواضعَ ، وإذا قرأ الوضيعُ تكبَّرَ) .

وكان يقول : (من لم يسمحْ لعدوِّه بالمال لم يجدْ إلىٰ غيرِ قتالِهِ سبيلاً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما افتقرَ أحدٌ إلا رقَّ دينُهُ ، وضعفَ عملُهُ ، وذهبت مروءتُهُ ، واستخفَّ به الناسُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (البلاء للمؤمن كالشِّكال لِلدَّابة)[1] .

وكان يقول : (إنَّ للعلم طغياناً كطغيان المال) .

وكان يقول : (اتَّخذوا عند الفقراءِ يداً ؛ فإنَّ لهم دولةً يوم القيامة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (خُلِقَ ابنُ آدم أحمقَ ، ولولا حمقه ما هنَّأه العيش) .

وأتاه رجلٌ فقال : إني مررتُ علىٰ فلان وهو يشتمُكَ ، فغضب وهبٌ وقال : ما وجد الشيطان رسولاً غيركَ ، ثم إن ذلك الشاتمَ جاءه ، فأجلسه إلىٰ جنبه .

وكان رضي الله عنه يقول : (قرأتُ نيِّفاً وتسعين كتاباً من كُتب الله عز وجل ، فوجدت فيها كلِّها : أنَّ كلَّ مَنْ وَكَلَ إلىٰ نفسهِ شيئاً من المشيئة فقد كفر) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ الله عز وجل يقول في بعض الكتب المنزلة : « يا بن آدم ؛ ما قمتَ لي بما يجبُ عليك ، أذكرُكَ وتنساني ، وأدعوك فتفرُّ مني ، خيري إليك نازل ، وشرُّك إليَّ صاعد »)[2] .

وكان يقول : (قد أصبح علماؤنا يبذلون علمهم لأهل الدنيا لينالوها منهم ، فهانوا في أعينهم ، وزهدوا في علمهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

وكان يقول : (من كانت بطنُهُ وادياً من الأودية كيف يصحُّ له الزهد في الدنيا ؟!) .

---

(١) **الشِّكال في الخيل** : أن تكون إحدى اليدين وإحدى الرجلين من خلاف محجلتين . « المعجم الوسيط » (١/ ٤٩١) .

(٢) أخرجه الديلمي والرافعي عن علي رضي الله عنه كما في كنز العمال (٤٣١٧٤) .

وكان رضي الله عنه يقول : (قال موسىٰ عليه الصلاة والسلام لربّه : يا ربِّ ؛ احبسْ عني كلامَ الناس ، فقال الله عز وجل : لو فعلتُ هـٰذا بأحدٍ لجعلتُ ذلك لي) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أوحى الله تعالىٰ إلىٰ داود عليه الصلاة والسلام : أنَّ أسرعَ الناس مُروراً على الصراط الذين يَرضون بحكمي ، وألسنتُهم رطبةٌ من ذكري) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ أعظمَ الذنوب بعد الشِّرك بالله السحرُ بالناس) .

وكان يقول : (إذا صامَ الإنسانُ زاغَ بصره ، فإذا أفطر علىٰ حلاوةٍ عاد بصره) .

وكان يقول : (من تعبَّدَ ازدادَ قوَّةً ، ومن كسلَ ازداد فترة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (قال عيسىٰ عليه السلام للحواريين : بحقٍّ أقولُ لكم : إنَّ أكلَ خبز الشعير ، وشربَ الماء القَراح ، والنومَ علىٰ مزابل الكلاب . . لكثيرٌ علىٰ من يموت) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الإيمانُ عريان ، ولباسُهُ التقوىٰ ، وزينتُهُ الحياء) .

وصلىٰ رضي الله عنه الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة .

توفي بصنعاء سنة أربعَ عشرةَ ومئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٦٦) ميمون بن مهران رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه يقول : (كراهةُ الرجل لأن يُعصى الله عز وجل خيرٌ له من كثرةِ الطاعات مع الميل إلى المعاصي) .

وزار الحسنَ البصري ، فدقَّ الباب ، فخرجتْ إليه جاريةٌ سداسية[٢] ، فقالت : مَنْ تكون ؟ قال : ميمون بن مهران ، فقالت : كاتبُ عمرَ بنِ عبد العزيز رضي الله

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٤٧٧/٧) ، و« حلية الأولياء » (٨٢/٤) ، و« تاريخ دمشق » (٣٣٦/٦١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧١/٥) ، و« طبقات المناوي » (٤٦٣/١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٩١/٣) (٦٤) .

(٢) السداسية : التي طولها ستة أشبار .

عنه ؟ فقال : نعم ، فقالت له : فما بقاؤك يا شقيُّ إلىٰ هـٰذا الزمان الخبيث ، فبكىٰ ، وصار يفحصُ كالطير المذبوح ، فسمع الحسنُ بكاءَه ، فخرج وصار يقولُ له : لا بأس عليك يا أخي ، رضي الله تعالىٰ عنهما .

وقيل له : إن ها هنا أقواماً يقولون : نجلسُ في بيوتنا ، فنردُّ علينا أبوابَنا حتىٰ تأتيَنا أرزاقُنا ، فقال رضي الله عنه : هـٰؤلاء قومٌ حمقىٰ ، إنْ كان لهم يقينٌ مثلَ يقين إبراهيم الخليل عليه السلام فليفعلوا .

وكان رضي الله عنه يقول : (**أولو العزم** : نوحٌ ، وإبراهيمُ ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، ومحمدٌ عليهم الصلاة والسلام) .

وكان يقول : (يا أصحاب القرآن ؛ لا تتَّخذوا القرآنَ بضاعةً تلتمسون بها الربح في الدنيا ، اطلبوا الدُّنيا بالدنيا ، والآخرةَ بالآخرة) .

وكان يقول لأصحابه : (قولوا لي ما أكرهُ في وجهي ؛ لأنَّ الرجلَ لا ينصحُ أخاه حتىٰ يقولَ له في وجهِهِ ما يكره) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كان السَّلفُ رضي الله عنهم إذا رأوا رجلاً راكباً وشخصاً يجري خلفه . . قالوا : قاتلك اللهُ من جبَّار) .

وكان يقول : (إذا ثبتتِ المودَّةُ بين الأخوين فلا بأسَ ببعد الزمن في زيارتهما) .

وصبَّتْ جاريتُهُ علىٰ رأسه مرقاً فأحرقت رأسه ، فانذعرت ، فقال رضي الله عنه : لا بأسَ عليك ، أنت حرَّةٌ لوجه الله عز وجل ، رضي الله عنه ، ما أكرمه وأحلمه !

ومنهم :

(٦٧) أبو وائل شقيق بن سلمة رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه يقول : (واللهِ ؛ إني لأستحيي أن أطوفَ حولَ الكعبة بقدميَّ وقد مشتا إلىٰ ما لا يحلُّ ، فكيف أمشي بهما في جوف الكعبة ، أو الحِجر ؟!) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/٩٦) ، و« حلية الأولياء » (٤/١٠١) ، و« تاريخ دمشق » (٢٣/١٥٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/١٦١) ، و« طبقات المناوي » (١/٣٢٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٩٢) (٦٥) .

وسمع رجلاً يقول : فلان مُتَّقٍ ، فقال : ويحك ، وهل رأيتَ مُتَّقياً قطُّ ؟! **إنَّ علامة المتَّقي** : أن تذهبَ روحُهُ إذا سمعَ بذكر النار .

وكان رضي الله عنه إذا صلَّىٰ بالليل يسمعُ الجيرانُ تسبيحَهُ في صلاته .

وكان إذا سمعَ ذكرَ الله تعالى انتفضَ انتفاضَ الطير المذبوح .

وكان يقول : (إني أستحيي من الله تعالىٰ أن أخافَ شيئاً دونه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ أهلَ بيتٍ يضعون اليوم علىٰ مائدتهم رغيفاً من حلال . . لغرباء في هٰذا الزمان) ، رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما دام قلبُ الرجل يذكرُ الله تعالىٰ فهو في الصلاة ، وإن كان في السوق ، وإنْ تحرَّكتْ به شفتاه فهو أعظم) .

وكان يقول : (كم بينكم وبين القوم ؟! أقبلتْ عليهم الدُّنيا فهربوا منها ، وأدبرتْ عنكم فاتَّبعتموها) .

وكان يقول : (لا يكنْ أحدُكم وليّاً لله تعالىٰ في العلانية ، وعدواً له في السرِّ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٦٨) إبراهيم التيمي رضي الله عنه[١]

توفي في حبس الحجاج سنة اثنتين وتسعين .

وكان سببُ حبسهِ : أنَّ الحجَّاجَ طلبَ إبراهيم النخعي ، فجاء الذي طلبه ، فقال : أُريدُ إبراهيم ، فقال : أنا إبراهيم ، فأخذه وهو لا يعلمُ أنَّه إبراهيم التيمي ، فأمرَ الحجَّاج بحبسه في الدِّيماس[٢] ، ولم يكن له ظلٌّ من الشمس ، ولا كنٌّ من البرد ،

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ٢٨٥) ، و« حلية الأولياء » (٤/ ٢١٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/ ٦٠) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢٠٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٩٢) (٦٦) .

(٢) **الديماس** بكسر أوله : سجن كان للحجاج بواسط . انظر « معجم البلدان » (٢/ ٥٤٤) .

وكان كلُّ اثنين في سلسلة ، فتغيَّرَ إبراهيم حتىٰ مات ، فرأى الحجَّاجُ في منامه قائلاً يقول : ماتَ الليلةَ في حبسِكَ رجلٌ من أهل الجنة ، فقال : انظروا من ماتَ ، فوجدوا إبراهيم ، فقال : حلمٌ من نزغات الشيطان ، فأمرَ به ، فأُلقي على المزبلة .

وكان يقول : (كفىٰ من العلم الخشيةُ ، وكفىٰ من الجهلِ أن يُعجَبَ الرجلُ بعمله) .

وكان يقول : (حملتنا المطامعُ علىٰ أسوأ الصنائع) .

وقيل له : لو تكلَّمتَ على الناس ، عسىٰ أن تُؤجر ، فقال رضي الله عنه : أما يرضى المتكلِّمُ أن ينجو كفافاً ؟!

وقال الأَعمش رضي الله عنه : قلتُ لإبراهيم التيمي رضي الله عنه : بلغني أنك تمكثُ شهراً لا تأكل شيئاً ، فقال : نعم ، وشهرين ، وما أكلتُ منذ أربعين ليلةً إلا حبَّةَ عنب ، ناولنيها أهلي فأكلتها ، ثم لفظتُها في الحال .

وكان يقول : (إذا رأيتَ الرجلَ يتهاون في التكبيرةِ الأولىٰ فاغسلْ يدَك منه) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٦٩) إبراهيم بن يزيد النخعي رضي الله عنه[1]

كان رضي الله عنه يقول : (أدركنا الناسَ وهم يكرهون إذا اجتمعوا أن يُحدِّثَ الرجلُ بأحسن ما عنده) .

وكان يقول : (لا بأس أن يقولَ المريضُ إذا سُئل : كيف نجدك : أن يقول : بخير ، ثم يشكو ما به) .

وكان يقول : (ما أُوتي عبدٌ بعد الإيمان أفضلَ من الصبر على الأذىٰ) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ٢٧٠) ، و« حلية الأولياء » (٤/ ٢١٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٥٢٠) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢٠٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٩٣) (٦٧) .

وكان رضي الله عنه يُخفي أعماله ، ويتوقَّى الشهرةَ ، حتىٰ إنه كان لا يجلس قطُّ إلىٰ أُسطوانة[١] .

وكان يقول : (أدركنا الناسَ وهم يَهابون أن يُفسِّروا القرآن ، والآن قد صارَ كلُّ من أراد أن يُفسِّرَهُ جُلِسَ إليه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (وددتُ أني لم أكنْ تكلَّمتُ بعلمٍ ، وإنَّ زماناً صرتُ فيه فقيهاً لزمان سوء) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا بأس أن تُسلِّمَ على النصرانيِّ إذا كانت لك إليه حاجةٌ ، أو بينكما معروفٌ) .

قلت : المرادُ بالسلام ـ والله أعلم ـ قوله للنصراني : كيف حالُك مثلاً ، لا قوله : السلامُ عليكم ؛ لأنه لا يُسلَّمُ إلا علىٰ من اتَّبعَ الهدىٰ ، ويحتملُ أن يكونَ ذلك من باب إذا تعارضَ مفسدتان ارتكبْنا الأخفَّ منهما ، أو مصلحتان فعلنا أَدونَهما عند تعذُّر أعلاهما ، والله أعلم .

وكان يقول : (إن الرَّجلَ ليتكلَّمُ بالكلمة من العلم ليصرفَ بها وجوهَ الناس إليه يهوي بها في جهنَّم ، فكيف بمن كان ذلك نيَّتَهُ من أوَّل جلوسه إلىٰ أن فرغ ؟!) .

وكان إذا استأجرَ دابَّةً ليركبَها إلىٰ موضعٍ ، فوقع سوطُهُ يميناً أو شمالاً ينزلُ عنها ويأخذه ، ولا يعرِّجُ بها ، ويقول : إنَّما استأجرتُها لأذهبَ بها هٰكذا ، لا هٰكذا .

وكان رضي الله عنه يقول : (كفىٰ بالمرءِ إثماً أن يُشارَ إليه بالأصابع في دينٍ أو دنيا ، إلا من حفظَه الله تعالىٰ) .

وكان يلبسُ الثوبَ المصبوغَ بالزعفران أو العصفر ، حتىٰ لا يَدري من رآه أهو من القرَّاءِ أو الفتيان .

توفي سنة خمسٍ وتسعين رضي الله عنه[٢] .

---

(١) **الأُسطوانة** : العمود الذي يستند إليه من يُدرِّس أو يُفتي .

(٢) اختلف في تاريخ سنة وفاته . انظر « طبقات خليفة » (ص ١٥٧) .

ومنهم :

(٧٠) عون بن عبد الله بن عتبة رضي الله عنه[1]

كان يقول : (إنَّ لكلِّ رجل سيِّداً من عمله ، وإن سيِّدَ عملي ذكرُ الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (كفىٰ بك كبراً أن ترىٰ لك فضلاً علىٰ من دونك) .

وكان يقول : (الكبرُ أولُ ذنبٍ عُصي اللهُ تعالىٰ به) .

وخرج أصحابُه يوماً إلى البرية ، فرأوه نائماً في الحرِّ ، والغمامةُ تظلُّه ، فلما انتبه أخذَ عليهم ألا يُخبروا بذلك أحداً حتىٰ يموت .

وكان يقول : (طريقُ الخلاص لمن يرىٰ من الناس منكراً فلا يقدرُ علىٰ تغييره . . أن يعتزلَ عنهم ، وهو أهونُ من الفرارِ من أرضهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (مجالسُ الذكر صقالٌ للقلوب ، وشفاءٌ لها) .

وكان يلبسُ أحياناً الخزَّ ، وأحياناً الصوف ، فقيل له في ذلك ، فقال : ألبس الخزَّ لئلا يستحيي ذو الهيئة أن يجلسَ إليَّ ، وألبس الصوفَ لئلا تهابني المساكين أن يجلسوا إلي .

وكان يقول : (من كان يتَّهمُ نفسَه بالنفاق فليس عنده نفاق) .

وكان إذا خالفَهُ عبدُهُ أو غلامُهُ يقول : ما أشبهك بمولاك مع مولاه .

وكان رضي الله عنه يقول : (من تمامِ التقوىٰ ألا يشبعَ العبدُ من زيادةِ العلم ، وإنما تركَ قومٌ طلبَ الزيادة من العلم ؛ لقلَّةِ انتفاعهم بما قد علموا) .

وكان يقول : (لو رأيتَ الأجلَ ومسيرَهُ لأبغضتَ الأملَ وغرورَهُ) .

وكان يقول : (مَنْ ضبطَ بطنَهُ فقد ضبطَ الأعمالَ الصالحة كلَّها) ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/٣١٣) ، و« حلية الأولياء » (٤/٢٤٠) ، و« تاريخ دمشق » (٤٧/٦٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/١٠٣) ، و« طبقات المناوي » (١/٣٨٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٩٥) (٦٨) .

ومنهم :

(٧١) سعيد بن جبير رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه يبكي حتىٰ عمشتْ عيناه .

وكان يختمُ القرآنَ في كلِّ ركعةٍ في جوف الكعبة ، وكان يختمُ القرآن فيما بين المغرب والعشاء في رمضان .

وكان يقول : (كلُّ موجبةٍ فهي كبيرةٌ) .

وكان يقول : (إني لأرى الرجلَ على المعصية ، فأستحيي أن أنهاه لحقارةِ نفسي عندي) .

وكان له ديكٌ يقوم علىٰ صياحه ، فلم يصحْ ليلةً ، فنام سعيدٌ عن ورده ، فدعا على الديك ، فمات لوقته ، فعزم ألا يدعو علىٰ شيءٍ بعدها .

وكان يقول : (علامةُ الإجابة حلاوةُ الدعاء) .

ولما أخذه الحجَّاجُ قال : ما أُراني إلا مقتولاً .

ودخلتْ عليه ابنتُهُ ، فرأت القيدَ في رجليه ، فبكت ، فلما دُعي ليُقتل صاحت ، فقال : يا بُنيَّتي ؛ ما بقاءُ أبيك بعد سبعٍ وخمسين سنة[٢] ؟! .

وكان يقول : (كلُّ من أطاعَ الله تعالىٰ فهو ذاكرٌ ، وكلُّ من عصاه فليس بذاكرٍ ، وإن أكثرَ التسبيح وتلاوةَ القرآن) .

وقيل له : مَنْ أَعْبَدُ الناس ؟ فقال : رجلٌ اجترحَ من الذنوب ، ثم تاب ، فكلَّما ذكرَ ذنوبَهُ احتقرَ عمله .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/٢٥٦) ، و« حلية الأولياء » (٤/٢٧٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/٣٢١) ، و« طبقات المناوي » (١/٣٠٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٩٦) (٦٩) .

(٢) في (ج ، ح) زيادة بعد قوله : (صاحت) : (وقالت : ويلاه يا أبي) وفي المصادر : إن الذي جعله يبكي ابنه ، وليست ابنته .

وكان إذا طلعَ الفجرُ لا يتكلَّمُ إلا بذكر الله تعالىٰ حتىٰ يُصلِّي الصبح .

ولما قطعَ الحجَّاجُ رأسَهُ قال : (لا إلـه إلا الله) مرتين ، ثم قال الثالثة ، فلم يتمَّها .

ولما وعدوه بالقتل غداً قال للحراس : دعوني أتأهَّبْ للموت ، وآتيكم غداً ، فتنازعوا في ذلك خوفَ الهرب ، ثم إنَّه غلبَ عليهم صدقُهُ ، فأطلقوه ، ثم جاءهم من الغدِ ، فقدَّموه للقتل ، وبُسط النِّطعُ ، وجاء السيَّافُ ، فذبحه على النِّطع .

وكان قد قال : اللهم ؛ لا تُسلِّط الحجاجَ علىٰ أحدٍ بعدي ، فعاش الحجاج بعده خمسَ عشرةَ ليلةً ، ووقعتِ الأَكَلَةُ في بطنه ، وكان يُنادي بقيَّةَ حياته : ما لي ولسعيدِ بن جبير ، كلما أردتُ النومَ أخذ برجلي .

قُتل سنة خمس وتسعين رضي الله عنه .

ومنهم :

(٧٢) عامر بن شُراحيل الشعبي رضي الله عنه[١]

مرَّ رضي الله عنه برجل يغتابه ، فأنشد[٢] : [من الطويل]

هنيئـاً مَـريئـاً غيـرَ داءٍ مُخـامِـرٍ   لِعَـزَّةَ مِـنْ أعـراضِنـا مـا استحلَّـتِ

وكان يقول : (إيَّاكم والقياسَ في الدِّين ؛ فإنَّ من قاسَ فقد زادَ في الدين) .

وكان يقول : (لأن أقيمَ في حمامٍ أحبُّ إليَّ من أن أُقيم بمكة) .

قال سفيان رضي الله عنه : (إعظاماً لها ، وخوفاً من وقوعِ ذنبٍ فيها)[٣] .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/٢٤٦) ، و« حلية الأولياء » (٤/٣١٠) ، و« تاريخ ابن عساكر » : (٢٥/٣٣٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/٢٩٤) ، و« طبقات المناوي » (٤/١٧١ ، ٣٥٧) وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٩٧) (٧٠) .

(٢) البيت لكثير عزة ، وانظر ديوانه (ص ١٠٠) .

(٣) وذلك أن إرادة السوء يعاقب المرء عليه ؛ قال تعالىٰ : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج : ٢٥] .

وكان يقول : (اتَّقوا الفاجرَ من العلماء ، والجاهلَ من المتعبِّدين ؛ فإنهما فتنةٌ لكلِّ مفتون) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لم يحضرْ وقعةَ الجمل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أربعة[1] : علي ، وعمار ، وطلحة ، والزبير ، فإنْ جاؤوا بخامسٍ فأنا كاذب) .

وقيل له مرّةً : يا فقيه ، فقال : لستُ بفقيهٍ ولا عالم ، إنَّما نحن قومٌ سمعنا حديثاً ، فنحن نحدِّثُكم بما سمعنا ، وإنَّما الفقيهُ من تورَّعَ عن محارم الله عز وجل ، والعالمُ من خشي الله تعالىٰ بالغيب .

وكان رضي الله عنه يقول : (تعايشَ الناسُ بالدِّين زمناً طويلاً حتىٰ ذهب الدِّينُ ، ثم تَعايشوا بالمروءة زمناً طويلاً حتىٰ ذهبتِ المروءةُ ، ثم تعايشوا بالحياءِ زمناً طويلاً حتىٰ ذهب الحياء ، ثم تَعايشوا بالرغبةِ والرهبة ، وسيأتي بعد ذلك ما هو أشدُّ منه) .

وكان يقول : (ليتني لم أتعلَّمْ علماً ، وددتُ أن أَخرجَ من الدنيا كفافاً ؛ لا عليَّ ولا لي) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما بكينا من زمانٍ إلا وبكينا عليه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أدركنا الناسَ وهم لا يعلِّمونَ العلمَ إلا لعاقلٍ ناسكٍ ، وصاروا اليومَ يعلِّمونَه لمن لا عقلَ له ولا نسك) .

مات رضي الله عنه بالكوفة سنة أربع ومئة ، وهو ابنُ سبعٍ وتسعين سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٧٣) ماهان بن قيس رضي الله عنه[2]

كان يقول : (أما يستحي أحدُكم أن تكونَ دابَّتُهُ أكثرَ ذكراً لله منه) .

---

(١) وكأنه أراد من الرجال الكُمَّل ، وكانت وقعة الجمل سنة (٣٦) للهجرة .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ٢٢٧) ، و« حلية الأولياء » (٤/ ٣٦٤) ، و« تهذيب الكمال »=

وكان لا يفترُ عن التكبير والتسبيح والتهليل .

ولما صلبَهُ الحجَّاجُ علىٰ بابه كان يُسبِّحُ ويهلِّل ويكبِّرُ على الخشبة ، ويعقدُ بيده حتىٰ بلغ تسعاً وعشرين ، ثم طعنوه علىٰ تلك الحالة ، فمكث شهراً مصلوباً .

وسُئل عن أعمال القوم ، فقال : كانت أعمالُهم قليلةً ، وقلوبُهم سليمةً ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٧٤) رِبْعي بن حِراشٍ رضي الله عنه[1]

كان رضي الله عنه يقول : (لا تُعوِّدوا أنفسَكم الراحةَ ، فتشقىٰ غداً) .

وكان يقول : (إنِ استطعتَ ألا تُعرفَ فافعل ، فقد فسدتِ الدنيا ، وليس فيها لغيرِ العزلةِ متَّسعٌ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الجوعُ يُصفِّي الفؤادَ ، ويُميت الهوىٰ ، ويُورث العلم) .

وكان من أكثر الناس صياماً في الهواجر .

وكان قد آلىٰ علىٰ نفسه ألا يضحكَ قطُّ حتىٰ يعلمَ : أيصيرُ إلىٰ الجنة أم إلىٰ النار ؟ فأَخبرَ غاسلُهُ أنَّه لم يزلْ مُتبسِّماً علىٰ سريره ، ويقول : قدمتُ علىٰ ربٍّ كريم .

توفي رضي الله عنه سنة أربعٍ ومئة .

وكان له مالٌ كثير ، فأنفقه كلَّه علىٰ أصحابه .

قال بعضُهم : دخلتُ يوماً عليه وهو يَعجِنُ في جفنةٍ ، ودموعُهُ تسيلُ ، ويقول : لمَّا قلَّ مالي جفاني أحبابي ، والله أعلم .

= (١٦٩/٢٧) ، و« طبقات المناوي » (٥٢٣/٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٩٨/٣) (٧١) .

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (١٢٧/٦) ، و« حلية الأولياء » (٣٦٧/٤) ، و« تاريخ دمشق » (٣٦/١٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣٥٩/٤) ، و« طبقات المناوي » (٢٨٤/١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٩٩/٣) (٧٢) .

ومنهم :

(٧٥) طلحةُ بن مُصَرِّفٍ رضي الله عنه[1]

كان يقول : (إنَّ الشيطانَ ليجلُبُ على المؤمن بأكثر من ربيعة ومضر) .

وكان رضي الله عنه ورعاً زاهداً .

ودخلتْ في داره جاريةٌ تأخذ ناراً ، فقالت لها امرأتُهُ : مكانَكِ حتىٰ نشوي لطلحة قديدَهُ الذي يفطُرُ عليه علىٰ سيخك الحديد ، فلم يذقْه ، وقال : حتىٰ تُرسلي إلىٰ سيِّدتها تستأذنيها في حبسك إيَّاها ، وشيِّكِ القديدَ علىٰ حديدها .

وكان إذا رفعوه علىٰ أحدٍ من أقرانه يذهبُ ويقرأُ عليه ، ويجلسُ بين يديه ، ليدفعَ بذاك ما توهَّمَه الناسُ فيه من أنَّه أعلمُ منه .

وكانوا إذا ذكروا عنده الاختلافَ يقول : لا تقولوا : الاختلاف ، ولـٰكن قولوا : السعة .

وكان رضي الله عنه يقول : (لقد أدركنا أقواماً لو رأيتموهم لاحترقتْ أكبادُكم ، وكنَّا نرىٰ نفوسَنا في جنبهم لصوصاً) .

وكان يقول : (العتابُ مفتاحُ التقالي[2] ، والعتابُ خيرٌ من الحقد) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أكرموا سفهاءكم ؛ فإنهم يكفونكُم العارَ والنار) .

وكان يقول : (إذا اعتذرَ إليك أحدٌ فتلقَّهُ بوجهٍ طلق ، إلا أن تكونَ قطيعتُهُ قربةً إلى الله تعالىٰ) .

توفي رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة ومئة ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/٣٠٨) ، و« حلية الأولياء » (٥/ ١٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/١٩١) ، و« طبقات المناوي » (١/٣٣٨ ، ٤/٣٥٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٠٠) (٧٣) .

(٢) **التقالي** : التباغض .

ومنهم :

(٧٦) زُبَيْد اليامي رضي الله عنه[١]

كان ورعاً زاهداً ، ذا هيبةٍ ، يراه الرجلُ فيرجُفُ فؤادُهُ من هيبته .

وكان قد قسَّمَ الليل أثلاثاً ؛ ثلثاً عليه ، والثلثين على أخويه[٢] ، فكان يقوم ثُلثَهُ ، ثم يجيء إلىٰ أخيه ، فيركُضُهُ برجِلِه ، فيجده كسلان لا يقوم ، فيقول له : نمْ ، أنا أقومُ عنك ، فيقوم ، ثم يأتي إلىٰ أخيه الآخر ، فيقول له : قمْ ، فيجده كسلان ، فيقول له : نم أنت الآخر ، أنا أقومُ عنك ، فكان يقومُ الليلَ كلَّه .

توفي رضي الله عنه سنة اثنتين وعشرين ومئة .

ومنهم :

(٧٧) منصور بن المعتمر رضي الله عنه[٣]

كان الثوريُّ رضي الله عنه يقول : لو رأيتَ منصوراً وهو واقفٌ يُصلِّي لقلتَ : إنَّه يموتُ الساعةَ ، فكانت لحيتُهُ تلصقُ بصدره .

وكان يقوم الليلَ علىٰ سطح داره ، فلما ماتَ قالت ابنةُ جاره لأبيها : يا أبتِ ؛ أين ذلك العمودُ الذي كان فوق سطح جارنا ؟! وذلك لأنها كانت لا تصعدُ إلا ليلاً .

وصام ستين سنة ، وقام ليلَها .

وكان يبكي حتىٰ يرحمَهُ أهلُه طولَ ليله ، فإذا أصبحَ كحلَ عينيه وادَّهنَ ، وخرج إلى

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/٣٠٩) ، و« حلية الأولياء » (٥/٢٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/٢٩٦) ، و« طبقات الصوفية » للمناوي (٤/٢٩٨) ، وفي النسخ : (زيد الفامي) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/١٠١) (٧٤).

(٢) في (ز) : (إخوانه) ، وفي سائر النسخ : (أخويه) ، وفي المصادر : (ابنيه) ، وكذا فيما بعده (ابنه) بدل (أخيه) .

(٣) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/٣٣٧) ، و« حلية الأولياء » (٥/٤٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/٤٠٢) ، و« طبقات المناوي » (١/٤٥٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/١٠١) (٧٥) .

الناس حتىٰ كأنَّه باتَ نائماً ، يُخفي عملَه عن الناس .

وكان رضي الله عنه قد عَمِشَ من البكاء .

وحبسوه شهراً ليتولَّى القضاء ، فلم يرضَ ، فقالوا لعامل الكوفة : لو نثرتَ لحمَه لم يلِ لك قضاءً ، فخلَّىٰ عنه ، وحلَّ قيده .

وكان منصورٌ رضي الله عنه لا يراه أحدٌ إلا ظنَّ أنَّه قريبُ عهدٍ بمصيبة ، منكسرَ الطَّرفِ ، منخفضَ الصوت ، رطبَ العينين ، إذا حرَّكتَه جاءتْ عيناه بالدموع .

توفي سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو لم يكن لنا ذنبٌ إلا محبَّتَنا للدنيا لاستحقَّينا دخولَ النار) .

وكان يقول للعلماء : (إنما أنتم متلذِّذون ، يسمعُ أحدُكم العلمَ ويحكيه ، وإنما يُرادُ من العلم العمل ، ولو عملتم بعلمكم لهربتم من الدنيا ؛ لأنَّ العلمَ ليس فيه شيءٌ يدلُّ علىٰ حبِّها) .

وكان يقول : (من أعظمِ الزُّهدِ في الدنيا الزهدُ في لقاءِ الناس) .

وكان رضي الله عنه يقول : (اللهم ؛ لا تَرزقني مالاً ، ولا ولداً ، ولا داراً ، ولا خادماً ، وما أعطيته لي مما تكره فخُذْه مني) .

ومنهم :

(٧٨) سُليمان بن مِهْران الأَعمش رضي الله عنه[1]

كان الأغنياءُ والسلاطين يكونون في مجلسِهِ أحقرَ الحاضرين ، وهو مع ذلك محتاجٌ إلىٰ رغيف .

وكان يقول : (نقضُ العهدِ وفاءٌ بالعهد لمن ليس له عهد) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ٣٤٢) ، و« حلية الأولياء » (٥/ ٤٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/ ٢٢٦) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣١٥ ، ٤/ ٣٣٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٠٣) (٧٦) .

وكان إذا قامَ من النوم فلم يصبْ ماءً وضع يدَه على الجدار فتيمَّمَ حتىٰ يجدَ الماء ؛ محافظةً على الطهارة .

وكان يقول : (أخافُ أن أموتَ علىٰ غيرِ وضوءٍ ؛ فإنَّ الموتَ يأتي علىٰ غيرِ ميعاد) .

ومكثَ قريباً من سبعين سنة لم تفتْهُ التكبيرةُ الأولىٰ .

وكان رضي الله عنه يقول : (أما يخشىٰ أحدُكم إذا عصى اللهَ تعالىٰ أن يثورَ من تلك المعصية دخانٌ يسوِّدُ وجهَهُ بين الناس ؟!) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا فسدَ الناس أُمِّرَ عليهم شرارُهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا أنا متُّ فلا تعلموا بي أحداً ، واذهبوا بي إلىٰ ربِّي ، فاطرحوني في اللحد ؛ فإني أحقرُ من أن يَمشي أحدٌ في جنازني) .

وكان رضي الله عنه يقول : (واللهِ ؛ لو كانتْ نفسي في يدي لطرحتُها في الحشِّ)[١] ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٧٩) أبو إدريس الخَولاني رضي الله عنه[٢]

كان رضي الله عنه يقول : (ليس بفقيهٍ من يُحدِّث بالحديث من غير عمل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يهتكُ اللهُ سترَ عبدٍ وفي قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من خير) .

وكان يقول : (إعرابُ اللِّسان يُقيم جاهك عند الناس ، وإعرابُ القلبِ يقيم جاهك عند الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (لي كذا كذا سنة ما عملتُ عملاً يُستحيا منه إلا الجماع ودخول الخلاء) .

---

(١) **الحش** مثلثة : المَخْرج ؛ لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/٤٤٨) ، و« حلية الأولياء » (٥/ ١٢٢) ، و« تاريخ دمشق » (٢٦/١٣٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٢٧٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢١٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٠٤) (٧٧) .

وكان يعلِّقُ سوطَهُ في مسجده ، ويقول : أنا أحقُّ بالسَّوط من الدوابِّ .

وكان إذا أخذته فترةٌ مشقَ ساقَهُ بالسَّوط[١] .

وكان رضي الله عنه يمشي على الماء في دجلة بغداد ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٨٠) مكحول الدمشقي رضي الله عنه[٢]

كان رضي الله عنه يقول : (من أحيا ليلةً في ذكر الله عز وجل أصبحَ كيومَ ولدته أمُّه) .

وكان يقول : (إذا كان الفضلُ في الجماعةِ ؛ فإنَّ السلامةَ في العزلة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا كان في أُمَّةٍ خمسةَ عشرَ رجلاً يستغفرون الله عز وجل كلَّ يوم خمساً وعشرين مرة . . لم يؤاخذِ الله تعالىٰ تلك الأمَّة بعذابِ العامة) .

وكان يقول : (من طابَ ريحُهُ زادَ عقلُهُ ، ومن نَظُفَ ثوبُهُ قلَّ همُّه) رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(٨١) يزيد بن مَيْسَرة رضي الله عنه[٣]

كان رضي الله عنه يقول : (إذا بلغكَ عن الرَّجلِ القولُ فأنْكَرَهُ ، فخذْ بقوله ، ودعْ ما بلغَكَ) .

وكان يقول : (كنَّا نمزح ونضحك ، فلما بلغنا المحلَّ الذي يُقتدىٰ بنا فيه فما بقي إلا الإمساكُ عن ذلك) .

وكان يقول : (إذا تكلَّم الفقيهُ بالإعراب ذهبَ الخشوعُ من قلبه) .

---

(١) المَشْق : الضرب السريع .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٤٥٣) ، و« حلية الأولياء » (٥/ ١٧٧) ، و« تاريخ دمشق » (٦٠/ ١٩٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/ ١٥٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٥٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٠٤) (٧٨) .

(٣) انظر « حلية الأولياء » (٥/ ٢٣٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ١٦٦) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ٦٣٠) .

وكان يقول : (لا تكملُ محبَّةُ الأخِ في الله تعالىٰ حتَّىٰ يكونَ أحبَّ من الأب والأم والأخِ الشقيق) .

وكان يقول : (طولُ الكمدِ أحبُّ إليَّ من إسبالِ الدمعة للخائفين) .

وكان يقول : (إنَّ العقلَ إذا طاشَ فُقدت الحرقة ، فإذا فُقدت الحرقةُ قَلَصتِ الدمعة ، وإذا ثبتَ العقلُ فهمَ صاحبُهُ الموعظةَ ، فأحرقتْه ، فحزن ، وبكىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما أراكَ تُعذِّبُنا وتوحيدُك في قلوبنا ، ولو فعلتَ ذلك لجمعتَ بيننا وبين قومٍ طالما عاديناهم فيك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كانتِ العلماءُ إذا علموا عملوا ، وإذا عَملوا شغلوا بأنفسهم ، فإذا شغلوا فُقدوا ، فإذا فُقدوا طُلبوا ، فإذا طُلبوا هربوا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تبذلْ قطُّ علمَكَ لمن لا يسألُهُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كان أشياخُنا رضي الله عنهم يُسمُّون الدُّنيا الدَّنيَّةَ ، ولو وجدوا لها اسماً شرّاً منه لسموها به) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كانتْ أحبارُ بني إسرائيل ـ الصغير منهم والكبير ـ لا يمشون إلا بالعصا ؛ مخافةَ أن يَختالَ أحدُهم في مشيته إذا مشىٰ) .

ومنهم :

(٨٢) كعب الأحبار رضي الله عنه(١)

كان رضي الله عنه يقول : (ما استقرَّ لعبدٍ ثناءٌ في الأرض حتىٰ يستقرَّ له في السماء) .

وكان يقول : (أنيروا بيوتكم بذكر الله ، كما تُنيرون قلوبَكم به) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يأتي على الناس زمانٌ تكثرُ فيه المسألةُ ؛ فمن سأل في ذلك الزمان لم يُباركْ له فيه) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٤٤٥) ، و« حلية الأولياء » (٥/ ٣٦٤) ، و« تاريخ دمشق » (٥٠/ ١٥١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣/ ٤٨٩) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٠٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٠٥) (٧٩) .

وكان يقول : (ما من أحدٍ يُساق إلى النار إلا وهو مسوَّدُ الوجه ، وقد وُضِعَتِ الأنكالُ في قدميه ، والأغلال في عنقه ، إلا مَنْ كان من هـٰذه الأمة ؛ فإنَّهم يُساقون إلى النار بألوانهم من غيرِ تسويدِ وجوههم ؛ لأنَّهم كانوا يَسجدون عليها في دار الدنيا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّما سُمِّي الخليلُ أوَّاهاً[١] ؛ لأنَّه كان إذا سمعَ بذكرِ النار قال : أوَّاه من النار أوَّاه من النار) .

وكان يقول : (يوشكُ أن تروا جهَّالَ الناس يَتباهون بالعلم ، ويتغايرون على التقدُّمِ به عند الأمراء كما يتغاير النساءُ على الرجال ، فذلك حظُّهم من علمهم) .

وكان يقول : (صلاةٌ بعد صلاةٍ ليس بينهما لغوٌ كتابٌ في علِّيين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يذهبُ ألمُ الموت عن الميت ما دامَ في قبره) .

توفي رضي الله عنه في خلافة عثمان .

ومنهم :

(٨٣) عبد الرحمـٰن بن عمرو الأوزاعي رضي الله عنه[٢]

كان رضي الله عنه يكرهُ صيدَ البرِّ أيامَ فراخِهِ ؛ رحمةً بأمِّهِ وبه .

وكان يقول : (تباركَ مَنْ خلقَكَ ، وجعلك تنظرُ بشحمٍ ، وتسمعُ بعظمٍ ، وتتكلَّمُ بلحمٍ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ليس ساعةٌ من ساعات الدنيا إلا وهي معروضةٌ على العبد يومَ القيامة يوماً يوماً ، وساعةً ساعةً ؛ فالساعةُ التي لا يذكرُ اللهَ تعالىٰ فيها تتقطَّعُ نفسُه عليها حسراتٍ ، فكيف إذا مرَّتْ عليه ساعةٌ مع ساعةٍ ويومٌ مع يوم ؟!) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أدركنا الناسَ وهم أوَّلَ ما يستيقظون ويُصلون الصبح

---

(١) قال تعالىٰ في سورة هود (٧٥) : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٤٨٨) ، و« حلية الأولياء » (٦/ ١٣٥) ، و« تاريخ دمشق » (٣٥/ ١٤٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧/ ١٠٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٥٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٠٦) (٨٠) .

يتفكَّرون في أمرِ معادهم وما هم صائرون إليه ، ثم يَفيضون بعد ذلك في الفقه والقرآن) .

ولد رحمه الله سنة ثمانٍ وثمانين ، ومات سنة سبعٍ وخمسين ومئة ، وكان مولده ببعلبك ، ومات في حمَّام بيروت ، دخل الحمَّامَ ، فذهب الحمَّاميُّ في جماعةٍ ، وأغلق عليه الباب ، ثم جاء ، فوجده ميتاً متوسِّداً بيمينه ، مستقبلَ القبلة .

ودخل عليه المنصورُ ، فقال : عظني ، فقال : ما أحدٌ من الرعيةِ إلا وهو يشكو بليةً أدخلْتَها عليه ، أو ظلامةً سقتها إليه .

وكان يقول : (لقاءُ الإخوان خيرٌ من لقاء الأهل والمال) .

وكان يقول : (الفارُّ من عياله كالآبق ، لا يَقبل اللهُ منه صوماً ولا صلاةً حتىٰ يرجعَ إليهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو قبلنا من الناسِ كلَّ ما يعرضون علينا لهُنَّا في أعينهم) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٨٤) حسَّان بن عَطية رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه إذا صلَّى العصرَ يتنحَّىٰ في ناحيةِ المسجد ، فيذكر الله تعالىٰ حتىٰ تغيبَ الشمس .

وكان يقول : (مَنْ أطالَ قيامَ الليل هوَّنَ الله عليه طولَ القيام يوم القيامة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما ازدادَ العبدُ في علمه وعمله إخلاصاً إلا ازداد الناسُ منه قرباً) .

وكان يقول : (بكىٰ آدمُ عليه السلام علىٰ خروجه من الجنة سبعين عاماً ، وبكىٰ

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٦/ ٧٠) ، و« تاريخ دمشق » (١٢/ ٤٣٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/ ٤٦٦) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ٢٥٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٠٧) (٨١) .

على خطيئته سبعين عاماً ، وبكى على ابنهِ حين قُتل أربعين عاماً ، وأقام بمكة مئة عام) والله أعلم .

ومنهم :

(٨٥) عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه(١)

أدرك الحسنَ البصري وغيره .

وكان يقول : (مَثَلُ المؤمن مثلُ الولدِ في الرَّحم ، لا يحبُّ الخروج ، فإذا خرجَ لم يحبَّ أن يرجعَ ، فكذلك المؤمن إذا خرجَ من الدنيا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (عليكم بالخبزِ والملح ؛ فإنه يُذهبُ شحمَ الكُلَى ، ويزيدُ في اليقين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أحسنُ أحوالِ العبد مع الله موافقتُهُ ، فإن أبقاه اللهُ في الدنيا لطاعته كان أحبَّ إليه ، وإن أخذَهُ كان أحبَّ إليه) .

وكان يقول : (ما من عبدٍ أُعطيَ من الدنيا شيئاً فابتغى إليه شيئاً ثانياً إلا سلبه الله تعالى حبَّ الخلوة معه ، وبدَّله بعدَ القُرب بُعداً ، وبعد الأُنْس وحشةً) .

وصلَّى الغداةَ بوضوء العشاء أربعين سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٨٦) أبو بشر صالح المُرِّي رضي الله عنه(٢)

كان رضي الله عنه يبكي كبكاءِ الثَّكلى ، ويجأرُ جؤار الرُّهبان ، حتى كأنَّ مفاصلَهُ تتقطَّع .

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٦/ ١٥٥) ، و« تاريخ دمشق » (٣٧/ ٢١٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧/ ١٧٨) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٦٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ١٠٨) (٨٢) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٢٨١) ، و« حلية الأولياء » (٦/ ١٦٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/ ٤٦) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٢٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ١٠٨) (٨٣) .

وكان يمكثُ مَبهوتاً إذا رأى المقبرةَ اليومين والثلاثة لا يعقلُ ، ولا يتكلَّم ، ولا يأكل ، ولا يشرب .

وكان يسمعُ كلامَ الموتىٰ ، ويكلِّمُهم ويكلِّمونه بالمواعظ ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٨٧) أبو المهاصر بن عمرو القيسي رضي الله عنه[١]

واسمه : رياح .

كان يقول : (لي نيِّفٌ وأربعون ذنباً ، قد استغفرتُ الله عز وجل عن كلِّ ذنبٍ مئةَ ألف مرة ، وما ثمَّ إلا عفْوُهُ ومغفرتُهُ) .

وكان يقول : (لا تجعلْ لبطنِكَ علىٰ عقلك سبيلاً ، إنما الدنيا أيامٌ قلائل) .

وكان لا يأكل دائماً إلا سدَّ الرَّمق .

وكان يقول : (مثقالُ ذرَّةٍ من لحمٍ يُقسِّي القلبَ أربعين صباحاً) .

وكان يقول : (إزالةُ الجبال من مواضعها أهونُ من إزالة محبَّةِ الرياسة إذا استحكمتْ في النفس) .

وكان يقول : (رحمَ الله أقواماً زاروا إخوانَهم بقلوبهم في قبورهم ، وهم في محاريبهم) .

وكان يقول : (إيَّاكَ أن تقعد علىٰ حوانيت الصيارفة ؛ فإنها مواضعُ الربا)[٢] .

وكان يقول : (إذا قال الرفيقُ قصعتي فليس برفيقٍ حتىٰ يقولَ : قصعتُنا) .

وكان يقول : (لمَّا التقىٰ موسىٰ والخَضِرُ عليهما الصلاة والسلام قال لموسىٰ :

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٦/ ١٩٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/ ١٥٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢٧٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٠٩) (٨٤) ، وفي النسخ : (المهاجر) بدل (المهاصر) والمثبت من كتب الضبط : « الإكمال » (٧/ ٢٠٤) ، و« القاموس المحيط » (هـ ص ر) ، و« تبصير المنتبه » (هـ ص ر) ، و« تاج العروس » (هـ ص ر) .

(٢) **الصرَّاف** : من يبدِّلُ نقداً بنقد . انظر « المعجم الوسيط » (ص ر ف) .

تعلَّمِ العلمَ لتعملَ به ، لا لتعلِّمَه لغيرك ، فيكونَ عليك بورُهُ ، ولغيرك نوره) .

وكان يقول : (كما لا تنظرُ الأبصارُ الضعيفة إلىٰ شعاع الشمس كذلك لا تنظرُ قلوبُ محبِّي الدنيا إلىٰ نور الحكمة) .

وكان يقول : (لا يبلغ الرجلُ إلىٰ منازل الصدِّيقين حتىٰ يتركَ زوجتَه كأنها أرملةٌ ، وأولادَهُ كأنهم أيتام ، ويأوي إلىٰ مزابلِ الكلاب) .

وكان رضي الله عنه لا يزيدُ في إدامه على الخبزِ والملح ، ويقول لنفسه : أمامك في الآخرة الشواءُ والفرشُ في تلك الدار الباقية ، رضي الله عنه .

وكان يقول : (عليك بمجالسِ الذكر ، وحسنِ الظنِّ بمولاك ، وكفىٰ بهما خيراً) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٨٨) عطاء السَّليمي رضي الله عنه(١)

غلب عليه الحزنُ والخوف ، حتىٰ مكثَ أربعين سنة علىٰ فراشِهِ لا يقدرُ أن يقومَ ، ولا يخرجَ من البيت ، وكان يومئ بالصلاة علىٰ فراشه .

ورأىٰ مرَّةً التنورَ وهو يُسجر ، فغُشي عليه .

وكان رضي الله عنه يبكي الثلاثة أيام بلياليهن لا يرقأُ له دمع .

وكان إذا بكىٰ رأيتَ حوله بللاً تظنُّ أنه من أثرِ الوضوء ، وإنما هي دموعه .

وكان إذا خرجَ إلىٰ جنازةٍ يُغشىٰ عليه في الطريق مرَّاتٍ ، ويخرُّ من على الدابَّة ثم يرجع .

وكانت كلُّ بليَّةٍ نزلتْ بالناس يقول : هـٰذا كلُّه من أجل عطاء ، لو ماتَ استراح الناسُ منه ، رضي الله عنه .

---

(١) في النسخ (السلمي) ، والمثبت من مصادر ترجمته . انظر « حلية الأولياء » (٦/ ٢١٥) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ٥٧١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/ ٨٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١١٠) (٨٥) .

ومنهم :

(٨٩) عتبة بن أبان الغلام رضي الله عنه[١]

وسمِّي بالغلام ؛ لأنَّه كان في العبادةِ كأنَّه غلامُ رهان ، لا لصغر سنه[٢] .

وقال عُتبة الغلام رضي الله عنه : جاءني عبدُ الواحد بنُ زيد رضي الله عنه فقال : ما بال فلان يصفُ من قلبه منزلةً لا أعرفها من قلبي ، فقلت : لأنَّك تأكلُ مع خبزك تمراً ، فقال : فإذا تركتُ التمرَ وصلتُ إليها ؟ فقلت له : نعم ، فجعل عبدُ الواحد يبكي .

وكان عتبة يأوي المقابرَ والصحارىٰ ، ويخرجُ إلى السواحل ، فيقيم فيها ، فإذا كان يوم الجمعة دخلَ البصرةَ ، فيشهد الجمعةَ ، ثم يأتي إخوانَه فيُسلِّم عليهم .

وكان قد غلبَ عليه الحزنُ ، وكانوا يشبِّهونه في الحزن بالحسن البصري رضي الله عنه .

مات رضي الله عنه شهيداً في قتال الروم .

وكان يهجعُ بعد العشاء شيئاً يسيراً ، ثم يقوم إلى الصباحِ .

وكان يلبسُ الشعرَ تحت ثيابه إلا يوم الجمعة ، وكان يلبس كساءين أغبرين يأْتَزِرُ بواحدةٍ ، ويرتدي بالأُخرىٰ .

وكان له بيتٌ مغلوق لا يفتحه إلا ليلاً ، فلما ماتَ فتحوه ، فوجدوا فيه قبراً محفوراً ، وغلاً من حديد ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٦/ ٢٢٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧/ ٦٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٦٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١١١) (٨٦) .

(٢) وقال أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦/ ٢٢٦) : (قال رياح القيسي عن سببه تسميته : « كان نِصفاً من الرجال ، ولـٰكنَّا كنَّا نسميه الغلامَ ؛ لأنه كان في العبادة غلام رهان ») ، وفي « صفة الصفوة » (٣/ ٣٧٠) : (إنما سُمِّي بالغلام لجِدِّه واجتهاده) ، وفي « الوافي بالوفيات » (١٩/ ٢٩٠) : (لأنه تنسك وهو صغير) .

ومنهم :

(٩٠) سفيان بن سعيد الثوري رضي الله عنه[1]

وكانوا يُسمُّونه أميرَ المؤمنين في الحديث .

ولد رضي الله عنه سنة سبعٍ وتسعين ، وخرج من الكوفة إلى البصرة سنة خمسٍ وخمسين ومئة ، **وتوفي رضي الله عنه بالبصرة سنة إحدىٰ وستين ومئة** .

وكان رضي الله عنه عالمَ الأمة وعابدَها وزاهدَها .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا ينبغي للرَّجلِ أن يطلبَ العلمَ والحديثَ حتىٰ يعملَ في الأدبِ عشرين سنة) .

وكان يقول : (إذا فسدَ العلماءُ فمن يصلحهم ؟! وفسادُهم بميلهم إلى الدنيا ، وإذا جرَّ الطبيبُ الداءَ إلىٰ نفسه فكيف يُداوي غيره ؟!) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا لم يكنْ تحت الحنكِ من العمامة شيءٌ فهي عمامة إبليس) .

وكان يقول : (من تصدَّرَ للعلمَ قبل أن يُحتاجَ إليه أورثه ذلك الذلَّ) .

كان يمكثُ اليومين والثلاثة لا يأكلُ حتىٰ يضرَّ به الجوع شغلاً عنه مما هو فيه من العبادة .

وكتب إلىٰ عابدٍ من العُبَّاد[2] : (**اعلم يا أخي** : أنك في زمانٍ كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوَّذون أن يُدركوه ، ومعهم من العلمُ ما ليس معنا ، ولهم من القدَمِ ما ليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه علىٰ قلَّةِ العلم ، وقلة الصبر ، وقلة الأعوان على الخير ، وفسادٍ من الزمان وكدرٍ من الدنيا ؟! فعليك بالأمرِ الأول ،

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ٣٧١) ، و« حلية الأولياء » (٦/ ٣٥٧ ، ٧/ ١٤٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧/ ٢٢٩) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٠٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١١٢) (٨٧) .

(٢) في « الطبقات الوسطىٰ » ( ) : (وكتب إلىٰ عبَّاد بن عبَّاد) .

والتمسُّكِ به ، وعليك بالخمول ؛ فإن هـٰذا زمانُ خمولٍ ، وعليك بالعزلةِ ، وقلةِ مخالطة الناس ، فقد كان الناسُ إذا التقوا ينتفعُ بعضُهم ببعض ، فأمَّا اليومَ فقد ذهبَ ذلك ، فالنجاةُ الآن في تركهم فيما ترىٰ ، وإياك يا أخي والأمراءَ أن تدنُوَ منهم ، أو تُخالطَهم في شيءٍ من الأشياء ويقال لك : تشفعُ ، أو تدرأُ عن مظلومٍ ، أو تردُّ مظلمة ؛ فإن ذلك من خديعة إبليس ، وإنَّما اتخذَ ذلك القرَّاءُ سُلَّماً للقُربِ منهم ، واصطياداً للدنيا بذلك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو علمتُ من الناس أنَّهم يُريدون بالعلمِ وجهَ الله تعالىٰ لأتيتُ إلىٰ بيوتهم ، فعلَّمتهم ، ولـٰكنْ إنما يُريدون به مجاراةَ الناس ، وأن يقولوا : حدَّثنا سفيان) .

وكانوا إذا قالوا له : حدِّثْنا يقول : ما أراكم أهلاً للحديث ، ولا أرىٰ نفسي أهلاً لأن أُحدِّث ، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال القائل : افتضحوا فاصطلحوا .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما كُفيْتَ من المسألةِ والفتيا فلا تزاحمْ فيه) .

وكان يقول : (قد ظهرَ من الناس الآن أمورٌ يَشتهي الرجلُ أن يموتَ قبلها ، وما كنَّا نظنُّ أننا نعيشُ لها) .

وكان يقول : (ما كنتُ أظنُّ أن أعيشَ إلىٰ زمانٍ إذا ذُكرتِ الأحياءُ ماتتِ القلوب ، وإذا ذكرتِ الأمواتُ حييت القلوب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إلـٰهي ؛ البهائمُ يزجرها الراعي فتنزجرُ عن هواها ، وأُراني لا يزجرني كتابُك عما أهواه ، فيا سوأتاه !) .

وكان يقول : (قال رجلٌ لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام : أوصني ، قال : انظر خبزَكَ من أين هو) .

وقيل له : إنَّ فلاناً يدخلُ على المهديِّ ويقول : أنا في خلاصٍ من تبعاته ، فقال : كذب والله ، أَمَا رأىٰ إسرافَهُ في ملبسِهِ ومأكلِهِ ، وملبسِ خدمه وخيله ورجله ؟! هل قال له قطُّ يوماً : إنَّ هـٰذا لا يليق بك ، هـٰذا من بيتِ مال المسلمين ؟!

وكان يقول : (رضا المتجني غايةٌ لا تُدرك) .

وكان يقول : (قال لي أبو حبيب البدويُّ رضي الله عنه : يا سفيان ؛ منعُ الله لي ولك عطاءٌ ؛ فإنه لم يمنعْكَ من بخلٍ ولا عدمٍ ، وإنما هو نظرٌ واختيار) .

وكان يقول : (المالُ في زماننا هـٰذا سلاحٌ للمؤمن) .

وكان يقول : (أُحبُّ لطالبِ العلم أن يكونَ في كفايةٍ ؛ فإنَّ الآفاتِ وألسُنَ الناس تسرعُ إليه إذا احتاجَ وذَلَّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا طاعَة للوالدين في الشُّبهات) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّما يُطلب العلمُ ليُتَّقىٰ به الله تعالىٰ ، فمن ثَمَّ فُضِّلَ علىٰ غيره ، ولولا ذلك لكان كسائرِ الأشياء) .

وكان يقول : (شكوى المريضِ إلىٰ أحدٍ من إخوانه ليس من شكوى الله عز وجل) .

وكان يقول للمهديِّ في وجهه : (احذرْ من هـٰؤلاء الأعوان ، والمتردِّدين إليك من الفقراء ؛ فإن هلاكَكَ علىٰ أيديهم ، يأكلون طعامَكَ ، ويأخذون دراهمَك ، ويغشُّونك ، ويمدحونَك بما ليس فيك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**أئمةُ العدلِ خمسةٌ** : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز ، من قالَ غيرَ هـٰذا فقد اعتدىٰ) .

وقَوَّموا ثيابَ الثوري التي عليه حتى النعل فبلغ درهماً وأربعة دوانقَ .

وكان رضي الله عنه لا يجلس في صدر مجلس قطُّ ؛ إنما كان يقعُدُ بجنب حائطٍ ، ويجمع بين ركبتيه .

وكان يقول : (لا يأمرُ السلطانَ بالمعروفِ إلا رجلٌ عالمٌ بما يأمرُ وينهىٰ ، رفيقٌ بما يأمرُ وينهىٰ ، عدلٌ في ذلك) .

وقال له رجلٌ : ذهبَ الناسُ يا أبا عبد الله ، وبقينا علىٰ حمرٍ دَبِرَةٍ[1] ، فقال الثوري : ما أحسنَ حالَها لو كانتْ على الطريق .

---

(١) **حمرٌ دَبِرَةٌ** : حمر مقروحة مريضة ، أو هي آخر الدواب .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا بلغك عن قريةٍ أنَّ بها رُخصاً فارحلْ إليها ؛ فإنه أَسلمُ لقلبك ودينك ، وأقلُّ لهمِّك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تُجبْ أخاك إلىٰ طعامٍ إلا إن كنت ترىٰ أنَّ قلبك يصلحُ علىٰ طعامه) .

ونصح يوماً إنساناً ، رآه في خدمة الولاة ، فقال : فما أَصنع بعيالي ؟! فقال : ألا تسمعون لهـٰذا ؟! يقول : إنه إذا عصى اللهَ رزقَ عيالَهُ ، وإذا أطاعَهُ ضيَّعهم ، ثم قال رضي الله عنه : لا تقتدوا قطُّ بصاحب عيالٍ ؛ فإنه قلَّ صاحبُ عيالٍ أن يَسلمَ من التخليط ، وعذرُهُ دائماً في أكلِ الشبهات والحرام قولُهُ : عيالي .

وكان يقول : (لو أنَّ عبداً عبدَ الله تعالىٰ بجميع المأمورات إلا أنه يحبُّ الدنيا . . إلا نُودي عليه يومَ القيامة علىٰ رؤوسِ أهل الجمع : ألا إنَّ هـٰذا فلانُ بنُ فلان قد أحبَّ ما أبغضَ اللهُ تعالىٰ ، فيكاد لحمُ وجهه يسقطُ من الخجل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لأن أُخلِّفَ عشرةَ آلاف دينار أُحاسبُ عليها أحبُّ إليَّ من أن أحتاجَ إلى الناس ؛ فإنَّ المالَ كان فيما مضىٰ يُكره ، وأما اليوم فهو ترسٌ للمؤمن ، يَصونُهُ عن سؤال الملوك والأغنياء) .

وكان يقول : (لا بدَّ لمن يحتاجُ إلى الناس أن يبذلَ لهم دينَهُ فيما يحتاج ، فليُمسك علىٰ ما بيده من المال) .

وكان يقول : (لا تصحبْ في السفر من يتكرَّمُ عليك ؛ فإنَّك إن ساويته في النفقة أضرَّ بك ، وإن تفضَّل عليك استعبدك) .

وكان يقول : (الحلالُ في زماننا هـٰذا لا يحتملُ السَّرفَ) .

وكان يقول : خرجتُ مرَّةً في الليل ، فنظرتُ إلى السماء ، ففقدتُ قلبي ، فذكرت ذلك لأُمِّي ، فقالت : إنك لم تنظرْ إليها نظرَ اعتبار ، وإنَّما نظرتَ إليها نظرَ تلهي .

وكان يردُّ ما يُعطىٰ له ويقول : (لو أني أعلمُ منهم أنهم لا يفتخرون عليَّ بعطائهم لأخذته منهم ؛ وكذلك كان يجوعُ ولا يقترضُ ، ويقول : إنهم لا يكتمون ذلك ؛ بل يروحُ أحدُهم ويقول : جاءني سفيان الثوري البارحةَ واقترضَ مني) .

وكان يقول : (الأذانُ بخراسان أفضلُ من المجاورة بمكة) .

وكان يقول : (الزهدُ في الدنيا : هو قِصَرُ الأمل ، ليس بأكل الخشن ، ولا بلبس الغليظ والعباء) .

وكان يقول : (ازهدْ في الدنيا ، ونمْ لا لك ولا عليك) .

وكان يقول : (إذا رأيتم العالم يلوذُ بباب السلطان فاعلموا أنَّه لصٌّ ، وإذا رأيتموه يلوذُ بباب الأغنياء فاعلموا أنه مُراءٍ) .

وكان يقول : (إنَّ الرجلَ ليكون عنده المالُ وهو زاهدٌ في الدنيا ، وإنَّ الرجل ليكون فقيراً ، وهو راغبٌ فيها) .

وكان يقول : (إني أحبُّ أن أكونَ في مكانٍ لا أُعرفَ فيه) .

وكانوا إذا ذكروا عنده الموتَ يمكثُ أياماً لا يَنتفعُ به أحدٌ .

وكان يقول : (إذا عرفتَ نفسَك لا يضرُّكَ ما قيل فيك) .

وكان يقول : (أصلُ كلِّ عداوةٍ اصطناعُ المعروف إلى اللئام) .

وكان يقول : (إذا رأيتَ أخاك حريصاً علىٰ أن يؤمَّ فأخِّره) .

وكان يقول : (لأن أشتري من فتىً يتغنَّىٰ أحبُّ إليَّ من أن اشتري من قارئ ؛ لأن القارئ يتأوَّلُ عليك في دراهمِكَ ، والمغنِّي يُعطيك دراهمَك كاملةً ؛ مروءةً ، أو ديانةً) .

وكان يقول : (ما خالفتُ قارئاً إلا خفتُ منه أن يَشيطَ بدمي ، وإذا كان لك إلىٰ قارئ حاجةٌ . . فلا تضربْ له مثلاً بقارئ مثلِهِ ؛ يقفُ عن قضاء حاجتك) .

وسئل عن الغوغاء ، فقال : الذين يطلبونَ بعلمهم الدنيا .

وكان يقول : (أوَّلُ العلم طلبُهُ ، ثم العملُ به ، ثم الصمتُ ، ثم نشرُهُ ، ولو أنَّ أهلَ العلم أخلصوا فيه ما كان من عملٍ أفضلَ منه) .

وكان يأخذُ بيده دنانير ويقول : (لولا هـٰذه لتمندلوا بنا) .

وكان يقول : (كثرةُ الأخلاَّء من رقَّة الدين) .

وكان يقول : (ما أدري لو أَصابني بلاءٌ لعلي كنتُ أكفر) .

وكان يقول : (عجبتُ لكون النساءِ أكثرَ أهل النار ، مع أنَّ أعمالَ الرجال أقبحُ من أعمالهن) .

وكان قد جعلَ علىٰ نفسه ثلاثةَ أشياء : ألا يخدمَه أحدٌ ، ولا يُطوىٰ له ثوب ، ولا يضع لبنةً علىٰ لبنة .

وكان رضي الله عنه يقول : (هـٰذا زمانٌ عليك فيه بخويصَّةِ نفسك ، ودعِ العامة) .

وكان يقول : (من رأىٰ نفسَه علىٰ أخيه بالعلم والعمل حبطَ أجرُ علمه وعمله ، ولعلَّ أخاه يكون أورعَ منه علىٰ حُرم الله عز وجل) .

وكان إذا أخذ في التفكرِ صار كأنه مجنونٌ لا يعي كلامَ أحدٍ .

وبعث أبو جعفر أميرُ المؤمنين الخشَّابين قدَّامه حين خرج إلىٰ مكة ، وقال : إذا رأيتم سفيانَ الثوري فاصلبوه[١] ، فوصلوا مكَّة ، ونصبوا الخشبَ ، وجاؤوا إليه ، فوجدوه نائماً رأسُه في حِجر الفُضيل بن عياض ، ورجلاه في حِجر سفيان بن عُيينة ، فقالوا : يا أبا عبد الله ؛ اتَّقِ الله ، ولا تُشمتْ بنا الأعداء ، فتقدَّمَ إلىٰ أستار الكعبة ، فأخذَها ، وقال : برئتُ منه إنْ دخلها أبو جعفر ، فمات قبل أن يدخلَ مكة[٢] .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ الملَكَيْنِ ليجدانِ ريحَ الحسنات والسيئات إذا عقد القلبُ علىٰ ذلك ، فكما لا يُؤذونك لا تؤذهم) .

وسُئل عن رجلٍ يكتسب لعياله ، ولو صلَّىٰ في الجماعةِ لفاته القيامُ عليهم : ماذا يصنع ؟ قال : يكتسبُ لهم قوتَهم ، ويُصلِّي وحده .

وكان يقول : (كثرةُ النساءِ ليستْ من الدنيا ؛ لأنَّ علياً رضي الله عنه كان من أزهدِ الصحابة ، وكان له أربعُ نسوة ، وتسعَ عشرةَ سرية) .

---

(١) وكان المنصور دعا سفيان للقضاء ، فهرب منه . انظر الخبر (١/ ٢٤٠) .

(٢) قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٧/ ٢٥١) : (هـٰذه كرامةٌ ثابتة ، سمعها الحاكم من أبي بكر ، محمد بن جعفر المزكِّي ، سمعت السراج ، عنه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (هـٰذا زمانٌ لا يأمنُ فيه الخاملُ علىٰ نفسه ، فكيف المشهور فيه ؟!) .

وكان يقول : (إذا سمعتم ببدعةٍ فلا تَحكوها لأصحابكم ، ولا تُلقوها في قلوبهم .

وكان يقول : (قد قلَّ أهلُ السُّنة والجماعة في زماننا هـٰذا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إني لأعرفُ محبَّةَ الرجلِ للدنيا بميله إلى أهلِ الدنيا ، وإرساله السلام لهم) .

وكان يقول : (إذا رأيتم شرطيّاً نائماً عن صلاة فلا توقظوه لها ؛ فإنه يقوم يُؤذي الناس ، ونومُهُ أحسن) .

وقيل له : ألا تدخلُ على الولاة فتتحفظ ، وتعظهم وتنهاهم[1] ؟! فقال : أتأمروني أن أَسبحَ في بحرٍ ولا تبتلَّ قدماي ؛ إني أخافُ أن يترحَّبوا بي[2] ، فأميل إليهم ، فيُحبط عملي .

وشكا له رجلٌ مصيبةً ، فقال : قم عني ، ما وجدتَ أحداً أهونَ في عينيك مني حتىٰ تشكوَ الله تعالىٰ عندي .

وكان رضي الله عنه يقول : (**العلماءُ ثلاثةٌ** : عالمٌ بالله وبأمر الله ؛ فعلامتُه : أن يخشى اللهَ ويقفَ عند حدود الله ، وعالمٌ بالله دون أوامر الله ؛ فعلامتُه : أن يخشى اللهَ ولا يقفَ عند حدوده ، وعالمٌ بأوامر الله دون الله ؛ فعلامته ألا يقفَ عند حدود الله ولا يخشى الله ، وهو ممن تُسعَّرُ بهم النارُ يوم القيامة) .

وكان يقول : (إذا أَرضيتَ ربَّك أسخطتَ الناسَ ، وإذا أسخطتهم فتهيَّأْ للسِّهام ، والتهيُّؤُ للسِّهام أحبُّ من أن يذهبَ دينُ الرجل) .

وكان يقول : (إذا رأيتم قارئَ القرآن يُحبُّه جيرانه فاعلموا أنَّه مُداهنٌ) .

ومناقبه رضي الله عنه كثيرة ، والله أعلم .

---

(١) في (ط) : (فتتحفظ وتعظهم وتنهاهم وتأمرهم) .

(٢) في (ب ، ز) : (يترجَّوا بي) .

ومنهم :

(٩١) إمامنا أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه[١]

ابنُ عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلتقي معه في عبد مناف .

ولد رضي الله عنه بغزَّة ، ثم حُمل إلىٰ مكة وهو ابن سنتين ، وعاش أربعاً وخمسين سنة ، وأقام بمصر أربعَ سنين ، **ثم تُوفي بمصرَ ليلة الجمعة بعد المغرب سنة أربعٍ ومئتين .**

نشأ رضي الله عنه يتيماً في حِجر أُمِّه في قلَّةِ عيشٍ ، وضيقِ حالٍ .

وكان رضي الله عنه في صباه يُجالس العلماء ، ويكتبُ ما يستفيدُهُ في العِظام ونحوِها ؛ لعجزِهِ عن الورق ، حتىٰ ملأ منها حِباباً[٢] .

وتفقَّه في مكَة علىٰ مسلم بن خالد الزَّنْجي ، ونزل في شعب الخيف منها .

ثم قدمَ المدينةَ ، فلزم الإمامَ مالكاً رضي الله عنه ، وقرأ عليه « الموطأ » حفظاً ، فأعجبتْهُ قراءتُهُ ، وقال له : اتَّقِ الله ؛ فإنه سيكونُ لك شأنٌ ، وكان سنُّ الشافعي رضي الله عنه حين أتىٰ مالكاً ثلاثَ عشرة سنة .

ثم رحلَ إلى اليمن حين تولَّىٰ عمُّه القضاء بها ، واشتهر بها .

ثم رحل إلى العراق ، وجدَّ في الاشتغال بالعلم ، وناظر محمد بنَ الحسن وغيرَهُ ، ونشر علم الحديث ، وأقام مذهبَ أهله ، ونصر السنة ، واستخرجَ الأحكام منها ، ورجع كثيرٌ من العلماء عن مذاهبَ كانوا عليها إلىٰ مذهبه .

ثم خرج إلىٰ مصر آخر سنة تسعٍ وتسعين ومئة ، وصنَّفَ بها كتبَهُ الجديدة بها ، ورحل الناسُ إليه من سائر الأقطار .

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٩/ ٦٣) ، و« تاريخ دمشق » (٥١/ ٢٦٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٠/ ٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٧٠٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٣٩) (٩٦) .

(٢) **الحُبُّ** : الجرَّة .

قال الربيع بنُ سُليمان : (رأيت علىٰ بابِ دار الإمام الشافعي رضي الله عنه سبع مئة راحلة تطلبُ سماعَ كتبه) ، رضي الله عنه .

وكان يقول مع ذلك : (إذا صحَّ الحديثُ فهو مذهبي) .

وكان رضي الله عنه يقول : (وددتُ أنَّ الخلقَ تعلَّموا هـٰذا العلمَ علىٰ ألا يُنسبَ إليَّ منه حرفٌ) .

قال شيخُنا شيخُ الإسلام ؛ أبو يحيىٰ زكريا الأنصاري : (وقد أجابَه الحقُّ إلىٰ ذلك ، فلا يُكادُ يُسمعُ في مذهبه إلا مقالاتُ أصحابه : قال الرافعي ، قال النووي ، وقال الزركشي ، ونحو ذلك) .

وكان يقول : (وددتُ أني إذا ناظرتُ أحداً أن يُظهرَ اللهُ تعالى الحقَّ علىٰ يديه) .

وكان يقول : (طلبُ العلم أفضلُ من صلاة النافلة) .

وكان يقول : (من أراد الآخرةَ فعليه بالإخلاص في العلم) .

وكان يقول : (أظلمُ الظالمين لنفسه مَنْ تَواضع لمن لا يُكرمُهُ ، ورغبَ في مودَّةِ من لا ينفعه ، وقبلَ مدحَ من لا يعرفه) .

وكان يقول : (لا شيءَ أزينُ بالعلماء من الفقرِ والقناعة ، والرضا بهما) .

وكان يقول : (صحبت الصوفيةَ عشر سنين ما استفدتُ منهم إلا هـٰذين الحرفين : الوقت سيف ، وأفضل العصمة ألا تجد) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يُقضىٰ له بالحُسنىٰ فليحسنْ بالناس الظنَّ) .

وكان يقول : (أبينُ ما في الإنسان ضعفُهُ ، فمن شهدَ الضعفَ من نفسه نالَ الاستقامة مع الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (من طلبَ العلمَ بعزِّ النفس لم يُفلح ، ومن طلبَهُ بذلِّ النفسِ وخدمةِ العلماء أفلح) .

وكان رضي الله عنه يقول : (تفقَّهْ قبل أن ترأسَ ، فإذا ترأستَ فلا سبيل إلى التفقه) .

وكان يقول : (دقِّقوا مسائلَ العلم ؛ لئلا تضيع دقائقُهُ) .

وكان يقول : (جمالُ العلماء كرمُ النفس ، وزينةُ العلم الورعُ والحلم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا عيبَ بالعلماء أقبحُ من رغبتهم فيما زهَّدهم اللهُ فيه) .

وكان يقول : (ليس العلمُ ما حُفظ ، إنما العلمُ ما نفع) .

وكان يقول : (فقرُ العلماء اختيارٌ ، وفقرُ الجهلاء اضطرار) .

وكان يقول : (المِراءُ في العلم يُقسِّي القلبَ ، ويورثُ الضغائن) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الناسُ في غفلةٍ عن هـٰذه السورة ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر : ١ـ٢] .

وكان قد جزَّأ الليلَ ثلاثَةَ أجزاء : الثلثَ الأول يكتبُ ، والثاني يُصلِّي ، والثالث ينام .

وفي روايةٍ : ما كان ينامُ من الليل إلا يسيراً ، وكان يختمُ في كلِّ يومٍ ختمة .

وكان يقول : (ما كذبتُ قطُّ ، ولا حلفتُ بالله لا صادقاً ولا كاذباً ، وما تركتُ غُسل الجمعةِ قطُّ ؛ لا في بردٍ ، ولا في سفرٍ ، ولا غيره ، وما شبعتُ منذ ستَّ عشرةَ سنةً ، إلا شبعةً طرحتُها من ساعتي) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لم تُعزَّهُ التقوىٰ فلا عزَّ له) .

وكان يقول : (ما فزعتُ من الفقر قطُّ) .

وكان يقول : (طلبُ فضولِ الدنيا عقوبةٌ عاقبَ الله بها أهلَ التوحيد) .

وكان رضي الله عنه يمشي على العصا ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأذكرَ أني مسافرٌ من الدنيا .

وكان يقول : (مَنْ شهدَ الضعفَ من نفسه نالَ الاستقامة) .

وكان يقول : (مَنْ غلبتْهُ شدَّةُ الشهوة للدنيا لزمتْهُ العبوديةُ لأهلها ، ومن رضي بالقنوعِ زالَ عنه الخضوع) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يفتحَ اللهُ تعالىٰ عليه بنور القلب فعليه بالخلوة ، وقلَّةِ

الأكل ، وتركِ مُخالطة السُّفهاء ، وبغضِ أهل العلم الذين لا يُريدون بعلمهم إلا الدنيا) .

وكان يقول : (لا بدَّ للعالم من وردٍ من أعماله يكون بينه وبين الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (لو اجتهدَ أحدُكم كلَّ الجهدِ علىٰ أن يَرضى الناسُ كلُّهم عنه . . فلا سبيل له ، فليخلصِ العبدُ عملَه بينه وبين الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (لا يعرفُ الرِّياءَ إلا المخلصون) .

وكان يقول : (لو أوصىٰ رجلٌ لأعقلِ الناسِ صُرف إلى الزُّهَّاد) .

وكان يقول : (سياسةُ الناس أشدُّ من سياسة الدواب) .

وكان يقول : (العاقلُ مَنْ عَقَلَهُ عقلُهُ عن كلِّ مذموم) .

وكان يقول : (لو علمتُ أنَّ الماء الباردَ يُنْقِصُ مُروءتي ما شربته) .

وكان يقول : (أصحابُ المروءات في جهدٍ) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يختمَ اللهُ له بخيرٍ فليحسنِ الظنَّ بالناس) .

وكان يقول : (مكثتُ أربعين سنةً أسألُ إخواني الذين تزوَّجوا عن أحوالهم في تزوُّجهم . . فما منهم أحدٌ قال : رأيتُ خيراً قطُّ) .

وكان يقول : (ليس بأخيك من احتجتَ إلىٰ مُداراته) .

وكان يقول : (من علامةِ الصادق في أُخوَّة أخيه أن يَقبلَ عللَهُ ، ويسدَّ خللَهُ ، ويغفر زللَـهُ) .

وكان يقول : (من علامةِ الصَّديقِ أن يكونَ لصديقِ صديقه صديقاً) .

وكان يقول : (ليس سرورٌ يعدلُ صحبةَ الإخوان ، ولا غمٌّ يعدلُ فراقهم) .

وكان يقول : (لا تشاورْ مَنْ ليس في بيته دقيقٌ) .

وكان يقول : (لا تقصِّرْ في حقِّ أخيك اعتماداً علىٰ مُروءته ، ولا تبذلْ وجهَكَ إلىٰ من يهونُ عليه ردُّك) .

وكان يقول : (من برَّك فقد أَوثقك ، ومن جفاك فقد أَطلقَكَ) .

وكان يقول : (من نمَّ لك نمَّ عليك ، ومَنْ إذا أرضيتَه قال فيك ما ليسَ فيك . . فكذلك إذا أغضبته قال فيك ما ليسَ فيك) .

وكان يقول : (من وعظَ أخاه سرّاً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانيةً فقد فضحَهُ وشانه) .

وكان يقول : (من سامَ بنفسه فوقَ ما يساوي ردَّه اللهُ تعالىٰ إلىٰ قيمته) .

وكان يقول : (من تزيَّنَ بباطلٍ هُتك سترُهُ) .

وكان يقول : (التكبُّر من أخلاق اللئام) .

وكان يقول : (القناعةُ تُورث الراحة) .

وكان يقول : (أرفعُ الناسِ قدراً مَنْ لا يرىٰ قدرَهُ ، وأكثرُهُم فضلاً من لا يرىٰ فضلَهُ) .

وكان يقول : (من كتم سرَّه كانت الخِيَرَةُ في يده) .

وكان يقول : (ما ضُحك من خطأ رجلٍ إلا ثبت صوابُهُ في قلبه) .

وكان يقول : (الإكثارُ في الدنيا إعسارٌ ، والإعسار فيها إيسار) .

وكان يقول : (الانبساطُ إلى الناس مجلبةٌ لقُرناء السُّوء ، والانقباضُ عنهم مكسبةٌ للعداوة ، فكنْ بين المنقبض والمنبسط) .

وكان يقول : (ما أكرمتُ أحداً فوقَ قدرِهِ إلا نقصَ من مقداري بقدرِ ما زدتُ في إكرامه) .

وكان يقول : (لا وفاءَ لعبدٍ ، ولا شكرَ للئيم) .

وكان يقول : (صحبةُ مَنْ لا يخافُ العارَ عارٌ يوم القيامة ، ومن عاشرَ اللئام نُسب إلى اللؤم) .

وكان يقول : (من يسمعُ بأذنه صارَ حاكياً ، ومن أصغىٰ بقلبه صار واعياً ، ومن وعظَ بفعلِهِ كان هادياً) .

وكان يقول : (مِنَ الذُّلِّ حضورُ مجلسِ العلم بلا نسخةٍ ، وعبورُ الماء بلا فوطة ، وعبورُ الحمام بلا قصعة ، وتذلُّلُ الرجل للمرأة لينال من مالها شيئاً) .

وكان يقول : (مُداراةُ الأحمقِ غايةٌ لا تُدرك) .

وكان يقول : (من ولي القضاءَ ولم يفتقرْ فهو لصٌّ) .

وكان يقول : (ينبغي للفقيه أن يكونَ معه سفيهٌ يُسافِهَ عنه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من خَدَمَ خُدم) .

وكان رضي الله عنه من أكرمِ الناسِ ، قدم من اليمن بعشرةِ آلاف دينار ، فضربَ خباءَهُ خارجَ مكة ، فكان الناسُ يأتونه ، فما برحَ حتىٰ فرَّقها كلَّها ، وما سأله أحدٌ شيئاً إلا احمارَّ وجهُهُ حياءً من السائل .

وكان رضي الله عنه يخضبُ لحيته بالحِنَّاء حمراءَ قانيةً ، وتارةً يُصفِّرُها اتِّباعاً للسُّنَّةِ .

وكان كثيرَ الأسقام ؛ منها البواسير ، كانت دائماً تنضحُ الدَّمَ ، ولا يجلس للحديثِ إلا والطَّشْتُ تحته ، يقطرُ الدمُ فيه .

قال يونس بنُ عبد الأعلىٰ : (ما رأيتُ أحداً لقي من السُّقْمِ ما لقي الشافعيُّ رضي الله عنه) .

وكان مُقتصداً في لباسه .

وكان نقشُ خاتمِهِ : كفىٰ بالله ثقةً لمحمد بن إدريس .

وكان ذا هيبة ، وكان أصحابُهُ لا يتجرَّؤون أن يشربوا الماءَ وهو ينظرُ إليهم هيبةً له .

وكان يتَّشحُ بالرداء ، ويتَّكِئُ على الوسادة ، وتحته مضرَّبتان[١] .

وكان يقول : (أُحبُّ لكلِّ مسلمٍ أن يُكثر من الصلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم : « ليسَ منَّا مَنْ لمْ يَتغنَّ بالقرآنِ »[٢] قال : يتحزَّنُ به ، يترنَّمُ به .

---

(١) **المضربةُ** : كساء أو غطاء كاللحاف ، ذو طاقين مخيطين خياطة كثيرة ، بينهما قطن ونحوه . انظر « المعجم الوسيط » (ض ر ب) .

(٢) رواه البخاري (٧٥٢٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وكان يقول : (كلما رأيتُ رجلاً من أصحاب الحديث.. كأنِّي رأيتُ رجلاً من أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وكان يقول : (لو رأيتُ صاحبَ بدعةٍ يمشي على الهواء ما قبلتُهُ) .

وكان يقول : (من لم يَصُنْ نفسَه لم ينفعْه علمُه) .

وكان إذا اشترىٰ جاريةً يشترط عليها ألا يقربَها ؛ لأنه كان عليلاً على الدوام .

وكان يقول : (الكرمُ والسَّخاء يغطِّيان عيوبَ الدنيا والآخرة بعد ألا يلحقَهما بدعةٌ) .

وكان يقول : (من استُغضبَ فلم يغضبْ فهو حمار ، ومن استُرضي فلم يرضَ فهو شيطان) .

وكان يقول : (احذروا الأعورَ ، والأحولَ ، والأعرجَ ، والأحدبَ ، والأشقرَ ، والكَوسجَ[١] وكلَّ مَنْ به عاهةٌ في بدنه ؛ فإنَّ فيه التواءً ، ومعاشرتُهُ عسرةٌ) .

وكان يقول : (من طلبَ الرياسةَ فرَّتْ منه) .

وكان يقول : (ليس من المروءةِ أن يُخبرَ الرجلُ بسِنِّهِ ؛ لأنه إنْ كان صغيراً استحقروه ، وإن كانَ كبيراً استهرموه) .

وكان يقول : (لينوا لمن يَجفو ، فقلَّ من يصفو) .

وكان يقول : (من نظَّفَ ثوبَهُ قلَّ همُّهُ ، ومن طابَ ريحُهُ زادَ عقله) .

وكان يقول : (ما نصحتُ أحداً فقبلَ منِّي إلا هبتُهُ واعتقدتُ مودَّتَهُ ، ولا ردَّ أحدٌ عليَّ النُّصحَ إلا سقطَ من عيني ورفضته) .

وقال الرَّبيعُ : (دخلتُ على الشافعيِّ ليلةَ مات ، فقلتُ له : كيفَ أصبحتَ ؟ قال : أصبحتُ من الدنيا راحلاً ، ولإخواني مُفارقاً ، ولكأسِ المنية شارباً ، ولسوءِ أعمالي مُلاقياً ، وعلى الكريمِ وارداً) ، ثم بكىٰ .

ومناقبُهُ رضي الله عنه كثيرة مشهورة ، رضي الله عنه ، والله تعالىٰ أعلم .

---

(١) **الكوسجُ** : الذي لا شعر علىٰ عارضيه .

ومنهم :

(٩٢) الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه رجلاً طويلاً ، عظيمَ الهامة ، أصلعَ ، أبيضَ الرأس واللحية ، شديدَ البياض ، وكان لباسُهُ الثيابَ العدنية الجياد .

وكان إذا أراد أن يجلسَ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتسلَ ، وتبخَّر ، وتطيَّبَ ، ومنعَ الناسَ أن يَرفعوا أصواتهم .

وكان إذا دخل بيتَهُ يكون شغلُه المصحفَ وتلاوته .

وكانت السَّلاطينُ تهابه .

وكان يكرهُ حلقَ الشارب ويعيبُهُ ، ويراه من المَثُلَةِ .

وكان يقول : (بلغني أنَّ العلماءَ يُسألون يومَ القيامة عمَّا يُسألُ عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) .

وكان يقول : (مَثَلُ المنافقين في المسجدِ كمثل العصافير في القفص ، إذا فُتح بابُ القفص طارتِ العصافير) .

ومكثَ رضي الله عنه خمساً وعشرين سنةً لم يشهدِ الجماعة ، فقيل له : ما يمنعُكَ من الخروج ؟! فقال : مخافةَ أن أرىٰ مُنكراً فأحتاج أن أُغيِّرَهُ .

قلت : (وإنَّما سُومح في ذلك ؛ لأنَّه مجتهدٌ ، فلو فعل ذلك غيرُهُ لا يُقَرُّ علىٰ ذلك ، والله تعالىٰ أعلم) .

وكان يقول : (إذا مَدحَ الرجلُ نفسَه ذهب بهاؤه) .

وكان رضي الله عنه إذا قال في المسألةِ : لا أو نعم ، لا يُقال له : من أين قلت هٰذا ؟!

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (القسم المتمم) : (ص٤٣٣) ، و« حلية الأولياء » (٦/٣١٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/٤٨) ، و« طبقات المناوي » (١/٤٢٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/١٣٧) (٩٥) .

وأخذ رضي الله عنه العلمَ عن تسع مئة شيخٍ ؛ منهم ثلاث مئة من التابعين .

وكان يقول : (ليس العلمُ بكثرة الرواية ، إنما هو نورٌ يضعه اللهُ تعالىٰ في القلب) .

وقيل له : ما تقولُ في طلب العلم ؟ فقال : حسنٌ جميل ، ولـٰكنِ انظرْ ما يلزمُكَ من حين تصبحُ إلىٰ أن تُمسي فالزمْهُ .

ولمَّا ضربه جعفر بنُ سليمان في طلاقِ المُكره ، وحملَهُ علىٰ بعيرٍ . . قال له : نادِ علىٰ نفسِك ، فقال رضي الله عنه : أَلا من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يَعرفني فأنا مالك بنُ أنس ، أقولُ : طلاقُ المُكره ليس بشيءٍ ، فبلغ ذلك جعفراً ، فقال : أدركوه وأنزلوه .

وكان يقول : (حقٌّ علىٰ من طلبَ العلمَ أن يكونَ له وقارٌ وسكينة وخشية) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا ينبغي للعالمِ أن يتكلَّمَ بالعلم عند من لا يُطيعه ؛ فإنه ذلٌّ وإهانةٌ للعلم) .

وكان يمشي في أزقَّةِ المدينة حافياً ماشياً ، ويقول : أنا أستحي من الله تعالىٰ أن أطأَ تربَةً فيها قبرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافرِ دابة .

وقال مالك رضي الله عنه لمُطرِّف : ماذا يقولُ الناس فيَّ ؟ فقال : أمَّا الصديقُ فيثني ، وأمَّا العدوُ فيقع ، فقال : ما زال الناسُ هـٰكذا ؛ لهم عدوٌّ وصديق ، ولـٰكن نعوذُ بالله من تتابع الألسنةِ كلِّها .

وسُئِل رضي الله عنه عن معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] فعرقَ ، وأطرقَ ، وصار ينكتُ بعودٍ في يده ، ثم رفع رأسَه وقال : (الكيفُ منه غيرُ معقول ، والاستواءُ منه غيرُ مجهول ، والإيمانُ به واجبٌ ، والسؤالُ عنه بدعةٌ ، وأظنُّك صاحبَ بدعةٍ ، وأمر به فأُخرج) .

ولد سنة ثلاثٍ وتسعين ، وتوفي سنة تسعٍ وسبعين ومئة ، ودفن بالبقيع ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٩٣) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه[١]

ولد سنة ثمانين من الهجرة ، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومئة ، وهو ابن سبعين سنة .

وكان في زمنه أربعةٌ من الصحابة : أنس بنُ مالك ، وعبد الله بنُ أبي أوفىٰ ، وسهلُ بن سعد ، وأبو الطُّفيل ، وهو آخرُهم موتاً ، ولم يأخذْ عن واحدٍ منهم .

وأُكره رضي الله عنه علىٰ تولية القضاء ، وضُربَ علىٰ رأسِهِ ضرباً شديداً أيام مروان[٢] ، فلم يَلِ ، ولما أُطلق قال : كان غَمُّ والدتي أشدَّ عليَّ من الضرب .

وكان أحمد بنُ حنبل رضي الله عنه إذا ذكرَ ذلك بكىٰ ، وترحَّمَ عليه .

ثم أكرهه أبو جعفر بعد ذلك ، وأشخصَهُ من الكوفة إلىٰ بغداد ، فأبىٰ ، وقال : لا أكون قاضياً ، فحبسه ، **وتُوفي في السجن رضي الله عنه**[٣] .

وأخرجه المنصورُ مرَّاتٍ من الحبس وتوعَّده ، وهو يقول : يا منصور ؛ اتَّقِ الله ، ولا تولِّ إلا من يخافُ الله تعالىٰ ، واللهِ ؛ ما أنا مأمونٌ في الرِّضا ، فكيف أكون مأموناً في الغضب ؟!

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ٦٣٨ ، ٧/ ٣٢٢) ، و« تاريخ بغداد » (١٣/ ٣٢٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/ ٣٩٠) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٦٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٣٣) (٩٤) .

(٢) ضَربَ يزيدُ بن عمر بن هُبيرة (٨٧ ـ ١٣٢هـ) عاملُ مروان بن محمد ، آخرُ خليفة أموي . . أبا حنيفة مئةَ سوط لِيليَ القضاء ، فأبىٰ .

(٣) قال ابن حجر الهيتمي في « الخيرات الحسان » (ص ٦٨) : (قيل : الامتناع عن القضاء لا يوجب للمنصور أن يقتله هـٰذه القتلة الشنيعة ، وإنما السبب في ذلك : أن بعض أعداء أبي حنيفة دَسَّ إلى المنصور : أن أبا حنيفة هو الذي أثار عليه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم الخارجَ عليه بالبصرة ، وقوَّاه بمال كثير ، فخاف خوفاً شديداً ، ولم يقرَّ له قرار ، فخشي المنصور من ميله إلىٰ إبراهيم ؛ لأن أبا حنيفة كان وجيهاً ، ذا مال واسع من التجارة ، فطلبه لبغداد ، ولم يجسر علىٰ قتله بغير سبب ، فطلب منه القضاء مع علمه أنه لا يقبله ؛ ليتوصل بذلك إلىٰ قتله) .

ويقال : إنه تولَّى القضاءَ يومين أو ثلاثة ، ثم مرضَ ستَّةَ أيامٍ ، ثم مات .

وقال ابنُ الجوزي : (دعا المنصورُ أبا حنيفة والثوريَّ ومسعراً وشريكاً ليولِّيهم القضاء ، فقال أبو حنيفة : أخمِّنُ فيكم تخميناً ، أمَّا أنا فأَحتالُ وأتخلَّصُ ، وأما مسعر فيتحامقُ ويتخلَّص ، وأما سُفيان فيهرب ، وأما شريك فيقعُ) ، وكان الأمرُ كما قال .

وكان مِنْ تحامقِ مسعر : أنْ قالَ للمنصور لمَّا دخلَ عليه : كيف حالُك ؟ وكيف عيالُك ؟ وكيف حميرك ؟ وكيف دوابُّك ؟ فقال : أخرجوه ؛ فإنه مجنون .

ولما بلغَ سفيانَ عن شريك أنه تولَّىٰ هجرَهُ ، وقال له : قد أمكنَك الهربُ ، فلم تهرب .

وكان أبو حنيفة رضي الله عنه حسنَ الوجه ، حسنَ الثياب ، طيِّبَ الريح ، كثيرَ الكرم ، حسنَ المواساة لإخوانه ، كان يُعرفُ بريح الطيب إذا أقبلَ ، وإذا خرجَ من داره .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما صلَّيتُ قطُّ إلا ودعوتُ لشيخي حمَّادٍ ، ولكلِّ من تعلَّمتُ منه علماً أو علَّمته) .

وكان الشافعيُّ رضي الله عنه يقول : (الناسُ عيالٌ علىٰ أبي حنيفة رضي الله عنه في الفقه) .

وكان لا ينامُ الليلَ ، وسمَّوه الوتدَ ؛ لكثرة صلاته .

وصلَّى الصبحَ بوضوء العشاء أربعين سنة .

وكان رضي الله عنه لا يجلسُ في ظلِّ جدار غريمه ، ويقول : « كلُّ قرضٍ جرَّ نفعاً فهوَ رباً »[1] .

وكان عامةَ الليل يقرأُ القرآن كلَّه في ركعةٍ .

وكان يُسمَعُ بكاؤه حتىٰ يرحَمَهُ جيرانُه .

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » كما في « بغية الباحث » (٤٣٧) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

وختم القرآنَ في الموضع الذي ماتَ فيه سبعةَ آلافِ مرة .

وقال عبد الله بن المبارك عن أبي حنيفة رضي الله عنه : (إنه صلَّى الصلواتِ الخمسَ أربعين سنة بوضوءٍ واحد) .

وكان نومُهُ دائماً ساعةً بين الظهر والعصر ، وفي الشتاء ساعةً أول الليل[1] .

وكان يقول : (إذا ارتشى القاضي فهو معزولٌ ، وإن لم يعزلْه الإمام) .

وسئل رضي الله عنه : أيُّما أفضلُ علقمة[2] أو الأسود ؟ فقال : واللهِ ؛ ما نحن بأهلٍ أن نذكرَهُم ، فكيف نفاضِلُ بينهم ؟!

وكان يقول : (سمعتُ عطاءً يقول : ما من مَلَكٍ مقرَّبٍ ، ولا نبيٍّ مُرسلٍ إلا ولله الحجةُ عليه ، إن شاءَ عذَّبه ، وإن شاء غَفَرَ له) .

وكان يقول : (إنما سُمِّي المُرجئةُ بذلك ؛ لأنهم سُئلوا عن حال العصاة : أين منزلهم في الآخرة ؟ فقالوا : أمرُهم إلى الله تعالىٰ ، فسُمُّوا مُرجئةً ؛ لإرجائهم أمرَ العصاة إلى الله تعالىٰ ؛ فإن الكفار في النارِ ، والمؤمنين في الجنة) .

وكان له جارٌ يهوديٌّ ، وكانت قصبة خلائه تنضحُ علىٰ بيت أبي حنيفة ، فمكثَ عشرَ سنين وهو يكنسُ كلَّ يومٍ ما نزلَ في داره منها ، ويذهبُ به إلى الكوم ، ولم يُعلمِ اليهوديَّ قطُّ ، فبلغ ذلك اليهوديَّ ، فبكىٰ ، ثم جاء وأسلمَ .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو أنَّ عبداً عبدَ الله تعالىٰ حتىٰ صارَ مثلَ هٰذه السارية ، ثم إنه لا يدري ما يدخلُ بطنَهُ ؛ حلالٌ أو حرامٌ ؟ ما تُقُبِّلَ منه) .

وكان يقول : (جالستُ الناسَ منذ خمسين سنة فما وجدتُ رجلاً غفرَ لي ذنباً ، ولا وصلني حين قطعتُهُ ، ولا سترَ عليَّ عورةً ، ولا ائتمنتُهُ علىٰ نفسي إذا غضبَ ، فالاشتغالُ بهٰؤلاء حمقٌ كبير) .

---

(١) في (ج ، ح) : (ساعة من الليل) .

(٢) هو علقمة بن قيس بن عبد الله ، فقيه الكوفة ومقرئُها ، إمام حافظ مجود مجتهد ، مات سنة (٦١هـ) ، وهو عمُّ الأسود بن يزيد بن قيس ، أبو عمرو النخعي الكوفي ، محدث فقيه إمام ، توفي سنة (٧٥) للهجرة . انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٥٠ ، ٥٤) .

وكان يقول : (لو لم تُبغَضِ الدنيا إلا لأن الله تعالىٰ يُعصىٰ فيها لكانت تُبغَضُ) .

وكان يقول : (الملحُ مع الخبز شهوةٌ) ، رضي الله عنه .

ورئي رضي الله عنه بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفرَ لي ، فقيل له : بالعلم ؟ فقال : هيهات ! إنَّ للعلم شروطاً وآداباً قلَّ من يفعلُها ، فقيل له : فبماذا غَفَرَ لك الله ؟ قال : بقول الناسِ فيَّ ما ليس فيَّ .

وكان يقول : (من هانَ عليه فرجُهُ هان عليه دينُه) .

وكان يقول : (إذا لم يتكلَّمِ العبدُ بما ظنَّه فلا إثمَ عليه) .

وكان يقول : (بلغني أنه ليس في الدنيا أعزُّ من فقيهٍ ورع) .

وقال له رجل : إني أحبُّك ، فقال : وما يمنعُكَ من محبَّتي ولستَ بابن عمٍّ لي ، ولا جاري ؟!

وكان يقول : (الغوغاءُ هم القُصَّاصُ الذين يستأكلون أموالَ الناس) .

وكان يقول : (لا ينبغي للقاضي أن يُتركَ على القضاء أكثرَ من سنة ؛ لأنَّه إذا مكثَ فيه أكثرَ من سنة ذهبَ فقهه) .

ومناقبُهُ كثيرةٌ مشهورة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٩٤) الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه يقول : (طُوبىٰ لمن أخملَ اللهُ تعالىٰ ذكرَهُ) .

وكان يقول : (رأيتُ ربَّ العزَّة في المنام ، فقلتُ : يا ربِّ ؛ ما أفضلُ ما تقرَّبَ به المتقرِّبون إليك ؟ فقال : بكلامي يا أحمد ، فقلت : بفهمٍ أو بغير فهم ؟ قال : بفهمٍ وبغير فهم) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٣٥٤) ، و« حلية الأولياء » (٩/ ١٦١) ، و« تاريخ دمشق » (٧/ ٢١٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/ ١٧٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥١٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٤٧) (٩٧) .

وكان رضي الله عنه إذا جاءه حَدَثٌ وحده لم يُحدِّثه حتىٰ يكونَ معه غيرُهُ .

قلت : (وكذلك كان يحيى بن معين ، وعبدُ الله بن داود) .

وكان رضي الله عنه يقول : (تزوَّجَ يحيى بنُ زكريا عليهما السلام مخافةَ النظر) .

وكان رضي الله عنه يُضربُ به المثل في اتِّباع السنة ، واجتناب البدعة .

وكان لا يدعُ قيامَ الليل قطُّ ، وله في كلِّ يومٍ وليلةٍ ختمةٌ ، وكان يُسِرُّ ذلك عن الناس .

وقال أبو عصمة رضي الله عنه : بتُّ ليلةً عند أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، فجاءني بماء ، فوضعه ، فلما أصبحَ نظرَ إلى الماء كما هو ، فقال : يا سبحان الله ! رجلٌ يطلبُ العلم ، ولا يكونُ له وردٌ من الليل .

وكان يلبسُ الثيابَ النقيةَ البياضِ ، ويتعهَّدُ شاربَه وشعرَ رأسه وبدنه .

وكان مجلسُه خاصّاً بالآخرة ، لا يُذكرُ فيه شيءٌ من أمر الدنيا .

وكان يأتي العرسَ والإملاك والختان ، ويأكلُ .

وتعرَّت أمُّه من الثياب ، فجاءَتْه زكاةٌ ، فردَّها ، وقال : العريُ لها خيرٌ من أوساخ الناس ، وإنها أيامٌ قلائل ، ثم نرحلُ من هـٰذه الدار .

وكان إذا جاعَ أخذَ الكسرةَ اليابسة ، فنفضَها من الغبار ، ثم صبَّ عليها الماء في قصعةٍ حتىٰ تبتلَّ ، ثم يأكلُها بالملح .

وكانوا في بعضِ الأوقات يطبخون له في فخَّارةٍ عدساً وشحماً .

وكان أكثرُ إدامِهِ الخلَّ .

وكان إذا مشىٰ في الطريق لا يمكِّنُ أحداً أن يمشي معه .

ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب ، فنظرَ إليه وقال : (هـٰذا بولُ رجلٍ قد فتَّتَ الغمُّ والحزن كبده) .

وكان يُحيي الليلَ كلَّه من منذ كان غلاماً .

وكان من أصبرِ الناسِ على الوحدةِ ، لا يراه أحدٌ إلا في المسجد ، أو جنازةٍ ، أو عيادة .

وكان يكره المشيَ في الأسواق .

وكان وردُهُ كلَّ يومٍ وليلة ثلاث مئة ركعة ، فلما ضُربَ بالسِّياط ضعفَ بدنُهُ ، فكان يُصلِّي مئةً وخمسين ركعة كلَّ يومٍ وليلة .

وحج رضي الله عنه خمسَ حجَّاتٍ ؛ ثلاثاً منها ماشياً .

وكان يُنفقُ في كلِّ حجَّةٍ نحو عشرين درهماً .

ولما قُدِّم للسياط أيامَ المحنة أغاثَهُ الله تعالىٰ برجلٍ يقال له : أبو الهيثم العيَّار ، فوقف عنده ، وقال : يا أحمد ؛ أنا فلانٌ اللصُّ ، ضُربتُ ثمانية عشر ألف سوط لأقرَّ فما أَقررتُ ، وأنا أعرف أني على الباطل ، فاحذرْ أن تتقلقَ وأنت على الحقِّ من حرارة السَّوط ، فكان أحمدُ كلما أوجعَهُ الضربُ تذكَّرَ كلامَ اللصِّ ، وكان بعد ذلك لم يزلْ يترحَّم عليه .

ولما أدخل أحمدُ على المتوكِّلِ ، قال المتوكل لأُمِّه : يا أماه ؛ قد نارتِ الدارُ بهـٰذا الرجل ، ثم أتوه بثيابٍ نفيسة ، فألبسوها له ، فبكىٰ وقال : سلمتُ منهم عُمري كلَّه حتىٰ إذا دنا أَجلي بُليت بهم وبدنياهم ، ثم نزعها لما خرج .

وكان رضي الله عنه يُواصلُ الصومَ ، فيُفطر كلَّ ثلاثة أيام علىٰ تمرٍ وسويق .

وقال الفُضيل بنُ عِياض رضي الله عنه : حُبس الإمامُ أحمد رضي الله عنه ثمانيةً وعشرين شهراً ، وكان فيها يُضربُ كلَّ قليلٍ بالسياط إلىٰ أن يُغمىٰ عليه ، ويُنخسُ بالسيف ، ثم يُرمىٰ على الأرض ، ويُداسُ عليه ، ولم يزل كذلك إلىٰ أن ماتَ المعتصم ، وتولَّىٰ بعده الواثقُ ، فاشتدَّ الأمرُ علىٰ أحمد ، وقال : لا أسكنُ في بلدٍ فيه أحمد ، فأقام أحمد مختفياً ، لا يخرجُ إلىٰ صلاةٍ ولا غيرها حتىٰ مات الواثق ، وولي المتوكِّلُ ، فرفع المحنةَ عن أحمد ، وأمر بإحضاره وإكرامه وإعزازه ، وكتبَ إلى الآفاق برفعِ المحنة ، وإظهارِ السُّنة ، وأنَّ القرآنَ غيرُ مخلوق ، وخمدتِ المعتزلةُ ، وكانوا أشرَّ الطوائفِ المبتدعة .

قال أحمد بن غسان : ولما حُملتُ مع أحمدَ إلى المأمون تلقَّانا الخادمُ وهو يبكي ، ويمسحُ دموعَ عينيه ، وهو يقول : عزَّ عليَّ يا أبا عبد الله ما نزل بك ، قد جرَّدَ أميرُ

المؤمنين سيفاً لم يُجرِّدْهُ قطُّ ، وبَسَطَ نِطعاً لم يَبسطْه قطُّ ، ثم قال : وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رفعتُ السيفَ عن أحمدَ وصاحبه حتىٰ يقولا : القرآنُ مخلوقٌ ، فجثا أحمد علىٰ ركبتيه ، ولحظَ السَّماءَ بعينيه ، ودعا ، فما مضى الثلثُ الأوَّلُ من الليل إلا ونحن بصيحةٍ وضجةٍ ، فأقبلَ علينا خادمُهُ وهو يقول : صدقتَ يا أحمد ، القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق ، قد ماتَ واللهِ أميرُ المؤمنين .

وكان قد لقيه قبلَ أن يَدخلَ المدينةَ رجلٌ من العُبَّاد ، فقال : احذرْ يا أحمد أن يكونَ قدومُك مَشؤوماً على المسلمين ؛ فإنَّ الله تعالىٰ قد رضيك لهم وافداً ، والناسُ إنما ينظرون إلىٰ ما تقول فيقولون به ، فقال أحمد : حسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ .

ولما سجنوه رضي الله عنه وضعوا في رجليه أربعةَ قيود .

وكان ابن أبي دُوَاد[1] هو الذي تولَّىٰ جدالَ أحمد عن الخليفة ، وقال للخليفة : إنَّ أحمدَ ضالٌّ مُبتدعٌ ، ثم يلتفتُ إلىٰ أحمد ، ويقول : قد حلفَ الخليفةُ أنه لا يقتلُكَ بالسيف ، وإنما هو ضربٌ بعد ضربٍ إلىٰ أن تموت ، فما زالوا بأحمد رضي الله عنه يُناظرونه بالليل والنهار إلىٰ أن ضجرَ الخليفةُ من ذلك ، فلما طالَ بهم الحالُ قال ابن أبي دُوَاد : يا أمير المؤمنين ؛ اقتلْه ودَمُهُ في أعناقنا ، فرفع الخليفةُ يده ولطمَ بها وجه أحمد ، فخرَّ مغشيّاً عليه ، فخافَ الخليفةُ علىٰ نفسه ممن كان من الشيعة مع أحمد ، فدعا بماء فُرشَّ منه علىٰ وجه أحمد .

قال أحمد : (ولما قُدِّمتُ إلى الضرب ، والناسُ بين يدي الخليفة قيام . . قال لي إنسانٌ : أمسكْ رأسَ الخشبتين بيديك ، وشدَّ عليهما ، فلم أفهمْ مقالتَهُ ، فتخلَّعتْ يداي) ، قالوا : ولم يزلْ أحمدُ رضي الله عنه يتوجَّعُ منهما إلىٰ أن مات رضي الله عنه .

ولم يزالوا بعد الضربِ يقطعون اللحمَ والجلدَ من مقاعد أحمد سنين عديدة إلىٰ أن مات ، رضي الله عنه .

---

(١) هو : **أحمد بن أبي دُوَاد** بن جرير الإيادي (١٦٠ـ٢٤٠هـ) أحدُ القضاة المشهورين من المعتزلة ، ورأس فتنة القول بخلق القرآن ، فصيح ، عارف بالأخبار والأنساب ، توفي مفلوجاً ، قال الذهبي : (كان جهميّاً بغيضاً ، حمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن ، ولولا ذلك لاجتمعت الألسنة عليه) .

وكان بشر بنُ الحارث رضي الله عنه يقول : (امتُحن أحمدُ بعدما أُدخل الكير ، فخرج ذهباً أحمر) .

وقال الهيثم رضي الله عنه : (كان أحمدُ رضي الله عنه حُجَّةَ الله علىٰ أهل زمانه ، والفُضيلُ حُجَّةَ الله علىٰ أهل زمانه ، وهٰكذا الأمرُ في كلِّ زمان) .

وكان يقول : (إذا كان في الرَّجلِ مئةُ خصلةٍ من الخير ، وكان يشربُ الخمرَ محتها كلَّها) .

وكان يقول : (لا تكتبوا العلمَ عمن يأخذُ عليه عوضاً من الدنيا) .

ومرض جارُهُ فلم يعدْهُ ، فقال له ابنه : هلا تعودُ جارنا ؟! فقال : يا بُني ؛ إنَّه لم يعدْنا حتىٰ نعودَهُ .

وكان رضي الله عنه يقول : (لم يجئ لأحدٍ من الصحابة في الفضائل ما جاءَ لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه) .

وأرسل له الخضرُ فقيراً ، فقال : يا أحمد ؛ إنَّ ساكني السماء ومَنْ حولَ العرش راضون عنك بما صبرتْ نفسُك لله عز وجل .

ومناقبُهُ كثيرةٌ مشهورةٌ .

توفي رضي الله عنه سنة إحدىٰ وأربعين ومئتين ، وقد استكملَ سبعاً وسبعين سنة .

ولما مرضَ رضي الله عنه اجتمعَ الناسُ و[أصحاب][1] الدولة علىٰ بابه لعيادته ، حتى امتلأتِ الشوارعُ والدروب ، فلما قُبضَ صاح الناسُ ، وعلتِ الأصوات بالبكاء ، وارتجتِ الدنيا لموته ، وخرجَ أهلُ بغداد إلى الصحراء يُصلُّون عليه ، فحزروا من حضرَ جنازتَهُ من الرجال ثمان مئة ألف ، ومن النساء ستون ألف امرأة ، سوىٰ من كان في الأطراف والسُّفن والأسطحة ؛ فإنهم بذلك يكونون أكثر من ألف ألف .

وفي رواية : قد بلغوا ألفي ألف وخمس مئة ألف ، وأسلم يومئذ عشرونَ ألفاً من اليهود والنصارىٰ والمجوس[2] ، رضي الله عنه .

---

(١) في الأصول كافة : «الناس والدواب» والمثبت من «الجواب الشافي على السؤال الموافي» للقشاشي (ق١٣/ ب) مخطوطة مكتبة برنستون .

(٢) قال الإمام الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١١/ ٣٤٣) معقباً علىٰ رواية إسلام عشرين ألفاً من=

ومنهم :

(٩٥) أبو محمد سفيان بن عُيينة رضي الله عنه[١]

حفظ القرآنَ وهو ابنُ أربع سنين ، وكتبَ الحديث وهو ابنُ سبع سنين .

وكان يقول : (من لا تنتفعُ به فلا عليك ألا تعرفَهُ) .

وكتب مرَّةً إلىٰ أخٍ له : أما آن لك يا أخي أن تستوحشَ من الناس ؟! ولقد أدركنا الناسَ وهم إذا بلغَ أحدُهم الأربعين سنة خفي عن معارفه[٢] ، وصار كأنه مُختلطُ العقل من شدَّة تأهُّبه للموت .

وكان إذا أعطاه الناسُ شيئاً يقول : أعطوه لفلان ؛ فإنه أحوجُ مني .

وكان يقول : (من صبرَ على البلاء ، ورضي بالقضاء فقد كملَ أمرُه) .

وكان يقول : (بحسبِ امرئٍ من الشرِّ أن يرىٰ من نفسِهِ فساداً لا يُصلحه) .

وكان يقول : (**خصلتان يعسرُ علاجُهما** : تركُ الطمع فيما بأيدي الناس ، وإخلاصُ العمل لله) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا كان نهاري نهارَ سفيه ، وليلي ليلَ جاهل فماذا أصنعُ بالعلم الذي كتبت ؟!) .

وكان يقول : (من زِيدَ في عقله نُقص من رزقه) .

وكان يقول : (« لا إلـٰه إلا الله » بمنزلةِ الماء في الدنيا ، فمن لم يكن معه « لا إلـٰه

= اليهود والنصارى التي رواها الوركاني جارُ أحمد بن حنبل : (هـٰذه حكاية منكرة ، ثم العادة والعقل تُحيل وقوعَ مثل هـٰذا ، وهو إسلام ألوف من الناس لموت وليٍّ ، ولا ينقل هـٰذا إلا مجهولٌ لا يعرف ، فلو وقع ذلك لاشتهر ولتواتر ؛ لتوفر الهمم والدواعي علىٰ نقل مثله ، بل لو أسلم لموته مئة نفسٍ لقضي من ذلك العجب ، فما ظنُّك ؟!) .

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/ ٤٩٧) ، و« حلية الأولياء » (٧/ ٢٧٠) ، و« تاريخ بغداد » (٩/ ١٧٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/ ٤٠٠) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٠٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٢٠) (٨٨) .

(٢) في (ب ، ج) : (جفا معارفه) .

إلا الله » فهو ميت ، ومن كانت معه فهو حيٌّ) .

وكان يقول : (ما أنعمَ اللهُ عز وجل على العباد نعمةً أفضلَ من أن عرَّفهم « لا إلـٰه إلا الله » ، وإن « لا إلـٰه إلا الله » في الآخرة كالماءِ في الدنيا) .

وكان يقول : (من فسَّرَ حديث : « مَنْ غَشَّنَا فليسَ منَّا »(١) ونحوه علىٰ أن المُراد : ليس علىٰ هدينا وحُسن طريقتنا . . فقد أساءَ الأدب ؛ فإنَّ السكوتَ عن تفسيره أبلغُ في الزجر) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الزهدُ في الدنيا هو الصبرُ وارتقاب الموت) .

وقال حرملة : أخرج لي سفيان بنُ عيينة رغيفَ شعيرٍ من كمِّه ، وقال لي : دعْ ما يقول الناسُ ؛ فإنه طعامي منذ ستين سنة .

وكان رضي الله عنه يقول : (ليس من حبِّ الدنيا طلبُك ما لا بدَّ منه) .

وكان يقول : (ماءُ زمزم بمنزلة الطيب ، لا يُرَدُّ) .

وكان يقول : (إذا كانت نفسُ المؤمن معلَّقةً بدَيْنِهِ حتىٰ يقضي ، فكيف بصاحب الغيبةِ ؟! فإن الدَّيْنَ يُقضىٰ والغيبةَ لا تُقضىٰ ، ولو أنَّ رجلاً أصابَ من مال رجلٍ شيئاً ، ثم تورَّع عنه بعد موته ، فجاء به إلىٰ ورثته . . لـٰكنَّا نرىٰ أن ذلك كفارةٌ له ، ولو أنه اغتابَه ، ثم تورَّع وجاء بعد موته إلىٰ ورثته وإلىٰ جميع أهلِ الأرض ، فجعلوه في حلٍّ . . ما كان في حلٍّ ، فعرضُ المؤمن أشدُّ من ماله) .

وكان يقول : (وصَّى الخضرُ موسىٰ عليهما السلام ألا يُعيِّرَ أحداً بذنب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام سرّاً ، وللعلماء رضي الله عنهم سرّاً ، وإن للملوك سرّاً ، فلو أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أظهروا سرَّهم للعامةِ لفسدتِ النبوةُ ، ولو أنَّ العلماء رضي الله عنهم أظهروا سرَّهم للعامة لفسدت عليهم ، ولو أنَّ الملوك أظهروا سرَّهم للعامة لفسدَ ملكُهم) .

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وأحمد في « المسند » (٢/ ٤١٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

وكان رضي الله عنه يقول : (العلمُ إن لم ينفعْكَ ضرَّكَ) .

وكان إذا فرغَ من صلاته يقول : اللهم ؛ اغفر لي ما كانَ فيها .

وكان يقول : (لا يكونُ طالبُ العلم عاقلاً حتىٰ يرىٰ نفسَه دون كلِّ المسلمين) .

وكان يقول : (إذا لم تصلْ إلىٰ حقِّك إلا بالخصومةِ والسلطان فدعْهُ لِمَا ترجو من سلامة دينك) .

وكان يقول : (كم من شخصٍ يُظهرُ الزهدَ في الدنيا واللهُ مطَّلعٌ علىٰ قلبه أنَّه محبٌّ لها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كتمانُ الفقر مطلوبٌ ؛ لأنه من الأعمال الصالحة ، وذلك من أشدِّ ما يكون على النفس) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الجهادُ عشرةٌ ، فجهاد العدوِّ واحدٌ ، وجهاد النفس تسعة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنما عُرفوا ؛ لأنَّهم أحبُّوا ألا يُعرفوا) .

وكان يقول : (ائتوا الصلاةَ قبل النداء ، ولا تكونوا كالعبدِ السوء ؛ لا يأتي للصلاة حتىٰ يُدعىٰ إليها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما عليك شيءٌ أضرُّ من علمٍ لا تعمل به) .

وكان يقول : (شرارُ مَنْ مضىٰ عامَ أول خيرٌ من خياركم اليوم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ الزمانَ الذي يَحتاجُ الناسُ فيه إلىٰ مثلنا لَزمانُ سوء) .

ولد رضي الله عنه في الكوفة سنة سبعٍ ومئة ، وسكن مكةَ ، وتوفي فيها سنة ثمانٍ وتسعين ومئة ، ودفن بالحَجون ، وهو ابنُ إحدىٰ وتسعين سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٩٦) شُعبة بن الحجَّاج رضي الله عنه[1]

كانوا يُسمُّونه أميرَ المؤمنين في الرواية والحديث .

وكان رضي الله عنه يقول : (واللهِ ؛ إن الشيطانَ صار يلعبُ بالقرَّاء كما يلعبُ الصبيُّ بالجوز ، فكيف بغير القرَّاء ؟!) .

وكان قد عبدَ الله تعالىٰ حتىٰ جفَّ جلدُهُ علىٰ عظمه ، فليس بينهما لحم .

وكان يصوم الدَّهرَ كلَّه .

وكان يعيبُ علىٰ من يلبسُ ثوباً بثمانية دراهم ، ويقول : هلا اشتريتَ قميصاً بأربعةٍ ، وتصدَّقتَ بأربعةٍ ، فقيل له : إنَّا مع قومٍ نتجمَّلُ لهم ، فقال : أيشٍ نتجمل لهم ؟!

وكان إذا مرَّ بسائلٍ يذهبُ إلى البيت ، فيُخرجُ له كلَّ ما وجده .

وكان يقول لأصحابه : (لولا سؤالي للمحاويج والفقراء ما جلستُ مع أحد) .

وكانت ثيابُ شعبة لونُها لونُ التراب .

وكان إذا حكَّ جلدَهُ انتثرَ منه التراب .

وكان رضي الله عنه إذا لم يجد شيئاً معه يُعطيه للسائل أعطاه حمارَهُ ومشىٰ .

وكان إذا قعدَ في زورقٍ أَعطى الأجرةَ عن جميع مَنْ فيه .

وقوَّموا حمارَ شعبة وسرجَهُ ولجامَهُ بسبعةَ عشرَ درهماً ، وقوَّموا ثيابه فلم تساوِ عشرة دراهم ، وهي قميصٌ ، وإزار ، ورداء .

وأرسل له المهديُّ ثلاثين ألف درهم ، ففرَّقها في المجلس ، ولم يأخذْ منها درهماً ، وإنَّ أهلَهُ لَمحتاجون إلىٰ رغيفٍ .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٢٨٠) ، و« حلية الأولياء » (٧/ ١٤٤) ، و« تاريخ بغداد » (٩/ ٢٥٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧/ ٢٠٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣١٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ١٢٣) (٨٩) .

توفي رضي الله عنه بالبصرةِ وهو ابنُ سبعٍ وتسعين سنة ، سنةَ ستين ومئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٩٧) مِسْعَر بن كِدام رضي الله عنه[١]

بكسر الكاف .

وكان يقول : (إن لله تعالىٰ عباداً لو يعلمونَ بما ينزلُ القَدَرُ لاستقبلوه استقبالاً حبّاً لربِّهم ولقدره ، فكيف يكرهونَهُ بعد ما وقع ؟!) .

وكان إذا فتح المصحفَ ورأىٰ فيه قصَّة قومٍ عذَّبهم اللهُ يقول : (إلـٰهي ؛ قد دخلتْ رحمتُهم قلبي ، فإنْ شئتَ فاغفر لي ، وإن شئتَ عذِّبني) .

وكان يقول : (لا تقعدوا فرّاغاً ؛ فإنَّ الموتَ يطلبكم) .

وكان ينشدُ الشعرَ عقب الصلاة ، ويقول : (إنَّ النفسَ تكونُ هـٰكذا وهـٰكذا) .

وسئل رضي الله عنه مرة : مَنْ أفقهُ أهل المدينة ؟ فقال : أفقهُهم أتقاهُم لله عز وجل .

وكان لا ينامُ كلَّ ليلةٍ حتىٰ يقرأ نصفَ القرآن ، فإذا فرغَ من وردِهِ لفَّ رداءه ، ثم هجعَ هجعةً خفيفة ، ثم يثبُ مرعوباً كالرَّجلِ الذي ضلَّ منه شيءٌ عزيز فهو يطلبه ، فيستاك ، ثم يتطهَّرُ ويستقبلُ القبلةَ إلى الفجر .

وكان رضي الله عنه يجتهد في إخفاء أعماله[٢] .

وكان يقول : (أشتهي أن أسمعَ صوتَ باكيةٍ حزينة) .

وقيل له : أتحبُّ أن يُخبرَكَ الرجلُ بعيوبك ؟ فقال : إن كان ناصحاً فنعم ، وإن كان يُريد أن ينقصني فلا .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ٣٦٤) ، و« حلية الأولياء » (٧/ ٢٠٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧/ ١٦٣) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٥٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٢٤) (٩٠) .

(٢) في (ج ، ح) : (وكان رضي الله عنه يقول : اجتهد في إخفاء عملك) .

وكان رضي الله عنه إذا خطرَ علىٰ باله يومُ القيامة يبكي حتىٰ يَرثي له الحاضرون .

وكان رضي الله عنه يخدم أمَّه ويقول : (لولا أمي لما فارقتُ المسجدَ إلا لما لا بدَّ منه) .

وكان رضي الله عنه إذا دخل بكىٰ ، وإذا خرجَ بكىٰ ، وإذا صلَّىٰ بكىٰ ، وإذا جلسَ بكىٰ .

ودخل عليه سفيانُ الثوري رضي الله عنه في مرضِ موته ، فقال له : ما هـٰذا الجزعُ يا مِسْعَر ؟! واللهِ ؛ لوددتُ أني متُّ الساعةَ ، فقال له مِسْعَر رضي الله عنه : إنك إذن لَواثقٌ بعملك يا سفيان ، لـٰكني واللهِ ؛ كأني علىٰ شاهقِ جبلٍ لا أدري أين أهبطُ ، فبكىٰ سفيان رضي الله عنه وقال : أنت أخوفُ لله عز وجل مني يا أخي .

وكان سفيان إذا حدَّثَ عنه يقول : أَخبرني أبو سلمة ، يستحيي أن يقولَ مِسْعَر .

وكان في جبهته مثلُ رُكبةِ العنزِ من السجود .

وكان يقول : (لا ينبغي أن يُثنىٰ علىٰ عالمٍ وهو يقبضُ جوائزَ السلطان ، ويبني بيته بالآجرِّ) .

وطلبتْ أمُّه بعد العشاء شربةَ ماءٍ ، فخرجَ ، فجاء بالكوزِ ، فوجدها نامتْ ، فبقي الكوز علىٰ يده إلى الصباح ينتظرُ استيقاظَها .

ولما طلبه أبو جعفر المنصور ليولِّيَه القضاءَ قال له : مهلاً يا أمير المؤمنين ، إنَّ أهلي يطلبونَ حاجةً بدرهم ، فأقول لهم : أنا أشتري لكم ، فيقولون : لا نرضىٰ بشرائك ، فإذا كان أَهلي لا يَرضون بشرائي لهم حاجةً بدرهم . . يُولِّيني أميرُ المؤمنين القضاء ؟! فأعفاه ، وقال له : لو كان في المسلمين مثلُك يا مِسْعَرُ لخرجتُ إليه ماشياً .

وكان يقول : (من يرضىٰ بالخلِّ والبقل لم يستعبدْه الناس) .

وكان يقول : (مُضاحكةُ الوالدين على الأسرَّة أفضلُ من مجاهدة السيوف في سبيل الله تعالىٰ) .

وكان إذا جاءه أحدٌ يسألُهُ الدُّعاء يقول له : ادعُ أنت حتىٰ أؤمِّنَ أنا ؛ فإنَّ الدعاءَ من صاحب الحاجةِ أبلغُ منه من غيره .

قلت : وهٰكذا بلغنا عن معروفٍ الكرخي ، وكان مشهوراً بإجابة الدعوة ، والله تعالىٰ أعلم .

وكان يقول : (شكوى العارفِ للطبيب ليست شكوىً في ربِّه ؛ لأنه إنما يذكر للطبيب قدرةَ الله فيه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (اللهم ؛ من ظنَّ بنا خيراً أو ظننا به خيراً فصدِّقْ ظنَّنا وظنَّه) ، ويبكي .

وكان يقول : (قيامُ الليل نورٌ للمؤمن يوم القيامة يسعىٰ بين يديه ومن خلفه ، وصيامُ النهار يُبعد العبدَ من حرِّ السعير) .

وكان كثيرَ البكاء ، فقيل له في ذلك ، فقال : وهل خُلقتِ النار إلا لمثلي ؟!

وكان يدعو علىٰ مَنْ آذاه أن يجعلَه الله مُحدِّثاً أو مفتياً .

وكان رضي الله عنه يقول : (يُنادي مُنادٍ يوم القيامة : يا مادحَ الله ؛ قم ، فلا يقومُ إلا من كان يُكثر قراءة (قل هو الله أحد) .

وكان يقول : (أعرفُ الناسِ بعور الناس الأعور) .

توفي رضي الله عنه بالكوفة سنةَ خمسٍ وخمسين ومئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٩٨) (٩٩) علي والحسن ابنا صالح بن حي رضي الله عنهما[١]

كانا من العُبَّاد والزُّهَّاد .

وقسما الليلَ ثلاثةَ أجزاء ، فكان عليٌّ يقوم الثُّلثَ ثم ينام ، ويقومُ بعده الحسن ثم ينام ، وتقوم أمُّهما الثُّلثَ الآخر ، فلما ماتت قسما ثُلثَها عليهما ، فكانا يقومان الليلَ

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ٣٧٤) ، و« حلية الأولياء » (٧/ ٣٢٧) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٥٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧/ ٣٧١) ، وفي (د ، هـ ، ط) : (الحسين) ، والمثبت من غالب النسخ (ب ، و) ومصادر الترجمة ، وستردُ ترجمتهما ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٢٦) (٩١-٩٢) .

كلَّه ، ثم مات عليٌّ ، فقام الحسنُ الليلَ كلَّه .

وكان كلُّ واحدٍ يقرأ في قيامه بثُلثِ القرآن كذلك ، فلما ماتت والدتهما وعليٌّ كان الحسنُ يختمُ كلَّ ليلةٍ القرآنَ .

وكان الحسن رضي الله عنه إذا لم يجد شيئاً يُعطيه للسائل في داره يُعطيه شعلةَ نار ويقول : امضِ بها إلىٰ منزل قومٍ ، عسىٰ أن يُعطوك شيئاً ، فتتبلَّغ به .

وكان إذا أراد أن يعظَ أحداً لا يُشافهه بالوعظ ، وإنما يكتبُ ذلك إليه في ورقةٍ ويدفعُها .

وكان رضي الله عنه يقول : (صاحبُ التخليطِ لا يُفلح أبداً) .

وسأله رجلٌ عن الدليل علىٰ قولهم : (الكريم لا يستقصي) ، فقال : دليلُه قوله تعالىٰ : ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ ﴾ [التحريم : ٣] .

وكان يقول : (إذا لم يخشَ العالِمُ ربَّه فليس بعالمٍ) .

وكان يقول : (لا ينبغي لمؤمنٍ أن يأكلَ ولا يشربَ ولا يتكلمَ ولا يمشي إلا بنيّةٍ صالحة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أنا أَستحي من الله تعالىٰ أن أتكلَّفَ النومَ حتىٰ يكونَ النومُ هو الذي يصرعني ، فإذا أنا نمتُ ، ثم استيقظتُ ، ثم عدتُ نائماً فلا أرقدَ اللهُ عيني) .

وكان لا يقبلُ من أحد شيئاً .

وكان يقول : (قال سعيد بنُ المسيَّب : من لزمَ المسجدَ وقبل كلَّ ما يُعطاه فقد ألحفَ في المسألة)[1] .

وكان رضي الله عنه يقول : أولُ مَنْ نعىٰ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ أهل فارس جنيٌّ في صورة كلب ، وذلك أنه أتىٰ إلىٰ كلبٍ من كلاب فارس ، فقال : أطعمني وأنا أُخبرك خبراً ، فأطعمه ، فقال : محمد مات .

---

(١) في (هـ ، و ، ز) : (فقد ألحَّ في المسألة) .

قال رضي الله عنه : وسُئل سعيد بنُ المسيَّب رضي الله عنه : ما يسترُ المصلِّي ؟ قال : التقوىٰ ، قيل : فما يقطعُ الصلاة ؟ قال : الفجور .

وكان ولدُهُ يجيء إليه في المسجد ، فيقول : أنا جيعان ، فيُعلِّلُهُ حتىٰ يروحَ .

وكانت له جاريةٌ يأكل من غزلها الخبزَ الشعير .

وكان رضي الله عنه يتنخَّمُ الدمَ من شدَّة الخوف .

وكان يقول : (فتَّشنا الورعَ ، فلم نجدْه في شيءٍ أقلَّ منه في اللسان) .

وكان إذا أشرفَ على المقابر يخرُّ مغشيّاً عليه .

وكان إذا ذهبَ إلىٰ جنازةٍ ورأى الميتَ وهم يُدخلونه القبرَ يُغشىٰ عليه ، فلا يرجعُ إلا محمولاً في سريرِ الميت .

وكان إذا بكىٰ سمع الناسُ صراخه كبكاءِ أهل المصائب .

وكان يقول : (العملُ بالحسنة قوةٌ في البدن ، ونورٌ في القلب ، وضوءٌ في البصر ، والعملُ بالسيئة وهنٌ في البدن ، وظلمةٌ في القلب ، وعمىً في البصر) .

وكان يقول : (لا يفقه الرجلُ كلَّ الفقهِ حتىٰ يفرحَ إذا زوى اللهُ عنه الدنيا وأعطاها لأقرانه) .

تُوفِّي عليٌّ رضي الله عنه سنة أربع وخمسين ومئة ، وتُوفِّي بعده الحسنُ بثلاث عشرة سنة .

ومنهم :

(١٠٠) عبد الله بن المبارك رضي الله عنه[١]

ولد رضي الله عنه سنة ثمان عشرةَ ومئة .

وكانوا يُقدِّمونه في الأدب علىٰ سُفيان الثوري رضي الله عنه .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٣٧٢/٧) ، و« حلية الأولياء » (١٦٢/٨) ، و« تاريخ دمشق » (٣/٣٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣٣٦/٨) ، و« طبقات المناوي » (٣٥٠/١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (١٢٨/٣) (٩٣) .

وكان سفيانُ الثوري رضي الله عنه يقول : (جهدتُ جهدي على أن أَدومَ ثلاثةَ أيامٍ في السنةِ على ما عليه ابنُ المبارك . . فلم أقدر) .

وكان يُقدِّمُ النَّظرَ في سير الصحابة والتابعين على مجالسةِ علماء عصره .

وكان يقول : (إذا كانت سنةُ مئتين ففرُّوا من الناس ، إلا لحضورٍ واجبٍ) .

وكان يقول : (إذا تعلَّمَ أحدُكم من القرآن ما يُقيمُ به صلاته فليشتغل بالعلم ؛ فإن به تُعرف معاني القرآن) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما بقي في زماننا أحدٌ أَعرفُ أنه يأخذُ النصيحةَ بانشراحِ قلبٍ) .

وكان يقول : (من شرط العالِمِ ألا تخطرَ محبةُ الدنيا على باله) .

وقيل له : مَنْ سفلةُ الناس ؟ قال : الذين يتعيَّشون بدينهم .

وكان يقول : (كيف يدَّعي رجلٌ أنه أكثرُ علماً وهو أقلُّ خوفاً وزهداً ؟!) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من علامةِ مَنْ عرفَ نفسَه أن يكونَ أذلَّ من الكلب) .

وكان يقول : (من ختمَ نهارَهُ بذكرٍ كُتب نهارُه ذاكراً) ، وكان يتحرَّىٰ هـٰذا العمل .

وكان يقول : (ربَّ عملٍ صغير تُعظِّمُهُ النيَّةُ ، وربَّ عملٍ كبير تُصغِّره النيَّةُ) .

وكان رضي الله عنه يتمثَّلُ بهـٰذين البيتين من كلامه : [من المتقارب]

وهـلْ بـدَّلَ الـدِّيـنَ إلا ٱلْملـوكُ ... وأحبـارُ سُـوءٍ ورُهبـانُهَـا

لقـدْ رَتَـعَ القـومُ فـي جيفـةٍ ... يَبِيـنُ لـذِي العلـمِ إنْتَـانُهَـا

وكان رضي الله عنه يقول : (مسكينٌ ابنُ آدم ، قد وُكِّلَ به خمسةُ أملاك : ملكان بالليل ، وملكان بالنهار يجيئان ويذهبان ، والخامس لا يُفارقه ليلاً ولا نهاراً) .

وكان إذا اشتهىٰ شيئاً لا يأكلُهُ إلا مع ضيف ويقول : (بلغنا أنَّ طعامَ الضيف لا حسابَ عليه) .

قالوا : (وكانت سفرةُ ابنِ المبارك تُحمل على عجلةٍ أو عجلتين) .

وقال أبو إسحاق الطالقاني : (رأيت بعيرَيْنِ مملوءين دجاجاً مشويّاً لسُفرةِ ابنِ المبارك) .

وكان رضي الله عنه يُطعم أصحابَهُ الفالوذج والخبيص ، ويظلُّ هو نهارَهُ صائماً .

وما دخلَ رضي الله عنه الحمَّامَ قطُّ .

وقيل له مرة : قد قلَّ المالُ ، فقلَّ من صلةِ الناس ، فقال : إن كان المالُ قد قلَّ فإنَّ العمرَ قد نفد .

وكان رضي الله عنه يقول : (**أربعُ كلماتٍ انتُخبْنَ من أربعة آلاف حديث** : لا تثقنَّ بامرأةٍ ، ولا تغترنَّ بمالٍ ، ولا تُحمِّل معدتك ما لا تطيق ، وتعلَّم من العلم ما ينفعُكَ فقط) .

وكان إذا بلغَهُ عن أصحابِهِ أنَّهم أضافوا إليه مسألةً يُرسلُ إليهم ، ويكشِطُها بالسِّكين ، ويقول : مَنْ أنا حتىٰ يُكتبَ قولي ؟!

وكان يقول : (كنْ محبّاً للخمول ، كارهاً للشهرة ، ولا تُحبَّ من نفسك أنَّك تحبُّ الخمولَ ، فترفع نفسَك) .

وكان يقول : (دعواك الزُّهدَ من نفسك يُخرجُك من الزهد) .

وكان يقول : (سلطانُ الزهد أعظمُ من سلطان الرعية ؛ لأنَّ سلطانَ الرعية لا يجمعُ الناسَ إلا بالعصا ، والزاهدُ يَنْفِرُ من الناس فيتبعوه) .

ولما قدمَ هارون الرشيد الرقَّةَ ورد عبد الله بنُ المبارك ، فانجفلَ الناس إليه ، وتقطَّعتِ النعالُ ، وارتفعتِ الغبرة ، فأشرفتْ أمُّ ولدِ أمير المؤمنين من برجِ قصرِ الخشب ، فلما رأتِ الناسَ وكثرتَهم قالت : ما هٰذا ؟! قالوا : عالمُ خراسان ، فقالت : واللهِ ؛ هٰذا هو المُلكُ ، لا ملك هارون الرشيد الذي يُجمعُ الناسُ إليه بالسوط والعصا ، والشُّرطِ والأعوان .

وكان إذا قرأ شيئاً من كتب الوعظ كأنه بقرةٌ منحورةٌ من البكاء ، لا يجترئ أحدٌ منَّا يدنو منه ، ولا يسألُه عن شيءٍ .

وقيل له : إنَّ جماعةً من أهل العلم يأخذون من الناسَ الزكوات ، فقال : فما

نصنعُ ؟ إن منعناهم وقفوا عن طلب العلم ، وإن رخَّصنا لهم حصَّلوا العلمَ ، وتحصيلُ العلمِ أفضلُ .

وكان يقول : (لأَنْ أَرُدَّ درهماً من شُبهةٍ أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بست مئة ألف ألف) .

وقيل له : ما التواضع ؟ قال : التكبُّرُ على الأغنياء .

وبلغ ابنَ المبارك عن إسماعيل بنِ عُليّة : أنه قد ولي الصدقات ، فكتب إليه ابنُ المبارك[١] : [من السريع]

يا جاعلَ العلمِ لهُ بَازِياً ... يصطادُ أموالَ السَّلاطينِ

احتلتَ للدُّنيا ولذَّاتِها ... بحِيلةٍ تذهبُ بالدِّينِ

فصِرْتَ مجنوناً بهَا بعدَما ... كنتَ دواءً للمجانينِ

أينَ رواياتُكَ والقولُ فِي ... لزومِ أبوابِ السلاطينِ

إنْ قلتَ أُكرِهتُ فمَا هكذَا ... زَلَّ حمارُ الشيخِ فِي الطينِ

وذُكِرَ لعبد الله ما كانَ عليه يوسفُ بنُ أسباط من العبادة ، فقال : لقد ذكرتم قوماً يُستسقَىٰ بذكرهم[٢] ، ولٰكن إنْ فعلَ الناسُ جميعُهم ذلك فمَنْ لسُننِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! ومَنْ لعيادةِ المرضىٰ وشهود الجنائز ؟! وعدَّ أنواعاً من القُرب .

وقيل له : كيف تعلمُ الملائكةُ أنَّ الإنسان قد همَّ بحسنةٍ ؟ فقال رضي الله عنه : يجدون ريحَها .

وكان يقول : (عجبتُ لطالب العلم ، كيف تدعوه نفسُه إلىٰ محبَّةِ الدُّنيا مع إيمانه بما حملَ من العلم ؟!) .

وكان يقول : (إنَّ الرحمةَ تنزلُ عند ذكر الصالحين) .

ورجع رضي الله عنه من مرو إلى الشام في ردِّ قلمٍ كان استعارَهُ ، ونسيَهُ في رحله .

---

(١) انظر ديوانه (ص ٣٣) .

(٢) في (و) وحدها : (يُشتفىٰ) .

وكان يقول : (كادَ الأدبُ أن يكونَ ثُلثَي الدِّين) .

وكان قليلَ الخلاف على أصحابه ، وينشد[1] : [من الرمل]

وإذَا صاحبتَ فأصحبْ ماجداً ذَا عفــافٍ وحيــاءٍ وكــرمْ
قــولُــهُ للشــيءِ لا إنْ قلــتَ لا وإذَا قلــتَ نعــمْ قــالَ نعــمْ

وكان يقول : (على العاقلِ ألا يستخفَّ بثلاثةٍ : العلماءِ ، والسلطانِ ، والإخوانِ ؛ فإنَّ منِ استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرتُهُ ، ومنِ استخفَّ بالسلطان ذهبت دنياه ، ومنِ استخفَّ بالإخوان ذهبت مروءتُهُ) .

وكان يقول : (لا يقلْ أحدُكم : ما أجرأ فلاناً على الله تعالىٰ ! فإنَّ اللهَ تعالىٰ أكرمُ من أن يُجترأَ عليه ، ولكن ليقلْ : ما أغرَّ فلاناً بالله !) .

وكان يقول : (مجامرُ الرجال في اللِّحىٰ والأكمام ، ومجامرُ النِّساء تحت القميص) .

وكان يقول : (ليس من الدنيا قوتُ اليوم فقط) .

وكان يقول : (ما أودعتُ قلبي شيئاً قطُّ فخانني) .

وكان ينشدُ إذا ودَّع شخصاً : [من الطويل]

وهَــوَّنَ وَجْــدِي أنَّ فُــرْقــةَ بينِنــا فِــراقُ حيــاةٍ لا فِــراقُ ممــاتِ

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يُخرِجُ العبدَ عن الزهد إمساكُ الدنيا ليصونَ بها وجهَهُ عن سؤال الناس) .

وقيل له : إن شيبانَ يزعمُ أنَّك مُرجئٌ ، فقال : كذبَ شيبان ، أنا خالفتُ المرجئةَ في ثلاثة أشياء ؛ فإنَّهم يَزعمون أنَّ الإيمانَ قولٌ بلا عمل ، وأنا أقول : هو قولٌ وعمل ، ويزعمون أنَّ تاركَ الصلاة لا يكفرُ ، وأنا أقول : إنه يكفر ، ويزعمون أن الإيمانَ لا يزيدُ ولا ينقص ، وأنا أقول : إنه يزيد وينقص .

تُوفي رضي الله عنه سنة إحدىٰ وثمانين ومئة ، ودُفن بهيت ـ مدينةٍ معروفة على

(١) الأبيات لابن الأعرابي . انظر « الأمالي » (٢/ ١٨٢) .

الفرات ـ لما رجعَ من الغزو ، وكانت إقامتُه بخُراسان ، رضي الله عنه ، ومولده سنة ثمان عشرة ومئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٠١) عبد العزيز بن أبي رَوَّاد رضي الله عنه[١]

ذهب بصرُهُ[٢] عشرين سنة ، فلم يَعلمْ به أهلُه ولا ولده .

وقال شعيب بنُ حرب : (جلستُ إلى عبد العزيز خمس مئة مجلس ، ما أحسبُ أنَّ صاحبَ الشمالِ كتبَ عليه شيئاً) .

وقال يوسف بنُ أسباط : (مكث عبدُ العزيز أربعين سنة لم يرفعْ طرفَهُ إلى السماء) .

وقيل له : كيف أصبحت ؟ فبكىٰ ، فقيل له في ذلك ، فقال : كيف حالُ مَنْ هو في غفلةٍ عظيمة عن الموت ، مع ذنوبٍ كثيرةٍ قد أحاطت به ، وأجلٍ يُسرعُ كلَّ ساعةٍ في عمره ، ولا يدري أيصيرُ إلىٰ جنةٍ أم إلىٰ نار ؟!

تُوفي رضي الله عنه بمكة سنة تسعٍ وخمسين ومئة .

ومنهم :

(١٠٢) أبو العباس بن السمَّاك رضي الله عنه[٣]

كان يقول : (من شرطِ الزاهدِ أن يفرحَ بتحويل الدنيا عنه) .

وكان يقول : (قد صُمَّتِ الآذانُ في زماننا هـٰذا عن المواعظِ ، وذهلتِ القلوبُ عن المنافع ، فلا الموعظةُ تنفع ، ولا الواعظُ ينتفع) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/ ٤٩٣) ، و« حلية الأولياء » (٨/ ١٩١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧/ ١٨٤) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٤٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٥١) (٩٨) .

(٢) جاء في « طبقات المناوي » (١/ ٣٤٤) : (قال له ابنه : يا أبتِ ذهبت عينُك ؟ فقال : نعم يا بني ، الرضا عن الله أذهب عينَ أبيك) .

(٣) هو محمد بن صبيح ، وانظر ترجمته في : « حلية الأولياء » (٨/ ٢٠٣) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٣٣ ، ٤/ ١٤٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٥٢) (٩٩) .

وكان يقول : (يا أخي ؛ هبْ أنَّ الدنيا كلَّها في يديك ، فانظر ما في يديك منها عند الموت) .

وكان يقول : (كم من مذكِّرٍ لله تعالىٰ وهو له ناس ! وكم من داعٍ إلى الله تعالىٰ وهو فارٌّ من الله تعالىٰ ! وكم من تالٍ لكتاب الله تعالىٰ وهو مُنسلخٌ من آيات الله تعالىٰ !) .

تُوفي رضي الله عنه بالكوفة سنة ثلاثٍ وثمانين ومئة .

ومنهم :

(١٠٣) أبو عبد الرحمٰن محمد بن النضر الحارثي رضي الله عنه[1]

كان كثيرَ العبادةِ .

راقبه شخصٌ أربعين يوماً وليلةً فما رآه نائماً لا ليلاً ولا نهاراً .

وقال يوسف بنُ أسباط : (شهدتُ غُسل أبي عبد الرحمٰن حين ماتَ ، فلو أُخرجَ كلُّ لحمٍ عليه ما بلغَ رطلاً) .

وشغلته العبادةُ عن الرواية ، فكان إذا ذَكَرَ الآخرة اضطربت مفاصلُهُ ، ويقول : يا سلام ؛ سَلِّم ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٠٤) محمد بن يوسف الأصفهاني رضي الله عنه[2]

كان ابنُ المبارك رضي الله عنه يُسمِّيه عروسَ العُبَّاد والزُّهَّاد .

وكان يقول لنفسه : (هَبْ أنك قاض ، فكان يكونُ ماذا ؟! هَبْ أنك عالم ، فكان

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٨/ ٢١٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/ ١٥٦) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٣٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٥٢) (١٠٠) .

(٢) انظر « حلية الأولياء » (٨/ ٢٢٥ ، ١٠/ ٣٨٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ١٢٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٤٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٥٣) (١٠١) .

يكون ماذا ؟! هَبْ أنك مُحدِّثٌ ، فكان يكون ماذا ؟! الأمرُ من وراء ذلك) .

وكان إذا رأىٰ نصرانياً أكرمَهُ وأضافه وأتحفه ، يبتغي بذلك مَيلَهُ إلى الإسلام .

وكان رضي الله عنه يقول : (ذهبَ أصحابُنا إلىٰ رحمة الله تعالىٰ ، ودُفعنا نحن إلىٰ حُشوش هٰذه الدنيا) .

وبعثوا إليه بمالٍ ليفرِّقَه فأبىٰ ، وقال : السلامةُ مقدَّمة .

وكان رضي الله عنه لا ينامُ الليل لا شتاءً ولا صيفاً ؛ لٰكن يتمدَّدُ بعد طلوعِ الفجر ساعةً ، ثم يقومُ ويتوضأ ، وكان إذا أصبحَ كأنَّ وجهَهُ وجهُ عروس .

توفي رضي الله عنه وهو ابن نيِّفٍ وثلاثين سنة ، في سنة أربعٍ وثمانين ومئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٠٥) يوسف بن أَسباط رضي الله عنه[1]

كان يقول : (غايةُ التواضع أن تخرجَ من بيتك فلا ترىٰ أحداً إلا رأيتَ أنَّه خيرٌ منك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو أنَّ شخصاً تركَ الدُّنيا كما تركها أبو ذرٍّ وأبو الدرداء ما قلتُ له زاهداً ؛ وذلك لأن الزُّهدَ لا يكونُ إلا في الحلالِ المحض ، والحلالُ المحضُ لا يُعرف اليوم) .

وأقام أربعين سنة ليس له إلا قميصان ، إذا غسلَ أحدَهما لبس الآخر .

وكان يعمل الخُوصَ بيده ، ويتقوَّتُ حتىٰ مات رضي الله عنه .

ومرض مرَّةً ، فأتوه بطبيبٍ من أطباء الخليفة وهو لا يعلمُ ، فلما أرادَ الانصراف أعلموه ، فقال له : ما عادتُهُ ؟ فقالوا : دينار ، فقال : أعطوه هٰذه الصُّرَّةَ ، ففتحوها

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٨/ ٢٣٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ١٦٩) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٨٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٥٣) (١٠٢) .

فإذا فيها خمسةَ عشرَ ديناراً ، فقال : إنَّما فعلتُ ذلك لئلا يعتقدَ أن الخليفةَ أكبرُ مروءةً من الفقراء .

وكان يقول : (ما أحسبُ أنَّ أحداً يفرُّ من الشرِّ إلا وقعَ في أشرَّ منه ؛ فاصبروا حتىٰ يُحوِّلَه اللهُ تعالىٰ عنكم بفضله) .

وكان يقول : (من قرأَ القرآنَ ثم مالَ إلىٰ محبَّةِ الدنيا فقدِ اتَّخذ آياتِ الله هزواً) .

وكان يقول : (العَالِمُ يَخشىٰ أن يكونَ خيرُ أعماله أضرَّ عليه من ذنوبه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (دخلتُ المَصِّيصَةَ ، فأقبل أهلُها عليَّ ، فما وجدتُ قلبي إلا بعد سنتين)[1] .

توفي سنة نيِّفٍ وتسعين ومئة ، وليس علىٰ جسمه أوقيةُ لحم ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٠٦) حُذيفة المَرْعَشي رضي الله عنه[2]

كان رضي الله عنه يقول : (واللهِ ؛ لو قالَ لي إنسانٌ : واللهِ ؛ ما عملُكَ عملَ من يُؤمن بيوم الحساب . . لقلتُ له : صدقتَ ، فلا تُكفِّرْ عن يمينك) .

وكان يقول : (إن لم تخف أن يعذِّبَكَ اللهُ علىٰ خيرِ أعمالك ، فأنت هالكٌ) .

وكان يقول : (لولا أخشىٰ أن أتصنَّع لأخي فلان لاجتمعتُ به ، ولـٰكن بلِّغوه عني السلام) .

وكان يقول : (لا أعلمُ شيئاً من أعمالِ البرِّ أفضلَ من لزوم المرء بيتَهُ ، ولو كانت لي حيلةٌ في عدم الخروج إلىٰ هـٰذه الفرائض تُخلِّصني لفعلت) .

توفي رضي الله عنه سبع ومئتين ، رضي الله عنه .

---

(١) **المَصِّيصةُ** بالفتح ثم الكسر والتشديد : مدينة علىٰ شاطئ جيحان من ثغور الشام ، بين أنطاكية وبلاد الروم ، تقارب طرسوس . « معجم البلدان » (٥/ ١٤٤) .

(٢) انظر « حلية الأولياء » (٨/ ٢٦٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ٢٨٣) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢٦٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٥٥) (١٠٣) .

ومنهم :

(١٠٧) اليمان أبو معاوية الأسود رضي الله عنه(١)

كان يقول : (كلُّ إخواني خيرٌ منِّي ؛ لأنهم كلَّهم يَرون لي الفضلَ عليهم) .

وكان يقول : (يقبُحُ على حاملِ القرآن أن يسعى في تحصيلِ أقلَّ من جناح بعوضة ، أو يُزاحم عليها) .

وكان قد ذهبَ بصرُهُ ، فكان إذا أرادَ أن يقرأَ في المصحف ردَّ اللهُ عليه بصرَهُ ، فإذا ردَّ المصحفَ ذهبَ بصرُهُ .

واستطال شخصٌ في عِرضه ، فمنعه الناس ، فقال : دعوه يشتفي ، ثم قال : اللهم ؛ اغفرْ لي الذنبَ الذي سلَّطْتَ به عليَّ هـٰذا .

وكان يلتقطُ الخرقَ من المزابل ، ويغسلُها ، ثم يُطبِّقُها على بعضها ، ويسترُ بها عورتَه ، ويقول : أمامنا اللبسُ إن شاء الله في دارِ البقاء ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٠٨) [سَلْم] بنُ ميمون الخوَّاص رضي الله عنه(٢)

مات بطبرية رضي الله عنه .

كان رضي الله عنه يقول : (كنتُ أقرأُ القرآنَ فلا أجدُ له حلاوةً ، فقلتُ لنفسي : اقرئيه كأنك تَسمعينه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت حلاوتُهُ ، ثم أردتُ زيادةً ، فقلتُ : اقرئيه كأنَّكِ تسمعينه من جبريل عليه السلام يَنزلُ به على النبيِّ صلى الله

(١) انظر « حلية الأولياء » (٨/ ٢٣٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ١٦٩) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٨٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ١٥٥) (١٠٤) .

(٢) في النسخ (مسلم) والمثبت من مصادر ترجمته . انظر « حلية الأولياء » (٨/ ٢٧٧) (سالم) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/ ١٦٠) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ٣٣١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ١٥٦) (١٠٥) .

عليه وسلم ، فزادت حلاوتُهُ ، ثم قلت : اقرئيه كأنكِ تسمعينه من ربِّ العالمين ، فجاءت الحلاوةُ كلُّها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من طلبَ الحلالَ لم يجد رغيفاً كاملاً يُخرجه لضيف) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٠٩) أبو عُبيدة الخوَّاص رضي الله عنه[١]

كتب مرَّةً إلىٰ إخوانه : إنَّكم في زمانٍ قلَّ فيه الورعُ ، وحملَ العلمَ فيه مُفسدوه ، وأحبُّوا أن يُعرفوا بحمله ، وكرهوا أن يُعرفوا بإضاعة العمل به ، فنطقوا فيه بالرأي ؛ ليزيِّنوا ما دخلوا فيه من الخطأ[٢] ، فذنوبهم ذنوبٌ لا يُستغفر منها .

ومكث رضي الله عنه سبعين سنة لم يرفع بصرَهُ إلى السماء حياءً من الله عز وجل .

وكان لا يستطيع أن يقرأَ سورة القارعة ، ولا أن تُقرأَ عليه ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١١٠) أبو بكر بن عيَّاش رضي الله عنه[٣]

كان رضي الله عنه يقول : (مسكينٌ محبُّ الدنيا ، يسقطُ منه درهمٌ فيظلُّ نهارَهُ يقول : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، وينقصُ عمرُهُ ودينُهُ ولا يحزنُ عليه) .

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٨/ ٢٨١) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ٣٦٣) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢٢٣) ، واسمه : عبَّاد بن عبَّاد ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٥٦) (١٠٦) .

(٢) في (و) وحدها : (الخطايا) بدل (الخطأ) .

(٣) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ٣٨٦) ، و« حلية الأولياء » (٨/ ٣٠٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/ ٤٩٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢١٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٥٧) (١٠٧) .

وكان يقول : (أدنىٰ ضررِ المنطق الشهرةُ ، وكفىٰ بها بليةً) .

وكان زاهداً ورعاً .

وكان رضي الله عنه يقول : (رأيتُ عجوزاً مشوَّهةً حدباءَ ، تُصفِّقُ بيديها ، وحواليها خلقٌ يتبعونها ويصفِّقون ، فلما حاذتني أقبلت عليَّ وقالت : آهٍ لو ظفرتُ بك صنعتُ بك ما صنعتُ بهـٰؤلاء) ، ثم بكىٰ .

وكان يقول : (ختمت ثمانيةَ عشر ألف ختمة ، وأودُّ لو كانت سبباً للصفحِ عن زلَّةٍ واحدة وقعتُ فيها) .

توفي رضي الله عنه سنة ثلاث وتسعين ومئة ، وله ثلاث وتسعون سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١١١) أبو علي [الحسن] بن يحيى الخشني رضي الله عنه[1]

كان رضي الله عنه يقول : (ما في جهنَّمَ من دارٍ ، ولا مغارٍ ، ولا قيدٍ ، ولا غُلٍّ ، ولا سلسلةٍ إلا واسمُ صاحبها مكتوبٌ عليها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من حكمة لقمان : لا يطأْ بساطَكَ إلا راغبٌ ، أو راهبٌ ، فأما الراهبُ منك فأدنِ مجلسَه ، وتهلَّلْ في وجهه ، وإيَّاكَ والغمزَ من ورائه ، وأما الراغبُ فيك فأظهرْ له البشاشةَ مع صفاءِ الباطن ، وابذلْ له النوافلَ قبل السؤال ؛ فإنك متىٰ ألجأتَهُ إلى السُّؤال أخذتَ من حرِّ وجهه ضعفَي ما أَعطيته) ، رضي الله عنه .

---

(١) في النسخ : (الحسين بن يحيى النخشبي) ، والمثبت من مصادر ترجمته . انظر « حلية الأولياء » (٨/٣١٨) ، و« تاريخ دمشق » (١٤/٣) ، و« تهذيب الكمال » (٦/٣٣٩) ، و« طبقات المناوي » (٤/٢٥٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/١٥٧) (١٠٨) .

ومنهم :

(١١٢) وكيع بن الجراح رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه يقول : (الزهدُ لا يكون إلا في الحلالِ ، والحلالُ قد فُقِدَ ، فأنزلِ الدنيا بمنزلة الميتةِ ، وخذ منها ما يُقيمك ، فإن كانت حلالاً كنتَ قد زهدتَ فيها ، وإن كانت حراماً كنتَ أخذتَ منها ما يقيمُك ؛ لأنه هو الذي يحلُّ لك منها ، وإن كانت شُبهاتٍ كان عتابُها يَسيراً) .

قلت : وقوله : (قد فُقِدَ) أي بالنظرِ لحاله ومقامه ؛ فإنهم كانوا يعدُّون التفتيشَ لعاشرِ يدٍ قبله واجباً ، ومن لم يُفتِّشْ لعاشرِ يدٍ لا يأكلون له طعاماً ، والله تعالىٰ أعلم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (طريقُ الله تعالىٰ بضاعةٌ لا يرتفعُ فيها إلا صادقٌ) .

وكان يصومُ الدَّهرَ ، ويختمُ القرآن كلَّ ليلةٍ .

وكان إذا آذاه شخصٌ يرفعُ الترابَ علىٰ رأس نفسه ، ويقول : لولا ذنبي ما سُلِّطَ هٰذا عليَّ ، ثم يُكثر من الاستغفار حتىٰ يسكنَ ذلك المؤذي عنه .

ولد رضي الله عنه سنة تسعٍ وعشرين ومئة ، وتُوفي سنة سبعٍ وتسعين ومئة بطريق العراق حين رجع من الحجِّ ، وله ستٌّ وستون سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١١٣) عبد الرحمٰن بن مهدي رضي الله عنه[٢]

كان رضي الله عنه يختمُ القرآنَ كلَّ ليلةٍ ، ويتهجَّدُ بنصفِ القرآن .

وكان إخوانُه إذا جلسوا عنده كأنما علىٰ رؤوسهم الطير ، وضحك واحدٌ منهم في

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/ ٣٩٤) ، و« حلية الأولياء » (٨/ ٣٦٨) ، و« تاريخ دمشق » (٢٦/ ٢٩٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ١٤٠) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٧٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٥٨) (١٠٩) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٢٩٧) ، و« حلية الأولياء » (٩/ ٣) ، و« تاريخ بغداد » (١٠/ ٢٤٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ١٩٢) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ٤١٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٥٨) (١١٠) .

حلقته يوماً ، فقال : يطلبُ أحدُكم العلمَ وهو يضحك ؟! لا يجلسْ هـٰذا معي شهرين ، فمنعه حضورَهُ شهرين ، ثم استغفرَ ، فقال له : إنَّما يَنبغي طلبُ العلم والعبدُ يبكي ؛ لأنه يُريدُ به إقامةَ الحجَّة علىٰ نفسه ، وقلَّ أن يُريدَ به العمل .

وقام ليلةً إلى الصباح ، ثم رمىٰ بنفسه على الفراش ، فنام من لينِهِ عن صلاة الصبح ، فمنعَ الفراشَ شهرين .

وكان يقول : (لا أغبطُ اليومَ إلا مؤمناً في قبره) .

ولد سنة خمسٍ وثلاثين ومئة ، وتوفي سنة ثمانٍ وتسعين ومئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١١٤) محمد بن أسلم الطُّوسي رضي الله عنه[1]

كان يقول : عليكم باتِّباعِ السواد الأعظم ، قالوا له : مَنِ السَّوادُ الأعظم ؟ قال : هو الرجل العالِمُ ، أو الرجلان المتمسِّكان بسُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقته ، وليس المراد به مُطلقَ المسلمين ، فمن كان مع هـٰذا الرجل أو الرجلين وتَبِعه فهو الجماعة ، ومن خالفَهُ فقد خالفَ أهلَ الجماعة .

وكان يُخفي عملَه التطوع ، ويقول : لو أَمكنني أن أُخفيه عن الملكين لفعلتُ .

وكان إذا دخلَ دارَه يبكي حتىٰ يَرحمَهُ أولاده ، فإذا خرجَ غسلَ وجهَهُ واكتحلَ .

وكان يَخرجُ بصدقته بالليل وهو متلثِّمٌ لا يعرفُهُ أحدٌ .

وكان يأكلُ الشعيرَ الأسودَ ، ويقول : إنه يصيرُ إلى الكنيف ؛ يعني : البطن .

وكان يقول : (لو أن أحدَكم اشترىٰ طعاماً ، وبالغَ في طيب طعمه ورائحته ، ثم ألقاه في الحُشِّ . . لقلتم : هـٰذا مجنون ، وأحدُكم ليلاً ونهاراً يطرحُ ذلك في الحُشِّ ـ يعني : بطنه ـ فلا يضحك علىٰ نفسه ؟!) .

توفي رضي الله عنه سنة ستٍّ وعشرين ومئتين ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٩/٢٣٨) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/٣٤٢) ، و« طبقات المناوي » (١/٦٩٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/١٥٩) (١١١) .

ومنهم :

(١١٥) محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه من العلماءِ العاملين ، تُستنزلُ الرَّحمةُ عند ذكره .

كان صائمَ الدهر ، وجاع حتَّى انتهىٰ أكلُه كلَّ يومٍ إلىٰ تمرةٍ ، أو لوزةٍ ورعاً وحياءً من الله تعالىٰ في تردُّدِهِ إلى الخلاء .

ولد رضي الله عنه ببخارىٰ سنة أربعٍ وتسعين ومئة ، وتُوفي رضي الله عنه ليلة عيد الفِطر سنةَ ستٍّ وخمسين ومئتين ، ودُفن بخَرتَنك ؛ قريةٍ علىٰ فرسخين من سمرقند .

وكان رضي الله عنه يقول : (المادحُ والذامُّ من الناس عندي سواء) .

وكان يقول : (أرجو أن ألقى اللهَ تعالىٰ ولا يُطالبني أني اغتبتُ أحداً) .

وما اشترىٰ شيئاً ولا باعه قطُّ .

وكان ورعاً زاهداً .

كان ينامُ في الظلام ، وربَّما قامَ في الليل نحو العشرين مرة يقدحُ الزناد ويسرج ، ويكتبُ أحاديث ، ثم يضعُ رأسَه .

وكان يُصلِّي كلَّ ليلةٍ آخرَ الليل ثلاث عشرة ركعة ، يوترُ بواحدةٍ منها .

وكان يُصلِّي بأصحابِهِ في ليالي رمضان كلَّ ليلةٍ بثُلثِ القرآن ، ويختمُ كلَّ ثلاث ، ويقول : عند كلِّ ختمٍ دعوةٌ مُستجابة .

وما وضعَ حديثاً في « الصحيح » إلا وصلَّىٰ عقبَهُ ركعتين شُكراً لله عز وجل .

وكان رضي الله عنه يأكلُ من مالِ أبيه ؛ لكونه حلالاً ، وكان أبوه يقول : ما أعلمُ من مالي درهماً حراماً ولا شُبهةً .

ومناقبُهُ كثيرة مشهورة ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (٢/٤) ، و« تاريخ دمشق » (٥٢/٥٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/٣٩١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/٢١٢) ، وسترد ترجمته ثانية (٢/٥٢٧) (٤٣٨) ، و« الطبقات الوسطىٰ » (٣/١٦٠) (١١٢) ، (٤/٤٦٦) (٥٧٤) .

ومنهم :

(١١٦) يزيد بن هارون الواسطي رضي الله عنه[١]

قال أحمد بن سنان : (ما رأيتُ عالماً قطُّ أحسنَ صلاةً منه ، كان يقومُ كأنَّه أُسطوانة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من طلبَ الرِّياسةَ في غيرِ أوانها حُرِمَها وقتَ أوانها) .

وكان إذا صلَّى العشاءَ لا يزالُ قائماً يُصلِّي حتى الغداة نيفاً وأربعين سنة .

وكانت عيناه جميلتين ، فلم يزل يبكي حتىٰ ذهبت إحداهما ، وعمشتِ الأخرىٰ .

وقال له مرة إنسانٌ : أين تلك العينان الجميلتان ؟ فقال : ذهبَ بهما بكاءُ الأحزان في الأسحار .

توفي رضي الله عنه سنة ستٍّ ومئتين ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١١٧) يونس بن عُبَيْد رضي الله عنه[٢]

كان رضي الله عنه يقول : (يُعرفُ ورعُ الرجلِ في كلامِهِ إذا تكلَّمَ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (البرُّ كلُّه قد يشوبُهُ شيءٌ ، إلا ما كان من حفظ اللسان ؛ فإنَّه من البرِّ ، ولا يشوبُهُ شيءٌ ؛ وذلك لأنَّ الرَّجلَ قد يُكثرُ الصلاة والصيام ويفطر على الحرام ، ويقومُ الليل ويرائي بذلك ، ويقعُ في اللغو وشهادة الزور ، وإذا حفظَ لسانَهُ أرجو أن يبرَّ عملُه كلُّه) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٣١٤) ، و« تاريخ بغداد » (١٤/ ٣٣٧) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ١٦٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ٣٥٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٦١) (١١٣) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها (١/ ١٨٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٦٢) (١١٤) .

وكان يقول : (لو أني وجدتُ دِرهماً من حلال لاشتريتُ به بُرّاً ، ثم جعلتُهُ سويقاً ، ثم سقيته للمرضىٰ ، فكلُّ مريضٍ شربَ شيئاً شفاه اللهُ عز وجل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (خصلتان إذا صلحتا من العبدِ صلحَ ما سواهما ؛ أمرُ صلاته ولسانه) .

وكان يقول : (لا يزال العبد بخيرٍ ما دام يبصرُ ما يُفسدُ عمله) .

وكان يقول : (ما صلحَ لسانُ أحدٍ إلا وصلحَ سائرُ عمله) .

وكان يقول : (إني لأعرفُ مئةَ خصلةٍ من البرِّ ، ما فيَّ خصلةٌ واحدةٌ منها) .

توفي رضي الله عنه سنة تسعٍ وثلاثين ومئة .

ومنهم :

(١١٨) عبد الله بن عون رضي الله عنه[١]

قال بكّارُ رحمه الله تعالىٰ[٢] : كان ابنُ عون يقول : (لا ينبغي للعاقلِ أن يُعاتبَ أحداً في زماننا هـٰذا ؛ فإنه إنْ عاتبه أعقبَهُ بأشدَّ مما عاتبه عليه) .

وكان ابنُ بكّار[٣] يقول : (ما رأيتُ ابنَ عون يُمازحُ أحداً قطُّ ؛ لشُغله بنفسه وبما هو صائرٌ إليه) .

وكان رضي الله عنه إذا صلَّى الغداة جلسَ في مجلسه مُستقبلَ القبلة يذكرُ الله عز وجل إلىٰ طلوع الشمس ، ثم يُقبلُ علىٰ أصحابه .

وكان مالكاً للسانه ، يصومُ يوماً ، ويفطرُ يوماً .

وكان طيِّبَ الريح ، حسنَ الملبس ، وكان يخلو في بيته صامتاً متفكِّراً .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٢٦١) ، و« حلية الأولياء » (٣/ ٧٣) ، و« تاريخ بغداد » (١٠/ ٣٤) ، و« تاريخ دمشق » (٣١/ ٣٢٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/ ٣٦٤) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٤٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٦٢) (١١٥) .

(٢) هو : بكار بن محمد السيريني .

(٣) هو : محمد بن بكار .

وما دخل حماماً قطُّ .

وكان يكره أن يطَّلعَ أحدٌ علىٰ شيءٍ من أعماله وأخلاقه الحسنة .

وكان يرىٰ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كثيراً .

وكان ابنُ مهدي رضي الله عنه يقول : (صحبتُ عبد الله بنَ عون أربعاً وعشرين سنةً فما أعلمُ أنَّ الملائكةَ كتبت عليه خطيئةً واحدة) .

وكان باراً بوالدته ، لم يأكلْ معها قطُّ في وعاء ، فقيل له في ذلك ، فقال : أخافُ أن يسبقَ بصرُها إلىٰ لقمةٍ ، فآخذها .

ودعته أمُّهُ يوماً في حاجةٍ ، فأجابها برفعِ الصوت ، فأعتقَ ذلك اليوم رقبتين كفَّارةً لرفعِ صوته علىٰ صوتها .

وكان له دورٌ كثيرةٌ يُبيحها للسكان ، ولا يُكريها لأحدٍ من المسلمين ؛ خشيةَ أن يروِّعَهم عند طلب الأجرة .

توفي رضي الله عنه سنة إحدىٰ وخمسين ومئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١١٩) أبو عبد الله الصُّوري رضي الله عنه[1]

كان رضي الله عنه يقول : (أعمالُ الصادقين بالقلوب ، وأعمال المرائين بالجوارح) .

وكان رضي الله عنه يقول : (في القلب وجعٌ لا يُبرئُه إلا حبُّ الله تعالىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من ألزمَ نفسه شيئاً لا يحتاجُ إليه ضيَّعَ من أحواله ما يَحتاجُ إليه) .

---

(١) وهو : محمد بن المبارك أبو عبد الله الصوري ، وانظر ترجمته في « حلية الأولياء » (٩/٢٩٨) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/٤٣٥) ، و« تاريخ دمشق » (٥٥/٢٢٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٠/٣٩٠) ، و« طبقات المناوي » (١/٣٥٤ ، ٧١٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/١٦٣) (١١٦) .

وكان يقول : (إذا لم تنتفع بكلامك كيف يَنتفعُ به غيرُك ؟!) .

وكان يقول : (من تهاونَ بالسُّنن ابتُلي بالبدع) .

وكان يقول : (مَنِ ادَّعىٰ أنه من أهل الطريق ضعفَ عن فعل آدابها ، ولم يمتْ حتىٰ يفتضحَ ، ومن مَحا اسمَه من أهلها لم يمتْ حتىٰ تُشدَّ إليه الرِّحالُ) .

وكان يقول : (كم من يُضمر دعوى العبودية ولا تظهرُ عليه إلا أوصافُ الرُّبوبية) .

وكان يقول : (من أعظمِ أخلاق الرجال أن يَسلمَ الناسُ من سوء ظنِّك) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٢٠) عبد الله بن عبد العزيز العُمَري رضي الله عنه[1]

كان رضي الله عنه مُتعبِّداً يسكنُ المقابر ، وكان تاركاً لمجالسةِ الناس ، ويقول : (ما رأيتُ أوعظَ من قبرٍ ، ولا أَسلمَ للدِّين من الوحدة) .

وكان يقول : (من غفلتِكَ عن الله تعالىٰ أن تمرَّ علىٰ ما يُسخطُ الله عز وجل فلا تنهىٰ عنه خوفاً من الناس ، ومَنْ تركَ الأمرَ بالمعروف خوفاً من المخلوقين نُزِعَتْ منه هيبةُ الله عز وجل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إن الرجلَ ليُسرفَ في ماله ، فيستحقَّ الحَجْرَ عليه ، فكيف بمن يسرفُ في أموال المسلمين ؟!) .

توفي رضي الله عنه بالمدينة ، سنةَ أربعٍ وثمانين ومئة ، وهو ابنُ ستٍّ وستين سنة ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٨/ ٢٨٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/ ٣٣١) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٥٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٦٤) (١١٧) .

ومنهم :

(١٢١) أبو إسحاق إبراهيم الهروي رضي الله عنه[١]

صحب إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه .

وكان من أهلِ التوكُّلِ والتجريد .

توفي رضي الله عنه بقزوين .

وكان أهلُ هَراة يعظِّمونَه ، وحجَّ متجرِّداً ، فكان من دعائه في تلك الحجة : اللهم ؛ اقطعْ رزقي من أموال أهل هراة ، وزهِّدْهم فيَّ .

وكان بعد رجوعه من الحجِّ يأتي عليه الأيامُ الكثيرة لا يطعمُ فيها شيئاً ، فإذا مرَّ بسوقِ هراة سبُّوه ، وقالوا : إنَّ هـٰذا يُنفقُ في كلِّ يومٍ وليلةٍ كذا كذا درهماً .

وكان يقول : (أقمتُ في البادية لا آكلُ ولا أشرب ولا أَشتهي شيئاً ، فعارضتني نفسي أنَّ لي مع الله عز وجل حالاً ، فلم أشعرْ أن كلَّمني رجلٌ عن يميني فقال : يا إبراهيم ؛ تُرائي اللهَ عز وجل في سرِّك ، ثم قال لي : أَتدري كم لي ها هنا لم آكل ، ولم أشرب ، ولم أشته شيئاً ، وأنا زَمِنٌ مَطروحٌ ؟ قلت : الله أعلم ، قال : ثمانين يوماً ، وأنا أستحيي من الله عز وجل أن يقعَ لي خاطرُك ، ولو أقسمتُ على الله تعالىٰ أن يجعلَ لي هـٰذا الشجرَ ذهباً لفعل ، فكان ذلك تنبيهاً لي) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٢٢) أبو نُعَيْم الأصفهاني رضي الله عنه[٢]

صاحب « الحلية » ، و« الطبقات » ، وغيرِهما .

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (١٠/ ٤٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٢٧٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٠٦ ، ٤/ ٩٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٦٥) (١١٨) .

(٢) **أحمد بن عبد الله** . انظر ترجمته في « وفيات الأعيان » (١/ ٩١) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٤٥٣) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ٢١١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٦٥) (١١٩) .

ولد رضي الله عنه سنةَ ستٍّ وثلاثين وثلاث مئة ، وتُوفي بأصفهان سنة ثلاثين وأربع مئة ، عن أربعٍ وتسعين سنة .

أخرجه أهلُ أصفهان ، ومنعوه من الجلوسِ في الجامع ، فتولَّىٰ علىٰ أصفهان السلطان محمود بن سُبُكْتِكين[1] ، وولَّىٰ عليهم والياً من قِبَله ، ورحلَ عنها ، فوثبَ أهلُ أصفهان ، وقتلوه ، فرجع محمودٌ إليها ، وأمَّنهم حتى اطمأنُّوا ، ثم قتلهم حتىٰ أتىٰ علىٰ أكثر من نصفهم ، وكانوا يعدُّون ذلك من كراماتِ أبي نُعَيْم رضي الله عنه .

وأملىٰ كتابه « الحلية » من صدره بعد أن نيَّفَ على الثمانين سنة رضي الله تعالىٰ عنه .

* * *

(١) محمود بن سُبُكْتِكين (٣٦١ـ٤٢١) : فاتح الهند ، وأحد كبار القادة ، امتدت سلطنتُهُ من أقاصي الهند إلىٰ نيسابور ، قاتل الترك والسامانيين ، كان حازماً ، صائب الرأي ، فصيحاً بليغاً ، يجالس العلماء ، ويحثُّهم علىٰ تأليف الكتب . « الأعلام » (٧/ ١٧١) .

ذكر جماعة من عبّاد النّساء
رضي الله عنهنّ

فمنهنَّ :

(١٢٣) معاذة العدوية رضي الله عنها[١]

كانت إذا جاءَ النهار قالت : هـٰذا يومي الذي أَموتُ فيه ، فما تنامُ حتىٰ تُمسي ، وإذا جاء الليلُ قالت : هـٰذه ليلتي التي أموتُ فيها ، فلا تنام حتىٰ تُصبح .

وكانت إذا غلبها النومُ قامت ، فجالت في الدار وهي تقول : يا نفسُ ؛ النومُ أمامك ، ثم لا تزال تدورُ في الدار إلى الصباح ، تخافُ الموتَ علىٰ غفلةٍ ونومٍ .

وكانت تُصلِّي في اليوم والليلة ست مئة ركعة .

ولم ترفعْ بصرَها إلى السماء أربعين عاماً .

ولما ماتَ زوجُها لم تتوسَّد فراشاً حتىٰ ماتت[٢] .

أدركتْ مُعاذة رضي الله عنها عائشة رضي الله عنها ، وروت عنها[٣] .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٨/ ٤٨٣) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ٢٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٥٠٨) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٦٥) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٦٧) (١٢٠) .

(٢) **زوجها** : صلة بن أشيم العدوي التابعي ، تقدمت ترجمته (١/ ١٨٥) (٤٦) .

(٣) قال الذهبي في « السير » (٤/ ٥٠٩) : (وحديثها محتجٌّ به في الصحاح) .

ومنهن :

(١٢٤) رابعة العدوية رضي الله عنها[١]

كانت رضي الله عنها كثيرةَ البكاءِ والحزن .

وكانت إذا سمعت ذكرَ النار غُشي عليها زماناً .

وكانت تقول : (استغفارُنا يحتاج إلى استغفار) .

وكانت تردُّ ما أعطاه الناسُ لها وتقول : (ما لي حاجةٌ بالدنيا) .

وكانت بعد أن بلغت ثمانين سنة كأنَّها شَنٌّ بال ، تكادُ تسقطُ إذا مشت .

وكان كفنُها لم يزل موضوعاً أمامها .

وكان موضع سجودِها كهيئةِ الماءِ المستنقع من دموعها .

وسمعتْ رضي الله عنها سفيانَ يقول : وا حزناه ، فقالت له : قل : وا قلَّة حزناه ، فلو كنتَ حزيناً ما هَنأَك العيشُ .

ومناقبُها كثيرةٌ مشهورة ، رضي الله عنها .

ومنهن :

(١٢٥) ماجدة القرشية رضي الله عنها[٢]

كانت رضي الله عنها تقول : (ما حركةٌ تُسمعُ ، ولا قدمٌ يُوضع إلا ظننتُ أني أموتُ في أثرها) .

وكانت رضي الله عنها تقول : (يا لها من عقولٍ ما أنقصها ! سكانُ دارٍ أُذِّنوا

---

(١) انظر « ذكر النسوة المتعبدات » (ص ٢٧) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٢٥٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/ ٢١٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢٨٥) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ١٦٧) (١٢١) .

(٢) انظر « صفة الصفوة » (٤/ ٧٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٢٧٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٦٤) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ١٦٨) (١٢٢) .

بالنقلة ، وهم حيارىٰ يَركضون في المهلة ، كأنَّ المرادَ غيرُهم ، والتأذينَ ليس لهم ، والمعنيَّ بالأمر سواهم) .

وكانت رضي الله عنها تقول : (لم ينلِ المطيعون ما نالوا من حلولِ الجنان ورضا الرحمـٰن إلا بتعبِ الأبدان) رضي الله تعالى عنه .

ومنهن :

(١٢٦) السيدة عائشة بنت جعفر الصادق رضي الله عنها[١]

المدفونة بباب قَرافة مصر ، رضي الله عنها .

كانت رضي الله عنها تقول : (وعزَّتِك وجلالك ؛ لئن أدخلتني النارَ لآخذنَّ توحيدي بيدي ، وأدورُ به علىٰ أهل النار ، وأقول لهم : وحَّدتُهُ فعذَّبني) .

توفيت سنة خمسٍ وأربعين ومئة ، رضي الله عنها .

ومنهن :

(١٢٧) امرأة رياح القيسي رضي الله عنها[٢]

كانت رضي الله عنها تقوم الليل كلَّه ، وكانت إذا مضى الرُّبعُ قالت له : قمْ يا رياح فلا يقوم ، فتقوم الربعَ الآخر ؛ نصف الليل ، ثم تقول : قم يا رياح ، فيقول : لا أقوم ، فتقومُ ثلاثة أرباع الليل ، ثم تُناديه : قم يا رياح ، فلا يقوم ، فتقوم الربع الآخر ، ثم تقول : قم يا رياح فقد مضىٰ عسكرُ الليل وأنت نائم ، فليتَ شعري مَنْ غرَّني بك يا رياح ! ما أنت إلا جبارٌ عنيد .

وكانت رضي الله عنها تأخذُ تبنةً من الأرض وتقول : (واللهِ ؛ لَلدنيا أهونُ عليَّ من هـٰذه) .

---

(١) انظر « طبقات المناوي » (١/ ٣٩٠) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٦٩) (١٢٣) .

(٢) انظر « صفة الصفوة » (٤/ ٤٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٢٦٠) ، و« طبقات الأولياء المكرمين » (٢/ ٧٩٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢٣٢) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٦٩) (١٢٤) .

وكانت إذا صلَّتِ العشاءَ تطيَّبت ولبست ثيابَها ، ثم تقول لزوجها : ألك حاجةٌ ؟ فإن قال : لا ، نزعت ثياب زينتها وصلَّتْ إلى الفجر ، رضي الله عنها .

ومنهن :

(١٢٨) فاطمة النيسابورية رضي الله عنها[1]

كان ذو النون المصري رضي الله عنه يقول : (فاطمةُ أستاذتي) .

وكانت رضي الله عنها تقول : (مَنْ لم يراقبِ اللهَ تعالىٰ في كلِّ حالٍ . . فإنه ينحدرُ من كلِّ ميدانٍ ، ويتكلَّمُ بكلِّ لسانٍ ، ومَنْ راقبَ الله تعالىٰ في كلِّ حالٍ . . أخرسَهُ إلا عن الصدقِ ، وألزمَهُ الحياءَ منه ، والإخلاص له) .

وكانت تقول : (من عملَ لله على المشاهدة فهو عارفٌ ، ومن عمل علىٰ مشاهدةِ الله إياه فهو مخلصٌ) .

وكان أبو يزيد يقول عنها : (ما رأيتُ امرأةً مثلَ فاطمة ، ما أخبرتُها عن مقامٍ من المقامات إلا كان الخبرُ لها عياناً) .

ماتت في طريق العُمرةِ بمكة سنة ثلاثٍ وعشرين ومئتين ، رضي الله عنها .

ومنهن :

(١٢٩) رابعة بنت إسماعيل رضي الله عنها[2]

كانت تقومُ من أول الليل إلىٰ آخره .

وكانت رضي الله عنها تقول : (إذا عملَ العبدُ بطاعة الله تعالىٰ أطلعَهُ الجبَّارُ علىٰ

---

(١) انظر « ذكر النسوة المتعبدات » (ص ٩١) ، و« صفة الصفوة » (٤/ ١٢٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٢٧٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٦٩٣) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٦٩) (١٢٥) .

(٢) انظر « ذكر النسوة المتعبدات » (ص ٥٩) ، و« صفة الصفوة » (٤/ ٣٠٠) ، و« تاريخ دمشق » (٦٩/ ١١٧) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٢٥٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/ ٢١٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢٩١) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٧٠) (١٢٦) .

مساوئ عملِه ، فتشاغلَ بها دون خلقه) .

وكانت تصومُ الدهرَ وتقول : (ما مثلي يُفطرُ في الدنيا) .

وكانت تقول لزوجها : (لستُ أحبُّك حبَّ الأزواج ، وإنَّما أحبُّك حبَّ الإخوان) .

وكانت تقول : (ما سمعتُ الأذانَ قطُّ إلا ذكرتُ مُنادي القيامة ، ولا رأيتُ الثلجَ قطُّ إلا ذكرتُ تطايرَ الصُّحف ، ولا رأيتُ حرّاً إلا ذكرتُ الحشر)(١) .

وكانت رضي الله عنها تقول : (ربَّما رأيتُ الجنَّ يذهبون ويجيئون ، وربما رأيتُ الحورَ العين يتسترنَ منِّي بأكمامهن) .

ومناقبها كثيرة ، رضي الله عنها .

ومنهن :

(١٣٠) أم هارون رضي الله عنها(٢)

كانت من الخائفين العابدين .

وكانت تأكلُ الخبزَ وحده .

وكانت تقول : (ما أَنشرحُ إلا بدخولِ الليل ، فإذا طلعَ النهار اغتممتُ) .

وكانت تقوم الليلَ كلَّه وتقول : (إذا جاء السَّحَرُ دخلَ قلبي الروح) .

وخرجت مرَّةً ، فسمعت قائلاً يقول : خذوها ، فوقعتْ مغشيّاً عليها .

وما دهنت رأسَها بدهنٍ منذ عشرين سنة ، وكانت إذا كشفت رأسَها وُجِدَ شعرُها أحسنَ من شعور النساء .

وكانت إذا عرضَ لها الأسدُ في البرية قالت له : (إنْ كان لك فيَّ رزقاً فكلْ ، فيولي راجعاً عنها) ، رضي الله عنها .

---

(١) كذا في النسخ ، وفي مصادر ترجمتها : (جراداً) بدل (حرّاً) .

(٢) انظر « ذكر النسوة المتعبدات » (ص ٦٤) ، و« تاريخ دمشق » (٧٠/٢٦٦) ، و« صفة الصفوة » (٤/٣٠٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/٢٨٨) ، و« طبقات المناوي » (١/٥٥٦) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/١٧١) (١٢٧) .

ومنهن :

(١٣١) عمرة امرأة حبيب رضي الله عنها[١]

كانت تقوم الليل كلَّه ، فإذا جاءَ السَّحَرُ قالت لزوجها : قم يا رجل ، فقد ذهبَ الليلُ ، وجاءَ النهار ، وانقضىٰ موكبُ الملأ الأعلىٰ ، وسارت قوافلُ الصالحين ، وأنت متأخِّرٌ لا تُدركهم .

واشتكتْ من عينيها مرَّةً ، فقيل لها : ما حالُ وجع عينيك ؟ قالت : وجعُ قلبي أشدُّ ، رضي الله عنها .

ومنهن :

(١٣٢) أمة الجليل رضي الله عنها[٢]

كانتْ من العابدات الزاهدات .

واختلفَ مرَّةً العابدون في تعريف الولاية علىٰ أقوال ، فقالوا : امضوا بنا إلىٰ أمة الجليل ، فقالوا لها : ما الذي عندك من تعريف الولاية ؟ فقالت : ساعات الوليِّ ساعاتُ شغلٍ عن الدنيا ، ليس لوليٍّ في الدنيا من ساعة يتفرَّغُ فيها لشيءٍ دون الله عز وجل ، ثم قالت لواحدٍ منهم : من حدَّثكم أنَّ وليّاً لله تعالىٰ له شغلٌ بغيرِ الله تعالىٰ فكذِّبوه ، رضي الله عنها .

ومنهن :

(١٣٣) عَبيدة بنت أبي كُلاَّب رضي الله عنها[٣]

كانت تتردَّدُ إلىٰ مالك بنِ دينار .

---

(١) انظر روض الرياحين ؛ الحكاية (١٩٠) (١/ ٢٣٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٩٣) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٧١) (١٢٨) .

(٢) انظر « صفة الصفوة » (٤/ ٣٧) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٢٣٦) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ٢٢٨) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٧٢) (١٢٩) .

(٣) انظر « ذكر النسوة المتعبدات » (ص ٥٧) ، و« صفة الصفوة » (٤/ ٣٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٢٧٠) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٩١) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٧٢) (١٣٠) .

وسمعت شخصاً يقول : (لا يبلغُ المتَّقي حقيقةَ التقوىٰ حتَّىٰ لا يكونَ شيءٌ أحبَّ إليه من القدوم على الله عز وجل) ، فخرَّتْ مغشياً عليها .

وكانت تقول : (لا أُبالي علىٰ أيِّ حالٍ أَصبحتُ أو أمسيت) .

وكان الناس يقدِّمونها علىٰ رابعة رضي الله تعالى عنها .

ومنهن :

(١٣٤) عُفيرة العابدة رضي الله عنها[١]

دخل عليها العابدون رضي الله عنهم يوماً يَزورونَها ، فقالت لهم : ما شأنُكم ؟ قالوا : نسألُكِ الدعاء ، قالت : لو أنَّ الخاطئين خرسوا ما تكلَّمتْ عجوزُكم من البُكم ؛ ولكنَّ الدُّعاءَ سُنةٌ ، ثم قالت : جعل اللهُ قِراكم من نَبْقِ الجنة[٢] ، وجعلَ ذكرَ الموت مني ومنكم علىٰ بال ، وحفظَ علينا الإيمانَ إلى الممات ، وهو أرحمُ الراحمين .

ومنهن :

(١٣٥) شَعْوانةُ رضي الله عنها[٣]

كانت رضي الله عنها لا تفترُ عن البكاء ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : واللهِ ؛ لوددتُ أن أبكي حتىٰ تنقطعَ دموعي ، ثم أبكي دماً حتىٰ لا يبقىٰ جارحةٌ من جسدي فيها دمٌ .

وكانت تقول : (من لم يستطعِ البكاءَ فليرحم الباكين ؛ فإنَّ الباكي إنَّما يبكي لمعرفته بنفسه ، وبما جنىٰ عليها ، وما هو صائرٌ إليه) .

---

(١) انظر « صفة الصفوة » (٤/ ٣٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٢٧٣) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ٤٤٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٩٢) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٧٢) (١٣١) .

(٢) النَّبْقُ : ثمرة السدر ، ودقيق يخرج من لبِّ جذع النخلة حلو .

(٣) انظر « ذكر النسوة المتعبدات » (ص ٤٤) ، و« صفة الصفوة » (٤/ ٥٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٢٦٤) ، و« روض الرياحين » الحكاية (١٨٩) (٢/ ٢٣٧) ، والحكاية (٤٧٥) (١/ ٤٩٨) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ٤٢٨) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٢٧) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٧٣) (١٣٢) .

وكانت تبكي وتقول : (إلـٰهي ، إنَّك لتعلمُ أنَّ العطشان من حبِّك لا يَروىٰ أبداً) .

وكانت التي تخدمُها تقول : (من منذ وقع بصري علىٰ شعوانةَ ما ملتُ قطُّ إلى الدنيا ببركتها ، ولا استصغرتُ في عيني أحداً من المسلمين) .

وكان الفُضيل بن عياض رضي الله عنه يأتيها ، ويتردَّدُ إليها ، ويسألُها الدعاء ، رضي الله عنها .

ومنهن :

(١٣٦) آمنة الرملية رضي الله عنها[١]

كان بشر بنُ الحارث رضي الله عنه يزورُها .

ومرض بشرٌ مرَّةً ، فعادته آمنة من الرملة ، فبينما هي عنده إذ دخلَ الإمامُ أحمد بنُ حنبل رضي الله عنه يعوده كذلك ، فنظر إلىٰ آمنة رضي الله عنها ، فقال لبشر : من هـٰذه ؟ فقال له بشر : هـٰذه آمنةُ الرملية ، بلغها مرضي ، فجاءت من الرملة تَعودُني ، فقال أحمد لبشر : فاسألها تدعوُ لنا ، فقال لها بشر : ادعي اللهَ لنا ، فقالت : اللهم ؛ إنَّ بشرَ بنَ الحارث ، وأحمدَ بنَ حنبلٍ يستجيران بك من النار ، فأجرْهما يا أرحم الراحمين .

قال الإمام أحمد رضي الله عنه : فلما كان من الليل طُرحتْ إليَّ رقعةٌ من الهواء مكتوبٌ فيها : (بسم الله الرحمـٰن الرحيم قد فعلنا ذلك ، ولدينا مزيد) ، رضي الله عنهم .

ومنهن :

(١٣٧) منفوسة بنت زيد بن أبي الفوارس رضي الله عنها[٢]

كانتْ إذا ماتَ ولدُها تضعُ رأسَه علىٰ حِجرها ، وتقول : واللهِ ؛ لتقدُّمُكَ أمامي خيرٌ عندي من تأخُّرِك بعدي ، ولصبري عليك أولىٰ من جزعي عليك ، ولئن كان فراقُك

---

(١) انظر « صفة الصفوة » (٤/ ٣٠٥) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٢٣٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢٣٠) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٧٣) (١٣٣) .

(٢) انظر « صفة الصفوة » (٤/ ٣٨٧) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٢٨٤) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ٦١٧) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٧٤) (١٣٤) .

حسرةً فإنَّ في توقُّعِ أجرك لخيرةٌ ، ثم تنشد قولَ عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه[١] : [من الطويل]

وإنَّـا لَقـومٌ لا تَفِيـضُ دمـوعُنـا على هالكٍ مِنَّا وإنْ قُصِمَ الظَّهرُ

ومنهن :

(١٣٨) السيدة نفيسة بنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين[٢]

وُلدتْ رضي الله عنها بمكَّةَ ، **وكان مولدُها سنةَ خمسٍ وأربعين ومئة** .

ونشأت في العبادة ، وتزوَّجتْ بإسحاق المؤتمن[٣] ، ورزقت منه بولدين ؛ القاسم ، وأم كلثوم .

وأقامت رضي الله عنها بمصر سبع سنين ، **وتُوفِّيت إلىٰ رحمة الله تعالىٰ سنة ثمانٍ ومئتين** .

وخرج زوجُها من مصر بولديها ؛ القاسمِ ، وأمِّ كلثوم ، ودفنوا بالبقيع علىٰ خلافٍ في ذلك ، قاله ابن الملقن[٤] .

ولما دخلَ الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه مصر كان يتردَّدُ إليها ، ويُصلِّي بها التراويح في رمضان في مسجدها ، رضي الله عنها .

---

(١) انظر « ديوان عمرو بن معدي كرب » (ص ١٠٢) ، ونسبه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٦/ ٦٣) والقالي في « أماليه » (١/ ٢٦٣) لأبي الهيذام المري .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٥/ ٤٢٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٠/ ١٠٦) ، و« طبقات الأولياء » لابن الملقن (ص ٤٠٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٧٢٣) ، وسترد ترجمتها ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٧٤) (١٣٥) .

(٣) هو : إسحاق بن جعفر الصادق . انظر « طبقات الأولياء » (ص ٤٠٨) .

(٤) لم أجد الخبر في المطبوع من « طبقات الأولياء » .

رجال من سادات التابعين

ومنهم :

(١٣٩) سعدون المجنون رضي الله عنه[١]

كان يجنُّ ستَّةَ أشهرٍ ، ويفيقُ ستةَ أشهر .

وكان إذا هاجَ صعدَ السَّطحَ ونادىٰ بالليل بصوتٍ رفيع : يا نيام ؛ انتبهوا من رقدةِ الغفلة قبل انقطاعِ المُهلة ؛ فإنَّ الموت يأتيكم بغتةً ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٤٠) بُهلول المجنون رضي الله عنه[٢]

اجتمع به هارون الرشيد ، فقال له الرشيد : كنتُ أَشتهي رؤيتك من زمان ، فقال : لٰكني أنا لم أشتقْ إليك قطُّ ، فقال له : عظني ، فقال : بِمَ أعظُكَ ؟! هـٰذه قصورُهم ، وهـٰذه قبورهم ، ثم قال : كيف بك يا أمير المؤمنين إذا أقامَكَ الحقُّ تعالىٰ بين يديه ، فسألَكَ عن النقير ، والفتيل والقِطْمير ، وأنت عطشان جيعان عريان ، وأهلُ الموقف ينظرونَ إليك ويضحكون ؟! فخنقتْهُ العبرةُ .

وكان بُهلولُ مجابَ الدعوة .

وأمرَ له الرشيد بصلةٍ ، فردَّها عليه ، وقال : ردَّها إلىٰ من أخذتها منه قبل أن

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٩/ ٣٧٠) ، و« صفة الصفوة » (٢/ ٥١١) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ٧٨) ، و« طبقات المناويه » (٤/ ٣٢٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٧٦) (١٣٦) .

(٢) انظر « صفة الصفوة » (٢/ ٥١٦) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٥٠٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٢١٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٧٦) (١٣٧) .

يُطالبَكَ بها أصحابُها في الآخرة ، فلا تجدُ لهم شيئاً تُرضيهم به ، فبكى الرشيد .

وكان رضي الله عنه ينشد[١] : [من الهزج]

دَعِ الحِرصَ علَى الدُّنيَا وفِي العَيشِ فلا تطمعْ
وَ[لا] تَجْمَعْ منَ المالِ[٢] فَمَا تدرِي لمنْ تجمعْ
فإنَّ الرزقَ مقسومٌ وسوءُ الظنِّ لا ينفعْ
فقيرٌ كلُّ ذِي حرصٍ غنيٌّ كلُّ منْ يَقنعْ

ومنهم :

(١٤١) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي[٣]

ثم اليربوعي رضي الله عنه .

خراسانيُّ المنشأ ، من ناحية مرو ، من قريةٍ تُعرف بفُنْدِين .

مات بالحرم الشريف سنة سبعٍ وثمانين ومئة ، رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : أهلُ الفضل هم أهلُ الفضل ما لم يَروا فضلَهم .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يُسمعَ كلامُه إذا تكلَّمَ فليس بزاهد) .

وكان يقول : (إذا اغتابك عدوٌّ فهو أنفعُ لك من الصديق ؛ فإنه كلَّما اغتابَكَ كان لك حسناتُهُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (وكان سيِّدُ القبيلة في آخر الزمان منافِقُها ، وهناك يُحذرُ منهم ؛ لأنهم داءٌ لا دواءَ له) .

---

(١) الأبيات في ديوان الإمام علي رضي الله عنه (ص ٢٦٩) .

(٢) في النسخ (ما) بدل (لا) ، والمثبت من ديوان سيدنا علي بن أبي طالب .

(٣) انظر « طبقات ابن سعد » (٥/ ٥٠٠) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٦) ، و« حلية الأولياء » (٨/ ٨٤) ، و« تاريخ دمشق » (٤٨/ ٣٧٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/ ٤٢١) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٩٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ١٨٦) (١٤١) .

وكان رضي الله عنه يقول : (فرَّ من الناسِ غيرَ تاركٍ للجماعة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ليس هٰذا زمانَ فرحٍ ، إنما هو زمانُ غموم) .

وكان يقول : (لكلِّ شيءٍ ديباجةٌ ، وديباجةُ القرَّاء تركُ الغيبة) .

وكان يكره لقاءَ الإخوان مخافةَ التزيُّنِ منه ومنهم .

وكان يقول : (من فهمَ معنى القرآن استغنىٰ عن كتابةِ الحديث) .

وكان رضي الله عنه يسقي على الدوام ، ويُنفقُ من ذلك علىٰ نفسه وعياله .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذ أحبَّ الله عبداً أكثرَ غمَّه في الدنيا ، وإذا أبغضَ عبداً أوسعَ عليه دنياه) .

وكان يقول : (لو حلفتُ أني مراءٍ كان أحبَّ إلي من أن أحلفَ أني لستُ بمراءٍ) .

وكان يقول : (لا ينبغي لحاملِ القرآن أن يكونَ له حاجةٌ عند أحدٍ من الأمراء والأغنياء ، بل ينبغي أن يكونَ حوائجُ الخلق إليه هو) .

وكان رضي الله عنه يقول : (تباعدْ من القرَّاء جهدَك ؛ فإنهم إن أحبُّوك مدحوك بما ليس فيك ، وإن غضبوا شهدوا عليك زوراً ، وقُبِلَ ذلك منهم) .

وجلس إليه سفيانُ بنُ عيينة ، فقال له الفُضيل : كنتم معاشرَ العلماء سُرجاً للبلاد يُستضاءُ بكم ، فصرتم ظلمةً ، وكنتم نجوماً يُهتدىٰ بكم ، فصرتم حيرةً ، أما يستحي أحدُكم من الله إذا أتىٰ إلىٰ هٰؤلاء الأمراء ، وأخذَ من مالهم ، وهو يعلمُ من أين أخذوه ، ثم يُسندُ بعد ذلك ظهرَهُ إلىٰ محرابه ، ويقول : حدَّثني فلان عن فلان ؟! فطأطأ سفيانُ رأسَهُ ، وقال : نستغفرُ اللهَ ونتوبُ إليه .

وكان يقول : (قرَّاءُ الرحمٰن أصحابُ خشوعٍ وذبول ، وقرَّاءُ الدُّنيا أصحابُ عُجْبٍ وتكبُّرٍ وازدراء للعامة) .

وكان يقول : (الغيبةُ فاكهةُ القرَّاء) .

واجتمع رضي الله عنه هو وشعيب بن حرب في الطواف ، فقال : (يا شعيب إنْ كنتَ تظنُّ أنه شهدَ الموقفَ والموسمَ مَنْ هو شرٌّ مني ومنك فبئس ما ظننتَ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من طلبَ أخاً بلا عيبٍ صار بلا أخ) .

وكان يقول : (لا تُواخِ من إذا غضبَ منك كذبَ عليك) .

وكان يقول : (قد بطلتِ الأخوةُ اليوم ، كان الرجلُ يحفظ أولادَ أخيه من بعده ويعولُهم حتىٰ يبلغوا رشدَهم كأنهم أولادُهُ) .

وكان يقول : (ليس بأخيك من إذا منعتَهُ شيئاً طَلَبَهُ . . غضبَ منك) .

وكان يقول : (كان لقمان قاضياً علىٰ بني إسرائيل مع كونه عبداً حبشيّاً ؛ لصدقه في الحديث ، وتركه ما لا يعنيه) .

وكان يقول : (طولُ الصراط خمسةَ عشرَ ألف فرسخ ، فانظر يا أخي أيَّ رَجلٍ تكون) .

وسأله إسحاق بنُ إبراهيم أن يُحدِّثَهُ ، فقال له الفُضيل رضي الله عنه : لو طلبتَ مني الدنانير لكان أيسرَ عليَّ من الحديث ، ولو أنَّك يا مفتون عملتَ بما علمتَ لكان لك شغلٌ عن سماع الحديث .

وكان رضي الله عنه يقول : (من قرأ القرآنَ سُئل يوم القيامة كما تُسألُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن تبليغ الرسالة ؛ فإنه وارثُهم) .

وكان يقول : (عالِمُ الآخرة علمُهُ مستورٌ ، وعالِم الدنيا علمُهُ منشور ، فاتَّبعوا عالم الآخرة ، واحذروا عالِمَ الدنيا أن تُجالسوه ؛ فإنه يفتنُكم بغروره ، وزخرفته ، ودعواه العلمَ من غير عملٍ ، أو العملَ من غير صدق) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو أنَّ أهلَ العلم زهدوا في الدنيا لخضعت لهم رقابُ الجبابرة ، وانقادت الناس لهم ، ولـٰكن بذلوا علمَهم لأبناء الدنيا ليُصيبوا بذلك مما في أيديهم ، فذلُّوا وهانوا على الناس ، ومن علامةِ الزهد أن يَفرحوا إذا وُصِفوا بالجهل عند الأمراء ومن داناهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من عرفَ ما يدخلُ جوفَهُ كان عند الله صدِّيقاً ، فانظرْ من أين يكونُ مطعمُك يا مسكين) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٤٢) أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور رضي الله عنه[١]

كان من كورةِ بلخ ، من أولاد الملوك .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من علامةِ العارف بالله : أن يكونَ أكبرُ همِّه الخيرَ والعبادةَ ، وأكثرُ كلامه الثناءَ والمدحةَ) .

وكان رضي الله عنه يتمثَّلُ كثيراً بهـٰذا البيت : [من البسيط]

لَلُقمـةٌ بجَـريـشِ الملـحِ آكلُهـا ألـذُّ مـنْ تمـرةٍ تُحشَىٰ بزُنْبورِ[٢]

قلت : ومعنىٰ حشوها بزنبور : أن يكونَ في باطنها علَّةٌ ، كأن يُعطاها لأَجل دينه وصلاحه ، ولولا ذلك ما أعطاها له ، فمن أدب هـٰذه أن تردَّ علىٰ صاحبها ، ولا يقبل إلا ممن يعلمُ منه أنَّه يُحبُّه علىٰ أيِّ حالٍ كان ، فهـٰذه هي التي ليس فيها زُنْبُورٌ ، والله أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (أثقلُ الأعمال في الميزان أثقلُها على الأبدان ، ومن وفَّى العملَ وُفِّي الأجرَ ، ومن لم يعملْ رَحَلَ من الدنيا إلى الآخرة صفرَ اليدين) .

وصحب رضي الله عنه رجلاً ، فلمَّا أرادَ أن يُفارقَهُ قال له الرَّجلُ : إن كنتَ رأيتَ فيَّ عيباً فنبِّهني عليه ، فقال له إبراهيم : لم أرَ فيك يا أخي عيباً ؛ لأني لاحظتُكَ بعين الوداد ، فاستحسنتُ كلَّ ما رأيتُهُ منك ، فاسأل غيري .

وكان رضي الله عنه يقول : (إني لأتمنَّى المرضَ حتىٰ لا تجبَ عليَّ الصلاة في جماعة ، ولا أرى الناس ولا يروني) .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٢٧) ، و« حلية الأولياء » (٧/ ٣٦٧) ، و« تاريخ دمشق » (٦/ ٢٧٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧/ ٣٨٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ١٩٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٨٩) (١٤٢) .

(٢) البيت لأبي السري . انظر « حماسة الظرفاء » (١/ ٣١) ، ومعنى **الزُّنْبُور** : التين الحلواني . « القاموس المحيط » (ز ن ب ر) .

وكان يُغلقُ بابه من خارجٍ ، فيجيء الرجل فيجده مُغلقاً فيذهب .

وكان رضي الله عنه يقول في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص : ٨٣] : (مِنْ حُبِّ العلوِّ أن تستحسنَ شِسْعَ نعلك علىٰ شِسْعِ نعلِ أخيك) .

وكان يقول : (**ثلاثةٌ لا يُلامون علىٰ ضجرٍ** : المريض ، والصائم ، والمسافر) .

وكان يقول : (بلغني أنَّ العبدَ يُحاسبُ يومَ القيامة بحضرة من يعرفُهُ ؛ ليكون أبلغَ في فضيحته) .

وكان يقول : (ما صَدَقَ اللهَ عبدٌ أحبَّ الشُّهرةَ بعلمٍ ، أو عملٍ ، أو كرمٍ) .

وكان رضي الله عنه إذا لم يجدِ الطعامَ الحلال يأكلُ التراب .

ومكث شهراً يأكل الطينَ ، وقال : (لولا الخوفُ أن أُعينَ علىٰ نفسي ما كان لي طعامٌ إلا الطين[1] حتىٰ أجدَ الحلالَ إلىٰ أن أموت) .

وكان يقلِّلُ الأكل ما استطاع ، ويقول : لا يحتملُ الحلالُ السرفَ ، حتىٰ كان يُصلِّي خمسَ عشرةَ صلاةً بوضوء واحد .

وكان رضي الله عنه يقول : (اطلبوا العلم للعمل ؛ فإنَّ أكثرَ الناس قد غلطوا حتىٰ صارَ علمُهم كالجبال وعملُهم كالذرِّ) .

وكنتَ إذا رأيتَهُ كأنه ليس فيه روحٌ ، ولو نفختْهُ الريحُ لوقع .

وقال له بعض العلماء : عظني ، فقال : كنْ ذَنَباً ولا تكن رأساً ؛ فإنَّ الذَّنَبَ ينجو ، والرأسَ يذهب .

وكتب إليه الأوزاعي رحمه الله تعالىٰ : إني أُريدُ أن أَصحبَكَ يا إبراهيم ، فكتب إليه إبراهيم رضي الله عنه : إنَّ الطيرَ إذا طارَ مع غير شكلِهِ طارَ الطيرُ وتركَهُ ، والله أعلم .

---

(١) كذا في (د ، ز ، ح) ، وفي سائر النسخ : (أتخوف) بدل (الخوف) .

ومنهم :

(١٤٣) أبو الفيض ذو النون المصري رضي الله عنه[١]

واسمه : ثَوبان بن إبراهيم رضي الله عنه ، وكان أبوه نُوبيّاً .

توفي سنة خمسٍ وأربعين ومئتين .

وكان رضي الله عنه رجلاً نحيفاً ، تعلوه حمرةٌ ، وليس بأبيض اللحية .

ولما تُوفِّي رضي الله عنه بالجيزةِ حُمل في قاربٍ مخافةَ أن ينقطعَ الجسرُ من كثرة الناس مع جنازته .

ورأى الناسُ طيوراً خضراً تُرفرفُ على جنازته ، حتى وصلتْ إلى قبره ، رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إيَّاك أن تكونَ للمعرفة مُدَّعياً ، أو بالزهدِ محترفاً ، أو بالعبادة متعلِّقاً ، وفرَّ من كلِّ شيءٍ إلى ربِّك) .

وكان يقول : (كلُّ مدَّعٍ محجوبٌ بدعواه عن شهودِ الحقِّ ؛ لأن الحقَّ شاهدٌ لأهل الحقِّ بأن اللهَ هو الحقُّ ، وقولَه الحقُّ ، ومن كان الحقُّ تعالى شاهداً له لا يحتاجُ أن يدَّعي ، فالدعوى علامةٌ على الحجاب عن الحقِّ ، والسلام) .

وكان يقول للعلماء : (أدركنا الناسَ وأحدُهم كلما ازدادَ علماً ازدادَ في الدنيا زهداً وبُغضاً ، وأنتم اليومَ كلما ازداد أحدُكم علماً ازداد في الدنيا حبّاً ، وطلباً ، ومُزاحمةً ، وأدركناهم وهم يُنفقون الأموالَ في تحصيل العلم ، وأنتم اليومَ تُنفقون العلمَ في تحصيل المال) .

وكان يقول : (يا معشرَ المُريدين ؛ من أرادَ منكم الطريقَ فليلقَ العلماءَ بإظهارِ الجهل ، والزُّهادَ بإظهار الرغبة ، والعارفين بالصمت) .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ١٥) ، و« حلية الأولياء » (٩/ ٣٣١) ، و« تاريخ بغداد » (٨/ ٣٩٣) ، و« تاريخ دمشق » (١١/ ١٦٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/ ٥٣٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٩٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ١٩١) (١٤٣) .

قلت : وذلك ليزيدَهُ العلماءُ علماً ، والزهادُ زهداً ، والعارفون معرفةً ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ . . . ﴾ الآية [التوبة : ٦٠] .

وسئل رضي الله عنه عن السَّفِلةِ من الخلق : من هم ؟ فقال : من لا يعرفُ الطريقَ إلى الله تعالىٰ ، ولا يتعرَّفُه .

وكان يقول : (سيأتي على الناس زمانٌ تكونُ الدولةُ فيه للحمقىٰ على الأكياس) .

قلتُ : والأحمقُ من أَتْبَعَ نفسَه هواها ، وتمنَّىٰ على الله تعالى ، والكيِّسُ من دانَ نفسه ، وعمل لما بعد الموت[1] .

وكان يقول : (لم يزلِ الناسُ يسخرون بالفقراء في كلِّ عصرٍ ؛ ليكونَ للفقراء رضي الله عنهم التأسِّي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام) .

وقال : قد جاءتني امرأةٌ فقالت : إنَّ ابني أخذَهُ التمساحُ ، فلما رأيتُ حرقتَها علىٰ ولدها أتيتُ النيلَ ، وقلت : اللهم ؛ أظهرِ التمساح ، فخرج إليَّ ، فشققتُ عن جوفه ، وأخرجتُ ابنَها حيّاً صحيحاً ، فأخذتْهُ ومضت ، وقالت : اجعلني في حلٍّ ؛ فإني كنتُ إذا رأيتُكَ سخرتُ منك ، وأنا تائبةٌ إلى الله عز وجل

وقال رضي الله عنه : (من علامةِ سخطِ الله تعالىٰ على العبدِ خوفُهُ من الفقر) .

وكان يقول : (لكلِّ شيءٍ علامةٌ ، وعلامة طردِ العارف عن حضرة الله تعالى انقطاعُهُ عن ذكر الله عز وجل) .

وقال رضي الله عنه : (إذا تكاملَ حزنُ المحزون لم تجرِ له دمعةٌ ؛ وذلك لأن القلبَ إذا رقَّ سلا ، وإذا جمد وغلظ شجا) .

وتذاكر الفقراءُ عنده يوماً في المحبَّة ، فقال لهم : كفُّوا عن هـٰذه المسألة ؛ لئلا تسمعها النفوسُ فتدَّعيها .

وكان يقول : (من القلوب قلبٌ يستغفرُ قبل أن يُذنب ، فيُثاب قبل أن يطيع) .

وكان يقول : (إن الله تعالىٰ أنطقَ اللِّسان بالبيان ، وافتتحه بالكلام ، وجعل

---

(١) هذه القولة حديث رواه الترمذي (٢٤٥٩) عن سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنه .

القلوبَ أوعيةً للعمل ، ولولا ذلك لكان الإنسانُ بمنزلة البهيمة ، يُومئ بالرأس ، ويُشيرُ باليد) .

وكان يقول : (كنَّا إذا سمعنا شاباً يتكلَّمُ في المجلس أيسنا من خيره) .

وكان يقول : (من لم يفتِّشْ على الرغيفين من الحلال لا يفلحُ في طريق الله عز وجل) .

وقال له رجل : إنَّ امرأتي تقرأُ عليك السلام ، فقال رضي الله عنه : لا تُقرئُونا من النساء السلام .

وكان يقول : (إياكم وكثرةَ الإخوان والمعارف) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لحنَّا في العملِ ، وأعربْنا في الكلام ، فكيف نفلحُ ؟!) .

قلت : وكذلك كان إبراهيم بنُ أدهم رضي الله عنه يقول .

وكان رضي الله عنه يقول : (من آنسه الله بقربه أعطاه العلمَ من غيرِ طلبٍ) .

وكان يقول : (ليس بعاقلٍ من تعلَّمَ العلمَ فعُرف به ، ثم آثر بعد ذلك هواه على علمه ، وليس بعاقلٍ من طلبَ الإنصاف من غيره لنفسه ، ولم يُنصفْ من نفسه غيرَهُ ، وليس بعاقلٍ من نسي اللهَ في طاعته ، وذكر الله تعالىٰ في مواضع الحاجة إليه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (تواضعْ لجميع خلق الله تعالىٰ ، وإياك أن تتواضعَ لمن يسألك أن تتواضعَ له ؛ فإن سؤالَهُ إياك يدلُّ علىٰ تكبُّرِهِ في الباطن ، وتواضعَك له يكونُ له عوناً على التكبُّر) .

وكان يقول رضي الله عنه : (من نظرَ في عيوب الناس عَمِيَ عن عيب نفسه) .

وكان يقول : (من طلبَ مع الخبز ملحاً ، لم يفلح في طريق القوم) .

وسئل رضي الله عنه عن كمال العقل ، وعن كمال المعرفة ، فقال : (إذا كنتَ قائماً بما أُمرتَ ، تاركاً لتكلُّفِ ما كُفيت فأنت كاملُ العقل ، وإذا كنتَ بالله عز وجل متعلِّقاً ، وغيرَ ناظرٍ إلىٰ سواه من أحوالك وأعمالك فأنت كاملُ المعرفة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (قد غلبَ على العُبَّاد والنسَّاك والقرَّاء في هـٰذا الزمن

التهاونُ بالذنوب ، حتىٰ غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم ، وحُجبوا عن شهودِ عيوبهم ، فهلكوا وهم لا يشعرون ، أقبلوا علىٰ أكلِ الحرام ، وتركوا طلبَ الحلال ، ورضوا من العملِ بالعلم ، يستحيي أحدُهم أن يقولَ فيما لا يعلمُ : لا أعلم ، هم عبيدُ الدنيا ، لا علماء بالشريعة ؛ إذ لو علموا الشريعة لمنعتْهم عن القبائح ، إن سألوا أَلحُّوا ، وإن سُئلوا شحُّوا ، لبسوا الثيابَ علىٰ قلوب الذئاب ، اتَّخذوا مساجدَ الله التي يُذكرُ فيها اسمُه لرفعِ أصواتهم باللغو والجدال ، والقيل والقال ، واتَّخذوا العلمَ شبكةً يصطادون بها الدنيا ، فإياكم ومجالستَهم) .

وسئل رضي الله عنه عن الحديث : لِمَ لا تشتغلُ به ؟ فقال : للحديث رجالٌ ، وشُغلي بنفسي استغرقَ وقتي ، والحديثُ من أركان الدِّين ، ولولا نقصٌ دخلَ علىٰ أهل الحديث والفقه لكانوا أفضلَ الناس في زمانهم ، ألا تراهم بذلوا علمَهم لأهل الدنيا ، يستجلبون به دنياهم ؟! فحجبوهم ، وأنكروا عليهم[1] ، وافتتنوا بالدنيا ؛ لِمَا رأوا من حرصِ أهلِ العلم والمتفقِّهين عليها ، فخانوا الله ورسولَهُ ، وصار إثمُ كلِّ من تَبعهم في عُنقِهم ، جعلوا العلم فخّاً للدنيا ، وسلاحاً يكسبونها به ، بعد أن كان سراجاً للدِّين يُستضاء به .

وسئل رضي الله عنه عن العلماء بالقرآن ، فقال : (هم الذين أنْصَبوا الرُّكَبَ والأبدان ، صحبوا القرآن بأبدان ناحلة ، وشفاهٍ ذابلة ، ودموع وابلةٍ ، وزفراتٍ عالية ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (العَجَبُ كلَّ العَجَبِ من هٰؤلاء العلماء ! كيف خضعوا للمخلوقين دون الخالق وهم يدَّعون أنهم أعلىٰ درجةً من جميع الخلائق ؟!) .

وكان يقول : (من علامة إعراض اللهِ تعالىٰ عن العبد : أن تراه ساهياً لاهياً ، لاغياً مُعرضاً عن ذكر الله تعالىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ اللهَ تعالىٰ لم يمنع أعداءَه المحبَّةَ بخلاً ، وإنما صانَ أولياءه الذين أطاعوه أن يجمعَ بينهم وبين أعدائه الذين عصوه) .

---

(١) في (و) : (واستنكروا) بدل (وأنكروا) ، وفي (ز) : (وتكبروا) .

وكان يقول : (العارفُ لا يدومُ علىٰ حزن ، ولا يدوم علىٰ سرور ، ثم قال : مَثَلُ العارف في هٰذه الدار مثلُ رجلٍ تُوِّجَ بتاج الكرامة ، وأُجلس علىٰ سريرٍ في بيته ، قد عُلِّقَ فوق رأسه سيفٌ بشَعْرَةٍ ، وأرسل علىٰ بابه سبعون [ضارياً][1] ، فيشرف على الهلاكِ ساعةً بعد ساعة ، فأنَّىٰ له السرورُ ؟! وأنَّىٰ له الحزن ؟!) .

قال بعضهم : السيفُ المعلَّقُ فوق رأسه الأحكامُ ، [والضاريون][2] الذي على الباب الأمر والنهي .

وكان رضي الله عنه يقول : (من تقرَّبَ إلى الله تعالىٰ بتلفِ نفسِهِ حفظَ اللهُ عليه نفسَهُ) .

وقال رضي الله عنه : (لما حُملتُ من مصر في الحديدِ إلىٰ بغداد لقيتني امرأةٌ زَمِنَةٌ ، فقالت : إذا دخلتَ على المتوكِّل فلا تهبْهُ ، ولا ترَ أنه فوقك ، ولا تَحتجَّ لنفسِك ؛ محقّاً كنتَ أو متَّهماً ؛ لأنك إن هبتَهُ سلَّطه اللهُ عليك ، وإن حاججتَ عن نفسك لم يزدْكَ ذلك إلا وبالاً ؛ لأنَّك باهتَّ الله فيما يعلمه[3] ، وإن كنتَ بريئاً فادعُ الله تعالىٰ أن ينتصر لك ، ولا تنتصر لنفسك ، فيَكِلَك إليها ، فقلت لها : سمعاً وطاعةً ، فلما دخلتُ على المتوكِّل سلَّمتُ عليه بالخلافة ، فقال لي : ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة ؟ فسكتُّ ، فقال وزيره : هو حقيقٌ عندي بما قيل فيه ، ثم قال لي : لِمَ لا تتكلَّم ؟ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ؛ إن قلتُ : لا كذبتُ المسلمين فيما قالوه ، وإن قلتُ : نعم ، كذَبْتُ علىٰ نفسي بشيءٍ لا يعلمُهُ اللهُ تعالىٰ مني ، فافعل أنت ما ترىٰ ؛ فإني غيرُ منتصرٍ لنفسي ، فقال المتوكل : هو رجلٌ بريء مما قيل فيه ، فخرجتُ إلى العجوزِ ، فقلتُ لها : جزاكِ الله عني خيراً ، فعلتُ ما أمرتيني به ، فمن أينَ لكِ هٰذا ؟! فقالت : من حيثُ ما خاطبَ به الهدهدُ سُليمانَ عليه الصلاة والسلام .

وكان ذو النون المصري رضي الله عنه بعد ذلك يقول : (من أرادَ تجريدَ التوحيد

---

(١) في النسخ : (ضارباً) ، وفي « مناقب الأبرار » لابن خميس (١٠١/١) : (سبعان ضاريان) وفي « حلية الأولياء » (٩/ ٣٦١) : (أسدان ضاريان) .

(٢) في النسخ : (والضاربون) .

(٣) في « المختار من مناقب الأخيار » (٢/ ٣٣٤) : (تباهتُ الله) .

وخالصَ التوكُّلِ . . فعليه بالنِّساء الزَّمنىٰ ببغداد) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما شبعتُ من الطعام قطُّ إلا عصيتُ ، أو هممت بمعصيةٍ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كن عارفاً خائفاً ، ولا تكنْ عارفاً واصفاً) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٤٤) أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي رضي الله عنه[١]

وهو من جملةِ المشايخ المشهورين بالزهد والورع والفتوة ، مجابُ الدعوة يُستسقىٰ بقبره .

وهو من موالي علي بنِ موسى الرِّضا ، رضي الله عنه[٢] .

صحب داودَ الطائي رضي الله عنه[٣] .

ومات ببغداد ، ودفن بها سنة مئتين ، وقبره ظاهرٌ يُزار ليلاً ونهاراً ، رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً فتحَ عليه باب العملِ ، وأغلقَ عليه باب الجدلِ ، وإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ شرّاً أغلق عليه بابَ العمل ، وفتح عليه بابَ الجدل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما أكثرَ الصالحين ، وما أقلَّ الصادقين فيهم !) .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٨٣) ، و« حلية الأولياء » (٨/ ٣٦٠) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٣٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ٣٣٩) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٧١٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٧٧) (١٣٨) .

(٢) قال الذهبي في « السير » (٩/ ٣٤٣) : (وقد حكىٰ أبو عبد الرحمـٰن السلمي شيئاً غير صحيح ، وهو أن معروفاً الكرخي كان يحجب علي بن موسى الرضا ، فلعلَّ الرضا كان له حاجب اسمه معروف ، فوافق اسمه اسم زاهد العراق) .

(٣) قال الذهبي في « السير » (٩/ ٣٣٩) : (وذكر السلمي : أنه صحب داود الطائي ، ولم يصحَّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لولا إخراجُ حُبِّ الدنيا من قلوب العارفين ما قَدروا علىٰ فعلِ الطاعات ، ولو كان من حبِّ الدُّنيا ذرةٌ في قلوبهم لَمَا صحَّتْ لهم سجدةٌ واحدة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (العارفُ يرجعُ إلى الدنيا اضطراراً ، والمفتون يرجعُ إليها اختياراً) .

وكان يقول : (إذا عملَ العالِمُ بالعلم استوتَ له قلوبُ المؤمنين ، وكرهَهُ كلُّ مَنْ في قلبه مرض) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا أرادَ اللهُ بعبد خيراً زوىٰ عنه الخذلان ، وأسكنه بين الفقراء الصادقين ، وإذا أراد الله بعبد شرّاً عطَّله عن الأعمال الصالحة ، حتَّىٰ تكونَ علىٰ قلبه أثقلَ من الجبال ، وأسكنَهُ بين الأغنياء) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٤٥) أبو نصر بشر بن الحارث الحافي رضي الله عنه[١]

أصله من مرو ، وسكن بغداد ، **ومات بها عاشر المحرم ، سنة سبعٍ وعشرين ومئتين ، رضي الله عنه** .

صحب الفُضيل بنَ عياض ، رضي الله عنه .

وكان عالماً ورعاً ، كبيرَ الشأن ، أوحدَ وقته علماً وحالاً .

ومن كلامه رضي الله عنه : (لا يجدُ حلاوةَ الآخرة رجلٌ يحبُّ أن يعرفَهُ الناس) ؛ يعني : يحبُّ اطلاعَ الناسِ علىٰ صفات كماله .

وكان رضي الله عنه يقول : (سيأتي على الناس زمانٌ تكونُ الدولةُ فيه للحمقىٰ والأراذل علىٰ أهل العقول والأكابر) .

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ٣٤٢) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٣٩) ، و« حلية الأولياء » (٨/ ٣٣٦) ، و« تاريخ دمشق » (١٠/ ١٧٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٠/ ٤٦٩) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٥٧) وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٩٦) (١٤٤) .

وكان رضي الله عنه يقول : دخلتُ داري يوماً ؛ فإذا رجلٌ جالس في الدار ، فقلت له : كيفَ دخلتَ داري بغيرِ إذني ؟! فقال : أنا أخوك الخَضِرُ ، فقلتُ له : ادعُ اللهَ تعالىٰ لي ، فقال عليه السلام : هوَّنَ اللهُ عليك طاعتَهُ ، فقلت : زدني ، فقال : وسترها عليك .

وكان رضي الله عنه يقول : قال لي رجلٌ من المتصوفة : يا أبا نصر ؛ انقبضتَ عن أخذِ البرِّ من أيدي الناس لإقامة الجاه لك في قلوبهم ؟! فإنْ كنتَ متحقِّقاً بالزهد ، مُنصرفاً عن الدنيا فخذ من أيديهم ليُمتحىٰ جاهُك عندهم ، ثم اخرجْ عما يُعطونك إلى الفقراء ، وفرِّقْه عليهم ، ولا تذقْ منه شيئاً ، وكن بعقدِ التوكل ؛ بأخذ قُوْتِكَ من الغير ، فاشتدَّ هـٰذا القولُ علىٰ أصحابي ، فقلتُ له : جزاك الله عني خيراً ، ولـٰكن اسمعْ جوابي ، فقال : نعم ، فقلت له : **اعلمْ أنَّ الفقراءَ ثلاثةٌ** : فقيرٌ لا يسأل ، وإن أُعطيَ لا يأخذ ، فذاك من الرُّوحانيين ، وفقيرٌ لا يسأل ، وإن أُعطي قَبِلَ ، فذاك من أوسطِ القوم ، وفقيرٌ اعتقدَ الصبرَ ومدافعةَ الوقت ، فإذا طرقَتْهُ الحاجةُ خرجَ إلىٰ عبيدِ الله وقلبُهُ إلى الله بالسؤال ، فكفَّارةُ مسألته صدقُهُ في السؤال ، فقال الرجل : رضيتُ ، رضي الله عنك .

وكان رضي الله عنه يقول : (حسبُك أقوامٌ موتىٰ تحيا القلوبُ بذكرهم ، وإن أقواماً أحياءٌ تقسو القلوبُ برؤيتهم) .

وكان يقول : (يا طالبَ العلم ؛ إنَّما أنتَ متلذِّذٌ متفكِّهٌ بالعلم ، تسمعُ وتحكي لا غير ، ولو عملتَ بما علمتَ لتجرَّعْتَ حرارةَ العلم ، ويحك ! إنَّما يُرادُ بالعلم العملُ ، فاسمع يا أخي وتعلَّم ، ثم اعملْ واهربْ ، ألا ترىٰ إلىٰ سُفيان الثوري رضي الله عنه كيف طلبَ العلمَ ، وتعلَّمَ ، وهرب ؟! فاسمع ما أقولُ لك ؛ فإنَّ طلبَ العلم إنما يدلُّ على الهربِ من الدنيا لا علىٰ حبِّها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الصدقةُ أفضلُ من الجهاد والحج والعمرة ؛ لأنَّ ذاك يركبُ ، ويجيء ، فيراه الناسُ ، وهـٰذا يُعطي سرّاً ، فلا يراه إلا الله عز وجل) .

وكان يقول : (إني لأُجلُّ اللهَ تعالىٰ أن أذكرَهُ عند مَنْ لا يعرفُهُ ولا يتعرَّفُهُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أمس قد مات ، واليومُ في النزعِ ، وغداً لم يُولد ، فبادروا بالأعمال الصالحة) .

وكان يقول : (إذا أرسلتَ أحداً بكتابٍ فلا تزخرفْهُ بحسنِ الألفاظ ؛ فإني كتبتُ مرَّةً كتاباً ، فعرضَ لي كلامٌ : إن كتبتُهُ حَسُنَ الكتابُ وكان كذباً ، وإن تركته سمجَ الكتابُ وكان صدقاً ، فعزمتُ علىٰ ذكرِ الكلام السمج الصدق ، فناداني هاتفٌ من جانب البيت : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أراد أن يكون عزيزاً في الدنيا ، سليماً في الآخرة فلا يُحدِّثْ ، ولا يشهدْ ، ولا يؤمَّ قوماً ، ولا يأكلْ لأحدٍ طعاماً) .

وكان محمد بن يوسف يقول : سمعت رجلاً يَسألُ بشر بنَ الحارث أن يحدِّثَهُ ، فأبىٰ عليه ، فجعل الرجلُ يتضرَّعُ إليه ، ويلحُّ عليه ، فلم يُجبْهُ ، فلما أيسَ منه قال له الرجل : يا أبا نصر ؛ ما تقول لله تعالىٰ إذا لقيتَهُ يومَ القيامة وقال لك : لِمَ لا تحدِّث الناس ؟! فقال بشر رضي الله عنه : أقول له : يا ربِّ ؛ قد أمرتني بمخالفة نفسي ، وإنَّ نفسي كانت ، تَشتهي الحديثَ والرياسة ، فخالفتها ، ولم أُعطها سؤلَها .

وكان رضي الله عنه يقول للمريدين : لا تؤثروا علىٰ حذف العلائق شيئاً ، إني إنْ أجبتُ نفسي إلىٰ ما تشتهي من المطعم والملبس خفتُ أن أكونَ مكّاساً أو شرطياً) .

وكان يقول : (من لم يحتجْ إلى النساء فليتَّقِ الله تعالىٰ ، ولا يألفْ أفخاذَهن ، ولو أنَّ رجلاً جمعَ أربع نسوة يحتاجُ إليهنَّ ما كان مُسرفاً) .

وقيل له : لِمَ لا تتزوَّجُ وتخرجُ عن مخالفة السُّنة ؟! فقال رضي الله عنه : إني مشغولٌ بالفرض عن السنة ؛ يعني بالفرض : مجاهدةَ النفس وتصفيتَها من الأخلاق الرديئة .

وكان رضي الله عنه يقول : (صحبةُ الأشرار تورثُ سوءَ الظنِّ بالأخيار ، وصحبةُ الأخيار تورثُ حسنَ الظنِّ بالأشرار ، وإنَّ الله عز وجل لا يَسألُ عبداً قطُّ لِمَ حسَّنْتَ ظنَّك بعبادي ؟) .

وكان رضي الله عنه يقول في مرض موته كثيراً : (إلـٰهي ؛ رفعتني فوقَ قدري ، ونوَّهتَ باسمي ، وشهرتني بين الناس ، فأسأَلُكَ بوجهك الكريم ألا تفضحني غداً يوم القيامة) .

وكان رضي الله عنه إذا رأىٰ فقيراً يضحكُ وهو غافلٌ يقول له[١] : (احذرْ أن يأخذَكَ الله تعالىٰ علىٰ هـٰذه الحال) .

وكان رضي الله عنه يقول : (غنيمةُ الفقير في هـٰذا الزمان غفلةُ الناس عنه ، وإخفاءُ مكانه عنهم ؛ فإنَّ لقاءَ غالبِ الناس خسران) .

وكان رضي الله عنه يقول : (دخلتُ داري مرَّةً ، فرأيتُ رجلاً طويلاً قائماً يُصلِّي ، فراعني ذلك ؛ لأن المفتاحَ كان معي ، فسلَّمَ من صلاته ، ثم قال لي : لا تفزعْ ، أنا أخوك الخضر ، فقلت له : علِّمني شيئاً يَنفعني اللهُ به ، فقال : قل : أستغفرُ الله عز وجل ، وأسأَلُهُ التوبةَ من كلِّ سبب[٢] تبتُ منه ثم رجعتُ إليه ، وأستغفرُ الله عز وجل ، وأسأَلُهُ التوبةَ من كلِّ عَقدٍ عقدتُهُ لله علىٰ نفسي ففسختُهُ ولم أُوفِ به ، وأستغفرُ الله عز وجل وأتوبُ إليه من كلِّ نعمةٍ أنعمَ بها عليَّ طولَ عمري واستعنتُ بها علىٰ معصيتِهِ ، وأسأَلُهُ الحفظَ والحمية من ذلك كلِّه .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يفلِحُ فقيرٌ يقول : بأيِّ شيءٍ آكلُ خبزي) .

وكان رضي الله عنه يقول : (سكونُ النفس إلىٰ قبول المدحِ لها أشدُّ عليها من ذلِّ المعصية ، ولا يضرُّ الثناءُ مَنْ عرف نفسَه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كان العلماءُ رضي الله عنهم موصوفين بثلاثة أشياء : صدقِ اللسان ، وطيب المطعمِ ، وكثرةِ الزهد في الدنيا ، وأنا اليومَ لا أعرفُ في هـٰؤلاء أحداً فيه واحدةٌ من هـٰذه الخصال ، فكيف أعبأُ بهم ، أو أبشُّ في وجوههم ؟! وكيف يَدَّعي هـٰؤلاء العلمَ ، وهم يتغايرون على الدنيا ، ويتحاسدون عليها ، ويجرحون أقرانَهم عند الأمراء ، ويغتابونهم ؟! كلُّ ذلك خوفاً أن يَميلوا إلىٰ غيرهم

(١) في (د ، ح) : (يضحك في وجهه وهو غافل) .
(٢) في (و) : (من كل ذنب) ، وفي (ط) : (من كل شيء) .

بسحتهم وحطامهم ، وَيْحَكُمُ يا علماء السوء ! أنتم ورثةُ الأنبياء ، وإنَّما ورَّثوكم العلمَ ، فحملتوه ، وزغتم عن العملِ به ، وجعلتم علمَكُم حرفةً تكتسبون بها معاشَكم ، أفلا تخافون أن تكونوا أوَّلَ من تُسعَّرُ به النار ؟!) .

وكان رضي الله عنه يقول : (مثلُ الذي يأكلُ الدنيا بالعلم والدِّين مثلُ الذي يغسلُ يديه من الزُّهومةِ بماءِ تنظيف السمك ، أو كمثل الذي يُطفئ النارَ بالحلفاء) .

قلت : وميزانُ أكلِ الدنيا بالدِّين : أن تنظرَ في نفسِكَ ؛ فكلُّ صفةٍ أُكرمتَ لأجلها قَدِّرْ نفسَك عند فقدها : هل كُنتَ تُكرم أم لا ؟ فإنْ كنتَ تُكرم مع فقدِها فقد خلصتَ ، وإلا فلا .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا قصَّرَ العبدُ فيما بينه وبين الله تعالىٰ أخذ منه ما كان يُؤنسُهُ) .

وقال أبو جعفر المغازلي : رأيتُ علىٰ بشر بنِ الحارث قميصاً خَلَقاً ، فقلتُ له : أَعتِقْ هـٰذا القميص ، فقال : حتىٰ يُعتقَ صاحبُهُ .

وسئل رضي الله عنه عن التصوف ، فقال : (هو اسمٌ لثلاث معانٍ ؛ وهو : ألا يطفئ نورُ معرفةِ العارف نورَ ورعه ، وألا يَتكلَّمَ في علمٍ باطنٍ ينقضُهُ عليه ظاهرُ الكتاب والسُّنة ، ولا تَحملُهُ الكراماتُ علىٰ هتكِ أستار محارمِ الله عز وجل) .

ومنهم :

(١٤٦) أبو الحسن السَّريُّ بنُ المغلِّس السَّقَطيُّ رضي الله عنه[١]

خالُ الجنيد وأستاذُهُ ، صحب معروفاً الكرخي .

وكان أوحدَ أهل زمانه في الورع ، والأحوال السنية ، وعلم التوحيد ، وهو أوَّلُ من تكلَّمَ فيه ببغداد ، وإليه ينتمي أكثرُ المشايخ ببغداد ، **مات بها سنة إحدىٰ وخمسين ومئتين** ، وقبره بالشُّونيزية ظاهرٌ يُزار .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٤٨) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ١١٦) ، و« تاريخ دمشق » (٢٠/ ١٦٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/ ١٨٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٦١٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٧٨) (١٣٩) .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من أراد أن يسلمَ له دينُهُ ، ويستريحَ بدنُه ، ويقلَّ غمُّه من سماع الكلام الذي يغمُّهُ . . فليعتزلِ الناسَ ؛ لأنَّ هـٰذا زمانُ عزلةٍ ووحدةٍ) .

وكان يقول : (أقوى القوَّةِ أن تغلبَ نفسَك ، ومن عجزَ عن أدبِ نفسه كان عن أدب غيره أعجز) .

وكان يقول : (من علامةِ الاستدراج للعبد عَمَاه عن عيبِهِ ، واطِّلاعُهُ علىٰ عيوب الناس) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كيف يَستنيرُ قلبُ الفقير وهو يأكلُ من مال من يغشُّ في معاملته ، ويعاملُ الظلمة ، وأكلة الرِّشا ؟! لا سيما إنْ كان يسألُهم بذلَّةٍ وخضوعٍ ؛ لعدم حرفةٍ تكون بيده) .

وقال علي بنُ الحسين : بعثني أبي إلى السَّريِّ رضي الله عنه بشيءٍ من حَبِّ السُّعالِ لسعالٍ كان به ، فقال لي : كم ثمنُهُ ؟ فقلت له : لم يُخبرني بشيءٍ ، فقال : اقرأ عليه السلامَ ، وقلْ له : نحن نُعلِّمُ الناسَ منذ خمسين سنة ألا يأكلوا بأديانهم ، أفتراني اليومَ آكلُ بديني ؟! ثم ردَّهُ ، ولم يأخذْ منه شيئاً .

وكان رضي الله عنه يقول : (من سكنَ إلىٰ قول الناس فيه : « إنَّه وليٌّ لله » . . فهو في يدِ نفسه أسير) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو علمتُ أنَّ جلوسي في البيت أفضلُ من خروجي إلى المسجد ما خرجتُ ، ولو علمتُ أنَّ انفرادي عن الناس أفضلُ ما جالستهم) .

وكان يقول : (ثلاثةٌ من علامةِ سخطِ الله تعالى على العبد : كثرةُ اللعب ، والاستهزاءُ ، والغيبة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إياكم ومجاورةَ الأغنياء ، وقرَّاء الأسواق ، والأمراء ؛ فإنهم يُفسدون كلَّ مَنْ جالسهم) .

وكان يقول : (لا تصحُّ المحبةُ بين اثنين حتىٰ يقولَ أحدُهما للآخر : يا أنا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما رأيتُ شيئاً أحبطَ للأعمال ، ولا أفسدَ للقلوب ،

ولا أسرعَ في هلاك العبد ، ولا أدومَ للأحزان[1] ، ولا أقربَ للمقت ، ولا ألزم لمحبة الرياء والعُجْبِ والرياسة . . من قلَّةِ معرفة العبد بنفسه ، ونظرِهِ في عيوب الناس ، لا سيَّما إن كان مشهوراً معروفاً بالعبادة ، وامتدَّ له الصيتُ حتىٰ بلغ من الثناء ما لم يكن يؤمِّلُهُ ، وتربص بنفسه في الأماكن الخفية ، وسراديب الهوىٰ ، وقُبِلَ تجريحُهُ في الناس ومدحُهُ فيهم) .

وقيل له : إنَّ العابدَ الفلاني يعظِّمُ فلاناً ويعتقدُهُ ، والأميرُ الفلاني لا يقدِّم أحداً علىٰ فلان من الفقراء ، وأطبقتْ أهلُ بلده على اعتقاده ، [فقال] : فإنه يهلك مع الهالكين .

وكان رضي الله عنه يقول : (الدُّنيا أفاعي قلوب العلماء ، وسحَّارةُ قلوب العُبَّاد والقرَّاء ، تلعبُ بهم كما يلعبُ الصبيانُ بالأكرة) .

وكان يقول : (خصلتان تُبعدان العبدَ من الله تعالىٰ : أداءُ نافلةٍ بتضييع فريضة ، وعملٌ بالجوارح من غيرِ صدقٍ بالقلب) .

وكان رضي الله عنه يبكي ويقول : (قد توعَّرَتْ طريقُ الصالحين ، وقلَّ فيها السالكون ، وهُجرتِ الأعمال ، وقلَّ فيها الراغبون ، ورُفض الحقُّ ، ودَرس هـٰذا الأمرُ ، فلا أراه إلا في لسانِ كلِّ بطَّالٍ ، ينطقُ بالحكمة ، ويفارقُ الأعمال الصالحة ، قد افترشَ الرُّخصَ ، وتمهَّدَ التأويلات ، واعتلَّ بذلك العاصون ، ثم يقول : وا غمّاه من فتنةِ العلماء ! وا كرباه من حيرةِ الأدلاء !) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أنس بربِّه في الظلام نُشرت له غداً الأعلام) .

وكان رضي الله عنه ينشد كثيراً ويقول : [من البسيط]

لا فِي النهارِ ولا فِي الليلِ لِي فرحٌ ... فمَا أُبالِي أَطالَ الليلُ أمْ قَصُرَا

لِأننِي طُولَ لَيلِي هائمٌ دَنِفٌ ... وبالنهارِ أُقاسِي الهَمَّ والفِكَرَا

رضي الله عنه .

---

(١) ترددت النسخ بين : (للأحزان) و(للأضرار) .

ومنهم :

(١٤٧) أبو عبد الله الحارث بن أسد المُحاسبيُّ رضي الله عنه[(١)]

وهو من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر ، وعلومِ الأصول ، وعلوم المعاملات ، له التصانيفُ المشهورة ، عديمُ النظير في زمانه .

وهو أستاذُ أكثرِ البغداديين ، بصريُّ الأصل .

مات ببغداد سنة ثلاثٍ وأربعين ومئتين ، رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من صحَّحَ باطنَهُ بالمراقبة والإخلاص زيَّنَ اللهُ تعالىٰ ظاهرَهُ بالمجاهدة واتِّباع السنة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (خيارُ هٰذه الأمة هم الذين لا تَشغلُهم آخرتُهم عن دنياهم ، ولا دُنياهم عن آخرتهم) .

وأنشدوا بين يديه مرةً : [من مجزوء الرمل]

أَنَـا فِـي الغُـربـةِ أبكِـي ... مَـا بَكَـتْ عيـنُ غـريـبِ
لَـمْ أكُـنْ يـومَ خـروجِـي ... عَـنْ مكـانِـي بمُصيـبِ
عجبـاً لِـي ولِتـركِـي ... وطنـاً فيـهِ حبيبِـي

فقام وتواجدَ حتىٰ رقَّ له كلُّ من حضره .

وسئل رضي الله عنه عن المتوكِّل : هل يلحقُهُ طمعٌ من طريق الطباع ؟ فقال : خطراتٌ لا تضرُّه شيئاً .

وكان رضي الله عنه يقول : عملتُ كتاباً في المعرفة ، واستقصيتُهُ ، وأُعجبتُ به ، فبينما أنا ذات يوم أنظرُ فيه مُستحسناً له ؛ إذ دخلَ عليَّ شابٌّ عليه ثيابٌ رثَّةٌ ، فسلَّمَ عليَّ ، وقال : يا أبا عبد الله ؛ المعرفةُ حقٌّ للحقِّ على الخلق ، أو حقٌّ للخلقِ على

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٥٦) ، و« حلية الأولياء » (١٠/٧٣) ، و« تاريخ بغداد » (٨/٢١١) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢/١٤٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/١١٠) ، و« طبقات المناوي » (١/٥٨٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٢٠٠) (١٤٥) .

الحقِّ ؟ فقلت له : حقٌّ على الخلق للحقِّ ، فقال : هو أَوْلىٰ أن يكشفَها لمستحقِّها ، فقلتُ : بل حقٌّ للخلق على الحقِّ ، فقال : هو أعدلُ من أن يظلمَهُم ، ثم سلَّمَ عليَّ وخرج ، قال الحارث : فأخذتُ الكتابَ وحرقتُهُ ، وقلتُ : لا عدتُ أتكلَّمُ في المعرفة بعد ذلك .

وكان رضي الله عنه يقول : (أوَّلُ بليةِ العبدِ تعطُّلُ القلب من ذكر الآخرة ، وحينئذٍ تحدثُ الغفلةُ في القلب) .

وقيل لأحمد بنِ حنبل رضي الله عنه : إنَّ الحارثَ المُحاسبيَّ يتكلَّمُ في علوم الصوفية ، ويحتجُّ لها بالآي والحديث ، فهل لك أن تسمعَ كلامَهُ من حيثُ لا يشعر ؟! فقال : نعم ، فحضر معه في ليلة إلى الصباح ، فقال : لم أنكر من أحواله ولا من أحوال أصحابه شيئاً ، قال : لأني رأيتُهم لمَّا أُذِّنَ بالمغرب تقدَّم فصلَّىٰ ، ثم حضرَ الطعام ، فجعل يُحدِّثُ أصحابَهُ وهو يأكلُ ، وهٰذا من السُّنة ، فلما فرغوا من الطعام ، وغسلوا أيديَهم جلسَ ، وجلسَ أصحابُهُ بين يديه ، وقال : من أرادَ منكم أن يسألَ عن شيءٍ فليسأل ، فسألوه عن الرياء والإخلاص ، وعن مسائلَ كثيرةٍ ، فأجاب عنها ، واستشهدَ عليها بالآي والحديث ، فلمَّا مرَّ جانبٌ من الليل أَمرَ الحارثُ قارئاً يقرأ ، فقرأ ، فبكوا وصاحوا وانتحبوا ، ثم سكتَ القارئُ ، فدعا الحارثُ بدعواتٍ خفافٍ ، ثم قامَ إلى الصلاة ، فلما أَصبحوا اعترفَ أحمدُ رضي الله عنه بفضله ، وقال : كنتُ أسمعُ عن الصوفية خلافَ هٰذا ، فأستغفرُ اللهَ العظيم ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٤٨) أبو سليمان داود بن نُصير الطائي رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه كبيرَ الشأن في باب الزهد والورع ، حتىٰ إنّهم دخلوا عليه في مرض موته ، فلم يجدوا في بيته شيئاً غيرَ دَنٍّ مُقيَّر فيه خبزٌ يابس[٢] ،

---

(١) انظر « طبقات ابن سعد » (٦/٣٦٧) ، و« حلية الأولياء » (٧/٣٣٥) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢/٢٧٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧/٤٢٢) ، و« طبقات المناوي » (١/٢٧٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٢٠٢) (١٤٦) .

(٢) في (د ، و ، ز) : (مغبَّر) بدل (مقير) .

ومطهرةٍ ، ولَبِنَةٍ كبيرة من التُّراب هي مخدَّته .

وكان رضي الله عنه يقول لأصحابه : (إياكم أن يتَّخذَ أحدُكم في داره أكثرَ من زاد الراكب إلى البلاد البعيدة) .

وقيل له مرَّةً : دلَّنا على رجلٍ نجلسُ إليه فنربح ، فقال رضي الله عنه : تلك ضالَّةٌ لا توجد .

وكان يقول : (إنما يُطلبُ العلمُ ليعمل به أوَّلاً فأولاً ، وإذا أفنى الطالبُ عمرَهُ في جمعه ، فمتىٰ يعملُ به ؟!) .

ومكث رضي الله عنه أربعاً وستين سنة أعزب ، فقيل له : كيف صبرتَ عن النساء ؟! قال : قاسيتُ شهوتهنَّ عند إدراكي سنةً ، ثم ذهبتْ شهوتُهنَّ من قلبي .

وكان لا يسألُ اللهَ الجنةَ حياءً منه ، ويقول : (وددتُ أن أنجوَ من النار ، فأصير رماداً) .

وكان يقول : (قد مللنا الحياةَ لكثرةِ ما نفعلُ من الذنوب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من علامةِ المُريد للزهدُ في الدنيا تركُ كلِّ خليطٍ يرغب فيها جملة كافية فلا يُجالسُه ، ولا يعودُه) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٤٩) أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه من مشايخ خُراسان ، له لسانٌ في التوكُّلِ ، حسنُ الكلام .

وقيل : إنه أولُ من تكلَّمَ في علم الأحوال بكورة خراسان .

صحب إبراهيم بنَ أدهم ، وأخذ عنه طريقته .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٦١) ، و« حلية الأولياء » (٨/ ٥٨) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ١٠٨) ، و« تاريخ دمشق » (٢٣/ ١٣١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ٣١٣) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٣٢٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٠٣) (١٤٧) .

وهو أستاذ حاتم الأصم رحمه الله .

وكان رضي الله عنه يقول : (عملتُ في القرآن عشرين سنة ، حتىٰ ميَّزتُ الدنيا من الآخرة ، فأصبتُهُ في حرفين ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ﴾ [القصص : ٦٠]) .

وكان يقول : (الزاهدُ هو الذي يُقيم زهدَه بفعله ، والمتزهِّدُ هو الذي يُقيم زهدَه بلسانه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (اتَّقِ الأغنياء ؛ فإنك متىٰ عقدتَ قلبَك معهم ، وطمعَكَ فيهم فقد اتَّخذتهم أرباباً من دون الله) .

وسُئل : بأيِّ شيءٍ يَعرف العبدُ بأن نفسَه اختارتِ الفقرَ على الغنىٰ ؟ فقال : إذا صارَ يخافُ من حصول الغِنىٰ كما كان يخافُ من حصول الفقر فقد اختارَ الفقر .

وسئل : ما علامةُ صدق الزاهد ؟ فقال : أن يصيرَ يفرحُ بكلِّ شيءٍ فاته من الدنيا ، ويغتمَّ لكلِّ شيءٍ حصل له منها .

وكان يقول : (مثلُ المؤمن كمثل الرجل غرسَ نخلةً ، وهو يخاف أن تحمل شوكاً ، ومثلُ المنافق كمثل رجل غرسَ شوكاً ، وهو يطمُع أن يحصده رطباً ، هيهات) .

وكان يقول : لقيتُ إبراهيم بنَ أدهم بمكَّةَ ، فقال لي : اجتمعتُ بالخَضِرِ عليه السلام ، فقدَّم لي قدحاً أخضرَ فيه رائحةُ السِّكباج(١) ، فقال لي : كلْ يا إبراهيم ، فرددْتُهُ عليه ، فقال : إني سمعتُ الملائكةَ تقول : من أُعطي فلم يأخذْ سألَ فلا يُعطىٰ .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا كان العالِمُ طامعاً ، وللمال جامعاً فبمن يَقتدي الجاهل ؟! وإذا كان الفقيرُ المشهورُ بالفقر راغباً في الدنيا ، والتنعُّم بملابسها ومناكحها . . فبمن يقتدي الراغبُ حتىٰ يخرجَ عن رغبته ؟! وإذا كان الراعي هو الذئبَ فمن يرعى الغنم ؟!) ، رضي الله عنه .

---

(١) **السِّكْباجُ** : طعام يعمل من اللحم والخل وأفاويه . « المعجم الوسيط » (س ك ب ج) .

ومنهم :

(١٥٠) أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي رضي الله عنه[(١)]

مات سنة إحدىٰ وستين ومئتين .

ومن كلامه رضي الله عنه : (مددتُ ليلةً رجلي في محرابي ، فهتف بي هاتفٌ : مَنْ يُجالسُ الملوكَ ينبغي له أن يُجالسَهم بحسن الأدب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (اختلافُ العلماء رحمةٌ ، إلا في تجريدِ التوحيد ، ولقد عملتُ في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدتُ شيئاً أشقَّ على العبد من العلمِ ومتابعتِهِ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (عرفتُ الله بالله ، وعرفت ما دونَ الله بنور الله) .

وكان يقول : (خلعَ اللهُ على العبيد النِّعَمَ ليرجعوا بها إليه ، فاشتغلوا بها عنه) .

وكان يقول : (إلـٰهي ؛ إنَّكَ خلقتَ هـٰؤلاء الخلقَ بغير علمهم ، وقلَّدتهم أمانةً بغير إرادتهم ، فإن لم تُعِنْهم فمن يُعينهم ؟!) .

وسئل رضي الله عنه عن السُّنة والفريضة ، فقال : (السُّنةُ تركُ الدنيا بأسرها ، والفريضة هي الصحبةُ مع الله تعالىٰ ؛ وذلك لأنَّ السنةَ كلَّها تدلُّ علىٰ ترك الدنيا ، والكتابَ كلَّه يدلُّ علىٰ صُحبة المولىٰ ؛ لأنَّ كلامَه صفةٌ من صفاته تعالىٰ ، والنِّعمُ أزلية ، فيجبُ أن يكونَ لها شكرٌ أزلي) .

وكان يقول : (رأيتُ ربَّ العزَّةِ في النوم ، فقلت : يا ربِّ ؛ كيف أجدُك ؟ فقال : فارقْ نفسَك وتعالَ إليَّ) .

وسئل رضي الله عنه : ما صفةُ العارفِ ؟ فقال : صفةُ أهل النار ، لا يموتُ فيها ولا يحيا .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٦٧) ، و« تاريخ الصوفية » (ص ١٩٨) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ١٨٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٨٦) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٦٥١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٠٤) (١٤٨) .

وقيل له : متىٰ يكونُ الرجلُ متواضعاً ؟ فقال : إذا لم يرَ لنفسه مقاماً ، ولا حالاً ، ولا يرىٰ أنَّ في الخلقِ مَنْ هو شرٌّ منه .

وكان يقول رضي الله عنه : (إنَّ أولياءَ الله تعالىٰ مخدَّرون عنده في جنان الأنس ، لا يراهم أحدٌ في الدنيا ولا في الآخرة) .

وكان يقول : (حظوظُ كرامات الأولياء على اختلافها تكونُ من أربعةِ أسماء : ﴿ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد : ٣] ، وكلُّ فريقٍ له منها اسمٌ ، فمَنْ فني عنها بعد ملابستها فهو الكاملُ التام ؛ فأصحابُ اسمه « الظاهر » يلاحظون عجائبَ قدرته ، وأصحاب اسمه « الباطن» يلاحظون ما يجري في السرائر ، وأصحاب اسمه « الأول » شغلُهم بما سبق ، وأصحاب اسمه « الآخر » متربِّصون بما يستقبلهم ، فكلٌّ يُكاشفُ علىٰ قدر طاقته ، إلا من تولَّى الحقُّ تعالىٰ تَدبيرَهُ) .

وكان رضي الله عنه يقول إذا سُئل عن المعرفة : (للخلقِ أحوالٌ ، ولا حالَ للعارفِ ؛ لأنَّهُ مُحيت رسومُهُ ، وفنيتْ هويَّتُهُ لهوية غيره ؛ وغُيِّبتْ آثاره لآثار غيره ؛ فالعارفُ طيَّارٌ ، والزاهدُ سيَّار) .

وكتب يحيى بنُ معاذ إلىٰ أبي يزيد : إنني سكرتُ من كثرة ما شربتُ من كأس محبَّتِهِ ، فكتبَ إليه أبو يزيد رضي الله عنه : غيرُكَ شربَ بحور السماوات والأرض وما رُوي بعدُ ، ولسانُهُ خارجٌ يقول : هل من مزيد ؟

ودخل إبراهيم بنُ [استنبه] الهروي[١] يوماً علىٰ أبي يزيد ، فقال له أبو يزيد : وقع في خاطري أني أَشفعُ لك إلىٰ ربِّي عز وجل ، فقال : يا أبا يزيد ؛ لو شفَّعكَ اللهُ في جميع المخلوقين لم يكن ذلك كثيراً ، إنما هم قطعةُ طين ، فتحيَّرَ أبو يزيد من جوابه .

ودخل علىٰ أبي يزيد عالمُ بلده وفقيهُها يوماً ، فقال : يا أبا يزيد ؛ علمكُ هٰذا عمَّن ؟ وممن ؟ ومن أين ؟ فقال أبو يزيد : علمي من عطاءِ الله ، وعن الله ، ومن

---

(١) في (ح ، ط) : (ابن أبي شيبة) ، وفي باقي النسخ : (بن شيبة) ، وتقدمت ترجمته برقم (١٢١) (١/ ٢٧٤) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « منْ عملَ بمَا يعلمُ ورَّثهُ اللهُ عِلمَ ما لمْ يَعلمْ »(١) ، فسكتَ الفقيه .

وسُئل أبو علي الجوزجانيُّ رضي الله عنه عن الألفاظ التي تُحكىٰ عن أبي يزيد ، فقال : رحم الله أبا يزيد يُسلَّم له حالهُ ، ولعلَّه تكلَّمَ بها علىٰ حدِّ غلبةٍ ، أو حالِ سُكْرٍ ، ومن أراد أن يَرتقي إلىٰ مقام أبي يزيد فليسلِّمْ له حالَهُ ، وليجاهدْ نفسَهُ كما جاهدَ أبو يزيد ، فهناك يفهم كلام أبي يزيد) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٥١) أبو محمد سهل بنُ عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رَفِيع التُّستري رضي الله عنه(٢)

هو أحدُ أئمة القوم ، ومن أكابر علمائهم المتكلِّمين في علوم الإخلاص والرياضات وغيوب الأفعال .

صحب خالَهُ محمد بن سِوار ، وشاهد ذا النُّون المصري عند خروجه إلىٰ مكة في سنة ثلاث وسبعين ومئتين .

وماتَ سهلٌ سنة ثلاث وثمانين ومئتين .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا ، وإذا انتبهوا ندموا ، وإذا ندموا لم تنفعْهم الندامة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما طلعتْ شمسٌ ولا غربت علىٰ أهل الأرض إلا وهم جهَّالٌ بالله ، إلا من يُؤثر اللهَ علىٰ نفسه وزوجته ، ودنياه وآخرته ، وأدنى الأدبِ أن

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٥) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ١٨٨) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢٠٦) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ١٨٩) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٢٠٦) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ٥١) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٣٢٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٣٣٠) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٠٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٦٣٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٠٦) (١٤٩) .

يقفَ عند الجهل ، وآخرُ الأدب أن يقفَ عند الشُّبهة) .

وكان يقول : (إنَّ الله تعالى مطَّلعٌ على القلوب في ساعات الليل والنهار ، فأيُّما قلبٍ رأىٰ فيه حاجةً إلىٰ سواه سلَّطَ عليه إبليس) .

وكان يقول : (يلزمُ الصوفيَّ ثلاثةُ أشياء : حفظُ سرِّه ، وصيانةُ فقره ، وأداءُ فرضه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إن اللهُ قبلةُ النية ، والنيَّةُ قبلة القلب ، والقلبُ قبلة البدن ، والبدنُ قبلةُ الجوارح ، والجوارحُ قبلةُ الدنيا) .

وكان يقول : (من سلمَ من الظنِّ سلمَ من التجسُّس ، ومن سلمَ من التجسُّسِ سلمَ من الغيبة ، ومن سلمَ من الغيبة سلمَ من الزُّور ، ومن سلم من الزُّور سلم من البهتان) .

وكان يقول : (لا يستحقُّ الإنسانُ الرياسةَ حتىٰ يصرفَ جهلَه عن الناس ، ويحملَ جهلهم ، ويتركَ ما في أيديهم ، ويبذلَ ما في يده لهم) .

وكان يقول : (من أخلاق الصدِّيقين ألا يحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين ، ولا يَغتابون ، ولا يُغتاب عندهم ، ولا يُشبعون بطونَهم ، وإذا وعدوا لم يُخلفوا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**الفتنةُ علىٰ ثلاثة أقسام** : فتنةُ العامة دخلتْ عليهم من ضياعةِ العلم ، وفتنة الخاصة دخلت عليهم من الرُّخص والتأويلات ، وفتنةُ العارفين دخلتْ عليهم من تأخير الحقِّ الواجب إلىٰ وقتٍ آخر) .

وكان يقول : (**أصولُنا سبعةُ أشياء** : التمسُّكُ بكتاب الله تعالىٰ ، والاقتداءُ بسُنَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكلُ الحلال ، وكفُّ الأذىٰ ، واجتنابُ المعاصي ، والتوبةُ ، وأداءُ الحقوق) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يطَّلعَ الناسُ علىٰ ما بينه وبين الله فهو غافل) .

وكان يقول : (لقد أيسَ العلماءُ في زماننا هـٰذا عن هـٰذه الثلاث خصال : ملازمة التوبة ، ومتابعة السُّنة ، وترك أذى الخلق) .

وكان يقول : (**العيشُ علىٰ أربعة أقسام** : عيشُ الملائكة في الطاعة ، وعيشُ

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في العلم وانتظار الوحي ، وعيشُ الصدِّيقين في الاقتداء ، وعيشُ سائر الناس ـ عالماً كان أو جاهلاً ، زاهداً كان أو عابداً ـ في الأكل والشرب ، والضرورةُ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والقوامُ للصدِّيقين ، والقوت للمؤمنين ، والمعلوم للبهائم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما عملَ عبدٌ بما أمره اللهُ تعالىٰ عند فسادِ الأمور ، وتشويشِ الزمان ، واختلافِ الناس في الرأي . . إلا جعلَهُ تعالىٰ إماماً يُقتدىٰ به ، هادياً مهدياً ، وكان غريباً في زمانه) .

وسئل عن الولي ، فقال : هو الذي توالتْ أفعالُه على الموافقة .

وسئل عن ذات الله عز وجل ، فقال : (ذاتُ الله تعالى موصوفة بالعلم ، غيرُ مدرَكَةٍ بالإحاطة ، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا ، وهي موجودةٌ بحقائق الإيمان من غيرِ حدٍّ ولا حلول ، وتراه العيونُ في العُقبىٰ ، ظاهراً في ملكه وقدرته ، وقد حجبَ سبحانه وتعالى الخلقَ عن معرفة كُنْهِ ذاته ، ودلَّهم عليه بآياته ، فالقلوبُ تعرفُهُ ، والأبصارُ لا تُدركه ، ينظرُ إليه المؤمنون بالأبصار من غيرِ إحاطةٍ ولا إدراك نهاية) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ الله تعالىٰ خلقَ الخلقَ ولم يحجبْهم عنه ، وإنما جاءهم الحجابُ من تدبيرِهم واختيارهم مع الله تعالىٰ ، وذلك هو الذي كدَّرَ على الخلق عيشهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (مُخالطةُ الوليِّ للناس ذلٌّ ، وتفرُّدُهُ عنهم عزٌّ ، وقلَّما رأيتُ وليّاً لله عز وجل إلا مُنفرداً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما من وليٍّ لله صحَّتْ ولايتُهُ إلا ويحضر إلىٰ مكَّةَ في كلِّ ليلةِ جمعة ، لا يتأخَّرُ عن ذلك) .

وكان رضي الله عنه يقول : أنا حجَّةُ الله على الخلق ، وأنا حجَّةٌ علىٰ أولياء زماني ، فبلغ ذلك أبا زكريا الساجي ، وأبا عبد الله الزُّبيري ، فذهبا إليه ، فقال له أبو عبد الله الزُّبيري وكان جسوراً ؛ لأنه ضرير : بلغنا عنك أنَّك تقولُ : أنا حجَّةُ الله على الخلق ، وأنا حجَّةٌ علىٰ أولياء زماني ، فبماذا صرتَ ؟! هل أنت نبيٌّ أو صدِّيق ؟!

فقال سهل : لم أذهبْ حيث ظننتَ ، ولستُ أنا بنبيٍّ ، إنَّما قلتُ هـٰذا ؛ لأنني صحَّحتُ أكلَ الحلال دون غيري ، فقال له : وأنت صحَّحتَ الحلالَ ؟! قال : نعم ، لا آكل دائماً إلا حلالاً ، فقال له الزُّبيري : وكيف ذلك ؟! فقال له سهل : قسمتُ عقلي ومعرفتي وقوتي علىٰ سبعةِ أجزاء ، فأتركُ الأكلَ حتىٰ يذهبَ منها ستةُ أجزاء ، ويبقىٰ جزءٌ واحد ، فإذا خفتُ أن يذهبَ ذلك الجزءُ ، وتتلفَ معه نفسي أكلتُ بقدر البُلغة ؛ خوفاً أن أكونَ أَعنتُ علىٰ نفسي ، ولتردَّ عليَّ الستةُ الأجزاء ، فبهـٰذا صحَّ لي الحلال ، فقال الزُّبيري : نحن لا نقدرُ على المداومة علىٰ هـٰذا ، ولا نعرفُ أن نقسمَ عقولَنا ومعرفتنا وقوَّتنا علىٰ سبعة أجزاء ، واعترفَ بفضل سهل ، رضي الله عنه .

وكان يقول : (يأتي على الناس زمانٌ يذهبُ الحلالُ من أيدي أغنيائهم ، وتكونُ أموالُهم من غير حلِّها ، فيسلِّطُ اللهُ بعضَهم علىٰ بعض ـ يعني : بالأذىٰ والمرافعات عند الحكام ـ فتذهب لذَّةُ عيشهم ، ويلزم قلوبَهم خوفُ فقر الدنيا ، وخوفُ شماتة الأعداء ، ولا يجدُ لذَّةَ العيشِ إلا عبيدُهم ومماليكهم ، وتكون ساداتُهم في بلاءٍ وشقاء ، وعناءٍ وخوفٍ من الظالمين ، ولا يستلذُّ بعيشٍ يومئذ إلا مُنافقٌ لا يُبالي من أين أخذ ، ولا فيما أنفق ، ولا كيف أهلك نفسه ، وحينئذ تكونُ رتبةُ القرَّاءِ رتبةَ الجهَّال ، وعيشُهم عيشَ الفجَّار ، وموتُهم موتَ أهل الحيرة والضلال) .

وكان رضي الله عنه يقول : اجتمعتُ بشخصٍ من أصحاب المسيح عليه الصلاة والسلام في ديارِ قوم عاد ، فسلَّمتُ عليه ، فردَّ عليَّ السلام ، فرأيت عليه جُبَّةَ صوفٍ فيها طراوةٌ ، فقال لي : إنَّ لها عليَّ من أيام المسيح ، فتعجَّبت من ذلك ، فقال : يا سهلُ ؛ إنَّ الأبدانَ لا تُخلِقُ الثيابَ[1] ، إنما يُخلِقُها رائحةُ الذنوب ، ومطاعُم السُّحت ، فقلتُ له : فكم لهـٰذه الجبة عليك ؟ فقال : لها عليَّ سبع مئة سنة ، فقلت له : هل اجتمعتَ بنبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : نعم ، وآمنتُ به حين آمنَ به الجنُّ الذين أُوحيَ إليه في حقِّهم : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن : ١] .

قلت : ومن هنا كان الخَضِرُ عليه السلام لا تَبلىٰ له ثيابٌ ؛ لأنه لا يَعصي الله

---

(١) **الثوبُ الخَلَقُ** ؛ أي : البالي .

تعالىٰ ، ولا يأكلُ حراماً ، وكما لا يَبلىٰ لآكلِ الحلالِ ثيابٌ فكذلك لا يَبلىٰ له جسمٌ بعد موته ، كما وقع لبعضِ الأولياء ، وجدناه طريّاً كما وضعناه بعد سنين ، والله تعالىٰ أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (إيَّاكم ومعاداةَ من شهرَهُ الله تعالىٰ بالولاية ، وإنه كان بالبصرة وليٌّ لله تعالىٰ ، فعاداه قومٌ وآذوه ، فغضبَ اللهُ عليهم ، فأهلكهم أجمعين في ليلةٍ) .

وكان يقول : (طوبىٰ لمن تعرَّفَ بالأولياء ؛ فإنَّه إذا عرفَهم استدركَ ما فاته من الطاعات ، وإنْ لم يستدركْ شفعوا عند الله تعالىٰ فيه ؛ لأنهم أهلُ الفتوة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الدنيا حرامٌ علىٰ صفوة الله من خلقه ، حرَّمَ عليهم أن ينالوا منها شيئاً ، كما حرَّمَ الله على الخلقِ أن يأكلوا من صيدِ الحرم ، ومن أكلَ منه لزمتْهُ الفديةُ ، كذلك من أكل من أهلِ صفوته شيئاً من الدنيا ليس له فديةٌ إلا تركَ الطاعات) .

وكان يقول : (إذا قامَ العبدُ بما لله تعالىٰ عليه فحقيقٌ على الله أن يقومَ بما كان العبد قائماً به لنفسه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لم يكنْ مطعمُهُ من الحلال لم يُكشفْ عن قلبه حجابٌ ، وتسارعتْ إليه العقوبات ، ولا تنفعُهُ صلاتُه ، ولا صومه ، ولا صدقته) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنما حُجبَ الخلقُ عن مشاهدة الملكوت ، وعن الوصول . . بسوءِ المطعمِ ، وأذى الخلق) .

وكان يقول لأصحابه : (ما دامتِ النفسُ تطلبُ منكم المعصيةَ فأدِّبوها بالجوع والعطش ، فإذا لم تردْ منكم المعصيةَ فأطعموها ما شاءت ، واتركوها تنامُ من الليل ما أحبَّت) .

وسُئل رضي الله عنه عن الذي لم يأكل طعاماً أياماً كثيرة : أين يذهبُ لهبُ جوعه ؟! فقال : يطفئُهُ نورُ القلب .

وكان رضي الله عنه يقول : (حياةُ القلوب التي تموتُ بذكرِ الحيِّ الذي لا يموت) .

وكان رضي الله عنه يقول : (مَنْ كملَ إيمانُهُ لم يخفْ من شيءٍ سوى الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (خيارُ الناس العلماء الخائفون ، وخيار الخائفين المخلصون الذين وصلوا إخلاصهم بالموت) ، رضي الله عنهم .

ومنهم :

(١٥٢) أبو سليمان عبد الرحمـٰن بن عطية الداراني رضي الله عنه[١]

وداريا[٢] : قريةٌ من قرىٰ دمشق ، من بني عنس[٣] .

وكان كبيرَ الشأن في علوم الحقائق والورع .

مات سنة خمسَ عشرة ومئتين .

ومن كلامه رضي الله عنه : (لا ينبغي لفقيرٍ أن يزيدَ في نظافةِ ثيابه علىٰ نظافة قلبه ؛ بل يُشاكلُ ظاهرُهُ باطنَهُ) .

قال أحمد بن أبي الحواري : وسمعتُ أبا سُليمان يقول يوماً : ليتَ قلبي في القلوبِ مثلُ ثوبي في الثياب ، قال أحمد : وكانت ثيابُهُ وسطاً .

وكان رضي الله عنه يقول : (من صارعَ الدنيا صرعتْهُ ، وإذا سكنتِ الدنيا في قلبٍ ترحَّلتْ الآخرة منه) .

وقال أحمد بن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان : صليتُ أمسِ صلاةً في خلوةٍ ،

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢١٨) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٧٥) ، و« حلية الأولياء » (٩/ ٢٥٤) ، و« تاريخ دمشق » (٣٤/ ١٢٤) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٢٣٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ٣٦٩) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٥٩٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٠/ ١٨٢) ، و« نفحات الأنس » (ص ٥٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٦٦٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢١٠) (١٥٠) .

(٢) **داريا** : قرية جنوب دمشق تبعد عنها (٨كم) ، والنسبة إليها داراني ، وهي من شواذ النسب . انظر الأنساب (٥/ ٢٤٤) .

(٣) في النسخ : (عبس) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

فرأيتُ لها لذَّةً ، فقال لي : وأيُّ شيءٍ ألذَّك منها ؟! قلت : كونه لم يرني أحدٌ ، فقال : يا أحمد ؛ إنك لضعيف حيث خطرَ بقلبك ذكرُ الخلق .

وسأله رجلٌ عن أقرب ما يتقرَّبُ به العبدُ إلى الله عز وجل ، فقال : أن يطَّلع اللهُ علىٰ قلبك وأنت لا تريدُ في الدارين غيرَهُ .

وكان رضي الله عنه يقول : (الدنيا تهربُ من الطالب لها ، وتطلبُ الهاربَ منها ، فإن أدركتِ الهاربَ منها جرحته ، وإن أدركها الطالبُ لها قتلته) .

وكان يقول : (إنما يعجبُ بعمله القدريةُ الذين يزعمون أنَّهم يعملون أعمالَهم ، أمَّا الذي يَرىٰ أنه مُستعمَلٌ ، فبأي شيءٍ يَعجب ؟!) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو اجتمعَ الناسُ علىٰ أن يضعوني كاتِّضاعي عند نفسي ما قدروا عليه ، ومن رأىٰ لنفسِهِ قيمةً لم يجدْ حلاوةَ الخدمة) .

وقال أحمد بن أبي الحواري : قال لي أبو سليمان الداراني : (يا أحمد ؛ ما أنجبَ مَنْ أنجبَ إلا بالقبول من المعلِّمين ، وأنا أقول لك : لا تفتحْ أصابعَكَ في القصعة ، يا أحمد ؛ عهدتُ ناساً يعدُّون الجوعَ فيهم غنيمةً ، كما تعدُّ أنت وأصحابُك الصوفيةُ الشبعَ غنيمة ، يا أحمد ؛ كيف تنيرُ قلوبُهم وكلُّ شيءٍ يجدونه من الشبهات يأكلونه ؟! إني لآكلُ الشبهةَ فأجدُ ناراً علىٰ قلبي من الجمعة إلى الجمعة) .

وكان يقول : (إن الله تعالىٰ يفتحُ للعارف علىٰ فراشِهِ ما لا يفتحُ له وهو قائم يُصلِّي) .

ورئي أبو سليمان بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفرَ لي ، وما كان شيءٌ أضرَّ عليَّ من إشاراتِ القوم ؛ لما في التكلُّمِ بدقائق العلوم من التميُّزِ على الأقران .

وقال أحمد بن أبي الحواري : قال لي أبو سليمان رضي الله عنه : (يا أحمد ؛ من أكل طعامَ أخيه ليسرَّه بأكله لم يضرَّه أكلُه شيئاً ، وإنَّما يضرُّه إذا أكل بشهوةِ نفسه ؛ وذلك لأنَّ كلَّ شيءٍ قصدَ العبدُ به وجهَ الله تعالىٰ عاقبتُهُ حميدةٌ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (مَن صَغُرَ المؤمنُ في عينه استخفَّ بحرمته ، ومن لم

يتلاشَ في قلبه ذكرُ كلِّ شيءٍ يضادُّ ذكر الله تعالىٰ . . لم يجدْ صفوةَ ذكر الله تعالىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا أردتَ حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة فعليك بالجوع ، ثم اسألها ؛ وذلك لأنَّ الأكلَ يُغَيِّرُ العقلَ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٥٣) أبو محمد الفتح بن سعيد الموصلي رضي الله عنه[١]

وهو من أقران بشر بنِ الحارث ، والسَّريِّ السَّقَطي .

وكان كبيرَ الشأن في باب الورع والمعاملات .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من أدامَ ذكرَ الله تعالىٰ بقلبه أورثَهُ ذلك الفرحَ بالمحبوب ، ومن آثره علىٰ هواه أورثَهُ ذلك حبَّهُ إيَّاه ، ومن اشتاقَ إلى الله زهد فيما سواه) .

وكان يقول : (القلبُ إذا مُنع الذِّكرَ مات ، كما أنّ الإنسانَ إذا مُنع من الطعام والشراب يموتُ ، ولو علىٰ طول) .

وسأل رجلٌ المعافى بنَ عمران : هل كان لفتح الموصلي رضي الله عنه كبيرُ عمل ؟ فقال : كفاك بعمله تركُهُ للدنيا ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٥٤) أبو عبد الرحمـٰن حاتم بن عُلوان الأصمُّ رضي الله عنه[٢]

هو من قدماء المشايخ بخراسان ، من أهل بلخ .

صحب شقيقاً البلخي ، وهو أستاذ أحمد بن خضرويه .

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٨/ ٢٩٢) ، و« تاريخ بغداد » (١٢/ ٣٨١) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٢٥٠) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ١٧٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٧/ ٣٥٠) ، و« نفحات الأنس » (ص ٤٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٠٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢١٢) (١٥١) .

(٢) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٩١) ، و« حلية الأولياء » (٨/ ٧٣) ، و« تاريخ بغداد » =

مات بواشجرد سنة سبعٍ وثلاثين ومئتين ، ودفن عند رباطٍ يُقال له : سَروند[١] علىٰ جبلٍ فوق واشَجْرْد[٢] .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إذا رأيتَ المريدَ يُريد غيرَ مُرادِهِ . . فاعلمْ أنه قد أظهرَ بذالته[٣] وقد مُكر به) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من ادَّعىٰ ثلاثاً بغيرِ ثلاثٍ فهو كذَّاب : من ادَّعىٰ خشيةَ الله تعالىٰ من غيرِ ورعٍ عن محارمه فهو كذَّابٌ ، ومن ادَّعىٰ حبَّ الجنة من غير إنفاق ماله في طاعةِ الله فهو كذَّابٌ ، ومن ادَّعىٰ محبَّة النبيِّ صلى الله عليه وسلم من غير محبَّةِ الفقر فهو كذَّاب) .

وأرسل عصام بنُ يوسف رحمه الله شيئاً إلىٰ حاتم ، فقبله ، فقيل له : لِمَ قبلتَهُ ؟ فقال : رأيتُ أنَّ في قبوله ذلَّ نفسي ، وفي ردِّه عزَّها .

وكان يقول : مررتُ براهبٍ ، فقال لي : من أين أنت ؟ فقلت : من بلخ ، فقال : مع مَنْ كنتَ تجلس ؟ فقلت : كنتُ أجالس شقيقاً البلخي ، فقال : أيشٍ سمعته يقول ؟ فقلت : سمعتُه يقول : لو أنَّ السماءَ من نحاس ، والأرضَ من حديد ؛ فلا السماءُ تمطر قطرةً ، ولا الأرضُ تُنبت حبةً ، وكان عيالي ملءَ ما بين الخافقين لم أُبال ، فقال الراهب : هـٰذا رجلُ سوء ، لا ينبغي الجلوسُ إليه ، فقلت : لِمَ ؟ فقال : لأنَّهُ يُفكِّرُ فيما لم يكن كيف لو كان ؛ إنما ينبغي له أن يُفكِّرَ فيما كان كيف كان ، لا تجالسْه ، فإنه فاسدُ الفكر .

ودخل حاتمٌ علىٰ محمد بنِ مقاتل عالمِ الريِّ يعودُه ، فرأىٰ دارَهُ واسعةً ، وفرشَهُ وطيئةً ، وغلماناً وخدماً بين يديه ، فلم يُسلِّم عليه ، وقال له : يا محمد ؛ بمن اقتديتَ

= (٨/ ٢٤١) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٢٥٦) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢/ ١٢٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/ ٤٨٤) ، و« نفحات الأنس » (ص ٩٨) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٨٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢١٣) (١٥٢) .

(١) في « طبقات الصوفية » (ص ٩١) : (رأس سروند) .

(٢) **واشَجْرْد** : قرية من قرىٰ ما وراء النهر نحو ترمذ . انظر « معجم البلدان » (٥/ ٣٥٣) .

(٣) في « الرسالة القشيرية » (ص ٤٦٨) : (نذالته) بدل (بذالته) .

في بناء بيتِك هـٰذا ، وفرشِك هـٰذه ، وأمتعتِك هـٰذه ، أبالنبيِّ صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين والأئمة الصالحين ، أم بفرعون ونمروذ ؟! فسكت محمد ، فقال حاتم : يا علماءَ السوء ؛ إنّما مثلكم مثلُ الجاهل المُتكالبِ على الدنيا ، الراغبِ فيها ، لا مثلُ العلماء العاملين ، بل أنتم فسادٌ للعامة ، يقولون : إذا كان هـٰذا محمدٌ العالمُ علىٰ هـٰذا الحال فأنا تبعٌ له ، فازداد محمد بنُ مقاتل مَرضاً إلىٰ مرضه من كلام حاتم رضي الله عنه .

ثم قال حاتمٌ رضي الله عنه لمحمد : أنا رجلٌ أعجمي ، أريدُ منك أن تُعلِّمني كيفَ الوضوء للصلاة ، فقال له : توضَّأْ ، وأنا أنظرُ ، فغسل حاتمٌ ثلاثاً في المضمضة والاستنشاق ، فلما جاء يده اليسرىٰ غسلَ يدَه أربعاً ، فقال له : أسرفتَ في غسلِ ذراعك أربعاً ، فقال حاتم : سبحان الله ، تُنكر عليَّ الإسرافَ في كفٍّ ماءٍ ، ولا تُنكرُ علىٰ نفسك في إسرافِكَ في جميع ما أنت فيه ، فعلم محمدٌ أنَّ حاتماً إنما قصدَ بطلبه تعليمَ الوضوء هـٰذه القضيةَ ، فتنبَّه محمدٌ لنفسه ، وخرج عن داره وغلمانه ، ولحقَ بالفقراء ، رضي الله عنهم أجمعين .

ومنهم :

(١٥٥) أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الواعظ الرازي رضي الله عنه[1]

كان أوحدَ وقته في زمانه ، له لسانٌ في الرجاء خصوصاً ، وكلامٌ في المعرفة .

أقام ببلخ مدَّةً ، ثم عاد إلىٰ نيسابور ، وماتَ بها سنة ثمانٍ وخمسين ومئتين .

ومن كلامه رضي الله عنه : (كيف يكونُ زاهداً من لا ورعَ له ؟! تورَّعْ عما ليس لك ، ثم ازهدْ فيما لك) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٣٤٥) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١٠٧) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٥١) ، و« تاريخ بغداد » (١٦/ ٣٠٦) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٢٧٠) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ١٤٥) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٣٨٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ١٥) ، و« نفحات الأنس » (ص ٨٣) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٧٢٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢١٤) (١٥٣) .

وكان رضي الله عنه يقول : (علىٰ قدرِ شُغلك بالله يشتغلُ في أمرك الخلقُ) .

وكان يقول : (جميعُ الدنيا من أولها إلىٰ آخرها لا تُساوي غمَّ ساعةٍ ، فكيف تغتمُّ عمرَك فيها مع قلّةِ نصيبك منها ؟!) .

وكان يقول : (الزاهدون غرباءُ في الدنيا ، والعارفون غرباءُ في الآخرة) .

وكان يقول لأصحابه : (اجتنبوا صحبةَ ثلاثةِ أصنافٍ من الناس : العلماء الغافلون ، والقرَّاء المُداهنون ، والمتصوِّفة الجاهلون ، الذين يتعبَّدون قبلَ تعلُّمِهم فروض دينهم) .

وكان يقول : (من لم ينتفعْ بأفعالِ شيخه لم ينتفع بأقواله) .

وكان يقول : (لا يزال دينُ العبدِ متمزِّقاً ما دام قلبُهُ بحبِّ الدنيا مُتعلِّقاً) .

وكان يقول : (الجوعُ نورٌ ، والشِّبعُ نارٌ ، والشهوة الحطبُ يتولَّدُ منه الإحراقُ ، فلا تنطفئُ نارُهُ حتىٰ يَحرقَ صاحبه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لبسُ الصوفِ حانوت ، والكلامُ في الزهد حرفةٌ) .

وكان يقول : (الوليُّ لا يُرائي ولا يُنافق ، وما أقلَّ صديقَ مَنْ هـٰذا خلقُهُ) .

وكان يقول : (الوليُّ ريحانُ الله في الأرض ، يشمُّه الصدِّيقون ، فتصل رائحتُهُ إلىٰ قلوبهم ، فيشتاقون به إلىٰ مولاهم ، ويزدادون برؤيته عبادةً) .

وكان يقول : (بئس الأخُ أخٌ تحتاجُ أن تقول له : ادعُ لي ، وبئس الأخُ أخٌ تحتاجُ أن تعتذرَ إليه عند زلَّتك) .

وكان رضي الله عنه يقول : العلماءُ العاملون أرأفُ بأمَّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم وأشفقُ عليهم من آبائهم وأمهاتهم ، قيل له : كيف ذلك ؟! قال : لأنَّ آباءهم وأمهاتِهم يَحفظونَهم من نار الدنيا ، والعلماءُ يحفظونهم من نار الآخرة وأهوالها .

وكان يقول : (من صحبَ الأولياء بصدقٍ ألهاه ذلك عن أهلِهِ وماله ، وعن جميع الأشغالِ ، فإذا صحَّ له ذلك معهم ترقَّىٰ إلىٰ مقامِ الاشتغال بالله ، فاشتغل به عمن سواه ، وإنْ لم يصحَّ له هـٰذا المقامُ مع الأولياء لا يشمُّ رائحةَ الاشتغال بالله أبداً) .

وكان رضي الله عنه يقول : العامَّةُ يحتاجون إلىٰ أهل العلم في الجنَّة ، كما في الدنيا ، فقيل له : كيف ؟! فقال : يُقال للعامَّةِ في الجنة : تمنَّوا ، فلا يدرون ما يقولون ، فيقولون : نرجعُ لأهل العلم ، فنسألهم ، فيكون ذلك تمامَ مكرمةٍ لأهل العلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (إيَّاكم والركونَ إلىٰ دار الدنيا ؛ فإنَّها دارُ ممرٍّ لا دار مقرٍّ ، الزادُ منها ، والمقيلُ في غيرها) .

وكان يقول : (لو أن رجلاً في علمِ ابن عباس ، وهو راغبٌ في الدنيا لنهيتُ الناسَ عن مجالسته ؛ فإنه لا ينصحكُ من خانَ نفسه) .

وكان يقول : (مثلُ الأولياء مثلُ الصيادين ، يصطادون العبادَ من أفواه الشياطين ، ولو لم يصدِ الوليُّ طولَ عمره إلا واحداً لكان قد أُوتي خيراً كثيراً) .

وكان يقول : (طلبُ الزُّهدِ فراراً من مشقَّةِ الأعمال الشاقَّةِ بطالةٌ ، ولبس الصوفِ من غير إماتةِ النفسِ جهالةٌ ، وتركُ المكاسب مع الحاجةِ إليها كسلٌ ، والكسبُ مع وجود الاستغناء عنه كلفةٌ ، والصبرُ على العزلة علامةُ وجود الطريق ، والتعبُّدُ مع تضييع العيال جهلٌ) .

وكان يقول : (كم بين من يُريد حضورِ الوليمة للوليمة ، وبين من يُريد حضورَ الوليمة ليلتقي الحبيبَ في الوليمة ؟!) .

وكان يقول : (محاربةُ الصدِّيقين لنفوسهم مع الخطرات ، ومحاربةُ الأبدال مع الفكرات ، ومحاربةُ الزهَّاد مع الشهوات ، ومحاربةُ التائبين مع الزلات) .

وكان رضي الله عنه يقول في دعائه : (إلـٰهي ؛ لا أقوىٰ علىٰ شروطِ التوبة ، فاغفرْ لي بلا توبة) .

وكان يقول : (لا يكونُ الرجلُ حكيماً[1] حتىٰ يلحظَ النساءَ بعين الشفقة ، لا بعين الشهوة) .

وكان يقول : (جالسوا الذاكرين ؛ فإنهم ملازمون بابَ الملك رضي الله عنهم) .

---

(١) في (و) وحدها : (حليماً) بدل (حكيماً) .

ومنهم :

(١٥٦) أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي رضي الله عنه[١]

هو من أكابر مشايخ خراسان .

صحب أبا تُراب النَّخْشَبي ، وحاتماً الأصم ، ورحل إلىٰ أبي يزيد البِسطامي ، وزار أبا حفص الحداد .

وهو من المشهورين بالفتوة .

مات سنة أربعين ومئتين رحمه الله تعالىٰ .

ومن كلامه رضي الله عنه : (وليُّ الله لا يُوسمُ نفسَه بسيما ، ولا يكونُ له اسمٌ يتسمَّىٰ به) .

وكان يقول : (من صبرَ علىٰ صبرٍ فهو الصابرُ ، لا من صبرَ وشكا) .

وكان يقول : بلغني أنَّ شخصاً من الأغنياء طلبَ زيارةَ شخصٍ من الزهَّاد ، فدخل عليه ، فرآه يفطرُ في رمضان علىٰ خبزِ الشعير والملح ، فرجعَ التاجرُ إلىٰ داره ، وأرسل للزاهد ألفَ دينار ، فردَّها ، وقال لغلامه : قلْ لمولاك : هـٰذا جزاءُ من أفشىٰ سرَّه علىٰ مثلك ، رضي الله عنهم .

ومنهم :

(١٥٧) أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه[٢]

واسم أبي الحواري : ميمون ، من أهل دمشق .

صحب أبا سليمان الداراني ، وسفيان بن عيينة ، وجماعةً من المشايخ .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٣٩) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١٠٣) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٤٢) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٢٨٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٢٩٩) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٣٦٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/ ٤٨٧) ، و« نفحات الأنس » (ص ٨٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٣٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢١٧) (١٥٤) .

(٢) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٩٨) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٥) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٢٩٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٢٩١) ، و« سير أعلام النبلاء » =

مات سنة ثلاثين ومئتين ، رضي الله عنه .

وكان الجُنيد رحمه الله تعالىٰ يقول : (أحمد بن أبي الحواري ريحانةُ الشام) .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الدنيا مزبلةٌ ومجمعُ الكلاب ، وأقلُّ من الكلاب من علقَ بها ، وخاصمَ أصحابَهُ لأجلها ؛ فإنَّ الكلبَ يأخذُ منها حاجتَهُ وينصرف ، والمحبُّ لها لا يتركُها بحالٍ ، وكلَّما بلغَ منها مبلغاً طلبَ ما بعده) .

وكان رضي الله عنه يقول : علَّمني الخضرُ عليه السلام رقيةً للوجع ، فقال : إذا أصابَك وجعٌ فضعْ يدك على الموضع ، وقل : ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء : ١٠٥]، فلم أزلْ أقولُها على الوجع فيذهب لساعته .

وكان إذا اطَّلعَ أحدٌ علىٰ شيءٍ من أخلاقه الحسنةِ يلومُ نفسه ، ويقول : ما هٰذه الغفلةُ حتىٰ ظهرتْ محاسنُك للناس ؟! رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٥٨) أبو حفص عمر بن سالم الحداد النيسابوري رضي الله عنه[(١)]

من قرية يقال لها : كُورْداباذ ، بباب مدينة نيسابور علىٰ طريق بُخارىٰ .

صحب [عُبيدَ الله بن المهدي][(٢)] والنَّصْراباذي ، ورافق أحمد بنَ خضرويه البلخي ، وإليه ينتمي شاه بنُ شجاع الكرماني .

= (١٢/ ٨٥) ، و« نفحات الأنس » (ص ٩٩) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٣٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢١٧) (١٥٥) .

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٥٧) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١١٥) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٢٢٩) ، و« تاريخ بغداد » (١٤/ ٣١٣) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٣٠١) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ١٢٠) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٤٠٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٥١٠) ، و« نفحات الأنس » (ص ٨٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٦٨٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢١٨) (١٥٦) ، وقيل في اسمه : (عمرو بن سلمة) ، وقيل : (عمر بن سالم) . انظر مصادر ترجمته .

(٢) في النسخ : (عبد الله المهدي) ، والمثبت من « طبقات الصوفية » (ص ١١٥) .

وكان أحدَ الأئمة والسادة ، ومن كبار المشايخ المُشار إليهم .

مات سنة سبعين ومئتين .

وكان إذا ذُكر الله تعالىٰ تغيَّر عليه الحالُ ، حتىٰ يَعرف ذلك منه جميعُ من حضره .

وكان رضي الله عنه يقول : (من هوانِ الدنيا عليَّ أني لا أبخلُ بها علىٰ أحد) .

وقيل له : إن فلاناً من أصحابك يدورُ حول السماع ، فإذا سمعَ بكىٰ وصاح ، ومزَّقَ ثيابه ، فقال : أَيش يعملُ الغريق ، يتعلَّقُ بكلِّ شيءٍ يَظنُّ فيه نجاتَهُ .

وكان رضي الله عنه يقول : (حرستُ قلبي عشرين سنة ، [ثم حرسني قلبي عشرين سنة][1] ، ثم وردتْ حالةٌ فصرنا فيها جميعاً محروسَيْنِ) .

وكان يقول : (ما استحقَّ اسمَ السخاء مَنْ ذكر العطاء ولَمَحَهُ بقلبه) .

وسئل مرَّةً عن الوليِّ ، فقال : (هو من أُيِّدَ بالكرامات ، وغُيِّب عن البدع) .

وسئل مرّةً عن آداب الفقراء ، فقال : (هو حفظُ حرمات المشايخ ، وحسنُ العشرة مع الإخوان ، والنصيحةُ للأصاغر ، وتركُ الخصومات في الأرفاق ، وملازمةُ الإيثار ، ومجانبة الادِّخار ، وتركُ صحبة من ليس علىٰ طريقهم ، ومعاونةُ الإخوان في أمرِ دنياهم وآخرتهم ، فاعرضْ هـٰذه الصفات علىٰ نفسك ، فإنْ وفَّيْتَ بها فأنتَ فقير) .

وكان يقول كثيراً : (**فسادُ الأحوال دخلَ من ثلاثة أشياء** : فسقِ العارفين ، وخيانةِ المحبِّين ، وكذب المريدين) .

قال أبو عثمان الحيري : (**فسق العارفين** : إطلاقُ الطَّرْفِ واللسان والسمع لأسباب الدنيا ومنافعها ، **وخيانة المحبِّين** : اختيارُ أهويتهم علىٰ رضا الله فيما يستقبلهم ، **وكذبُ المريدين** : أن يكونَ ذكرُ الخلق ورؤيتُهم أغلبَ علىٰ قلوبهم من ذكر الله عز وجل ورؤيته) .

وكان يقول : (إذا رأيتَ ضوءَ الفقير[2] في ثيابه فلا تَرْجُ خيرَهُ) رضي الله عنه .

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من « تاريخ الصوفية » (ص٢٥٩) .

(٢) في « تاريخ دمشق » (٦٦/١١٦) : (ضرَّ الفقير) .

ومنهم :

(١٥٩) أبو تُراب عسكر بنُ الحسين النَّخْشَبي رضي الله عنه[١]

صحب حاتماً الأصمَّ ، وأبا حاتم العطَّارَ .

وهو من جلَّة مشايخِ خراسان ، وكبارِهم المشهورين بالعلم والفتوة ، والزهد والتوكُّل والورع .

مات رحمه الله تعالىٰ بالبادية ، فنهشَتْهُ السِّباعُ سنة خمسٍ وأربعين ومئتين .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إن اللهَ عز وجل يُنطق العلماءَ في كلِّ زمانٍ بما يُشاكلُ أعمالَ ذلك الزمان) .

وكان رضي الله عنه يقول : (مَنْ شَغَلَ مَشغولاً بالله عن الله أدركَهُ المقتُ من ساعته) .

وكان يقول : (لا أعلمُ شيئاً أضرَّ بالمريدين من أسفارهم علىٰ مُتابعة نفوسِهم بغير إذن أستاذهم ، وما فسدَ مريدٌ من المريدين إلا بالأسفار ، ومعاشرةِ الأضداد) .

وكان يقول : (لا ينبغي لفقيرٍ قطُّ أن يُضيفَ إلىٰ نفسه شيئاً من المال ، ألا ترىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام حيث قال : ﴿ هِىَ عَصَاىَ ﴾ [طه : ١٨] ، وادعى الملك لها ، قال الله عز وجل : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [النمل : ١٠] فلمَّا قلبَ العين فيها لجأ وهرب ، فقيل له : ارجع ولا تخف[٢]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (رأيتُ رجلاً بالبادية ، فقلتُ له : من أنت ؟ فقال :

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٢٦) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١٤٦) ، و« حلية الأولياء » (١٠/١٥ ، ٢١٩) ، و« تاريخ بغداد » (١٤/٢٦٦) ، و« مناقب الأبرار » (١/٣١٢) ، و« تاريخ دمشق » (١٠/٣٤١) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢/٧) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٣٧٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/٥٤٥) ، و« نفحات الأنس » (ص ٧٦) ، و« طبقات المناوي » (١/٥٤٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٢٢٠) (١٥٧) ، ونخشب : من مدن ما وراء النهر ، بين جيحون وسمرقند ، وتسمىٰ نَسَف .

(٢) وكأن مراده قوله تعالى في سورة القصص الآية (٣١) : ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾ .

أنا الخضرُ الموكَّلُ بالأولياء ، أردُّ قلوبَهم إذا شردَتْ عن الله عز وجل ، يا أبا تراب ؛ التلفُ في أول قدمٍ ، والنجاةُ في آخر قدم) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٦٠) أبو محمد عبد الله بن خُبَيْق الأنطاكي رضي الله عنه(١)

صحب يوسف بنَ أسباط ، وهو من زهَّادِ الصوفية الأكياس في أكلِ الحلال ، والورعين في جميع الأحوال .

أصله من الكوفة ، وطريقتُهُ في التصوف طريقةُ الثوري رضي الله عنه ؛ فإنه صحبَ أصحابَهُ رضي الله عنهم .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إذا دنا الرجلُ القارئُ من المعصية ناداه القرآنُ من صدره : واللهِ ؛ ما لهٰذا حملتني ، فلو أنَّ العاصي سمعَ ذلك الصوتَ لماتَ حياءً من الله تعالىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (بلغنا أن حَبراً من أحبار بني إسرائيل كان يقول : يا ربِّ ؛ كم أَعصيك ولا تُعاقبْني ؟! فأوحى الله تعالىٰ إلىٰ نبيٍّ من بني إسرائيل : قل لفلان : كم أُعاقبُك وأنت لا تدري ؟! ألم أَسلبْكَ حلاوةَ مناجاتي ؟!) .

وكان يقول : (أنت لا تطيعُ من يُحسن إليك ، فكيف تُحسن إلىٰ من يُسيءُ إليك) ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٠٦) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١٤١) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ١٦٨) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٣٢٠) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ٤٤٥) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٤٢٧) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٠١) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٦٧٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٢١) (١٥٨) .

ومنهم :

(١٦١) أبو علي أحمد بن عاصم الأنطاكي رضي الله عنه[1]

هو من أقران بشر بنِ الحارث الحافي ، والسَّريِّ السَّقطي ، والحارثِ المُحاسبي .

وكان أبو سُليمان الداراني يُسمِّيه جاسوسَ القلوب ؛ لحدَّةِ فِراسته ، رضي الله عنه .

وكان يقول : ما كنتُ أظنُّ أني أُدركُ زماناً يعودُ الإسلامُ فيه غريباً ، فقيل له : وهل عادَ الإسلام غريباً ؟ فقال : نعم ، إن ترغبْ فيه إلىٰ عالمٍ تجدْه مفتوناً بالدنيا ، يُحبُّ الرِّياسةَ والتعظيم ، ويأكلُ الدنيا بعلمه ، ويقول : أنا أولىٰ بها من غيري ، وإن يُرغبْ فيه إلىٰ عابدٍ معتزلٍ في جبلٍ تجدْهُ مَفتوناً ، جاهلاً في عبادته ، مخدوعاً لنفسه ولإبليس ، قد صعدَ إلىٰ أعلىٰ درجات العبادة ، وهو جاهلٌ بأدناها ، فكيف بأعلاها ؟! فقد صارتِ العلماءُ والعُبَّاد سباعاً ضارية ، وذئاباً مختلسةً ، فهٰذا وصفُ أهلِ زمانك من أهل العلم والقرآن ، ورعاة الحكمة ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر : ٢] .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا جالستم أهلَ الصدق من الفقراء فجالسوهم بالصدق ؛ فإنهم جواسيسُ القلوب ، يدخلون في قلوبكم ، ويخرجون منها وأنتم لا تشعرون) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٦٢) منصور بن عمَّار الواعظ رضي الله عنه[2]

هو من أهل مرو ، وأقام بالبصرة .

وكان من أحسنِ الواعظين ، ومن حكماء المشايخ ، كبيرَ الشأن في التقلُّل والورع .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ١٣٧) ، و« حلية الأولياء » (٩/ ٢٨٠) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٣٢٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٣٠٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٠/ ٤٨٧) ، و« نفحات الأنس » (ص ٩٥ ، ١٤٠) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٣٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٢١) (١٥٩) .

(٢) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٣٣٩) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١٣٠) ، و« حلية الأولياء »=

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا سَخِرَ الشيطانُ برجلٍ جعله ينقلُ إلى الناس النميمة والقاذورات ، ولو أنَّ إبليسَ كان يهابُهُ ما حمَّلَه شيئاً من ذلك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (سبحانَ من جعلَ قلوبَ العارفين أوعيةً للذكر ، وقلوبَ أهلِ الدنيا أوعيةً للطمع ، وقلوب الفقراء أوعيةً للقناعة) .

وكان يقول : (عجباً للقرّاء ! كيف يهجرون إخوانهم سنين على زلَّةٍ وقعتْ ، ولا يحملونهم على القناعة والتوبة ، وإذا رأوا ظالماً يأخذُ مالاً بغير حقٍّ ثم يتوارىٰ عنهم بجدارٍ.. يقولون : هو حلالٌ ؛ لاحتمالِ أن يكونَ أبدلَهُ بغيره ، ولا يرون أنَّ ذلك الواقعَ في الزلَّةِ تابَ عن زلَّته بعد مدَّةٍ ، والقاعدةُ واحدة ؟!) رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٦٣) حمدون بن أحمد القصار النيسابوري رضي الله عنه[1]

وهو شيخُ الملامتية بنيسابور ، ومنه انتشرَ مذهبُ الملامتية .

صحب أبا تُراب النَّخْشبيَّ ، والنَّصراباذي .

وكان فقيهاً عالماً ، يذهبُ مذهبَ الثوري رضي الله عنه ؛ وطريقتُهُ لم يأخذْها عنه أحدٌ من أصحابه كأخذِ عبدِ الله بنِ محمد بن مُنازل صاحبه .

= (٩/ ٣٢٥) ، و« تاريخ بغداد » (١٥/ ٨٠) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٣٢٩) ، و« تاريخ دمشق » (٦٠/ ٣٢٧) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٦١) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٤٢٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ٩٣) ، و« نفحات الأنس » (ص ٩٤) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٧٢٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٢٢) (١٦٠) .

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ١٤٥) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١٢٣) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٢٣١) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٣٣٥) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢/ ٢٢٦) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٣٥٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٥٠) ، و« نفحات الأنس » (ص ٩١) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٩١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٢٣) (١٦١) .

مات حمدون سنة إحدىٰ وسبعين ومئتين بنيسابور ، ودُفن في مقبرة الحيرة .

وكان رضي الله عنه يقول : (من ظنَّ أن نفسَه خيرٌ من نفس فرعون فقد أظهرَ الكِبر) .

وكان يقول : (من نظرَ في سيرِ السَّلف عرفَ تقصيرَهْ ، وتخلُّفَهُ عن درجات الرجال) .

وقيل له : ما بالُ كلامِ السلَف أنفعُ من كلامنا ؟! فقال : لأنَّهم تكلَّموا لعزِّ الإسلام ، ونجاةِ النفوس ، ورضا الرحمـٰن ، ونحن نتكلَّمُ لعزِّ النفوس ، وطلبِ الدنيا ، واعتقادِ الخلائق لنا .

وكان يقول للفقهاء : (إذا أشكلَ عليكم علمٌ فاسألوا عنه القوم ، لـٰكن بذلٌ النفوس ، وإظهارِ الضعف ، والاعترافُ بالجهل يزيلُ عنكم الإشكال) .

وكان رضي الله عنه يقول : (جمالُ الفقير في تواضعه ، فإذا تكبَّرَ فقد زادَ على الأغنياء في الكِبْر) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا صحبتَ فاصحبِ الصوفيةَ ؛ فإنَّ للقبيحِ عندهم وجوهاً من المعاذير ، وليس للحسن عندهم كبيرُ موقع يُعظِّمونك به) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٦٤) أبو الحسن المقرئ رضي الله عنه رضي الله عنه[(١)]

كان يقول : (لو عملَ قارئُ القرآن بالقرآن لم تحرقْه نارُ الدنيا) .

وكان يقول : (يَقبحُ علىٰ قارئ القرآن أن يعصي اللهَ ولو مرةً في عمره) .

وكان يقول : (أعظمُ الكبائر فساد العلماء ، وأشدُّ المصائب زنى القرَّاء) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يأتي القرآنُ يومَ القيامة وحولَهُ المخلصون كالجمال

---

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٣٣٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٧/ ٢١١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٢٤) (٢٢٨) ، وانظر ترجمته أيضاً (٢/ ٥٣١) (٤٥٥) ، (٤/ ٥٣١) .

البُخت ، ويدورُ حوله قومٌ آخرون ، فيقول لهم : سحقاً ، أضعتموني في الدنيا ، فلا تصحبوني في الآخرة) .

ومنهم :

(١٦٥) السيد عبد الله من أولاد إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين[١]

كان رضي الله عنه يقول : رأيتُ جدِّي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسولَ الله ؛ من أقربُ الناس إليك من أهلك ؟ فقال : مَنْ تركَ الدنيا وراء ظهره ، وجعلَ الآخرةَ نُصبَ عينيه ، ولقيني وكتابُهُ مطهَّرٌ من الذنوب .

مات رضي الله عنه ودفن بالقرب من الإمام الليث ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٦٦) سيِّدُ الطائفة
أبو القاسم الجُنيد بن محمد الزَّجَّاج رضي الله عنه[٢]

كان أبوه يبيع الزُّجاج ؛ فلذلك يُقال له القَواريري .

أصلُه من نَهاوند ، ومولده ومنشؤه بالعراق .

وكان فقيهاً ، يُفتي الناسَ علىٰ مذهب أبي ثور صاحبِ الإمام الشافعي[٣] ، وراوي مذهبِهِ القديم .

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي .

(٢) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ١١١) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١٥٥) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٢٥٥) ، و« تاريخ بغداد » (٨/ ١٦٨) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٣٤١) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢/ ٥٥) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٤٢٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٦٦) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٢١) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٧٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ١٨٠) (١٤٠) .

(٣) **أبو ثور** : إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي (١٧٠ـ٢٤٠هـ) الإمام الحافظ ، المجتهد ، مفتي العراق ، قال الخطيب البغدادي في « تاريخه » (٦/ ٦٥) : (كان أبو ثور يتفقه أولاً بالرأي ، =

صحب خالَه السَّريَّ السقطي ، والحارثَ المحاسبي ، ومحمدَ بنَ علي القصَّاب .

وكان من كبار أئمة القوم وساداتهم ، وكلامُهُ مقبولٌ علىٰ جميع الألسنة .

مات رضي الله عنه يوم السبت سنة سبعٍ وتسعين ومئتين ، وقبره ببغداد ظاهرٌ ، يزوره الخاصُّ والعام .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إن اللهَ يَخلُصُ إلى القلوب من برِّه علىٰ حسب ما تخلُصُ القلوبُ إليه من ذِكره ، فانظرْ ماذا خالطَ قلبك) .

وكان يقول : (**التصوُّفُ** : هو صفاءُ المعاملة مع الله تعالىٰ ، وأصلُه : العزوفُ عن الدنيا ، كما قال حارثةُ : عزفتْ نفسي عن الدنيا ، فأسهرتُ ليلي ، وأظمأتُ نهاري)[1] .

وكان رضي الله عنه يقول : (الغفلةُ عن الله تعالىٰ أشدُّ من دخول النار) .

وكان يقول : (إذا رأيتَ الفقيرَ فلا تبدأه بالعلم ، وأبدأه بالرِّفق ؛ فإنَّ العلمَ يُوحشُهُ ، والرِّفق يُؤنسُه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلامُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن حضورٍ ، وكلامُ الصدِّيقين إشاراتٌ عن مشاهدات) .

= حتىٰ قدم الشافعي فاختلف إليه ، ورجع عن الرأي إلى الحديث) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٧٥) .

(١) روىٰ عبد الرزاق في « المصنف » (٢٠١١٤) وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣١٠٦٤) ، والبزار في « المسند » (٦٩٤٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٣/ ٢٦٦) بلفظ له : عن الحارث بن مالك الأنصاري رضي الله عنه : أنه مرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : « كيفَ أصبحتَ يا حارثُ ؟ » قال : أصبحت مؤمناً حقّاً ، فقال : « انظرْ ما تقولُ ؛ فإنَّ لكلِّ شيءٍ حقيقةً ، فما حقيقةُ إيمانكَ ؟ » فقال : عزفت نفسي عن الدنيا ، وأسهرت لذلك ليلي ، وأظمأت نهاري ، كأني أنظر إلىٰ عرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر إلىٰ أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلىٰ أهل النار يتضاغون فيها ، فقال : « يا حارثُ ، عرفتَ فالزمْ » . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ٥٧) : (وفيه ابن لهيعة ، وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أشارَ إلى الله تعالىٰ وسكنَ إلىٰ غيرِهِ ابتلاه بالمحنِ ، وحجب ذكرَهُ عن قلبه ، وأجراه علىٰ لسانه ، فإنِ انتبهَ وانقطعَ إلى الله وحده كشفَ اللهُ عنه المِحنَ ، وإن دامَ على السُّكون إلىٰ غيره نزعَ اللهُ من قلوبِ الخلائق الرحمةَ عليه ، وألبسَه لباسَ الطمع فيهم ، فتزداد مطالبته منهم ، مع فقدان الرحمة من قلوبهم ، فتصيرُ حياتُه عجزاً ، وموته كمداً ، وآخرتُه أسفاً ، ونحن نعوذ بالله من الركون إلىٰ غير الله) .

وكان يقول : (أكثرُ الناس علماً بالآفات أكثرُهم آفات) .

وسئل رضي الله عنه عن العارف ، فقال : إنَّ لونَ الماء لونُ إنائه ؛ أي : هو بحكمِ وقته .

وكان يقول : (مكابدةُ العزلة أيسرُ من مداراةِ الخلطة) .

وسُئل عن قربِ الله تعالىٰ ، فقال : بعيدٌ بلا اقتراب ، قريبٌ بلا التزاق .

وكان يقول : (من أرادَ أن يسلمَ له دينُهُ ، ويستريحَ بدنُه وقلبه فلا يلقَى الناسَ ؛ فإنَّ هـٰذا زمانُ وحشة ، فالعاقلُ من اختار فيه الوحدة) .

وجاءه رجلٌ مرَّةً بخمس مئة دينار ، فوضعها بين يديه ، وقال : يا سيدي ؛ فرِّقها علىٰ جماعتك ، فقال : ألك مالٌ غيرُ هـٰذا ؟ قال : نعم ، قال : أتطلبُ زيادةً علىٰ ما عندك ؟ قال : نعم ، فقال له الجنيد : خذْها ؛ فإنَّك إليها أحوجُ منَّا ، ولم يقبلها .

وكان رضي الله عنه يقول : (الشُّكر فيه علَّةٌ ؛ لأنَّ الشاكرَ طالبٌ لنفسه به المزيدَ ، فهو واقفٌ مع الله تعالىٰ علىٰ حظِّ نفسه بالشكر ، ولـٰكنَّ الشُّكرَ أَلا ترىٰ نفسَك أهلاً للرحمة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (المريدُ الصَّادقُ غنيٌّ عن علم العلماء ، وإذا أرادَ اللهُ بالمريد خيراً أوقعَهُ إلى الصوفية ، ومنعه صحبةَ القرَّاء) .

وكان يقول : (**التصوُّفُ** : أن تكونَ مع الله تعالىٰ بلا علاقة) .



وتارةً يقول : (هو عنوةٌ لا صلحَ فيها) .

وتارةً يقول : (هم أهلُ بيتٍ لا يدخلُ معهم غيرُهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا رأيتَ الصوفيَّ يعبأُ بظاهره فاعلمْ أنَّ باطنَه خرابٌ) .

وكان يقول : لقيتُ إبليسَ يمشي في السوق عُرياناً ، وبيده كسرةُ خبزٍ يأكلُها ، فقلتُ له : أما تستحي من الناس ؟! فقال : يا أبا القاسم ؛ وهل بقي علىٰ وجهِ الأرض أحدٌ يُستحىٰ منه ؟! من كان يُستحىٰ منهم تحت التراب ، قد أكلهم الثرىٰ .

وسئل رضي الله عنه مرَّةً عن التوحيد الخالص ، فقال : (أن يرجعَ آخرُ العبد إلىٰ أوله ، فيكون كما كان قبل أن يكون) .

وكان يقول : (التوحيدُ الذي انفردَ به الصوفيةُ هو إفرادُ القِدَم عن الحَدَث ، والخروجُ عن الأوطان ، وقطعُ الحجاب ، وتركُ ما علم وجهل ، وأن يكونَ الحقُّ مكان الجميع) .

وكان رضي الله عنه يقول : (علمُ التوحيد قد طُويَ بساطُه منذ عشرين سنة ، والناسُ يتكلَّمون في حواشيه) .

وسئل عن الإنسان يكون هادئاً ، فإذا سمعَ السَّماعَ اضطرب ، فقال : (إنَّ الله تعالىٰ لمَّا خاطبَ الذرِّية في الميثاق الأول بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . . استفرغتْ عذوبةُ سماعِ الكلام الأرواح ، فإذا سمعوا السماع حرَّكَهمُ ذكرُ ذلك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**تنزلُ الرحمةُ على الفقراء في ثلاثة مواطن** : عند السماع ؛ فإنهم لا يسمعون إلا من حقٍّ ، ولا يَقومون إلا عن وجد ، وعند أكلِ الطعام ؛ فإنَّهم لا يأكلون إلا عن فاقة ، وعند مُجاراة العلم ؛ فإنهم لا يذكرون إلا أحوال الأولياء) .

وكان رضي الله عنه يقول : دخلتُ يوماً على السَّريِّ ، فوجدتُ عنده رجلاً مغشيّاً عليه ، فقلتُ له : ما له ؟! فقال : سمعَ آيةً من كتاب الله تعالىٰ ، فقلتُ له : يُقرأ عليه الآية مرَّةً أخرىٰ ، فقُرئت ، فأفاقَ الرجلُ ، فقال السريُّ : من أين علمت هـٰذا ؟ فقلت

له : إنَّ قميصَ يوسف عليه السلام ذهبَ بسببه عَيْنَا يعقوب عليه السلام ، ثم عادَ بصره به ، فاستحسنَ ذلك مني .

وكان يقول : (مبنى التصوُّف علىٰ أخلاقِ ثمانيةٍ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : السَّخاءُ وهو لإبراهيم ، والرِّضا وهو لإسحاق ، والصبرُ وهو لأيوب ، والإشارة وهي لزكريا ، والغربةُ وهي ليحيىٰ[1] ، ولبسُ الصوف وهو لموسىٰ ، والسياحةُ وهي لعيسىٰ ، والفقرُ وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين) .

وحُكي : أنه لما حضرتْهُ الوفاةُ أوصىٰ أن يُدفنَ معه جميعُ ما هو منسوبٌ إليه من علمه ، فقيل له : ولِمَ ذلك ؟ فقال : أحببتُ ألا يراني اللهُ تعالىٰ وقد تركتُ شيئاً منسوباً إليَّ ، وعلمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظهراني الناس .

وكان يقول : (لا تصفو القلوبُ لعلم الآخرة إلا إذا تجرَّدَتْ من الدنيا ، فانظرْ في ابتداء أمرك علىٰ إخراج الدنيا من سرِّك ، واحذرْ ألا يبقىٰ عليك منها دقيق هوىً كامنٍ فيك ، فيوقفك ذلك عن النفاذ والترقِّي ، ولا يقدرُ شيخُك ينقلك عن ذلك خطوةً ما دمتْ كذلك ، فاسمعْ له وأطع) .

وسئل رضي الله عنه عن المعرفة بالله : هل هي كسبٌ أو ضرورة ؟ فقال رضي الله عنه : (رأيتُ الأشياء تُدرَك بشيئين ، فما كان منها حاضراً فبالحسِّ ، وما كان منها غائباً فبالدليل ، ولمَّا كان الحقُّ تعالىٰ غيرَ بادٍ لحواسِّنا كانت معرفتُهُ بالدليل والفحص ؛ إذ كنَّا لا نعلمُ الغيبَ والغائبَ إلا بالدليل ، ولا نعلم الحاضر إلا بالحسِّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما رأيتُ أحداً عظَّم الدنيا فقرَّتْ عينُه فيها أبداً ، إنما تقرُّ فيها عينُ من حقَّرها ، وأعرض عنها) .

وكان يقول : (من فتحَ علىٰ نفسِه بابَ نيَّةٍ حسنةٍ فتح الله عليه سبعين باباً من التوفيق ، ومن فتحَ علىٰ نفسِه بابَ نيَّةٍ سيئة فتح الله عليه سبعين باباً من الخذلان من حيث لا يشعر) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما احتشمَ صاحبٌ من صاحبِهِ أن يسألَهُ حاجةً إلا لنقصٍ في أحدِهما) .

---

(١) ترددت النسخ بين : (العزبة) و (الغربة) .

وكان يقول : إنَّ للعلم ثمناً ، فلا تُعطوه حتَّىٰ تأخذوا ثمنه ، قيل له : وما ثمنُهُ ؟ قال : وضعُهُ عند من يُحسن حملَه ولا يُضيِّعُه .

وقيل له مرَّةً : ما بالُ أصحابك يأكلونَ كثيراً ؟! فقال : لأنهم يَجوعون كثيراً ، قيل له : فما بالهم لا تهمُّهم قوةُ شهوة ؟! فقال : لأنهم لم يذوقوا طعمَ الزنىٰ[1] ، ويأكلون الحلالَ ، قيل له : فما بالهم إذا سمعوا القرآن لا يطربون ؟! قال : وأيُّ شيءٍ في القرآن يُطربُ في الدنيا ؟! القرآنُ حقٌّ نزلَ من عند حقٍّ ، لا يليقُ بصفات الخلقِ ، عند كلِّ حرفٍ منه على الخلقِ واجبٌ ، لا يُخرجهم منه إلا الوفاء لله عز وجل به ، فإذا سمعوه في الآخرة من قائله أطربَهم ، قيل له : فما بالهم يسمعونَ القصائدَ والأشعار والغناء فيطربون ؟! فقال : لأنها ممَّا عملت أيديهم ؛ ولأنه كلامُ المحبِّين ، قيل له : فما بالهم محرومين من أموال الناس ؟! فقال : لأن الله تعالىٰ لا يرضىٰ لهم ما في أيدي الناس ؛ لئلا يَميلوا إلى الخلقِ ، فيقطعوا عن الحقِّ تعالىٰ ، فأفردَ القصدَ منهم إليه اعتناءً بهم .

ولمَّا حضرته الوفاة دخل عليه أبو محمد الجَريري رضي الله عنه ، فقال : ألك حاجةٌ ؟ فقال : نعم ، إذا متُّ فغسِّلني ، وكفِّنِّي ، وصلِّ عليَّ ، فبكى الجَريري ، وبكى الناس معه ، ثم قال له الجُنيدُ : وحاجةٌ أخرىٰ ، فقال : وما هي ؟ فقال : تتَّخذُ لأصحابنا طعامَ الوليمة ، فإذا انصرفوا من الجنازة رجعوا إلىٰ ذلك حتىٰ لا يقعَ لهم تشتُّتٌ ، فبكى الجريري ، ثم قال : واللهِ ؛ لئن فقدنا هاتين العينين ما اجتمعَ منَّا اثنان أبداً .

قال أبو جعفر الفرغاني : (فكان واللهِ كذلك الأمرُ بعد وفاة الجنيد ، وإنما كان ذلك الاجتماع ببركة الشيخ ورؤيته رضي الله عنه) .

قال الجَريري : وكان في جوار الجُنيد رجلٌ مصابٌ في خربةٍ ، فلمَّا ماتَ الجُنيد رحمه الله تعالىٰ ودفناه ، ورجعنا من جنازته . . تقدَّمنا ذلك المُصابُ ، فصعِدَ موضعاً

---

(١) في « إحياء علوم الدين » : (٢/٢٩) قال : (ينكحون كثيراً ! قال : وأنت أيضاً لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون . . لنكحت كما ينكحون) .

عالياً ، وقال يا أبا محمد ؛ أتراني أَرجعُ إلىٰ تلك الخربة ، وقد فقدتُ ذلك السيد ؟!

ثم أنشأ يقول : [من مخلع البسيط]

وَا أَسفِي مِنْ فِراقِ قومِ ... هُمُ المصابيحُ والحصونُ
والمُدنُ والمُزنُ والرَّواسِي ... والخيرُ والأَمنُ والسُّكونُ
لمْ تتغيَّرْ لنَا الليالِي ... حتَّىٰ توفَّتْهمُ المَنونُ
فكلُّ جَمرٍ لنَا قلوبٌ ... وكلُّ ماءٍ لنَا عيونُ

قال : ثم غاب عنَّا ، فكان ذلك آخرَ العهد به ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٦٧) أبو عثمان الحِيري النيسابوري رضي الله عنه[1]

أصله من الرَّيِّ .

صحب قديماً يحيى بنَ معاذ الرازي ، وشاه بنَ شجاع الكرماني ، ثم رحل إلىٰ نيسابور قاصداً أبا حفص الحدَّادَ رضي الله عنه ، فزوَّجَهُ ابنته ، وأخذ عنه طريقته .

وكان رضي الله عنه أوحدَ المشايخ في سيرته ، ومنه انتشرتْ طريقةُ التصوف في نيسابور .

مات رحمه الله سنة ثمانٍ وتسعين ومئتين بنيسابور .

ومن كلامه رضي الله عنه : (لا يكملُ الرجلُ حتىٰ يستويَ في قلبه أربعةُ أشياء : المنعُ والعطاءُ ، والذلُّ والعزُّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (صحبتُ أبا حفص الحداد وأنا شابٌّ ، فطردني مرة ،

---

(١) **واسمه** : سعيد بن إسماعيل . انظر « تاريخ الصوفية » (ص ١٧١) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١٧٠) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٢٤٤) ، و« تاريخ بغداد » (١٠/ ١٤٤) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٣٧٩) ، و« المختار من المناقب الأخيار » (٢/ ٤٩٥) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٤٧٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٦٢) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٣٠) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٦٢٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٢٤) (١٦٣) .

وقال : لا تجلسْ عندي ، فقمتُ ، ولم أُولهِ ظهري ، فانصرفتُ إلىٰ ورائي ، ووجهي إلىٰ وجهه حتىٰ غبتُ عنه ، وجعلتُ في نفسي أن أحتفرَ حُفيرةً علىٰ بابه ، ولا أخرجُ منها إلا بأمره ، فلمَّا رأىٰ مني ذلك أدناني ، وجعلني من خواصِّ أصحابه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أصلُ العداوة من ثلاثة أشياء : الطمع في المال ، وفي إكرامِ الناس ، وفي قبول الناس) .

وكان يقول : (الخوفُ من الله تعالىٰ يُوصلُكَ إلى الله ، والكِبْرُ والعُجْبُ في نفسك يَقطعُك عن الله عز وجل ، واحتقارُ الناسِ في نفسك مرضٌ عظيمٌ لا يُداوىٰ) .

وكان يقول : (أنت في سجنٍ ما تبعتَ مُرادَكَ ، فإذا فوَّضْتَ وسلَّمتْ استرحت) .

وكان يقول : (اصحبوا الأغنياء بالتعزُّز ، والفقراءَ بالتذلُّل ، فإن التعزُّزَ على الأغنياء تواضعٌ ، والتذلُّلَ للفقراء شرفٌ) .

وقيل له : هل يُمكن العاقلُ أن يُقيمَ العذرَ لمن ظلمه ؟ فقال : نعم ، يعلمُ أنَّ الله تعالىٰ هو الذي سلَّطَهُ عليه .

وكان يقول : (من صحبَ أولياءَ الله تعالىٰ وُفِّقَ للوصول إلىٰ الطريق إلى الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (لا يرىٰ أحدٌ عيبَ نفسه وهو يَستحسنُ من نفسه شيئاً ، وإنما يرىٰ عيوبَ نفسه من يَتَّهِمُها في جميعِ الأحوال) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الزهدُ في الدنيا هو ألا يُبالي بمن أخذَها) .

وكان يقول : (إن الله تعالىٰ يُعطي الزاهدَ فوق ما يريد ، ويُعطي المستقيمَ موافقةَ ما يريد) .

وكان يقول : (من لم تصحَّ إرادتُهُ لا تَزيدُهُ الأيام إلا إدباراً عن الطريق طوعاً أو كرهاً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا صحَّتِ المحبة تأكَّدَ على المُحبِّ ملازمةُ الأدب) .

وكان يقول : (**السماعُ علىٰ ثلاثة أقسامٍ** : قسمٌ منها للمريدين والمبتدئين يَستدعون بذلك الأحوالَ الشريفة ، ولـٰكن يُخشىٰ عليهم في ذلك الفتنة والمراءاة ، والقسم الثاني

للصادقين يطلبون به الزيادةَ في أحوالهم ، ويسمعون من ذلك ما وافقَ أوقاتهم ، والقسم الثالث لأهل الاستقامة من العارفين رضي الله عنهم) .

ومنهم :

(١٦٨) أبو الحسين أحمد بن محمد النوري رضي الله عنه[١]

بغداديُّ المنشأ والمولد ، يُعرف بابن البغوي .

وكان من جلَّة المشايخ ، وعلماء القوم ، لم يكنْ في وقته أحسنُ طريقةً منه ، ولا ألطفُ كلاماً منه .

صحب سريّاً السقطي ، ومحمدَ بنَ القصَّاب ، وكان من أقران الجُنيد رحمه الله تعالىٰ .

مات سنة خمس وتسعين ومئتين .

وكان يقول : (**أعزُّ الأشياء في زماننا هـٰذا شيئان** : عالمٌ يَعملُ بعلمه ، وعارفٌ ينطقُ عن حقيقته) .

وكان يقول : (الجمعُ بالحقِّ تفرقةٌ عن غيره ، والتفرقةُ عن غيره جمعٌ به) .

وكان يقول : (ليس التصوُّفُ رسوماً ، ولا علوماً ، وإنما هو أخلاقٌ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لم يعرفِ اللهَ تعالىٰ في الدنيا لم يعرفْه في الآخرة) .

وكان يقول : (منذ عرفتُ ربِّي ما اشتهيتُ شيئاً ،ولا تمنيت شيئاً ، ولا استحسنتُ شيئاً) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٧٢) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١٦٤) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٢٤٩) ، و« تاريخ بغداد » (٦/ ٣٣١) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٣٨٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٣٥٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٧٠) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٢٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٢٦) (١٦٤) .

وكان يقول : (من رأيتَهُ يَركنُ إلىٰ غير أبناء جنسه ويخالطهم فلا تقربنَّ منه ، ومنْ رأيتَهُ يسمعُ القصائدَ ، ويميلُ إلى الرفاهية فلا ترجُ خيرَهُ ، ومن رأيتَهُ من الفقراء غافلَ القلب عند السماع فاتَّهمه) .

وكان يقول : (لكلِّ شيءٍ عقوبةٌ ، وعقوبةُ العارف انقطاعُهُ عن الذكر) .

وكان يقول : (هٰذا زمانٌ المعروفُ فيه زللٌ ، والصوابُ فيه خطأ ، والودادُ فيه دَخَلٌ)[1] .

ولما وقع بينه وبين المُعْتَضد[2] وقفة ، خرجَ إلى البصرة ، فأقام بها إلىٰ أن تُوفي المعتضد بالله ؛ خوفاً أن يسألَ الشفاعةَ إليه في حاجةٍ ، فلما ماتَ المعتضدُ عاد النُّوري إلىٰ بغداد .

وأصل الوقفة : أنَّه مرَّ عليه أدنانٌ من خمرٍ ، فكسرها ، فحملوه إلى المعتضد ، فقال له المعتضد : مَنْ أنتَ ؟ وكان يُسَفِّهُ قبْلُ كَلامَهُ ، فقال : مُحتسبٌ ، فقال : من ولاك الحسبة ؟ قال : الذي ولاك الخلافة ، وأغلظَ عليه القول ، ثم خرج من بلاده .

وكان يقول : وقفتُ علىٰ شيخ يُضرب بالسِّياط ، فعددتُ عليه ألفاً وهو ساكتٌ ، فاستحسنتُ صبرَهُ مع كِبَرِ سنِّه ، فلما أُدخلَ الرجلُ الحبسَ دخلتُ عليه ، فسألتُهُ عن صبره مع كِبَرِ سنِّه ، فقال : يا أخي ؛ إنما يَحملُ البلاءَ الهممُ لا الأجسام .

قال التفليسي رحمه الله تعالىٰ : (وكان النُّوريُّ إذا دخل مَسجد الشُّونيزية انقطعَ ضوءُ السِّراج من ضياءِ وجهه ؛ فلذلك سُمِّي النُّوري) .

قال : (وكان إذا حضرَ معنا لا تُؤذينا البراغيث) ، رضي الله عنه .

---

(١) الدَّخَلُ : المكر والغدر والخديعة .

(٢) هو أحمد بن طلحة بن جعفر ، أبو العباس ؛ المُعْتَضد بالله بن الموفق بالله بن المتوكِّل (٢٤٢ـ٢٨٩هـ) خليفة عباسي ، شجاع ، ذو عزم ، مهيب ، أعاد للخلافة قوتها .

ومنهم :

(١٦٩) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن الجلا رضي الله عنه(١)

ويُقال : أحمد ، وهو الأصحُّ .

بغداديُّ الأصل ، أقام بالرَّملة ودمشق .

وكان من جلَّةِ المشايخ بالشام .

صحب أباهُ ، وذا النُّون المصري ، وأبا عُبيد البُسري .

وكان عالماً ، وهو أستاذ محمد بنِ داود الدُّقي .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من استوىٰ عنده المدحُ والذمُّ فهو زاهد ، ومن حافظَ على الفرائض في أوَّلِ وقتها فهو عابدٌ ، ومن رأى الأفعالَ كلَّها من الله سبحانه وتعالىٰ فهو موحِّد) .

وقيل له : ما تقولُ في الرجل يدخلُ البادية بلا زاد ؟ فقال : هـٰذا من فعل رجالِ الله ، قيل : فإن مات ؟ قال : الديةُ على القاتل .

وكان يقول : (من غيرةِ الحقِّ تعالىٰ : أنَّه لم يجعل لأحدٍ عليه طريقاً ، ولم يؤيس أحداً من الوصول إليه ، وترك الخلقَ في مفازة التحيُّرِ يركضون ، وفي بحار الظنِّ يغرقون ، فمن ظنَّ أنه واصلٌ فاصَلَهُ ، ومن ظنَّ أنه فاصلٌ واصله ، فلا وصولَ إليه ، ولا مهربَ عنه ، ولا بدَّ منه) .

وكان يقول : (من علتْ همَّتُهُ عن الأكوان وصل إلىٰ مكوِّنها ، ومن وقفَ نفسه علىٰ شيءٍ سوى الحقِّ فاته الحقُّ ؛ لأنه أعزُّ من أن يرضىٰ معه شريكاً) .

---

(١) كذا (الجلا) بالقصر ، ففي « القاموس المحيط » (ج ل و) : (وابن الجلاَّ) مشددة مقصورة ، وانظر « تاريخ الصوفية » (ص ٧٧) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١٧٦) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣١٤) ، و« تاريخ بغداد » (٦/ ٤٦٠) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٤٠٦) ، و« المختار من المناقب » (١/ ٤٨٨) ، و« تاريخ دمشق » (٥/ ٨٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٤٥١) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٣٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٢٨) (١٦٥) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو أن رجلاً عصى الله تعالىٰ بين يدي ، ثم استترَ عني بجدارٍ . لم يسعْني من الله تعالىٰ أن أعتقَد عدمَ توبته ؛ لاحتمال أنه تاب) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٧٠) أبو محمد رُويم بن أحمد رضي الله عنه[1]

هو بغداديُّ الأصل ، من جلَّة مشايخ بغداد .

وكان فقيهاً علىٰ مذهب داود الأصفهاني[2] .

مات رُويمٌ رحمه الله تعالىٰ سنة ثلاث وثلاث مئة ، ودفن بالشُّونيزية .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من حكمةِ الحكيم : أن يوسِّعَ علىٰ إخوانه في الأحكام ، ويضيِّقَ علىٰ نفسه فيها ؛ فإنَّ التوسعةَ عليهم اتِّباعٌ للعلم ، والتضييقَ علىٰ نفسه من حكم الورع) .

وكان رضي الله عنه لا يعبأ بالمريد إذا لم يبذلْ روحَهُ في الطريق ، ويقول : (لا ينالُ هـٰذا الأمر إلا ببذلِ الروح ؛ فإن أمكنَكَ الدخولُ فيه علىٰ هـٰذا ، وإلا فلا تشتغلْ بزخارف الكلام) .

وكان يقول : (مَنْ قعدَ مع القوم وخالفهم في شيءٍ مما يتحقَّقون به نزعَ اللهُ نورَ الإيمان من قلبه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تزال الصوفيةُ بخيرٍ ما تنافروا ، فإذا اصطلحوا هلكوا) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ١٥٧) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١٨٠) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٢٩٦) ، و« تاريخ بغداد » (٩/ ٤٢٨) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٤١٤) ، و« المختار من المناقب » (٢/ ٣٩٤) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٤٨٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٢٣٤) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٤٤) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٩٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٢٩) (١٦٦) .

(٢) داود بن علي بن خلف الأصبهاني ، أحد أئمة المسلمين ورعاً وهداية ، انتهت إليه رئاسة العلم ببغداد ، وإليه ينسب مذهب أهل الظاهر ، توفي سنة (٢٧٠هـ) .

وسُئل رضي الله عنه عن المحبة ، فقال : هي الموافقةُ في جميع الأحوال ، وأنشد : [من الطويل]

ولوْ قُلتَ لِي مُتْ مُتُّ سمعاً وطاعةً وقُلتُ لِداعِي الموتِ أهلاً ومرحَبا[١]

وقيل له مرةً : كيف حالُك ؟ فقال : كيف حالُ من دينُهُ هواه ، وهمَّتُه شقاه ، ليس بصالحٍ تقيٍّ ، ولا عارفٍ نقي .

وكان رضي الله عنه يقول : (للعارف مرآةٌ إذا نظر فيها تجلَّىٰ له مولاه جلَّ وعلا) .

وكان يقول : (لي منذ عشرين سنةً لم يخطرْ في قلبي ذكرُ الطعام حتىٰ يحضر ، ولي منذ عشرين سنةً أُصلِّي الغداةَ بوضوء العشاء الأخيرة) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٧١) أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي رضي الله عنه[٢]

أصله من بلخ ؛ ولٰكنه أُخرج منها بسبب المذهب ، وجاء إلىٰ سمرقند واستوطنها ، **ومات بها سنة تسعَ عشرةَ وثلاث مئة** .

وكان من كبار المشايخ بخراسان ، وصحب أحمد بنَ خضرويه البلخي وغيرَه من المشايخ .

ولم يكن أبو عثمان الحيري يميلُ إلىٰ أحدٍ من المشايخ ميلَهُ إليه .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو وجدتُ في نفسي قوةً لرحلتُ إلىٰ أخي محمد بنِ الفضل ؛ سمسارِ الرجال) .

---

(١) في (د) وحدها : (ولو قال) بدل (ولو قلت) .

(٢) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٣٢٨) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢١٢) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٢٣٢) ، و« مناقب الأبرار » (ص ١٢١) ، و« المختار من المناقب » (٤/ ٤٢٩) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٨٢١) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٥٢٣) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٧٥) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٤٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٣٠) (١٦٧) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الدنيا بطنُك ، فبقدر زهدك في بطنك تزهدُ في الدنيا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (العَجَبُ ممن يقطعُ المفاوزَ حتىٰ يصلَ إلى الكعبة والحَرَم ؛ لأنَّ فيها آثارَ الأنبياء عليهم السلام ! كيف لا يقطعُ نفسَه وهواه حتىٰ يصلَ إلىٰ قلبه ؛ لأنَّ فيه آثارَ ربِّه عز وجل ؟!) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا رأيتَ المريدَ يستزيدُ من الدنيا وأمتعتِها فاعلمْ أنَّ ذلك من علامة إدباره) .

وكان يقول : (من الشقاءِ أن يُرزقَ العبدُ صحبةَ الصالحين ولا يحترمَهم) .

ورُويَ أنَّ أهل بلخ لما نفوه من البلد دعا عليهم ، وقال : اللهم ؛ امنعهم الصدق ، فلم يخرج من بلخٍ بعده صدِّيق أبداً ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٧٢) أبو بكر أحمد بن نصر الزقَّاقُ الكبير رضي الله عنه[١]

كان من أقران الجُنيد ، ومن كبار مشايخ مصر .

قال الكتَّاني : (لما ماتَ الزَّقاقُ انقطعتْ حجةُ الفقراء في دخولهم مصر) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**آفةُ المريد ثلاثةُ أشياء** : التزويجُ ، وكتبُه الحديث ، ومعاشرةُ الضدِّ) .

وكان يقول : (لا يصلحُ هـٰذا الأمرُ إلا لأقوامٍ قد كنسوا بأرواحهم المزابلَ علىٰ رضاً منهم واختيار) .

وكان يقول : (عطشتُ مرَّةً ، فاستقبلني جنديٌّ ، فسقاني شربةً ، فعادتْ قساوتُها في قلبي ثلاثين سنة) ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (١٠/ ٣٤٤) ، و« تاريخ بغداد » (٥/ ٤٤٢) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٤٢٦) ، و« المختار من المناقب » (١/ ٣٨٣) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٦٢) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٤٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٣١) (١٦٨) .

ومنهم :

(١٧٣) أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكِّي رضي الله عنه[١]

كان ينتسبُ إلى الجُنيد في الصحبة ، ولقي أبا عبد الله النِّباجي ، وأبا سعيد الخرّاز ، وغيرَهما من المشايخ .

وكان شيخَ القوم في وقته ، وإمامَ الطائفة في الأصول والطريقة ، وله كلامٌ حسن ، وروى الأحاديثَ عن محمد بن إسماعيل البُخاري وغيرِه .

مات رحمه الله تعالىٰ سنة إحدىٰ وتسعين ومئتين .

وكان رضي الله عنه يقول : (التوبة فرضٌ علىٰ جميع المذنبين والعاصين ؛ صَغُرَ الذنبُ أو كبر ، وليس لأحدٍ في ترك التوبة عذرٌ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلُّ ما توهَّمه قلبُك ، أو سنحَ في مجاري فكرِك ، أو خطر في معارضات قلبك ؛ من حسنٍ أو بهاء ، أو أنسٍ أو ضياء ، أو جمالٍ أو شبح[٢] ، أو نورٍ ، أو شخصٍ ، أو خيال . . فاللهُ عز وجل بخلافِ ذلك كلِّه ، هو أجلُّ وأكبرُ وأعظمُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لقد وبَّخَ اللهُ عز وجل التاركين للصبر علىٰ دينهم بما أخبرنا عن الكفار : أنهم قالوا : ﴿ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ [ص : ٦] ، فهـٰذا توبيخٌ لمن ترك الصبرَ من المؤمنين علىٰ دينه) .

وحكىٰ : أنه رأى الحسين بنَ منصور الحلاجَ يوماً وهو يكتب شيئاً ، فقال : ما هـٰذا ؟ فقال : هو ذا أعارضُ القرآن ، فدعا عليه ، وهجره .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٦١) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢٠٠) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٢٩١) ، و« تاريخ بغداد » (١٤/ ١٣٦) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٤٣٢) ، و« المختار من المناقب » (٤/ ١٣٥) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٤٥٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٥٧) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٢٦) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٦٩٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٣١) (١٦٩) .

(٢) في بعض نسخ الاستئناس : (أو قبيح) .

قال الشيوخ[1] : فالذي أصاب الحلاجَ وحلَّ به من البلاءِ كان من ذلك الدُّعاء ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٧٤) أبو الحسن سمنون بن حمزة الخوَّاص رضي الله عنه[2]

سمَّىٰ نفسَه سمنوناً الكذَّابَ .

صحب السَّريَّ السَّقَطي وغيرَه .

وكان رضي الله عنه يتكلَّمُ في المحبة أحسنَ كلامٍ .

وهو من كبار المشايخ ، رضي الله عنه .

مات بعد أبي القاسم الجُنيد علىٰ ما قيل[3] .

ومن كلامه رضي الله عنه : (لا يعبَّرُ عن شيءٍ إلا بما هو أرقُّ منه ، ولا شيءَ أرقُّ من المحبَّة ، فبم يُعبَّرُ عنها ؟!) .

وقال عليُّ بنُ الحسين رضي الله عنه : رأيت سمنوناً جالساً يوماً علىٰ شاطئ الدجلة ، وبيده قضيبٌ يضربُ به ساقَهُ وفخذَهُ حتىٰ تبدَّدَ لحمُهُ وتناثر ، وهو ينشد ويقول : [من مشطور السريع]

كـانَ لِـي قلـبٌ أعيـشُ بـهِ ... ضـاعَ منِّـي فِـي تقلُّبِـهِ
رَبِّ فـأرددْهُ علـيَّ فقـدْ ... عِيـلَ صبـرِي فِـي تطلُّبِـهِ
وأَغِـثْ مَـا دامَ لِـي رَمـقٌ ... يَـا غيـاثَ المُستغيـثِ بِـهِ

---

(١) في (ح) : (جمهور من العلماء) بدل (الشيوخ) .

(٢) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ١٨٦) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١٩٥) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٠٩) ، و« تاريخ بغداد » (١٠/ ٣٢٤) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٤٣٧) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ٤٤) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٤٩٨) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٥١) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٦٣٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٣٢) (١٧٠) .

(٣) مات الجنيد سنة (٢٩٧هـ) .

وسُئل مرة عن التصوف ، فقال : (هو ألا تملكَ شيئاً ، ولا يملكَك شيءٌ) .

وكان رضي الله عنه يقول : اجتمعتُ برجلٍ نقرَ له خشبةً في البحر ، له فيها منذ ثلاثين سنة ، فقلت له : حدِّثْني بأعجبَ ما رأيتَ في البحر ، فقال : هبَّتْ عليَّ في بعض الليالي ريحٌ عظيمة حتىٰ أظلمَ البحرُ ، فداخلني من ذلك وحشةٌ عظيمة ، فطلبتُ من الله شيئاً يُزيلُ تلك الوحشةَ ، وإذا بتنينٍ عظيمٍ فاتحٍ فاه ، فألقتني الخشبة نحوه ، فدخلتُ في فيه ، وجلستُ علىٰ نابٍ من أنيابه ، وصلَّيتُ ركعتين ، فزالتْ تلك الوحشةُ ، وحصل عندي أنسٌ عظيم ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٧٥) أبو عُبيد البُسري رضي الله عنه(١)

هو من قدماء المشايخ ، صحبَ أبا تُراب النَّخْشبي .

ومن كلامه رضي الله عنه : (لا تدخلُ العلَّةُ إلا من الأمن ، ولا يوجدُ المزيدُ إلا من الحذر ، حذرَ أقوامٌ فسلموا ، وأمنَ قومٌ فعطبوا) .

وكان يقول : (ذكرُ الله تعالىٰ باللِّسان دون القلب رياءٌ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٧٦) أبو علي الحسن بن علي الجُوزجاني رضي الله عنه(٢)

كان من أكابر مشايخ خراسان ، له التصانيفُ المشهورة في علوم الآفات ، والرياضات ، والمجاهدات ، والمعارف .

---

(١) **واسمه** : محمد بن حسان . انظر « مناقب الأبرار » (١/٤٤٥) ، و« تاريخ دمشق » (٥٢/٢٧٨) ، و« المختار من المناقب » (٤/١٦٣) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٦٨) ، و« طبقات الأولياء المكرمين » للسخاوي (ص ٥٢٥) ، و« طبقات المناوي » (٤/١٦٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٢٣٣) (١٧١) .

(٢) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٢٤٦) ، و« حلية الأولياء » (١٠/٣٥٠) ، و« مناقب الأبرار » (١/٤٤٩)، و« المختار من المناقب » (٢/٢٠٢) ، و« نفحات الأنس » (ص١٩١) ، و« الكواكب الدرية » (٢/٨٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٢٣٤) (١٧٢) .

صحب محمدَ بنَ علي الترمذي ، ومحمدَ بنَ الفضل رضي الله تعالى عنهم .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من علامة السعادةِ على العبد تيسيرُ الطاعة عليه ، وموافقتُهُ للسُّنة في أفعاله ، ومحبتُهُ لأهل الصلاح ، وحفظُ أخلاقه مع الإخوان ، وبذلُ معروفه للخلق ، واهتمامُهُ بأمر المسلمين ، ومراعاتُهُ لأوقاته ، وعلامةُ الشقاوة على العبدِ أن يكونَ بالضدِّ من هٰذه الصفات) .

وكان رضي الله عنه يقول : أصحُّ الطُّرقِ إلى الله تعالىٰ وأعمرُها وأبعدُها عن الشُّبَهِ . اتِّباعُ السُّنة قولاً وفعلاً ، وعزماً وقصداً ونيةً ؛ لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور : ٥٤] فقيل له : كيف الطريقُ إلى اتِّباع السُّنة ؟ فقال : مجانبةُ البدع ، واتِّباعُ ما أجمعَ عليه الصدرُ الأول من علماء الإسلام ، والتَّباعدُ عن مجالس الكلامِ وأهله ، ولزومُ طريقة الاقتداء بمن سبق ، قال تعالىٰ : ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل : ١٢٣] .

وكان رضي الله عنه يقول : (الخلقُ كلُّهم في ميادين الغفلة يركضون ، وعلى الظُّنون يعتمدون ، وعندهم أنَّهم على الحقيقةِ يتقلَّبون ، وعن المكاشفة يَنطقون) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٧٧) أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني رضي الله عنه[1]

كان من أولاد الملوك .

صحب أبا تراب النَّخْشَبي ، وأبا عُبيد البُسري .

---

(١) انظر : « تاريخ الصوفية » (ص ١٩١) ، و« طبقات الصوفية » (ص ١٩٢) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٢٣٧) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٤٥٢) ، و« المختار من المناقب » (٣/ ٩٠) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٣٩٨) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٢٨) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٣٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٣٥) (١٧٣) .
قال السمعاني في « الأنساب » (٥/ ٥٦) : (**الكَرماني** : بفتح الكاف ، وهو الصحيح ، غير أنه اشتهر بكسر الكاف) .

وكان من أجلِّ الفتيان وعلماء هٰذه الطائفة ، وله رسالات مشهورة .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من صحبَك ووافقك علىٰ ما يحبُّ ، وخالفك فيما يَكرهُ فإنَّما صحبَكَ لهواه ، فهو طالبٌ بصحبتك راحةَ الدنيا لا غير) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لأهل الفضل فضلٌ ما لم يَرَوْهُ ، فإذا رأوه فلا فضلَ لهم ، ولأهلِ الولاية ولايةٌ ما لم يَرَوْهَا ، فإذا رأوها فلا ولايةَ لهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما تعبَّدَ متعبِّدٌ بأكثرَ من التحبُّبِ إلى أولياء الله تعالىٰ ، فإذا أحبَّ أولياءَ الله فقد أحبَّ الله ، وإذا أحبَّه الأولياءُ فقد أحبَّه الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (لم يعجبْ معجبٌ بنفسه إلا وهو محجوبٌ عن ربِّه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا كان العالِمُ في هٰذا الزمان قد صار في ظلمةِ علمه . . فكيف بالجاهل المُقيم في ظُلمة جهله ؟! مع أنَّ ظلمةَ العلم أشدُّ ؛ لكونها غلبت نور العلم) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٧٨) أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه[١]

شيخُ الرَّيِّ والجبال في وقته ، وكان عالماً أديباً .

وكان من طريقتِهِ إسقاطُ الجاه ، وتركُ التصنُّع ، واستعمالُ الإخلاص .

صحب ذا النُّون المِصري ، وأبا تُراب النَّخْشَبي .

مات سنة أربعٍ وثلاث مئة .

وكان رضي الله عنه يقول : (لمَّا علمَ القومُ أنَّ اللهَ عز وجل يراهم استحيوا من نظره أن يراعوا شيئاً سواه) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ١٨٥) ، و« حلية الأولياء » (١٠/٢٣٨) ، و« تاريخ بغداد » (١٦/٤٦٢) ، و« مناقب الأبرار » (١/٤٥٦) ، و« المختار من المناقب » (٥/١٨٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/٢٤٨) ، و« نفحات الأنس » (ص١٤٧ ، ٢٦٥) ، و« طبقات المناوي » (٢/١٦٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٢٣٥) (١٧٤) .

وكان يقول في دعائه : (اللهم ؛ إنَّا نباتُ زرائع نعمتك ، فلا تجعلْنا حصائدَ نقمتك) .

وكان يقول : (أرغبُ الناس في الدنيا أكثرُهم ذمّاً لها عند أبنائها ؛ لأنَّ ذمهم لها عندهم حرفةٌ ، وما أقبحها حرفة ! يزهِّدُهم فيها ، ثم يأخذُها هو منهم في المجلس) .

وكان يقول : (رأيت في آفات الصوفية ، فرأيتُها في معاشرة الأضداد ، والميلِ إلى النسوان) .

وكان رضي الله عنه يقول : (للدنيا طغيانٌ ، وللعلم طغيانٌ ، فمن أراد النجاةَ من طغيان العلم فعليه بالعبادة ، ومَنْ أراد النجاةَ من طغيان المال فعليه بالزهد فيه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (بالأدبِ تفهم العلم[1] ، وبالعلم يصحُّ لك العمل ، وبالعمل تنال الحكمة ، وبالحكمة تقيم الزهد وتوفَّق له ، وبالزهد تتركُ الدنيا ، وبترك الدنيا ترغبُ في الآخرة ، وبالرغبة في الآخرة تنالُ رضا الله عز وجل) .

وكان رضي الله عنه يقول : في معنىٰ حديث : « أرحْنَا بهَا يا بلالُ » : (أي : أرحنا بالصلاة من أشغالِ الدنيا وحديثها ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كانت قُرَّةُ عينه في الصلاة)[2] .

وكان يقول : (إذا أردتَ أن تعرفَ العاقل من الأحمق فحدِّثْه بالمحال ، فإن قبله فاعلمْ أنَّه أحمق) .

وكان يقول : (إذا رأيتَ المريدَ يشتغلُ بالرُّخص وفواضلِ العلوم ، فاعلمْ أنَّه لا يجيءُ منه شيءٌ) .

وكان يقول : (من وقعَ في بحار التوحيد لم يزددْ علىٰ ممرِّ الأيام إلا عطشاً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**توحيدُ الخاصة** : هو أن يكونَ بسرِّه ووَجده وقلبه كأنَّه قائمٌ بين يدي اللهِ تعالىٰ ؛ تجري عليه تصاريفُ تدبيره ، وأحكامُ قدرته في بحار توحيده

---

(١) في (ز) : (يقيم) بدل (تفهم) .

(٢) رواه أبو داود (٤٩٨٥) عن سالم بن أبي الجَعدِ رحمه الله تعالىٰ .

بالفناء عن نفسه ، وذهاب حسِّه بقيام الحقِّ تعالىٰ له في مُراده منه ، فيكون كما هو قبل أن يكونَ في جريان حكمه عليه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (في كلِّ أمةٍ وديعةٌ أخفاهم الله تعالىٰ عن خلقه ، فإن يكن منهم في هٰذه الأمة شيءٌ فهم الصوفية) .

وكان رضي الله عنه إذا سمعَ القرآنَ لا تقطرُ له دمعةٌ ، وإذا سمع شعراً قامتْ قيامته ، ثم يلتفتُ إلى الحاضرين ويقول : أتلومون أهلَّ الراز علىٰ قولهم[1] : يوسف بنُ الحسين زنديقٌ ، هم معذورون ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٧٩) أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الترمذي الحكيم رضي الله عنه[2]

لقي أبا تراب النَّخْشَبي ، وصحب أبا عبد الله بن الجلاء ، وأحمد بن خضرويه .

وهو من كبار مشايخ خراسان ، وله التصانيفُ المشهورة ، وكتبُ الحديث .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما صنَّفتُ حرفاً عن تدبيرٍ ، ولا ليُنسبَ إليَّ شيءٌ من المؤلفات ، ولٰكن كان إذا اشتدَّ عليَّ وقتي أتسلَّىٰ به) .

وسُئل مرَّةً عن صفة الخلق ، فقال : (ضعفٌ ظاهرٌ ، ودعوىٰ عريضةٌ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من شرائطِ الخدَّام التواضعُ والاستسلام) .

وكان يقول : (كفىٰ بالمرءِ عيباً أن يَسرَّهُ ما يضرُّه) .

وكان يقول : (دعا الله الموحِّدين للصلوات الخمس رحمةً منه عليهم ، وهيَّأ لهم

---

(١) والمقصود : أهل الرَّيِّ ، والنسبة إليها رازي .

(٢) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٣٢١) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢١٧) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٢٣٣) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٤٦٥) ، و« المختار من المناقب » (٤/ ٤٠٧) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٦٢١) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٤٣٩) ، و« نفحات الأنس » (ص١٧٦) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٣٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٣٧) (١٧٥) .

فيها ألوانَ الضيافات ؛ لينال العبدُ من كلِّ قولٍ وفعلٍ شيئاً من عطاياه سبحانه وتعالىٰ ، فالأفعالُ كالأطعمة ، والأقوالُ كالأشربة ، وهم عرس الوحدانية) .

وكان رضي الله عنه يقول : (صلاحُ الصبيان في المكتب ، وصلاحُ قطّاع الطريق في السجن ، وصلاحُ النساء في البيوت) .

وكان رضي الله عنه يقول : (المحدَّثُ والمكلَّم إذا تحققا في درجاتهما لم يخافا من حديث النفس ، كما أنَّ النبوَّة[1] محفوظةٌ بالنسخ لإلقاء الشيطان ، كذلك محلُّ المكالمة والمحادثة مصونٌ عن إلقاء النفس ، محروسٌ بالحقِّ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٨٠) أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق رضي الله عنه[2]

أصله من تِرْمذ ، وأقام ببلخ .

لقي أحمد بن خضرويه ، وصحب محمد بنَ سعد الزاهد ، ومحمد بن عمر البلخي .

له التصانيفُ المشهورة في أنواع الرياضات والآداب والمعاملات .

ومن كلامه رضي الله عنه : (لو قيل للطمع : من أبوك ؟ لقال : الشكُّ في المقدور ، ولو قيل له : ما حرفتُكَ ؟ لقال : اكتسابُ الذُّلِّ ، ولو قيل له : ما غايتُكَ ؟ لقال : الحرمان) .

وكان رضي الله عنه يمنعُ أصحابَه من السفر والسياحات ، ويقول : (مفتاحُ كلِّ

---

(١) ترددت النسخ بين : (النفس) ، و(النفوس) بدل (النبوة) ، والمثبت من (ز) و« طبقات الصوفية » (ص ٢٢٠) .

(٢) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٢٢١) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٢٣٥) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٤٧٠) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٤٢٤) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٨٤) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٢٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٣٨) (١٧٦) .

بركةِ التصبُّرُ في موضع إرادتك إلىٰ أن تصحَّ لك الإرادةُ ، فإذا صحَّتْ لك الإرادةُ فقد ظهرتْ عليك أوائلُ البركة) .

وكان يقول : (**الناسُ ثلاثةٌ** : العلماء ، والفقراء ، والأمراء ، فإذا فسدَ الأمراءُ فسد المعاش ، وإذا فسدَ العلماءُ فسدتِ الطاعات ، وإذا فسدَ الفقراء فسدت الأخلاق) .

وكان يقول : (من اكتفىٰ بالكلام من العلم دون الزُّهدِ والفقه تزندقَ ، ومن اكتفىٰ بالزهد دون الكلام والفقه ابتدعَ ، ومن اكتفىٰ بالفقه دون الزهد والورع تفسَّقَ ، ومن جمعَ هٰذه الأمور كلَّها تخلَّص) .

وكان رضي الله عنه يقول : (خضوع الفاسقين أفضلُ من صولة المطيعين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (عوامُّ الخلق هم الذين سلمتْ صدورُهم ، وحسنتْ أعمالُهم ، وطهرت ألسنتُهم وفروجُهم ، فإذا خلوا من هٰذا فهم من الفراعنة ، لا من العوام) .

وكان يقول : (إذا فسدتِ العلماءُ غلبَ الفسَّاقُ علىٰ أهل الصلاح ، والكفارُ على المسلمين ، والكذبةُ على الصادقين ، والمراؤون على المخلصين ، وتلف الدِّينُ كلُّهُ ؛ لأنَّ العلماءَ رضي الله عنهم الزمامُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا غلبَ الهوىٰ أظلمَ القلب[1] ، وإذا أظلمَ القلب ضاق الصدرُ ، وإذا ضاقَ الصدرُ ساء الخُلق ، وإذا ساء الخُلق أبغضَهُ الخَلْقُ وبغضهم وجفاهُم ، وهناك يصيرُ شيطاناً) .

وكان يقول : (الخلافُ يهيِّجُ العداوة ، والعداوةُ تستنزلُ البلاء) .

وكان يقول : (ما عشقَ أحدٌ نفسَهُ إلا عشقَهُ الكِبر ، والحسدُ ، والذلُّ ، والمهانة).

وكان يقول : (ازهدْ في حبِّ الرياسة والعلوِّ في الناس إنْ أحببتَ أن تذوقَ شيئاً من طريق الزاهدين) .

وكان يقول : (لو أنَّ أحداً يعلمُ علم العلماء ، ويفهمُ فهمَ الفهماء ، ويعرفُ سحرَ

---

(١) في « طبقات الصوفية » (ص٢٢٦) : (أصل غلبة الهوى مقارفة الشهوات ، فإذا غلب الهوى . . .).

كلِّ ساحرٍ . . لا يستطيعُ أن يسترَ عورةً من عورات نفسه إلا بالصدق فيما بينه وبين الله تعالىٰ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٨١) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز رضي الله عنه(١)

هو من أهل بغداد ، وصحب ذا النُّون المصري ، وسريّاً السَّقَطي ، وبشراً الحافي ، وغيرهم .

وهو من أئمة القوم ، وجلَّة المشايخ .

قيل : إنَّ أولَ من تكلَّمَ في علم الفناء والبقاء أبو سعيد الخراز .

مات رضي الله عنه سنة تسعٍ وسبعين ومئتين .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إنَّ اللهَ تعالىٰ عجَّل لأرواحِ أوليائه التلذُّذَ بذكرِهِ ، والوصولَ إلىٰ قربه ، وعجَّل لأبدانهم النعمةَ بما نالوه من مصالحهم ، فعيشُ أبدانهم عيشُ الجسمانيين ، وعيشُ قلوبهم عيشُ الروحانيين ، ولهم لسانان ؛ ظاهرٌ وباطنٌ ، فلسانُ الظاهر يكلِّمُ أجسامَهم ، ولسانُ الباطن يُناجي أرواحَهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (العارفُ يستعين بكلِّ شيءٍ ، فإذا وصلَ استغنىٰ بالله ، وارتفعتْ همَّتُهُ عن الوقوف علىٰ ما سواه ، وافتقر الناسُ إليه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (مثلُ النفس في الصفات كمثلِ ماءٍ واقفٍ طاهر ، صافٍ ، فإذا حرَّكتَهُ ظهر ما تحته من الحمأ ، وكذلك النفسُ تظهرُ مرتبتُها عند المحنِ والفاقةِ والمخالفة لأهوائها ، ومن لم يعرفْ ما طُويَ من الصفات في نفسه ، كيف يدَّعي معرفة ربِّه ؟!) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٥٠) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢٢٨) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٢٤٦) ، و« تاريخ بغداد » (٥/ ٤٥٤) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٤٧٧) ، و« تاريخ دمشق » (٧/ ١١٠) ، و« المختار من المناقب » (١/ ٣١٠) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٤٦٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٤١٩) ، و« نفحات الأنس » (ص ١١١) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥١٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٤٠) (١٧٧) .

وكان يقول : (العارفونُ خزائنُ الله ، أودعَ الله تعالىٰ فيها علوماً غريبة ، وأخباراً عجيبة ، يتكلَّمون فيها بلسانِ الأبدية ، ويُخبرون عنها بعبارةِ الأزلية) .

وكان يقول : (لولا أنَّ اللهَ تعالىٰ أدخلَ موسىٰ عليه السلام في كنفِهِ لأصابه عليه السلام ما أصاب الجبلَ)[١] .

وكان يقولُ في قوله تعالىٰ : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] : (المستنبِطُ : هو الذي يلاحظُ الغيب أبداً ، ولا يغيبُ عنه شيءٌ ، ولا يخفىٰ عليه شيءٌ) .

وقال في قوله : ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر : ٧٥] : (المتوسم : هو الذي يعرفُ الوسمَ ، وهو العارف بما في سُويداء القلوب والاستدلال والعلامات ، فيميِّز أولياءَ الله تعالىٰ من أعداء الله) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا أرادَ اللهُ عز وجل أن يوالي عبداً من عبيده فتحَ عليه باب ذكره ، فإذا استلذَّ بالذكر فتحَ عليه بابَ القُرْبِ ، ثم رفعَهُ إلىٰ مجلسِ الأُنس ، ثم أجلسَه علىٰ كرسيِّ التوحيد ، ثم رفعَ عنه الحُجُبَ ، وأدخله دارَ الفردانية ، وكشف له عن الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو ، فحينئذ صار العبدَ فانياً ، فوقع في حفظِ الله ، وبرئ من دعاوىٰ نفسه) .

وكان يقول : (أولُ مقامٍ لمن وجدَ علم التوحيد وتحقَّق به فناءُ ذكر الأشياء عن قلبه ، وانفرادُه بالله وحده) .

وسئل رضي الله عنه : هل يصلُ العارفُ إلىٰ حالٍ يجفو عليه البكاء ؟ قال : نعم ، إنَّما البكاءُ في وقت سيرهم إلى الله عز وجل ، فإذا نزلوا إلىٰ حقائق القرب ، وذاقوا طعمَ الوصول من برِّه تعالىٰ . زالَ عنهم البكاءُ ؛ ولذلك ورد : « فإنْ لمْ تَبْكُوا فتَباكَوْا »[٢] ؛ أي : تنزَّلوا في المقام ليقتدي بكم السائرون .

---

(١) قال تعالى في سورة الأعراف ، الآية (١٤٣) : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢٩٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وابن ماجه (١٣٣٧) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

وكان لأبي سعيد ولدٌ صالح ، فمات ، فرآه بعد وفاته ، فقال : يا بُني أوصني ، فقال : لا تجعلْ بينك وبين الله تعالىٰ قميصاً ، فما لبس أبو سعيد قميصاً ثلاثين سنة .

وكان رضي الله عنه يقول : (ينبغي للصوفيّ أن يكونَ لطيفَ اللبسة ، ملازماً للخلوة ، حسنَ الصيانة ، فلا يَطلب إلا عند وجود الفاقات ، وإلا فهو والكذّابون سواء) .

وكان يقول : (أبعدُ الناسِ من الله عز وجل من يدَّعي المعرفةَ والقرب ، وأكثرُهم إليه إشارةً أمقتُهم عنده) .

وكان يقول : لقيتُ مرةً شخصاً مُتظاهراً بالجنون ، فناديته : قف يا مجنون ؛ فالتفتَ إليَّ وقال لي : أتدري من المجنون ؟ فقلت له : لا يا سيدي ، فقال : المجنون من يخطو خطوةً ولم يذكرْ ربَّه فيها .

وكان يقول : (لا يتَّصفُ عبدٌ بالشرف حتىٰ تصيرَ الأذكارُ غذاءه ، والترابُ فراشَه) .

وكان يقول : لا تغترَّ بصفاءِ العبودية ؛ فإنَّ فيها نسيانَ الربوبية ، فقيل له : فما الخلاص ؟ قال : أن يشهدَ صنعَ الربوبية في إقامة العبودية ، فينقطعَ عن نفسه ، ويسكنَ إلىٰ ربِّه ، وهناك يسلمُ من الاستدراج .

وسئل رضي الله عنه عن سبب معاداة الفقراء ، وبغضِهم لبعضهم بعضاً ، مع أنَّه لا رياسة عندهم ، فقال : (إنَّما قدَّرَ الله عليهم ذلك غيرةً منه عليهم أن يسكنَ بعضُهم إلىٰ بعضٍ ، ولـٰكن إذا وقعَ لهم كمالُ السير ذهبتِ البغضاءُ ؛ لأنَّ الكاملَ لا يرىٰ هناك من يُرسلُ غضبَهُ عليه من الخلق) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**أولُ علامة التوحيد** : خروجُ العبد عن كلِّ شيءٍ ، وردُّ الأشياء جميعاً إلىٰ متولِّيها ، حتىٰ يكونَ المتولَّىٰ بالمتولي ، ناظراً إلى الأشياء ، قائماً بها ، متمكِّناً فيها ، ثم يخفيهم عن أنفسهم في أنفسهم ، ويُظهرهم لنفسِهِ سبحانه وتعالىٰ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٨٢) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي رضي الله عنه[1]

كان أستاذَ إبراهيم الخواص ، وإبراهيمَ بنِ شيبان ، صحب علي بن رزين ، رضي الله عنهم .

وعاش مئةً وعشرين سنة ، ودفن على جبل طور سَيناء مع أستاذه علي بن رزين ، وكانت وفاته سنة تسعٍ وسبعين ومئتين .

وكان يأكلُ من أصول الحشيش دون ما وصلت إليه يدُ بني آدم ، رحمه الله تعالىٰ .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الفقيرُ المجرَّدُ من الدنيا وإنْ لم يعملْ شيئاً من أعمال الفضائل أفضلُ من هٰؤلاء المتعبِّدين ومعهم الدنيا ، بل ذرَّةٌ من عمل الفقيرِ المجرَّدِ أفضلُ من الجبال من أعمال أهل الدنيا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إن لله تعالىٰ عباداً أسبغَ عليهم باطنَ العلوم وظاهرَها ، وأخمل ذكرَهم ، فلا يعدُّون قطُّ مع العلماء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام : ٨٢]) .

وكان يقول : (ما فطنتْ إلا هٰذه الطائفةُ ، لٰكنَّها احترقتْ بما فطنت ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم) .

وكان يقول : اجتمعتُ بشخصٍ من أصحاب أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام وقال : إنه ساكنٌ في الهواء من منذ رُمي إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام بالمنجنيق ، فقلت له : ما حملَكَ في الهواء وأنت من بني آدم ؟ فقال : توكُّلي على الله عز وجل ، فقلتُ : وما التوُّكلُ ؟ قال : النظرُ إلى الله تعالىٰ دائماً بلا عينٍ تطرف ، والذكرُ له بلسانٍ لا يتحرَّكُ ، والجولان في مصنوعاته بلا روح تغفل ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٢٤٢) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٣٥) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٤٩٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٣٥٦) ، و« نفحات الأنس » (ص١٣٧) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٧١٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٤٢) (١٧٨) .

ومنهم :

(١٨٣) أبو العباس أحمد ابن مسروق رضي الله عنه[١]

هو من أهل طُوس ، وسكن بغداد ، ومات بها سنة تسعٍ وتسعين ومئتين .

صحب الحارثَ المحاسبي ، والسَّريَّ ، وغيرَهما .

وكان من كبار مشايخ القوم وعلمائهم .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا ينبغي للفقيرِ سماعُ التغزلات إلا إن كان مُستقيماً في الظاهر والباطن ، قويَّ الحال ، تامّاً في العلم ، وأمَّا أمثالُنا فلا يليقُ بنا سماعها ؛ لأنَّ قلوبَنا لم تألفِ الطاعات إلا تكلُّفاً ، ونخشىٰ إن أبحنا لها رخصةً أن تتعدَّىٰ إلىٰ رُخَصٍ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لم يحترزْ بعقله من عقله لعقله هلك بعقله) .

وكان يقول : (من كان مؤدبُهُ ربَّه لا يغلبه أحد) .

وكان يقول : (الزاهد هو الذي لا يملكُ مع الله سبباً) .

وكان يقول : (لا أزال أحنُّ إلىٰ بدءِ إرادتي ، وقوَّةِ همتي ، وركوبي الأهوال طمعاً في الوصول ، وها أنا الآن في أيامِ الفترة أتأسَّفُ علىٰ أوقاتي الماضية ، وأتمنَّىٰ صفاء وقتٍ فلا أجده) .

وكان يقول : (المؤمن يتقوَّىٰ بذكر الله تعالىٰ ، كما وقع لسيدتنا فاطمة رضي الله عنها حين طلبتْ من النبيِّ صلى الله عليه وسلم خادماً ليطحنَ معها ، فعلَّمها النبيُّ صلى الله عليه وسلم التسبيحَ والتحميدَ والتهليلَ والتكبيرَ ، وقال : « هن لكِ أحسَنُ منْ

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٦٨) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢٣٧) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٢١٤) ، و« تاريخ بغداد » (٦/ ٢٨٠) ، و« المختار من المناقب » (١/ ٣٤٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٤٩٤) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٢٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٤٣) (١٧٩) .

خادمٍ »[١] ، وأما المنافقُ فلا يتقوَّىٰ إلا بالطعام والشراب ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

وكان يقول : (ما سُرَّ أحدٌ بغيرِ الحقِّ إلا أورثه ذلك السرورُ الهمومَ والأحزانَ) .

وجاءه مرَّةً شخصٌ ، فدخلَ داره لوليمةٍ كانت عند أبي العباس بلا دعوة ، فقال أبو العباس : لله عليَّ ألا أدعَهُ يمشي إلا علىٰ خدِّي حتىٰ يجلسَ موضعَ الأكل ، فوضع خدَّه على الأرض ، ومشىٰ عليه الرجلُ إلىٰ أن بلغَ إلىٰ موضعِ جلوسه ، وصار يقول : مثلُ هـٰذا الرجلِ يتواضعُ لي ، ويحضرُ وليمتي ، بأيِّ شيءٍ أكافئُهُ ؟!

وكان يقول : رأيتُ القيامةَ قد قامت ، ورأيتُ موائدَ نُصبت ، فأردتُ أن أجلسَ عليها ، فقالوا لي : هـٰذه للصوفية ، فقلتُ : أنا منهم ، فقال لي مَلَكٌ : قد كنتَ منهم ، ولـٰكن شغلَكَ عن اللحوقِ بهم كثرةُ الحديث ، وحبُّك التمييزَ على الأقران ، فقلت : تبتُ إلى الله تعالىٰ ، واستيقظتُ ، وأقبلتُ علىٰ طريق القوم ، وقلتُ : للحديثِ رجالٌ غيري .

وكان رضي الله عنه يقول لأصحابه : (عليكم بالتقلُّلِ من المآكل ، والملابس ، والنوم ، فقد كنتُ في بدء أمري ألبسُ المسوحَ والليف ، وكنت أجتمعُ بشيوخي في الجامع كلَّ يومِ جمعةٍ ، فلا أنصرفُ إلا عليلاً من تأثير كلامهم فيَّ ، وكانت رؤيتي لهم قوتي من الجمعةِ إلى الجمعة ، تُغنيني عن الطعامِ والشراب) .

وكان يقول : (كنت آوي إلىٰ مسجدٍ فيه سدرةٌ يأوي إليها بُلبلان ، ففقد أحدُهما صاحبَه ، وبقي الآخر علىٰ غصنٍ ثلاثةَ أيام لا ينزلُ يرعىٰ ، ولا يلتقطُ من الأرض شيئاً ، فلما كان آخرُ اليوم الثالث مرَّ به بلبلٌ ، فصاح ، فذكَّره صاحبَه ، فسقطَ عن الغصن ميتاً) .

وفي روايةٍ : فكان عند الشيخ أربعةٌ من التلامذة ، فخرُّوا موتىٰ عند سماع هـٰذه الحكاية ، رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) رواه البخاري (٣٧٠٥) ومسلم (٢٧٢٧) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٨٤) أبو الحسن علي بن سهل الأصفهاني رضي الله عنه[1]

وهو من قدماء مشايخ أصفهان ، كان يُكاتب الجنيد ويُراسله ، وكان من أقرانه .

صحب ابن مَعْدَان رضي الله عنه ، ولقي أبا تراب النَّخْشَبي .

وكان إذا بلغه عن أحدٍ من المسلمين أنَّ عليه ديناً يُرسل يُوفي عنه الدَّين من غير علمِ المديون ، فيأتي صاحبُ الدَّين فيقول للمديون : قد وفَّى اللهُ عنك ، ولم يعلمِ الناسُ بذلك إلا بعد موته ، رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من لم تصحَّ مبادئ إرادته لا يسلمُ في منتهىٰ عاقبته)[2] .

وكان يقول : (حرامٌ علىٰ قلبٍ عرفَ الله تعالىٰ أن يسكنَ إلىٰ غيره ، فإن سكنَ عوقب) .

وكان يقول : (الناسُ من وقتِ آدم عليه السلام وإلى الآن يقولون : القلب القلب ، وأنا أحبُّ رجلاً يصف لي أيش هو القلب ، فلا أرىٰ) .

وكان يقول : (الفقيهُ هو الذي لا يدخلُ تحت المنسوبات إليه) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٤٢) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢٣٣) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٥٣ ، ٤٠٤) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٥٠٤) ، و« المختار من المناقب » (٤/ ٥٢) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٦٤٢) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٥٦) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٦٨٢ ، ٢/ ١١٧) . وستأتي ترجمته ثانية (١/ ٣٨٢) (٢٠٠) ، و« الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٤٥) (١٨٠) ، (٣/ ٢٦٦) (٢٠٠) ، وقد جعلهما النبهاني في كتابه « جامع كرامات الأولياء » (٢/ ١٥٨) (٢٠٠) رجلين ، وقال : (الظاهر : أن هـٰذا علي بن محمد بن سهل بن صائغ الدينوري غيرُ أبي الحسن علي بن محمد بن سهل الدينوري ؛ لاختلافهما في تاريخ الوفاة ، وإن اتفقا في كثير من الأوصاف) . قال المناوي في « طبقاته » (١/ ٦٨٤) : (مات بمصر سنة سبع وتسعين ومئتين ، هـٰكذا رأيته بخط بعضهم ، ورأيت في كلام ابن الجوزي ثلاثين وثلاث مئة) . أقول : وهما رجل واحد ، ولم يُختلف إلا بتاريخ وفاتهما ، والمناوي شكك بهـٰذا .

(٢) في النسخ : (يصحَّ) بدل (تصح) ، والمثبت من (ز) ، وفي « طبقات الصوفية » (ص٢٣٤) : (يصحح) .

وكان يقول لأصحابه : (تعوَّذوا بالله من غرورِ حسنِ الأعمال مع فساد بواطن الأسرار) .

وسئل رضي الله عنه عن حقيقةِ التوحيد ، فقال : (قريبٌ من الطرائق ، بعيدٌ عن الحقائق) .

وكان يقول : (لمَّا استولىٰ عليَّ الشوقُ في بدايتي ألهاني ذلك عن الأكلِ والشرب والنوم) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٨٥) أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجَريري رضي الله عنه(١)

كان من أكابر أصحابِ الجُنيد رضي الله عنه ، صحب سهل بنَ عبد الله التُّستري .

أُقعد بعد موت الجُنيد رحمه الله تعالىٰ في موضعِهِ ؛ لتمامِ حاله ، وصحَّةِ طريقته ، وغزارةِ علمه .

مات رحمه الله تعالىٰ سنة إحدىٰ عشرة وثلاث مئة ، رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من استولتْ عليه نفسُهُ صار أسيراً في حكم الشهوات ، محصوراً في سجن الهوىٰ ، وحرَّم اللهُ علىٰ قلبه الفوائدَ ، فلا يستلذُّ بكلام الله تعالىٰ ، ولا يَستحليه ، وإنْ قرأَ كلَّ يومٍ ختمةً ؛ لأنه تعالىٰ يقول : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] ؛ يعني : أحجبُهم عن فهمها ، وعن التلذُّذ بها ؛ وذلك لأنَّهم تكبَّروا بأحوال النفس والخلق والدنيا ، فصرف اللهُ عز وجل عن قلوبهم فهمَ مخاطباته ، وسدَّ عليهم طريقَ فهم كتابه ، وسلبهم الانتفاعَ بمواعظه ، وحبسهم في سجن عقولهم وآرائهم ، فلا يعرفونَ طريقَ الحقِّ ،

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٥٨) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢٥٩) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٤٧) ، و« تاريخ بغداد » (٦/ ١١٦) ، و« مناقب الأبرار » (١/ ٥٠٨) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٣٢٠) ، و« سير أعلام النبلاء »(١٤/ ٤٦٧) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٤٦) (١٨١) .

ولا يتعرَّفونه ، بل يُنكرون على أهل الحق ، ويحرِّفونَ كلامَهم إلى معانٍ لم يقصدوها ، وغابَ عنهم : أنَّ الله تعالى ما أعطاهم العلمَ إلا ليحتقروا نفوسَهم ، ويذلُّوا للعباد ؛ إجلالاً لمن هم عبيدٌ له سبحانه وتعالى) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لم يُحكِّمْ بينه وبين الله التقوى والمراقبةَ لم يصلْ إلى الكشفِ والمشاهدةِ ؛ فإنَّ مَنْ لا تقوى عنده لوحُهُ مطموسٌ ، ومن لا مراقبةَ له فحالُهُ مَنكوسٌ) .

وكان رضي الله عنه يقول : قدمتُ من مكة ، فبدأتُ بأبي القاسم الجُنيد ؛ لئلا يتعنَّى لي ، فسلَّمتُ عليه ، ثم مضيتُ إلى منزلي ، فلمَّا صلَّيتُ الصبحَ فإذا أنا به خلفي في الصفِّ ، فقلت له : يا سيِّدي ؛ إنَّما جئتك أمس لئلا تتعنَّى ، فقال لي : ذلك فضلُك ، وهـٰذا حقُّك .

وقال في قوله تعالى : ﴿ كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] : (أي : سامعين من الله ، قائلين بالله) .

وكان يقول : (لو رأيتُ من يهجرني لله تعالى لوضعتُ له خدِّي) .

وكان يقول : (من قرأَ القرآنَ بقصدِ الدرجات في الجنة فقد رضي بالقليل بدلاً عن الكثير ؛ لأنَّ الجنةَ مخلوقةٌ ، والقرآنَ غيرُ مخلوق ، ومعظمُ الفائدة في قراءة القرآن إنما هو وجودُ الربِّ ، وفهمُ خطابه ، فكيف بمن يطلبُ بقراءته عَرَضاً من الدنيا ؟! ومن فعل ذلك فقد فاتَهُ خيرُ القرآن كله) .

وكان يقول : (انكسفَ القمرُ ليلةَ الجمعة ، وأنا في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإذ به أسودُ مكتوبٌ في وسطه بالنور : أنا وحدي ، فغُشي عليَّ إلى الصباح) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم : ٢٣] : إنَّما قالتْ مريمُ ذلك ؛ لأنَّ الله تعالى أَطلعها على أن عيسى عليه السلام سيُعبدُ من دون الله ، فغمَّها ذلك ، فقالت : ﴿ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا ﴾ [مريم : ٢٣] ، أي : ولم أحملْ من يُتخَذُ من دون الله تعالى ، فأنطقَ اللهُ عيسى عليه السلام : ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [مريم : ٣٠] ، فلا يضرُّني أن يدَّعو فيَّ الإلـٰهية جهلاً وكفراً ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٨٦) أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي رضي الله عنه[١]

كان من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم ، له لسانٌ في فهم القرآن مختصٌّ به .

صحب الجُنيد ، وإبراهيم المارستاني ، ومَنْ فوقَهم من المشايخ .

وكان أبو سعيد الخرَّاز رضي الله عنه يعظِّمُ شأنه ، حتىٰ قال : (التصوُّفُ خُلقٌ ، وما رأيتُ من أهله إلا الجُنيدَ ، وابن عطاء) .

مات سنة تسعٍ أو إحدىٰ عشرة وثلاث مئة ، رضي الله عنه .

وسئل رضي الله عنه عن المروءة ، فقال : (هي ألا تستكثرَ لله عملاً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (خلقَ اللهُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للمُشاهدة ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] ، وخلق الأولياء رضي الله عنهم للمجاورةِ ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « عَزَّ جَارُكَ »[٢] ، وخلق الصالحين للمُلازمة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الفتح : ٢٦] ، وهي : « لا إلـٰه إلا الله » ، وخلق العوام للمُجاهدة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من تأدَّبَ بآداب الصالحين صلحَ لبساطِ الكرامة ، ومن تأدَّبَ بآداب الأولياء صلحَ لبساط القُربة ، ومن تأدَّبَ بآداب الصدِّيقين صلحَ

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٦٤) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢٦٥) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٠٢) ، و« تاريخ بغداد » (٦/ ١٦٤) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٥١٩) ، و« المختار من المناقب » (١/ ٣٤٠) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٤٨٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٢٥٥) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢١٢) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٣٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٤٨) (١٨٢) .

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي (٣٥٢٣) عن سيدنا بريدة رضي الله عنه ، وفي سنده متروكٌ ، قال الترمذي : (هـٰذا حديث ليس سنده بالقوي) .

لبساط المشاهدة ، ومن تأدَّبَ بآداب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام صلحَ لبساط الأُنس والانبساط) .

وكان رضي الله عنه يقول : لمَّا عصىٰ آدم عليه الصلاة والسلام بكىٰ عليه كلُّ شيءٍ في الجنة إلا الذهب والفضة ، فأوحى الله تعالىٰ إليهما : لِمَ لا تبكيان علىٰ آدم ؟ فقالا : لا نبكي علىٰ من يعصيك ، فقال الله تعالىٰ : وعزَّتي وجلالي ؛ لأجعلنَّ قيمةَ كلِّ شيءٍ بكما ، ولأجعلنَّ بني آدم خدماً لكما .

وكان يقول : (السكونُ إلىٰ مألوفِ الطباع يقطعُ صاحبَهُ عن بلوغ درجات الحقائق) .

وكان يقول : (أَدنِ قلبَك من مجالسةِ الذاكرين ؛ لعلَّه ينتبِهُ من غفلته ، وإيَّاك أن تكونَ حاضراً عند الذاكرين ولا تذكرَ معهم ، فتُمقت) .

وكان يقول : في قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴾ [العلق : ١٩] : أي : اقتربْ إلىٰ بساط الربوبية نعتقك من بساط العبودية . انتهىٰ .

قلتُ : وفي هٰذا نظر لا يَخفىٰ .

وكان رضي الله عنه يقول : (المحبةُ إقامةُ العتاب على الدوام) .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ [التوبة : ١١٨] : ما لم يعطفِ الربُّ على العبد بالرحمة . . لم يعطفِ العبدُ على الله بالطاعة .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠] : إن آدمَ عليه السلام قالَ : يا ربِّ ؛ لم أدَّبتني ، وإنما أكلتُ من الشجرة طمعاً في الخلود في جوارك ؟! فقال : يا آدم ؛ طلبتَ الخلودَ من الشجرة لا مني ، والخلودُ بيدي وملكي ، فأشركتَ بي وأنت لا تشعر ، ولٰكنْ نبَّهتُك بالخروج حتىٰ لا تنساني في وقتٍ من الأوقات .

وكان رضي الله عنه يقول : (يقولُ الله تعالىٰ : يا بن آدم ؛ إنْ أعطيتُكَ الدنيا اشتغلتَ بها عني ، وإن منعتُكها اشتغلتَ بطلبها ، فمتىٰ تتفرّغُ لي ؟!) .

وكان يقول : (من حكم المبتدئ أن يهتدي بالحقائق ، ويسيرَ بالعلم ، ويجدَّ في العمل ، ولا يقفَ ولا يلتفت) .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] : أي : في الظواهرِ من الأخلاق الشريفة ، والعبادات المرضية ، دون البواطن والأسرار والإشارات ، ألا ترىٰ إلىٰ قوله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : « أَلا كلُّ شيءٍ مَا خَلا اللهَ باطلُ »[١] ؛ إشارةً إلى الكون ، وإلىٰ ما يليق بالكون ؛ إذ كلُّ ما دون الله هو من الكون ، وأسرارُه صلى الله عليه وسلم لا يطيقُ حَملَهَا أحدٌ من الخلق ؛ لأنه باينَ أمَّتَهُ بالمكان والمباشرة ، ومن أجل ذلك قال صلى الله عليه وسلم لأنس بنِ مالك رضي الله عنه : « احفظْ سِرِّي تكنْ مؤمناً »[٢] .

وكان رضي الله عنه يقول : (من صَعُبَ عليه خدمتُهُ لم يصلْ إلىٰ قربه ، ومن لم يتنعَّمْ بذكره في الدنيا لم يتنعَّمْ برؤيته في الآخرة) .

وكان يقول : (الهيبةُ مقرونةٌ بالورع ، فمن قلَّ ورعُهُ قلَّتْ هيبتُهُ) .

وكان يقول : (العارفُ يربحُ علىٰ ما مضىٰ منه في معصية الله تعالىٰ أضعافَ ما يربحُ غيرُهُ علىٰ طاعة الله تعالىٰ ؛ لأنَّ ذنوبَهُ دائماً نُصبُ عينيه ، لا يفترُ عن ذكرها أبداً) .

وكان يقول : (لما قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضي الله عنه بقضيبٍ يسوسُ الخلقَ به ، مع قوة نسيم النبوة[٣] ، فلمَّا تُوفي أبو بكر رضي الله عنه تقدَّم عمرُ رضي الله عنه ، فأقام حدودَ الله بدِرَّتِهِ ، ولم يقدرْ عثمانُ علىٰ سياسة الناس بالدِّرَّةِ ، فأخرج السَّوطَ ، فلم يستقم له الأمر كما استقامَ لصاحبيه ، فلمَّا استُشهد لم يقدر عليٌّ رضي الله عنه علىٰ شيءٍ يسوس به الخلق غير السيف ؛ إذ رأىٰ ذلك صواباً) .

---

(١) رواه البخاري (٣٨٤١) ، ومسلم (٢/٢٢٥٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وهـٰذا صدر بيت للبيد بن ربيعة تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم ، وعجزه : وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ .
ولم يكن هـٰذا في يوم الخندق ، وإنما ذكر أنه في يوم الخندق ابن خميس الموصلي في « مناقب الأبرار » (٢/ ٥٣٠) .

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٣٦٢٤) ، والطبراني في « الأوسط » (٥٩٩١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال ابن حجر في « فتح الباري » (١١/ ٨٢) : (وفيه علي بن زيد ، وهو صدوق كثير الأوهام ، وقد أخرج أصله الترمذي وحسنه) .

(٣) في (ز) وحدها : (قوة شيم النبوة) .

وفي حكاية أخرىٰ عنه قال : كان أبو بكر رضي الله عنه يَشَمُّ نسيمَ الرسالة ، وعمر رضي الله عنه يَشَمُّ نسيم النبوة ، وعثمان رضي الله عنه يَشَمُّ نسيم الاصطفاء ، وعليٌّ رضي الله عنه يشمُّ نسيمَ المحبة ، فكان بيان إشاراتهم مما خُصُّوا به من الكرامة في هِجِّيرهم[1] ، فكان هِجِّيرُ أبي بكر (لا إلـه إلا الله) ، وكان هِجِّيرُ عمر (الله أكبر) ، وكان هِجِّيرُ عثمان (سبحان الله) وكان هِجِّيرُ عليٍّ (الحمد لله) ، فكان أبو بكر رضي الله عنه لم يشهدْ في الدارين غيرَ الله ، فكان يقول : (لا إلـه إلا الله) ، وكان عمر رضي الله عنه يرىٰ ما دون الله صغيراً في جنبِ عظمةِ الله ، فيقول : (الله أكبر) ، وكان عثمانُ رضي الله عنه لا يرى التنزيه إلا لله تعالىٰ ؛ إذِ الكلُّ قائمٌ به غير معرّىً من النقصان ، والقائم بغيره معلولٌ ، فكان يقول : (سبحان الله) ، وكان عليٌّ رضي الله عنه يرىٰ نعمة الله في الدفع والمنع ، والمحبوب والمكروه ، فكان يقول : (الحمد لله) .

وكان يقول : (ما ارتفعَ منِ ارتفعَ بكثرةِ صلاةٍ ، ولا صيام ، ولا صدقة ، ولا مجاهدة ، وإنما ارتفعَ بالخُلُقِ الحسن ، قال صلى الله عليه وسلم : « أقربُكمْ منِّي مَجلِساً يومَ ٱلقيامةِ أحسنُكُمْ خُلُقاً »)[2] .

وكان يقول : (ليس مهرٌ من مهور الجنة أحبَّ إلى الحور العين من إعراضِ العبدِ عن الدنيا ، وليس وسيلةٌ للعبدِ عند الله تعالىٰ أحبَّ إليه من إعراضك عن نفسك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّما ابتُلي الخلقُ بالفراق لئلا يكونَ لأحدٍ سكونٌ مع غير الله عز وجل) .

وكان يقول : (قِوامُ الإسلام وشرائعُهُ بالمنافقين ، وقِوام الإيمانِ وشرائعه بالعارفين بالله عز وجل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (العارفُ سكوتُه تسبيحٌ ، وكلامُهُ تقديسٌ ، ونومُهُ ذكرٌ ، ويقظتُهُ صلاةٌ ؛ وذلك لأنَّ أنفاسَهُ تخرجُ علىٰ مشاهدةٍ ومعاينة) .

---

(١) **الهِجِّيري** : الدأب والعادة ، وما يولع الإنسان بذكره . « المعجم الوسيط » (هـ ج ر) .

(٢) رواه الترمذي (٢٠١٨) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

وكان يقول : (العارفُ لا تكليفَ عليه ؛ أي : لزوال التعب والنصب عنه ، **فأفعالُهُ** الشاقَّةُ علىٰ غيره لا يتكلَّفُ لها ، بل هي كخروج النَّفَسِ ودخوله) .

وسئل رضي الله عنه عن معنى الطهارة ، فقال : (الطهارةُ بالنفوس ، والصلاة بالقلوب ، فبغسلِ الوجه يُعرِضُ عن الدنيا ، وبغسل يديه يُكفى الخلق يمنةً ويسرةً ، وبمسح الرأس يبرأُ عن نفسه ، وبغسلِ القدمين يقوم لمناجاة ربِّه ، فإذا كبَّرَ للصلاة خرج من جميع كلِّيته لتصحَّ له مناجاةُ ربِّه) .

وقيل له مرَّةً : إذا سمعَ الإنسانُ شيئاً من العلم ، فسكنتْ نفسُه إليه ، ولـٰكنْ عنده اعتراضٌ في نفسه : هل يسكتُ أو يعترض حتىٰ يتبيَّنَ له الحقُّ فيعمل به ؟ فقال : لا يسكت ، بل يعترضُ حتىٰ يتبيَّنَ له الحقُّ .

قلت : ومعنى الاعتراضُ أن يقولَ لشيخه : لا أفهمُ هـٰذا ، ومقصودي تُفهمُه لي ، لا أنه يردُّ الكلامَ جملةً ، والله تعالىٰ أعلم .

وكان يقول : (تولَّدَ ورعُ الورعين من خوف مؤاخذتهم بالذرَّةِ والخردلةِ ، والخطرة واللحظة ، ولولا ذلك ما صحَّ لهم ورعٌ ، وأشدُّ الورع أن يُحاسِبَ خواطرَهُ علىٰ مقادير الخردلة وأوزان الذرَّة ، وكيف يزكِّي نفسَهُ من لا ينفكُّ من الخسران ، ويخالط أهل العصيان ، والله تعالىٰ يقول : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢] ؟!) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**من علاماتِ الأولياء ثلاثةُ أشياء** : يصونُ سرَّهُ فيما بينه وبين الله ، ويحفظُ جوارحَهُ فيما بينه وبين الناس ، ويُداري الخلق علىٰ تفاوت عقولهم) .

وكان يقول : تاه بعضُ أصحابنا في البادية ، فورد علىٰ عينٍ ، فإذا عليها جاريةٌ كالقمر ، فوقف عندها ، فقالت : إليك عني ، فقال : اشتغلَ كُلِّي بك ، فقالت : في تلك العينِ جاريةٌ أخرىٰ ، لا أصلحُ أن أكونَ خادمةً لها ، فالتفت إلىٰ ورائه ، فقالت : ما أحسنَ الصدق ! وأقبح الكذب ! زعمتَ أنَّ الكلَّ منك مشغولٌ بي ، وأنت تلتفتُ إلىٰ غيري ، ثم التفت فلم يرَ أحداً .

وكان يقول : (**القرآنُ كلُّه شيئان** : مراعاةُ أدبِ العبودية ، وتعظيمُ حقِّ الربوبية) ، رضي الله عنه ، ما أحسن كلامه !

ومنهم :

(١٨٧) أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الخوَّاص رضي الله عنه[١]

هو من أجلِّ من سلكَ طريق التوكُّلِ .

وكان أوحدَ المشايخ في وقته .

وكان من أقران الجُنيد ، والنُّوري .

وله في الرياضات والسياحات مقامٌ يطولُ شرحه .

مات بجامع الرَّيِّ سنة إحدىٰ وتسعين ومئتين ، مات بعلَّةِ البطن ، وكان كلَّما قامَ توضَّأَ وصلَّىٰ ركعتين ، فدخل الماءَ يوماً ، فماتَ وسط الماء .

وكان يقول : (إنما العلمُ لمن اتَّبع العلم ، واستعمله ، واقتدىٰ بالسُّنن ، وإن كان قليلَ العلم) .

وكان يقول : (التاجرُ برأسِ مال غيره مُفلس) .

وكان يقول : (علىٰ قدرِ إعزاز المؤمن لأمرِ الله يُلبسه اللهُ من عزِّه ، ويُقيم له العزَّ في قلوب المؤمنين) .

وكان يقول : (من صفةِ الفقير أن تكونَ أوقاتُهُ مستويةً في الانبساط ، صابراً علىٰ فقره ، لا تظهر عليه فاقةٌ ، ولا تبدو منه حاجةٌ ، أقلُّ أخلاقه الصبرُ والقناعة ، مستوحشٌ من الرفاهيات ، مُتنعم بالخشونات ، فهو بضدِّ ما عليه الخليقة ، ليس له وقتٌ معلوم ، ولا سببٌ معروف ، فلا تراه إلا مسروراً بفقرِه ، فرحاً بضُرِّه ، مؤنتُهُ علىٰ نفسه ثقيلة ، وعلىٰ غيره خفيفة ، يُعِزُّ الفقرَ ويعظِّمُهُ ، ويُخفيه بجهده ، ويكتمُهُ حتىٰ عن أشكاله يستره ، قد عظمتْ عليه من الله فيه المنَّةُ ، فلا يَرىٰ عليه من الله منَّةً أعظمَ من خلوِّ اليدِ من الدنيا) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٣) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢٨٤) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٢٥) ، و« تاريخ بغداد » (٦/ ٤٩٣) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٥٤١) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ١٩٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٤٩٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٥٢) (١٨٣) .

وكان يقول : (أربعُ خصالٍ عزيزةٌ : عالمٌ يعملُ بعلمه ، وعارفٌ ينطقُ عن حقيقةِ فعله ، ورجلٌ قائم لله بلا سببٍ ، ومريدٌ ذهب عنه الطمع) .

وكان يقول : (لقيتُ الخَضِرَ عليه السلام في باديةٍ ، فسألني الصحبةَ ، فخشيتُ أن يُفسدَ عليَّ توكُّلي بالسكون إليه ، ففارقته) .

وكان رضي الله عنه يقول : (المفاخرةُ والمكاثرةُ يمنعان الراحة ، والعُجْبُ يمنعُ من معرفةِ قدر النفس ، والتكبُّرُ يمنعُ من معرفة الصواب ، والبخلُ يمنعُ من الورع) .

وكان يقول : (ليس من صفةِ الفقراء مؤالفةُ الأغنياء ، ولا من صفةِ أهل المعرفة مؤالفة أهل الغفلة) .

وكان يقول : (من دواعي المقتِ ذمُّ الدنيا في العلانية ، واعتناقُها في السرِّ) .

وكان يقول : (الإنسانُ في خَلَقِهِ أحسنُ منه في جديد غيره ، والهالكُ حقًّا من ضلَّ في آخر سفره ، وقد قاربَ المنزل) .

وكان يقول : (يجبُ على المريد الاجتماعُ بمن يكشفُ له عن عيوبِهُ ، ويدلُّه علىٰ مواضع الزيادة ، ويكون نظرُهُ إليه قوةً له علىٰ تهييج حاله) .

وكان يقول : (لم يؤتَ الناسُ من قلَّةِ الندم والاستغفار ؛ وإنَّما أُتوا من قلَّة الوفاء بالعهد) .

قال أبو الحسن البحراني صاحبُ إبراهيمُ الخواص : (كنتُ شديدَ الإنكار على الصوفية في علومهم ، وأُبغضُ كلَّ من اجتمع بهم ، فدخلتُ بغداد وأنا أكتبُ الحديث ، فرأيتُ إبراهيمَ الخواص وحوله جماعةٌ يتكلَّمُ عليهم ، فسمعت كلامه ، فدخل قلبي صدقُ قوله ، فرأيتُهُ علماً صحيحاً لا بدَّ للخلق من استعماله ، فلزمته من ذلك المجلس ولم أُفارقْهُ ، وفرَّقتُ ما كنتُ جمعتُه من الكتب ، وكانت نحو حملين ، ومع هـٰذا فلم يلتفتْ إليَّ ، ولم يكلِّمني بكلمةٍ أياماً كثيرة ، فلما عرف منِّي الصدقَ في طلبه أدناني وقرَّبني) ، رضي الله عنه .

وكان إبراهيم رضي الله عنه إذا دُعيَ إلىٰ دعوةٍ فرأىٰ فيها خبزاً يابساً أمسكَ يدَهُ ولم يأكلْ ، ويقول : هـٰذا خبزٌ قد مُنع حقُّ الله تعالىٰ منه ؛ إذ بيت ولم يخرجْ من يومه .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الزمر : ٥٤] : (**الإنابة** : أن يرجعَ بك منك إليه ، **والتسليمُ** : أن تعلمَ أنَّ ربَّك أشفقُ عليك من نفسك ، **والعذاب** : عذابُ الفراق) .

وكان يقول : (**آفةُ المريد ثلاثةٌ** : حبُّ الدرهم ، وحبُّ النساء ، وحبُّ الرياسة ، فيُدفعُ حبُّ الدرهم باستعمال الورع ، وحبُّ النساء بتركِ الشهوات وتركِ الشِّبع ، ويُدفعُ حبُّ الرياسة بإثباتِ الخمول) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**المريدُ الصادقُ** : اللهُ مُرادُهُ ، والصدِّيقون إخوانُهُ ، والخلوةُ بيتُهُ ، والوحدةُ أُنسُهُ ، والنَّهارُ غمُّهُ ، والليلُ فرحُهُ ، ودليلُهُ قلبُهُ ، والقرآنُ معينُهُ ، والبكاءُ ريُّهُ ، والجوعُ أُدمُهُ ، والعبادة نزهتُهُ ، والمعرفةُ قيادُهُ ، والحياةُ[1] سفرُهُ ، والأيامُ مراحلُهُ ، والورعُ طريقُهُ ، والصبرُ شعارُهُ ، والسكوتُ دِثارُهُ ، والصدقُ مطيَّتُهُ ، والعبادةُ مركبُهُ ، وخوفُ الفوتِ خشيتُهُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا تحرَّكَ العبدُ لإزالة منكرٍ ، فقامت دونه الموانعُ . . فإنَّما ذلك لفسادِ العَقدِ بينه وبين الله تعالىٰ ، فلو صحَّتْ عقيدتُهُ مع الله تعالىٰ ، واستأذنه في إزالة ذلك المنكر ، واستعان به . . لم يقمْ دونه مانعٌ قطُّ) .

وكان يقول : (من شربَ من كأسِ الرياسة فقد خرجَ من إخلاص العبودية) .

وكان يقول : عطشتُ في باديةٍ في طريق الحجاز ؛ فإذا براكبٍ حسنِ الوجه علىٰ دابةٍ شهباء ، فسقاني الماءَ ، وأردفني خلفه ، ثم قال : انظرْ إلىٰ نخيل المدينة ، فانزلْ ، وأقرئ علىٰ صاحبها مني السلامَ ، وقل : أخوك الخَضِرُ يَقرأُ عليك السلام .

وقيل له : ما بالُ الإنسان يتواجدُ عند سماع الأشعار ، ولا يَتواجدُ عند سماع القرآن ؟! فقال : لأنَّ سماعَ القرآن صدمةٌ لا يُمكنُ أحداً أن يتحرَّكَ فيها[2] ؛ لشدَّة غلبتها ، وشدَّةُ القول ترويحٌ للنفس ، فتتحرَّكُ فيه ، والله تعالىٰ أعلم .

---

(١) في (ب ، هـ ، ز) : (الحياءُ) بدل (الحياة) .

(٢) في (هـ ، و ، ط) : (صدعة) بدل (صدمة) .

ومنهم :

(١٨٨) أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز رضي الله عنه(١)

من كبار مشايخ الراز ، جاور بالحرم سنين كثيرة .

وكان من الورعين القائمين بالحقِّ ، الطالبين قوتَهم من وجهٍ حلال .

صحب أبا عمران الكبير ، ولقي أبا حفص النيسابوري ، وأصحاب أبي يزيد ، وكانوا جميعاً يُكرمونه ويعظِّمون شأنَهُ .

وحُكي عن أبي حفص رضي الله عنه أنه قال : (نشأَ بالرَّيِّ فتىً إنْ بقي علىٰ طريقتِهِ وسمته صارَ أحدَ الرجال)(٢) .

مات رحمه الله قبلَ العشر والثلاث مئة .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الجوع طعام الزاهدين ، والذكر طعامُ العارفين) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٨٩) أبو الحسن بُنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الحمَّال رضي الله عنه(٣)

كان أصله من واسط ، سكن رضي الله عنه مصر ، واستوطنها وماتَ بها ، ودفن بالقَرَافة بالقربِ من الجبل ، تجاه جامع محمود سنة ست عشرة وثلاث مئة .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٢٨٨) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٤٥) (الحداد) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٥٦٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ٤٩٤) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٣٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٦٧٨ ، ٤/ ٣٨٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٥٤) (١٨٤) .

(٢) في نسخة من نسخ الاستئناس : (أوحد) بدل (أحد) .

(٣) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ١٠٥) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢٩١) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٢٤) ، و« تاريخ بغداد » (٧/ ٥٩٢) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٥٦٦) ، و« المختار من المناقب » (١/ ٤٨٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٤٨٨) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٦٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٥٥) (١٨٥) .

وكان من جلَّة المشايخ القائلين بالحقِّ ، والآمرين بالمعروف ، له المقاماتُ المشهورة ، والكرامات المذكورة .

صحب أبا القاسم الجُنيد ، وغيرَه من مشايخ الوقت ، وكان أستاذَ النُّوري .

ومن كلامه رضي الله عنه : (أجلُّ أحوال الصوفية الثقةُ بالمضمون ، والقيامُ بالأمر ، والمراعاةُ للسرِّ ، والتخلِّي من الكونين ، والتعلُّقُ بالحقِّ تبارك وتعالىٰ) .

وكان يقول : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي : يا بُنان ؛ فقلت : لبَّيك يا رسول الله ، فقال : من أكلَ بشَرَهٍ أعمى اللهُ عينَ قلبه ، فانتبهتُ ، وعقدتُ ألا أشبعَ بعدها أبداً . وكنتُ قد أكلتُ تلك الليلة رغيفين وقصعةَ عدس .

وكان رضي الله عنه يقول : اجتمعتُ بأبي جعفر رضي الله عنه بمصر ، فقلت له : اختصرْ لي من العلم كلِّهِ كلمةً واحدةً أنتفعُ بها ، فقال : عليك بأخذِ الأقلِّ من الدنيا ، وارضَ فيها بالذلِّ ، فقلتُ : حسبي حسبي ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٩٠) (١٩١) محمد وأحمد ابنا أبي الورد رضي الله تعالىٰ عنهما[١]

وهما من كبار مشايخ العراقيين ، وأقارب الجُنيد ، ومن جلسائه .

وصحبا السَّريَّ السَّقَطي ، والحارثَ المحاسبي ، وبشراً الحافي ، وأبا الفتح الحمَّال[٢] .

---

(١) انظر ترجمة (أحمد) « طبقات الصوفية » (ص ٢٤٩) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣١٥) ، و« تاريخ بغداد » (٥/ ٦٠) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٥٧٢) ، و« المختار من المناقب » (١/ ٣٥٤) ، و« نفحات الأنس » (ص١٩٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٢٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٥٦) (١٨٧) .
وانظر ترجمة (محمد) : « طبقات الصوفية » (ص ٢٤٩) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣١٥) ، و« تاريخ بغداد » (٣/ ٢٠١) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٥٧٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٣٥٤) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٩٢) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٦٩٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٥٥) (١٨٦) .

(٢) في (هـ) : (الجمال) وفي سائر النسخ : (الحبال) ، والمثبت من مصادر الترجمة .

وطريقتُهما في الورع قريبةٌ من طريقة بشر رضي الله عنه .

ومن كلام محمد رضي الله عنه : (في ارتفاع الغفلةِ ارتفاعُ العبودية) .

قلتُ : والمراد بارتفاع الغفلة زوالُها ، وبارتفاع العبودية علوُّها ، والله أعلم .

والغفلة غفلتان : غفلةُ نقمةٍ ، وغفلةُ رحمة ، فأمَّا الرحمة : فإسدال حجاب العظمة دون العباد ؛ إذْ لو انكشف الغطاءُ لانقطعوا عن العبودية ، وأما التي هي نقمةٌ فالغفلةُ عن طاعة الله عز وجل .

وكان رضي الله عنه يقول : (الوليُّ هو الذي يُوالي أولياء الله ، ويُعادي أعداءه) .

وكان يقول : (من كانتْ نفسُهُ لا تحبُّ الدنيا فأهلُ الأرض يحبُّونه ، ومن كان قلبُه لا يحبُّ الدنيا فأهلُ السماء يحبُّونه) .

وكان يقول : (من أدبِ الفقيرِ تركُهُ الملامةَ والتعيير لمن ابتُلي بطلب الدنيا ، والرحمةُ والشفقةُ عليه ، والدُّعاءُ بأن الله تعالىٰ يريحُه من التعب فيها) .

قلت : والمرادُ بالتعيير أن يقصدَ به التنقيص بين الناس لا غير ، دون النُّصح ، والله أعلم .

وكان يقول : (هلاكُ الناس في حرفين : اشتغالٍ بنافلة وتضييعِ فريضة ، وعملٍ بالجوارح بلا مواطأة القلب عليه ، وإنَّما مُنعوا الوصولَ لتضييعهم الأُصول) .

وكان أحمد رضي الله عنه يقول : (إنَّما بُسطَ بساطُ المجد للأولياء ؛ ليأنسوا به ، ويُرفع به عنهم حشمةُ بديهة المشاهدة ، وإنَّما بُسط بساطُ الهيبة للأعداء ليستوحشوا من قبائح أفعالهم ، ولا يشاهدون ما يَستريحون إليه من المشهد الأعلىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا زادَ في الولي ثلاثة أشياء زادَ فيه ثلاثة أشياء : إذا زاد خُلُقه زادَ تواضعه ، وإذا زادَ مالُه زاد سخاؤه ، وإذا زادَ عمرُهُ زاد اجتهاده) رضي الله تعالى عنهما .

ومنهم :

(١٩٢) أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي البزَّار رضي الله عنه[١]

صحب السَّريَّ السَّقَطي ، وحسناً المسوحي ، وكان يَنتمي إلى المسوحي أكثر .

وكان فقيهاً عالماً بالقراءات .

وكان يتكلَّمُ ببغداد في مسجد الرُّصافة قبل كلامه في مسجدِ المدينة .

تكلَّم يوماً في مسجد المدينة ، فتغيَّرَ عليه حالُه ، وسقطَ عن كرسيِّه ، ومات في الجمعة الثانية ، وكان موتُهُ قبل الجُنيد[٢] .

وكان من رفقاء أبي تُراب النَّخْشَبي في أسفاره .

وكان الإمامُ أحمدُ إذا جرىٰ في مجلسه شيءٌ من كلام القوم يقول لأبي حمزة : ما تقولُ في هـٰذا يا صوفي ؟

ودخل البصرةَ مراراً ، وصحب بشراً الحافي .

مات رحمه الله تعالىٰ سنة تسعٍ وثمانين ومئتين ، رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من المحال أن تُحبَّه ثم لا تذكره ، ومن المحالِ أن تذكرَهُ ثم لا يُوجدَكَ طعمَ ذكره ، ومن المحال أن يُوجدَكَ طعمَ ذكره ، ثم يُشغلُك بغيره) .

وكان رضي الله عنه يقول : وقفتُ علىٰ راهبٍ في طريق الروم ، فقلت له : هل عندك شيءٌ من خبرٍ من مضىٰ؟ فقال : نعم ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورىٰ : ٧] .

وكان يقول : (حبُّ الفقرِ شديدٌ ، ولا يصبرُ عليه إلا صدِّيقٌ) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٧٧) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢٩٥ ، ٣٢٦) ، (البزّاز) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٢٠) ، و« تاريخ بغداد » (٢/ ٢٧٩) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٥٧٥) ، و« تاريخ دمشق » (٥١/ ٢٥٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٢٩٠) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٦٧٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ١٦٥) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٠٨) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٥٠ ، ٦٩٧ ، ٤/ ١٢٧) . وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٢/ ٢٥٦) (١٨٨) .

(٢) وكانت وفاة الجنيد رحمه الله سنة (٢٩٧هـ) .

وكان يقول : (إذا فتحَ اللهُ عليك طريقاً من طرق الخير فالزمْه ، وإيَّاك أن تنظرَ إليه ، أو تفتخرَ به ، واشتغلْ بشكرِ من وفَّقَك لذلك ؛ فإنَّ نظرَك إليه يُسقطُك من مقامك ، واشتغالُكَ بالشُّكر يُوجبُ لك فيه المزيد ، قال الله تعالىٰ : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧]) .

وكان يقول : (مَنْ عَلِمَ طريقةَ الحقِّ هان عليه سلوكُها ، وهو الذي علمَها بتعليم الله إيَّاه ، وأمَّا من عَلِمَها بالاستدلال فمرَّةً يُخطئ ، ومرَّةً يُصيب ، ولا دليلَ على الطريق إلى الله تعالىٰ إلا متابعةُ الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام في أفعاله ، وأحواله ، وأقواله) .

وكان رضي الله عنه يقول : قد يُقطعُ بقومٍ في الجنة كما وقع لآدم عليه الصلاة والسلام ، وهم الذين يقول لهم ملائكةُ الحقِّ : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ٢٤] ؛ فإنه شغلهم عنه بالأكل والشرب ، ولا مكرَ فوق هـٰذا ، ولا حسرةَ أعظمُ منها عند العارفين بالله تعالىٰ .

ورُوي أنَّه كان حسنَ الكلام ، فهتف به هاتفٌ : تكلَّمتَ فأحسنتَ ، بقي عليك أن تسكتَ فتُحسن ، فما تكلَّمَ بعد ذلك حتىٰ مات .

وسئل : هل يتفرَّغُ المحبُّ لشيءٍ سوىٰ محبوبه ؟ فقال : لا ؛ لأن المحبَّ في بلاءٍ دائم ، وسرورٍ منقطع ، وأوجاعٍ مُتَّصلةٍ ، لا يعرفُها إلا من باشرها ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٩٣) أبو بكر محمد بن موسى الواسطي رضي الله عنه[١]

أصله من فَرْغانة ، وكان من قدماء أصحاب الجُنيد والنُّوري .

وكان من علماء مشايخ القوم ، لم يتكلَّمْ أحدٌ في أصول التصوف مثلَ كلامِهِ .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٣٠٢) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٤٩) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٥٨٠) ، و« المختار من المناقب » (٤/ ٤٥٥) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٦٠) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٥٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٥٨) (١٨٩) .

وكان عالماً بأصول الدين ، والعلوم الظاهرة .

دخل خراسان ، واستوطنَ كورةَ مرو ، **ومات بها بعد العشرين والثلاث مئة** .

وكلامُهُ عندهم ليس بالعراق منه شيءٌ ؛ لأنه خرج منها وهو شابٌّ ، ومشايخُهُ أحياء ، وتكلَّم في خراسان في أَبيوَرْد ، ومرو ، وأكثرُ كلامه بمرو .

وكان يقول : (ابتُلينا بزمانٍ ليس فيه آدابُ الإسلام ، ولا أَخلاقُ الجاهلية ، ولا أحلامُ ذوي المروءة) .

وكان يقول : (أفقرُ الفقراء من سترَ الحقُّ حقيقةَ حقِّه عنه) .

وكان يقول : (الخوفُ حجابٌ بين الله تعالىٰ وبين العبد ، وهو الإياسُ ، والرجاء [هو الطمعُ][1] ، فإن خفتَهُ بخَّلتَهُ ، وإن رجوتَه اتَّهمتَه) .

[وقال][1] : (كيف يرى الفضلَ فضلاً من لا يأمنُ أن يكونَ ذلك مكراً ؟!) .

وكان يقول : (الذاكرُ في ذكرِهِ أشدُّ غفلةً من الناسي لذكره ؛ لأنَّ ذكره سواه) .

وكان يقول : (التَّقوىٰ أن يتَّقي العبدُ من تقواه ؛ يعني من رؤية تقواه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا ظهرَ الحقُّ على السرائر لا يُبقي فيها فضلةَ رجاء ، ولا خوف) .

وكان يقول : (احذروا لذَّةَ العطاء ؛ فإن فيها غطاءً لأهل الصفاء ، ولولا شهودُ نفسه مع الحقِّ ما استلذَّ) .

وكان يقول في صفة الصوفية : (كان للقوم إشاراتٌ ، ثم صارتْ حركاتٍ ، ثم لم يبق إلا حسراتٌ) .

وكان يقول : (من عرفَ اللهَ انقطعَ ، بل خرسَ وانقمع ، ولا تصحُّ المعرفةُ وفي العبدِ استغناءٌ بالله أو افتقار إليه ، ولهـٰذا قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « لا أُحصِي ثَناءً عليكَ »[2] ، هـٰذه أخلاقُ من بَعُدَ مرماهم ، فأمَّا الذين نزلوا عن هـٰذا الحدِّ فقد تكلَّموا في المعرفة ، فأكثروا) ، رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من « طبقات الصوفية » (ص ٣٠٣) .

(٢) رواه مسلم (٤٨٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

ومنهم :

(١٩٤) أبو عبد الله السِّجزي رضي الله عنه[١]

صحب أبا حفص الحداد ، وهو من كبار مشايخ خراسان .

قطعَ البادية مراراً على التوكُّل رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من لم يُقدِّسْ فعلَهُ لم يُقدِّس بدنَهُ ، ومن لم يُقدِّس بدنَهُ لم يُقدِّس قلبَهُ ، ومن لم يقدِّسْ قلبه لم يُقدِّسْ نيَّتَه ، والأمورُ كلُّها مبنيةٌ على النية) .

وكان يقول : (**علامةُ الأولياء ثلاثةٌ** : تواضعٌ عن رفعةٍ ، وزهدٌ عن قدرةٍ ، وإنصافٌ عن قُوَّةٍ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (بئسَ العبدُ عبدٌ عصى الله بقلبه وجوارحِهِ ، ثم اعتذرَ إليه بلسانه من غيرِ رجوعٍ إليه) .

قلت : والمرادُ بالرجوع إلى الله تعالى انكشافُ حجاب العبد عن عجزه بحيث يعلمُ أنَّ الأمرَ من الله تقديراً لا محيصَ له عن فعله ، ولا قوَّةَ له على دفعه ، بقرينةِ حديث : « إذَا أذنبَ العبدُ فعَلِمَ أَنَّ لهُ رَبّاً يغفِرُ الذنبَ ، ويأخذُ بهِ. . . »[٢] الحديث ، والله أعلم .

وكان يقـول : (لا تُعيِّرْ أحداً حتىٰ تتيقَّنَ أنَّ ذنوبَك مغفورةٌ ، وذلك لا يصحُّ لك) .

وكان يقول : (أنفعُ شيءٍ للمريد صحبةُ الصالحين ، والاقتداءُ بهم في أفعالهم ،

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٢٥٤) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٥٠) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٥٨٨) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ١٦٠) ، و« نفحات الأنس » (ص١٧٠) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ١٥١ ، ١٦٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٥٩) (١٩٠) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري (٧٥٠٧) ، ومسلم (٢٧٥٨/ ٢٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وأقوالهم ، وأخلاقهم ، وشمائلهم ، وزياراتُ قبور الأولياء ، والقيامُ بخدمة الأصحاب والرفقاء) .

وكان رضي الله عنه يقول : لا ينبغي لبسُ المرقعة إلا للفتيان ، قيل : ومن هم ؟ قال : من لا يشغلُهم شيءٌ عن الله عز وجل ، رضي الله عنهم أجمعين .

ومنهم :

(١٩٥) محفوظ بن محمود النَّيسابوري رضي الله عنه[١]

من أصحاب أبي حفص النيسابوري ، وكان من قدماء مشايخ نيسابور ، وأجلَّتهم .

وصحب أبا عثمان الحيري إلىٰ أن مات .

وكان من أورعِ المشايخ ، وألزمِهم لطريقةِ المتقدِّمين .

وصحب أيضاً حمدون القصَّار ، وسَلْماً[٢] البَارُوسي ، وعليّاً النَّصراباذي ، وغيرَهم من المشايخ .

مات سنة ثلاثٍ أو أربعٍ وثلاث مئة بنيسابور ، ودفن بجانب أبي حفص .

وكان يقول : (التائبُ هو الذي يتوبُ عن طاعاته فضلاً عن غفلاته) .

وكان يقول : (لا تزنِ الخلقَ بميزان نفسك تهلك ، إنَّما ينبغي لك أن تزنَ لتعلمَ فضلَ الناس وإفلاسَك) .

وكان يقول : (من ظنَّ بمسلمٍ فتنةً فهو المفتون) .

وكان يقول : (من أرادَ أن يُبصرَ طريقاً من طريق رشده فليتَّهمْ نفسه في الموافقات ، فضلاً عن المخالفات) ، والله أعلم .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٢٧٣) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٥١) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٥٩١) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٢٨٨) ، و« نفحات الأنس » (ص٢٠٤)، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٦٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٦٠) (١٩١) .

(٢) في النسخ : (سلاماً) . والمثبت من مصادر ترجمته .

ومنهم :

(١٩٦) طاهر المقدسي رضي الله عنه[١]

وهو من جِلَّة مشايخ الشام وقدمائهم .

رأىٰ ذا النُّون المصري ، وصحب يحيى الجلاَّ .

وكان عالماً ، وهو الذي سمَّاه الشبليُّ رضي الله عنه : حَبْر الشام .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إنما سُمِّيتِ الصُّوفيةُ بهٰذا الاسم ؛ لاستتارها عن الخلق بلوائح الوجد ، وانكشافِها بشمائل القصد)[٢] .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يطيبُ العيشُ إلا لمن وطئَ علىٰ بساطِ الأنس ، وعلا علىٰ سريرِ القدس ، وغيَّبَهُ الأُنسُ بالقدس ، والقدسُ بالأنس ، ثم غابَ عن مشاهدتهما بمطالعةِ القدوس) .

وكان يقول : (المفاوز إليه مُنقطعةٌ ، والطُّرقُ إليه مُنطمسة ، فالعاقل من وقفَ حيث وقفَ العوامُّ ، والسلام) رضي الله تعالى عنه .

ومنهم :

(١٩٧) أبو عمرو الدمشقي رضي الله عنه[٣]

وهو أوحدُ مشايخ الشام ، وكان علماءُ الشامِ كلُّهم يذعنون له ، لا سيما في علوم الحقائق .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ١٩٧) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢٧٥) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣١٧) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٥٩٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ١٧٢) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٩٣) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٠٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٦٠) (١٩٢) .

(٢) في النسخ : (بشمائل الفضل) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

(٣) انظر « تاريخ الصوفية » (ص٤٠٤) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢٧٧) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٤٦) ، و« تاريخ دمشق » (٦٧/ ٩٩) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٥٩٥) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ١٦٧) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٣٣) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٦١) (١٩٣) .

صحب أبا عبد الله محمد بن الجلا ، وأصحابَ ذي النون المصري .

وله كتابٌ في الردِّ علىٰ من قالَ بقِدَمِ الأرواح .

مات سنة عشرين وثلاث مئة .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إن اللهَ تعالى افترضَ على الأولياء كتمانَ الكرامات ؛ لئلا يُفتتَنَ بها الخلقُ ، وأوجبَ على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إظهارَها بياناً وبرهاناً للحقِّ) .

وكان يقول : (**التصوُّفُ** : غضُّ الطرفِ عن كلِّ ناقصٍ ؛ ليشاهد من هو منزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ) .

وكان يقول : (مقام الخطراتِ بعيدٌ عن مقام الوطنات ؛ لأنَّ الخواطرَ تلمعُ ثم تخفىٰ ، والوطناتُ تبدو ثم تثبتُ ، والدعاوىٰ تتولَّدُ من الخواطر ؛ وذلك لأنَّ المدَّعي يظنُّ أنَّ ما لاحَ ثبتَ ، ولا دعوىٰ لصاحب الوطنات بحال) .

وكان رضي الله عنه يقول : (استحسانُ الكون على العموم دليلٌ علىٰ صحَّة المحبة ، واستحسانُهُ على الخصوص يُؤدِّي إلى الفتن والظلمات) ، والله أعلم .

ومنهم :

(١٩٨) أبو بكر محمد بن حامد الترمذي رضي الله عنه[١]

هو من أجلِّ مشايخ خراسان ، وأطهرِهم خُلقاً ، وأحسنِهم سياسةً .

لقي قدماء المشايخ ببلخ ؛ مثل : أحمد بن خضرويه ، ومَنْ دونه .

وله أصحابٌ ينتمون إليه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إذا مكثتِ الأنوارُ في السرِّ نطقتِ الجوارحُ بالبرِّ) .

وكان يقول : (إنكارُ الآيات للأولياء في قلوب الجهَّال من ضيقِ صدورهم عن

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٢٨٠) ، و« مناقب الأبرار » (٢/٥٩٨) ، و« المختار من المناقب » (٤/٣٥٨) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٣٤) ، و« طبقات المناوي » (٤/٥٧١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٢٦١) (١٩٤) .

المصادر ، وبُعْدِ علومهم عن موارد القدرة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الوليُّ دائماً في ستر حاله ، والكونُ كلُّه ناطقٌ عن ولايته ، والمدَّعي ناطقٌ بولايته ، والكونُ كلُّه يُنكر عليه) .

وكان يقول : (الاستهانةُ بأولياء الله تعالىٰ من قلَّةِ المعرفة بالله ، وما وصلَ عبدٌ إلىٰ مقامٍ وهو غيرُ محترمٍ لأهله إلا حُرم بركته ، وكان ذلك استدراجاً) .

وكان يقول : (لا يُسمَّىٰ عالماً إلا من وقف عند حدودِ الله ، ولم يتجاوزْها في وقتٍ من الأوقات) .

وكان يقول : (ما استصغرتُ أحداً من المسلمين إلا وجدتُ نقصاً في إيماني ومعرفتي) .

وكان يقول : (ما منعَ القومَ من الوصول إلا الاستدلالُ بغيرِ الدليل ، والركضُ في الطريق علىٰ حدِّ الشهوة ، وأكلُ الحرام والشبهات) .

وكان يقول : (مخالفةُ أوامر الله ، وتركُ المواظبة علىٰ مرور ذكرِ الله على القلب من اعوجاجِ الباطن) .

وكان يقول : (رأسُ مالك قلبُك ووقتُك ، وقد شغلتَ قلبَك بهواجس الظنون ، وضيَّعتَ أوقاتَك باشتغالك بما لا يعنيك ، فمتىٰ يربحُ من خسرَ رأسَ ماله ؟!) ، والله أعلم .

ومنهم :

(١٩٩) أبو الحسين محمد بن سعد الوراق رضي الله عنه[١]

كان من كبار المشايخ ، وقدماءِ أصحاب أبي عثمان رحمه الله تعالىٰ ، وله كلامٌ علىٰ سنن كلامه .

---

(١) في النسخ : (سعيد) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر « طبقات الصوفية » (ص ٢٩٩) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٦٠٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٣٦٨) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٥٨) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٥١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٦٢) (١٩٥) .

وكان عالماً بعلوم الظواهر ، والكلامِ في علوم دقائق المعاملات ، وعيوبِ الأفعال .

مات قبل العشرين والثلاث مئة .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الكرمُ في العفو ألا تذكرَ جنايةَ صاحبك بعدما عفوتَ عنه) .

وكان يقول : (اللئيمُ لا ينفكُّ عن ضيقِ الصدر أبداً)[1] .

وكان يقول : (حياةُ القلوب التي تموتُ في ذكر الحيِّ الذي لا يموت ، وأهنأُ العيشِ الحياةُ مع الله تعالىٰ لا غير) .

وكان يقول : (كانت أحكامُنا في مبادئ أمرنا بمسجد أبي عثمان الحِيري الإيثارَ بما فُتح علينا ، وألا نبيتَ علىٰ معلومٍ ، ومن استقبلنا بمكروهٍ لا ننتقمُ منه لأنفسنا ، بل نعتذرُ إليه ، ونتواضعُ له ، وإذا وقعَ في قلبنا حقارةٌ لأحدٍ قمنا بخدمته ، والإحسانِ إليه حتَّىٰ يزولَ ذلك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لم يفنَ عن نفسه وسرِّه ، ورؤية الخلق لا يحيا سرُّه بمشاهدة الخيرات والمنن) .

وكان يقول : (**أنفعُ العلوم** : العلمُ بأمرِ الله ونهيِهِ ، ووعدِهِ ووعيدِهِ ، وثوابِهِ وعقابِهِ ، **وأعلى العلم** : العلمُ بالله عز وجل ، وأسمائه ، وصفاته) .

وكان يقول : (خوفُ القطيعة أذبلتْ نفوسَ المحبِّين ، وأحرقتْ أكباد العارفين) .

وكان يقول : (الأنسُ بالخلق وحشةٌ ، والطمأنينة إليهم حمقٌ ، والسكونُ إليهم عجزٌ ، والاعتماد عليهم وهنٌ ، والثقة بهم ضياع) ، رضي الله عنه .

---

(١) في « طبقات الصوفية » (ص٢٩٩) : (اللئيم لا يوفَّق للعفو من ضيق صدره) .

ومنهم :

(٢٠٠) أبو الحسن علي بن سهل الصائغ الدينوري رضي الله عنه[١]

كان من كبار المشايخ ، أقام بمصر ، ومات بها في سنة ثلاثين وثلاث مئة .

وكان كبير الهيبة ، يهابُهُ كلُّ من رآه ، وكان من المُخلصين في معاملة الله تعالىٰ .

وكان رضي الله عنه يقول : (ينبغي للمريد أن يتركَ الدُّنيا مرَّتين : الأولىٰ يتركها بنضارتها ونعيمها ، وألوان مطاعمها ومشاربها ، وجميع ما فيها ، ثم إذا عُرِفَ بترك الدنيا ، وبُجِّلَ وأُكرمَ بسبب تركها ينبغي له إذْ ذاك أن يسترَ حاله بالإقبال علىٰ أهلِها ؛ لئلا يكونَ تركُهُ للدنيا هو أعظمَ من الإقبال عليها ، وطلبها ، وأيُّ فتنة أعظمُ منها ؟!)[٢] .

وكان رضي الله عنه يقول إذا سئل عن الاستدلال بالشاهد على الغائب يقول : (كيف يُستدلُّ بصفاتِ من يُشاهدُ ، ويُعايَنُ ، وذي مَثَلٍ علىٰ صفاتِ من لا يُشاهَدُ ، ولا يُعايَنُ ، ولا مثلَ له ، ولا نظيرَ له ؟!) .

وكان يقول : (من تعرَّض لمحبَّة الله تعالىٰ جاءته المحنُ والبلايا والآفاتُ من سائرِ الأقطار) .

وكان يقول : (يجبُ على الإخوان كلَّما اجتمعوا أن يَتواصوا بالحقِّ ، ويتواصوا بالصبر ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٣]) .

وكان يقول : (محبَّتُكَ لنفسك هي التي تُهلكها) ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر مصادر الترجمة (١/ ٣٥٩) (١٨٤) و(٣٨٢) والتعقيب عليها . وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٤٥) (١٨٠) و(٢٦٦) (٢٠٠) .

(٢) جاء الخبر في « حلية الأولياء » (١٠/ ٣٥٣) : (كان يقول : « حكم المريد أن يتخلَّىٰ من الدنيا مرتين : **أولهما** : ترك نعيمها ونضرتها ، ومطاعمها ومشاربها ، وما فيها من غرورها وفضولها ، **والثاني** : إذا أقبل الناس عليه مبجلين له مكرمين لتركه الدنيا . . أن يزهد في الناس المقبلين عليه ، فيخالط أهل الدنيا وأبناءها ؛ فإن إقبالَ الناس عليه وتبجيلَهم له لتركه فضول الدنيا إذا سكن إليهم ، ولاحظهم . . ذنبٌ عظيم ، وفتنة عاجلة) .

ومنهم :

(٢٠١) أبو إسحاق إبراهيم بن داود القصار الرَّقِّي رضي الله عنه[١]

من كبار مشايخ الشام ، ومنْ أقران الجُنيد وابن الجلاَّ ، إلا أنه عُمِّرَ عمراً طويلاً ، وصحبَ أكثرَ المشايخ من الشام .

وكان رضي الله عنه مُلازماً للفقراء ، مجرَّداً فيه ، محبّاً لأهله .

مات سنة ستٍّ وعشرين وثلاث مئة .

وكان يقول : (حسبُك من الدنيا شيئان : صحبةُ فقيرٍ ، وحرمةُ وليٍّ) .

وكان يقول : (الأبصارُ قوية ، والبصائرُ ضعيفة) ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٠٢) ممشاذ الدِّينوري رضي الله عنه[٢]

كان من كبارِ مشايخ القوم ، صحب ابنَ الجلاء ، ومَنْ فوقه من المشايخ ، عظيم المرمىٰ في علوم القوم ، كبيرُ الحالِ ، ظاهرُ الفتوة .

مات سنة سبعٍ وتسعين ومئتين .

وكان يقول : (طريقُ الحقِّ بعيد ، والصبرُ مع الله شديد) .

وكان يقول : (لو جمعتَ حكمةَ الأولين والآخرين ، وادَّعيتَ أحوالَ الأولياء

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٣١٩) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٥٤) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٦٠٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٢٥٥) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٤٥) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥١٧) ، وسترد ترجمته في « الطبقات الوسطى » (٣/ ٢٦٦) (١٩٩) .

(٢) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٣٨) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٣١٦) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٥٣) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٦١٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٥٥) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٥٢٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٥٦٣) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٤١) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٧١٩) ، وسترد ترجمته في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٦٣) (١٩٦) .

والمقرَّبين فلن تصلَ إلىٰ درجاتِ العارفين حتىٰ يسكنَ سرُّك إلى الله تعالىٰ ، وتثق بضمانه فيما وعدك ، وقسمَ لك) .

وكان يقول : (من يكن اللهُ همَّتَهُ لم تستطعْه الأقدار[1] ، ولم تملكْه الأخطار) .

وكان يقول : (ما دخلتُ علىٰ شيخٍ قطُّ إلا وأنا خالٍ من جميع النسب والعلوم والمعارف ، أنتظرُ بركات ما يردُ عليَّ من رؤيته أو كلامه ؛ وذلك لأنَّ من دخل علىٰ شيخٍ بحظٍّ انقطعَ بحظِّه عن بركات رؤيتِهِ ، ومجالسته ، وأدبه ، وكلامه) .

وكان رضي الله عنه يقول : رأيتُ في بعض سياحتي شيخاً توسَّمْتُ فيه الخير ، فقلت له : عظني بكلمةٍ ، فقال : همَّتُك فاحفظْها ؛ فإنَّ الهمَّةَ مقدِّمةُ الأشياء ، فمن صلحتْ له همَّتُه ، وصدقَ فيها صلحَ له ما وراء ذلك من الأعمال والأحوال .

وكان يقول : (أحسنُ الناسِ حالاً من أسقطَ عن نفسه رؤيةَ الخلق ، وراعىٰ سرَّه في الخلوات مع الله ، واعتمدَ عليه في جميع الأمور) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أرواحُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في حال الكشف والمشاهدة ، وأرواحُ الأولياء في القُربةِ والاطلاع) .

وكان رضي الله عنه يقول : (فقدتُ قلبي منذ عشرين سنة مع الله تعالىٰ ، وتركت قولي للشيءِ : « كنْ فيكون » منذ عشرين سنة أدباً مع الله عز وجل) .

قال بعضهم : معناه : أنَّه كان يرجعُ إلىٰ قلبه ، ثم يرجعُ بقلبه إلى الله ، ومعنىٰ (تركت قولي للشيء : « كن فيكون ») : أنه كان مُجابَ الدعوة ، كلما دعا أُجيب ، ثم ارتفعَ عن ذلك إلى الله تعالىٰ ، فصار بمرادِ الله لا بمُرادِهِ ، فترك الدعاء .

وكان يقول : (كان عندنا رجلٌ أخذ في التقلُّل حتىٰ وقفَ علىٰ نواةٍ ، ثم صارَ قوتُهُ الماءَ) .

وقيل له : إذا جاعَ الفقيرُ أيشٍ يعمل ؟ قال : يُصلِّي ، قيل : فإن لم يقدر ؟ قال : ينام ، قيل له : فإنْ لم يقدر ينام ؟ قال : إن الله تعالىٰ لا يخلي فقيراً عن إحدىٰ ثلاث : إما قوى ، وإما غذاء ، وإما أخذ ، والله أعلم .

---

(١) في « طبقات الصوفية » (ص٣١٧) : (لم تستقطعه الأقدار) .

ومنهم :

(٢٠٣) أبو الحسن خير النسَّاج رضي الله عنه[1]

أصله من (سُرَّ مَنْ رأىٰ) ، إلا أنَّه أقام ببغداد .

وصحب أبا حمزة البغدادي ، ولقي السَّريَّ السَّقَطي .

وهو من أقران النُّوري ، وعُمِّر طويلاً علىٰ ما قيل : مئة وعشرين سنة .

وتاب في مجلسه الخوَّاصُ ، والشِّبلي ، وكان أستاذَ الجماعة .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الصبرُ من أخلاق الرجال ، والرِّضا من أخلاق الكرام) .

وكان رضي الله عنه يقول : (العملُ الذي يبلغُ فيه العبدُ إلى الغايات هو رؤيةُ التقصير ، والعجزُ ، والضعفُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (قصَّ موسىٰ يوماً في بني إسرائيل ، فزعقَ واحدٌ من القوم ، فانتهره موسىٰ عليه الصلاة والسلام ، فأوحى الله تعالىٰ إليه : يا موسىٰ ؛ بطيبي باحوا ، وبوجدي صاحوا ، فَلِمَ تُنكرُ علىٰ عبادي ؟!) .

ومنهم :

(٢٠٤) أبو حمزة الخراساني رضي الله عنه[2]

يقال : إنَّ أصلَه من نيسابور ، من محلة مُلْقاباذ .

صحب مشايخَ بغداد ، وهو من أقرانِ الجُنيد رضي الله عنه ، وسافر مع أبي تُراب النَّخْشَبي ، وأبي سعيد الخراز .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٩٩) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٣٢٢) ، و« حلية الأولياء » (٣٠٧/١٠) ، و« تاريخ بغداد » (٣٨٠/٢ ، ٣٠٧/٩) ، و« مناقب الأبرار » (٦٢٠/٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢٥٩/٢) ، و« تذكرة الأولياء » (ص ٥٠٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٦٩/١٥) ، و« طبقات المناوي » (٥٩٥/١) ، **واسمه** : محمد بن إسماعيل . وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٢٦٥/٣) (١٩٧) .

(٢) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٧٧ ، ٣٨٣) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٢٩٥ ، ٣٢٦) ، =

وكان من أفتى المشايخ ، وأَدينِهم ، وأورعِهم .

مات سنة تسعٍ وثلاث مئة .

وكان الإمام أحمد رضي الله عنه إذا عُرضتْ عليه مسألةٌ تتعلَّقُ بطريق القوم يقول له : ما تقول في هٰذه المسألة يا صوفي[١] ؟!

وكان يقول : (بقيتُ مُحرماً في عباءةٍ أُسافر ألفَ فرسخٍ كلَّ سنةٍ ، كلَّما تحلَّلْتُ أَحرمتُ جديداً سنين عديدة) .

قلت : وعريُ البدن للفقير إشارةٌ للتجرُّدِ بالباطن عن الكون ، وقوله : (كلما تحلَّلتُ أحرمت) ؛ أي : كلَّما ملتُ إلىٰ شهوةٍ جدَّدتُ توبةً ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٠٥) أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن بكر الصُّبَيْحي رضي الله عنه[٢]

كان من كبار أهل البصرة .

مكثَ في سَرَبٍ في داره لم يخرجْ منه ثلاثين سنة[٣] .

= و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٢٠) ، و« تاريخ بغداد » (٢/ ٢٧٩) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٥٧٥) ، و« تاريخ دمشق » (٥١/ ٢٥٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٢٩٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ١٦٥) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٠٨) ، و« طبقات المناوي » (١/ ٥٥٠ ، ٦٩٧ ، ٤/ ١٢٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٦٥) (١٩٨) ، وقد تداخلت أخبار أبي حمزة البغدادي مع أخبار أبي حمزة الخراساني ، وما أظنهما إلا واحداً .

(١) مرت هٰذه القصة في ترجمة أبي حمزة البغدادي (١/ ٣٧٣) .

(٢) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٣٢٩) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٥٤) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٦٢٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢/ ٢٠٧) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٤٢) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٧٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٦٧) (٢٠١) .

(٣) **السَّرَب** : بيت في الأرض لا منفذ له .

وكان اجتهادُه مُتوالياً لا يفتر ، حتىٰ أخرجَهُ أهلُ البصرة منها ، فخرج إلى السُّوس[(١)] ، ومات بها ، وقبره هناك ظاهر يُزار .

وكان عالماً بعلوم القوم ، وبالأصول ، وكان صاحبَ ورعٍ ولسان .

وكان رضي الله عنه يقول : (السماعُ بالتصريح جفاء ، والسماعُ بالإشارة تكليف[(٢)] ، وألطفُ السماع ما يُشكلُ إلا علىٰ مُستمعه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يقطعُكَ شيءٌ عن شيءٍ ، إلا إذا كان القاطعُ أتمَّ وأكملَ ، وأعلىٰ عندك ؛ فإنْ كان مثلَهُ أو دونه فلا يقطعك ، فالحكمُ لما غلبَ على القلب ، والسلام) .

وكان يقول : (ابتُلي الخلائقُ بأسرِهم بالدعاوى العريضة في المغيب ، فإذا أظلَّتهم هيبةُ المشهد خرسوا ، وانقمعوا ، وصاروا لا شيءَ ، ولو صدقوا في دعاويهم لبرزوا عند المشاهدة كما برز نبيُّنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم للشفاعةِ دون غيره ، ويقول : « أنَا لهَا أنَا لهَا »[(٣)] ، ولم ترعْهُ هيبةُ الموقف ، لما كان عليه من قدمِ الصدق) .

وكان يقول : (الغريبُ هو البعيدُ عن وطنه ، وهو مُقيمٌ فيه لقلَّةِ جنسه) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٠٦) أبو جعفر أحمد بن حَمْدان بن علي بن سنان رضي الله عنه[(٤)]

من كبارِ مشايخ نيسابور .

صحب أبا عثمان ، ولقي أبا حفص .

---

(١) السُّوس : مدينة الأهواز في القديم ، فتحها أبو موسى الأشعري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

(٢) في « طبقات الشافعية » (ص ٣٢٩) : (تكلُّف) .

(٣) جزء من حديث طويل رواه البخاري (٧٥١٠) ، ومسلم (٣٢٦/١٩٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهـٰذه الكلمة يقولها صلى الله عليه وسلم عندما تتوجَّهُ إليه الخلائق كافة يوم الحشر طالبةً منه الشفاعة ؛ وذلك بعد أن سألتْ رسلَ الله أجمعَ عنها ، وكلٌّ يقول : (نفسي نفسي) .

(٤) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٣٦) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٣٣٢) ، و« تاريخ بغداد » =

وهو أحد الخائفين الورعين ، جاور بمكة في آخر عمره عشرين سنة متوالية .

نعي بموت أبي بشر في سنة سبعٍ وثمانين وثلاث مئة ، وكان مات بمكة سنة ست وثمانين ، وكان أوحدَ مشايخ الحرم في وقته[1] .

مات أبو جعفر بنُ حمدان سنة إحدىٰ عشرة وثلاث مئة .

وكان رضي الله عنه يقول : (تكبُّر المُطيعين على العصاة بطاعتهم شرٌّ من معاصيهم ، وأضرُّ عليهم منها ، كما أنَّ غفلةَ العبدِ عن توبة ذنبٍ ارتكبه شرٌّ من ارتكابه) .

وكان يقول : (أنت تُبغض العاصي بذنبٍ واحدٍ تظنُّهُ ، ولا تُبغضُ نفسَك بذنوبٍ كثيرة تتيقَّنها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من سكنتْ عظمةُ الله قلبَهُ عظم كل من انتسبَ إلى الله تعالىٰ بالعبودية) .

وكان يقول : (من علامةِ صدقِ مَنِ انقطعَ إلى الله تعالىٰ ألا يردَ عليه قطُّ ما يشغلُه عنه من مصائبِ الدنيا وغيرها) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٠٧) أبو بكر دُلَفُ بن جَحْدر الشِّبلي رضي الله عنه[2]

ومكتوبٌ علىٰ قبره : جعفر بن يونس .

خراسانيُّ الأصل ، بغداديُّ المولد والمنشأ .

= (٥/ ١٨٥) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٦٣٢) ، و« المختار من المناقب » (١/ ٢٨٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٢٢٩) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٦٨) (٢٠٢) .

(١) كذا في النسخ ، وأبو بشر إنما هو ابن بنته ، وإنما يستقيم الكلام بما في « طبقات الصوفية » (ص ٣٣٢) : (وبيته بيتُ الزهد والورع ، إلىٰ أن انتهى الأمر وخُتم بحفيده ابن بنته أبي بشر محمد بن أحمد الحَلاوي المقيم بمكة ، المجاور بها ـ في آخر سفره ـ عشرين سنةً متوالية ، نُعي إلينا أبو بشر في سنة سبع وثمانين وثلاث مئة . . .) .

(٢) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٣٥٥) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٣٣٧) ، و« حلية الأولياء »=

تاب في مجلس خيرِ النساج كما مرَّ[١] ، وصحب أبا القاسم الجُنيد ومَنْ في عصره من المشايخ ، وصارَ أوحدَ أهل الوقت علماً ، وحالاً وظَرْفاً .

تفقَّه علىٰ مذهبِ الإمام مالك رضي الله عنه ، وكتبَ الحديث الكثير .

عاش سبعاً وثمانين سنة ، **ومات سنةَ أربعٍ وثلاثين وثلاث مئة** ، ودُفِنَ ببغداد في مقبرة الخيزران ، وقبره فيها ظاهر يُزار ، رضي الله عنه .

وكانت مجاهداتُه في بدايته فوقَ الحدِّ .

وكان رضي الله عنه يقول : (اكتحلتُ بالملح كذا كذا ليلةً لأعتاد السهر ، ولا يأخذني النومُ ، فلما زادَ عليَّ الأمرُ حمَّيتُ الميل ، واكتحلتُ به) .

وكان يقول عن علم القوم : (ما ظنُّك بعلمٍ علمُ العلماء فيه تُهمة ؟!) .

وقيل له : إن أبا تُراب النَّخْشَبي جاعَ يوماً في البادية ، فرأى الباديةَ كلَّها طعاماً ، فقال : هـٰذا عبدٌ رُفق به ، ولو بلغَ إلىٰ محلِّ التحقيق لكان كما قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إنِّي أَظَلُّ عندَ ربِّي يُطعِمُني ويَسقِينِي »[٢] .

وقيل له : متىٰ يكونُ الشخصُ مُريداً ؟ قال : إذا استوتْ حالاتُهُ في السفر والحضر ، والمشهد والمغيب .

وقيل له مرَّةً : كيف الدنيا ؟ فقال : (قِدرٌ يَغلي ، وكَنِيفٌ يُملأ) .

وكان يقول في مناجاته : (أَحبَّكَ الخلقُ لنعمائك ، وأنا أحبُّك لبلائك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (رفعَ اللهُ قدرَ الوسائط بعلوِّ هممهم ، فلو أَجرىٰ على

= (١٠/ ٣٦٦) ، و« تاريخ بغداد » (١٦/ ٥٦٣) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٦٣٥) ، و« تاريخ دمشق » (٦٦/ ٥٠) ، و« المختار من المناقب » (٢/ ٢٩٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٣٦٧) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٦٦) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٨٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٦٩) (٢٠٣) .

(١) تقدم (١/ ٣٨٥) .

(٢) رواه البخاري (١٩٦٥ ، ١٩٦٦) ، ومسلم (١١٠٣/ ٥٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

الأولياء ذرَّةً ممَّا كُشِفَ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام لبطلوا ، وانقطعوا) .

وأَخَّرَ مرةً العصرَ حتىٰ دنتِ الشمسُ إلى الغروب ، فقام وصلَّىٰ ، وأنشد مُداعباً وهو يَضحك ويقول : ما أحسن ما قال بعضهم : [من الوافر]

نَسيتُ اليومَ من عِشقِي صلاتِي فـلا أدرِي عَشـائِـي مِـنْ غـدائِـي

وكان يقول : كلُّ صدِّيق لا يكونُ له معجزةٌ فهو كذَّاب ، فلما دخل البيمارستان دخلَ عليه الوزيرُ ، فقال : أين قولُك : (كلُّ صدِّيق بلا معجزةٍ فهو كذَّاب) ؟! فأين معجزتُك أنت ؟! فقال : معجزتي موافقةُ الله في أوامره ونواهيه .

وكان يقول : (ليس للمريد فترةٌ ، ولا للعارف علاقة[1] ، ولا للمحبِّ شكوىٰ ، ولا للصادقِ دعوىٰ ، ولا للخائف قرار ، ولا للخلق من الله فرار) .

وكان يقول لأهل عصره : أنتم قبورٌ ، فقيل له : لماذا ؟ فقال : لأنَّ كلَّ واحدٍ منكم مدفون في ثيابه ، فقال له رجل : ونحن نُعَدُّ من الأموات ؟ فقال : نعم ، العارفون نيام ، والجاهلون أموات .

وقيل له : مزَّقتَ جميعَ ملبوسك ، والعيدُ قد أقبل ، والناس يتزيَّنون ، وأنت هـٰكذا ، فقال : زينةُ الفقير فقرُهُ وصبرُهُ علىٰ فقره .

وكان يقول : (إنما تصفرُّ الشمسُ عند الغروب ؛ لأنَّها عُزلت عن مكان التمام ، فاصفرَّتْ لخوف المقام ، وهـٰكذا المؤمنُ إذا قاربَ خروجه من الدنيا اصفرَّ لونه ؛ فإنه يخافُ المقامَ ، وإذا طلعتِ الشمسُ طلعتْ مُضيئةً منيرة ، كذلك المؤمن إذا خرجَ من قبره خرجَ ووجهُهُ مشرقٌ مضيء) .

وقال لرجلٍ مرَّة : من أنت ؟ فقال : النقطةُ التي تحت الباء ، فقال : أنت شاهدي ما لم تجعلْ لنفسك مقاماً .

وكان رضي الله عنه يقول : (ذلِّي عطَّلَ ذلَّ اليهودِ) .

قال بعضُ العارفين في معناه : أي : لأنَّ ذلَّ الذليل علىٰ قدرِ معرفته بعظمة من ذُلَّ

---

(١) في (ز) : (ولا للعالِم) ، وفي (ح) : (ولا للعابد) .

له ، والشبليُّ بلا شكٍّ أعرفُ بعظمة الله تعالىٰ من اليهود ، فذلُّه أعظمُ من ذلِّ اليهود .

وجاءه رجلٌ فقال : يا سيدي ؛ كثرتْ عيالي ، وقلَّ حيلي[1] ، فقال له : ادخلْ دارك ، فكلُّ مَنْ رأيتَ رزقَهُ عليك فأخرجه ، وكلُّ من رأيتَ رزقَهُ على الله تعالىٰ فاتركْهُ في الدار .

وكان إذا أعجبَهُ صوفٌ أو قلنسوة أو عِمامةٌ لفَّها وأدخلها النار فأحرقها ، ويقولُ : كلُّ شيءٍ مالتْ إليه النفسُ دون الله تعالىٰ وجبَ إتلافه ، فقيل له : لِمَ لا تتصدَّقُ به ؟ فقال : صورتُهُ باقيةٌ ، فربَّما تبعَتْهُ النفسُ إذا رأتْه على الغيرِ ، فكان الإحراق أسرعَ في إتلافه مبادرةً على الإقبال على الله عز وجل ، وقد بادرَ إبراهيمُ عليه السلام حين أُمر بالختان إلى الفأس ، فاختتنَ بها ، فقيل له : هلا صبرتَ حتىٰ تجدَ المُوسىٰ ؟! فقال عليه الصلاة والسلام : تأخيرُ أمرِ الله عظيم .

وكان يقول : (لا أستريحُ إلا إذا لم أرَ للهِ ذاكراً علىٰ وجه الأرض) .

قال بعضهم : مُراده لا أستريحُ إلا إن دخلتُ حضرةَ الشهود ؛ لأنه لا ذكر فيها ؛ فإنَّ الذكرَ إنَّما يكونُ مع الحجاب ؛ لأنه دليلٌ ، فإذا شهدَ المدلول سقط الوقوف عن الدليل ، بل عن شهودِ الدليل ومرورِهِ على الخاطر) .

وقيل له : لِمَ سُمِّيتِ الصوفية بهٰذا الاسم ؟ فقال : لبقيَّةٍ بقيتْ عليهم ، ولولا ذلك لما تعلَّقتْ بهم تسميةٌ .

وكان يقول : (من اطَّلعَ علىٰ ذرَّةٍ من التوحيد ضعفَ عن حملِ بقة ؛ لثقلِ ما حُمِّل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من طلبُهُ به تعالىٰ صحَّ توحيده ، ومَنْ طلبه بنفسِهِ لم يصحَّ له توحيد) .

وكان أبو بكر الدِّينوري خادمُ الشبلي يقول : سمعتُ الشبليَّ يقول قبل موته : عليَّ درهمٌ واحدٌ ؛ مظلمة ظلمتُهُ أيام ولايتي ، وقد تصدَّقتُ عن صاحبه بألوفٍ ، وما علىٰ قلبي أعظمُ منه .

---

(١) في (ز) وحدها : (وقل جهدي) .

وسُئل مرةً عن المعرفة ، فقال : (أولها الله ، وآخرُها ما لا نهاية له) .

وكان رضي الله عنه يقول : (العارفُ لا يكون لغيرِهِ لاحظاً ، ولا لكلامِ غيرِهِ لافظاً ، ولا يرىٰ لنفسِهِ غير الله حافظاً) .

وكان يقول : (المحبُّ إذا لم يتكلَّمْ هلك ، والعارفُ إذا تكلَّمَ هلك) .

وكان غيرُه يقول : (العارفُ إذا تكلَّم أهلكَ غيرَهُ ، وإذا سكتَ أهلَكَ نفسه ، فنجاة نفسه أولىٰ) .

وصلَّىٰ مرة خلف إمام ، فقرأ : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ . . . ﴾ الآية [الإسراء : ٨٦] ، فزعق زعقةً كادتْ روحُهُ تخرج ، وقال : هـٰذا خطابُهُ لأحبابه ، فكيف خطابه لأمثالنا ؟!

ولاموه في قلَّة النوم ، فقال : سمعتُ الحقَّ يقول لي : من نام غَفلَ ، ومن غفلَ حُجب ، وكان هـٰذا سببَ اكتحالي بالملح حتىٰ لا أنام .

وقال للحصْري في بداية أمره : (إنْ خطرَ ببالك من الجمعة إلى الجمعة الثانية غيرُ الله تعالىٰ فحرامٌ عليك أن تحضرني) .

وكان يقول : (في بيتِ الله الحرام آثارُ خليله عليه السلام ، وفي القلبِ آثارُ الله عز وجل ، وللبيت أركانٌ ، وللقلب أركان ، فأركانُ البيت من الصخر ، وأركانُ القلب من معادن أنوار معرفته) .

وكان رضي الله عنه يقول : قيل لمجنونِ بني عامر : أتحبُّ ليلىٰ ؟ قال : لا ، قيل : ولم ؟! قال : لأن المحبَّةَ ذريعةٌ للوصلة ، وقد سقطتِ الذريعةُ ، فليلىٰ أنا ، وأنا ليلىٰ .

وكان ابنُ بشار ينهى الناسَ عن الاجتماعِ بالشِّبليِّ والاستماعِ لكلامه ، فجاءه ابنُ بشار يوماً يمتحنُهُ ، فقال له ابن بشار : كم في خمسٍ من الإبلِ ؟ فسكتَ الشبليُّ ، فأكثر عليه ابنُ بشار ، فقال له الشبليُّ : في واجبِ الشرعِ شاة ، وفيما يلزم أمثالَنا كلُّها ، فقال له ابن بشار : هل لك في ذلك إمام ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ ؟ قال : أبو بكر الصديق رضي الله عنه ؛ حيث أخرجَ مالَه كلَّهُ ، فقال له النبيُّ صلى الله عليه

وسلم : « مَا خَلَّفتَ لعِيالِكَ ؟ » قال : الله ورسوله[١] ، فرجع ابنُ بشار ، ولم ينه بعد ذلك أحداً عن الاجتماع بالشبلي .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [النور : ٣٠] ، قال : (أبصارُ الرؤوس عمَّا حرَّم الله تعالىٰ ، وأبصارُ القلوب عمَّا سوى الله) .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٩] : (هو قلب إبراهيم عليه السلام ؛ لأنه كان سالماً من خيانةِ العهد ، ومن السخطِ علىٰ مقدورٍ كائناً ما كان) .

وسئل رضي الله عنه عن حديث : « إذَا رأيتُم أهلَ البلاءِ فاسأَلُوا ربَّكُمُ ٱلعافيةَ »[٢] ، فقال : (أهلُ البلاء هم أهلُ الغفلة عن الله تعالىٰ) .

ولبس رضي الله عنه يومَ عيدٍ ثوبين جديدين ، فرأى الناسَ يُسلِّمُ بعضُهم علىٰ بعضٍ لأجل ثيابهم ، فطرحَ ثوبيه في تنُّورٍ ، فقيل له : لِمَ فعلت ذلك ؟! فقال : أردتُ أن أحرقَ ما يعبدُ هـٰؤلاء ، ثم لبسَ ثياباً زرقاً وسوداً .

وكان إذا دخل عليه فقيرٌ يقول له : أعندك خبرٌ ، أو عندك أثر ؟ ثم ينشد : [من الطويل]

أُسائِلُ عنْ ليلىٰ فهلْ منْ مُخَبِّرٍ يُخبِّـرُنَـا عِلْمـاً بهَـا أيـنَ تَنـزِلُ

ثم يقول : وعزَّتك ، وجلالك ؛ ما غيرُكَ في الدَّارين مُخبر .

---

(١) أخرج أبو داود (١٦٧٨) ، والترمذي (٣٦٧٥) بإسناد حسن ، عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، فوافق ذلك مني مالاً ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً ، قال : فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أبقيت لأهلك ؟ » قلت : مثلَهُ ، وأتىٰ أبو بكر بكل ما عنده ، فقال : « يا أبا بكر ؛ ما أبقيت لأهلك ؟ » قال : أبقيت لهم اللهَ ورسولَهُ ، قلتُ : والله ؛ لا أسبقه إلىٰ شيء أبداً .

(٢) أورده الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٢/١٥٩) ، وروى الترمذي في « سننه » (٣٥٥٨) عن رفاعة قال : قام أبو بكر الصديق على المنبر ، ثم بكىٰ ، فقال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الأول على المنبر ثم بكىٰ ، فقال : « اسألوا اللهَ العفوَ والعافيةَ ؛ فإنَّ أحداً لم يُعطَ بعدَ اليقينِ خيراً من العافية » .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما ظنُّك بمن الشُّموسُ كلُّها فيها ظُلمةٌ) .

وحُكي : أن رجلاً صاح في مجلس الشِّبليِّ ، فرمىٰ به في دجلة ، وقال : إن كان صادقاً نجَّاه الله تعالىٰ كما نجَّىٰ موسىٰ عليه السلام ، وإن كان كاذباً أغرقَهُ اللهُ كما أغرقَ فرعون .

وكان يقول : من طلبَ الحقَّ بالمجاهدات فهو بعيدٌ عن وصوله إلىٰ مطلوبه ، ومن طلبه به تعالىٰ ، وصلَ إليه ، ثم أنشد[1] : [من الخفيف]

أَيُّهَا ٱلْمُنْكِحُ ٱلثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْرَكَ ٱللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إذا ما استهلَّتْ وسُهيلٌ إذا استهلَّ يمانِي

رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٠٨) أبو محمد عبد الله بن محمد المُرتعش النيسابوري رضي الله عنه[2]

صحب أبا حفص ، وأبا عثمان ، والجُنيد .

وأقام ببغداد حتىٰ صارَ أوحدَ مشايخ العراق .

وكانوا يقولون : عجائبُ بغداد في التصوف ثلاثة : الشِّبلي في الإشارات ، والمُرتعش في النُّكتْ ، وجعفر الخُلدي في الحكايات .

وكان رحمه الله مُقيماً في مسجد الشُّونيزية .

---

(١) البيتان لعمر بن أبي ربيعة . انظر « ديوانه » (ص ٤٩٥) .

(٢) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٣٤٩) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٥٥) ، و« تاريخ بغداد » (٧/ ٢٢١) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٦٦٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ٤٩٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٢٣٠) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٠٣) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٠٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٧٣) (٢٠٤) .

مات ببغداد سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة .

ومن كلامه رضي الله عنه : (سكونُ القلوب إلىٰ غيرِ الله عقوبةٌ عجَّلها اللهُ للعبد في الدنيا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ذهبتْ حقائقُ الأشياء ، وبقيتْ أسماؤها ، فالأسماءُ موجودة ، والحقائقُ مفقودة ، والدعاوىٰ في السرائر مكنونة ، والألسنةُ بها فصيحة ، وعن قريبٍ تفقدُ هـٰذه الألسن وهـٰذه الدعاوىٰ ، فلا يوجدُ لسانٌ ناطق ، ولا مُدَّعٍ صائبٌ) .

وكان يقول : (المسلمُ محبوبٌ إلى الخلق ، والمؤمن غنيٌّ عن الخلق) .

واعتكف مرَّةً في العشر الأخير من رمضان ، فرأى المتعبِّدين يتهجَّدون ، والقرَّاءَ يقرؤون ، فقطع الاعتكاف وخرجَ ، فقيل له في ذلك ، فقال : لمَّا رأيتُ تعظيمَهم لطاعتهم ، واعتمادَهم علىٰ عبادتهم لم يسعني إلا الخروج خوفاً من نزول البلاء عليهم رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٠٩) أبو علي الروذباري رضي الله عنه[١]

واسمه : أحمد بن محمد ، هو من ذريَّة كسرىٰ .

وهو من أهلِ بغداد ، وسكن مصرَ ، وكان شيخَها ، **وبها ماتَ سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة** ، ودفن بالقَرافة قريباً من ذي النُّون المصري رحمه الله تعالىٰ .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٨٦) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٣٥٤) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٥٦) ، و« تاريخ بغداد » (٢/ ١٨٠) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٦٧٦) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٣٦٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٥٣٥) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٩٥) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٧٤) (٢٠٥)، وأجمعت أغلب المصادر علىٰ أن اسمه : أحمد بن محمد ، وقد حكى الخطيب في « تاريخه » (١/ ٣٤٧) الاختلاف في اسمه وقال : (ويقال : أحمد بن محمد ، وهـٰذا أصح) .

صحب الجُنيدَ ، والنُّوريَّ ، وأبا حمزة البغدادي .

وكان حافظاً للحديث ، ظريفاً ، عارفاً بالطريقة .

وكان يفتخرُ بمشايخه ؛ فيقول : (شيخي في التصوف الجُنيد ، وفي الفقه أبو العباس بن سُريج ، وفي الأدب ثعلب ، وفي الحديث إبراهيم الحربي) ، رضي الله عنهم أجمعين .

وكان رضي الله عنه يقول : (الإشارةُ : الإبانة عما يتضمَّنُهُ الوجد من المشار إليه لا غير ، وفي الحقيقة : إنَّ الإشارةَ تصحبُها العللُ ، والعللُ بعيدةٌ عن الحقائق) .

وسئل عمن يسمعُ الملاهي ويقول : هي لي حلالٌ ؛ لأني قد وصلتُ إلىٰ درجةٍ لا يؤثِّرُ فيَّ الاختلاف ، فقال : نعم قد وصل ، ولـٰكن إلىٰ سقر .

وكان يقول : (لو تكلَّمَ أهلُ التوحيد بلسانِ التجريد لما بقي محبٌّ إلا مات) .

وكان يقول : (كيف تشهدُهُ الأشياء وبه فنيتْ بذواتها عن ذواتها ؟! أم كيف غابتِ الأشياءُ عنه وبه ظهرت بصفاتها ؟! فسبحان مَنْ لا يشهدُهُ شيءٌ ، ولا يغيبُ عنه شيء !) .

وكان يقول : (لما تشوَّقتِ القلوبُ إلىٰ مشاهدة ذاتِ الحقِّ ألقىٰ عليها الأسامي ، فسكنتْ وركنت إليها ، والذات متسترَّةٌ إلىٰ أوان التجلِّي ، وذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ . . . ﴾ الآية [الأعراف : ١٨٠] أي : قفوا معها عن إدراك الحقائق) .

وكان يقول : (أظهرَ الحقُّ الأسامي ، وأبداها للخلق ؛ ليَسكنَ لها قلوبُ المحبين ، ويأنس بها قلوبُ العارفين له) .

وكان يقول : (المشاهداتُ للقلوب ، والمكاشفاتُ للأسرار ، والمعاينات للبصائر ، والمرئيات للأبصار) .

وكان يقول : (من نظرَ إلىٰ نفسِهِ مرَّةً عمي عن النظرِ إلىٰ شيءٍ من الأكوان علىٰ وجه الاعتبار) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما ادَّعىٰ أحدٌ قطُّ إلا لخلوِّه عن الحقائق ، ولو تحقَّقَ في شيءٍ لنطقت عنه الحقيقةُ ، وأغنته عن الدعاوىٰ) .

وكان يقول : (التصوُّف هو الإناخةُ علىٰ باب الحبيب وإن طرد) .

وسئل رضي الله عنه عن التصوف مرَّةً أخرىٰ ، فقال : (هو صفوةُ القرب بعد كدورةِ البعد) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أدركنا الناسَ وكانوا يجتمعون لا عن مُواعدةٍ ، ويفترقون لا عن مشورةٍ) .

وكان إذا شاوره فقيرٌ في الذهاب يُعرض عنه بالجواب .

وكان يقول : (من علامةِ مقتِ الله للعبد أن يتقلَّقَ من مجلس الذكر إذا طال ؛ لأنه لو أحبَّه لكان الألفُ سنة في حضرته كلمحِ البصر) .

وكان يقول : (لا ينبغي أن يُربِّي الأحداثَ إلا الكمَّلُ الذين استولتْ عليهم هيبةُ الله تعالىٰ ، وقد كان أحدُهم يُربِّي الحدثَ حتىٰ تطلعَ لحيتُهُ ، لا يعلمُ بذلك إلا من الناس) .

قال : وكان عندنا ببغداد عشرةُ فتيان ، معهم عشرةُ أحداث ، كلُّ واحدٍ منهم معه حَدَثٌ ، وكانوا مجتمعين في موضعٍ ، فوجَّهوا واحداً من الأحداث ليأخذَ لهم حاجةً ، فأبطأ عليهم ، فغضبوا لتأخيره عنهم ، ثم أقبلَ وهو يضحك ، وبيده بِطِّيخة يُقلِّبُها ، فقالوا له : بكم اشتريتها ؟ فقال : بعشرين درهماً ، فقالوا له : ما السببُ في غلوِّها ؟! فقال : رأيتُ فقيراً وضع يدَهُ عليها[1] ، فالتمستُ لكم البركةَ بوضع يده عليها ، فرضوا منه ذلك ، وتقاسموها ، وقالوا : زادك اللهُ تعظيماً لأهلِ الطريق ، فما ماتَ الحَدَثُ حتىٰ صارَ من أكابر أهل الطريق .

وكان يُطعم الفقراءَ الحلواء .

واتخذ مرَّةً أحمالاً من السُّكَّرِ الأبيض ، ودعا جماعةً من الحلوانيين حتىٰ عملوا من ذلك السُّكر جداراً ، وعليه شرفاتٌ ، ومحاريبُ علىٰ أعمدةٍ منقوشةٍ كلُّها من السكر ، ثم دعا الصوفيةَ ، فهدموها ، وكسروها ، وانتهبوها ، وهو يَتبسَّم ، رضي الله عنه .

---

(١) الفقير : هو بشر بن الحارث ، وانظر « روض الرياحين » (الحكاية ٢٣٦) (ص ٢٠٣) .

ومنهم :

(٢١٠) أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي رضي الله عنه[(١)]

لقي أبا حفص ، وحمدونَ القصَّار .

وكان إماماً في أكثر علوم الشرع ، مُقدَّماً في كلِّ فنٍّ منه ، ثم عطَّلَ أكثرَ علومه ، واشتغل بعلمِ الصوفية ، وتكلَّمَ عليه أحسنَ كلام ، وبه ظهرَ التصوفُ بنيسابور .

وكان أحسنَ المشايخ كلاماً في عيوب النفس وآفاتِ الأفعال .

مات سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة .

وكان يقول : (كمالُ العبودية هو العجز والقصورُ عن تدارك معرفة علل الأشياء بالكلِّية) .

وكان رضي الله عنه يقول : (مَنْ صحبَ الأكابر من غير طريق الحرمة حُرِمَ فوائدَهم وبركاتِ نظرهم ، ولم يظهرْ عليه من أنوارِهم شيءٌ) .

وكان يقول : (من غلبه هواه توارىٰ عنه عقلُهُ) .

وكان يقول : (الغفلةُ وسَّعتْ على الناس الطُّرقَ في معاشهم ، وأفعالهم ، وأحوالهم ، والورعُ واليقظة ضيَّقا عليهم ذلك) .

وكان يقول : (لو أن رجلاً جمعَ العلوم كلَّها ، وصحبَ طوائفَ الناس لا يبلغُ مبالغَ الرجال إلا بالرياضةِ من شيخٍ ، أو إمامٍ مؤدِّبٍ ناصح ، ومن لم يأخذْ أدبَهُ من آمرٍ له وناهٍ يُريه عيوبَ أعماله ، ورعونات نفسه .. لا يجوزُ الاقتداءُ به في تصحيح المعاملات) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يأتي علىٰ هـٰذه الأمةِ زمانٌ لا تطيبُ فيه المعيشة لمؤمنٍ إلا بعد استناده لمنافقٍ) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٣١٥) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٣٦١) ، و« مناقب الأبرار » (٦٨٨/٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤٠١/٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٨٠/١٥) ، و« طبقات المناوي » (١٥٣/٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٢٧٦/٣) (٢٠٦) .

وكان يقول في كلامه : (يا مَنْ باعَ كلَّ شيءٍ بلا شيءٍ ، واشترىٰ لا شيءَ بكلِّ شيءٍ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢١١) [أبو محمد عبد الله بن محمد] بن مَنازِل النيسابوري رضي الله عنه[1]

شيخُ الملامتية ، وأوحدُ وقته بنيسابورُ ، له طريقةٌ تفرَّدَ بها .

صحب حمدونَ القصَّار ، وأخذَ طريقه .

وكان عالماً بعلوم الظاهر ، كتب الحديث الكثير .

وكان أبو علي الثقفي يحترمُهُ ، ويبجِّلُهُ ، ويرفعُ مقدارَهُ .

مات بنيسابور سنة تسعٍ وعشرين وثلاث مئة .

ومن كلامه رضي الله عنه : (لا خيرَ في فقيرٍ لم يَذقْ ذلَّ المكاسب ، وذلَّ الردِّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من رفع ظلَّ نفسه عن نفسه عاشَ الناسُ في ظلِّه) .

وكان يقول : (عبِّرْ بلسانك عن حالك ، ولا تكنْ بكلامك حاكياً لأحوال غيرك) .

وكان يقول : (إذا لم تنتفعْ أنت بعلمك فكيف ينتفعُ به غيرُك ؟!) .

وكان يقول : (من التزمَ شيئاً لا يحتاجُ إليه ضيَّع من أحوالِهِ ما يحتاجُ إليه، ولا بدَّ منه) .

وكان يقول : (لم يضيِّعْ أحدٌ من الفقراء فريضةً من الفرائض إلا ابتلاه اللهُ بتضييع السُّنن ، ولم يُبتلَ أحدٌ من الفقراء بتضييع السُّنن إلا أوشكَ أن يُبتلىٰ بالبدع) .

وكان يقول : (لا يجتمعُ التسليمُ والدعوىٰ لأحدٍ بحال) .

وكان يقول : (لو صحَّ لعبدٍ في عمره نَفَسٌ واحدٌ من غير رياءٍ ولا شركٍ لأثَّرَ بركاتُ ذلك عليه إلىٰ آخر الدهر) .

---

(١) في النسخ : (أبو عبد الله محمد) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر « طبقات الصوفية » (ص ٣٦٦) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٦٩٢) ، و« المختار من المناقب » (٣/ ٥٠٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٢٩٧) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٥٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٧٧) (٢٠٧) .

وكان يقول : (لِمَ تُظهرُ دعوى العبودية ، وتُضمرُ أوصافَ الربوبية؟!) .

وكان يقول : (من احتجتَ إلىٰ شيءٍ من علومه فلا تنظرْ إلىٰ شيءٍ من عيوبه ؛ فإنَّ نظرَك إلىٰ عيوبه يَحرمُك بركةَ الانتفاع بعلومه) .

وكان يقول : (أفضلُ أوقاتك وقتٌ يسلمُ الناسُ فيه من سوءِ ظنِّك) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢١٢) أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاَّج رضي الله عنه[١]

وهو من أهل بيضاء فارس ، ونشأ بواسط العراق .

صحب الجُنيد ، والنُّوري ، وعمرو بن عثمان المكي ، والفُوَطي ، وغيرَهم ، رحمهم الله أجمعين .

والمشايخُ في أمره مختلفون ؛ ردَّهُ أكثرُ المشايخ ، ونفوه ، وأبوا أن يكونَ له قدمٌ في التصوف ، وقَبِلَهُ بعضُهم ؛ منهم : أبو العباس بنُ عطاء ، ومحمد بن خَفيف ، وأبو القاسم النصراباذي ، وأثنوا عليه ، وصحَّحوا حالَهُ ، وحكوا عنه كلامه ، وجعلوه من أحد المحقِّقين ، حتىٰ كان محمد بنُ خفيف يقول : الحسين بنُ منصور عالمٌ رباني .

قُتل رحمه الله تعالىٰ ببغداد بباب الطَّاق يوم الثلاثاء لستٍّ بقين من ذي القعدة ، سنة تسع وثلاث مئة .

قلت : ورأيتُ في « تاريخ ابن خلكان » ما نصه[٢] : قتل الحسين الحلاج ، ولم يثبت عليه ما يوجب القتل رضي الله عنه .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ١٢٩) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٣٠٧) ، و« تاريخ بغداد » (٨/٦٨٨) ، و« مناقب الأبرار » (٢/٦٩٦) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢/٢١٦) ، و« وفيات الأعيان » (٢/١٤٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/٣١٣) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٢٥) ، و« طبقات المناوي » (٢/٦٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٢٧٨) (٢٠٨) .

(٢) لم أجد قوله في المطبوع من « وفيات الأعيان » .

وقد أشار القُشيريُّ إلىٰ تزكيته ، حيث ذكرَ عقيدتَه مع عقائد أهل السنة أولَ الكتاب[١] ، فتحاً لباب حسن الظنِّ به ، ثم ذكره في أواخر الرجال ؛ لأجلِ ما قيل فيه[٢] .

وقد تقدَّمَ بسطُ ذلك في مقدِّمة الكتاب[٣] ، والله تعالىٰ أعلم .

ومن كلامه رضي الله عنه : (حجبهم بالاسم فعاشوا ، ولو أبرز لهم علومَ القدرة لطاشوا ، ولو كشفَ لهم عن الحقيقة لماتوا) .

وكان يقول : (أسماءُ الله من حيث الإدراك اسمٌ ، ومن حيث الحقِّ حقيقة) .

وكان يقول : (إذا تخلَّصَ العبدُ إلىٰ مقام المعرفة أوحي إليه بخواطره ، وحرسَ سرَّهُ أن يسبحَ فيه غيرُ خاطرِ الحقِّ) .

و[قال][٤] : (علامةُ العارفِ أن يكونَ فارغاً من الدنيا والآخرة) .

وسُئل عن المريد ، فقال : (هو الرامي بأولِ قصدهِ إلى الله تعالىٰ ، فلا يعرِّجُ حتىٰ يصلَ) .

وسئل عن التصوف وهو مصلوبٌ ، فقال للسائل : أهونُهُ ما ترىٰ .

وكان يقول : (من لاحظَ الأعمالَ حُجب عن المعمول له ، ومن لاحظَ المعمولَ له حُجب عن رؤية الأعمال) .

وكان يقول : (لا يجوزُ لمن يرىٰ غيرَ الله أو يذكرُ غيرَ الله أن يقول : عرفتُ الله الأحد الذي ظهرتْ منه الآحاد) .

وكان يقول : (من أسكرتْهُ أنوارُ التوحيد حجبته عن عبارة التجريد ، بل من أسكَرَتْهُ أنوارُ التجريد نطقَ عن حقائق التوحيد ؛ لأنَّ السكرانَ هو الذي يَنطقُ بكلِّ مكنون) .

---

(١) الرسالة القشيرية : (ص ٨٦ ، ٩٦) .

(٢) الرسالة القشيرية (ص ٦٢٢) .

(٣) تقدم (١/ ١١٨) .

(٤) ما بين معقوفينْ من مصادر ترجمته .

وكان يقول : (من التمسَ الحقَّ بنورِ الإيمان كان كمن طلبَ الشمسَ بنور الكواكب) .

وكان يقول : (ما انفصلتُ عنه ، ولا اتَّصلتُ به) .

وكان رضي الله عنه يقول : (المتوكِّلُ المحقُّ لا يأكلُ وفي البلدِ مَنْ هو أحقُّ بذلك الأكل منه) .

وسُئل عن الصوفي ، فقال : (هو وحدانيُّ الذات ، لا يقبلُهُ أحدٌ ، وهو المشير عن الله تعالىٰ ، وإلى الله) .

ووقف عليه رجلٌ فقال : مَنِ الحقُّ الذي تُشيرون إليه ؟ فقال : معلُّ الأيام لا يُعلُّ .

وسئل عن حال موسىٰ عليه الصلاة والسلام في حال الكلام ، فقال : (بدا لموسىٰ من الحقِّ بادٍ ، فلم يبقَ لموسىٰ ثَمَّ أثرٌ ، فني موسىٰ عن موسىٰ ، ولم يكن لموسىٰ خبرٌ عن موسىٰ ، ثم كُلِّمَ ، فكان المكلِّم[1] هو المُتكلِّم بحصول موسىٰ في حال الجمع ، وفنائه عنه ، ومتىٰ كان موسىٰ يطيقُ حملَ الخطاب أو يأباه ، ولـٰكنْ بالله قامَ ، وبه سمع) .

وكان يقول : (إذا دامَ البلاءُ بالعبد ألفَهُ) .

وقال أبو العباس الرازي : كان أخي خادماً للحسين بن منصور ، قال : فسمعتهُ يقول : لمَّا كان الليلةُ التي وعِدَ من الغدِ بقتله . . قلتُ له : يا سيدي ؛ أوصني ، قال : عليك بنفسك ، إن لم تشغلْها شغلتك ، فلمَّا كان من الغد وأُخرجَ للقتل قال : حسبُ الواحد إفرادُ الواحد له ، ثم خرجَ يتبخترُ في قيده ، ويقول[2] : [من الهزج]

نَـديمِـي غيـرُ منسـوبِ ... إلـىٰ شـيءٍ مـنَ الحَيْـفِ
سقـانِـي مِثـلَ مَـا يشـرَ ... بُ فِعْـلَ الضيـفِ لِلضيـفِ

---

(١) كذا في (ز ، ط) ، وفي سائر النسخ : (فقال) بدل (فكان) .

(٢) انظر « ديوانه » (ص ١٤٩) ، وهـٰذه من الأبيات المنسوبة إليه ، وهي للحسين بن الضحاك الخليع ، والتنين : ضرب من الحيات السود العظيمة ، وهو لقب إبراهيم بن المهدي الأمير العباسي ، لقب به لسواد لونه وسمنه .

فلمَّا دارتِ الكاسُ دعَا بالنِّطعِ والسَّيفِ
كذَا مَنْ يشربُ الرَّاحَ معَ التِّنينِ فِي الصيفِ

ثم قال : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾ [الشورىٰ : ١٨]) ، ثم ما نطقَ بعد ذلك بشيءٍ حتىٰ فُعل به ما فُعل .

قال القُضاعي : (وقُتل في خلافة جعفر بنِ المعتضد[١] ، وقُطعت يداه ورجلاه أولاً ، ثم حُزَّ رأسه ، وأُحرِقَ بالنار) ، رحمه الله .

وقال القنَّاد : لقيتُ الحلاج يوماً ، فأنشدني[٢] : [من الوافر]

ولِي نفسٌ ستُتلَفُ أوْ سترَقىٰ لَعَمركَ بِي إلىٰ أمرٍ عظيمِ

وقال : [من البسيط]

لمْ يبقَ بيني وبينَ الحقِّ إثنانِ[٣] ولا دليلٌ بآياتٍ وبرهانِ
كانَ الدليلُ لهُ منهُ إليهِ بهِ حقّاً وجدنَاهُ فِي علمٍ وفُرقانِ[٤]
هٰذَا وجودِي وتصريحِي ومُعتقدِي هٰذَا توحُّدُ توحِيدِي وإيمانِي
هٰذَا تجلِّي طلوعِ الحقِّ[٥] نائرةٌ قدْ أزهرتْ فِي تلاليها بسلطانِ
لا يُستدلُّ على البارِي بصَنعتِهِ وأنتمُ حدثٌ يُنبِي عنَ أزمانِي

وكتب إلىٰ أبي العباس ابنِ عطاء رحمه الله تعالىٰ : أطالَ اللهُ في حياتك ، وأعدمني وفاتك علىٰ أحسنِ ما جرىٰ به قدرٌ ، أو نطقَ به خبرٌ ، مع ما لَكَ في قلبي من لواعجِ أسرار محبتك ، وأفانين ذخائر مودَّتك ما لا يُترجمُهُ كتابٌ ، ولا يحصيه حسابٌ ، ولا يفنيه عتاب .

---

(١) الخليفة الذي جرت في زمنه هٰذه الواقعة جعفر بن أحمد بن طلحة أبو الفضل المقتدر بالله بن المعتضد بن الموفق ؛ الخليفة العباسي (٢٨٢ـ٣٢٠هـ) .

(٢) ديوان الحلاج (ص ١٥٥) ، وهو من الأبيات المنسوبة إليه ، وقائله سمنون المحب .

(٣) في الديوان (ص ٦٨) : (وبين الحق تبياني) .

(٤) في الديوان (ص ٦٩) : (حقّاً وجدنا به علماً بتبيان) .

(٥) في النسخ : (نور الحق) ، والمثبت من الديوان .

ثم كتب تحت ذلك[١] : [من الطويل]

كتبتُ ، ولمْ أكتُبْ إليكَ وإنَّمَا[٢] كتبتُ إلىٰ رُوحِي بغيرِ كتابِ
وذلكَ أنَّ الروحَ لا فرقَ بينَها وبينَ مُحبِّهَا بفصلِ خطابِ[٣]
وكلُّ كتابٍ صادرٌ منكَ واردٌ إليكَ بلا رَدِّ الْجوابِ جوابي

رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢١٣) أبو الخير الأقطع التيناتي رضي الله عنه[٤]

أصله من المغرب ، وسكنَ التِّينات[٥] ، وله آيات وكرامات يطولُ شرحها .

صحب أبا عبد الله بن الجلاء ، وغيرَه من المشايخ ، رحمهم الله تعالىٰ .

وكان أوحدَ أهل زمانه في التوكُّلِ ، كانتِ السباعُ والهوام تأنسُ به ، وله فِراسة حادة .

مات بمصر سنة نيِّفٍ وأربعين وثلاث مئة ، ودفن بجنب منارة الديلمية بالقَرَافة الصُّغرىٰ ، رضي الله عنه .

كان رضي الله عنه يقول : (أتيتُ قبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جائعٌ ، فقلت : أنا ضيفُك يا رسولَ الله ، وتنحَّيتُ ، ونمتُ خلف المنبر ، فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقبلت ما بين عينيه ، فدفعَ لي رغيفاً ، فأكلتُ نصفَه ، وانتبهتُ وبيدي النصفُ الآخر) .

---

(١) انظر « ديوانه » (ص ٣٠) .

(٢) في الديوان : (وربَّما) والمثبت من النسخ .

(٣) في الديوان : (لا فرق بينها . . . بفضل كتاب) .

(٤) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٣٧٠) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٧٧) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٠٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢/ ٢٦٣) ، و« تاريخ دمشق » (٦٦/ ١٦٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٢٢) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٠٧) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٤٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٨١) (٢٠٩) .

(٥) **التينات** : جمع تينة ، فرضة علىٰ ساحل بحر الشام ، قرب المَصِّيصة .

وكتب إلىٰ جعفر الخُلْدي : قد جهلَ الفقراءُ عليكم في هـٰذا الزمان ، وأصلُ ذلك منكم ؛ لأنكم تصدَّرتم للمشيخة قبلَ الكمال ، فاشتغلتم بتأديبِ نفوسكم عن تأديبهم .

وكان يقول : (الذاكرُ لله لا يقومُ له في ذكرِهِ عوضٌ ، فإذا قامَ له عوضٌ خرجَ عن ذكره) .

ودخل عليه جماعةٌ من البغداديين يتكلَّمون بشطحهم ، فضاقَ صدرُه من كلامهم ، فخرجَ عنهم ، فجاء السَّبُعُ ، فدخل البيتَ ، فانضمَّ بعضُهم إلىٰ بعض ، وسكتوا ، وتغيَّرتْ أحوالُهم وألوانهم ، وخافوا منه خوفاً شديداً ، فدخلَ عليهم أبو الخير ، وقال : يا إخواني ؛ أين تلك الدعاوىٰ ؟! ثم طردَ السبع عنهم[1] .

وكان إبراهيمِ الرقِّي يقول : قصدتُ أبا الخير التِّيناتي مُسلِّماً عليه ، فصلَّى المغربَ ، فما قرأ الفاتحةَ مستوياً ، فقلت في نفسي : ضاعتْ سفرتي ، فلما سلَّمتُ خرجتُ للطهارة ، فقصدني السَّبُعُ ، فعدتُ إليه ، وقلتُ له : إنَّ الأسدَ قصدني ، فخرجَ ، وصاحَ عليه ، وقال : ألم أقل لك لا تتعرَّضْ لضيفاني ؟! فتنحَّى الأسدُ ، ومضيتُ أنا ، وتطهَّرْتُ ، فلما رجعت قال لي : اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسدَ ، واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الأسدُ .

وكان يقول : (إيَّاكَ أن تطلبَ من الله أن يصبِّرَكَ ، ولـٰكن اسألِ اللهَ اللُّطفَ بك فهو أولىٰ ؛ لأنَّ تجرُّعَ مرارات الصبر شديدٌ علىٰ أمثالنا) .

ولمَّا هربَ السيدُ زكريا عليه الصلاة والسلام من اليهود ، ونادتْهُ الشجرةُ : إليَّ يا زكريا ، وانفرجتْ له ، ودخلَ في جوفها ، وانطبقتْ عليه ، لحقَهُ العدوُّ[2] ، فتعلَّق بعباءته ، وناداهم : إنَّ هـٰذا زكريا ، فأخرجوا المِنشار ، فنشروه مع الشجرة ، فلما بلغَ المنشارُ إلىٰ رأس زكريا عليه الصلاة والسلام أنَّ أنَّةً ، فأوحى الله إليه : يا زكريا ؛ وعزَّتي ، وجلالي ؛ لئن صعدتْ منك أنَّةٌ ثانيةٌ لأمحونَّكَ من ديوان النبوة ، فعضَّ زكريا على الصبرِ حتىٰ قُطع شطرين .

وكان سببُ قطع يده : أنه كان عقدَ مع اللهِ عقداً ألا يمدَّ يدَهُ إلىٰ شيءٍ مما تنبتُ

---

(١) جرت مثل هـٰذه مع بقاء بن بطو . انظر (١/ ٥١٠) .

(٢) **العدو** : هو الشيطان ، نعوذ بالله تعالىٰ منه .

الأرضُ بشهوةٍ ، فنسي ، وتناول عنقوداً من شجرةِ البُطم[١] ، فبينما هو يلوكُهُ ؛ إذ تذكَّر العقد ، فرمىٰ بالعنقود ، وبصق ما في فمهِ ، وجلس نادماً .

قال : فما استقرَّ بي الجلوس حتىٰ دار بي فرسانٌ ورجالة ، وقالوا : قم ، فساقوني إلىٰ أن أخرجوني إلىٰ ساحلِ بحر إسكندرية[٢] ، فرأيتُ هناك أميراً ، وبين يديه سُودانٌ كانوا قد قطعوا الطريق ، فوجدوني أسودَ اللون ، ومعي ترسٌ ، وحربةٌ ، وسيفٌ ، فقالوا : هـٰذا منهم بلا شكٍّ ، فقطع أيديهم ، وأرجلهم إلىٰ أن وصلَ إليَّ ، فقال لي : قدِّمْ يدَك ، فمددتُها ، فقطعها ، فقال : مدَّ رجلك ، فمددتُها ، ثم رفعت رأسي ، وقلتُ : إلـٰهي وسيدي ومولاي ؛ يدي جنتْ ، فرجلي ماذا صنعتْ ؟! فدخل عليه فارسٌ ، ورمىٰ بنفسه على الأمير ، وقال : هـٰذا رجلٌ صالح ، يُعرف بأبي الخير التيناتي ، فرمى الأميرُ نفسَهُ إلى الأرض ، وأخذَ يدي المقطوعةَ من الأرض وصار يُقبِّلُها ، وتعلَّق بي يبكي ، ويعتذرُ إليَّ ، فقلتُ له : جعلتُكَ في حلٍّ من أوَّلِ ما قطعتها ، وقلتُ : يدٌ جنتْ فقُطعت ، رضي الله عنهم أجمعين .

ومنهم :

(٢١٤) أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتَّاني رضي الله عنه[٣]

أصله من بغداد ، وصحبَ الجُنيد ، والنُّوري ، وأبا سعيد الخرَّاز .

وأقام بمكة ، وجاور بها إلىٰ أن مات سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة .

---

(١) **البُطم** : الحبة الخضراء ، أو شجرها ، ثمرُهُ في عناقيد كالفلفل ، حبها مفرطح مسخن مدرٌ باهي ، نافع للسعال واللقوة والكلية . « القاموس المحيط » ، (ب ط م) .

(٢) كذا في النسخ : (إسكندرية) ، والذي ورد في المصادر : أنه دخل أنطاكية ، وإسكندرونة في شرقي أنطاكية ، فلعلها صحفت من إسكندرونة إلى إسكندرية .

(٣) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٣١٨) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٣٧٣) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٥٧) ، و« تاريخ بغداد » (٤/ ١٢٧) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧١٣) ، و« تاريخ دمشق » (٥٤/ ٢٥١) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٤٠٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٥٣٣) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٤٥ ، ٤/ ٩٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٨٣) (٢١٠) .

وكان أحدَ الأئمة المشار إليهم في علم الطريق .

وكان المُرتعشُ رضي الله عنه يقول : (الكتانيُّ سراجُ الحرم) .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إذا سألتَ الله التوفيقَ فابتدرِ العمل) .

وكان يقول : (كنْ في الدنيا ببدنك ، وفي الآخرة بقلبك) .

وكان يقول : (روعةٌ عند انتباهٍ من غفلة ، وانقطاعٌ عن حظِّ نفس ، وارتعادٌ من خوفِ قطيعةٍ . . أفضلُ من عبادة الثقلين) .

ونظر مرَّةً إلىٰ رَجلٍ شيخٍ كبير يسأل الناسَ ، فقال : هـٰذا رجلٌ ضيَّعَ أمرَ الله في صغره ، فضيَّعَهُ اللهُ في كبره .

وكان يقول : (إذا صحَّتْ مرتبةُ الافتقار إلى الله تعالىٰ صحَّتِ العنايةُ ؛ لأنهما حالان لا يتمُّ أحدُهما إلا بصاحبه) .

وكان يقول : (الشهوةُ زِمامُ الشيطان ، ومن أخذَ بزِمام الشيطان كان عبدَهُ) .

وسئل عن السُّنَّةِ التي لم يَتنازعْ فيها أحدٌ من أهل العلم ، فقال : (الزهدُ في الدنيا ، وسخاوةُ النفس ، ونصيحةُ الخلق) .

وسئل عن الزهد في الدنيا : ما هو ؟ فقال : هو سرورُ القلب بفقدِ الشيء ؛ وملازمةُ تحمُّلِ الأذىٰ من جميع الخلائق ، وكلُّ شيءٍ أتاه منهم يقول : أنا أستحقُّ أعظمَ من ذلك ، ويرىٰ أنه استحقَّ النار ، وصُولح بالرماد .

وقيل له مرَّةً : مَنِ العارف ؟ فقال : (مَنْ وافقَ معروفَهُ في أوامره ، ولم يخالفْه في شيءٍ من أحواله ، ويتحبَّبُ إليه بمحبَّة أوليائه ، ولا يفترُ عن ذكرِهِ طرفةَ عين) .

وكان يقول : (الصوفيةُ عبيدُ الظواهر ، أحرارُ البواطن) .

وكان رضي الله عنه يقول : (حقائقُ الحقِّ إذا تجلَّتْ لسرٍّ أزالتْ عنه الظنونَ والأماني ؛ لأنَّ الحقَّ إذا استولىٰ علىٰ سرٍّ قهره ، فلا يبقىٰ لغيرِهِ معه أثرٌ) .

وكان يقول : (العلمُ بالله أتمُّ من العبادة له) .

وكان يقول : (إنَّ اللهَ نظرَ إلىٰ طائفةٍ من عبيده فلم يرَهُم أهلاً لمعرفته ، فشغلهم بخدمته) .

وكان يقول : (كنَّا معاشرَ الفقراء في بداية أمرنا نُصلِّي إلى الصباح بوضوء العشاء ، فإذا وقع معنا أنَّ أحداً ينامُ نراه أفضلَنا) .

وكان يَهجرُ الفقيرَ إذا بلغه أنه مشىٰ خطوةً في طلب الدنيا ، ويقول : هـٰذا خروجٌ عن الطريق ، وإنَّما شأنُ الفقير أن الدنيا تتبعَهُ .

وكان رضي الله عنه يقول : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : يا رسول الله ؛ ادعُ اللهَ لي ألا يُميتَ قلبي ، فقال : قلْ في كلِّ يومٍ أربعين مرَّةً : يا حيُّ يا قيوم ؛ لا إلـٰه إلا أنت .

وكان يقول : رأيتُ في المنام حوراءَ ، فقلتُ لها : مَنْ أنتِ ؟ فقالت : من حور الجنة ، فقلتُ : زوِّجيني نفسَك ، فقالت : اخطبني من سيِّدي ، قلتُ لها : فما مهرك ؟ قالت : حبسُ نفسِكَ عن مألوفاتها .

وكان رضي الله عنه يقول : (النُّقباءُ ثلاث مئة ، والنُّجباءُ سبعون ، والأبدالُ أربعون ، والأخيارُ سبعةٌ ، والعُمُدُ أربعة ، والغوثُ واحدٌ ، فمسكنُ النُّقباء المغرب ، والنجباءُ مصر ، والأبدال الشام ، والأخيارُ سيَّاحون في الأرض ، والعُمُدُ في زوايا الأرض ، والغوثُ مسكنُهُ بمكة ، فإذا عرضَ حاجةٌ من أمرِ العامة ابتهلَ فيها النقباء ، ثم النُّجباء ، ثم الأبدال ، ثم الأخيار ، ثم العُمُدُ ، ثم الغوث ، فلا يتمُّ الغوثُ مسألتَهُ حتىٰ تُجاب دعوتُهُ) .

وكان يقول : (الأنسُ بالمخلوقين عقوبةٌ ، والقربُ من الدنيا وأبنائها معصية ، والرُّكون إليهم مذلَّةٌ) .

وكان يقول : (العبادةُ اثنان وسبعون باباً ؛ أحدٌ وسبعون منها في الحياء من الله عز وجل ، وواحدٌ في جميع أنواع البر) .

وكان يقول : يقول الله تعالىٰ : (ما منْ عبدٍ أصبحَ في الدنيا وفي قلبه همَّانِ إلا وأنَا منهُ بريءٌ ؛ همُّ المعاصي ، وهمُّ المال)[1] ، رضي الله عنه .

---

(١) أورد الخبر ابن خميس الموصلي في « مناقب الأبرار » (٢/ ٧٢٣) .

ومنهم :

(٢١٥) أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري رضي الله عنه[١]

من علماء المشايخ .

صحب الجُنيد ، وعمرَو بنَ عثمان المكي ، وأبا يعقوب السُّوسي ، وغيرَهم من المشايخ .

أقام بالحرمِ مُجاوراً سنين كثيرة ، **ومات سنة ثلاثين وثلاث مئة ، رضي الله عنه** .

وكان يقول في معنىٰ قولهم : « احترِسُوا منَ ٱلناسِ بسوءِ ٱلظنِّ »[٢] : أي : سوء الظنِّ بأنفسِكم لا بالناس .

وكان يقول : (من كان شِبَعُهُ بالطعام لم يزلْ جائعاً ، ومن كان غناه بالمالِ لم يزل فقيراً ، ومن مالَ باطنُهُ إلى العطاء من الخلقِ لم يزلْ محروماً ، ومن استعان علىٰ أمرِ بغيرِ الله لم يزلْ مَخذولاً) .

وكان يقول : طلبَ أهلُ الله الحقائق فسادوا الخلائق ؛ ولذلك قالوا : لا يُطلبُ الحقُّ ؛ لأنَّ الطلبَ لا يكونُ إلا لمفقود ، ولا يُطلبُ دركه ؛ لأنَّه لا غايةَ له ، ومن أراد وجودَ الموجود فهو مغرور ، وإنما الموجودُ عندنا معرفةُ حالٍ ، وكشفُ علمٍ بلا حال .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ [يوسف : ٢٠] : (لو جعلوا ثمنَهُ عليه الصلاة والسلام الكونين لكانَ بخساً في مشاهدته ، وما خُصَّ به) .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٣٧٨) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٥٦) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٢٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٤٠٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٢٣٢) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٥٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٨٥) (٢١١) .

(٢) روى الحديث الإمام أحمد في « الزهد » (١٣٥٤) ، والطبراني في « الأوسط » (٥٩٨) مرفوعاً عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ٨٩) : (فيه بقية بن الوليد ، وهو مدلس) .

وكان رضي الله عنه يقول : (مشاهدةُ القلوب تعريف ، ومشاهدةُ الأرواح تحقيق) .

وكان يقول : (أعرفُ الناس بالله أشدُّهم فيه تحيُّراً) .

وسئل رضي الله عنه مرَّةً عن التصوف ، فقال : آهِ آهِ ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ [البقرة : ١٣٤] ، ثم قال رضي الله عنه للسائل : يا أخي ؛ زفراتُ القلوب بودائع الحضور من حيثُ خاطبها الحقُّ ، وهي في صورة الذرَّة ، فأخبر عنها بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

وكان يقول : (ما رأته العيونُ ينسب إلى العلم ، وما رأتْهُ القلوبُ ينسب إلى اليقين) .

وسئل رضي الله عنه عن الطريق إلى الله تعالىٰ ، فقال للسائل : (اجتنبِ الجُهلاء ، واصحبِ العلماء ، واستعملِ العلم ، وداومِ الذكر ، وأنتَ إذن من أهل الطريق) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢١٦) علي بن محمد المزيِّن رضي الله عنه[(١)]

صحب سهل بنَ عبد الله ، والجُنيد بن محمد ، ومن في طبقتهما من البغداديين .

أقام بمكة مجاوراً ، **ومات بها في سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة** .

وكان من أورعِ المشايخ ، وأحسنِهم حالاً .

وكان رضي الله عنه يقول : (متىٰ ما ظهرتِ الآخرةُ فنيتْ فيها الدنيا ، ومتىٰ ما ظهر ذكرُ الله تعالىٰ فنيتْ فيه الدنيا والآخرة ، وإذا تحقَّقتِ الأذكار فني العبدُ وذكرُهُ ، وبقي المذكورُ وصفاتُهُ) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص٣٧٤ ، ٣٧٦) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٣٨٢) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٤٠) ، و« تاريخ بغداد » (١٣/ ٥٤٤) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٣٠) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٦٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٢٣٢) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١١٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٨٦) (٢١٢) .

وسئل رضي الله عنه عن التوحيد ، فقال : أنْ توحِّدَ الله بالمعرفة ، وتوحِّدَه بالعبادة ، وتوحِّدَه بالرجوع إليه في كلٍّ ما لَكَ وعليك ، وتعلمَ أنَّ ما خطر بقلبك ، أو أمكنك الإشارة إليه . . فاللهُ بخلافِ ذلك ، وتعلمَ أنَّ أوصافَه سبحانه وتعالىٰ مباينةٌ لأوصاف خلقه ، باينهم بصفاته قِدماً كما باينوه بصفاتهم حَدَثاً .

وكان رضي الله عنه يقول : (كانتِ الطريقُ إلى الله تعالىٰ بعددِ النجوم ، وما بقي منها إلا طريقٌ واحدٌ ؛ وهي طريق الفقر ، وهو أنهجُ الطُّرق) .

وكان يقول : (من طلبَ الطريقَ بنفسه تاه في أوَّلِ قدمٍ ، ومن أُريدَ به الخيرُ دُلَّ على الطريق رأيَ العين حتىٰ بلغَ المقصد) .

وكان يقول : (المعجبُ بعمله مُستدرجٌ ، والمستحسنُ لأحواله السيئة ممكورٌ به ، ومن ظنَّ أنَّه موصولٌ فهو مغرور ، وأَحسنُ العبيد حالاً من كان مجهولاً في أحواله لا يُشاهدُ غيرَ واحدٍ ، ولا يَستأنسُ إلا به ، ولا يشتاقُ إلا إليه) .

وكان يقول : (من أعرضَ عن مشاهدة ربِّه سبحانه وتعالىٰ شغله اللهُ تعالىٰ بطاعته وخدمته ، ومن بدا له نجمُ الاحتراق غيَّبَهُ عن وساوس الافتراق) .

وكان رضي الله عنه يقول : لو زكَّيتَ رجلاً حتىٰ جعلتَه صدِّيقاً لا يعبأُ الله به وهو يُساكنُ الدنيا بقلبه طرفةَ عينٍ ، حتىٰ لو ساكنَها لأجلِ إخوانه ليصرفَها عليهم لا يفلح ، ومن أبقىٰ عنده منها فوقَ قوتِ يومه فقد ساكنها ، وقد درجَ السَّلفُ الصالحُ علىٰ عدم المساكنة للدنيا ، وجعلوه من رهبانية الربَّانيين ، وأحوال الحواريين .

فقال له رجل : فإذا سكنَ إلى الدنيا ليُنفقها علىٰ نفسِهِ وعيالِهِ وغيرِهم من الملازم ؟ فقال له : دعونا من هـٰذه الزلقاتِ ، من أراده اللهُ بهـٰذا الأمر فليصدقِ اللهَ فيه ، ويسدَّ بابَ الدنيا جملةً ، وإلا فليرجعْ إلىٰ ظاهر العلمِ ورعايته ، فيأخذ به ويُعطي الناس ، ويعمَّ ويخصَّ ، واللهِ ؛ ما هَلَكَ من هلك من أهلِ الطريق إلا من حلاوةِ الغِنىٰ في نفوسهم ، وقبولِ الظواهر المدخولة مع الوقوفِ مع ظاهرها ، واللهِ الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ إني لأعرفُ مَنْ يدخلُ عليه عَرَضُ الدنيا فيقسمه علىٰ حقوقِ الله تعالىٰ دون خصوصِ نفسه ، فيصير ذلك مع براءة ساحته منه حجاباً قاطعاً له عن الله تعالىٰ .

وكان يقول : (إذا عُرِضَ علىٰ أحدِكم طعامٌ من حيث لا يحتسب فليأكلْه ؛ فإني عُرِضَ عليَّ مرَّةً طعامٌ ، فامتنعتُ من أكله ، فضُربت بالجوع أربعة عشر يوماً ، حتىٰ إذا علمتُ أني قد عُوقبت تبتُ إلى الله ، فزالَ ما كان عندي من الجوع ، وما كنت إلا هلكت) .

وكان يقول : (العُجْبُ في العبد مقتٌ من الله عز وجل له ، وهو يؤدي إلىٰ مقتِ الأبدِ ، نسأل الله العافية) رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢١٧) أبو علي الحسن بن أحمد الكاتب رضي الله عنه[1]

من كبار مشايخ المصريين .

صحب أبا بكر المصري ، وأبا علي الرُّوْذْباري وغيرهما .

وكان أوحدَ المشايخ في وقته ، حتىٰ قال فيه أبو عثمان المغربي رحمه الله تعالىٰ : أبو علي ابنُ الكاتب من السَّالكين ، وكان يعظِّمُه ، ويعظِّمُ شأنه .

مات سنة نيِّفٍ وأربعين وثلاث مئة ، رحمه الله تعالىٰ .

وكان يقول : (المعتزلةُ نزَّهُوا الله من حيث العقلُ ، فأخطؤوا ، والصوفية نزَّهُوا الله من حيث العلمُ ، فأصابوا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من سمعَ الحكمةَ فلم يعملْ بها فهو مُنافق) .

وكان رضي الله عنه يقول : (قال الله عز وجل : من صبرَ علينا ، وصلَ إلينا) .

وكان يقول : (صحبةُ الفسَّاق داءٌ ، ودواؤها مفارقتهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (روائحُ نسيم المحبة تفوحُ من المحبِّين وإن كتموها ،

---

(١) في النسخ : (الحسين) بدل (الحسن) والمثبت من مصادر ترجمته . انظر « طبقات الصوفية » (ص ٣٨٦) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٦٠) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٣٦) ، و« المختار من المناقب » (٢/ ١٨٤) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٩٩) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٧٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٨٧) (٢١٣) .

وتظهرُ عليهم وإن أَخفوها ، وتدلُّ عليهم وإن سَتروها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الهمَّةُ مقدمةُ الأشياء ؛ فمن صحَّحَ همَّتَهُ أتت عليه بتوابعه على الصدق والصحة ؛ فإنَّ الفروعَ تتبعُ الأحوال ، ومن أهملَ همَّتَهُ أتتْ عليه توابعُهُ مهملةً ، والمهملُ من الأحوال والأفعال لا يصلحُ لبساطِ الحقِّ تعالىٰ) .

وكان يقول : (إنَّ الله تعالىٰ يرزقُ العبدَ حلاوةَ ذكره ؛ فإن فرحَ به وشكره آنسه بقربه ، وإن قصَّرَ في الشُّكر أجرى الذكرَ علىٰ لسانه ، وسلبَهُ حلاوتَه) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢١٨) أبو الحسين بن بُنان الحمَّال رضي الله عنه[١]

من كبار مشايخ مصر .

صحب الخراز ، وإليه ينتمي[٢] .

مات رضي الله عنه في التيه .

وسببُ ذلك : أنَّه وردَ علىٰ قلبه شيءٌ ، فهام علىٰ وجهه ، فلحقوه في وسط التيه في الرمل مُلقىً ، ففتح عينيه ، وقال :

ارْبَعْ فهـٰذا مربعُ الأحباب

وكان رضي الله عنه يقول : (الناسُ يعطشون في البراري ، وأنا عطشانُ علىٰ شاطئ النيل) .

وكان يقول : (كلُّ صوفيٍّ يكونُ همُّ الرزقِ قائماً في قلبه فلزومُ العملِ أقربُ له إلى الله تعالىٰ) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٣٧٨) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٣٨٩) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٦٢) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٣٩) ، و« تاريخ دمشق » (٦٦/ ١٤٧) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢/ ٢٣٧) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٢٠) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٤٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٨٨) (٢١٤) .

(٢) في النسخ (والبيرسمي) ، والمثبت من « مناقب الأبرار » (٢/ ٧٤١) .

والمُراد بالعمل : الكسب والاحتراف بالصنائع وغيرها .

وكان يقول : (علامةُ ركون القلب وسكونه إلى الله تعالىٰ أن يكونَ قوياً إذا زالت عنه الدنيا وأدبرت ، وفقَدَ الرغيفَ بعد أن كان موجوداً عنده بلا كلفةٍ) .

وكان يقول : (اجتنبوا دناءةَ الأخلاق كما تجتنبوا الحرامَ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ذكرُ الله تعالىٰ باللسان يُورث الدرجات ، وذكرُهُ بالقلب يُورث القُربات) .

وكان يقول : (الإكثارُ من الوحدة جلسةُ الصدِّيقين) .

وكان يقول : (لا يعظِّمُ أقدارَ الأولياء إلا من كان عظيمَ القدر عند الله عز وجل) رحمه الله تعالىٰ .

ومنهم :

(٢١٩) أبو بكر عبد الله بن طاهر الأَبْهري رضي الله عنه[١]

من كبار مشايخ الجبل ، وهو من أقران الشِّبلي رضي الله عنه .

صحب يوسف بنَ الحسين الرازي ، ومظفر القَرْميسيني[٢] ، وغيرَهما من المشايخ .

وكان عالماً ورعاً .

مات رضي الله عنه قريبَ الثلاثين والثلاث مئة .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الجمعُ جمعُ المتفرِّقات ، والتفرقةُ تفرقةُ المجموعات ، فإذا جمعتَ قلتَ الله ، وإذا فرَّقتْ نظرتَ إلى الكونين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ اللهَ تعالىٰ أطلعَ نبيَّه صلى الله عليه وسلم علىٰ

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٣٩١) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٥١) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٤١) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ٤٥٤) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٧٤) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١١٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٨٨) (٢١٥) .

(٢) في النسخ : (أبا المظفر) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

ما يكون في أُمَّتِهِ من بعده من الخلاف ، وما يصيبهم في دار الدنيا ، فكان إذا ذكر ذلك وجد إغانةً في قلبه منه ، فاستغفرَ الله لأُمَّتِهِ)[١] .

وقيل له : ما بالُ الإنسان يحتملُ من معلِّمِهِ ما لا يحتملُه من أبويه ؟! فقال : لأنَّ أبويَه سببُ حياته الفانية ، ومؤدِّبَهُ سببُ حياته الباقية ، وتصديقُ ذلك قولُهُ صلى الله عليه وسلم : « اغدُ عالِماً أوْ مُتعلِّماً ، ولا تكنْ فيمَا بينَ ذلكَ فتَهلِكْ »[٢] .

وكان رضي الله عنه يقول : (في المحنُ ثلاثة : تطهيرٌ ، وتكفيرٌ ، وتذكير ؛ فالتطهيرُ من الكبائر ، والتكفيرُ من الصغائر ، والتذكير لأهل الصفاء) .

وكان رضي الله عنه يقول : (همَّةُ الصالحين الطاعةُ بلا معصية ، وهمَّةُ العلماء المزيدُ في الصواب ، وهمَّةُ العارفين إعظامُ الله تعالىٰ في قلوبهم ، وهمَّةُ أهل الشوق سرعةُ الموت ، وهمَّةُ المقرَّبين سكونُ القلب إلى الله تعالىٰ) .

ومنهم :

(٢٢٠) مُظفَّر القَرْمِيْسِيني رضي الله عنه[٣]

من كبار مشايخ الجبل ، وجلَّتِهِم ، ومن الفقراء الصادقين .

صحب عبدَ الله الخرَّاز ، ومَنْ فوقه من المشايخ .

---

(١) روىٰ مسلم (٢٧٠٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنهُ لَيُغانُ علىٰ قلبي ، وإني لأَستغفرُ اللهَ في اليوم مئةَ مرَّةٍ » عن سيدنا الأغرِّ المزنيِّ رضي الله عنه ، قال ابن الأثير في « جامع الأصول » (٤/ ٣٨٦) : (ليُغان : ليُغطَّىٰ ويُغشىٰ ، والمراد به السهو ؛ لأنه كان صلى الله عليه وسلم لا يزال في مزيد من الذكر والمراقبة والقربة ، فإذا سها عن شيء منها أو نسي . . عَدَّهُ ذنباً علىٰ نفسه ، ففزع إلى الاستغفار) .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » (٩/ ١٥٠) وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٢٦٦٤٤) بلفظ : « اغدُ عالماً أو مُتعلِّماً ، ولا تَغْدُ بينَ ذلك » ، وروى الطبراني في « الصغير » (٧٧٣) و« الأوسط » (٥١٦٧) وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٣٧) عن أبي بكرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اغْدُ عالماً ، أو متعلِّماً ، أو مستمعاً ، أو محبّاً ، ولا تكن الخامسةَ فتهلك » ، والخامسة ألا يكون من هـٰؤلاء .

(٣) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٣٩٦) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٦٠) ، و« مناقب الأبرار »=

وكان واحداً في طريقته .

وكان رضي الله عنه يقول : (**الصومُ على ثلاثة أوجه** : صومُ الروح بقصر الأمل ، وصومُ العقلِ بخلاف الهوى ، وصومُ النفس بالإمساك عن الطعام والشراب والمحارم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من صحبَ الأحداثَ على شرائط السلامة والنصيحة أدَّاه ذلك إلى البلاء ، فكيف مَنْ يَصحبُهم على غيرِ شروط السلامة ؟!) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أخسُّ الفقراء قيمةً من يَقبلُ رفقَ النسوان على أيِّ حال كان)[١] .

قلت : وذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء : ٣٤] ، ومن رضي لنفسه بقيامِ المرأة عليه لا يفلحُ أبداً ، مع أنَّ قبولَ الرفق يُميلُ قلب الفقير إلى المرأة زيادةً على ميل الوازع الطبيعي ، فيُتلفُ الفقيرَ بالكلِّية ، والله أعلم .

وكان يقول : (خيرُ الأرزاق ما فتحَ اللهُ لك به من وجهِ حلالٍ من غير طلبٍ ولا سعي) .

وكان يقول : (ليسَ لك من عمرك إلا نَفَسٌ واحد ، إن لم تُفنِهِ بما لَكَ فلا تُفْنِهِ بما عليك)[٢] .

وكان رضي الله عنه يقول : (من تأدَّبَ بآداب الشرع تأدَّبَ به متبوعُهُ ، ومن تهاون بالآداب هلَكَ وأهلك ، ومن لم يأخذِ الأدب عن حكيمٍ لا يتأدَّبُ به مريد) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الفقيرُ هو الذي لا يكونُ له إلى الله حاجةٌ) .

قلت : **معناه** : أنه يكتفي بعلمِ الله بحاجته ، وأنَّه أشفقُ عليه من نفسه ، فلا يحوجُهُ

= (٢/ ٧٤٥) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٥/ ٢٨) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣١٩) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٦٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ٢٨٩) (٢١٦) .

(١) في « طبقات الصوفية » (ص ٣٩٦) : (أخسُّ الأرفاق أرفاق النسوان) .

(٢) في « طبقات الصوفية » (ص ٣٩٨) : (نَفْس واحدة) بدل (نفس واحد) .

إلىٰ سؤاله ؛ لا أنه لا يستغني عن مولاه طرفةَ عين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر : ١٥] ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٢١) أبو الحسين علي بن هند القُرشي الفارسي رضي الله عنه[١]

من كبار مشايخ الفُرْس وعلمائهم .

صحب جعفراً الحذَّاء ، وعَمرَو بنَ عثمان المكي ، ومن فوقهم .

له الأحوالُ العالية ، والمقاماتُ الزكية .

كان رضي الله عنه يقول : (شرطُ المتمسِّكِ بكتاب الله وسُنة رسوله ألا يخفىٰ عليه شيءٌ من أمرِ دينه ودنياه علىٰ ممرِّ أوقاته على المشاهدة والكشف ، لا على الغفلة والظنِّ ، وأن يأخذَ الأشياء من معدنها ، ويضعَها في معدنها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (استرحْ مع الله ، ولا تسترحْ عن الله ؛ فإنَّ من استراحَ مع الله نجا ، ومن استراحَ عن اللهِ هلَكَ ، فالاستراحةُ مع الله تُروِّحُ القلب بذكره ، والاستراحةُ عن الله مداومةُ الغفلة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أكرمَهُ الله تعالىٰ بحرمةِ الأكابر[٢] أوقع حرمتَه في قلوب الخلق ، ومن حُرم ذلك نزعَ الله حرمتَهُ من قلوب الخلق ، فلا تراه إلا ممقوتاً وإن حسنتْ أخلاقُهُ ، وصلحتْ أحوالُهُ ؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول : « مِنْ تعظيمِ جلالِ اللهِ إكرامُ ذِي ٱلشَّيبةِ ٱلمسلمِ »)[٣] ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٣٩٩) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٦٢) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٤٨) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٧٦) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٢١) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٢٠ ، ٤/ ١٢٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٩٠) (٢١٧) .

(٢) كذا في « مناقب الأبرار » (٢/ ٧٤٩) ، وفي « طبقات الصوفية » : (من أكرمه الله تعالىٰ بمعرفة الحرمة ، والاحترام للأكابر) .

(٣) رواه أبو داود (٤٨٤٣) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٢٢) أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القَرْمِيسِيني رضي الله عنه[١]

كان شيخَ الجبل في وقته ، له المقاماتُ في الورع والتقوىٰ يعجِزُ عنها أكثرُ الخلق .

صحب أبا عبد الله المغربي ، وإبراهيمَ الخوَّاص .

وكان شديداً على المُدَّعين ، متمسِّكاً بالكتاب والسُّنة ، مُلازماً لطريقة المشايخ والأئمة ، حتىٰ قال فيه عبد الله بنُ مُنازل : (إبراهيم بنُ شيبان حجَّةُ الله على الفقراءِ ، وأهلِ الأدب ، والمعاملاتِ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أرادَ أن يتعطَّلُ ويتبطَّلَ فَلْيلزمِ الرُّخص) .

وكان يقول : (ما قطعَ الفقراءَ عن الطريق وأهلكَهم إلا ميلُهم إلىٰ ما عليه أبناءُ الدنيا) .

وكان يقول : (علمُ البقاء والفناء يدورُ على الإخلاصِ للوحدانية ، وصحةِ العبودية ، وما كان غيرُها فهو المغاليطُ والزندقة) .

وكان يقول : (سَفِلةُ الناس من يخطرُ العطاءُ علىٰ قلبه علىٰ وجه المنَّةِ به) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من تركَ حُرمةَ المشايخ ابتُلي بالدعاوى الكاذبة ، فافتضحَ بها) .

وكان يقول : (من تكلَّمَ في الإخلاص ، ولم يطالبْ نفسَه بذلك ابتلاه الله تعالىٰ بهتكِ ستره عند أقرانِهِ وإخوانه) رضي الله تعالى عنه .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٤٠٢) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٦١) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٥١) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٢٦٢) ، و« تاريخ دمشق » (٦/ ٤٤١) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٣٩٢) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣١٥) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٩١) (٢٢٨) .

ومنهم :

(٢٢٣) أبو بكر الحسين بن علي بن يَزْدانيار رضي الله عنه[١]

من أهل أرمينية ، له طريقةٌ في التصوف يختصُّ بها ، وكان يُنكر علىٰ بعض المشايخ بالعراق أقاويلَهم .

وكان عالماً بعلوم الظاهر ، والمعارف ، والمعاملات .

وكان عليُّ بنُ إبراهيم الأُرمويُّ يقول : سمعت ابن يَزْدانيار يقول : تراني تكلَّمتُ في الصوفية بما تكلَّمتُ به إنكاراً على التصوف والصوفية » ؟! واللهِ ؛ ما تكلَّمت به إلا غيرةً عليهم حيث أَفشوا أسرارَ الحقِّ وأظهروها بين من ليس من أهلها ، وإلا فهم السادةُ ، بمحبَّتهم أتقرَّبُ إلى الله تعالىٰ .

ومن كلامه رضي الله عنه : (رضا الخلقِ عن الله تعالىٰ رضاهُم بما يَفعل ، ورضاه عنهم أن يُوفِّقَهم للرِّضا عنه) .

وكان يقول : (من استغفرَ وهو ملازمٌ للذنب حرَّمَ الله عليه التوبةَ والإنابةَ إليه) .

وكان يقول : (**الحياءُ علىٰ أقسام** :

ـ **منها** : حياء الجناية ؛ كما رُوي : أنَّ آدمَ عليه الصلاة والسلام هام علىٰ وجهه بعد الجناية في الجنان، فأوحى الله إليه : أفراراً مني يا آدم ؟! قال : لا ، بل حياءً منك يا رب[٢] .

ومنها : حياءُ التقصير ؛ كقولِ الملائكة : « سبحانكَ مَا عبدْناكَ حقَّ عبادتِكَ »[٣] .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٤٠٦) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٦٣) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٥٧)، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢/ ٢١١)، و« نفحات الأنس » (ص ٢٧١)، و« طبقات المناوي » (٢/ ٨٠)، وانظر ما قاله أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٥٥٦ـ٥٥٨)، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٩٢) (٢١٩) .

(٢) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في « العظمة » (٥/ ١٥٥٦) عن سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١١٣) عن مجاهد رحمه الله تعالىٰ من قوله .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٦٢٩) عن سلمان ، والطبراني في « الكبير » (٢/ ١٨٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

ومنها : حياءُ الإجلال ؛ كما رُوي أنَّ إسرافيل تسربلَ بجناحيه حياءً من ربه عز وجل .

ومنها : حياء الغيرة ؛ كما رُوي أنَّ عُيينة بنَ حصن الفزاريَّ دخلَ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة رضي الله عنها ، فرفع النبيُّ صلى الله عليه وسلم يدَهُ فسترها عنه ، فقال له : يا محمد ؛ ما هـٰذا ؟! قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « هـٰذَا الحياءُ الذِي أُعطيناهُ ، ومُنعتمُوهُ »[١] ، أو لفظة هـٰذا معناها .

ومنها : حياء الكرم ؛ لقوله تعالىٰ في تأديب الصحابة : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ ﴾ وكقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

ومنها : حياء المعروف ؛ كما أنه قيل للنبيِّ صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إنَّ الله لم يُكلِّفْك هـٰذا ، فقال : « مَا أَصنعُ ؟ يسأَلُونِي ، ويأبَى اللهُ لِي البخلَ »[٢] .

ومنها : حياء الخلق ؛ لما روي : أنَّ عمر بنَ الخطاب دخلَ في الصلاة ، فتذكر أنه علىٰ غير طهرٍ ، فخرجَ من الصلاة ، فقال : إني أردتُ أن أَمرَّ في الصلاةِ حياءً من الناس .

ومنها : حياء التحقيق ، وإسقاطِ رؤية الخلق ؛ لما رُوي : أنَّ بعض الصحابة فاتته الصلاةُ وهو يأتي المسجد ، فتلقَّاهُ الناسُ مُنصرفين ، فانصرفَ بوجهِهِ ؛ حياءً بلا علَّةٍ حتىٰ مرُّوا .

ومنها : حياء الاستحقار ؛ لما رُوي : أنَّ موسىٰ عليه السلام قال في بعض مناجاته : إنَّه ليعرضُ لي الحاجةُ من الدنيا ، فأستحي أَنْ أسألَكَ يا رب ، فقال الله له : سلني عن ملحِ عجينك ، وعلفِ حمارك[٣] .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٢٥٨٥٦) عن قيس رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد في « مسنده » (٣/ ٤) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٤١٤) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) أورده ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » (١/ ٢٢٥) .

ومنها : حياء الصيانة والعفة ؛ كقول عثمان رضي الله عنه : ما زنيتُ في جاهلية ولا إسلام[١] .

ومنها : حياء الوقار : [لعثمان أيضاً ؛ وذلك حياؤه من الملائكة عند الخلاء .

ومنها : حياء التوقير : حياء الملائكة عليهم السلام من عثمان عليه السلام][٢] ؛ كحياء رسول الله صلى الله عليه وسلم من عثمان ، وقوله : « أَلا أستحِي ممنْ تستَحِي منهُ الملائكةُ »[٣] .

ومنها : حياء الحشمة ؛ كقول علي رضي الله عنه للمقداد بن الأسود : سلْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن المذيِّ ؛ فإن ابنتَهُ عندي ، وأنا أستحي أن أسألَهُ لمكانها مني[٤] .

ومنها : حياء التعجُّب والاستبعاد ؛ كما رُوي : أنَّ عائشة رضي الله عنها لمَّا سمعتْ أمَّ سليم رضي الله عنها تسألُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن المرأةِ إذا رأتْ في المنام كما يَرى الرجلُ أتغتسل ؟ قال : « نعمْ ، إِذَا رأتِ الماءَ » ، فقالتْ عائشة رضي الله عنها وغطَّت وجهها حياءً : أَوَ ترى المرأة كما يَرى الرجل ؟! فقال لها النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « تَرِبتْ يمينُكِ ، وإلا فمِنْ أينَ يكونُ الشَّبهُ »[٥] .

ومنها : حياء العزبة ؛ كقوله تعالىٰ في حقِّ ابنة شعيب : ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص : ٢٥] .

ومنها : حياء الأمثال لبيان الحق ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة : ٢٦] .

ومنها : حياء الحقِّ ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ؛

---

(١) رواه أحمد في « فضائل الصحابة » (٧٥٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، والطيالسي في « المسند » (١/ ١٣) عن سيدنا أبي أمامة بن سهل رضي الله عنهما .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من « تهذيب الأسرار » (ص ٤٠٤) للخركوشي .

(٣) رواه أحمد في « فضائل الصحابة » (٧٤٨) عن السيدة حفصة رضي الله عنها .

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٩) ، ومسلم (٣٠٣/ ١٧) .

(٥) رواه مسلم (٣١٤/ ٣٣) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

وكقول النبي صلى الله عليه وسلم[(١)] : « إنَّ اللهَ لا يَستحيِي منَ الحقِّ ، لا تأتُوا النساءَ في أدبارِهنَّ »[(٢)] .

ومنها : حياء المراقبة في الاتِّعاظ لذي الوعظ ؛ قال تعالىٰ لعيسىٰ عليه الصلاة والسلام : يا عيسىٰ ؛ عظْ نفسَك ، فإن اتَّعظتْ فعظِ الناس ، وإلا فاستحي مني[(٣)] .

ومنها : حياء المراجعة ليلة الإسراء : لقوله صلى الله عليه وسلم « إنِّي قدِ استحييتُ منْ رَبِّي »[(٤)] .

ومنها : حياءُ قصر الأمل ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم : « استحيُوا منَ اللهِ حقَّ الحياءِ . . . » الحديث[(٥)] .

ومنها : حياء الإحسان ؛ كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حقِّ المتورِّعين عن محارم الله عز وجل ، فقال : « إنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ : إنِّي لأستحِي أنْ أُحاسبهُمْ إذَا حاسبْتُ الخلائقَ » ، وإنَّما قُلنا : الإحسان لقوله : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] ، فجازاهم بإحسانِ ورعهم إحسانَ ترك المحاسبة[(٦)] .

ومنها : حياء المعاودة في السؤال ؛ كما رُوي في الخبر : « إنَّ العبدَ إذا دعا اللهَ تعالىٰ يا ربِّ ، فيُعرضُ عنه ، ثم يقولُ : يا ربِّ ، فيُعرضُ عنه ، فيقول الثالثةَ ، والرابعةَ ، فيقولُ اللهُ : إني استحييتُ من عبدِي منْ كثرةِ ما يقولُ : يا ربِّ » .

---

(١) كذا في النسخ، وفي «تهذيب الأسرار» (ص ٤٤٢): ومنها: حياء التنبيه ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم.

(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » (١١٦٤) ، وأحمد في « المسند » (١/ ٨٦) عن سيدنا علي بن طلق رضي الله عنه .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨٢) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ .

(٤) جاء في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٤٢) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٦٢) : (ومنها : حياء المراجعة ؛ كما كان النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة المعراج يتردَّد بين ربِّه عز وجل وبين كليمه موسىٰ عليه السلام في تخفيف الصلاة عن أمته ، حتىٰ قال في آخر المراجعة : « إنِّي قدِ استحييتُ منْ ربِّي عزَّ وجلَّ ») ، وهـٰذا الحديث أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣) عن سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه .

(٥) أخرجه الترمذي (٢٤٥٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٦) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/ ١٢٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

ومنها : حياء المعاتبة ؛ كما رُوي : أنَّ الله تعالىٰ يُعاتب عبدَه يوم القيامة ، فيقول : يا ربِّ عذابُك أَولىٰ من عتابِك .

قلت : لأن العبدَ إذا عُوقب فهو بمثابة من أدّى الحقَّ الذي عليه ، فيحصلُ عقبَهُ الراحةُ ، بخلاف من عُوتب ؛ فإنه لا يزالُ خجلاً مُستحياً من ربِّه عز وجل ، فلا يزالُ في تعبٍ ، والله أعلم .

ومنها : حياء التوكل : كما قال عمر رضي الله عنه : إني لأستحيي من ربِّي عز وجل أن أَخافَ شيئاً سواه[١] .

ومنها : حياء الصلاح ؛ كما رُوي في الخبر : « استحْيِ منَ اللهِ كما تَستحيِي منْ صالحِ قومِك »[٢] .

ومنها : حياءُ العين[٣] ؛ كما رُوي : أنَّ سُفيان الثوري دخلَ علىٰ رابعة العدوية رضي الله عنها ، فذكَر لها ما ذكر ، إلىٰ أن قالت : إني لأَستحيي أن أسألَ الدُّنيا ممن يَملكها ، فكيف ممَّن لا يَملكها ؟!

ومنها : حياء الواجب ؛ كما رُوي : أنَّ عائشةَ رضي الله عنها أثنتْ علىٰ نساء الأنصار بقولها عنهن : إنَّهن لم يكنْ يَمنعهنَّ الحياءُ أن يسألنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الصُّفرة والكدرة[٤] ؛ يعني : من دم الحيض .

ومنها : حياء الحرمة ؛ كما رُوي : أنَّ أبا موسى الأشعري قال لعائشة : إني أُريدُ أن أسألَكِ عن أمرٍ ، وأنا أستحيي أن أسألَكِ عنه ، فقالت : سلْ ما كنتَ سائلاً عنه أمَّك ، فقال : إن الرجلَ يُجامع أهلَهُ ولا يُنزل ، أَفعليه غسلٌ ؟ فقالت : (إذا التقى

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٨٨) من قول عامر بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ .

(٢) روى ابن عدي في « الكامل » (٢/ ٥٦٠) (ترجمة جعفر بن الزبير) ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « استحيِ اللهَ اسْتِحياءَكَ منْ رجلينِ منْ صَالِحي عشيرَتِكَ » .

(٣) في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٤٣) : (حياء الغنىٰ) .

(٤) روى البخاري في « صحيحه » (١٣٠) ، ومسلم (٣٣٢) عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : (نعمَ النساءُ نساءُ الأنصارِ ، لم يمنعهنَّ الحياءُ أنْ يتفقهنَ في الدينِ) .

الختانان فقد وجبَ الغُسل) فعلتُه أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واغتسلنا[١] .

ومنها : حياء الرحمة ؛ كما رُوي في الحديث : « إنَّ اللهَ يستحْيِي منْ ذِي الشَّيبةِ أنْ يُعذِّبَها بالنَّارِ »[٢] .

ومنها : حياء الغرور : كقول أبي الدرداء رضي الله عنه لأهل حمص : أَلا تستحيون من ربِّكم ؟! تبنون ما لا تسكنون ، وتَجمعون ما لا تأكلون ، وتؤمِّلون ما لا تُدركون[٣] .

ومنها : حياء المعرفة : كما رأىٰ بعضُ الصالحين في منامه هاتفاً يهتف ويقول : يا أهلَ البصرة ؛ يا أشباهَ اليهود ؛ كونوا علىٰ حياءٍ من ربكم[٤] .

ومنها : حياء الإيمان : كما رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحياءُ منَ الإيمانِ ، والْحياءُ فِي الجنةِ »[٥] .

ومنها : حياءُ الزينة ؛ كما رُوي في الحديث : « مَا كانَ الرفقُ فِي شيءٍ إلا زانَهُ »[٦] .

ومنها : حياء الخير ؛ وهو قوله صلى الله عليه وسلم : وقد سُئل عن الحياء ، فقال : « الحياءُ خيرٌ كلُّهُ »[٧] خيرٌ للدنيا وللدين) .

---

(١) رواه مسلم (٣٤٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « العمر والشيب » (٢) بلفظ : « إني لأَستحي من عبدي وأمتي يَشيبانِ في الإسلامِ أُعذِّبُهما بعد ذلكَ » ، والبيهقي في « الزهد » بلفظ : « إني لأستحي من عبدي وأمتي أن يَشيبا في الإسلامِ ثم أُعذِّبُهما » عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٥٨) مرفوعاً إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحكم بن عميرٍ ، ومن قول أبي الدرداء رضي الله عنه في « الحلية » (١/ ٢١٧) .

(٤) هو من قول فرقد السبخي ، وانظر « الحلية » (٣/ ٤٦) .

(٥) في « مناقب الأبرار » (٢/ ٧٦٥) : « الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار » وهو حديث رواه ابن ماجه في « سننه » (٤١٨٤) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه .

(٦) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٢٥٩٤/ ٧٨) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٧) أخرجه البخاري (٦١١٧) ، ومسلم (٣٧) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا ابتُليتَ بمعاشرةِ الناس ومُجالستِهم فاحذرْ ثم احذر ، لا يُحفظُ عليك فعلٌ تسقطُ به من عين الله تعالىٰ ، وعينِ من يسمعُكَ بتركِ الأدب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (بابُ الله مفتوحٌ حتىٰ تطلع الشمسُ من مغربها ؛ فأيُّ وقتٍ وقعتَ فيه إلىٰ هفوةٍ ، أو شيءٍ لا يحبُّه الله منك فارجعْ إلى الله تعالىٰ ؛ فإنه أولىٰ بك ، وأملْ أنه يَقبلُكَ بفضله وكرمه) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٢٤) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن المُوَلَّد رضي الله عنه[1]

هو من كبار مشايخ الرَّقَّةَ وفتيانهم ، ومن أحسنِهم سيرةً .

صحب أبا عبد الله بن الجلاء الدِّمشقي ، وإبراهيمَ بن داودَ القصار الرَّقِّي .

كان رضي الله عنه يقول : (من تولاه رعايةُ الحقِّ أجلُّ ممن تؤدِّبُهُ سياسةُ العلم) .

قلت : لأنَّ رعايةَ الحقِّ تعالىٰ تُصيِّرُهُ سالماً من العلل التي تنقصه ، بخلاف رعايةِ العلم ، فلا يخلصُ صاحبُها من ورطةٍ إلا وقعَ في أُخرىٰ ، فمن تولَّتْه رعايةُ الحق حُكمُ من يسلكُ علىٰ يدِ شيخٍ ، ومن تولَّتْه رعايةُ العلم حُكمُ من يسلكُ بنفسه من غير شيخٍ ، والله أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (خُلقتِ الأرواحُ في الأفراح ، فهي تعلو أبداً إلىٰ محلِّ الفرح من المشاهدة ، وخُلقتِ الأجسادُ من الأكماد ، فهي لا تزالُ ترجعُ إلىٰ كمدِها من طلب الشهوات الفانية ، والاهتمام بها) .

وكان يقول : (من قال به أفناه عنه ، ومن قالَ منه أبقاه له) ، ثم أنشدَ : [من البسيط]

لـولا مَـدامـعُ عُشّـاقٍ ولَـوعتُهُـمْ ... لَبانَ في الناسِ عزُّ الماءِ والنارِ
فكلُّ نارٍ فمنْ أنفاسِهمْ قُدِحتْ ... وكُلُّ ماءٍ فمنْ دمعٍ لهُمْ جارِي

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٧) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤١٠) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٦٤) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٦٧) ، و« تاريخ دمشق » (٦/ ٢٧٠) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٢٠٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٤٨٧) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٩٣) (٢٢٠) .

وكان يقول : (من آداب الفقراء في الأكل ألا يمدُّوا أيديَهم إلى الأرفاق إلا في وقتِ الضرورات ، ثم يأكلون بقدرِ سدِّ الرمقِ ، ولو كان هناك طعامٌ كالجبال ، ويتركون الباقي لغيرهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من قامَ إلىٰ أوامرِ الله بنفسه كان بين قبولٍ وردٍّ ، ومن قام إليها بالله كان مقبولاً بلا شكٍّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الفترةُ بعد المجاهدة من فسادِ الابتداء ، والحجب بعد الكشفِ من السُّكون إلى الأحوال) .

وكان يقول : (نفسُك سائرةٌ بك ، وقلبُك طائرٌ بك ، فكنْ مع أسرعِهما وصولاً).

وأنشدوا في ذلك : [من الطويل]

فسَيرُكَ يَا هـٰذَا كسيرِ سفينةٍ   بقومٍ جلوسٍ والقلوعُ تطيرُ

رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٢٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصري رضي الله عنه[١]

صاحبُ سهل بنِ عبد الله التُّستري ، رضي الله عنه ، وراوي كلامه ، لا يَنتمي إلىٰ غيرِهِ من المشايخ .

وكان من أهل الاجتهاد ، وطريقتُهُ طريقةُ أستاذه سهل .

وله بالبصرة أصحابٌ ينتمون إليه ، وإلىٰ ولده أبي الحسن أيضاً .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٨٥) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤١٤) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٧٨) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٧٠) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٣٠٥) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٨١) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٢٧٢) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ٥٧٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٩٤) (٢٢١) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أطاقَ التوكُّلَ فالكسبُ غيرُ مباحٍ له بحال ، إلا علىٰ وجه المعاونة دون الاعتماد عليه ؛ فإنَّ التوكُّلَ حالُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والكسبَ سنَّتُهُ ، ومن ضعفَ عن حالِ التوكل التي هي حالُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فليكتسبْ ؛ لئلا يسقطَ عن درجة سُنَّةِ النبي صلى الله عليه وسلم كما سقط عن درجةِ حاله) .

وقيل له : بم تعرف الأولياء في الخلق ؟ فقال : بلطف لسانهم ، وقبولِ عذرِ من اعتذر إليهم ، وكمالِ الشفقةِ علىٰ جميع الخلق ؛ بَرِّهم وفاجرِهم .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أرادَ أنْ تُستَر عورتَهُ ولا تُهتك . . فليَحلُمْ علىٰ من جنىٰ عليه ، وليتكرَّمْ على الناسِ بما في يديه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من شأنِ كلِّ عاقلٍ الزهدُ في أبناء الدنيا ؛ وذلك لأنَّهم يَشغلونه بذكرِها ، وما هم عليه عمَّا هو متوجِّهٌ إليه من مصالحِ دينه ودنياه) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٢٦) محمد بن عَلْيَان النَّسَوي رضي الله عنه[١]

من كبار مشايخ نَسَا ، ومن أصحاب أبي عثمان الحيري الذي قيل فيه : إنه إمامُ أهل المعارف .

كان رضي الله عنه يخرج من نَسَا قاصداً إلىٰ أبي عثمان في مسائلَ واقعاتٍ ، فلا يأكلُ ولا يشرب في الطريق حتىٰ يدخلَ نيسابور ، فيسألَهُ عن تلك المسائل .

وكان رضي الله عنه من أعلى المشايخ همَّةً ، وله الكراماتُ الظاهرة .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الزهدُ في الدنيا مفتاحُ الرغبة في الآخرة) .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٤١٧) ، و« حلية الأولياء » (١٠/٣٧٦) ، و« الإكمال » (٦/٢٦٨) ، و« مناقب الأبرار » (٢/٧٧٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/٤٢٣) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٢٣) ، و« طبقات المناوي » (٢/١٤٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٢٩٥) (٢٢٢) .

وكان رضي الله عنه يقول : (آياتُ الأولياء وكراماتُهم رضاهم بما يُسخطُ العوامَّ من مَجاري المقدور) .

وكان يقول : (لا يصفو للسخيِّ سخاؤه إلا بتصغيرِ ما أعطاه ، ورؤيةِ الفضل لمن أخذَه منه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من خدمَ الله لطلبِ ثوابٍ ، أو خوفِ عقابٍ . . فقد أظهر خسَّتَهُ ، وأبدىٰ طمعَهُ ، وقبيحٌ بالعبد أن يخدمَ سيِّدَه لغرضٍ دنيوي ، أو أُخروي) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أظهرَ كراماته فهو مدَّعٍ ، ومن ظهرتْ عليه الكراماتُ فهو وليٌّ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٢٧) أبو بكر أحمد بن محمد بن [أبي] سَعْدان رضي الله عنه(١)

بغداديُّ الأصل .

صحب الجُنيد والنُّوريَّ ، رضي الله عنهم .

وهو من أعلم شيوخ وقته بعلوم هـٰذه الطائفة .

وكان عالماً أيضاً بعلومِ الشرع مقدَّماً فيها ، ينتحلُ مذهبَ الإمام الشافعيِّ رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه ذا لسانٍ وبيان .

وطلبوا مَنْ يُرسلونه مرَّةً إلى الروم من أهل طَرَسوس فلم يجدوا مثلَهُ في فضله ، وعلمه ، وفصاحته ، وبيانه ، حتىٰ قالوا في ذلك الزمان : لم يبقَ في هـٰذا الزمان لهـٰذه الطائفة إلا رجلان ؛ أبو علي الرُّوذباري بمصر ، وأبو بكر بن [أبي] سَعْدان بالعراق ، وأبو بكر أفهمُهما .

---

(١) في النسخ (ابن سعدان) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر « تاريخ الصوفية » (ص ٥٦) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٢٠) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٧٧) ، و« تاريخ بغداد » (٤/ ٣٦١) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٧٦) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٣٣٨) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٧٥) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٩٥) (٢٢٣) ، وما بين معقوفين مستدرك من مصادر ترجمته .

كان رضي الله عنه يقول : (من أرادَ صحبةَ الصُّوفية فليصحبْهم بلا نفْسٍ ، ولا قلبٍ ، ولا مِلك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من تعلَّم علمَ الرِّواية ورثَ علم الدِّراية ، ومن تعلَّمَ علمَ الدِّراية ورث علم الرعاية ، ومن عَمِلَ بعلمِ الرعايةَ هُدي إلىٰ سبيل الحقِّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من جلسَ للمُناظرة على الغفلة لزمه ثلاثةُ عيوب : الأولُ الجدال والصياح ، وذلك مَنهيٌّ عنه ، الثاني حبُّ العلوِّ على الخلق ، وذلك منهيٌّ عنه أيضاً ، الثالث الحقدُ والغضب ، وذلك منهيٌّ عنه أيضاً ، ومن جلسَ للمُناصحة كان كلامُه أوَّلُهُ موعظةٌ ، وأوسطُهُ دلالةٌ ، وآخره بركة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا بدتِ الحقائقُ طمستْ آثار الفهوم والعلوم) .

وكان يقول : (خلقتِ الأرواحُ من النور ، وأُسكنتْ [ظلمَ][1] الهياكل ، فإذا قوي الروحُ جانسَ العقل ، وتواترتِ الأنوار ، وزالت ظُلم الهياكل ، وصارتِ الهياكلُ روحانيةً بأنوار الروح والعقل ، وانقادت ولزمت طريقَها ، ورجعتِ الأرواحُ إلىٰ معدنها من الغيب تُطالع مجاري الأقدار ، وترضىٰ بموارد القضاء والقدر) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الصوفي : هو الخارجُ عن النعوت والرسوم) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٢٨) أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن دِرْهم بن الأعرابي الأدمي رضي الله عنه[2]

بصريُّ الأصل ، سكن بمكة ، وكان أوحدَ وقته ، وكان في وقته شيخَ الحرم .

ومات بها سنة إحدىٰ وأربعين وثلاث مئة .

وصنَّفَ للقومِ كتباً كثيرة .

---

(١) ما بين معقوفين ليس في النسخ ، واستدرك من مصادر ترجمته .

(٢) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٦٢) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٢٧) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٧٥) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٧٩) ، و« تاريخ دمشق » (٧/ ٣٠٥) ، و« المختار =

وصحب الجُنيد ، والنُّوري ، وعمراً المكي ، والمسوحي ، وأبا جعفر الحفَّار .

وكان من كبارِ مشايخ هـٰذه الطائفة وعلمائهم .

ومن كلامه رضي الله عنه : (قد ثبتَ الوعدُ والوعيدُ من الله تعالىٰ ، فإذا كان الوعدُ قبل الوعيد فالوعيدُ تهديدٌ ، وإذا كان الوعيد قبل الوعد فالوعيدُ منسوخٌ ، فإذا اجتمعا معاً فالغلبةُ والثبات للوعد ؛ لأنَّ الوعدَ حقُّ العبد ، والوعيدَ حقُّ الله ، والكريمُ يتفضَّلُ بترك حقِّه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (قلَّ من ادَّعىٰ قوةً في أمرٍ إلا خُذلَ ووُكِلَ إلىٰ قوَّته) .

وكان رضي الله عنه يقول : لو قيلَ للعارفِ : تبقىٰ في الدنيا . . لماتَ كَمَداً ، ولو قيل لأهل الجنة : تخرجون منها ، لماتوا كمداً ، فما طابتِ الدُّنيا للعارفين إلا بذكرهم الخروج منها ، وما طابتِ الجنَّةُ لأهلها إلا بذكرِهم الخلود فيها .

وكان رضي الله عنه يقول : (مدارجُ العلوم تكونُ بالوسائط ، وأمَّا مدارجُ الحقائق فلا تكونُ إلا بالمكاشفة) .

وكان يقول : (أحسنُ الأَوقاتِ وقتٌ يكونُ الحقُّ فيه راضياً عنِّي) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أخلاقِ الفقراء السكونُ عند الفقد ، والاضطرابُ عند الوجود ، والأُنسُ بالهموم ، والوحشةُ عند فرحِ الناس بالدنيا) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٢٩) أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزُّجَاجيُّ رضي الله عنه[1]

نيسابوريُّ الأصل .

صحب الجُنيد ، والنُّوري ، وأبا عثمان ، ورويماً ، والخوَّاص .

= من مناقب الأخيار » (١/ ٣٣٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٤٠٧) ، و« طبقات المناوي » ((٢/ ٢٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٩٦) (٢٢٤) .

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٨٢) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٣١) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٧٦) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٨٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٢٩٦) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٢٥) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٢٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٩٧) (٢٢٥) .

ودخلَ مكة ، وأقامَ بها ، وصارَ شيخَها ، والمنظورَ إليه فيها .

وحجَّ رضي الله عنه قريباً من ستين حجَّةً .

ومات في الحرم سنة ثمانٍ وأربعين وثلاث مئة .

وكان يجتمع هو والكتَّاني ، والنَّهرجوري ، والمرتعش ، وغيرَهم ، فيكون صدرَ الحلقة ، وإذا تكلَّمَ في شيءٍ رجعوا كلُّهم إلىٰ كلامه .

وفضائلُه أكثرُ من أن تُحصىٰ ، رحمه الله تعالىٰ .

ومكثَ مقيماً بمكة أربعين سنة فلم يبلْ قطُّ ، ولم يتغوَّطْ في الحرمِ ؛ بل كان يخرجُ كلَّما قضىٰ حاجتَه إلى الحلِّ .

وكان رضي الله عنه يقول : (من تكلَّمَ علىٰ حالٍ لم يصلْ إليه كان كلامُهُ فتنةً لمن يسمعُهُ ، وهوىً يتولَّدُ في قلبه ، وحرَّمَ اللهُ عليه الوصولَ إلىٰ تلك الحال وبلوغه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من جاورَ بالحرم وقلبُه متعلِّقٌ بشيءٍ سوى الله تعالىٰ فقد أظهرَ خسارته ، ومن سرقَ شيئاً بالحرم من الحجَّاج الآفاقية ليتوسَّع به أبعدَه الله[1] ، ووكَلَ قلبَه بالشحِّ ، وأطلقَ لسانَه بالشكوىٰ ، ومسح قلبه من المعارف ، وخرجتْ منه أنوارُ اليقين ، ومقته بين خليقته) .

قلت : ويقاسُ علىٰ ذلك مَنْ جاورَ بيتَ الله المقدَّس[2] ، والحرمَ النبوي ، والمساجدَ المعظَّمةَ ؛ كالجامع الأزهر بمصر ، وجامع الزيتونة بالمغرب ، وجامع قرطبة في الأندلس ، وغيرِها من المساجد ، والله أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (مما جرَّبناه لردِّ الضالة : اللهمَّ ، يا جامعَ الناس ليومٍ لا ريب فيه ؛ اجمع عليَّ ضالَّتي ، ويقرأ قبله سورة « الضحىٰ » ثلاثاً) .

قال : (وقد وقعَ مني فَصٌّ في دجلة ، فدعوتُ به ، فوجدتُ الفَصَّ في وسط أوراقٍ كنتُ أتصفَّحُها) .

---

(١) **الآفاقية** : الغرباء الذين جاؤوا مكة من الآفاق .

(٢) أي : بيت المقدس فك الله أسره .

وسُئل رضي الله عنه عن حديث : « تَفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ منْ عبادةِ سنةٍ »[١] فقال : المراد بذلك التفكُّرِ : هو نسيانُ النفس ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٣٠) جعفر بن محمد بن نصير الخوَّاص ، ويعرف بالخُلدي رضي الله عنه[٢]

بغداديُّ المولد ، والمنشأ .

صحب الجُنيد رضي الله عنه ، وعُرف بصحبته ، وإليه كان يَنتمي ، وصحب النُّوري ، ورُويماً ، وسمنوناً ، والجَريري ، وغيرهم من المشايخ .

وكان المرجعُ إليه في كتبِ القوم ، وحكاياتِهم ، وسيرِهم ، حتىٰ قال يوماً : عندي مئةٌ ونيّفٌ وثلاثون ديواناً من دواوين الصوفية ، فقيل له : هل عندك من كُتب [محمد بن علي] الترمذي شيءٌ[٣] ؟ فقال : ما عددتُهُ من الصوفية[٤] .

قلت : الحقُّ : أنَّه كان من أكابر الصوفية ، وأنه كان من الأوتاد ، ولو لم يكنْ له

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء (٤/ ٤٢٣) ، وقال الحافظ العراقي (ص ١٧٩٨) : رواه ابن حيان في كتابه « العظمة » من حديث أبي هريرة ، بلفظ : « ستين سنة » بإسناد ضعيف ، ومن طريقه ابن الجوزي في « الموضوعات » (٣/ ١٤٤) ، ورواه أبو منصور الديلمي في « مسند الفردوس » [٢٣٩٧] من حديث أنسٍ بلفظ : « ثمانين سنة » ، وإسناده ضعيف جدّاً ، ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ : « خير من قيام ليلة » انتهىٰ ، قال العجلوني في « كشف الخفاء » (١/ ٣١٠) : (ذكره الفاكهاني بلفظ : « فكر ساعة » ، وقال : إنه من كلام سري السقطي) .

(٢) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٤٣٤) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٨١) ، و« تاريخ بغداد » (٧/ ٢٢٦) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٨٧) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢/ ٤٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٥٥٨) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٦٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٩٨) (٢٢٦) .

(٣) في النسخ : (علي بن محمد) ، والتصحيح من مصادر ترجمته .

(٤) وفي « طبقات الصوفية » (ص ٤٣٤) قال : (لا ، ما عددته . . .) .

من المناقب إلا ما وضعه من الأسئلة التي لا يَعرف الجوابَ عنها أحدٌ غير (ختم الأولياء) . . لكان في ذلك كفايةٌ لبيان مقامه ؛ فإنه لا يعرف الجواب عنها أحدٌ غير « الختم » كما صرَّح بذلك الشيخ مُحيي الدين بنُ العربي ، وقد عدَّه الأستاذُ القُشيري ممن عليه مدارُ الطريق[1] .

وأما سببُ جمعِ العارف دواوين القوم : فهو الاطلاعُ علىٰ طُرقهم في معاملاتهم مع الله تعالىٰ ؛ ليُرشِدَ المُريدين والإخوان إليها ؛ إذِ الأولياءُ أبوابُ الله ، فمن لم يكنْ عنده استعدادٌ يدخل به من طريق ذلك الولي أُدخلَ من طريقٍ غيره ، وفي ذلك تأييدٌ عظيم للداعي إلى الله بكون غيره سبقَه إلىٰ ما دعا إليه ومنه ، فافهم ، والله أعلم .

وكان رضي الله عنه من أفتى المشايخ ، وأحسنِهم ، وأكملِهم حالاً .

حجَّ رضي الله عنه قريباً من ستين حجة .

ومات ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة ، وقبره بالشُّونيزية عند قبر السَّريِّ السَّقطي ، والجُنيد .

وكان رضي الله عنه يقول : (أهلُ الحقائق قطعوا العلائق التي تَقطعهم عن الحقِّ قبل أن تقطعَهم العلائق) .

وكان يقول : (لا يقدحُ في الإخلاص كونُهُ يعملُ ليصلَ) .

وكان يقول : (المُتناهي في حاله يُؤثِّرُ في كلِّ شيء ، ويدخلُ في كلِّ شيء ، ولا يُؤثِّرُ فيه شيء ، ولا يأخذُ منه شيئاً ، ودليلُ ذلك : أنه صلى الله عليه وسلم في أوائل حاله كان إذا نزل عليه الوحي يقول : « دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي » حتىٰ تمكَّن صلى الله عليه وسلم)[2] .

وكان رضي الله عنه يقول : (سعيُ الأحرار في الدنيا يكونُ لإخوانِهم لا لأنفسهم) .

---

(١) الرسالة القشيرية (ص ١٧٤) .

(٢) روى الحديث البخاري (٤٩٢٢) ، ومسلم (١٦١/٢٥٧) عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالىٰ .

قلت : ولمّا حججتُ سنة سبعٍ وأربعين وتسع مئة جعلتُ دعائي حولَ البيت ، وفي البيت ، وفي مواضع الاستجابة كلَّه لإخواني ؛ لأنَّ من الفتوة : أن يؤخِّرَ الإنسانُ حظَّ نفسه ويقدِّمَ حظَّ إخوانه ؛ ليكون الحقُّ تعالىٰ في حاجته بالقضاء والتيسير ؛ فالحمدُ لله ربِّ العالمين .

وكان رضي الله عنه يقول : سمعتُ الجُنيد رضي الله عنه يقول : (من أخلصَ في المعاملة ، أراحَهُ الله تعالىٰ من الدَّعاوى الكاذبة) .

وكان يقول : (جاعَ بعضُهم في الحرم ، فسأل ربَّه في حِجْرِ إسماعيل ، فوقع في حِجره مسمارُ فضَّةٍ من مسامير الميزاب ، فقضىٰ به حاجتَهُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : لا أعرفُ شيئاً أفضلَ من العلم بالله وبأحكامه ؛ فإنَّ الأعمالَ لا تزكو إلا بالعلم ، ومَنْ لا علمَ عنده فليس له عمل ، وإنَّما يُكره من العلم تضييعُهُ ، ونبذُهُ خلفَ الظهر ، فقيل له : فهل طلبُ العلم عملٌ ؟ فقال : هو من أكبرِ الأعمال ، وبالعلمِ عُرف اللهُ وأُطيع ، وبالعلم استحيا من الله المستحيون ، وهو قبلَ الأعمال ، قال الله تعالىٰ : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ٥] ، وقال الله تعالىٰ : ﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن : ٤] ، ولا يَكرَهُ العلمَ إلا منقوصٌ .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا رأيتَ الفقيرَ يأكلُ فاعلمْ أنَّه لا يخلو من إحدىٰ ثلاث : إما لوقتٍ قد مضىٰ عليه ، أو لوقتٍ يُريد أن يستقبلَه ، أو للوقتِ الذي هو فيه) .

قلت : ومعنىٰ ذلك : أن من شأن الفقير ألا يكونَ مقصودُه بالأكل محضَ قضاءِ الشهوة والتبسط ، إنما أكلُهُ ضرورةٌ ، والله أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (عليكم بصحبةِ الفقراء ؛ فإنهم كنوزُ الدنيا ، ومفاتيحُ الآخرة) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٣١) أبو العباس [القاسمُ] بن القاسم بن مهدي بن بنت أحمد بن سيَّار رحمه الله(١)

كان من أهل مرو ، وهو شيخُهم ، وأوَّلُ من تكلَّم عندهم من أهل بلدهم في حقائق الأحوال .

وكان فقيهاً عالماً ، كتبَ الحديثَ ورواه .

وصحب أبا بكر الواسطي ، وإليه كان يَنتمي في علوم هٰذه الطائفة .

وكان من أحسنِ المشايخ لساناً في وقته ، يتكلَّمُ في علومِ التوحيد ، وجميعُ من بكُوْرَتِهِ من أهل السنة والجماعة [أصحابُهُ](٢) .

مات رضي الله عنه سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة .

وكان رضي الله عنه يقول : (كيف السبيلُ إلىٰ ترك ذنبٍ كان عليك في اللوحِ المحفوظ مخطوطاً ؟! وكيف السبيلُ إلىٰ صرفِ قضاءٍ كان به العبد مربوطاً ؟!) .

وقيل له يوماً : بماذا يروِّضُ المريدُ نفسَهُ ؟ فقال رضي الله عنه : بالصبرِ على الأوامر ، واجتنابِ النواهي ، وصحبةِ الصالحين ، وخدمةِ الرفقاء ، ومجالسةِ الفقراء ، والمرءُ حيث وضعَ نفسَهُ .

وكان رضي الله عنه يقول : (حقيقةُ المعرفة الخروجُ عن المعارف) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما التذَّ عاقلٌ قطُّ بمشاهدةٍ ؛ لأنَّ مشاهدةَ الحقِّ فناءٌ ليس فيه لذةٌ ولا التذاذ ، ولا حظٌّ ولا احتظاظ) .

---

(١) في النسخ : (أبو العباس بن القاسم بن مهدي) ، والمثبت من مصادر ترجمته . انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٧٥) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٤٠) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٨٠) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٧٩٨) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٢١٤) ، و« تذكرة الأولياء » (ص٧٢٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٥٠٠) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٥١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٢٩٩) (٢٢٧) .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من « طبقات الصوفية » (ص ٤٤٣) ، وقوله : (بكورته) من (د ، ح ، ط) ، وفي باقي النسخ : (يلوذ به) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما نطق أحدٌ عن الحقِّ إلا وهو محجوبٌ عن الحقِّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الخطرةُ للأنبياء ، والوسوسةُ للأولياء ، والفكرةُ للعوام) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ظُلَمُ الأطماع تمنعُ أنوارَ المشاهدة) .

وكان يقول : (لباسُ الهداية للعامة ، ولباسُ الهيبة للعارفين ، ولباسُ الزينة لأهل الدنيا ، ولباسُ اللقاءِ للأولياء ، ولباسُ التقوىٰ لأهلِ الحضرة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ ﴾ [الأعراف : ٢٦]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من دقَّقَ النظرَ في دينه وُسِّعَ عليه الصراطُ في وقته ، ومن وسَّعَ النظرَ في دينه ضُيِّقَ عليه الصراطُ في وقته ، ومن غابَ عن حقوقِهِ بحقوقه غابَ عن كلِّ شدَّةٍ وعقوبة) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٣٢) أبو بكر [محمد] بن داود الدينوري الدُّقي رضي الله عنه[1]

أقام بالشام ، وكان من أقران أبي عليٍّ الرُّوذباري إلا أنه عُمِّرَ زيادةً علىٰ مئة سنة .

صحب أبا عبد الله ابن الجلاَّ ، وأبا بكر الزَّقَّاق الكبير ، وأبا بكر المصري ، غير أنه كان ينتمي إلى ابن الجلاء أكثر .

وكان من أجلِّ مشايخ وقته ، وأحسنِهم حالاً ، وأقدمِهم صُحبةً للمشايخ .

مات رضي الله عنه بعد الخمسين والثلاث مئة .

وسئل رضي الله عنه عن الفرق بين الفقر والتصوف ، فقال : الفقرُ حالٌ من أحوال

---

(١) في النسخ : (أبو بكر بن داود) ، والمثبت من مصادر ترجمته . انظر « تاريخ الصوفية » (ص٣٠٢) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٤٨) ، و« تاريخ بغداد » (٣/ ١٧٢) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٠٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٣٦٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ١٣٨) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٧٩) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٢٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٠٠) (٢٢٨) .

التصوف ، فقيل له : ما علامةُ المتصوِّف ؟ فقال : أن يكونَ مشغولاً بما هو أَوْلىٰ في كلِّ وقتٍ .

وكان يقول : (إذا انحطَّ الفقراءُ عن حقيقة العلم إلىٰ ظاهرِ العلم أَساؤوا الأدبَ مع الله تعالىٰ في أحوالهم ، بخلافِ غيرهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أهلُ المعرفة أحياءٌ لحياة معروفهم ، فلا حياةَ حقيقةً إلا لأهل المعرفة لا غير) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٣٣) أبو محمد عبدُ الله بنُ محمد بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن الرَّازي ، عُرف بالشَّعراني رضي الله عنه[(١)]

رازيُّ الأصل ، ومولده ومنشؤه بنيسابور .

صحب الجُنيد ، وأبا عُثمان الحِيري ، ورويماً ، ومحمدَ بنَ الفضل ، وسمنوناً ، والجوزجاني ، ومحمد بن حامد ، وغيرهم من مشايخ القوم .

وهو من جِلَّةِ أصحاب أبي عثمان .

وكان أبو عثمان رضي الله عنه يُكرمُه كثيراً ، ويُبجِّله ، ويَعرف له محلَّه .

وكان من كبار مشايخ نيسابور في وقته .

له من الرياضاتِ ما يُعجزُ الأسماع ، وكان عالماً بعلوم هـٰذه الطائفة ، وكتب الحديثَ الكثيرَ ، وكان ثقة تقيّاً .

مات رضي الله عنه سنة ثلاثٍ وخمسين وثلاث مئة .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢١٠) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٥١) ، و« حلية الأولياء » (١٠/٣٤٥) ، و« مناقب الأبرار » (٢/٨٠٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/٤٩٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/٦٥) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٣٣) ، و« طبقات المناوي » (٢/١٠٨ ، ٤/٣٨٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٣٠١) (٢٢٩) .

وقيل له مرَّةً : ما بالُ الناس يَعرفون عيوبَهم ، ويُحبُّون ما هم فيه ، ولا ينتقلونَ عن ذلك ، ولا يَرجعون إلىٰ طريقِ الصواب ؟! فقال رضي الله عنه : لأنَّهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ، ولم يشتغلوا باستعماله ، واشتغلوا بأبحاثِ الظواهر ، وتركوا أبحاثَ البواطن[1] ، فأعمى الله تعالىٰ قلوبَهم عن النظرِ إلى الصواب ، وقيَّدَ جوارحَهم عن العبادة .

وكان رضي الله عنه يقول : (العارفُ لا يعبدُ إلا الله تعالىٰ على الموافقةِ للخلق ، وإلا فهو مع اللهِ بما يُريد) .

وكان رضي الله عنه يقول : (المعرفةُ تهتكُ الحُجُبَ بين العبيد وبين مولاهم) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٣٤) أبو عمرو إسماعيل بن نُجيد بن أحمد بن يوسف بن سالم بن خالد السُّلميُّ ، رحمه الله تعالىٰ[2]

وهو جدُّ الشيخ أبي عبد الرحمـٰن السلمي شيخِ القُشيري .

صحب أبا عثمان رضي الله عنه ، وكان من أكبرِ أصحابه ، ولقي الجُنيد .

وكان من أكبرِ مشايخ وقته .

وله طريقة ينفردُ بها من تلبيس الحال ، وصونِ الوقت .

وهو آخر من ماتَ من أصحاب أبي عثمان في سنة ستٍّ وستين وثلاث مئة .

وسمع الحديثَ ورواه ، وكان ثقةً .

---

(١) في « طبقات الصوفية » : (بآداب الظواهر ، وتركوا آداب البواطن) .

(٢) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٨٦) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٥٤) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨١٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٤١٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ١٤٦) ، و« طبقات السبكي » (٣/ ٢٢٢) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٣٢) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٥٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٠٢) (٢٣٠) .

ومن كلامه رضي الله عنه : (كلُّ حالٍ لا يكونُ نتيجةَ علمٍ فإنَّ ضررَهُ علىٰ صاحبه أكثرُ من نفعه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من كرمتْ عليه نفسُهُ هانَ عليه دينُهُ) .

وكان يقول : (من لم تُهذِّبْكَ رؤيتُهُ فاعلمْ أنَّه غيرُ مهذَّب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يصفو لأحدٍ قدمٌ في العبودية حتىٰ تكونَ أفعالُهُ كلُّها عنده رياءً ، وأحوالُه كلُّها عنده دعاوىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا أراد اللهُ بعبدِهِ خيراً رزقَهُ خدمةَ الصَّالحين والأخيار ، ووفَّقَه لقبولِ ما يُشيرون به عليه ، وسهَّل عليه سبيلَ الخيرات ، وحجبه عن رؤيتها) .

وقيل له : من أين تتولَّدُ الدعاوىٰ ؟ فقال : من الاغترارِ ، وتشويشِ الأسرار .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّما تتولَّدُ الدَّعاوىٰ من فسادِ الابتداء ، فمن صحَّتْ بدايتُهُ صحَّت نهايتُهُ ، ومن فسدتْ بدايتُهُ فربَّما هلَكَ في حالٍ من أحواله) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الملامتي لا يكونُ له دعوىٰ قطُّ ؛ لأنَّه لا يرىٰ لنفسه شيئاً يدَّعي به) .

وكان يقول : (احترمْ عامَّةَ المسلمين ، ولا تتصدَّرْ في أمرٍ ما أمكنك ، وكنْ خاملاً في الناس ، فبقدر ما تتعرَّفُ إليهم ، وتشتغلُ بهم تُضيِّعُ حظَّكَ من أوامرِ ربِّك) .

وكان يقول : (من أظهرَ محاسنه لمن لا يَملك ضرَّهُ ولا نفعَهُ فقد أظهرَ جهلَه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من استقامَ حدَّ الاستقامة لا يَعْوَجُّ به أحدٌ ، ومن اعوجَّ لا يَستقيمُ به أحدٌ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٣٥) أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل البُوشَنْجي رضي الله عنه[1]

كان من أوحدِ فتيان خراسان .

لقي أبا عثمان ، وصحبَ بالعراق ابنَ عطاء ، والجَريري ، وبالشام طاهراً المقدسي ، وأبا عَمرو الدمشقي ، وتكلَّمَ رضي الله عنه مع الشِّبلي رضي الله عنه في مسائل .

وهو من أعلمِ مشايخِ وقته بعلوم التوحيد ، وعلوم المعاملات ، ومن أحسنِهم طريقةً في الفتوة والتجريد ، وكان مُعظِّماً للفقراء ، حسنَ الخلق .

مات رضي الله عنه سنة ثمانٍ وأربعين وثلاث مئة ، رضي الله عنه .

وسُئل عن التصوف ، فقال : هو اليومَ اسمٌ لا حقيقة ، وقد كان حقيقةً ولا اسم .

وكان رضي الله عنه يقول : (من كان باطنُهُ أفضلَ من ظاهره فهو الوليُّ ، ومن كان باطنُهُ وظاهرُهُ سواءً فهو العالِم ، ومن كان ظاهرُهُ أفضلَ من باطنه فهو الجاهل ؛ ولذلك لا ينصفُ من نفسه ، ويطلبُ الإنصافَ من غيره) .

وقيل له : من الظَّريفُ ؟ فقال : الخفيفُ في ذاتِهِ ، وأخلاقِهِ ، وأفعالِهِ ، وشمائلِهِ ، من غيرِ تكلُّفٍ .

وكان يقول : (الخير منَّا زَلَّةٌ ، والشرُّ لنا صفةٌ) ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٣١) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٥٨) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٧٩) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨١٦) ، و« تاريخ دمشق » (٤١/ ٢١٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٢٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٤٤) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٢٩) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٣١ ، ٤/ ٤٥٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٠٣) (٢٣١) .

ومنهم :

(٢٣٦) أبو عبد الله محمد بن خفيف الضَّبيُّ رضي الله عنه[١]

أقام بشيراز ، وهو شيخُ المشايخ ، وأوحدُهم في وقته .

كان عالماً بعلوم الظاهر والحقائق ، حسنَ الأحوال في المقامات والأحوال ، وجميعِ الأخلاق والأعمال .

مات رضي الله عنه سنة إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة .

وكان رضي الله عنه يقول : (**التصوف** : تصفيةُ القلوب ، ومفارقةُ أخلاق الطبيعة ، وإخمادُ صفات البشرية ، ومجانبةُ الدَّعاوى النفسانية ، ومنازلةُ صفات الروحانية ، والتعلُّقُ بعلوم الحقيقة ، والنُّصحُ لجميع الأمة ، واتِّباعُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الشريعة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ليسَ شيءٌ أضرَّ بالمريدِ من مسامحة النفسِ في ركوبِ الرُّخص ، وقبولِ التأويلات) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**الذكرُ علىٰ قسمين** : ظاهر ، وباطن ؛ فالظاهرُ : التهليل ، والتحميدُ ، والتمجيد ، وقراءةُ القرآن ، والباطنُ : تنبيهُ القلوب علىٰ شرائطِ التيقُّظِ علىٰ معرفةِ الله تعالىٰ ، وصفاتِهِ ، وأسمائِهِ ، وأفعالِهِ ، ونشرُ إحسانه ، وإمضاءُ تدبيره ، ونفاذ تقديره علىٰ جميعِ خلقه) .

وكان يقول : (ذكرُ الله منفردٌ ، وهو ذكرُ المذكورِ بانفرادِ أحديَّتِهِ عن كلِّ مذكور سواه ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « أفضلُ الذكرِ لا إلـٰهَ إلا اللهُ »)[٢] .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٩٦) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٦٢) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٨٥) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨١٩) ، و« تاريخ دمشق » (٦٢/ ١٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٣٦٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٣٤٢) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ١٤٩) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٤٥) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٤٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٠٤) (٢٣٢) .

(٢) روى الحديث الترمذي (٣٣٨٣) ، وابن ماجه (٣٨٠٠) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

وكان رضي الله عنه يقول : (رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول : مَنْ عرفَ طريقاً إلى الله فسلكَهُ ، ثم رجعَ عنه .. عذَّبَهُ الله عذاباً لم يعذِّبْ به أحداً من العالمين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (عليك بمن يعظُكَ بلسان فعله ، ولا يعظُكَ بلسانِ قوله) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٣٧) أبو الحسين بُندار بنُ الحسين الشِّيرازي رضي الله عنه[1]

سكن أَرَّجان[2] .

وكان عالماً بالأصول ، وله اللِّسانُ المشهور في علم الحقائق .

وكان الشِّبليُّ رضي الله عنه يعظِّمُه ، ويُعظِّم قدرَهُ .

وكان بينه وبين ابنِ خفيف مفاوضاتٌ في مسائلَ شتَّىٰ .

مات رضي الله عنه سنة ثلاثٍ وخمسين وثلاث مئة ، وغسَّلَه أبو زُرعة الطَّبري .

وسُئل رضي الله عنه عن الفرقِ بين الصوفية والمتصوِّفة ، فقال : (الصوفيُّ من اختاره اللهُ لنفسه ، فصافاه من غيرِ تكلُّفٍ ، والمتصوِّفُ هو المتكلِّفُ بنفسه ، المُظهرُ لزهدِهِ مع كمون رغبته في الدُّنيا ، وتربية بشريَّته) .

وكان يقول : (لا تخاصمْ لنفسك ؛ فإنَّها ليستْ لك ، دعْها لمالكها يفعلُ بها ما يُريد) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ١٠٦) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٦٧) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٨٤) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٣٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٤٩١) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ١٠٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٢٢٤) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٦٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٠٤) (٢٣٣) .

(٢) في النسخ جميعها : (أذربيجان) ، والمثبت من مصادر الترجمة ، **وأَرَّجان** : مدينة كبيرة ، كثيرة الخير ، تقع إلى الشمال الشرقي من الخليج العربي ، بينها وبين البحر مرحلة ، وبينها وبين شيراز ستون فرسخاً . « معجم البلدان » (١/ ١٤٣) .

وكان يقول : (ليس من الأدب أن تسألَ رفيقَك : إلىٰ أين ؟ أو : في أَيش ؟) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لم يجعلْ قبلته ـ على الحقيقة ـ ربَّه ، فسدتْ صلاتُهُ) .

وكان يقول : رُئي مجنونُ بني عامر في المنام بعد موته ، فقيل له : ما فعلَ الله بك ؟ فقال : غفرَ لي ، وجعلني حجَّةً على المحبِّين .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أقبلَ على الآخرة ، وركنَ إليها أحرقتْهُ بنورها ، وصار سبيكةَ ذهبٍ يُنتفعُ به ، ومن أقبل على الله أحرقَهُ بنورِ التوحيد ، وصارَ جوهراً لا قيمةَ له) .

وقيل له مرَّةً : ما هي الدُّنيا ؟ فقال رضي الله عنه : ما دنا من القلب ، وشغل عن الحقِّ ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٣٨) أبو بكر الطَّمَسْتاني رضي الله عنه[١]

كان من أجلِّ المشايخ وأعلاهم حالاً ، مُنفرداً بحالِهِ ووقته ، لا يشاركُهُ أحدٌ فيه من أبناء جنسه ، ولا يُدانيه .

وكان الشِّبليُّ رضي الله عنه يُجلِّه ، ويُكرمه .

صحبَ إبراهيمَ الدَّبَّاغ[٢] ، وغيرَهُ من مشايخ الفرس ، وكانوا جميعاً يَحترمونه .

وردَ نيسابور ، **ومات بها سنة أربعين وثلاث مئة** .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٣٦٢) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٧١) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٨٢) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٣٥) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٤٩٨) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٨١) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٤٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٠٥) (٢٣٤) ، **وطَمَستان** : بلفظ التثنية ، بفتح أوله وثانيه : مدينة بفارس . « معجم البلدان » (٤/ ٤١) .

(٢) في (أ) : (إبراهيم) ، وفي باقي النسخ : (إبراهيم الفارسي) ، والمثبت من مصادر الترجمة .

وكان رضي الله عنه يقول لأصحابه : (جالسوا اللهَ كثيراً ، وجالسوا الناسَ قليلاً) يُريد بذلك العزلةَ .

وكان رضي الله عنه يقول : (خيرُ الناس من رأى الحقَّ في غيره ، وعلمَ أنَّ السبيلَ إلى الله غيرُ السبيل الذي هو عليه ، ولو ارتفعَ في المرتبة ؛ وذلك ليرىٰ تقصيرَ نفسِهِ عمَّا كُلِّفَ به) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من اتَّبع منا الكتابَ والسُّنَّةَ ، وهاجرَ إلى الله بقلبه ، واتَّبعَ آثارَ الصحابة . . لم تسبقْهُ الصحابةُ إلا بكونهم رأوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (اليقظةُ في أهل اليقظة لعمارة الآخرة ، كما أنَّ الغفلةَ في أهل الغفلة لعمارةِ الدنيا) .

قلت : هٰذا إذا لم يقصدِ المحترفُ بحرفته نفعَ العباد ، واقتصرَ علىٰ جمعِ الدنيا فقط ، فإذا نَوىٰ بحرفتِهِ نفعَ العباد فقد عمرَ الدُّنيا والآخرة ، والله أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلُّ من استعملَ الصدقَ بينه وبين الله تعالىٰ شغلَهُ صدقُهُ مع الله عن الفراغ إلىٰ خلق الله) .

قلت : وكان شيخُنا الشيخُ محمد بنُ عنان رضي الله عنه من أهلِ هٰذا المقام ، فكان لا يقدرُ أن يردَّ علىٰ أحدٍ كلاماً أبداً ، رضي الله عنه .

وكان يقول : (ماذا أصنعُ والكونُ كلُّه عدوٌّ لي) .

وكان يقول : (الوصلُ بلا فصل ، فإذا جاءَ الفصلُ فلا وصل) .

وكان يقول : (النفسُ كالنار ؛ إذا طُفِئتْ في موضعٍ تأجَّجَتْ في موضعٍ ، كذلك النفس إذا هدأتْ من جانبٍ ثارتْ من جانب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إن لم تقدروا علىٰ أن تَصحبوا اللهَ بالأدب فاصحبوا مَنْ يصحبُهُ ؛ لتوصلَكُم بركاتُ صحبته إلىٰ صحبةِ الله) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٣٩) أبو العباس أحمد بن محمد الدِّينوري رضي الله عنه[١]

صحب يوسف بنَ الحسين ، وعبدَ الله الخرَّاز ، وأبا محمد الجَريري ، وأبا العباس بن عطاء ، ولقي رُويماً .

وورد نيسابور وأقام بها مدةً ، وكان يعظُ الناسَ ، ويتكلَّمُ علىٰ لسان المعرفة بأحسنِ كلام ، ثم رحلَ من نيسابور إلىٰ سَمَرْقَند ، **ومات بها بعد الأربعين والثلاث مئة** .

وكان رضي الله عنه يقول : (العلماءُ مُتفاوتون في ترتيب مشاهدات الأشياء ؛ فقومٌ رجعوا من الأشياء إلى الله ، فشاهدوا الأشياءَ حيثُ الأشياء ، ثم رجعوا عنها إلى الله ، وقومٌ رجعوا من الله إلى الأشياءِ من غير غيبتهم عنه ، فلم يَروا شيئاً إلا ورأوا الحقَّ قبله ، وقومٌ بقوا مع الأشياء ؛ لأنَّهم لم يكنْ لهم طريقٌ منهم إلى الله) .

وكان يقول عن أهل زمانه : (نقضوا أركانَ التصوف ، وهدموا سبيلَها ، وغيَّروا معانيَها بأسام أَحدثوها ؛ سمَّوا الطمعَ زيادةً ، وسوءَ الأدب إخلاصاً ، والخروجَ عن الحقِّ شَطحاً ، والتلذُّذَ بالمذموم طيبةً ، واتِّباعَ الهوى ابتلاءً ، والرُّجوعَ إلى الدنيا وصولاً ، وسوءَ الخُلق صَوْلةً ، والبخلَ جلادةً ، والسؤالَ عملاً ، وبذاءةَ اللسان ملامةً[٢] ، وما هـٰكذا كان طريق القوم ، إنما درجوا على الحياءِ والأدب والزهد في الحظوظ) ، رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٤٧٥) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٨٣) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٤٠) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٣٧٥) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢١٦) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٠٦) (٢٣٥) .

(٢) من سلوك الملامتية .

ومنهم :

(٢٤٠) أبو عثمان سعيد بن سلاَّم المغربي رضي الله عنه[١]

من القَيْروان ، من قرية يقال لها : كَرْكِنْت .

أقامَ بالحرم الشريف مدَّةً ، وكان شيخَهُ .

وصحب أبا علي ابن الكاتب ، وحبيباً المغربي ، وأبا عمرو الزُّجَاجي ، ولقي النَّهْرَجُوري ، وأبا الحسن بنَ الصائغ الدِّينوري ، وغيرَهم من المشايخ .

ولم يُرَ مثلُه في علوِّ الحال، وصونِ الوقت ، وصحةِ الحُكم بالفِراسة ، وقوةِ الهيبة.

ورد نيسابور ، **وماتَ بها سنة ثلاثٍ وسبعين وثلاث مئة** .

وأوصىٰ أن يُصلِّيَ عليه الإمامُ أبو بكر بنُ فُورَكَ .

وكان يقول : (من حفظَ جوارحَهُ تحت الأوامر فهو في اعتكافٍ على الدوام) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أبى المَلِكُ الجبَّارُ إلا أن يختبرَ أولياءه ؛ بتسليطِ عدوِّهم عليهم ؛ ليرىٰ كيف صبرُهم عليه ، فإن صبروا علىٰ بلوىٰ عدوِّهم جلَّلهم بعلمه ، وحباهم بوصله ، وأسكنَهم في جواره ، ونعَّمهم بمشاهدته ، ولذَّذهم بذكره ، وأوصلهم بمعرفته ، وجعلهم أئمةً يُقتدىٰ بهم ، ونجاةً لعباده ، ورحمةً في أرضه) .

قلت : ومعنىٰ (صبرهم علىٰ عدوهم) : أن يصبروا علىٰ مجاهدتِهِ في تركِ ما يأمرهم به ، ولا يتقلَّقوا من كثرة وساوسه ، فيطيعوه ، والله أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (إن الله جعل أُنسَ عباده في رؤية أوليائه) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ١٧٨) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٧٩) ، و« تاريخ بغداد » (٩/ ١١٢) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٤٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٢/ ٥٢٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٣٢٠) ، و« نفحات الأنس » (ص١٣٢) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٩٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٠٧) (٢٣٦) .

وكان يقول في معنىٰ حديث : « أكثرُ أهلِ الجنَّةِ البُلْهُ »[١] : (معناه : الأبلهُ في دنياه الفقيه في دينه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من آثرَ صحبةَ الأغنياءَ علىٰ مُجالسة الفقراء ابتلاه اللهُ تعالىٰ بموتِ القلب) .

وكان يقول : (العاصي خيرٌ من المدَّعي ؛ لأنَّ العاصي يطلبُ طريقَ التوبة ، والمُدَّعي يتخبَّطُ في خبال دعواه) .

وكان يقول : (أفواه العارفين فاغرةٌ لمناجاةِ القدرة) .

وكان يقول : (الوليُّ قد يكون مستوراً ، ولـٰكنْ لا يكون مَفتوناً) .

وكان يقول : (من لم يسمعْ من نهيق الحمار مثلَ ما يسمعُ من صوتِ العود ، ودواخل المغنين . . فهو كذَّاب) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٤١) أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن مَحْمَويه النَّصراباذي رضي الله عنه[٢]

شيخُ خراسان في وقته ، نيسابوريُّ الأصل والمولد والمنشأ .

يُرجعُ إليه في أنواع من العلومِ ؛ من حفظِ السُّنن وجمعها ، وعلم التواريخ ، وعلم الحقائق ، وكان أوحدَ المشايخ في وقته علماً وحالاً .

صحب أبا بكر الشِّبلي ، وأبا علي الرُّوذْباري ، وأبا محمد المُرتعش ، وغيرَهم من المشايخ .

---

(١) رواه البزار في « مسنده » (٦٣٣٩) ، والطحاوي في « مشكل الآثار » (٢٩٨٢) والشهاب القضاعي في « مسنده » (٩٨٩) ، والبيهقي في « الشعب » (١٣٦٧) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، قال ابن الأثير في « النهاية » (ب ل هـ) : (**الأبله** : هو الغافل عن الشر ، المطبوع على الخير) .

(٢) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٠) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٨٤) ، و« تاريخ بغداد » (٦/ ١٦٩) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٥١) ، و« تاريخ دمشق » (٧/ ١٠٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٢٧٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٢٦٣) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٠٩) (٢٣٧) .

أقام بنيسابور ، ثم خرجَ في آخر عمرِهِ إلىٰ مكَّةَ ، وحجَّ سنة ستٍّ وستين وثلاث مئة[١] .

وأقام بالحرم مُجاوراً ، وماتَ سنة سبعٍ وستين وثلاث مئة .

وكتب الحديثَ ورواه ، وكان ثقةً .

وكان رضي الله عنه يقول : (من الأدب إذا اشتَهر الإنسانُ بالزهد ، ورَمْيِ الدنيا . . أن يتظاهرَ بإمساكِها بين الناس ؛ ليقطعَ نسبةَ الزُّهد إليه ؛ والمدارُ على القلب ، فإنَّ الله لا ينظرُ إلىٰ صوركم ، ولـٰكن يَنظرُ إلىٰ قلوبِكم)[٢] .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا بدا لك شيءٌ من بوادي الحقِّ فلا تلتفتْ معه إلىٰ جنةٍ ولا إلىٰ نار ، ولا تُخطرْهما ببالك ، ثم إذا رجعتَ عن ذلك الحالِ فعظِّمْ ما عظَّمَ الله) .

وقيل له : إنَّ بعضَ الناس يُجالسُ النسوان ، ويقول : أنا معصومٌ في رُؤيتهنَّ ، فقال رضي الله عنه : ما دامتِ الأشباحُ باقيةً فالأمرُ والنهي مُخاطبٌ بهما العبد ، لا سيَّما العزَّاب .

وكان يقول : (من عملَ علىٰ رؤيةِ الجزاءِ كانت أعمالُه بالعدد والإحصاء ، ومن عملَ على المشاهدة أذهلته المشاهدةُ عن التعداد والعدد) .

وفي رواية : من عمل بالعددِ كان ثوابُهُ بالعددِ ، قال تعالىٰ : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠] ، ومن عمل على المشاهدةِ كان أجرُهُ لا عدد له ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

وكان رضي الله عنه يقول : (دماءُ المحبِّين تجيش وتغلي ، وهم واقفون مع الحقِّ علىٰ مقامٍ ؛ إن تقدَّموا غرقوا ، وإن تأخَّروا حُجبوا) .

---

(١) في (هـ) وحدها : (سبع وستين) والمثبت من باقي النسخ ، وفي « طبقات الصوفية » (ص ٤٨٤) : (وحج سنة ست وثلاثين وثلاث مئة) .

(٢) قوله : « إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم ، ولـٰكن ينظر إلىٰ قلوبكم » جزء من حديث رواه مسلم (ص ٢٥٦٤/ ٣٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وكان يقول : (الجذبُ أسرعُ من السلوك ؛ فإنَّ كلَّ جذبةٍ من الحقِّ تُغني العبد عن أعمال الثقلَيْنِ) .

وكان يقول : (**أصلُ التصوُّفِ** : هو ملازمةُ الكتابِ والسُّنَّةِ ، وتركُ الأهواء والبدع ، وتعظيمُ حرمات المشايخ ، وإقامةُ المعاذير للخلق ، والمداومةُ على الأوراد ، وتركُ ارتكاب الرُّخصِ والتأويلات ، وما ضلَّ أحدٌ عن هٰذا الطريق إلا انحطَّ عن مقامِ الرجال) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الزاهدُ غريبٌ في الدنيا ، والعارفُ غريب في الآخرة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنما سمَّى اللهُ تعالىٰ أصحابَ الكهف (فِتيةً) ؛ لأنَّهم آمنوا بلا واسطة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ليس للأولياء سؤالٌ ، إنما هو الذبولُ والخمول) .

وكان يقول : (نهاياتُ الأولياء بداياتُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الجمعُ عينُ التوحيد ، والتفرقةُ حقيقةُ التجريد ؛ وهو أن يكون العبدُ فانياً لله تعالىٰ ، يرى الأشياءَ كلَّها به ، وله ، وإليه ، ومنه) رحمه الله تعالىٰ .

ومنهم :

(٢٤٢) أبو الحسن عليُّ بن إبراهيم الحُصْري[(١)]

بصريُّ الأصل ، سكن بغداد ، ومات بها يومَ الجمعة في ذي الحجَّة سنة إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة .

كان شيخَ العراق في وقته ، ولم يُرَ في زمانه من المشايخ مثلُه ، ولا أتمُّ مقالاً منه ، ولا أحسنُ لساناً ، ولا أعلىٰ مكاناً ، متوحِّداً في طريقته ، ظريفاً في شمائله وحاله .

له لسانٌ في التوحيد يختصُّ به ، ومقامٌ في التجريد والتفريد لم يُشاركْه فيه أحدٌ بعده .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٤٨٩) ، و« تاريخ بغداد » (١١/ ٣٤٠) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٥٨) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٢٠) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٤٠) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١١٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣١٠) (٢٣٨) .

وهو أستاذ العراقيين ، وبه تأدَّبَ من تأدَّبَ منهم .

صحب الشِّبليَّ ، وإليه كان ينتمي ، وصحب غيرَهُ من المشايخ .

وكان رضي الله عنه يقول : (مكثت زماناً إذا قرأتُ القرآنَ لا أستعيذُ بالله من الشيطان الرجيم ، وأقول : مَنِ الشيطانُ الرجيم حتَّىٰ يحضرَ كلامَ الحقِّ ؟!) .

قلت : ولعلَّ هـٰذا وقعَ منه قبلَ الكمال ؛ فإن الكاملَ يقرُّ المراتب[١] ، ولا ينفي منها شيئاً ، وقد أمرَ اللهُ عز وجل أشرفَ المرسلين صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان ، فلو كان عدمُ شهوده كمالاً لكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَولىٰ بذلك ، والله أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (عرِّضوا ، ولا تصرِّحوا ، التعريضُ أستر) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٤٣) أبو عبد الله أحمد بنُ عطاء بن أحمد الرُّوذْباري ابنُ أخت أبي عليٍّ الرُّوذْباري رضي الله عنه[٢]

شيخُ الشام في وقته .

يرجعُ إلىٰ أحوالٍ يختصُّ بها، وأنواعٍ من العلوم ؛ من علم الشريعة ، والقراءات[٣] ، وعلم الحقيقة ، وأخلاقٍ ، وشمائلَ تفرَّدَ بها ، وتعظيم الفقر ، وصيانته ، وملازمة آدابه ، ومحبةِ الفقراء ، والميل إليهم ، والرفق بهم .

مات بصُور سنة تسعٍ وستين وثلاث مئة .

---

(١) في (أ ، ب ، ج ، د ، و) : (يقرأ المراتب) .

(٢) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٤٢) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٤٩٧) ، و« حلية الأولياء » (١٠/ ٣٨٣) ، و« تاريخ بغداد » (٥/ ٥٥٢) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٦٣) ، و« تاريخ دمشق » (٥/ ١٨) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (١/ ٣٠٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٢٢٧) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٣٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣١١) (٢٣٩) .

(٣) في النسخ : (والقرآن) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

وكان رضي الله عنه يقول : (أهلُ الغيبة إذا شربوا طاشوا ، وأهلُ الحضور إذا شربوا عاشوا) .

وكان يقول : (أقبحُ من كلِّ قبيح صوفيٌّ شحيح) .

قلت : والمراد هنا بالشحِّ : أن يمنعَ بخُلاً لا على وجه الحكمة ؛ فإنَّ المنعَ لبعض الناس من أخلاق الله عز وجل ، فافهم ، والله أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (التصوفُ ينفي عن صاحبه البخل ، وكتابةُ الحديث تَنفي عن صاحبها الجهلَ ، فإذا اجتمعا في شخصٍ . . فناهيك به مقاماً) .

وكان يقول : (في مجالسةِ الأضداد ذوبانُ الروح ، وفي مجالسةِ الأشكالَ تلقيح العقول) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من خدمَ الأولياء بلا أدب هلك) .

وكان يقول : (ليس كلُّ من يصلحُ للمجالسةِ يصلحُ للمؤانسة ، وليس كلُّ من يصلحُ للمؤانسةِ يُؤتمنُ على الأسرار ؛ فإنه لا يُؤتمن على الأسرار إلا الأمناء ، والسلام) .

وكان رضي الله عنه من عادته إذا ذهبَ لمكانٍ أن يمشيَ على أثر الفقراء ، لا يتقدَّمُهم رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٤٤) أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن التُّرُوْغَبَذي رضي الله عنه[1]

من جِلَّة مشايخ طُوس .

صحب أبا عثمان الحِيري ، وطائفةً من طبقتِهِ من المشايخ .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٤٩٤) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٦٨) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٤٣٦) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٨٣) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٥٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ٣١١) (٢٤٠) ، و**التُّرُوْغَبَذي** : نسبة إلى قرية تُرُوْغَبَذ ؛ قرية من قرى طوس ، وفي النسخ : (الروغندي) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

وكان قد صار أوحدَ وقته في طريقته ، وظهرتْ له آياتٌ وكرامات ، وكان مجرَّداً عالي الحال ، كبيرَ الهمة .

مات بعد الخمسين والثلاث مئة .

وكان رضي الله عنه يقول : (من تركَ الدنيا للدنيا فهو من علامةِ حبِّه جميعَ الدنيا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من ضيَّعَ حقَّ الله تعالىٰ في صغره.. أذلَّه اللهُ في كبره) .

قلت : محلُّ ذلك إذا لم يقعْ منه توبةٌ مقبولة ، ومعنىٰ (أذله الله) : استحقاقه للإذلال ، وقد لا يقعُ .

وكان رضي الله عنه يقول : (إيَّاك والتمييزَ في الخدمة ؛ فإنَّ أَرباب التمييز قد مضوا ، اخدمِ الكلَّ ليحصلَ لك المرادُ ، ولا يفوتَك المقصودُ ، وما رأينا أحداً خدمَ الفقراء إلا ولحقته بركاتُهم ، وربح العزَّ في الدنيا قبلَ الآخرة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الزاهدُ في حظِّ نفسه ، والصوفيُّ في حظِّ ربِّه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يُنزِلُ اللهُ عز وجل علىٰ كلِّ عبدٍ من البلاء بحسبِ ما وهبه من المعرفة في ذلك ؛ لتكونَ معرفتُهُ عوناً له علىٰ بلائه ، فأعلاهم معرفةً أكثرُهم بلاءً ، وأقلُّهم معرفةً أقلُّهم بلاء) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما جزعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم قطُّ إلا لأمَّتِهِ ؛ فإنه بُعثَ بالرأفة والرحمة ، فكان إذا كُوشِفَ له عن أمَّتِهِ أنهم يقعونَ في مخالفةٍ جزع لهم وعليهم ، قال تعالىٰ : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة ١٢٨]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تصحُّ الأحوالُ إلا إن كانتْ عن نتائج العلم ، فلولا العلمُ ما خاف القلبُ ، ولا اطمأنَّ ، ولا سكن) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٤٥) أبو الحسن علي بن بُندار بن الحسين الصوفي رضي الله عنه(١)

هو من جِلَّة مشايخ نيسابور ، ومقدَّميهم .

رُزقَ من رؤية المشايخ وصحبتهم ما لم يُرزقْ غيرُهُ .

صحب بنيسابور أبا عثمان ، ومحفوظاً ، وببغداد الجُنيد ، ورُويماً ، وسمنوناً ، وابنَ عطاء ، والجَريري ، وبالشام المقدسيَّ ، وابنَ الجلاَّ ، وبمصر أبا بكر المصري ، والزقّاق ، والرُّوذْباري .

وكتب الحديثَ الكثير ، ورواه ، وكان ثقةً .

وكان يقول لمن يدخل بلدَهُ ، ويبدأ بالمحدِّثين ، والعلماءِ قبلَهُ : (شغلتْكَ السُّنةُ عن الفريضة ؛ لأنَّ الصوفية ينظِّفون محلَّ العلم من قلبك ؛ ليصلحَ قلبُك لإقامة العلم فيه) .

وسئل رضي الله عنه عن التصوف ، فقال : (هو إسقاطُ رؤية الخلقِ ظاهراً وباطناً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (فسادُ القلوب على حسب فساد الزمان وأهلِهِ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يكملُ الفقيرُ حتى يُكملَ فقرَهُ بالكتمان ، ويكتمَ عن إخوانه رضاه به ، وأُنسَهُ وفرحَهُ به) .

وكان رضي الله عنه يقول : (زمانٌ يُذكر فيه أمثالُنا بالصلاح لا يُرجى فيه الصلاح) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٣٤) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٥٠١) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٧١) ، و« تاريخ دمشق » (٤١/ ٢٨٧) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٣٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ١٠٩) ، و« نفحات الأنس » (ص ١٧٢) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١١٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطى » (٣/ ٣١٢) (٢٤١) ، ويعرف بالصيرفي .

وكان إذا لقي أحداً ممن لقي من المشايخ مَنْ لم يلقه.. يقبِّلُ يده ، ولا يدعه يمشي وراءه ، ويقول : إنَّك لقيتَ فلاناً ، وأنا لم ألقه) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٤٦) أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر النيسابوري رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه من أفتىٰ مشايخ نيسابور في وقته .

صحب أبا عثمان الحِيري .

ومات قبل السّتين والثلاث مئة .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الفتوَّةُ حُسن الخلق ، وبذلُ المعروف إلىٰ كلِّ برٍّ وفاجر) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا شهدَ فيكم أحدٌ بشرٍّ فخافوا ؛ فإن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين : « أنتمْ شُهداءُ اللهِ فِي الأرضِ »)[٢] .

قلت : وهـٰذا بابٌ أغفله كثيرٌ من الفقراء ، فلا يعبؤون بمن يجرحُهم ؛ استناداً إلى الاكتفاء بما يعلمُه الله منهم ، وهو مقصورٌ عن[٣] درجة العرفان ؛ فإنَّ الله تعالىٰ زكَّىٰ مَنْ جرَحهم وسمَّاهم شهداءَ الله ، فيجب تصديقُهم بما أَخبروا به ، فافهم ، والله أعلم .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص٥٠٥) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٧٣) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٨٣) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٢٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣١٣) (٢٤٢) ويعرف بالشَّبَهي .

(٢) أخرج الحديث البخاري (١٣٦٧) ، ومسلم (٩٤٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) كذا في النسخ ، ولعل الصواب (علىٰ) .

ومنهم :

(٢٤٧) أبو بكر محمد بن أحمد بن حَمْدون الفراء رضي الله تعالى عنه[١]

من كبار مشايخ نيسابور .

صحب أبا علي الثقفي ، وعبدَ الله بن مُنازل ، والشِّبلي ، وأبا بكر بن طاهر ، وغيرَهم من المشايخ .

وكان أوحدَ وقته في طريقته .

ومن كلامه رضي الله عنه : (كتمانُ الحسناتِ أَوْلىٰ من كتمان السيئات ؛ فإنه بذلك يرجو النجاة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لن يدخلَ نورُ المعرفة قلباً من القلوب حتىٰ يؤثِرَ صاحبُهُ الحقَّ تعالىٰ علىٰ كلِّ شيءٍ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٤٨) (٢٤٩) أبو عبد الله وأبو القاسم ابنا أحمد بن محمد المُقرئ رضي الله عنهما[٢]

فأما أبو عبد الله : فإنه صحب يوسف بنَ الحسين الرَّازي ، وعبد الله الخرَّاز الرازي ، ومظفراً القِرْميسيني ، ورُويماً ، والجَريري ، وابن عطاء .

---

(١) في النسخ : (أبو عبد الله) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر « طبقات الصوفية » (ص ٥٠٧) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٧٤) ، و« طبقات ابن الملقن » (ص ٢١٤) ، و« نفحات الأنس » (ص ٢٨٢) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٢٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣١٤) (٢٤٣) .

(٢) انظر ترجمة (أبي عبد الله) « طبقات الصوفية » (ص ٥٠٩) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٧٦) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٢٢٧) ، وسترد ترجمته في «الطبقات الوسطى» (٣/ ٣١٤) (٢٤٤) ، وترجمة (أبي القاسم) « المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ١٥٤) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١٢٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣١٥) (٢٤٥) واسم أبي عبد الله : محمد ، واسم أبي القاسم : جعفر .

وكان من أفتى المشايخ ، وأسخاهم ، وأحسنِهم خُلقاً ، وأعلاهم همَّةً .

مات رضي الله عنه سنة ستٍّ وستين وثلاث مئة .

وأما أبو القاسم : فكان أوحدَ المشايخ بخراسان في وقته وطريقته ، عالي الحال ، شريفَ الهمَّةِ ، حسنَ السمت والوقار في مشيه وجلوسه .

صحب ابنَ عطاء ، والجَريري ، وابنَ أبي سَعْدان ، وابن ممْشاذ الدِّينوري ، والرُّوذْباري .

ومات رضي الله عنه سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مئة بنيسابور .

وكان رضي الله عنه يقول : (الفقيرُ الصادق هو الذي يَملكُ كلَّ شيءٍ ، ولا يملكُهُ شيءٌ) يعني : أنَّه لقُربهِ كلُّ شيءٍ دعا ربَّه به أجابَهُ ، فلا يركنُ لغير الله .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أخلاق الفتيان أن يُحسنَ خُلقَهُ مع من يُبغضه ، ويبذلَ المالَ لمن يكرهه ، ويُحسنَ الصُّحبةَ مع من ينفرُ منه قلبُه ، وموافقة الإخوان في كلِّ ما لا يُخالف العلم) .

وكان يقول : (**أوائلُ بركات الدخول في طريق القوم** : أن تُصدِّقَ الصَّادقين في كلِّ ما أخبروا به عن أنفسهم ، وعن مشايخهم ؛ فمن توقَّفَ في شيءٍ من ذلك حُرِمَ بركتهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**العارفُ** : هو من شغله معروفُهُ عن النَّظرِ إلى الخلق بعين القبول والردِّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من تعزَّزَ عن خدمة إخوانه أورثه اللهُ ذلاً لا انفكاكَ له منه أبداً) .

وكان أبو القاسم رضي الله عنه يقول : (السماعُ على ما فيه من اللطافة فيه خطرٌ عظيم ، إلا لمن سمعَهُ بعلمٍ غزيرٍ ، وحالٍ صحيح ، ووجدٍ غالبٍ من غير حظٍّ له فيه) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٥٠) أبو محمد عبد الله بن محمد الرَّاسِبِيُّ رضي الله عنه[١]

بغداديُّ الأصل ، من جِلَّة مشايخهم .

صحب ابن عطاء ، والجَريري .

ورحل إلى الشام ، ثم عاد إلىٰ بغداد ، **وماتَ بها سنة سبعٍ وستين وثلاث مئة** .

وكان يقول : (إذا امتُحنَ القلبُ بالتقوىٰ ترحَّل عنه حبُّ الدنيا وحبُّ الشهوات ، واطَّلعَ على المغيَّبات ، ومن لم يُمتحنْ قلبُه بالتقوىٰ لا يبرحُ عن حبِّ الدنيا ، ولم يزلْ محجوباً عن المغيبات) .

قلت : ولذلك استعملَ النَّصَّابون الرياضاتِ لاستخدام الجانِّ ؛ ليُخبروهم بالمغيَّبات حين عدموا الصدقَ في الزهد في الدنيا ، فأخطؤوا ، ومُقتوا ، نسألُ اللهَ السلامة لنا ولإخواننا المُسلمين فيما بقي من العمر ؛ إنه سميع مجيب .

وكان رضي الله عنه يقول : (المحبَّةُ إذا ظهرت افتضحَ فيها المحبُّ ، وإذا كُتمت قتلتِ المحبَّ كمداً) .

وكان يقول : (خلقَ اللهُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للمُجالسة ، وخلقَ العارفين للمواصلة ، وخلقَ الصَّالحين للمُلازمة ، وخلقَ المؤمنين للمُجاهدة ، والعبادة) .

وكان رضي الله عنه يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ [الأنفال : ٦٧] : (جمعَ بين إرادتين ؛ فمن أرادَ الدُّنيا دعاه اللهُ إلى الآخرة ، ومن أرادَ الآخرةَ دعاه الله إلىٰ قُربه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء : ١٩] ، والسعيُ المشكورُ : هو البلوغُ إلىٰ منتهى الآمال من القرب والدنوِّ) .

---

(١) انظر « تاريخ الصوفية » (ص ٢٠٩) ، و« طبقات الصوفية » (ص ٥١٣) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٨٠) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٣/ ٤٩٠) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٨٩) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ١١١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣١٦) (٢٤٦) ، **والراسبي** : نسبة إلىٰ بني راسب من الأزد .

وكان رضي الله عنه يقول : (من البلاءِ العظيم صحبتُكَ من لا يُوافقك ولا تَستطيعُ تركه) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٥١) أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدِّيْنَوَري رضي الله عنه[١]

من جِلَّة المشايخ ، وأكبرِهم حالاً ، وأعلاهم همَّةً ، وأفصحِهم في علوم هٰذه الطائفة مع ما كان يَرجعُ إليه من صحَّة الفقر ، والتزام آدابه ، ومحبَّةِ أهله .

وأقام بوادي القُرىٰ سنين[٢] ، ثم عادَ إلىٰ دِيْنَور ، وماتَ بها .

وكان رضي الله عنه يقول : (صحبةُ الأصاغر مع الأكابر من التوفيق والفِطنة ، ورغبةُ الأكابر في صحبةِ الأصاغر من الخذلان والحُمق) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يَغرَّنَّكَ من الفقراء ما ترىٰ عليهم من هٰذه اللبسة الظاهرة ؛ فإنَّهم ما زيَّنوا الظواهرَ إلا بعد أن خرَّبوا البواطن) .

وكان يقول : (تعبُ الزهدِ على البدن ، وتعبُ المعرفةِ على القلب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أرفعُ العلوم علمُ الأسماء والصفات ، وإخلاصُ أعمال الظواهر وتصحيحُ أحوال البواطن) .

وكان رضي الله عنه يقول : رأيتُ في بعض أسفاري رجلاً يقفزُ بإحدىٰ رجليه ، فقلت له : ما لَكَ وللسفر مع فقدان الآلة ؟! فقال : أمسلمٌ أنت ؟! فقلت : نعم ، فقال : أما تقرأ قولَه تعالىٰ : ﴿ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الإسراء : ٧٠] ؟! إذا كان هو الحاملَ حَمَلَ بلا آلةٍ ؛ لاستغنائه تعالىٰ عنها .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ كثرةَ الكلام تنشِّفُ الحسنات كما تَنْشَفُ الأرضُ بعد الماء) ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « طبقات الصوفية » (ص ٥١٥) ، و« مناقب الأبرار » (٢/ ٨٨٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » (٤/ ٣٩٤) ، و« نفحات الأنس » (ص ٣٩٠) . و« طبقات المناوي » (٢/ ١٢٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣١٧) (٢٤٧) .

(٢) وادي القرىٰ : وادٍ بين المدينة والشام ، من أعمال المدينة ، كثير القرىٰ .

ومنهم :

(٢٥٢) أبو صالح[1] عبد القادر الجيلي رضي الله تعالىٰ عنه[2]

وهو ابن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين .

ولد رضي الله عنه سنة سبعين وأربع مئة ، وتُوفي سنة إحدىٰ وستين وخمس مئة ، ودفن ببغداد رضي الله عنه .

وقد أفرده الناسُ بالتآليف ، ونحن نذكرُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ ملخَّصَ ما قالوه ، ممَّا به نفعٌ وتأديبٌ للسامع ؛ فنقول وبالله التوفيق :

كان رضي الله عنه يقول : (عثرَ الحسينُ الحلاجُ ، فلم يكنْ في زمنه من يأخذُ بيده ، وأنا لكلِّ من عثرَ مركوبُهُ من أصحابي ، ومريدي ومحبِّي إلىٰ يوم القيامة ، آخذٌ بيده ، يا هـٰذا ؛ فرسي مُسرجٌ ، ورمحي منصوبٌ ، وسيفي شاهرٌ ، وقوسي مُوترٌ ، لحفظك وأنت غافلٌ) .

وحُكي عن أمِّه رضي الله عنها ـ وكان لها قدمٌ في الطريق ـ : أنها قالت : لمَّا وضعتُ ولدي عبدَ القادر كان لا يرضعُ ثديه في نهار رمضان ، ولقد غُمَّ على الناس هلالُ رمضان ، فأتوني ، وسألوني عنه ، فقلتُ لهم : إنه لم يلتقمِ اليومَ ثدياً ، ثم اتَّضحَ أن ذلك اليوم كان من رمضان ، واشتهر ببلدنا في ذلك الوقت أنَّه ولِدَ للأشرافِ ولدٌ لا يَرضع في نهار رمضان .

---

(١) والذي في كتب التراجم أنه يكنىٰ : بأبي محمد .

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/٤٣٩) ، و« فوات الوفيات » (٢/٣٧٣) ، و« البداية والنهاية » (١٢/٢٥٢) ، و« طبقات المناوي » (٢/٢٥٣) ، وألفت كتب عديدة في سيرته ؛ منها : « بهجة الأسرار في مناقب سيدي عبد القادر » للشَّطَّنوفي ، و« قلائد الجواهر » للتاذفي ، و« بقية روض الرياحين » لليافعي ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٣١٨) (٢٤٨) .

وكان رضي الله عنه يلبسُ لباس العلماء ، ويتطيلسُ ، ويركبُ البغلةَ ، وتُرفع الغاشيةُ بين يديه ، ويتكلَّمُ علىٰ كرسيٍّ عالٍ ، وربَّما خطا في الهواء خطواتٍ علىٰ رؤوس الناس ، ثم يرجعُ إلى الكرسيِّ .

وكان رضي الله عنه يقول : (بقيتُ أياماً كثيرةً لم أستطعم فيها بطعامٍ ، فلقيني إنسانٌ ، فأعطاني صُرَّةً فيها دراهم ، فأخذت منها خبزَ سميذ ، وخبيصاً ، فجلستُ آكلُ ، فإذا برقعةٍ مكتوبٍ فيها : قال اللهُ تعالىٰ في بعض كُتبه السالفةِ : إنما جعلتُ الشهواتِ لضعفاء خلقي ؛ ليستعينوا بها على الطاعات ؛ أمَّا الأقوياء فما لهم وللشهوات ؟! فتركتُ الأكل ، وانصرفت) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنه لتردُ عليَّ الأثقالُ الكثيرةُ ، لو وضِعَت على الجبال تفسَّخت ، فإذا كثرتْ عليَّ الأثقالُ وضعتُ جنبي على الأرض ، وتلوتُ : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح : ٥-٦] ، ثم أرفع رأسي وقد انفرجتْ عني تلك الأثقال) .

وكان رضي الله عنه يقول : (قاسيتُ الأهوال في بدايتي ، فما تركتُ هولاً إلا ركبتُهُ ، وكان لباسي جُبَّةَ صوف ، وعلىٰ رأسي خُريقة ، وكنت أمشي حافياً في الشَّوكِ وغيره ، وكنت أقتاتُ بخرنوبِ الشوك ، وقمامةِ البقل ، وورقِ الخسِّ من شاطئ النهر ، ولم أزلْ آخذُ نفسي بالمجاهدات حتىٰ طَرقني من الله تعالى الحالُ ، فإذا طرقني صرختُ ، وهمتُ علىٰ وجهي ، سواءٌ كنتُ في صحراء أو بين الناس ، وكنتُ أتظاهرُ بالتَّخارس والجنون ، وحُملتُ إلى البِيمارستان ، وطرقتني مرة الأحوال حتى متُّ ، وجاؤوا بالكفن ، والغاسل ، وجعلوني على المغتسل ليغسلوني ، ثم سُرِّي عني ، وقمت) .

وقال له رجلٌ مرَّةً : كيف الخلاصُ من العُجْبِ ؟ فقال رضي الله عنه : من رأى الأشياءَ من الله ، وأنَّه هو الذي وفَّقه لعمل الخير ، وأخرجَ نفسَه من البين . . فقد سلمَ من العُجب .

وقيل له مرَّةً : ما لنا لا نرى الذُّبابَ يقعُ علىٰ ثيابك ؟! فقال : أيُّ شيءٍ يعملُ الذبابُ عندي ؟! وأنا ما عندي شيء لا من دبسِ الدنيا ، ولا عسلِ الآخرة .

وكان رضي الله عنه يقول : (أيُّما امرئٍ مسلمٍ عبر علىٰ باب مدرستي خفَّفَ اللهُ عنه العذابَ يوم القيامة) .

وكان رجلٌ يصرخُ في قبره ويصيح حتىٰ آذى الناس ، فأخبروه به ، فقال : إنَّه رآني مرَّةً ، ولا بدَّ أنَّ اللهَ تعالىٰ يرحمُهُ لأجلِ ذلك ، فمن ذلك الوقت ما سَمع له أحدٌ صراخاً .

وتوضَّأَ رضي الله عنه يوماً ، فبال عليه عصفورٌ ، فرفع رأسه إليه وهو طائرٌ ، فوقع ميتاً ، فغسلَ الثوبَ ، ثم باعَهُ ، وتصدَّقَ بثمنه ، وقال : هـٰذا بهـٰذا .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا ربِّ ؛ كيف أهدي إليك روحي ، وقد صحَّ بالبرهان أنَّ الكلَّ لك ؟!) .

وكان رضي الله عنه يتكلَّمُ في ثلاثة عشر علماً .

وكانوا يقرؤون عليه في مدرسته درساً من التفسير ، ودرساً من الحديث ، ودرساً من المذهب ، ودرساً من الخلاف ، وكانوا يقرؤون عليه طرفي النَّهار التفسيرَ ، وعلوم الحديث ، والمذهب ، والخلاف ، والأصول ، والنحو .

وكان رضي الله عنه يُقرئُ القرآن بالقراءات بعد الظهر .

وكان يُفتي علىٰ مذهب الإمام الشافعي ، والإمام أحمد بن حنبل ، وكانت فتاويه تُعرضُ علىٰ علماءَ العراق ، فتعجبُهم أشدَّ الإعجاب ، فيقولون : سبحان من أنعمَ عليه !

ورُفِعَ إليه سؤالٌ في رجلٍ حلف بالطلاق الثلاث : أنه لا بدَّ أن يعبدَ الله عز وجل عبادةً ينفردُ بها دون جميع الناس في وقتِ تلبُّسِهِ بها ، فماذا يفعل من العبادات ؟ فأجاب على الفور : يأتي مكة ، ويُخلىٰ له المطاف ، ويطوفُ أسبوعاً وحده ، وينحلُّ يمينُهُ ، فأعجبت علماء العراقين ، وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها .

ورُفِعَ له شخصٌ ادَّعىٰ أنه يرى الله عز وجل بعيني رأسه ، فقال : أحقٌّ ما يَقولون عنك ؟! فقال : نعم ، فانتهره ، ونهاه عن هـٰذا القول ، وأخذَ عليه ألا يعودَ إليه ، فقيل للشيخ : أمحقٌّ هـٰذا أم مُبطل ؟ فقال : هـٰذا محقٌّ ملبسٌ عليه ؛ وذلك أنه شهدَ

ببصيرته نورَ الجمال ، ثم خُرِقَ من بصيرته إلىٰ بصره منفذٌ فرأىٰ بصرُهُ بصيرته[١] ، وبصيرته يتَّصلُ شعاعُها بنور شهوده ، فظنَّ أن بصرَه رأىٰ ما شهده ببصيرته ، وإنَّما رأىٰ بصرُه بصيرته فقط ، وهو لا يَدري ، قال الله تعالىٰ : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ١٩ـ٢٠] ، وكان جمعٌ من المشايخ وأكابر العلماء حاضرين هـٰذه الواقعة ، فأطربهم سماعُ هـٰذا الكلام ، ودهشوا من حسن إفصاحِهِ عن حال الرجل ، ومزَّقَ جماعةٌ ثيابَهم ، وخرجوا عرايا إلى الصحراء .

وكان رضي الله عنه يقول : تراءىٰ لي نورٌ عظيم ملأ الأفقَ ، ثم تدلَّىٰ لي فيه صورة تُناديني[٢] : يا عبد القادر ؛ أنا ربُّك ، وقد حلَّلْتُ لك المحرمات ، فقلتُ : اخسأْ يا لعين ، فإذا ذلك النورُ ظلامٌ ، وتلك الصورةُ دخانٌ ، ثم خاطبني : يا عبد القادر ؛ نجوتَ منِّي بعلمك بحكم ربِّك ، وفقهك في أحوال منازلاتك ، ولقد أضللتُ بمثل هـٰذه الواقعةِ سبعين من أهل الطريق ، فقلتُ : لله الفضل ، فقيل له : كيف علمتَ أنَّه شيطان ؟ فقال : بقوله : (قد حلَّلتُ لك المحرمات) .

وسئل رضي الله عنه عن صفاتِ المواردِ الإلـٰهيَّة ، والطوارقِ الشيطانية ، فقال : (الواردُ الإلـٰهي لا يأتي باستدعاءٍ ، ولا يَذهب بسبب ، ولا يأتي علىٰ نمطٍ واحد ، ولا في وقتٍ مخصوص ، والطارقُ الشيطاني بخلافِ ذلك غالباً) .

وسئل رضي الله عنه عن الهمَّة ، فقال : (هي أن يتعرَّى العبدُ بنفسه عن حبِّ الدنيا ، وبروحه عن التعلُّقِ بالعُقبىٰ ، وبقلبه عن إرادته مع إرادة المولىٰ ، ويتجرَّدَ بسرِّه عن أن يلمحَ الكونَ ، أو يخطرَ علىٰ سرِّه) .

وسئل رضي الله عنه عن البكاء ، فقال : (ابكِ له ، وابك منه ، وابك عليه ، ولا حرجَ) .

وسئل رضي الله عنه عن الدنيا ، فقال : (أخرجْها من قلبك إلىٰ يدِكَ ؛ فإنَّها لا تضرُّك) .

---

(١) في (هـ ، و ، ط) : (ببصيرته) .

(٢) في (ب ، ز) : (بدت لي) بدل (تدلىٰ لي) .

وسئل رضي الله عنه عن الشُّكر ، فقال : (حقيقةُ الشكرِ الاعترافُ بنعمة المُنعم علىٰ وجه الخضوع ، ومشاهدة المنة ، وحفظ الحرمة علىٰ وجه معرفةِ العجز عن الشكر) .

وكان يقول : (الفقيرُ الصابرُ مع الله تعالىٰ أفضلُ من الغنيِّ الشاكر له ، والفقيرُ الشاكرُ أفضلُ منهما ، والفقيرُ الصابرُ الشاكر أفضلُ منهم ، وما خطبَ البلاءَ إلا من عرفَ المُبلي) .

وسئل رضي الله عنه عن حُسن الخلق ، فقال : (هو ألا يؤثِّرَ فيك جفاءُ الخلق بعد مُطالعتك للحقِّ ، واستصغار نفسك ، وما منها معروفة بعيوبها ، واستعظام الخلق وما منهم ؛ نظراً إلىٰ ما أُودعوا من الإيمان والحكم) .

وسئل رضي الله عنه عن البقاء ، فقال : البقاءُ لا يكونُ إلا مع اللقاء ، واللقاءُ يكون كلمحِ البصر أو هو أقرب ، ومن علامة أهلِ البقاء ألا يصحبَهم في وصفهم به شيءٌ فانٍ ؛ لأنَّهما ضدان) .

وكان يقول : (متىٰ ذكرتَهُ فأنت محبٌّ ، ومتىٰ سَمعتَ ذكرَهُ لك فأنت مَحبوب ، والخلقُ حجابُكَ عن نفسك ، ونفسُك حجابُكَ عن ربِّكَ ، وما دمتَ ترى الخلقَ لا ترىٰ نفسك ، وما دُمتَ ترىٰ نفسَك لا ترىٰ ربَّك) .

ولمَّا اشتَهر أمرُهُ في الآفاق اجتمع مئةُ فقيهٍ من أذكياء بغداد يمتحنونه في العلم ، فجمع كلُّ واحدٍ له مسائلَ ، وجاؤوا إليه ، فلمَّا استقرَّ بهم المجلسُ أطرق الشيخُ ، فظهرتْ من صدره بارقةٌ من نورٍ ، فمرَّتْ علىٰ صدور المئة ، فمَسحت ما في قلوبهم ، فبُهتوا ، واضطربوا ، وصاحوا صيحةً واحدة ، ومزَّقوا ثيابهم ، وكشفوا رؤوسَهم ، ثم صعد الكرسيَّ ، وأجاب الجميعَ عمَّا كان عندهم ، فاعترفوا بفضله .

وكان من أخلاقِهِ أن يقفَ مع جلالةِ قدرِه مع الصغيرِ والجاريةِ ، ويجالسَ الفقراء ويَفلي لهم ثيابَهم .

وكان لا يقومُ قطُّ لأحدٍ من العظماء ، ولا أعيان الدولة ، ولا ألمَّ قطُّ بباب وزيرٍ ، ولا سلطان .

وكان الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه يقول عن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه : (كان قدمُهُ على التفويضِ والموافقة ، مع التبرِّي من الحول والقوة ، وكانت طريقتُهُ تجريدَ التوحيد ، وتوحيدَ التفريد مع الحضورِ في موقف العبودية ، لا بشيءٍ ، ولا لشيء) .

وكان الشيخ عديُّ بنُ مسافر رضي الله عنه يقول : (كان طريقُ الشيخِ عبدِ القادر رضي الله عنه الذبولَ تحت مجاري الأقدار ، بموافقة القلب والروح ، واتِّحاد الباطن والظاهر ، وانسلاخَهُ من صفات النفس مع الغيبة عن رؤية النفع والضُّرِّ ، والقرب والبعد) .

وكان الشيخ بقاء بنُ بطو رضي الله عنه يقول : (كان طريقُ الشيخ عبد القادر رضي الله عنه اتحادَ القول والفعل ، واتِّحادَ النفس والوقت ، ومعانقةَ الإخلاص والتسليمَ ، وموافقةَ الكتاب والسُّنة في كلِّ نَفَسٍ ، وخطرةٍ ووارد ، وحالٍ ، والثبوت مع الله عز وجل) .

وفي رواية : كانت قوةُ الشيخ عبد القادر رضي الله عنه في طريقه إلىٰ ربِّه كقوىٰ جميعِ أهلِ الطريق شدَّةً ولزوماً ، وكانت طريقتُهُ التوحيدَ وصفاً وحكماً وحالاً ، وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً ، ووصفُهُ قلبٌ فارغ ، وكونٌ غائب ، ومشاهدةُ ربٍّ حاضر ، بسريرةٍ لا تتجاذبها الشكوكُ ، وسرٍّ لا تُنازعُهُ الأغيار ، وقلبٍ لا تفرقه البقايا ، رضي الله عنه .

وكان أبو الفتح الهروي رضي الله عنه يقول : (خدمتُ الشيخَ عبدَ القادر رضي الله عنه أربعين سنة ، فكان في مُدَّتها يُصلِّي الصبحَ بوضوء العشاء) .

وكان كلما أحدثَ جدَّد في وقته وضوءَه ، ثم يُصلِّي ركعتين .

وكان يُصلِّي العشاءَ ، ويدخل خلوتَه ، ولا يُمكِّنُ أحداً أن يدخلَها معه ، فلا يخرجُ منها إلا عند طلوع الفجر .

ولقد أتاه الخليفةُ يُريدُ الاجتماعَ به ليلاً ، فلم يتيسَّرْ له الاجتماعُ إلى الفجر .

قال الهروي : (وبتُّ عنده ليلةً ، فرأيتُهُ يُصلِّي أولَ الليل يسيراً ، ثم يذكرُ الله تعالىٰ

إلىٰ أن يمضي الثُّلثُ الأوَّلُ يقول : المحيطُ الربُّ ، الشهيد الحسيب ، الفعَّالُ الخلاق ، الخالق البارئ المصور ، فتتضاءلُ جثَّتُهُ مرَّةً ، وتعظمُ أخرىٰ ، ويرتفعُ في الهواءِ إلىٰ أن يغيب عن بصري مرَّةً ، ثم يُصلِّي قائماً علىٰ قدميه ، يتلو القرآنَ إلىٰ أن يذهب الثُّلثُ الثاني ، وكان يُطيلُ سجودَهُ جداً ، ثم يجلسُ متوجِّهاً مُشاهداً مُراقباً إلىٰ قريب طلوع الفجر ، ثم يأخذُ في الدعاء ، والابتهال ، والتذلل ، ويغشاه نورٌ يكادُ يخطَفُ الأبصار إلىٰ أن يغيبَ فيه عن النظر) .

قال : (وكنتُ أسمعُ عنده : سلامٌ عليكم ، سلامٌ عليكم ، وهو يردُّ السلام إلىٰ أن يخرجَ لصلاة الفجر) .

وكان الشيخ عبد القادر رضي الله عنه يقول : (أقمتُ في صحراءِ العراق وخرائبِهِ خمساً وعشرين سنة ، مجرَّداً سائحاً ، لا أعرفُ الخلقَ ولا يعرفوني ، يأتيني طوائفُ من رجالِ الغيب والجانِّ أعلِّمُهم الطريقَ إلى الله عز وجل .

ورافقني الخَضِرُ عليه السلام في أولىٰ دخولي العراق ، وما كنتُ عرفته ، وشرطَ ألا أخالفَهُ ، وقال لي : اقعدْ هنا ، فجلستُ في الموضع الذي أَقعدني فيه ثلاثَ سنين ، يأتيني كلَّ سنةٍ مرة ، ويقول لي : مكانك حتىٰ آتيك) .

قال : (ومكثتُ سنةً في خرائب المدائن آخذُ نفسي بطريقِ المجاهدات ، فآكلُ المنبوذَ ، ولا أشربَ الماء ، ومكثتُ فيها سنةً أَشربُ الماء ، ولا آكلُ المنبوذ ، وسنة لا آكلُ ولا أشرب ، ولا أنام .

ونمت مرَّةً بإيوان كسرىٰ في ليلةٍ باردة ، فاحتلمتُ ، فقمتُ ، وذهبتُ إلى الشطِّ ، واغتسلت ، ثم نمتُ ، فاحتلمتُ ، فذهبت إلى الشطِّ ، واغتسلت ، فوقع لي ذلك في تلك الليلة أربعين مرَّةً ، وأنا أغتسلُ ، ثم صعدتُ إلى الإيوان خوفَ النوم ، ودخلتُ في ألف فنٍّ حتىٰ أستريحَ من دنياكم) .

وكان رضي الله عنه يرى الجلوسَ علىٰ بساط الملوك ومن داناهم من العقوبات المعجَّلة للفقير .

وكان رضي الله عنه إذا جاءه خليفةٌ أو وزيرٌ يدخلُ الدارَ ، ثم يخرجُ حتىٰ لا يقومَ له ؛ إعزازاً للطريق في أعين الفقراء .

واجتمعَ عنده جماعةٌ من الفقراء والفقهاء في مدرسة النظامية ، فتكلَّمَ عليهم في القضاء والقدر ، فبينما هو يتكلَّمُ إذ سقطتْ عليه حيَّةٌ من السقف ، ففرَّ منها كلُّ من كان حاضراً عنده ، ولم يبق إلا هو ، فدخلتِ الحيَّةُ تحت ثيابه ، ومرَّتْ علىٰ جسده ، وخرجتْ من طوقه ، والتفَّتْ علىٰ عنقه ، وهو مع ذلك لم يقطع كلامَهُ ، ولا غيَّرَ جلسته ، ثم نزلتْ الحيَّةُ الأرض ، وقامت علىٰ ذنبها بين يديه ، فصوَّتتْ ، ثم كلَّمَها بكلامٍ ما فهمه أحدٌ من الحاضرين ، ثم ذهبت ، فرجع الناسُ ، وسألوه عمَّا قالت ، فقال : قالت لي : لقد اختبرت كثيراً من الأولياء ، فلم أرَ مثلَ ثباتك ، فقلت لها : وهل أنت إلا دويدةٌ يحرِّكُك القضاء والقدر الذي أتكلَّم فيه ؟!

قال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه : (ثم إنها جاءتني بعد ذلك وأنا أُصلِّي ، ففتحتْ فمَها موضعَ سجودي ، فلمَّا أردتُ السجود دفعتها بيدي ، وسجدتُ ، فالتفَّتْ علىٰ عنقي ، ثم دخلتْ من كمِّي ، وخرجت من الكمِّ الآخر ، ثم دخلتْ من طوقي ، ثم خرجت ، فلما كان الغد دخلتُ خربةً ، فرأيت شخصاً عيناه مشقوقتان طولاً ، فعلمتُ أنه جنِّيٌّ ، فقال لي : أنا الحيَّةُ التي رأيتَها البارحة ، ولقد اختبرتُ كثيراً من الأولياء بما اختبرتُك به ، فلم يثبتْ أحدٌ منهم لي كثباتك ، وكان منهم من اضطربَ باطنُهُ ، وثبتَ ظاهرُهُ ، ومنهم من اضطربَ ظاهراً وباطناً ، ورأيتُك لم تضطربْ باطناً ولا ظاهراً ، وسألني أن يتوبَ علىٰ يدي فتوَّبْتُهُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما وُلِدَ لي قطُّ مولودٌ إلا وأخذتُهُ علىٰ يدي ، وقلت : هـٰذا ميتٌ ، فأُخرجُهُ من قلبي أوَّلَ ما يُولد) .

قال ابن الأخضر رحمه الله تعالىٰ : (وكنَّا ندخلُ على الشيخِ عبدِ القادر رضي الله عنه في الشتاء ، وقوَّةِ برده ، وعليه قميصٌ واحدٌ ، وعلىٰ رأسه طاقيةٌ ، والعرقُ يخرجُ من جسده ، وحوله مَنْ يُروِّحُهُ بمروحةٍ كما يكونُ في شدَّة الحرِّ) .

وكان رضي الله عنه يقول لأصحابه: (اتَّبعوا ولا تبتدعوا ، وأطيعوا ولا تمرقوا،

واصبروا ولا تجزعوا ، واثبتوا ولا تفرَّقوا ، وانتظروا ولا تيئسوا ، واجتمعوا على الذكر ولا تتفرَّقوا ، وتطهَّروا عن الذنوب ولا تتلطَّخوا ، وعن بابِ مولاكم لا تبرحوا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا ابتُلي أحدُكم ببليةٍ فليحرِّكْ أولاً لها نفسَهُ ؛ فإن لم يخلصْ منها فليستعنْ بغيره من الأمراء وغيرهم ، فإن لم يخلصْ فليرجعْ إلىٰ ربِّه بالدعاء والتضرُّع والانطراحِ بين يديه ، فإن لم يُجبْهُ فليصبرْ حتىٰ تنقطعَ عنه جميعُ الأسباب والحركات ، ويبقىٰ روحاً فقط ، لا يرىٰ إلا فعلَ الحقِّ جلَّ وعلا ، فيصيرُ موحِّداً ضرورةً ، ويقطع بأنْ لا فاعلَ في الحقيقةِ إلا الله ، فإذا شهد ذلك تولَّىٰ أمرَه اللهُ ، فعاشَ في نعمةٍ ولذَّةٍ فوق لذَّةِ ملوك الدنيا ، لا تشمئزُّ نفسُه قطُّ من مقدورٍ قدَّرَهُ اللهُ عليه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا متَّ عن الخلق قيل لك : رحمك الله ، وأماتَكَ عن هواك ، فإذا متَّ عن هواك قيل لك : رحمك الله ، وأماتَك عن إرادتك ومناك ، فإذا متَّ عن إرادتك ومناك قيل لك : رحمك الله وأحياك ، فحينئذ تحيا حياةً طيبةً لا موتَ بعدها ، وتغنىٰ غنىً لا فقر بعده ، وتُعطىٰ عطاءً لا منعَ بعده ، وتعلمُ علماً لا جهلَ بعده ، وتأمنُ أمناً لا تَخافُ بعده ، وتكونُ كبريتاً أحمر ، لا يكاد يُرىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (افْنَ عن الخلقِ بحكم الله تعالىٰ ، وعن هواك بأمرِ الله) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إشراكُ الخواصِّ : أن يُشركوا إرادتَهم بإرادة الحقِّ علىٰ وجه السهو ، والنسيان ، وغلبة الحال ، والدهشة ، فيتداركهم اللهُ باليقظة والتذكير ، فيرجعوا عن ذلك ويستغفروا ربَّهم ؛ إذْ لا معصومَ من هٰذه الإرادة إلا الملائكةُ ، كما عصم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وبقيَّةُ الخلقِ من الجن والإنس المكلَّفين لم يُعصموا منها ، غير أنَّ الأولياء يُحفظون عن الهوىٰ ، والأبدالُ عن الإرادة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (اخرجْ عن نفسك ، وتنحَّ عنها ، وانعزلْ عن مُلكك ،

وسلِّمِ الكلَّ إلىٰ مولاك ، وكنْ بوَّابَةً علىٰ باب قلبك ، فأَدخِلْ ما يأمركَ بإدخاله ، وأَخرجْ ما يأمُركَ بإخراجه ، ولا تُدخلِ الهوىٰ قلبَك فتهلك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (احذرْ ولا تركنْ ، وخفْ ولا تأمنْ ، وفتِّشْ ولا تغفلْ فتطمئن ، ولا تضفْ إلىٰ نفسك حالاً ولا مقالاً ، ولا تدع شيئاً من ذلك ، ولا تُخبرْ أحداً به ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ كلَّ يومٍ هو في شأن ؛ في تغييرٍ وتبديلٍ ، يحولُ بين المرء وقلبه ، فيُزيلكَ عما أخبرتَ به ، ويعزلُكَ عما تخيَّلتَ ثباته ، فتخجل عند مَن أخبرته بذلك ، بل احفظْ ذلك[1] ، ولا تعدُه إلىٰ غيرك ، فإنْ كان الثباتُ والبقاء . . فتعلم أنه موهبةٌ ، فتشكرُ ، وتَسألُ الله التوفيق ، وإن كان غيرَ ذلك كان فيه زيادةُ علمٍ ، ومعرفةٍ ، ونورٍ ، وتيقُّظٍ ، وتأديب ، قال تعالىٰ : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة : ١٠٦]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا أقامَكَ اللهُ تعالىٰ في حالةٍ فلا تخترْ غيرَها أعلىٰ منها ولا أدنىٰ) .

قلت : أمَّا طلبُ الأدنىٰ فظاهرٌ ؛ لاستبداله الأدنىٰ بالذي هو خيرٌ منه ، وأمَّا في الأعلىٰ فلما يطرقُ الطالب للعلوِّ من الهوىٰ والإدلال ، فالنهيُ في كلام الشيخ رضي الله عنه لمن لم يخرجْ عن هوىٰ نفسه ، أمَّا من خرجَ عن ذلك فله السؤالُ في مراتبِ الترقِّي عبودية محضة ، والله أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (إن كنتَ تُريدُ دخولَ دارَ الملك فلا تخترِ الدخولَ إلى الدار بالهوىٰ حتىٰ يُدخلَكَ إليها جبراً ؛ أعني : بالجبر أمراً عنيفاً متكرِّراً ، ولا تقنعْ بمجرَّدِ الأمر بالدخول ؛ لجوازِ أن يكونَ ذلك مكراً وخديعةً من الملك ، لكنِ اصبرْ حتىٰ تُجبرَ على الدخول ، فتدخل الدارَ جبراً محضاً ، وفضلاً من الملك ، فحينئذ لا يُعاقبُكَ الملكُ علىٰ فعله ، وإنَّما تتطرَّقُ إليك العقوبةُ من شؤم شرهك[2] ، وقلَّةِ

---

(١) في (ح) وحدها زيادة : (وكن علىٰ صدق ومحبّة قلبيّة ، فأَدخِلْ ما يأمُرك بإدخاله ، وأخرجْ ما يأمُرك بإخراجه) .

(٢) في (د ، ز) : (شرك) بدل (شرهك) .

صبرك ، وسوءِ أدبك ، وتركِ الرضا بحالتك التي أقامَكَ الحقُّ فيها ، ثم إذا دخلتَ الدارَ فكنْ مُطرقاً ، غاضّاً بصرَك ، متأدِّباً ، مُحافظاً لما تُؤمر به من الخدمة ، غيرَ طالبٍ للترقِّي إلى الطبقة الوسطى ، ولا إلى الذُّروة العليا ، قال تعالى لمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ . . . ﴾ الآية [الحجر : ٨٨]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تخترْ جلبَ النعماء ، ولا دفعَ البلوى ؛ فإنَّ النَّعماءَ واصلةٌ إليك بالقسمةِ ؛ استجلبْتَها أم كرهتها ، والبلوى حالَّةٌ بك ولو كرهتها ودفعتها ، فسلِّم لله تعالى في الكلِّ يفعل ما يشاءُ ، فإنْ جاءتك النعماءُ فاشتغلْ بالذِّكرِ والشكر ، وإن جاءتك البلوى فاشتغلْ بالصبرِ والموافقة ، والرضا والتنعُّم بها ، أو العدم والفناء عنها ، على قدرِ ما تُعطى من الحالات ، وتنتقل فيها حتى تصلَ إلى الرفيق الأعلى ، وتقامَ في مقام مَنْ تقدَّمَ ومضى من الصدِّيقين والشهداء ، فلا تجزعْ من البلوى ، ولا تقفْ بدعائك في وجهها وقربها ، فليس نارُها أعظمَ من نار جهنم ، وفي الخبر : « إنَّ نارَ جهنَّمَ تقولُ للمؤمنِ : جُزْ يا مؤمنُ ؛ فقدْ أطفأَ نورُكَ لهَبِي »[1] ، وليس نورُ المؤمن الذي أطفأَ لهبَ النار إلا الذي صحبَهُ في دارِ الدنيا ، وتميَّزَ به عمن عصى ، فليطفِئ بهذا النورِ لهبَ البلوى ؛ فإنَّ البليةَ لم تأتِ العبدَ لتُهلكه ، وإنما تأتيه لتختبره) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تشكونَّ لأحدٍ ما نزلَ بك من ضُرٍّ كائناً ما كان ، صديقاً أو قريباً ، ولا تتهمنَّ ربَّك قطُّ فيما فعلَ فيك ، وأنزلَ بك من إرادته ؛ بل أظهر الخيرَ والشكر ، ولا تركنْ إلى أحدٍ من الخلق ، ولا تستأنسْ به ، ولا تُطْلعْ أحداً على ما أنت فيه ، لا فاعل سوى ربِّك ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد : ٨] ، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ١٧] ، واحذرْ أن تشكوَ اللهَ وأنت معافًى ، وعندك نعمةٌ ما ؛ طلباً للزيادة ، وتعامياً لما له عندك من النِّعمة والعافية ؛ ازدراءً بها ، فربما غضب عليك ، وأزالها عنك ، وحقَّقَ شكواك ، وضاعفَ بلاءك ، وشدَّد عليك العقوبة ، ومقتك ، وأسقطَك من عينه ، وأكثرُ ما ينزلُ بابن آدم البلايا لشكواه من ربِّه عز وجل) .

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٢/٢٥٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٦٩) عن يعلى رحمه الله تعالى .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يصلحُ لمجالسة الملوك إلا المطهَّرُ من رجسِ الزلات والمخالفات ، ولا تقبلُ أبوابه تعالىٰ إلا طيباً من الدعاوي والهوسات ، وأنت يا أخي غارقٌ ليلاً ونهاراً في المعاصي والقاذورات ؛ ولذلك ورد : « حُمَّىٰ يومٍ كفَّارةُ سنةٍ »[١] ؛ فالأمراضُ والشدائدُ جعلها اللهُ تعالىٰ مطهِّراتٍ لك ؛ لتَصلحَ لقُربه ومجالسته لا غير ، وقد ورد أيضاً : « أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ »[٢] ، ودوام البلاء خاصٌّ بأهل الولاية الكبرىٰ ؛ وذلك ليكونوا أبداً في الحضرةِ ، ويَمتنعوا من الميلِ إلىٰ غيرِ الله تعالىٰ ، ثم كلما دامَ البلاءُ بالعبدِ قويَ قلبُهُ ، وضعف هواه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ارضَ بالدون ، ولا تُنازع ربَّك في قضائه فيقصمَك ، ولا تغفلْ عنه فيبتليَك ، ولا تقلْ في دينه بهواك فيُرديَك ، ولا تسكنْ إلىٰ نفسك فتبتلىٰ بها ، وبمن هو أشرُّ منها ، ولا تظلم أحداً ولو بسوءِ ظنِّك به ، وحملِك له علىٰ محامل السوء ؛ فإنه لا يجاوز بك ظلم ظالم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا وجدتَ في قلبك بغضَ شخصٍ أو حبَّه فاعرضْ أفعالَهُ على الكتاب والسُّنَّةِ ، فإن كانتْ محبوبةً فيهما فأحبَّهُ ، وإن كانتْ مكروهةً فاكرهْهُ ؛ لئلا تحبَّه بهواك ، وتبغضَهُ بهواك ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [صَ : ٢٦] ، ولا تهجرْ أحداً إلا لله ، وذلك إذا رأيته مرتكباً كبيرةً ، أو مصرّاً علىٰ صغيرةٍ) .

قلت : ومعنىٰ (رأيتَهُ مرتكباً كبيرةً) : العلم بذلك ولو ببيِّنةٍ ، فلا يُشترطُ في جواز الهجرِ رؤيةُ الهاجر لذلك العاصي ببصره .

ولذلك قال سيدي عليٌّ الخواص رضي الله عنه : شرطُ جواز الهجر علمُ الهاجر بوقوع المهجور فيما هُجر لأجله يقيناً ، لا ظنّاً وتخميناً ، فلا يجوزُ لك الهجرُ من غيرِ

---

(١) رواه الشهاب القضاعي في « مسنده » (٦٢) بلفظ : « الحُمَّىٰ حَظُّ كلِّ مؤمنٍ منَ النارِ ، وحمىٰ ليلةٍ يُكفِّرُ خطايا سنةٍ مُجَرَّمةٍ » ، عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، ورواه ابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (٤٩) بلفظ : (حمَّىٰ ليلةٍ كَفارةُ سنةٍ) من قول أبي الدرداء رضي الله عنه ، **ومعنىٰ مجرمة** : تامة .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨) عن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه .

تحقُّقٍ وتثبُّتٍ ، وهـٰذا الباب هلكَ فيه خلقٌ كثير ، ولم يموتوا حتى ابتلاهم اللهُ تعالىٰ بما رَموا به الناسَ ، والله أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا أحبَّ اللهُ عبداً لم يذر له مالاً ولا ولداً ؛ وذلك ليزولَ اشتراكُه في المحبَّة لربِّه تعالىٰ ، والحقُّ غيورٌ لا يقبلُ الشركة) .

قلت : فإنْ بلغَ الوليُّ إلىٰ مقامٍ لا يشغلُهُ عن اللهِ شاغلٌ فلا بأس بالمال والأولاد .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تطمع أن تدخلَ زمرةَ الرُّوحانيين حتىٰ تُعاديَ جملَتَك ، وتباينَ جميعَ الجوارح والأعضاء ، وتنفردَ عن وجودِكَ ، وسمعك ، وبصرك ، وبطشك ، وسعيك ، وعملك ، وعقلك ، وجميعِ ما كان منك قبل وجودِ الروح ، وما أَوجدَ فيك بعد النفخ ؛ لأن جميعَ ذلك حجابُك عن ربِّك عز وجل ، كما قال الخليل إبراهيم ذلك للأصنام في قوله تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٧٧] ؛ فاجعلْ أنت جملَتَكَ ، وأجزاءَكَ أصناماً مع سائر الخلق ، ولا ترَ لغير ربِّك وجوداً مع لزوم الحدود ، وحفظِ الأوامر والنواهي ، فإنِ انخرمَ فيك شيءٌ من الحدود فاعلم أنَّك مفتونٌ ، قد لعبَ بك الشيطانُ ، فارجعْ إلىٰ حكم الشرع والزمْه ، ودعْ عنك الهوس ؛ لأن كلَّ حقيقةٍ لا تشهدُ لها الشريعةُ فهي باطلة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كثيراً ما يلاطفُ الحقُّ تعالىٰ عبدَهُ المؤمنَ ، فيفتح قبالة قلبه بابَ الرحمة ، والمنة ، والإنعام ، فيرىٰ بقلبه ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطرَ علىٰ قلب بشر ؛ من مُطالعة الغيوب ، والتعريفِ ، والكلامِ اللطيف ، والوعد الجميل ، والدلائل ، والإجابة في الدعاء ، والتصديق ، والوعد ، والوفاء ، والكلمات من الحكمة تُرمىٰ إلىٰ قلبه ، وغيرِ ذلك من النعم السابغة ؛ كحفظِ الحدود ، والمداومةِ على الطاعات .

فإذا اطمأنَّ العبدُ إلىٰ ذلك ، واغترَّ به ، واعتقدَ دوامَهُ . . فتحَ اللهُ عليه أنواعَ البلايا والمحن في النَّفس والمال والولد ، وزال عنه جميعُ ما كان فيه من النِّعم ، فيصير العبدُ متحيِّراً مُنكسراً ؛ إن نظرَ إلىٰ ظاهره رأىٰ ما يسوءُه ، وإن نظرَ إلىٰ باطنه رأىٰ ما يُحزنه ، وإن سأل الله تعالىٰ كشفَ ما به من الضُّرِّ ، لم يرجُ إجابةً ، وإن طلبَ الرُّجوعَ إلى الخلقِ لم يجدْ إلىٰ ذلك سبيلاً ، وإن عملَ بالرُّخص تسارعتْ إليه العقوبات ، وتسلَّطتِ

الخلائقُ علىٰ جسمه وعرضه ، وإن طلب الإقالةَ لم يُقَلْ ، وإن رام الرِّضا والطيبة ، والتنعُّمَ بما به من البلاء لم يُعطَ ، فحينئذ تأخذُ النفسُ في الذوبان ، والهوىٰ في الزوال ، والإراداتُ والأماني في الرحيل ، والأكوانُ في التلاشي ، فيدامُ له ذلك ، ويشدَّدُ عليه حتىٰ تَفنىٰ أوصافُ بشريَّتِهِ ، ويبقىٰ روحاً فقط ، فهناك يسمع النداءَ من قلبه : ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص : ٤٢] ، ورُدَّتْ عليه جميعُ الخلع ، وأُزيد منها ، وتولَّى الحقُّ سبحانه وتعالىٰ تربيتَهُ بنفسه : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما سألَ أحدٌ الناسَ دون الله تعالىٰ إلا لجهلِهِ بالله ، وضعفِ إيمانه ، ومعرفتِهِ ، ويقينه ، وقلَّةِ صبره ، وما تعفَّفَ مَنْ تعفَّفَ عن ذلك إلا لوفورِ علمه بالله عز وجل ، ووفورِ إيمانه ، وحيائه منه سبحانه وتعالىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنما كان الحقُّ تعالىٰ لا يُجيبُ عبدَهُ في كلِّ ما سألَهُ فيه . . شفقةً على العبد أن يغلبَ عليه الرجاءُ والغِرَّةُ ، فيتعرَّضَ للمكرِ به ، ويَغفُلَ عن القيامِ بأدب الخدمة ، فيهلك ، والمطلوبُ من العبدِ ألا يركنَ لغيرِ ربِّه ، والسلام) .

وكان رضي الله عنه يقول : (علامةُ الابتلاء علىٰ وجه العقوبة والمقابلة عدمُ الصبر عند وجود البلاء ، والجزعُ ، والشكوىٰ إلى الخلق ، وعلامةُ الابتلاءِ تكفيراً ، وتمحيصاً للخطيئات وجودُ الصبرِ الجميل من غير شكوىٰ ، ولا جزع ولا ضجر ، ولا ثقلَ في أداء الأوامر ، والطاعات ، وعلامةُ الابتلاءِ لارتفاعِ الدرجات وجودُ الرِّضا والموافقة ، وطمأنينةُ النفس ، والسكون للأقدار حتىٰ تنكشفَ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أرادَ الآخرةَ فعليه بالزُّهد في الدنيا ، ومن أراد اللهَ فعليه بالزُّهدِ في الآخرة ، وما دام قلبُ العبد متعلِّقاً بشهوةٍ من شهوات الدنيا ، أو لذَّةٍ من لذَّاتها ؛ من مأكولٍ أو ملبوسٍ أو منكوح ، أو ولايةٍ أو رياسة أو تدقيق في فنٍّ من الفنون الزائدة على الغرض ؛ كرواية الحديث الآن ، وقراءةِ القرآن بالروايات السبع ، وكالنحو ، واللغة ، والفصاحة . . فليس هـٰذا محبّاً للآخرة ، وإنما هو راغبٌ في الدنيا ، وتابعٌ لهواه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (تعامَ عن الجهات كلِّها ، ولا تنصص علىٰ شيءٍ منها ؛ فإنك ما دمتَ تنظرُ إليها فبابُ فضل الله عنك مسدودٌ ، فسُدَّ الجهاتِ كلَّها بتوحيدك ، وامْحُها بيقينك ، ثم بفنائك ، ثم بمحوك ، ثم بعلمك ، وحينئذ تُفتحُ من عين قلبك جهةُ الجهات ، وهي جهةُ فضلِ الله الكريم ، فتراها بعين رأسك ، فلا ترىٰ لك بعد ذلك فقراً ولا غنىً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلما جاهدتَ النفسَ ، وغلبتَها ، وقتلتَها بسيف المجاهدة أَحياها الله عز وجل ، ونازعتْكَ وطلبتْ منك الشهواتِ واللذَّات ؛ المحرمات منها والمباح ؛ لتعود معها إلى المجاهدة والمقاتلة ، ليَكتبَ لك نوراً وثواباً دائماً ، وهو معنىٰ قولِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم : « رَجَعنا منَ الجهادِ الأصغرِ إِلَى الجهادِ الأكبرِ »)[١] .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلُّ مؤمنٍ مكلَّفٌ بالتوقُّفِ والتفتيشِ عند حضور ما قُسِمَ له ، فلا يتناوله ويأخذه حتىٰ يشهدَ له الحكمُ بالإباحة ، والعلمُ بالقَسْم ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « المؤمنُ فتَّاشٌ ، والمنافقُ لَقَّافٌ »)[٢] ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢٥٣) أبو بكر بن هُوارا البطائحي رضي الله عنه[٣]

كان شاطراً يقطعُ الطريق ، فوقعَ له سماعُ هاتفٍ بالليل : أما آنَ لك أن تخافَ من الله تعالىٰ ؟! فتابَ من ساعته ، رضي الله عنه .

---

(١) أخرجه البيهقي في « الزهد » (٣٧٣) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) لم أجد هـٰذا الحديث فيما بين يدي من المصادر .

(٣) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٢٨٠) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٧٨) ، و« روض الرياحين » الحكاية (٥٠١) (٢/ ٩) ، والحكاية (٥٠٣) (٢/ ١١) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٣٥٢ ، ٤/ ٩٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٨٥) (٢٥٥) .

وهو أوَّلُ من ألبسه أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه الخرقةَ ـ ثوباً وطاقيةً ـ في النوم ، فاستيقظَ فوجدهما عليه .

وكان رضي الله عنه يقول : (أخذتُ من ربِّي عز وجل عهداً ألا تحرقَ النارُ جسداً دخلَ تربتي) ، ويُقال : إنه ما دخلَها سمكٌ ، ولا لحمٌ قطُّ فأنضجتْهُ النار أبداً .

وانعقد إجماعُ المشايخ من أهل عصره علىٰ جلالته ، وعلوِّ مقامه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (التوحيدُ إفرادُ القدمِ عن الحُدوث ، وخروجُ الأكوان ، وقطعُ المحابِّ ، وتركُ الوقوف مع كلِّ ما علم ، وكلِّ ما جهل ؛ فإنَّ علمَ التوحيد مباينٌ لوجودِهِ ، ووجودَهُ مفارقٌ لعلمه ، فإذا تناهىٰ فإلى الحيرة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (التصوفُ ذكرٌ باجتماع ، ووجدٌ باستماع ، وتحمُّلٌ باتِّباع) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الخوفُ يُوصلُكَ إلى الله ؛ وهو ألا تأمنَ وقوعَ البطشِ بك مع الأنفاس) .

وكان يقول : (الجمعُ بالحقِّ تفرقةٌ عن غيره ، والتفرقةُ عن غيرِهِ جمعٌ به) .

وكان رضي الله عنه يقول : (احتقارُكَ للناس مرضٌ عظيمٌ لا يُداوىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : أوتادُ العراق ثمانيةٌ : معروف الكرخي ، وأحمدُ بن حنبل ، وبشرُ الحافي ، ومنصور بنُ عمَّار ، والجُنيد ، والسَّريُّ السَّقَطي ، وسهلُ بن عبد الله التُّستري ، وعبد القادر الجيلي ، فقيل له : ومَنْ عبدُ القادر ؟ فقال : أعجميٌّ شريف ، يسكنُ بغداد ، يكون ظهوره في القرن الخامس ، وهو أحد الصدِّيقين ، وأعيانِ أقطاب الدنيا ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٥٤) أبو محمد الشَّنْبَكي رضي الله عنه[١]

هي قبيلة من الكُرْد[٢] ـ انتهت إليه رياسةُ هٰذا الشأن في وقته ، وبه تخرَّجتِ السالكون الصادقون ؛ مثلُ الشيخ أبي الوفاء ، والشيخ منصورٍ ، وغيرِهما .

وكان رضي الله عنه شريفَ الأخلاق ، كاملَ الأدب ، وافرَ العقل ، كثيرَ التواضع .

وكان في بدايته يقطعُ الطريقَ على القوافل ، فتابَ علىٰ يد أبي بكر بن هُوارا البَطائحي رضي الله عنه ، فصار يُبرئ الأكمَهَ ، والأبرصَ ، والمجنونَ بدعوته .

ومن كلامه رضي الله عنه : (أصلُ الطاعة الورعُ والتقوىٰ ، وأصلُ التقوىٰ محاسبةُ النفس) .

وكان يقول : (من لم يسمعْ نداءَ الله تعالىٰ كيف يُجيبُ داعيَهُ ؟! ومن استغنىٰ بشيءٍ دون الله فقد جهلَ قدرَ الله) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من قهرَ نفسَهُ بالأدب فهو الذي يَعبدُ الله بالإخلاص) .

وكان يقول : (حجابُ الخلق عن الحقِّ تعالىٰ هو تدبيرُهم لنفوسهم ، ومن نَظَرَ قُرْبَ الحقِّ منه بَعُدَ من قلبِهِ كلُّ شيءٍ سواه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (شهوةُ الصادقين المجاهدةُ ، وشهوةُ الكاذبين النوم والكسل) .

وكان يقول : (من ادَّعىٰ سرّاً مع الله لا يشهدُ له حفظُ ظاهره فاتَّهِمْه في دينه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تأكلْ قطُّ من طعام فقيرٍ رجعَ إلى الدنيا بعد زهده

---

(١) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٢٨٧) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٧٩) ، و« روض الرياحين » الحكاية (٥٠٤) (٢/ ١٣) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ١٨٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٨٦) (٢٥٦) .

(٢) قوله : (هي قبيلة من الكرد) من (ز) وحدها .

فيها ، ولو متَّ جوعاً ، فإنْ أكلتَ قسا قلبُك أربعين صباحاً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (صلاحُ القلب في الاشتغال بالعلمِ علىٰ وجهِ الإخلاص ، وفسادُهُ في الاشتغالِ به علىٰ وجه الرياء والسمعة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (مِلاكُ القلب والسَّبقُ إلى المعالي في إصلاح الباطن اكتفاءً بمراعاة الحقِّ ، وإسقاط رؤية الخلق) .

وكان يقول : (**الوليُّ** : من سترَ حالَهُ أبداً والكونُ كلُّه ناطقٌ عن ولايته من غير ظهورِ أعمالٍ تميِّزُهُ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٥٥) الشيخ عزَّاز بن مستودع البَطائحي رضي الله عنه[١]

انتهت إليه رياسةُ الطريق في البطائح[٢] ، وأخذَ عنه جماعةٌ من الصُّلحاء والعلماء الطريقَ ، ونتجوا فيها ، وأجمعَ المشايخُ علىٰ تعظيمه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الغفلةُ غفلتان : غفلةُ رحمة ، وغفلةُ نقمة ؛ فأما التي هي رحمةٌ : فكشفُ الغطاء ليشاهدَ القومُ العظمة والجلال ، فيذهلوا عن العبودية إلا الفرائض والسنن ، ويغفُلوا عن مُراعاة السرِّ إلا مراقبة واردات الهيبة ، وأما التي هي نقمةٌ : فاشتغال العبدِ عن طاعة الله عز وجل بمعصيته ، أو التفاتُهُ إلى الكرامات ، وغفلتُهُ عن طريق الاستقامة) .

وكان يقول : (إنما بسطَ بساطَ السَّطوةِ للأعداء ؛ ليستوحشوا من قبيحِ أفعالهم ، فلا يشاهدون قطُّ ما يَبتهجون به ، ولا يطمئنُّون إلىٰ ما يأنسون به) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الأرواحُ تلطَّفتْ بالأشواق ، فتعلَّقتْ عند لذعات

---

(١) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٢٩٤) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٨٢) ، و« روض الرياحين » الحكاية (٥٠٦) (٢/ ١٥) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٤٥٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٨٧) (٢٥٧) .

(٢) **البَطائح** : هي عدَّة قرى مجتمعة في وسط الماء ، بين واسط والبصرة . انظر « وفيات الأعيان » (١/ ١٧٢) .

الحقيقةِ بأذيال المشاهدة ، فلم ترَ غيرَ الحقِّ تعالىٰ مَعبوداً ، وأيقنتْ أنَّ المُحْدَثَ لا يُدرك القديمَ بصفاتٍ معلولةٍ ، فصفاتُ الحقِّ تعالىٰ واصلةٌ إليه ، فهو الذي أوصله ، ولم يصلْ هو بنفسه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الإرادةُ تحويلُ القلب من الأشياءِ إلىٰ ربِّ الأشياء ، والجلوسُ مع الله بلا همٍّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا مازجتِ المحبةُ الأرواحَ طارتْ ، وإذا خالطتِ العقولَ أَدهشتْ ، وإذا لابستِ الأفكار حارت) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كمالُ العلمِ انقطاعُ الرجاء عن كُنْهِ صفات الجلال) .

وكان يقول : (من أَنِسَ بالله أنسَ به كلُّ شيء ، ومن خاطبَهُ اللهُ خاطبَهُ كلُّ شيءٍ ، ومن وصلَ إلى الله تأخَّرَ عنه كلُّ شيءٍ إجلالاً له ، ومَنْ عرفَ الله جهلَهُ كلُّ شيء لعظيمِ ما أودعه الله عز وجل من العلومِ والأسرار) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٥٦) الشيخ منصور البَطائحي رضي الله تعالىٰ عنه[1]

هو خالُ أحمد بنِ الرِّفاعي ، وبصحبته تخرَّجَ .

ينتمي إليه جماعةٌ كثيرة من ذوي الأحوال وأرباب المقامات .

وكانتْ أمُّهُ تدخلُ وهي حاملٌ علىٰ شيخه الشيخ أبي محمد الشَّنْبَكي ، فينهضُ لها قائماً ، وتكرَّرَ منه ذلك ، فسألوه عن ذلك ، فقال رضي الله عنه : أنا أقومُ للجنين الذي في بطنها ؛ فإنَّه أحدُ المقرَّبين إلى الله تعالىٰ أصحابِ المقامات ، وسيصيرُ له شأنٌ عظيم .

لم يكبُ به جوادُ الطريقة حتىٰ ماتَ على الإقبال على الله عز وجل .

---

(١) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٢٩٩) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٨٣) ، و« روض الرياحين » (الحكاية ٥٠٨ ـ ٥٠٩) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٥٦٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٨٧) (٢٥٨) .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من عرفَ الدُّنيا زهدَ فيها ، ومن عرفَ اللهَ آثر رضاه ، ومن لم يعرفْ نفسَه فهو في أعظمِ الغُرور) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما ابتلى اللهُ عز وجل عبداً بشيءٍ أشدَّ من الغفلة عنه والقسوة ، وإذا أحبَّ الله عبداً أفاده في الغفلة والمنام)(١) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلَّما ارتفعتْ منزلةُ القلب كانتِ العقوبةُ عليه أسرع) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الصبرُ زادُ المضطرِّين ، والرِّضا درجةُ العارفين ، فمن صبرَ علىٰ صبره . . فهو الصابر) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من فرَّ بدينه إلى الله عز وجل وهو يتَّهمُهُ في رزقه فهو يفرُّ له لا إليه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلُّ موجودٍ في الدنيا لا يكونُ عوناً علىٰ تركها فهو عليك لا لك) .

وكان يقول : (**ثلاثُ خصالٍ من صفات الأولياء** : الثقةُ بالله تعالىٰ في كلِّ شيءٍ ، والغنىٰ بالاستناد إليه عن كلِّ شيءٍ ، والرجوعُ إليه في كلِّ حال) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الإرادةُ هي أن تُشيرَ إلى الله تعالىٰ فتجدَهُ أقربَ من الإشارة ، والتوكُّلُ ردُّ الأمرِ كلِّه إلىٰ واحدٍ ، ونقصانُ كلِّ مُخلصٍ في إخلاصه رؤيةُ إخلاصه ، وكمالُهُ شهودُه الرِّياءَ في إخلاصه) .

وكان يقول : (الأنسُ بالله استبشارُ القلوبِ بقرب الله عز وجل ، وسرورُها به ، ونظرُها في سكونها إليه ، وغفلتُها عن كلِّ ما سواه ، وألا تشيرَ إليه حتىٰ يكونَ هو المشيرَ إليها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من اغترَّ بصفاءِ العبودية داخَلَهُ نسيانُ الرُّبوبية ، ومن شهد صنعَ الربوبيةِ في إقامةِ العبودية فقد انقطعَ عن نفسِهِ ، وسكنَ إلىٰ ربِّه عز وجل ، وحينئذ يَسْلَمُ من الاستدراج، وهو هنا فقدانُ اليقين ؛ لأنَّه باليقين يَستبينُ فوائد الغيب).

---

(١) في (د ، هـ ، ز) : (أقاده في) بدل (أفاده في) ، وفي (ج) : (أعاذه من) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الكشفُ سواطعُ نورٍ لمعتْ في القلوب ، بتمكين معرفةِ جملة السرائر في الغيوب من غيبٍ إلىٰ غيبٍ حتىٰ يشهدَ الأشياء من حيث يشهدُه الحقُّ ، فيتكلَّمُ عن ضمائر الخلق ، وإذا ظهرَ الحقُّ على السرائر لم يبقَ لها فضلةٌ لرجاءٍ ، ولا خوف) .

وكان رضي الله عنه يقول[1] : (سمعتُ خالي منصوراً رضي الله عنه يقول : المحبُّ لم يزلْ سكرانَ في خُماره ، حيرانَ في شرابه ، لا يخرجُ من سكرةٍ إلا إلىٰ حيرةٍ ، ولا من حيرةٍ إلا إلىٰ سكرةٍ) .

سكن الشيخُ منصور رضي الله عنه نهر دِقْلَىٰ من أرض البطائح ، واستوطنها إلىٰ أن ماتَ بها ، وقبرُهُ بها ظاهرٌ يُزار .

ولما حضرته الوفاةُ قالتْ له زوجتُه : أوصِ لولدِكَ ، فقال : بل لابن أختي أحمد ، فكرَّرتْ عليه القولَ ، فقال لابنه ولابن أخته : ائتياني بنجيل من أرضِ كذا[2] ، فأتاه ابنُهُ بنَجيلٍ كثير ، ولم يأتِهِ ابنُ أخته بشيءٍ ، فقال له : يا أحمد ؛ لِمَ لم تأتِ بنجيل ؟ فقال : وجدتُهُ كلَّه يُسبِّح الله عز وجل ، فلم أستطعْ أن أقلعَ منه شيئاً ، فسكتتْ زوجتُهُ ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٥٧) الشيخ تاج العارفين أبو الوفا رضي الله عنه[3]

كان من أعيانِ مشايخ العراق في وقته ، له الكراماتُ الخارقة ، وقد انتهت إليه رياسة هـٰذا الشأن في زمانه .

---

(١) القول للشيخ أحمد بن الرفاعي ابن أخت منصور ، وانظر بداية الترجمة .

(٢) النَّجيل : نبات عشبي ، يكثر في الأرض التي تُسقى . انظر « المعجم الوسيط » (ن ج ل) . وفي « روض الرياحين » (٢/ ١٦٥) : (بثمر كذا) .

(٣) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣٠٥) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٨٠) ، وفيه : (اسمه : محمد بن محمد الشهير بكالكيس) ، و« بقية روض الرياحين » (ص ٢٣) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ١٩١) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٨٩) (٢٥٩) .

وتتلمذَ له خلقٌ لا يُحصون من العلماء والصُّلحاء ، وكان له أربعون خادماً من أرباب الأحوال .

ولمَّا أخذَ عليه شيخه الشَّنْبَكيُّ العهدَ قال : (قد وقعَ اليومَ في شبكتي طائرٌ لم يقع مثلُهُ في شبكة شيخ) .

وكانت مشايخُ البطائح يقولون : (عجباً لمن يذكرُ أبا الوفاء ولم يُمِرَّ يدَهُ علىٰ وجهه ، ويُسمِّي اللهَ . كيف لا يسقطُ لحمُ وجهه من هيبته ؟!) .

وكان سيدي عبدُ القادر الجيلي رضي الله عنه يقول : (ليسَ علىٰ بابِ الحقِّ تعالىٰ كرديٌّ مثلَ أبي الوفاء) .

وهو أوَّلُ من سُمِّي بـ(تاج العارفين) بالعراق .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من هيَّمَه أثرُ النظر أقلقَهُ سماعُ الخبر ، ومن تقطع في مفاوزِ الأشواق لم يلتفتْ إلى الآفات) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الذكرُ ما غيَّبَكَ عنك بوجوده ، وأخذَكَ منك بشهوده ؛ فإنَّ الذكرَ شهودُ الحقيقة ، وخمودُ الخليقة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الأجسامُ أقلام ، والأرواحُ ألواح ، والنفوسُ كؤوس ، والوجدُ حسرةٌ تلهب ، ثم نظرةٌ تسلبُ ، والقوةُ محادثةُ السرِّ عند اصطلام العبد بشاهدِ الحضور ، واستغراقِ القلب في بحر المشاهدة لغلبةِ المشهود) .

وكان رضي الله عنه يقول : (التسليمُ إرسالُ النفس في ميادين الأحكام ، وتركُ الشفقة عليها من الطوارق) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو صدقَ الواردُ علىٰ شيخه وهو نائمٌ لأجابه كلُّ ذرةٍ من الشيخِ عن سؤاله ، ولم يحتجْ إلى استيقاظِ الشيخ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٥٨) الشيخ حمَّاد بن مسلم الدَّبَّاس رضي الله عنه[1]

هو أحدُ العلماء الراسخين في علوم الحقائق .

انتهت إليه رياسةُ تربية المريدين ، وانعقدَ عليه الإجماعُ في الكشف عن مخفيات الموارد ، وانتمىٰ إليه معظمُ مشايخ بغداد وصوفيتُهم في وقته .

وهو أحدُ من صحبه الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه وأثنىٰ عليه ، وروىٰ كراماته .

ومن كلامه رضي الله عنه : (**القلوبُ ثلاثةٌ** : قلبٌ يطوفُ في الدنيا ، وقلبٌ يطوفُ في الآخرة ، وقلبٌ يطوف بالمولىٰ لا في المولىٰ ، فمن طافَ في المولىٰ تزندق) .

وكان رضي الله عنه يقول : (طهِّرْ قلبَك باليقين ؛ لتجري فيه الأقدارُ) .

وكان يقول : (أقربُ الطُّرقِ إلى الله تعالىٰ حبُّهُ ، ولا يصفو حبُّهُ حتىٰ يبقى المحبُّ روحاً بلا نَفْس ، وما دام له نفس لا يذوقُ قطُّ محبَّةَ الله تعالىٰ أبداً) .

وكان يقول : (أزلِ الهوىٰ من القدر تُعرف ، وأزلِ الهوىٰ من الخلق والأمر تخلص ، وعلىٰ قدرِ ما عندك من الأمرِ تسلم ، وبقدر ما عندك من القدر تُعرف) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا توجدْ هواك في وجودك تكنْ موحِّداً ، ولا مرادَك في تدبيره تكنْ فانياً ، ولـٰكن إنْ دعاك أَجبْ ، وإن وعدَكَ توكَّل ، وإن قَدَرَ عليك استسلمْ ، فإن قالَ لك : اخترْ قل : قد فوَّضتُ ، وإن قال لك : اطلبْ قلْ : قد صدَّقْتُ ، وإن قال لك : اعبدني قل : وفِّقني ، وإن قال لك : وحِّدني قل : اجذبني ، فإن جاءت المعرفةُ صارتْ أفعالاً ربانية ، وزالتِ الأكوانُ ، وصرتَ في القبضة صاحبَ قلبٍ لا يكون لك شيءٌ إلا به عز وجل ، وما كان به كان له ، وما كان بك كان لك ، فبالإيمان تشتغلُ عن أقسام الدنيا ؛ لأنَّ فيه تصديقَهُ ، وبالعلمِ تشتغلُ عن أقسام

---

(١) انظر « المنتظم » (١٠/ ٢٢) ، و« بهجة الأسرار » (ص ٣٠٩) ، و« الوافي بالوفيات » (١٣/ ١٥٢) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٨١) ، و« بقية روض الرياحين » (ص ٢٥) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٤٠٤ ، ٤/ ٢٧٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٨٩) (٢٦٠) .

الأُخرىٰ ؛ لأنَّ فيه معرفتَهُ ، وبالمعرفةِ تشتغلُ عن الكلِّ حيث كنتَ ؛ لأنه معك من حيث معرفتُك علىٰ قدرك) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٥٩) الشيخ أبو يعقوب يوسف بن أيوب [الهمذاني] رضي الله عنه(١)

هو أحد الأئمة ، وانتهت إليه تربيةُ المريدين بخُراسان .

واجتمع عنده بخانقاتِهِ من العلماء والصلحاء جماعةٌ كثيرة ، وانتفعوا به وبكلامه ، رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (السماعُ سفرٌ إلى الحقِّ ، ورسولٌ من الحقِّ ، وهو لطائفُ الحقِّ وزوائدُهُ ، وفوائدُ الغيب وموارده ، وبوادي الفتح وعوائدُه ، ومعاني الكشف وبشارته ، فهو للأرواحِ قوتُها ، وللأشباح غذاؤها ، وللقلوبِ حياتُها ، وللأسرار بقاؤها ، فطائفةٌ أسمعها الحقُّ بشاهد التنزيه ، وطائفةٌ أسمعها بنعتِ الرُّبوبية ، وطائفةٌ أسمعها بنعت الرحمة ، وطائفةٌ أسمعها بوصف القدرة ، فقامَ لهم الحقُّ مُسمعاً وسامعاً ، فالسماعُ هتاك الأستار ، وكشاف الأسرار ، وبرقةٌ لمعت ، وشمسٌ طلعت ، وسماعُ الأرواح باستماع القلوب علىٰ بساطِ القرب بشاهدِ الحضور من غير نفْسٍ تكونُ هناك ، فتراهم في السماع وَالِهينَ حَيَارىٰ ، رامقين أُسارىٰ ، خاشعين سُكارىٰ .

واعلم : أنَّ الله خلقَ من نورِ بهائه سبعين ألف مَلَكٍ من الملائكة المقرَّبين ، وأقامهم بين العرشِ والكرسيِّ في حضرة الأُنس ، لباسُهُم الصوفُ الأخضر ، ووجوهُهم كالقمرِ في ليلة البدر ، فقاموا متواجدين وَالِهينَ ، حيارىٰ خاشعين ،

---

(١) في النسخ : (الهمداني) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر « بهجة الأسرار » (ص ٣١٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٦٦) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١١٠) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٢٨) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٣١٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٩٠) (٢٦١) .

سُكارىٰ منذ خلقوا ، مُهرولين من ركنِ العرش إلىٰ ركن الكرسي لِمَا بهم من شدَّةِ الوَلَهِ ، فهم صوفيةُ أهل السماء ، فإسرافيلُ قائدُهم ومرشدُهم ، وجبرائيلُ رئيسُهم ومتكلِّمُهم ، والحقُّ تعالىٰ أنيسُهم ومليكُهم ، فعليهم السلامُ من الله عز وجل) .

وقال إبراهيم بن الحوفي : كان الشيخ يوسف الهمذاني يتكلَّمُ على الناس ، فقال له فقيهان كانا في مجلسه : اسكتْ ، فإنما أنت مُبتدعٌ ، فقال لهما : اسكتا ، لا عشتما ، فماتا مكانهما .

وجاءته امرأة من همذان باكيةً ، فقالت له : إن ابني أسرَهُ الفرنج ، فصبَّرَها ، فلم تصبر ، فقال : اللهم ؛ فكَّ أسرَه ، وعجِّل فرجَه ، ثم قال لها : اذهبي إلىٰ دارك تجديه بها إن شاء الله تعالىٰ ، فذهبتِ المرأةُ ؛ فإذا ولدُها في الدار ، فتعجَّبتْ ، وسألته ، فقال : إني كنتُ الساعةَ في القسطنطينية العظمىٰ ، والقيودُ في رجليَّ ، والحرسُ عليَّ ، فأتاني شخصٌ ، فاحتملني ، وأتىٰ بي إلىٰ هنا كلمحِ البصر .

ولد رضي الله عنه في حدود سنة أربعين وأربع مئة ، وتوفي سنة خمسٍ وثلاثين وخمس مئة ، ودفن ببامَيِيْن علىٰ طريق مرو مدَّةً[١] ، ثم حُملت جثَّتُهُ إلىٰ مرو ، ودُفن بها في الحضرة المنسوبةِ إليه ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦٠) الشيخ عَقيل المَنْبِجِي رضي الله عنه[٢]

هو شيخُ شيوخِ الشام في وقته .

تخرَّجَ بصحبته جمعٌ من الأكابر ؛ منهم : الشيخ عديُّ بنُ مسافر .

وهو أوَّلُ من دخل بالخرقة العُمريَّة إلى الشام ، وأُخذت عنه .

---

(١) في النسخ : (بيامن) بدل (ببامين) ، والمثبت من « وفيات الأعيان » (٧/ ٨٠) والضبط منه .

(٢) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣١٦) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٣٠) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٩٤) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢٦٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٩١) (٢٦٢) .

وكان يُسمَّى الطيَّار ؛ لأنَّه لمَّا أرادَ الانتقالَ من قريته التي كان مُقيماً بها ببلاد الشرق.. صعِدَ إلىٰ منارتها ، ونادىٰ بأهلها ، فلما اجتمعوا طارَ في الهواء والناسُ ينظرون إليه ، فجاؤوا فوجدوه في مَنْبج رضي الله عنه[١] .

ومن كلامه رضي الله عنه : (المعرفةُ إنما هي فيما استأثر به تعالىٰ ، والعبوديةُ إنما هي فيما أمر ، والخوفُ ملاكُ الأمرِ كلِّه ، لـٰكنَّ خوفَ العارفين أن توجدَ راحتُهم[٢] في أفعاله ، وخوفَ الأولياء أن يوجدَ هواهم في أمره عز وجل ، وخوفَ المتَّقين أن يوجِدَ نفسهم في رؤيتهم للخلق ، إنْ أوجدَ الخلقَ فيك أشركت ، وإن أقدرَكَ عليك نازعته) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا هـٰذا ؛ قل : إلـٰهي أنقذْني من قدرك[٣] ، واحمني من خلقِكَ ؛ فإذا جاء الأمر فقل : إلـٰهي ؛ احمني منهم ، وإذا جاء القدرُ قل : إلـٰهي ؛ احمني منِّي ، وإذا جاء الفضلُ قل : إلـٰهي ؛ فضلك لصنعك بلا أنا ، فإن شئتَ فقد حصل لك عند الخشوع عبودية ، وعند الدَّلال توحيد ، فعبوديتُك بفقرِك إليه ، ودلاله أنَّه ما ثَمَّ غيرُهُ ، فإذا جاءت الإلـٰهية ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١] ؛ فبمجاهدة الهوىٰ تعرفه ، وبخروجك عن الخلق توحِّدُه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (طريقتُنا الجدُّ والكدُّ ، ولزومُ الحدِّ حتىٰ تنقدَّ ؛ فإما أن يبلغ الفتىٰ مناه ، وإما أن يموتَ بداه) .

وكان يقول : (من طلب لنفسه حالاً أو مقاماً فهو بعيدٌ من طرقات المعارف) .

وكان يقول : (الفتوَّةُ رؤيةُ محاسن العبيد والغيبةُ عن مساويهم) .

وكان يقول : (المُدَّعي من أشارَ إلىٰ نفسه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (فقدُ الأسف ، والبكاءُ في مقام السلوك عَلَمٌ من أعلام الخذلان) .

---

(١) منبج : منطقة تتبع حلب ، تقع إلى الغرب من نهر الفرات بـ (١٥كم) ، وإلى الشمال الشرقي من مدينة حلب بـ (٨١كم) (المعجم الجغرافي العربي السوري) (٥/ ٣٤٨) .

(٢) في مصادر ترجمته : (توجد إرادتهم) .

(٣) في (النسخ) عدا (ط) : (أفقدني) بدل (أنقذني) ، والمثبت من (ط) ومصادر ترجمته .

وكان رضي الله عنه إذا نادىٰ وحوشَ الفلوات جاءتْ لدعوته صاغرةً حتىٰ تسدَّ الأفق .

وكان عكَّازُهُ لا يستطيعُ أحدٌ حملَه .

سكن رضي الله عنه منبج ، واستوطنها نيفاً وأربعين سنة ، وبها مات ، وبها قبرُهُ ظاهرٌ يزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦١) الشيخ أبو يَعِزَّىٰ المغربي رضي الله عنه[1]

انتهتْ إليه تربيةُ الصادقين بالمغرب ، وتخرَّجَ بصحبته جماعةٌ من أكابر مشايخها ، وأعلام زهادها ، وكان أهلُ المغربِ يَستسقون به ، فيُسقون .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الأحوالُ مالكةٌ لأهل البدايات ، فهي تصرفُهم كيفَ شاءت ، ومُمَلَّكَةٌ لأهل النهايات ، فهم يَصرفونها كيف شاؤوا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلُّ حقيقةٍ لا تمحو أثرَ العبدِ ورسومَه ، فليستْ بحقيقة) .

وكان يقول : (من طلبَ الحقَّ من جهة الفضل وصل إليه ، ومن لم يكنْ بالأحد لم يكن بأحد) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أنفعُ الكلام ما كان إشارةً عن مشاهدةٍ ، أو نبأً عن حضور) .

وكان يقول : (لا يكونُ الوليُّ وليّاً حتىٰ يكونَ له قدمٌ ، ومقام ، وحال ، ومنازلة ، وسرٌّ ؛ فالقدمُ ما سلكتَهُ من طريقك إلى الحقِّ ، والمقامُ ما أقرَّتْك عليه سابقتُك في العلم الأزلي ، والحالُ ما بعثك من فوائد الأحوال والأصول لا من نتائج السلوك ،

---

(١) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣١٩) ، و« التشوف إلىٰ رجال التصوف » (ص ١٩٥) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٣٣) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢١٠) ، و« الأعلام » (٨/ ٢٠٨) ، واسمه : يلنور بن ميمون ، واعتمد الزركلي في ضبط (يَعِزَّىٰ) علىٰ مختار السوسي ، وعليه نعتمد ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٩٢) (٢٦٣) .

والمنازلة ما خُصصتَ به من تُحفِ الحضور بنعتِ المشاهدة ، لا بوصفِ الاستتار ، والسرُّ ما أُودعتَهُ من لطائفِ الأزل عند هجوم الجمع ، ومحق السِّوىٰ ، وتلاشي ذاتك .

فحفظُ حكم المقام يُفيد الفقه في الطريق ، ويُفيد الاطِّلاعَ علىٰ خبايا معانيه ، وحفظُ حكم الحال يُفيد بسطَهُ في التصريف لله وبالله ، وحفظُ حكم المنازلة يؤيِّدُ سُلطان قهرِهِ بجيوشِ الفتح اللدنِّي ، وحفظُ حكم السرِّ يُوسعُ قدرةَ الاطِّلاعِ علىٰ مكامنِ المكنونات ، وحفظُ حكم الوقت يورثُ المراقبةَ ، وحفظُ الأنفاس يُوصل إلىٰ مقام الغيبة في الحضور) .

قال الشيخ أبو محمد الإفريقي رحمه الله تعالىٰ : (أقام الشيخ أبو يَعِزَّىٰ في بدايته خمسَ عشرةَ سنة في البرِّ لا يأكلُ إلا من حبِّ شجر البادية ، وكانت الأُسدُ تأوي إليه ، والطيرُ يعكفُ عليه ، وكان إذا قال للأُسْد : لا تَسكني هنا تأخذُ أشبالَها ، وتخرجُ بأجمعها) .

قال الشيخ أبو مَدْين رضي الله عنه : وزرتُهُ مرَّةً في الصحراء ، وحوله الأُسدُ والوحوش والطيرُ تشاوره علىٰ أحوالها ، وكان الوقتُ وقتَ غلاءٍ[1] ، فكان يقول لذلك الوحش : اذهبْ إلىٰ مكان كذا فهناك قوتُك ، ويقول للطير مثلَ ذلك ، فتنقادُ لأمره ، ثم قال : يا شُعيبُ ؛ إنَّ هٰذه الوحوشَ والطيورَ أحبَّتْ جواري ، فتحمَّلتْ ألمَ الجوع لأجلي ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦٢) الشيخ عَديُّ بن مسافر الأُموي رضي الله عنه[2]

هو أحدُ أركان هٰذه الطريقة ، وأعلى العلماء بها .

وكان الشيخ عبدُ القادر الجيلي رضي الله عنه ينوِّهُ بذكره ، ويُثني عليه ، وشهدَ له

---

(١) كذا في النسخ ، وفي « روض الرياحين » : (وقت قحط) ، وهو الأشبه .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٥٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٣٤٢) ، و« بهجة الأسرار » (ص ٣٢٢) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٨٥) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٣٦) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢٦٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٩٣) (٢٦٤) .

بالسلطنة ، وقال : (لو كانتِ النبوَّةُ تُنالُ بالمجاهدة لنالها الشيخُ عدي بنُ مسافر ، بالغ في المجاهدة في بدايته حتىٰ أعجزَ المشايخَ بعده) .

وكان إذا سجدَ رضي الله عنه سُمع لمخِّه في رأسه صوتٌ كصوت وقعِ الحصاة في القرعة اليابسة من شدَّة المجاهدة .

وأقام في أوَّلِ أمره زماناً في المغاراتِ والجبال والصحارىٰ مجرَّداً سائحاً ، يأخذُ نفسَه بأنواع المجاهدات .

وكانتِ الحيَّاتُ والهوامُّ والسِّباع تألفُه فيها .

وهو أوَّلُ من تصدَّرَ لتربية المريدين الصادقين ببلاد المشرق ، وقصدَهُ الناسُ بالزيارة من سائرِ الأقطار .

ومن كلامه رضي الله عنه : (لا يخلو أخذُك وتركُك أن يكونا بالله عز وجل أو له ؛ فإن كانا به فهو مباديك بالعطاء ، وإنْ كانا له فاسترزقْهُ بأمره ، واحذرْ ما فيه الخلق ؛ فإنَّك متىٰ كنتَ معهم استعبدوك ، ومتىٰ كنتَ مع الله تعالىٰ حفظك ، ومتىٰ كنتَ مع فضلِ الله كفلك ، وإذا كنتَ مع الأسبابِ فاطلبْ رزقَك من الأرض ؛ فإنك لن تُعطىٰ من السماء ، وإذا كنتَ مع التوكُّلِ فإنْ طلبتَ بهمَّتِكِ فلن يُعطيك ، وإن أزلتَ همَّتَك أعطاك ، وإذا كنتَ واقفاً مع الله تعالىٰ صارتِ الأكوانُ خاليةً لك من الموطن ، وأنتَ في القبضة فانٍ ، والكونُ كلُّه فيك ولك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تنتفعُ بشيخِك إلا إن كان اعتقادُك فيه فوقَ كلِّ اعتقاد ، وهناك يجمعُك في حضوره ، ويحفظُك في مَغيبه ، ويهذِّبُكَ بأخلاقه ، ويؤدِّبُكَ بإطراقه ، وينوِّرُ باطنَكَ بإشراقه ، وإن كان اعتقادُك فيه ضعيفاً لا تشهدْ فيه شيئاً من ذلك ، بل تنعكسُ ظلمةُ باطنِكَ عليك ، فتشهدُ صفاتِهِ هي صفاتك ، فلا تنتفعُ به أبداً ، ولو كان أعلى الأولياء درجةً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (حُسنُ الخُلق معاملةُ كلِّ شخصٍ بما يُؤنسه ولا يُوحشه ، فمع العلماء بحُسنِ الاستماع ، وإن كان مقامُهُ فوق ما يقولونه ، ومع

أهل المعرفة بالسكون والانكسار ، ومع أهلِ التوحيد بالتسليم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا رأيتمُ الرَّجلَ تظهرُ له الكرامات ، وتُخرقُ له العادات فلا تغترُّوا به حتىٰ تَنظروه عند الأمر والنَّهي) .

وكان يقول : (من لم يأخذْ أدبَهُ من المؤدَّبين أفسدَ من اتَّبعه ، ومن كانت فيه أدنىٰ بدعةٍ فاحذروا مُجالسته ؛ لئلا يعودَ عليكم شؤمها ، ولو بعد حين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من اكتفىٰ بالكلامِ في العلم دون الاتِّصافِ بحقيقته انقطع ، ومن اكتفىٰ بالتعبُّدِ دون فقهٍ خرج ، ومن اكتفىٰ بالفقهِ دون ورعٍ اغترَّ ، ومن قام بما يجب عليه من الأحكام نجا) .

وكان يقول : (توحيدُ البارئ عز وجل لا تجري ماهيَّتُهُ في مقالٍ ، ولا تخطرُ كيفيَّتُهُ ببالٍ ، جلَّ عن الأمثال والأشكال ، صفاتُهُ قديمةٌ كذاته ، ليس بجسمٍ في صفاته ، جلَّ أن يُشبَّهَ بمبتدعاته ، أو يُضافَ إلىٰ مخترعاته ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ : ١١] ، لا سميَّ له في أرضه وسماواته ، لا عديلَ له في حكمه وإراداته ، حرامٌ على العقول أن تمثِّلَ الله عز وجل ، وعلى الأوهام أن تحدَّه ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى الضمائر أن تعمق ، وعلى النفوسِ أن تفكِّر ، وعلى الفكر أن يُحيطَ ، وعلى العقول أن تتصوَّرَ إلا ما وصفَ به ذاتَهُ تعالىٰ في كتابه ، أو علىٰ لسان نبيه صلى الله عليه وسلم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أوَّلُ ما يجب علىٰ سالك طريقنا هـٰذه تركُ الدعاوى الكاذبة ، وإخفاءُ المعاني الصادقة) .

قلت : وذلك لأنَّ المعانيَ الصادقةَ نورٌ ، وكلَّما تراكمتِ الأنوار في قلبِ العبد تمكَّنَ وقوي استعدادُهُ ، وكلَّما أظهرَ معنىً خرجَ النورُ أوَّلاً فأولاً ، فلا يثبت له قدمٌ في الطريق ، والله تعالىٰ أعلم .

وكان رضي الله عنه أكثرُ إقامته في الجزيرة السادسة من البحر المحيط ، رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه يأمرُ الريحَ أن تسكنَ ، فتسكن لوقته .

سكن رضي الله تعالى عنه جبل (الهَكَّار)[١] ، واستوطن (لالُش)[٢] إلىٰ أن مات بها سنة ثمانٍ وخمسين وخمس مئة ، ودُفن بزاويته المنسوبة إليه ، وقبرُهُ بها ظاهرٌ يُزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦٣) الشيخ علي بن وهب السِّنجاري رضي الله عنه[٣]

انتهتْ إليه تربيةُ المريدين بسِنْجار وما يليها .

وتتلمذتْ له جماعةٌ من الأكابر ؛ مثل الشيخ سُويد السِّنجاري ، والشيخ أبي بكر الجاوي ، والشيخ سعد الصَّنائحي ، وغيرهم .

مات رضي الله عنه عن أربعين مُريداً ، كلُّهم من أرباب الأحوال .

وحُكي : أنه لما ماتَ اجتمعَ هٰؤلاء المريدون في روضةٍ تجاه زاويته ، فجعلَ كلٌّ منهم يأخذُ من تلك الروضةِ قبضةً من نباتها ، ويتنفَّسُ عليها ، فتزهرُ من جميع الأزهار المختلفة الألوان ؛ من أصفر وأخضر وأزرق وأبيض ، وغير ذلك ، حتىٰ أقرَّ بعضُهم لبعضٍ بالتمكين والتصريف .

وكان رضي الله عنه يقول : حفظتُ القرآنَ العظيم وأنا ابنُ سبع سنين ، ثم اشتغلت بالعلم ، وكنتُ أتعبَّدُ في مسجدٍ بظاهر البدرية ، فبينما أنا نائمٌ ليلةً رأيتُ أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، فقال : يا علي ؛ أُمرتُ أن أُلبسَك هٰذا الطاقية ، وأخرجَ من كُمِّه طاقيةً ، ووضعها علىٰ رأسي ، ثم جاءني الخَضِرُ عليه السلام بعد أيامٍ ، وقال لي : يا عليُّ ؛ اخرجْ إلى الناس يَنتفعوا بك ، فتثبَّتُّ في أمري ، ثم رأيتُ أبا بكر الصديق

---

(١) جبل هَكَّار : يقع فوق الموصل ، في بلدِ جزيرة ابن عمر . « معجم البلدان » (٥/ ٤٠٨) .

(٢) لالُش : بضم اللام ، والشين المعجمة ؛ من قرى الهكارية ، من أعمال الموصل . « تاريخ إربل » (١/ ١١٧) .

(٣) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٥١٠) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٤١) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٩٥) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢٧٣ ، ٤/ ٤٦٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٩٥) (٢٦٥) .

رضي الله عنه في النوم ، فقال لي كمقالةِ الخضر عليه السلام ، فاستيقظتُ ، وتثبّتُّ في أمري .

ثم رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في الليلة الثالثة وقال لي كمقالةِ الصدِّيق رضي الله عنه ، فاستيقظتُ ، وعزمتُ على الخروج ، ونمتُ في آخرِ الليل من ليلتي تلك ، فرأيتُ الحقَّ جلَّ جلاله ، فقال لي : يا عبدي ؛ قد جعلتُكَ من صفوتي في أرضي ، وأيَّدتُك في جميع أحوالك بروحٍ منِّي ، وأقمتُك رحمةً لخلقي ، فاخرجْ إليهم ، واحكمْ فيهم بما علَّمْتُكَ من حكمي ، وأظهرْ لهم بما أيَّدْتُك به من آياتي ، فاستيقظتُ ، وخرجتُ إلى الناس ، فهرعوا إليَّ من كلِّ جانبٍ ، رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (معرفةُ الله عز وجل عزيزةٌ لا تُدرك بالعقل ، بل يُقتبسُ أصلُها من الشرع ، ثم تتفرَّعُ حقائقُها علىٰ قدرِ القُرب ، فقومٌ عرفوه بالوحدانية ، فاستراحوا إلى الصَّمدانية ، وقومٌ عرفوه بالقُدرة ، فتحيَّروا ، وقومٌ عرفوه بالعظمةِ ، فوقفوا علىٰ أقدامِ الدهشة ، وأيقنوا أن لن يُدرِكَ أحدٌ عينَه ، وقومٌ عرفوه بعزَّة الإلـٰهية ، فنزهوه عن الكيفية والماهية ، وقومٌ عرفوه بصنائعه ، واستدلوا عليه ببدائعه ، فشاهدوه بإبدائه وصنعه ، ورأوه في إعطائه ومنعه ، وقومٌ عرفوه بالتلوين[1] ، فعرفوه بالثَّباتِ والتمكين ، وقومٌ عرفوه بلا غيره ، فأراهم من آياته ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطرَ علىٰ قلب بشر) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أحبَّه الحقُّ وأرادَه أسكنَ في قلبه الإرادةَ ؛ فالمريدُ محبٌّ طالب ، والشوقُ لقلبه غالب ، والتوقُ للبِّهِ سالب[2] ، والمُرادُ محبوبٌ مَطلوب ، مأخوذٌ مسلوب ، إلى الجناب مجذوب ، قد ظهرَ عليه الشوقُ وغلب ؛ إذ قد وجدَ ما طلب ، قد قطعَ الطريق وطواها ، وأزال نفسَه ونحَّاها ، ومحا الأكوان من نظره فما يراها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الزهدُ فريضةٌ وفضيلةٌ وقربةٌ ؛ فالفرضُ في الحرام ،

(١) في (و ، ح) : (بالتكوين) بدل (بالتلوين) .
(٢) في (ج ، ح ، ط) : (والشوق إليه سالب) .

والفضلُ في المُتشابه ، والقربة في الحلال ، والزهدُ أعمُّ من الورع ؛ لأنَّ الورعَ إبقاءٌ ، والزهدَ قطعُ الكلِّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (علامةُ الإخلاص أن يغيبَ عنك الخلقُ في مشاهدة الحقِّ) .

وكان يقول : (بقاءُ الأبد في فنائك عنك) .

وكان يقول : (من سكنَ بسرِّه إلىٰ غير الله تعالىٰ نزعَ اللهُ تعالى الرحمةَ من قلوب الخلق عليه ، وألبسه لباسَ الطمع فيهم) .

مات رحمه الله تعالىٰ بسِنجار ، وقبرُهُ بها يُزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦٤) الشيخ موسى بن ماهين الزولي رضي الله عنه(١)

هو أحدُ الأئمة التي أبرزَ الله تعالىٰ له المغيَّبات ، وخرقَ له العادات ، وأوقعَ له الهيبةَ في القلوب ، وانعقدَ عليه إجماعُ المشايخ ، وقُصد بالزيارات ، ولحلِّ المشكلات ، وكشفِ خفيَّات الموارد .

وكان الشيخ عبد القادر رضي الله عنه يُثني عليه ، ويعظِّمُ شأنه ، وقال مرة : يا أهلَ بغداد ؛ ستطلعُ عليكم شمسٌ ما طلعتْ عليكم بعد ، فقيل له : ومَنْ هو ؟ قال : الشيخُ موسى الزولي .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الرقائقُ معاني تفصيل المنازلات ، وشعائرُ تجميل المحاضرات ، وهي بالنظر إلى الجمل الكلِّيات متَّحدةٌ متَّصلةٌ بالالتفات إلى الصور الجزئيات ، والدقائقُ أرواحٌ في الرقائق ، وهي مقدِّمةُ الحكمة الأزلية ، فتحيط الأغيار بالأغيار ، وتنكشفُ الأنوار للأنوار ، ولو رُفع لك هـٰذا الحجابُ علىٰ بساط الروحانية

---

(١) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٥١٥) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٤٣) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٦٩) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٣٠٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٩٦) (٢٦٦) .

لكلَّمك من ذاتك بعددِ ولد آدم من الخلق ، ولرأيتَ رقائقَ ذاتك راكعةً مع الراكعين ، وساجدةً مع الساجدين) .

وكان رضي الله عنه يقول : ([الحقائقُ ذوائبُ العلا ، وروائحُ أرواح السنا ، وهي اللُّمَحُ اللوامع ، والفتحُ الطالع ، من وطئ بساطَها استوىٰ ، ومن ركبَ بُراقَها بلغَ سِدْرةَ المُنتهىٰ ، وهي تنفهق على القدس بما تنفهقُ عليه المعاني العلوية من نور الحُبِّ ، ونعيم القرب ، فيتجدَّدُ عليها البساط العلي ، والنور الكشفي ، والحضور الأبدي فيصعد عليها العارفُ علىٰ معارج أنوارٍ من صورِ فرائد الوصل إلىٰ بين يدي حضرة الجلال ، ومشرق الإقبال بما يشيعها من نورٍ وسناء ، وروحٍ طيِّبٍ وحياء ، فيقوم المقام الأحمد ، ولا يزال الأمر كذا عوداً علىٰ بدء ، وردّاً علىٰ ردٍّ ، فعروجٌ وحضور ، ونورٌ وقبول ، وانفهاق ونفوذ ، ونشاط ونهوضٌ إلىٰ ما لا آخر له ، فكلُّ باطنٍ حقيقةٌ لكلِّ ظاهر])[1] .

وكان رضي الله عنه كثيرَ المشاهدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانتْ أغلبُ أفعاله بتوقيف منه صلى الله عليه وسلم .

وكان رضي الله عنه إذا مسَّ الحديدَ بيده لانَ حتَّىٰ يصيرَ كاللُّبان .

وكان رضي الله عنه يقول للصبيِّ الذي عمرُهُ أربعةُ أشهر فأقل : اقرأْ سورةَ كذا ، فيقرؤها الصبيُّ بلسانٍ فصيح ، ولا يزال يتكلَّمُ من ذلك الوقت إلىٰ أن يموت .

استوطن رضي الله عنه ماردين ، وبها مات رحمه الله تعالىٰ ، وقد كبر سِنُّه ، وقبرُهُ بها ظاهرٌ يُزار ، ولمَّا وضعوه في لحدِهِ نهضَ قائماً يُصلِّي ، واتَّسعَ له القبرُ ، وأُغميَ علىٰ من كان نزلَ قبره ، رضي الله عنه .

---

(١) في النسخ : (تنفق) بدل (تنفهق) ، و(الحجب) بدل (الحب) ، و(الأزلي) بدل (الأبدي) ، و(فوائد) بدل (فرائد) ، و(تفرد) بدل (نفوذ) ، وما أثبت من « بهجة الأسرار » (ص ٥١٥) .

ومنهم :

(٢٦٥) الشيخ أبو النجيب عبد القاهر السُّهْرَوَرْدي رضي الله عنه[١]

ويلقبُ : بضياء الدين ، وبنجيب الدين .

ونسبُهُ ينتهي إلىٰ أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه يتطيلسُ ، ويلبسُ لباسَ العلماء ، ويركبُ البغلةَ ، وتُرفعُ الغاشيةُ بين يديه .

انعقد عليه إجماعُ المشايخ والعلماء بالاحترام .

وأوقعَ اللهُ عز وجل له القبولَ التامَّ في الصدور ، والمهابةَ الوافرة في القلوب .

وتخرَّج بصحبته جماعةٌ من الأكابر ؛ مثل : الشيخ شهاب الدِّين السُّهْرَوَرْدي ، والشيخ عبد الله بنِ مسعود الرُّومي وغيرِهما .

واشتُهر ذكرُه في الآفاق ، وقُصد من كلِّ قطر .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الأحوالُ معاملاتُ القلوب ؛ وهي ما يحلُّ بها من صفاء الأذكار ، وفوائد الحضور ، ومعاني المشاهدة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أولُ التصوُّف علمٌ ، وأوسطه عملٌ ، وآخره موهبةٌ ، فالعلمُ يكشف عن المراد ، والعملُ يعينُ على الطلب ، والموهبةُ تُبلِغُ غايةَ الأمل .

وأهل التصوف علىٰ ثلاث طبقات : مُريدٌ طالب ، ومتوسِّطٌ طائر ، ومنتهٍ واصل ، فالمريدُ صاحبُ وقت ، والمتوسِّطُ صاحبُ حال ، والمنتهي صاحبُ يقين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أفضلُ الأشياء عندهم عدُّ الأنفاس :

فمقام المريد : المجاهداتُ والمكابدات ، وتجرُّعُ المرارات ، ومجانبةُ الحظوظ ، وكلُّ ما للنفس فيه منفعة .

---

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٠٤) ، و« بهجة الأسرار » (ص ٥١٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٤٧٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٧٣) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٤٤) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٩٨) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢٥٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٣٧) (٢٥٠) .

ومقامُ المتوسِّط : ركوبُ الأهوال في طلب المراد ، ومراعاةُ الصدقِ في الأحوال ، واستعمالُ الأدبِ في المقامات ، وهو مطالبٌ بآداب المنازل ، وهو صاحبُ تلوين ؛ لأنه يرتقي من حالٍ إلىٰ حال ، وهو في الزيادة .

ومقامُ المنتهي : الصحو والثباتُ ، وإجابةُ الحقِّ من حيث دعاه قد جاوز المقامات ، وهو في محلِّ التمكين ، لا تُغيِّرُهُ الأحوال ، ولا تؤثِّر فيه الأهوال ، قد استوىٰ في حالةِ الشدَّةِ والرخاء ، والمنعِ والعطاء ، والجفاءِ والوفاء ، أكلُه كجوعه ، ونومُهُ كسهره ، وقد فنيتْ حظوظُه ، وبقِيتْ حقوقُهُ ، ظاهرُهُ مع الخلق ، وباطنُهُ مع الحقِّ ، وكلُّ ذلك منقولٌ من أحوال النبيِّ صلى الله عليه وسلم) .

وكان إذا أجلسَ فقيراً في خلوةٍ يدخلُ عليه في كلِّ يومٍ يتفقَّدُ أحوالَه ، ويقول له : يردُ عليك الليلةَ كذا ، ويُكشفُ لك عن كذا ، وتَنالُ حالَ كذا ، وسيأتيك شخصٌ في صورةِ كذا ويقول لك كذا ، فاحذرْه ؛ فإنه شيطانٌ ، فيقعُ للفقير جميعُ ما أخبره به الشيخ .

سكن بغداد إلىٰ أن ماتَ بها **سنة ثلاثٍ وستين وخمس مئة** ، ودُفِنَ بمدرسته علىٰ شاطئ دجلة ، وقبرُهُ بها ظاهرٌ يُزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦٦) الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرِّفاعي رضي الله عنه[1]

منسوب إلىٰ بني رِفاعة ؛ قبيلةٍ من العرب ، وسكنَ أمَّ عَبيدة[2] بأرضِ البطائح[3] إلىٰ أن مات بها رحمه الله تعالىٰ .

---

(١) انظر « وفيان الأعيان » (١/ ١٧١) ، و« بهجة الأسرار » (ص ٥٢٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٧٧) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٨٣) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢١٨) ، وقد أفردت كتب لترجمته ؛ مثل : « قلائد الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر » لأبي الهدى الصيادي ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٢٨) (٢٤٩) .

(٢) **أم عَبيدة** : قرية قرب واسط جنوب العراق .

(٣) مرَّ التعريف بها (١/ ٤٧٦) .

وكانت انتهتْ إليه الرياسةُ في علوم الطريق ، وشرحِ أحوال القوم ، وكشفِ مُشكلات منازلاتهم .

وبه عُرف الأمرُ بتربية المريدين بالبطائح ، وتخرَّجَ بصحبته جماعةٌ كثيرة ، وتتلمذَ له خلائقُ لا يُحصون ، ورثاه المشايخ والعلماء .

وهو أحدُ من قهرَ أحواله ، ومَلَكَ أسرارَه .

وكانَ له كلامٌ عالٍ علىٰ لسانِ أهل الحقائق .

وهو الذي سُئل عن وصف الرجلِ المتمكِّنِ ، فقال : هو الذي لو نُصب له سنانٌ علىٰ أعلىٰ شاهق في الأرض ، وهبَّتِ الرياحُ الثمانية . . ما غيَّرته .

وكان رضي الله عنه يقول : (الكشفُ قوةٌ جاذبةٌ بخاصيَّتها نور عين البصيرة إلىٰ فيض الغيب ، فيتَّصلُ نورُها به اتِّصالَ الشعاعِ بالزجاجة الصافية حالَ مقابلتها المنبع إلىٰ فيضه ، ثم يتقاذف نوره مُنعكساً بضوئه علىٰ صفاء القلب ، ثم يترقَّىٰ ساطعاً إلىٰ عالم العقل ، فيتَّصلُ به اتِّصالاً معنوياً له أثرٌ في استفاضةِ نورِ العقل علىٰ ساحة القلب ، فيشرق نورُ العقل علىٰ إنسانِ عينِ السرِّ ، فيرىٰ ما خفي عن الأبصار موضعُهُ ، ودقَّ عن الأفهام تصوُّرُهُ ، واستترَ عن الأغيار مرآه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الزهدُ أساسُ الأحوال المرضية ، والمراتب السنية ، وهو أوَّلُ قدمِ القاصدين إلى الله عز وجل ، والمنقطعين إلى الله ، والرَّاضين عن الله ، والمتوكِّلين على الله ، فمن لم يُحكِم أساسَهُ في الزهد لم يصحَّ له شيءٌ ممَّا بعده) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الفقراءُ أشرافُ الناس ؛ لأنَّ الفقرَ لباسُ المرسلين ، وجلبابُ الصالحين ، وتاجُ المتَّقين ، وغنيمةُ العارفين ، ومنيةُ المريدين ، ورضا ربِّ العالمين ، وكرامةٌ لأهل ولايته) .

وكان يقول : (الأنسُ بالله لا يكونُ إلا لعبدٍ قد كملتْ طهارتُهُ ، وصفا ذكرُهُ ، واستوحشَ من كلِّ ما يَشغَلُه عن الله تعالىٰ ، فعند ذلك آنَسَهُ اللهُ تعالىٰ به ، وأراده بحقِّ حقائق الأنس ، فأخذه عن وجدِ طعم الخوف لما سواه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (المشاهدةُ حضورٌ بمعنىٰ قربٍ مَقرونٍ بعلمِ اليقين ، وحقائق حقِّ اليقين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (التوحيدُ وجدانُ تعظيمٍ في القلب ، يمنعُ من التعطيل والتشبيه) .

وكان يقول : (لسانُ الورع يدعو إلىٰ تركِ الآفات ، ولسانُ التعبُّدِ يدعو إلىٰ دوام الاجتهاد ، ولسانُ المحبَّةِ يدعو إلى الذوبان والهيمان ، ولسانُ المعرفة يدعو إلى الفناء والمحو ، ولسانُ التوحيد يدعو إلى الإثبات والحضور ، ومن أعرضَ عن الأعراض أدباً فهو الحكيمُ المتأدِّبُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو تكلَّمَ الرجلُ في الذات والصفات كان سكوتُهُ أفضلَ ، ومن خطا من قافٍ إلىٰ قاف كان جلوسُهُ أفضل)[1] .

وكان رضي الله عنه يقول : لما مررتُ وأنا صغيرٌ بالشيخِ العارف بالله تعالىٰ عبد الملك الخرنوبي . . أوصاني وقال لي : يا أحمد ؛ احفظْ ما أقولُ لك ، فقلتُ : نعم ، فقال رضي الله عنه : مُلتفتٌ لا يصل ، ومُتسلِّل لا يفلِحُ ، ومن لم يعرفْ من نفسهِ النقصانَ . . فكلُّ أوقاتِهِ نقصان ، فخرجتُ من عنده ، وجعلتُ أكرِّرُها سنةً ، ثم رجعتُ إليه ، فقلت له : أوصني ، فقال : ما أَقبحَ الجهلَ بالألبَّاء ، والعلةَ بالأطبَّاء ، والجفاءَ بالأحبَّاء ! ثم خرجتُ ، وجعلتُ أردِّدُها سنةً ، فانتفعتُ بموعظته .

وكان رضي الله عنه يقول : (أكرهُ للفقراء دخولَ الحمام ، وأحبُّ لجميع أصحابي الجوعَ ، والعُريَ ، والفقرَ ، والذلَّ ، والمسكنةَ ، وأفرحُ لهم إذا نزلَ بهم ذلك) .

وكان يقول : (الشفقةُ على الإخوان ممَّا يُقرِّبُ إلى الله تعالىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا جئتم ولم تجدوا عندي ما يأكلُهُ ذو كبدٍ فاسألوني الدعاء أَدعُ لكم ؛ فإني حينئذ لي أسوةٌ برسول الله صلى الله عليه وسلم) .

قال الشيخُ يعقوب رضي الله عنه خادمُه : نظر سيدي أحمدُ رضي الله عنه يوماً إلى

---

(١) **قاف** : زُعم أنه جبل يحيط بالدنيا ، وأن أصلهِ من زبرجدة خضراء ، بينه وبين السماء مقدار قامة رجل . « معجم البلدان » (١/ ٢٣) .

النخلة ، فقال لي : يا يعقوب ؛ انظر إلى النخلة ، لمَّا رفعتْ رأسَها جعلَ اللهُ تعالىٰ ثقلَ حملها عليها ، ولو حملتْ مهما حملتَ ، وانظرْ إلىٰ شجرةِ اليقطين ، لمَّا وضعتْ نفسَها وألقتْ خدَّها على الأرض جعلَ ثقلَ حملها علىٰ غيرها ، ولو حملتْ مهما حملت لا تحسُّ به .

وكان رضي الله عنه يقول : (الصدقةُ أفضلُ من العبادات البدنية والنوافل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أخوك الذي يحلُّ لك أكلُ ماله بغيرِ إذنه هو الذي تسكنُ نفسُك إليه ، ويستريحُ قلبُك فيه) .

وكان إذا رأىٰ علىٰ فقيرٍ جبَّةَ صوفٍ يقول له : (يا ولدي ؛ انظر بزيٍّ من تزيَّيْتَ ، وإلىٰ من قد انتسبتَ ! قد لبستَ لبسةَ الأنبياء ، وتحلَّيتَ بحلية الأتقياء ، هـٰذا زِيُّ العارفين ، فاسلكْ فيه مسالكَ المقرَّبين ، وإلا فانزعه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا صلحَ القلبُ صارَ مهبطَ الوحي والأسرار والأنوار والملائكة ، وإذا فسدَ صارَ مهبطَ الظُّلَمِ والشياطين ، وإذا صلحَ القلبُ أخبرك عما وراءك وأمامك ، ونبَّهك علىٰ أمورٍ لم تكنْ تعلمُها بشيءٍ دونه ، وإذا فسدَ حدَّثَك بباطلات يغيبُ معها الرشدُ ، وينتفي معها السعد) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من شرطِ الفقير أن يرىٰ كلَّ نَفَسٍ من أنفاسه أعزَّ من الكبريت الأحمر ، فيودع كلَّ نَفَسٍ أعزَّ ما يصلحُ له ، فلا يضيعُ له نَفَسٌ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (السفرُ للفقير يمزِّقُ دينه ، ويشتِّتُ شمله) .

وكان يقول لمن شاوره في التزويج ، (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « منْ تزوَّجَ للهِ كُفيَ ووُقيَ »)[1] .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لم ينتفعْ بأفعالي لم ينتفعْ بأقوالي) .

---

(١) لم أجده بلفظه ، وفي « سنن أبي داود » (٤٧٧٨) : « ومنْ زوَّجَ للهِ تعالىٰ توَّجهُ اللهُ تاجَ المُلكِ » وروى الترمذي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة حق على الله عونُهم : المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف » .

وكان يقول : (الأمر أعظمُ مما تظنُّون ، وأصعبُ مما تتوهَّمون) .

وكان يقول : (كلُّ أخٍ لا ينفعُ في الدنيا لا ينفعُ في الآخرة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا تعلَّمَ أحدُكم شيئاً من الخير فليعلِّمْه للناس . . يثمرْ له الخير) .

وكان يقول : (طريقُنا مبنيَّةٌ على ثلاثةِ أشياء : لا نسألُ ، ولا نردُّ ، ولا ندَّخرُ) .

وكان يقول : (**من علامةِ إقبالِ المريد** : ألا يُتعبَ شيخَهُ في تربيته ، بل يكونُ سميعاً مطيعاً للإشارة ، وأن يفتخرَ شيخُهُ به بين الفقراء ، لا أنه يفتخرُ هو بشيخه) .

وكان يقول : (الفقيرُ إنْ غضبَ لنفسه تعب ، وإن سلَّمَ الأمرَ لمولاه نصرَهُ من غيرِ عشيرةٍ ولا أهل) .

وكان يقول : (ما من ليلةٍ إلا وينزلُ فيها نثارٌ من السماء إلى الأرض ، يُفرَّقُ على المستيقظين) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ ما لي خيرةٌ إلا في الوحدة ، فيا ليتني لم أعرفْ أحداً ، ولم يعرفني أحد) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما نظرَ أحدٌ إلى الخلائقِ ، ووقفَ مع نظرهم في العباداتِ . . إلا سقطَ من عين الله عز وجل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من شرطِ الفقيرِ ألا يكونَ له نظرٌ في عيوب الناس) .

وكان يقول : (كم طيَّرَتْ طقطقةُ النِّعال حولِ الرِّحالِ من رأسٍ ! وكم أذهبتْ من دين !) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من تمشيخَ عليكم فتتلمذوا له ، فإن مدَّ يدَهُ لكم لتقبِّلوها فقبِّلوا رجلَهُ ، ومن تقدَّمَ عليكم فقدِّموه ، وكونوا آخرَ شعرةٍ في الذَّنَبِ ؛ فإنَّ الضربةَ أوَّلُ ما تقعُ في الرأس) .

وكان رضي الله عنه يقول : (وعدني ربي ألا أعبر عليه وعليَّ شيءٌ من لحم الدنيا) ، قال يعقوب الخادم : (ففنيَ لحمُه بأجمعِهِ قبل خروجهِ مِن الدنيا) .

وكان يقول : (إنَّ العبدَ إذا تمكَّنَ من الأحوال بلغَ محلَّ القُربِ من الله تعالىٰ ، وصارتْ همَّتُهُ خارقةً للسَّبع السماوات ، وصارتِ الأرضون كالخِلخال برجله ، وصار صفةً من صفاتِ الحقِّ جلَّ وعلا ، لا يُعجزُهُ شيءٌ ، وصار الحقُّ تعالىٰ يرضىٰ لرضاه ، ويسخطُ لسخطه) ، قال : (ويدلُّ لما قلناه : ما ورد في بعضِ الكتب الإلـٰهية : يقول الله عز وجل : يا بني آدم ؛ أطيعوني أُطعْكم ، واختاروني أخترْكم ، وارضوا عني أرضَ عنكم ، وأحبُّوني أحبَّكم ، وراقبوني أُراقبكم ، وأَجعلْكم تقولون للشيءِ كن فيكون ، يا بني آدم ؛ من حَصلتُ له حصلَ له كلُّ شيء ، ومن فتُّهُ فاتَهُ كلُّ شيء) .

قلت : وقوله : (وصار صفة من صفات الحقِّ تعالىٰ) . . لعله يُريد التخلُّقَ والاتِّصافَ بصفاته تعالىٰ ؛ من الحلم ، والصفحِ ، والكرم ؛ لأنَّه لا يصحُّ لأحدٍ أن يكونَ عينَ صفات الحقِّ ، فهو كقوله : « فبِي يَرَىٰ ، وبِي يسمعُ ، وبِي ينطِقُ »[1] وما أشبه ذلك ، والله تعالى أعلم .

وكان رضي الله عنه إذا صعِدَ المنبرَ أو الكرسيَّ لا يقومُ قائماً ، وإنَّما يتحدَّثُ قاعداً .

وكان يَسمعُ حديثَهُ البعيدُ مثلَ القريب ، حتىٰ إنَّ أهلَ القُرى التي حولَ أمِّ عَبيدة كانوا يجلسون علىٰ سطوحهم ، يسمعون صوتَه ، ويعرفون جميعَ ما يتحدَّثُ به ، حتىٰ كان الأطرشُ والأصمُّ إذا حضروا يفتحُ اللهُ أسماعهم لكلامه .

وكانت أشياخُ الطريق يحضرونه ، ويسمعون كلامه ، وكان أحدُهم يبسط حجره ، فإذا فرغَ سيدي أحمد رضي الله عنه ضمُّوا حجورَهم إلىٰ صدورهم ، وقصُّوا الحديثَ إذا رجعوا إلىٰ أصحابهم علىٰ جليَّتِهِ .

قلت : وهـٰذا يُشبه ما وقع لإبراهيمَ الخليلِ عليه الصلاة والسلام من النِّداء حين بنى البيتَ ، فإنَّه قال : يا ربِّ ؛ كيف أُسمعُ جميعَ الخلائق ؟! فأوحى الله تعالىٰ إليه :

---

(١) روى البخاري (٦٥٠٢) الحديث بلفظ : « كنتُ سمعَهُ الذي يسمعُ به ، وبصرَهُ الذي يبصرُ به ، ويدَهُ التي يبطشُ بها ، ورجلَهُ التي يمشي بها » ، وأشار الحافظ ابن حجر العسقلاني في « الفتح » (١١/ ٣٤٤) إلى الرواية المذكورة .

يا إبراهيم ، عليك النِّداءُ وعلينا البلاغ ، فنادىٰ إبراهيمُ بالحجِّ ، فأجابوه في الأصلاب من سائر أقطار الأرض البعيدة مثلَ القريب ، فالإبلاغُ من الله تعالىٰ لا من إبراهيم ؛ فإنَّ البشريةَ لا تقدرُ علىٰ ذلك ، والله تعالى أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا أرادَ اللهُ عز وجل أن يُرقِّي العبدَ إلىٰ مقامات الرجال . . يُكلِّفُهُ بأمرِ نفسِهِ أولاً ، فإذا أدَّبَ نفسَه ، واستقامتْ معه كلَّفَهُ بأهله ، فإن أحسنَ إليهم ، وأحسنَ عشرتهم كلَّفه بجيرانه ، وأهلِ محلَّته ، فإن هو أحسنَ إليهم وداراهم كلَّفه ببلده ، فإن هو أحسنَ إليهم وداراهم كلَّفه جهةً من البلاد ، فإن هو داراهم ، وأحسنَ عشرتهم ، وأصلحَ سريرتَهُ مع الله تعالىٰ . . كلَّفه ما بين السماءِ والأرض ؛ فإنَّ بينهنَّ خلقاً لا يعلمُهم إلا الله تعالىٰ ، ثم لا يزالُ يرتفعُ من سماءٍ إلىٰ سماء حتىٰ يصلَ إلىٰ محلِّ الغوثِ ، ثم ترتفعُ صفتُهُ إلىٰ أن تصيرَ صفةً من صفات الحقِّ تعالىٰ ، فأطلعه علىٰ غيبه حتىٰ لا تنبتَ شجرةٌ ، ولا تخضرَّ ورقةٌ إلا بنظره ، وهناك يتكلَّمُ عن الله تعالىٰ بكلامٍ لا تسعُهُ عقولُ الخلائق ؛ لأنَّه بحرٌ عميق ، غَرِقَ في ساحله خلقٌ كثير ، وذهب به إيمانُ جماعةٍ من العلماء والصلحاء فضلاً عن غيرهم) .

وكان رضي الله عنه يقول لولده صالح : (إنْ لم تعملْ بعملي فلستُ لك أباً ، ولا أنتَ لي ولداً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (اللهم ؛ اجعلنا ممَّن فرشوا علىٰ بابك لفرطِ ذلِّهم نواعم الخدود ، ونكَّسوا رؤوسَهم من الخجل ، وجباهَهُم للسجود ببركةِ صاحبِ اللواء المحمود ، آمين) .

وكان إذا جلسَ علىٰ جسمه بعوضةٌ لا يُطيِّرُها ، ولا يُمكِّنُ أحداً يُطيِّرُها ، ويقول : دعوها تشربْ من هـٰذا الدمِ الذي قسمَهُ الحقُّ تعالىٰ لها .

وكان إذا جلسَ علىٰ ثوبه جرادةٌ وهو مارٌّ في الشمس ، وجلستْ علىٰ محلِّ الظلِّ . . يمكثُ لها حتىٰ تطيرَ ، ويقول : إنَّها استظلَّتْ بنا .

وكان إذا نامَ علىٰ كمِّه هرَّةٌ ، وجاء وقتُ الصلاة يقطعُ كمَّه من تحتها ، ولا يُوقظُها ، فإذا جاءَ من الصلاة أخذَ كمَّه ، وخاطَه ببعضه .

ووجد رضي الله عنه مرَّةً كلباً أجربَ أخرجَهُ أهلُ أمِّ عَبيدة إلىٰ محلٍّ بعيد ، فخرج معه إلى البرية ، وضربَ عليه مظلَّةً ، وصار يَطليه بالدُّهن ، ويُطعمه ويسقيه ، ويحتُّ الجربَ منه بخرقةٍ ، فلما برئ حملَ له ماءً مُسخَّناً وغسله .

وكان قد كلَّفه اللهُ تعالىٰ بالنظرِ في أمر الدواب والحيوانات .

وكان رضي الله عنه إذا رأىٰ فقيراً يقتلُ قملةً أو برغوثاً .. يقول له : (لا واخذكَ الله ، شفيتَ غيظَك بقتلِ قملةٍ) .

وسمع مرَّةً رجلاً يقول : إنَّ لله تعالىٰ خمسةَ آلاف اسم ، فقال : قلْ إنَّ لله تعالىٰ أسماءً بعدد ما خلقَ من الرمال والأوراق وغيرها .

وكان رضي الله عنه يمشي إلى المجذومين والزمنىٰ ، يغسلُ ثيابهم ، ويُفلي رؤوسهم ولحاهم ، ويحملُ إليهم الطعام ، ويأكلُ معهم ، ويجالسُهم ويسألُهم الدعاءَ ؛ وكان رضي الله عنه يقول : الزيارةُ لمثلِ هؤلاء واجبةٌ لا مُستحبَّة .

ومرَّ يوماً علىٰ صبيان يلعبون ، فهربوا منه هيبةً له ، فتبعهم ، وصارَ يقول : (اجعلوني في حلٍّ فقد روَّعْتُكم ، ارجعوا إلىٰ ما كنتم عليه) .

ومرَّ يوماً علىٰ صبيان يتخاصمون ، فخلَّصَ بينهم ، وقال لواحدٍ منهم : ابنُ مَنْ أنت ؟ فقال له : وأيش فضولك ؟! فصار يردِّدُها ويقول : أدَّبتني يا ولدي ، جزاك الله خيراً .

وكان يبتدئ مَنْ لقيه بالسلام حتى الأنعام والكلاب .

وكان إذا رأىٰ خنزيراً يقول له : أنعم صباحاً ! فقيل له في ذلك ، فقال : أعوِّدُ نفسي الجميلَ .

وكان إذا سمع بمريضٍ في قريةٍ ـ ولو علىٰ بعدٍ ـ .. يمشي إليه يَعودُه ، ويرجعُ بعد يومٍ أو يومين .

وكان يخرجُ إلى الطريق ينتظرُ العميانَ ، حتىٰ إذا جاؤوا يأخذُ بأيديهم ويقودُهم .

وكان إذا رأىٰ شيخاً كبيراً يذهبُ إلىٰ أهلِ حارتِهِ ويُوصيهم عليه ، ويقول : قال

النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « منْ أكرمَ ذَا شَيبةٍ ـ يعني : مسلماً ـ سخَّرَ اللهُ لهُ منْ يُكرمُهُ عندَ شَيبتِهِ »[١] .

وكان إذا قدمَ من السفر ، وقَرُبَ من أُمِّ عَبيدة يشدُّ وسطَه ، ويُخرجُ حبلاً مدَّخراً معه ، ويجمعُ حطباً ، ثم يحملُهُ علىٰ رأسه ، فإذا فعلَ ذلك فعلَ الفقراء كلُّهم مثله ، فإذا دخلَ البلدَ فرَّقَ الحطبَ على الأرامل ، والمساكين ، والزمنىٰ ، والمرضىٰ ، والعميان ، والمشايخ .

وكان رضي الله عنه لا يُجازي قطُّ بالسيئة السيئة .

وكان إذا تجلَّى الحقُّ تعالىٰ عليه بالتعظيم يذوبُ حتَّىٰ يكونَ بقعةَ ماءٍ ، ثم يتداركُهُ اللُّطفُ فيصير يجمدُ شيئاً فشيئاً حتىٰ يُردَّ إلىٰ جسمه المعتاد ، ويقول : لولا لطفُ الله تعالىٰ بي ما رجعتُ إليكم .

ولقيه مرَّةً جماعةٌ من الفقراء ، فسبُّوه ، وقالوا له : يا أعور الرجال ؛ يا مَنْ يستحلُّ المحرَّمات ، يا من يبدِّلُ القرآن ، يا ملحد ، يا كلب ، فكشف سيدي أحمد رضي الله عنه رأسَه ، وقبَّل الأرض ، وقال : يا أسيادي ؛ اجعلوا عُبيدَكم في حلٍّ ، وصار يُقبِّلُ أيديَهم وأرجلَهم ، ويقول : ارضوا عنِّي ، وحلمُكم يسعني ، فلما أعجزَهم قالوا : ما رأينا قطُّ فقيراً مثلَكَ تحمل منَّا هـٰذا الشَّتمَ كلَّه ولا تتغيَّرُ ! فقال : هـٰذا ببركتكم ونفحاتكم ، ثم التفتَ إلىٰ أصحابه ، وقال : ما كان إلا الخير ، أرحناهم من كلامٍ كان مكتوماً عندهم ، وكنَّا نحن أحقَّ بهم من غيرنا ، فربَّما لو وقعَ منهم ذلك لغيرِنا ما كان يحملُهم .

وأرسل إليه الشيخُ إبراهيمُ البُستي كتاباً يحطُّ عليه فيه ، فقال سيدي أحمد رضي الله عنه للرسول : اقرأْهُ لي ، فقرأه ، فإذا فيه : أي أعور الرجال ؛ أي مبتدع ، يا من جمعَ بين الرجال والنساء ، حتىٰ ذكر : الكلبَ بنَ الكلب ، وذكر أشياءَ تغيظُ ، فلما فرغَ الرَّسولُ من قراءة الكتاب أخذه سيدي أحمد رضي الله عنه ، وقرأه ، وقال : صدقَ فيما

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » (٢٠٢٢) بلفظ : « ما أكرمَ شابٌّ شيخاً لسنِّهِ إلا قيَّضَ اللهُ له من يُكرمُهُ عند سنِّهِ » من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

قال ، جزاهُ اللهُ عنِّي خيراً ، ثم أنشد : [من الطويل]

فلستُ أُبالِي منْ رمانِي برِيبةٍ إذا كنتُ عندَ اللهِ غيرَ مُرِيبِ

ثم قال للرسول : اكتبْ الجوابَ إليه : من هٰذا اللاش حُميد إلىٰ سيدي الشيخ إبراهيم البُستي رضي الله عنه ، أمَّا قولُك الذي ذكرتَهُ فإنَّ الله تعالىٰ خلقَني كما يشاء ، وأسكنَ فيَّ ما يشاء ، وإني أُريدُ من صدقاتك أن تدعو لي ، ولا تُخلِّيني من جميل فضلك وحلمك ، فلما وصلَ الكتابُ إلى البُستي هام علىٰ وجهه ، فما عرفوا إلىٰ أين ذهب .

وكان رضي الله عنه إذا علمَ أن الفقراءَ يُريدون أن يضربوا أحداً من إخوانهم لزلَّةٍ وقعتْ منه . . يستعيرُ منه ثيابَهُ ، ويلبسُها ، وينامُ في موضعه ، فيضربونه ، فإذا فرغوا من ضربه ، واشتفوا منه يكشفُ لهم وجهه ، فيُغشىٰ عليهم ، فيقول لهم : ما كان إلا الخير ، كسبتمونا الأجرَ والثواب ، فيقول بعضُ الفقراء لبعضهم : تعلَّموا هٰذه الأخلاقَ الرضيةَ .

وقال رضي الله عنه لأصحابه يوماً : من رأىٰ في حُميدٍ منكم عيباً فليُعلمْه به ، فقام شخصٌ ، فقال : يا سيدي ، فيك عيبٌ عظيم ، فقال : وما هو يا أخي ؟ فقال : كون مثلنا من أصحابك ، فبكى الفقراء ، وعلا نحيبُهم ، وبكىٰ سيدي أحمدُ معهم ، وقال : أنا خادمُكم ، أنا دونكم .

وكان لسيدي أحمد شخصٌ يُنكر عليه ويَنقُصُهُ في نواحي أمِّ عَبيدة ، فكان كلَّما لقي فقيراً من جماعةِ سيدي أحمد رضي الله عنه يقول : خذْ هٰذا الكتابَ إلىٰ شيخك ، فيفتحه سيدي أحمدُ ، فيجد فيه : أي ملحد ، أي باطني ، أي زنديق ، وأمثال ذلك من الكلامِ القبيح ، ثم يقول سيدي أحمد رضي الله عنه : صدقَ من أعطاك هٰذا الكتاب ، ثم يُعطي الرسولَ دُريهماتٍ ، ويقول : جزاكَ الله عنِّي خيراً ، كنتَ سبباً لحصول الثواب .

فلمَّا طالَ الأمرُ علىٰ ذلك الرجل وعجزَ عن سيدي أحمد مضىٰ إليه ، فلما قربَ من أمِّ عَبيدة كشفَ رأسه ، وأخذَ مئزرَهُ ، وجعله في وسطه ، وأمسَكَهُ إنسانٌ ، وصار يقودُهُ

حتىٰ دخلَ علىٰ سيدي أحمد ، فقال : ما أحوجك يا أخي إلىٰ هـٰذا ؟! فقال : فِعْلي ، فقال له سيدي أحمد رضي الله عنه : ما كانَ إلا الخير يا أخي ، ثم طلبَ منه أخذَ العهد عليه ، فأخذه عليه ، وصارَ من جملة أصحابه إلىٰ أن مات .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا قمتُ إلى الصلاة كأنَّ سيفَ القهر يجذب في وجهي) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يحصلُ للعبد صفاءُ الصدر حتىٰ لا يبقىٰ فيه شيءٌ من الخبثِ ، لا لعدوٍّ ولا لصديقٍ ، ولا لأحدٍ من خلق الله عز وجل ، وهناك تستأنس الوحوشُ بك في غياضِها ، والطيرُ في أوكارها ، ولا تنفرُ منك ، ويتَّضحُ لك سرُّ الحاء والميم) .

وقال له شخصٌ من تلامذته : يا سيدي ؛ أنت القطب ؟ فقال : نزِّهْ شيخَك عن القطبية ، فقال له : أنتَ الغوث ؟ فقال له : نزِّه شيخك عن الغوثية .

قلت : وفي هـٰذا دليلٌ علىٰ أنَّه تعدَّى المقامات والأطوار ؛ لأنَّ القطبية والغوثية مقامٌ معلوم ، ومن كان مع الله وبالله فلا يُعلمُ له مقامٌ ، وإنْ كان له في كلِّ مقامٍ مقام ، والله أعلم .

قال يعقوب الخادم رضي الله عنه : ولمَّا مرضَ سيدي أحمد رضي الله عنه مرضَ الموت . . قلتُ له : تُجلى العروسُ في هـٰذه المرة ؟ قال : نعم ، فقلتُ له : لماذا ؟ فقال : جَرَتْ أمورٌ اشتريناها بالأرواح ، وذلك أنَّه أقبلَ على الخلقِ بلاءٌ عظيم ، فتحمَّلْتُهُ عنهم[١] ، وشريتُه بما بقي من عمري ، فباعني .

وكان يمرِّغُ وجهَهُ وشيبتَهُ في التراب ويبكي ويقول : العفوَ العفوَ ، ويقول : اللهم ؛ اجعلني سقفَ البلاء علىٰ هـٰؤلاء الخلقِ .

وكان مرضُ الشيخ رضي الله عنه بالبطن ، فكان يخرجُ منه في كلِّ يومٍ ما شاء الله ، فبقي في المرضُ شهراً ، فقيل له : من أين لك هـٰذا كله ، ولك عشرون يوماً لم تأكلْ ،

(١) **تحملت المرض** : نقلت المرض من المصاب إليَّ ، وكذلك البلاء .

ولم تشرب ؟! فقال : يا أخي ، هـٰذا اللحمُ يندفعُ ويخرج ، ولـٰكن قد ذهبَ اللحم ، وما بقي إلا المخُّ ، اليوم يخرجُ ، وغداً نعبرُ على الله تعالىٰ ، فخرج منه شيءٌ أبيضُ مرَّتين أو ثلاثاً ، وانقطعَ ، **ثم تُوفِّي يومَ الخميس وقتَ الظُّهر ثاني عشر جُمادى الأولىٰ سنة سبعين وخمس مئة** ، وكان يوماً مشهوداً .

وكان آخرُ كلمةٍ قالها : (أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأشهدُ أن محمَّداً رسولُ الله) .

ودُفِنَ في قبر الشيخ يحيى النجار .

وكان شافعيَّ المذهب ، قرأ كتاب « التنبيه » للشيخ أبي إسحاق الشِّيرازي[١] .

وما تصدَّرَ قطُّ في مجلسٍ ، ولا جلسَ علىٰ سجَّادةٍ تواضعاً .

وكان لا يتكلَّمُ إلا يسيراً ، ويقول : أُمرتُ بالسُّكوت ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦٧) الشيخ علي بنُ الهِيتي رضي الله عنه[٢]

هو من أكابر مشايخ العراق ، وأعيان العارفين .

وهو أحدُ من نسب إلى القطبية العظمىٰ .

وكانت عنده الخرقتان اللتان ألبسَهُما أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأبي بكر بن هُوَّارا في النوم واستيقظ فوجدَهما عليه ، وهما ثوبٌ وطاقية وكان أعطاهما ابنُ هُوَّارا للشَّنْبَكي ، وأعطاهما الشَّنْبَكيُّ للشيخ تاجِ العارفين أبي الوفاء ، وأعطاهما تاجُ العارفين للشيخ علي بن الهِيتي ، وأعطاهما ابنُ الهيتي للشيخ علي بنِ إدريس ، ثم فُقدتا .

ومكث رضي الله عنه ثمانين سنةً ليسَ له خلوةٌ ولا معزل ، بل ينامُ بين الفقراء ؛ وذلك لأنَّ فتحَهُ أتاه من طريق الوهب .

---

(١) كتاب « التنبيه » في فروع الشافعية : لإبراهيم بن علي الشيرازي ، المتوفىٰ سنة (٤٧٦هـ) ، وهو أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة بين الشافعية . « كشف الظنون » (١/ ٤٨٩) .

(٢) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣٢٩) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٥٢) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٩٠) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢٧٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٩٧) (٢٦٧) .

وكان الشيخ عبد القادر رضي الله عنه يقول لمَّا دخل بغداد : (كلُّ من دخلَ بغداد من الأولياء في عالم الغيب والشهادة . . فهو في ضيافتنا ، ونحن في ضيافة الشيخِ علي بنِ الهِيتي) .

وكان الشيخ عبدُ القادر يقول : (انفتقَ رتقُ قلبِ علي بنِ الهيتي وهو ابنُ سبع سنين ، فكان يُخبرُ عن المغيَّبات ، وتظهرُ علىٰ يديه الكراماتُ ، وأجمعتِ العلماءُ علىٰ جلالته وعلوِّ منصبه) ، رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الشريعةُ ما ورد به التكليفُ ، والحقيقةُ ما حصل به التعريفُ ؛ فالشريعة مؤيَّدة بالحقيقةِ ، والحقيقةُ مقيَّدةٌ بالشريعة ، والشريعةُ وجودُ الأفعال لله ، والقيامُ بشروطِ العلم بواسطةِ الرُّسل ، والحقيقةُ شهودُ الأحوال بالله تعالىٰ ، والاستسلامُ لغلبات الحكم بتقديرٍ لا بواسطة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما دامَ التمييزُ باقياً كان التكليفُ متوجِّهاً) .

وكان يقول : (**علامةُ صحَّةِ الحال** : أن يكونَ صاحبُهُ محفوظاً في أحوالِ غلبته كما كان مَغلوباً في أوقاتِ صحوه) .

وكان يقول : (الأحوالُ كالبروق لا يُمكنُ استجلابُها إذا لم تكن ، ولا استبقاؤها إذا حصلتْ ، إلا أنْ يجعلَ بعض الأحوال غذاء لأحدٍ ، فيربِّيه الحقُّ فيه ، فيصير وطاءً له ومثوىً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الحقُّ تعالىٰ وراءَ كلِّ ما أدركَهُ الخلقُ بأفهامهم ، أو أحاطوا به بعلومهم ، أو أشرفوا عليه بمعارفهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلُّ من كُوشِفَ بشيءٍ فهو علىٰ قدر قوَّته وضعفه رُبطَ به) .

وكان يقول : (كلُّ من كُوشِفَ بالحقيقة أو شاهد الحقَّ أو اختُطف عن شاهده بوجود الحقِّ ، أو استُهلك في عين الجمع ، أو لم يشهدْ سوى الحقِّ تعالىٰ ، أو لم يحسَّ سوى الحقِّ ، أو هو محوٌ في حقِّ الحق ، أو مُصطلمٌ فيه بسلطان الحقيقة ، أو متجلٍّ له الحقُّ بجلال الحقِّ ، إلىٰ آخر ما يُعبَّرَ عنه معبِّرٌ ، أو يُشير إليه مُشيرٌ ، أو ينتهي

إليه علمٌ . . فإنَّما هي شواهدُ الحق ، وحقٌّ من الحقِّ له ، وكلُّ ما بدا على الخلقِ فذاك مما يليقُ بالخلقِ ، وهو من حيث الخلقِ[1] ، وجميعُ ما تحقَّق بوصفه خلقٌ فهي أحوالٌ ، والأحوالُ من صفات أهلِ المعرفة ، ولا سبيلَ لمخلوقٍ إلا إلى الأحوال ، والغيبة عن الأحوال ، والتنقي عن الأحوال حالةٌ من جملة الأحوال ، والتوحيدُ فوق المعارف) .

وكان رضي الله عنه يتمثَّلُ كثيراً بهٰذه الأبيات : [من البسيط]

إنْ رُحـتُ أطلُبُـهُ لا ينقضِـي سفـرِي ... أوْ جئتُ أحضُرُهُ أُوحِشتُ فِي الحَضرِ
فمــا أَراهُ ولا ينفــكُّ عــنْ نظــرِي ... وفِي ضميرِي ، ولا ألقاهُ فِي عمُرِي
فليتنِـي غبـتُ عـنْ جسمِـي بـرؤيتِـهِ ... وعنْ فؤادِي وعنْ سمعِي وعنْ بصرِي

سكن رضي الله عنه زَرِيران[2] ـ بلدةً من أعمال نهْرِ الملك[3] ـ إلىٰ أن **مات بها سنة أربعٍ وستين وخمس مئة** ، وقد غلبت سنُّهُ علىٰ مئةٍ وعشرين سنة ، وبها دُفِنَ ، وقبرُه بها ظاهرٌ يزار .

وزَرِيْران : علىٰ وزن قَفِيزان .

ومنهم :

(٢٦٨) الشيخ عبد الرحمٰن الطَّفْسُونجي رضي الله عنه[4]

هو من أكابرِ مشايخ العراق ، وأعيانِ العارفين ، وصدورِ المقرَّبين ، صاحبُ الأحوال الفاخرة ، والكراماتِ الظاهرة ، والتصريفِ النافذ .

---

(١) في « بهجة الأسرار » (ص ٣٣٢) : (الحقِّ) بدل (الخلق) .

(٢) قال الشطنوفي في « بهجة الأسرار » (ص ٣٣٦) : **زريران** : بزاي وبعدها راء مهملة مكسورة ، وياء ، وبعدها راء مهملة ، وألف ونون ، علىٰ وزن قَفِيزان .

(٣) **نهر الملك** : كورة واسعة ببغداد ، يقال : إنه يشتمل علىٰ ثلاث مئة وستين قرية ، علىٰ عدد أيام السنة . « معجم البلدان » (٥/ ٣٢٤) .

(٤) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣٣٧) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٥٥) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١٠٤) ، و« نفحات الأنس » (ص ٦٨٧) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ٤١٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٩٩) (٢٦٨) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أنا بين الأولياء كالكُرْكيِّ بين الطيور ، أطولُهم عنقاً) .

وكان رضي الله عنه يتكلَّمُ في الشريعة والحقيقة بطَفْسُونج[١] علىٰ كرسيٍّ عالٍ ، ويحضرُهُ المشايخ والعلماء ، ويلبسُ لباسَ العلماء ، ويركبُ البغلةَ .

ومن كلامه رضي الله عنه : (المراقبةُ لعبدٍ راقب الحقَّ بالحق ، وتابعَ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم في أفعالِهِ وأخلاقه وآدابه ، والله عز وجل قد خصَّ أحبابه ، وخاصَّتَهُ بألا يَكِلَهم في شيءٍ من أحوالهم إلىٰ نفوسهم ، ولا إلىٰ غيره ، فهم يُراقبون الله تعالىٰ ، ويَسألونَه أن يرعاهم فيها ، والمراقبةُ تقتضي حالَ القُرب ، واللهُ عز وجل قرَّبَ القلوبَ إليه بما هو قريبٌ منها ، فهو يَقْرُبُ من قلوب عباده علىٰ حسبِ ما يرىٰ من قُربِ قلوبِ عباده منه ، فانظر بماذا يقربُ من قلبك ؟ وحالُ القرب يقتضي حالَ المحبة ، وهي تتولَّدُ من نظرِ القلب إلىٰ الله عز وجل ، وجلالهِ ، وعظمتهِ ، وعلمه ، وقدرته .

فطوبىٰ لمن شربَ كأساً من محبَّتِهِ ، وذاق نعيماً من مُناجاته ، فامتلأ قلبُه حبّاً ، فطار بالله طرباً ، وهام به اشتياقاً[٢] ليس له سكن ولا مألوف سواه ، فهو محبٌّ خرجَ من رؤية المحبَّةِ إلىٰ رؤية المحبوب بفناءِ علم المحبَّة من حيث كان له المحبوب في الغيب ، ولم يكن هو بالمحبَّة ، فإذا خرجَ المحبُّ إلىٰ هـٰذه النسبة كان محباً بلا علَّةٍ ، والمحبَّةُ تقتضي الذِّكرَ ، فلا يزالُ المحبُّ يذكرُ ربَّه ، ويدخلُ الخلل في ذكره لنفسِهِ حتىٰ يصيرَ الغالبَ عليه ذكرُ ربِّه ، وصار كالغافلِ عن نفسه ، ثم يغفلُ عن ذهوله عن نفسه ، وينسىٰ باستيلاءِ ذكرِ ربِّه جميعَ الإحساس ، فيُقال : اندرجَ في رؤية مذكوره ، ويُقال : فني عن نفسه ، ويُقال : بقي بربِّه ، ويُقال : فني عن فنائه ؛ أي : غفلَ عن ذكرِ غفلته عن نفسِهِ باستيلاء ذكر ربِّه عليه ، وصار ليسَ يشهدُ غيره ، وها هنا يكون مُصطلماً عن شاهده ، مختطفاً عن نفسه ، ممحوّاً عن جملته ، فانياً عن كلِّه ،

---

(١) في « معجم البلدان » (٤/٣٥) : (طَسْفُونَج : قرية كبيرة في شرقي دجلة ، بين بغداد وواسط) .

(٢) زاد في « خلاصة المفاخر » (ص ٥٦) : (فيا له من واثق أَنسٍ بربِّه ، كلف دنفٍ بحبِّه) .

وما دامَ هٰذا الوصفُ باقياً فلا تمييزَ ، ولا إخلاصَ ، ولا صدق ، وهٰذا جمعُ الجمع ، وعينُ الوجود ، وهٰذا هو الوصولُ الذي يردُّ إلىٰ أحوالِ التمييز والتكليف ، فيحجبُ عن هٰذا الوصف بنوعِ سترٍ ، ليفوزَ بحقِّ الشرع[1] ، والمغاليط ها هنا كثيرةٌ ، والمحفوظُ من رجعَ إلىٰ أداءِ أحكام الشريعة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من اشتغلَ بطلبِ الدنيا ابتُلي بالذلِّ فيها ، ومَنْ تعامىٰ عن نقائصِ نفسه طغىٰ وبغىٰ ، ومن تزيَّنَ بباطلٍ فهو مغرور) .

وكان يقول : (أنفعُ العلوم العلمُ بأحكام العبودية ، وأرفعُ العلوم علمُ التوحيد) .

وكان يقول : (لا يضرُّ مع التواضع بطالةٌ إذا قام بالواجبات والسُّنن ، ولا ينتجُ مع الكِبْرِ عملٌ مَندوبٌ ، ولا علمٌ مطلوب) .

وكان يقول : (إذا أقامَك ثبتَّ ، وإذا قمتَ بنفسِك سقطتَ) .

سكن رضي الله عنه طَفْسُونج ؛ بلدةً بأرض العراق ، وبها مات مُسنّاً ، وقبرُهُ بها ظاهرٌ يُزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦٩) الشيخ بقاء بن بطُّو رضي الله عنه[2]

هو من أعيان مشايخ العراق ، وأكابرِ الصدِّيقين ، صاحبُ الأحوال النفيسة ، والمقاماتِ الجليلة ، والكراماتِ الباهرة .

وكان الشيخُ عبدُ القادر الجِيلي رضي الله عنه يُثني عليه كثيراً ، ويقول : (كلُّ المشايخ أُعطوا بالكيل إلا الشيخَ بقاءَ بنَ بطُّو فإنه أُعطي جزافاً) .

انتهىٰ إليه علمُ الأحوال ، وكشف موارد الصادرين بنهر الملك وما يليه .

وتلمذَ له خلائقُ كثيرة من الصُّلحاء ، والعلماء ، وقُصِدَ بالزيارات والنذورات .

---

(١) في « بهجة الأسرار » (ص ٣٣٩) : (ليقوم) بدل (ليفوز) .

(٢) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣٤٣) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٥٨) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١٠٥) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢٣٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٩٩) (٢٦٩) .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الفقر تجرُّدُ القلبِ عن العلائق ، واستقلالُهُ بالله سبحانه وتعالىٰ وحده ؛ والتخلِّي من الأملاك أحدُ أوصافِ الفقر ؛ لأنَّها شواغلُ وقواطعُ لكلِّ عبدٍ سكنَ بقلبه إليها ، وعلامةُ صحة التجرُّدِ عن الأملاك ألا يتغيَّرَ عليه الحالُ بوجودِ الأسباب وعدمِها لا في القوَّةِ ولا في الضعف ، ولا في السكون ولا في الانزعاج ، ولا تؤثِّرُ فيه المهالك ، فإذا كان كذلك فهو فقيرٌ لا يأسرُهُ رِقُّ الأسباب ، ولا يهزُّه وجودُها ، ولا يستفزُّهُ عدمُها ، فإنْ مَلَكَ فكأنْ لم يملك ، وإن لم يَمْلكَ فكأنْ مَلَكَ ، فلا يرىٰ لنفسهِ في الدنيا والآخرة مقاماً ، ولا قدراً ، وكما لا يَرىٰ لا يَطلب ، وكما لا يَطلب لا يتمنىٰ ، فهو مشتغلٌ به ، واقفٌ بلا طمعٍ ، لا يسقطُ بالردِّ ، ولا ينهضُ بالقبول ، ولا يعتقدُ أنَّ طريقتَهُ أفضلُ من غيرها ، وهو موقفٌ رفيع ، والأمرُ فيه دقيق ، وما لم يصلِ العبدُ إلىٰ ربِّه عز وجل لا يصلُ إلىٰ حقيقة هـٰذا الوصف) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الفقرُ وصفُ كلِّ مُستغنٍ عن غيره ، ولا يكونُ العبدُ صادقاً في فقره حتىٰ يخرجَ عن فقرِهِ بانتفاءِ شهوده لفقره) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أنصفِ الناسَ من نفسك ، واقبلِ النَّصيحةَ ممَّن دونك . . تدركْ شرف المنازل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لم يجدْ من نفسه زاجراً فقلبُهُ خراب) .

وكان يقول : (من لم يستغنِ بالله علىٰ نفسِه صرعتْهُ) .

وكان يقول : (من لم يقمْ بآدابِ أهلِ البداية كيف يستقيمُ له مقامُ أهل النهاية ؟!) .

وزاره ثلاثةٌ من الفقهاء ، فصلوا خلفَه العشاءَ ، فلم يقمِ القراءةَ كما يُريد الفقهاء ، فساء ظنُّهم به ، وباتوا في زاويتِهِ ، فأَجنبوا ثلاثتُهم ، وخرجوا إلىٰ نهرٍ علىٰ باب الزاوية ، فنزلوا فيه يَغتسلون ، فجاء أسدٌ عظيمُ الخلقة ، وبركَ علىٰ ثيابهم ، وكانت ليلةَ شديدةَ البرد ، فأيقنوا بالهلاك ، فخرجَ الشيخُ من الزاوية ، فجاءَ الأسدُ ، وتمرَّغَ علىٰ رجليه ، فاستغفروا اللهَ وتابوا[1] .

---

(١) تقدَّمت مثل هـٰذه القصة مع أبي الخير التيناتي (١/ ٤٠٥) ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص٧١٤) .

سكن رضي الله عنه بابَ نُوْس قريةً من قرىٰ نهر الملك ، وبها تُوفي قريباً من سنة ثلاثة وخمسين وخمس مئة ، وقبرُهُ بها ظاهرٌ يُزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٧٠) الشيخ أبو سعيد القِيْلُوي رضي الله عنه[١]

هو من أكابر العارفين ، والأئمة المحققِّين ، صاحبُ الأنفاس الصادقة ، والأفعالِ الخارقة ، والكراماتِ ، والمعارف .

وكان يُفتي ببلده وما حولها ، وكان يتكلم بقِيْلُوية علىٰ علوم الشرائع ، والحقائق علىٰ كرسيٍّ عالٍ[٢] ، وقُصِدَ بالزيارات من سائر أقطار الأرض .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من شرطِ الفقير ألا يملكَ شيئاً ، ولا يَملكَهُ شيءٌ ، وأن يصفو قلبُهُ من كلِّ دنسٍ ، ويسلمَ صدرُهُ لكلِّ أحدٍ ، وتسمحَ نفسُه بالبذل والإيثار) .

وكان رضي الله عنه يقول : (التصوُّفُ : التبرِّي مما دون الحقِّ كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٧٧]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يكملُ الصوفيُّ حتىٰ يستترَ عن الخلق بلوائح الوجد) .

وكان يقول : (التوحيدُ غضُّ الطَّرفِ عن الأكوان بمشاهدة مكوِّنِها سبحانه وتعالىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (العارفُ وحدانيُّ الذات ، لا يقبلُهُ أحدٌ ، ولا يَقبلُ أحداً) .

وكان الخَضِرُ عليه السلام يأتيه كثيراً .

---

(١) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣٤٨) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٦٢) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١٠٦) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ١٣٦) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٠٠) (٢٧٠) .

(٢) **قِيْلُوية** : قرية بقرب نهر الملك في بغداد . « معجم البلدان » (٤/ ٤٢٣) .

سكن رضي الله عنه قِيْلُوية من قُرىٰ نهر الملك ، قريبةً من بغداد ، **وبها مات قريباً من سنةِ سبعٍ وخمسين وخمس مئة** ، وقبرُهُ بها ظاهرٌ يُزار .

وكان يلبسُ لباسَ العلماء ، ويتطيلسُ ، ويركبُ البغلةَ .

ودُعيَ مرَّةً إلىٰ طعامٍ هو وأصحابه ، فمنعهم من أكلِ ذلك الطعام ، وأكلَهُ وحدَه ، فلما خرجوا قال لهم : إنَّما منعتكم من أكلِهِ ؛ لأنَّه كان حراماً ، ثم تنفَّسَ ، فخرجَ من أنفه دخانٌ أسودُ عظيمٌ كالعمود ، وتصاعد في الجوِّ حتىٰ غاب عن أبصارِ الناس ، ثم خرجَ من فمه عمودُ نارٍ ، وصعِدَ إلى الجوَّ حتىٰ غاب عن النظر ، ثم قال : هٰذا الذي رأيتموه هو الطعامُ الذي أكلتُهُ عنكم ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٧١) الشيخ مطر البَاذرائي رضي الله عنه[1]

هو من أجلِّ مشايخ العراق[2] ، وسادات العارفين .

أجمعَ العلماء رضي الله عنهم علىٰ جلالته ، وزهده ، ومهابته .

وكان شيخُهُ تاجُ العارفين أبو الوفا يقول : (الشيخُ مطر وارثُ حالي ومالي) .

وكان من أخصِّ خدَّامه ، وكان الغالبُ عليه حالةَ السكر .

ومن كلامه رضي الله عنه : (**لذَّةُ النفوس** في مناجاة القدُّوس .

ولذَّةُ القلوبِ في مزامير أُنسٍ ، تطربُ في مقاصيرِ قدسٍ ، بألحانِ توحيد ، في رياض تمجيد ، بمطربات المعاني ، من تلك المثاني ، الرافعة لأربابِها في مدارج الأماني إلىٰ مقعد صدق عند مليك مقتدر .

ولذَّةُ الأرواح الشربُ بكأس المحبّة من أيدي عرائسِ الفتح اللَّدنِّي في خلوة الوصلِ علىٰ بساط المشاهدة ، والهيامُ بين عالم الكون في نورِ العزَّةِ ، وقراءة ما كُتب علىٰ

---

(١) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣٥٣) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٦٥) (الباذراني) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١٠٧) ، و« طبقات المناوي » (٢/٣٠٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٠١) (٢٧١) .

(٢) في (ح) وحدها : (العراقين) ، وفي (ج) : (بغداد) .

صفحاتِ ألواح نسماتِ ذرّات الوجود بقلم التوحيد ﴿ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [سبأ : ٢٧] .

ولذَّةُ الأسرار : مُطالعةُ نسيم الحياة الدائمة ، والوصولُ إلىٰ حقائق الغيوبِ بضمائر القلوب ، والمعاينةُ بالأفكار لسائر الأسرار .

ولذَّةُ العقول : ملاحظةُ أسرار الملكوت الخفية عن الأبصار بالسرائر المحيطة بالأفكار ، فتعاينُ القلوبُ حقائقَ الغيوب ، وتصحبُهُ قبولُ شواهدِ الأسرار ، فتلج الضمائرُ بحارَ الأفكار ، وتطمئنُّ النفوسُ إلىٰ ما لحقتْ به من العالم المحجوب ، فكلما كشفتْ عن الغيوبِ أذيال دلالتها علىٰ إتقانِ صنعٍ ، وأبدعِ فطرةٍ . . قابلتها من العقول هيبةٌ وفكرة ، ويخرجُ الاعتبارُ من القلب ، فإذا كان القلبُ طاهراً بعد الاعتبار بالشواهد ، وسَمَتْ به الهمَّةُ ، ورقي به الفكرُ ، ولم يمنعْهُ مانعٌ ، فالفكرُ طريقٌ إلى الحقِّ ، ودليلٌ على الصدق ، والفكرُ أصلُ ثمرته المعرفةُ ، والمعرفةُ ثمرةٌ طعمُها العمل ، ولذَّتُها الإخلاص ، والإخلاصُ لذَّةٌ غايتُهُ النَّعيمُ ، والنعيمُ غايةٌ ليس لها انقضاء) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أيدي العقولِ تُمسك أعنَّةَ النفوس ، والنفسُ مسخَّرَةٌ للعقل ، والعقلُ يستمدُّ من الأنوار الإلـٰهية ، وعنه تصدرُ الحكمةُ التي هي رأسُ العلوم ، وميزانُ العدل ، ولسانُ الإيمان ، وعينُ البيان ، وروضةُ الأرواح ، ونورُ الأشباح ، وميزانُ الحقائق ، وأُنسُ المستوحشين ، ومتجرُ الراغبين ، ومنيةُ المشتاقين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الحكمةُ إصابةُ الحقِّ ، فإذا وردتْ على القلبِ دلَّتْ علىٰ مكامنِ الهوىٰ ، وجلتْ أصديةَ القلوب ، وأماتتْ عيوبَ البواطن) .

وكان رضي الله عنه من الأكراد ، وسكنَ باذراء قريةً من أعمال اللحف بأرض العراق ، وبها مات ، وقبرُهُ بها ظاهرٌ يُزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٧٢) الشيخ أبو محمد ماجد الكردي رضي الله عنه[١]

هو من أعيان مشايخ العارفين ، وصدورِ المقرَّبين ، وأئمةِ المحقِّقين ، وانعقدَ عليه إجماعُ المشايخ بالاحترام والتعظيم .

ومن كلامه رضي الله عنه : (قلوبُ المشتاقين منوَّرةٌ بنور الله عز وجل ، وإذا تحرَّكَ فيها الاشتياقُ أضاءَ نورُهُ ما بين السماء والأرض ، فيباهي اللهُ عز وجل بهم الملائكةَ ، ويقول : أُشهدكم أنَّني إليهم أَشوقُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من اشتاقَ إلىٰ ربِّه أَنِسَ ، ومن أَنِسَ طربَ ، ومن طربَ قرُبَ ، ومن قربَ سار ، ومَنْ سارَ حار ، ومن حارَ طار ، ومن طارَ قرَّتْ عينُهُ بالاقتراب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الزاهدُ يُعالج الصبرَ ، والمشتاق يعالج الشكر ، والواصلُ يعالج الولاية) .

وكان يقول : (الشوقُ نارُ الله تضرمُ في قلوب الأحباب ، ولا تهدأُ إلا بلقائه والنظرِ إليه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (نارُ الهيبةِ تُذيب القلوب ، ونارُ المحبَّةِ تُذيب الأرواح ، ونارُ الشوقِ تُذيب النفوس) .

وكان يقول : (الصمتُ عبادةٌ من غير عناء ، وزينةٌ من غير حُلِيٍّ ، وهيبةٌ من غير سلطان ، وحصنٌ من غير سُور ، وراحةٌ للكاتبَيْنِ ، وغُنيةٌ عن الاعتذار) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كفىٰ بالمرءِ علماً أن يخشى اللهَ تعالىٰ ، وكفىٰ به جهلاً أن يُعْجَبَ بنفسه ، والعُجْبُ فضلةُ حمقٍ ، يُغطِّي به صاحبُهُ عيوبَ نفسه فلا تتغطَّىٰ) .

---

(١) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣٥٩) ، و« روض الرياحين » الحكاية (٥٤٠) (٢/ ٦٩) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١٠٧) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢٧٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٠٢) (٢٧٢) .

وكان يقول : (ما خلقَ اللهُ تعالىٰ من عجيبةٍ إلا ونقشَها في صورةِ الآدمي ، ولا أوجدَ أمراً غريباً إلا [وسلكَهُ] فيها[١] ، ولا أبرزَ سرّاً إلا وجعلَ فيها مفتاحَ علمه ، فهو نسخةٌ مُختصرةٌ من العالم) .

وكان يقول : (السُّكرُ من مقامات المحبِّين خاصَّةً ؛ فإنَّ عيونَ الفناء لا تقبلُهُ ، ومنازلُ العلم لا تبلغه) .

وكان يقول : (**للسُّكرِ ثلاثُ علامات** : الضيقُ عن الاشتغال بالسِّوىٰ والتَّعظيمُ قائم ، واقتحامُ لجَّة الشَّوق والتمكينُ دائم ، [والغرقُ في بحر السُّرور والصبرُ هائم ، وما سوىٰ ذلك فنقائصُ في البصائر ؛ كسُكر الحرصِ ، وسُكر الجهل ، وسكر الشهوة][٢] ، ومن كانتْ سكرتُهُ بالهوىٰ كان صحوُهُ إلىٰ ضلالةٍ) .

وجاءه رجلٌ يودِّعُهُ ، وهو يريدُ الحجَّ علىٰ قدم التجريد والوحدة ، ولا يَستصحبُ زاداً ولا أحداً ، فأخرجَ له الشيخُ ماجدٌ ركوتَهُ ، وأعطاها له ، وقال : إنَّك تجدُ فيها ماءً إنْ أردتَ الوضوء ، ولبناً إن عطشتَ ، وسويقاً إن جعتَ ، فكان الرجلُ طولَ سفره من جبل حمرين بالعراق إلىٰ مكة ، وفي مدَّةِ إقامته في الحجاز ، وفي رجوعِهِ من الحجاز إلى العراق . . إذا أرادَ الوضوءَ توضَّأَ منها ماءً مالحاً ، وإذا أرادَ الشربَ شربَ منها ماءً حلواً ، وإذا أرادَ الغداء شربَ لبناً وعسلاً وسويقاً أحلىٰ من السكر .

سكن رضي الله عنه جبال حمرين من أرض العراق[٣] ، واستوطنه إلىٰ **أن مات به سنة إحدىٰ وستين وخمس مئة** ، وقبرُهُ بها ظاهر يزار ، رضي الله عنه .

---

(١) في النسخ : (وسلطه) ، والمثبت من « روض الرياحين » (٢/ ٧١) .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من « بهجة الأسرار » (ص ٣٦١) .

(٣) **جبل حمرين** : وهو جبل بارِمَّا بين تكريت والموصل ، يزعمون أنه محيط بالدنيا . « معجم البلدان » (٣/ ١٦٩) . وفي « بهجة الأسرار » (ص ٣٦١) : (وهو من أهل قوشان ، قصبة من أعمال العراق) .

ومنهم :

(٢٧٣) الشيخ جاكير رضي الله عنه[١]

هو من أكابر المشايخ ، وأعيانِ العارفين المقرَّبين ، وأئمةِ المحقِّقين ، وهو أحدُ أركان هـٰذه الطريقة .

وكان تاجُ العارفين أبو الوفاء يُثني عليه ، وينوِّه بذكره ، وبعث إليه طاقيَّةً مع الشيخ علي بنِ الهيتي ، وأمره أن يضعَها علىٰ رأسِه نيابةً عنه ، ولم يكلِّفْه الحضورَ إليه ، وقال : سألتُ اللهَ تعالىٰ أن يكونَ جاكيرُ مُريدي ، فوهبَه لي .

وكانت المشايخ بالعراق يقولون : (انسلخَ الشيخُ جاكير من نفسه كما انسلختِ الحيَّةُ من جلدها) .

وكان يقول : (ما أخذتُ العهدَ قطُّ علىٰ مريدٍ حتىٰ رأيتُ اسمَهُ مكتوباً في اللوح المحفوظ أنه من أولادي) .

ومن كلامه رضي الله عنه : (**المشاهدةُ** : هي ارتفاعُ الحُجبِ بين العبد وبين الربِّ ، فيطَّلعُ بصفاء القلوب علىٰ ما أخبره به من الغيب ، فيشاهدُ الجلالَ والعظمة ، وتختلفُ عليه الأحوالُ والمقامات ، فتداخلُه الحيرةُ والدهشة ، ثم تُخرجه الحيرةُ إلى البهتة ، فتراه شاخصاً بالحقِّ إلى الحقِّ ، وتارةً يُشاهد الجلال ، وتارةً يُطالع الجمال ، وتارةً يرى البهاء ، وتارةً ينظرُ إلى الكمال ، وتارةً يلوحُ له الكبرياءُ والعزة ، وتارةً يبدو له الجبروتُ والعظمة ، وتارةً يشهدُ اللطف والبهجة ، فهـٰذا يبسطُهُ ، وهـٰذا يَقبضُه ، وهـٰذا يَطويه ، وهـٰذا يَنشرُهُ ، وهـٰذا يفقدُهُ ، وهـٰذا يُوجده ، وهـٰذا يُبديه ، وهـٰذا يُعيدُهُ ، وهـٰذا يَفنيه ، وهـٰذا يبقيه ، فهو زائلٌ عن نعوت البشرية ، قائمٌ بصفات العبودية ، لا يحسُّ بالأغيار ، ولا يشهدُ غيرَ عظمة الجبار) .

---

(١) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣٦٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٢٦١) ، و« الوافي بالوفيات » (١١/ ٣٩) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١١٢) ، و« نفحات الأنس » (ص ٧١٣) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢٣٥ ، ٤/ ٢٤٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٠٣) (٢٧٣) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا قدحتْ نارُ التعظيم مع نورِ الهيبة في زِناد السرِّ تولَّدَ منها شعاعُ المشاهدة ، فمن شاهدَ الحقَّ عز وجل في سرِّه سقطَ الكونُ من قلبه ، وإذا توالتِ المشاهدةُ على القومِ تولاهم الحقُّ تعالىٰ [بإسبال التوالي] ، ثم حجبَهُم [عن رؤية التوالي][1] فجُذبوا من الحيرة في نورِ المشاهدة إلى الحيرةِ في نورِ الأزل ، ثم اختُطفوا من الدهشة إلى الحيرةِ في نور الأزل ، ثم اختُطفوا من الدهشةِ في قُدسِ الأُنس إلى الدهشةِ في عين الجمع ، فمِنْ حائرٍ بين الاستتارِ والتجلِّي ، ومن هائمٍ بين البُعْدِ والتداني ، ومن ساكن بين الوصل والتعالي ، وهو محلُّ الاستقامة والتمكين ، وذلك صفةُ الحضرة ، ليس فيها سوى الذُّبولِ تحت مواردِ الهيبة ، قال الله عز وجل ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ﴾ [الأحقاف : ٢٩]) .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ [فصلت : ٣٠] : (معناه : استقاموا على المشاهدة ؛ لأنَّ من عرفَ اللهَ تعالىٰ لا يهابُ غيرَهُ ، ومن أحبَّ شيئاً لا يُطالع سواه) .

وكانت نفقتُهُ من الغيب .

وكان رضي الله عنه من الأكراد ، وسكنَ صحراءَ من صحارى العراق بالقرب من قنطرة الرصاص علىٰ يومٍ من سامرَّاء ، واستوطنها إلىٰ أن مات رضي الله عنه بها مُسنّاً ، وبها دُفن ، وقبرُه بها ظاهر يُزار ، وعمَّرَ الناسُ عنده قريةً يطلبون البركةَ بذلك ، رضي الله تعالى عنه .

ومنهم :

(٢٧٤) الشيخ أبو محمد القاسم بن عبدٍ البصري رضي الله عنه[2]

هو من أعيان مشايخ العراق ، وعظماءِ العارفين ، وأجلاء المقرَّبين ، وصاحبُ العجائب والغرائب .

وكان يُفتي علىٰ مذهبِ الإمام مالك رضي الله تعالىٰ عنه .

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من « بهجة الأسرار » (ص ٣٦٦) ، و« بقية روض الرياحين » (٢/ ٧٤).

(٢) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣٦٩) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٧٥) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١٠٠) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ١٨٥) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٠٤) (٢٧٤) .

وكان يتكلَّمُ في علمي الشريعة والحقيقة على كرسيٍّ عالٍ .

وله كلامٌ كثيرٌ مُتداولٌ بين الناس مشهور .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الوجدُ جحود ما لم يكنْ عن شهود)[١] .

وكان رضي الله عنه يقول : (شاهدُ الحقِّ ينفي شاهدِ الوجود ، وينفي عن العين الوسن ، وسكرُهُ يزيدُ على سُكر الشراب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أرواحُ الواجدين عطرةٌ لطيفة ، وكلامُهم يحيي مواتَ القلوب ، ويزيدُ في العقول) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الوجدُ يُسقطُ التمييز ، ويجعلُ الأماكنَ مكاناً واحداً ، والأعيانَ عيناً واحداً ، وأوَّله رفعُ الحجاب ، ومشاهدةُ الرقيب ، وحضور الفهم ، وملاحظة الغيب ، ومجاذبةُ السرِّ ، وإيناسُ المبعود)[٢] .

وكان رضي الله عنه يقول : (شرطُ صحة الوجد انقطاعُ أوصاف البشرية عن التعلُّق بمعنى الوجد حال وجوده ، ومن لا فقدَ له لا وجدَ له ، وأهلُه على مقامين : ناظرٌ ، ومنظورٌ إليه ، فالناظرُ مخاطبٌ يشاهدُ الذي وجده في وجده ، والمنظورُ إليه مغيَّبٌ قد اختطفه الحقُّ بأول واردٍ وردَ عليه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الوجودُ نهايةُ الوجد ؛ لأنَّ التواجدَ يُوجبُ استيعاب العبد ، والوجدُ يُوجبُ استغراق العبد ، والوجودُ يوجبُ استهلاكَ العبد ، وترتيبُ هٰذا الأمر : حضورٌ ، ثم ورودٌ ، ثم شهودٌ ، ثم وجودٌ ، ثم خمود ، فبمقدارِ الوجود يحصلُ الخمود ، وصاحبُ الوجود له صحوٌ ومحو ، فحالُ صحوه بقاؤه بالحقِّ ، وحالُ محوه فناؤه بالحقِّ ، وهاتان الحالتان مُتعاقبتان عليه أبداً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**الوجودُ اسمٌ لثلاثة معان** : الأول : وجودُ علمٍ يقطعُ به علمَ الشواهد في صحَّة مُكاشفة الحقِّ إياك ، الثاني : وجودُ الحقِّ وجوداً غيرَ مُنقطع

---

(١) قال أبو بكر الشبلي في « ديوانه » (ص١٠٠) :

الوجد عندي جحود ... ما لم يكن عن شهودي

(٢) في « بهجة الأسرار » (ص ٣٧٠) : (وإيناس المفقود) .

عن مساغ الإشارة ، الثالث : وجودُ مقامِ اضمحلالِ رسم الوجود بالاستغراق في الأوَّلية ، فإذا كُوشف العبدُ بوصفِ الجمال سكر القلبُ ، فطرب الروح ، وهام السرُّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : الصحو إنَّما هو بالحقِّ ، فإذا كان بغيرِ الحقِّ فلا يخلو من حيرةٍ ؛ يعني : حيرة في مشاهدة نورِ العزَّة ، لا حيرة شُبهة .

وكان يقول : (المواجيدُ ثمرات الأوراد ، ونتائجُ المنازلات) .

وكان يقول : (تركُ الأحوال قبل وجود الله تعالىٰ محالٌ ، وطلبُ الأحوال بعد وجود الله تعالىٰ محال) .

وكان يقول : (من تهاونَ بسرِّ الله تعالىٰ أنطق اللهُ تعالىٰ لسانَهُ بعيوبِ نفسه) .

وكان رضي الله عنه إذا خرجَ من خلوته لا يمرُّ علىٰ شجرةٍ يابسةٍ إلا أورقت ، ولا بذي عاهةٍ إلا عُوفي .

سكن رضي الله عنه بالبصرة ، وبها مات قبل سنة ثمانين وخمس مئة ، ودفن بظاهرها ، وقبرُهُ هناك ظاهر يُزار .

ولما صُلِّي عليه سُمعَ في الجوِّ أصواتُ طبولٍ تُضرب ، وكانوا كلما رفعوا أيديَهم في التكبيرِ للصلاة عليه سمعوها ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٧٥) الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق القرشي رضي الله عنه[(١)]

هو من أكابرِ مشايخ مصر المشهورين ، وصدورِ العارفين ، وأعيانِ العلماء المحقِّقين ، صاحبُ الكرامات الظاهرة ، والأحوالِ الفاخرة ، والأفعالِ الخارقة ، والأنفاسِ الصادقة .

---

(١) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣٧٧) ، و« روض الرياحين » (٢/ ٨٣) ، و« ذيل طبقات الحنابلة » (١/ ٣٠٦) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١١٣) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢٦٦ ، ٤/ ١٧٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٠٥) (٢٧٥) .

وهو أحدُ العلماء المصنِّفين ، والفضلاءِ المفتين .

أفتىٰ بمصر علىٰ مذهبِ الإمام أحمد رضي الله عنه ، ودرَّس ، وناظر ، وأَمْلىٰ .

وخرق اللهُ تعالىٰ له العوائدَ ، وقلبَ له الأعيان .

وانتهتْ إليه تربيةُ المريدين الصادقين بمصرَ وأعمالِها .

وانعقدَ إجماعُ المشايخ عليه بالتعظيمِ والتبجيل والاحترام ، وحكَّموه فيما اختلفوا فيه ، ورجعوا إلىٰ قوله .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الطريقُ إلىٰ معرفةِ الله تعالىٰ وصفاته الفكرُ والاعتبار بحكمِهِ وآياته ، ولا سبيلَ للألباب إلىٰ معرفة كُنْهِ ذاته) .

وكان يقول : (لو تناهتِ الحكمُ الإلـٰهية في حدِّ العقول ، وانحصرتِ القدرةُ الربانية في دركِ العلوم . . لكان ذلك تقصيراً في الحكمة ، ونقصاً في القدرة ، ولـٰكن احتجبتْ أسرارُ الأزل عن العقول ، كما استترتْ سُبحاتُ الجلال عن الأبصار ، فقد رجع معنى الوصف في الوصف ، وعَمِي الفهمُ عن الدرك ، ودار الملك في الملك ، وانتهى المخلوقُ إلىٰ مثلِهِ ، واشتدَّ الطلبُ إلىٰ شكله ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه : ١٠٨]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (جميعُ المخلوقاتِ من الذرَّةِ إلى العرش طرقٌ مُتَّصلةٌ إلىٰ معرفته ، وحججٌ بالغةٌ علىٰ أزليَّتِهِ ، والكونُ جميعُهُ ألسنٌ ناطقةٌ بوحدانيته ، والعالمُ كلُّه كتابٌ يَقرأ حروفَهُ المبصرون علىٰ قدرِ بصائرهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا هبتْ ريحُ السعادة ، وتألَّقَ برقُ العناية علىٰ رياض القلوب ، وأمطرت وَدَقُ[١] الحقائق من جلال سحائب الغيوب . . ظهرتْ فيها أزهارُ قربِ المحبوب ، وأينعتْ ببهجة أنوار نيلِ المطلوب ، فوجدَتْ ريحَ القرب في لذَّة المشاهدة ، واستجلاء الحضور بالسماع ، وآنست نارَ الهيبة حين أضرمها صفو المحبَّة مع الشخوص عن الأنسِ إلى المقام إلىٰ نورِ الأزل بصولةِ الهيمان ، وقامتْ بأقدام الفناء

---

(١) **الودق** : المطر .

في خلوة الوصلِ علىٰ بساط المسامرة بمناجاةٍ تشبث بها الكون[١] بصفاءِ اتصالٍ يعرف بها باب الخير في بدايات العيان[٢] ، وتُطوىٰ حواشي الحَدَث في بقاء عزِّ الأزل ، فهناك رسختْ أرواحُهم في غيبِ الغيب ، وغاصتْ أسرارُهم في سرِّ السرِّ ، فعرَّفَهم مولاهم ما عرَّفهم ، وأرادَ منهم من مقتضى الآياتِ ما لم يردْ من غيرهم ، وخاضوا بحارَ العلم اللدنِّيِّ بالفهم العيني لطلب الزيادات ، فانكشفَ لهم من مذخورِ الخزائن تحت كلِّ ذرَّةٍ من ذرَّات الوجود علمٌ مكنون ، وسرٌّ مخزون ، وسببٌ متَّصلٌ بحضرة القدس ، يدخلون منه علىٰ سيِّدهم عز وجل ، فأراهم من عجائب ما عنده ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطَر علىٰ قلب بشر) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من عرفَ نفسَهُ لم يتغيَّرْ بثناء الناس عليه) .

وكان يقول : (من لم يصبرْ علىٰ صحبةِ مولاه ابتلاه اللهُ بصحبةِ العبيد ، ومن انقطعتْ آمالُهُ إلا من مولاه فهو العبدُ حقيقةً) .

وكان يقول : (من تحقَّق بالرِّضا استلذَّ بالبلا) .

وكان يقول : (حليةُ العارفِ الخشيةُ والهيبة) .

وكان يقول : (إيَّاكم ومحاكاةَ أصحابِ الأحوال قبل إحكامِ الطريق ، وتمكُّنِ الأقدام ؛ فإنَّها تقطعُ بكم عن السير) .

وكان يقول : (دليلُ تخليطِك صحبتُكَ للمخلِّطين ، ودليلُ بطالتك ركونُك للبطَّالين ، ودليلُ وحشتِك أنسُك بالمستوحشين) .

وكان يقول : (من غلب حالُهُ عليه لا يحضرْ مجلسنا في السماع) .

وحُكي : أن أصحابَهُ قالوا له يوماً : لِمَ لا تُحدِّثُنا بشيءٍ من الحقائق ؟! فقال لهم : كم أصحابي اليوم ؟ قالوا : ست مئة رجل ، فقال : استخلصوا منهم مئة ، ثم استخلصوا من المئة عشرين ، ثم استخلصوا من العشرين أربعة ، فكان الأربعةُ ابنَ القسطلاني ، وأبا الطاهر ، وابنَ الصابوني ، وأبا عبد الله القُرطبي ، فقال الشيخ

---

(١) في « بهجة الأسرار » (ص ٣٧٨) : (نشيب لها الكون) بدل (تشبث بها الكون) .

(٢) في « بهجة الأسرار » (ص ٢٧٨) : (تغرق نهايات) بدل (يعرف بها باب) .

رضي الله عنه : لو تكلَّمتُ بكلمةٍ من الحقائق علىٰ رؤوس الأشهاد لكان أوَّلَ من يُفتي بقتلي هـٰؤلاء الأربعةُ .

وكان رضي الله عنه مُتتابعَ الكشف .

وزاد النيلُ سنةً زيادةً عظيمة كادتْ مصرُ تغرق ، وأقام على الأرض حتىٰ كاد وقتُ الزرع يفوت ، فضجَّ الناس بالشيخ أبي عمرو بسبب ذلك ، فأتى الشيخُ إلىٰ شاطئ النيل ، وتوضَّأ منه ، فنقصَ في الحال نحو الذِّراعين ، ونزلَ عن الأرض حتى انكشفت ، وزرع الناس في اليوم الثاني .

ووقع في بعض السِّنين : أنَّ النيلَ لم يطلع ألبتَّة[1] ، وفاتَ أكثرُ وقتِ زراعته ، وغلتِ الأسعارُ ، وخيف الهلاكُ ، وضجَّ الناسُ بالشيخ أبي عمرو ، فجاء إلىٰ شاطئ النيل ، وتوضَّأ فيه بإبريقٍ كان مع خادمه ، فزاد النيلُ في ذلك اليوم ، وتتابعتْ زيادتُهُ إلىٰ أن انتهىٰ إلىٰ حدِّه ، وبلغ اللهُ به المنافع ، وزرع الناسُ تلك السنة الزرعَ الكثير .

وصلى العشاءَ مرةً بمنزله بمصر ، ثم خرج هو وخادمُهُ أبو العباس المقرئ يتماشيان ، فدخلا مكَّةَ ، فصلَّيا في الحِجر ساعةً طويلة ، ثم خرجا إلى المدينة ، فدخلاها ، فزارا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجا إلىٰ بيتِ المقدس ، فصلَّيا فيه ساعةً ، ثم رجعا إلىٰ مصر قبل الفجر ، قال أبو العباس : ولم أحسَّ تلك الليلة بتعبٍ .

وكان الرجلُ العربيُّ إذا اشتهىٰ أن يتكلَّمَ بالعجمية أو العجمي يريد أن يتكلَّمَ بالعربية . . يتفلُ في فمِهِ ، فيصيرُ يعرفُ تلك اللغة كأنَّها لغتُهُ الأصلية .

مات رضي الله عنه بمصر سنة أربعٍ وستين وخمس مئة ، وقد جاوز السبعين ، ودفن بقَرَافَتها شرقي قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه مما يلي سارية ، وقبرُهُ ثَمَّ ظاهرٌ يُزار ، رضي الله عنه .

---

(١) **طلوع النيل** : وصول منسوب الماء إلىٰ حدٍّ معين (١٦ ذراعاً) يُمكن معه الزرع . « كتاب لأجل النيل » (ص ٨) .

ومنهم :

(٢٧٦) الشيخ سويد السِّنجاري رضي الله عنه[١]

هو من أعيان مشايخ المشرق ، وصدورِ العارفين ، وأكابرِ المحقِّقين .

صاحبُ الكرامات والمقامات السنيَّة[٢] ، والإشارات العليَّة .

وهو أحد من ملَّكه اللهُ تعالى التصرُّفَ في العالم ، وجمعَ له بين علمي الشريعة والحقيقة .

وانتهت إليه الرياسةُ في تربية المريدين الصادقين بسِنْجار وما يليها .

وأجمع المشايخُ علىٰ تبجيله واحترامه ، وقُصد بالزيارات من سائر الأقطار .

ومن كلامه رضي الله عنه : (**مقاماتُ العارفين علىٰ سبعة أصول** : القصدُ إلى الله تعالىٰ بالسير ، والاعتصامُ بالله في الأمور ، والجلوسُ مع الله تعالىٰ بالأمر ، والنصيحةُ لعبادِ الله في السرِّ والجهر ، وكتمُ أسرار الله تعالىٰ في الطيِّ والنشر ، وثبوتُ الحالِ مع العلم بالصبر ، وذكرُ لا إلـٰه إلا الله الملك الحق المبين .

فإذا قطعَ العارفُ هـٰذه الأحوال ، ورقي عن رؤية الأفعال فتحَ اللهُ تعالىٰ عليه في القصدِ إلى الله بالسرِّ باب النفس ، وعلامتُهُ : أن يستروحَ القلبُ إلىٰ أنوار التجلِّي بنفس السرور ، وسراج الأنس في مشكاة الكشف ، وهـٰذا النفسُ لا يكون إلا في حضرة الشهود ، بعد غيبةِ الأرواح في معارج الأحوال ، واستغراقِ الأسرارِ في مدارج روح القدس بحسم مادَّة الجهات ، واتِّحادِ العلم ، وذهاب الرسم ، وهـٰذا أولُ ملابس العارفين ، وأوَّلُ استرواحِ أرواح العارفين هـٰذا الذي لا يُطفئ نورُ شهودِه[٣] نورَ وجوده ، ولا يحجبُ نورُ وجوده حقيقةَ شهوده .

---

(١) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣٨٥) ، و« روض الرياحين » الحكاية (٥٥٠) (٢/ ٨٧) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١١٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٠٧) (٢٧٦) .

(٢) في « بهجة الأسرار » : (صاحب الكرامات الظاهرة ، والأحوال الفاخرة ، والمقامات السنية) .

(٣) ترددت النسخ بين (نور شهوده) و(نار شهوده) .

وحقيقةُ القصد إلى الله تعالىٰ بالسرِّ : ظهورُ الحقيقة بإذنه في حجاب العلم[١] ، ثم يفتحُ الله تعالىٰ له في الاعتصامِ بالله بابَ العناية[٢] ، وعلامتُهُ : أن يفتحَ الله تعالىٰ له من بصيرته عيوناً ثلاثة : عيناً يُدرك بها المعرفة ، وعيناً يُدركُ بها أنوارَ الحقائق ، وعيناً يُدركُ بها أنوار المعرفة[٣] .

كما أنَّ العيونَ ثلاثة : عينُ البصر ، وعينُ البصيرة ، وعين الروح ؛ فعين البصر تدركُ المحسوسات ، وعينُ البصيرة تُدركُ المعنويات ، وعين الروح تُدرك الملكوتيات[٤] .

ثم يفتحُ الله تعالىٰ له في الجلوسِ مع الله بابَ الاستغراق في عين التفريد ، وله خمسةُ أركان : فناءُ القرب في عين المشاهدة ، واضمحلالُ العلمِ في بحر الجمع ، واستهلاكُ الفناء[٥] في بحر الأزل ، واستغراقُ الوجود في طيِّ العدم[٦] ، واستعدامُ البقاء في برقِ الأبد .

ففناءُ القرب في عينِ المشاهدة للمرسلين مصافاةُ الأسرار ، وللمقرَّبين عناياتُ الأنوار ، واضمحلالُ العلم في بحرِ الجمع للصدِّيقين رؤيةٌ ، وللأبرار مشاهدةٌ ؛ لأنَّ الرؤية للذات ، والمشاهدةَ لأنوار الصفات) .

وكان رضي الله عنه يقول : (استهلاكُ الفناء في بحر الأزل للمُرسلين حقيقةٌ ، وللمقرَّبين حقٌّ وطريقة ، واستغراقُ الوجود في طيِّ العدمِ للصدِّيقين تفريدُ التوحيد ، وللأبرار تحقيق التجريد ، واستعدامُ البقاءِ في برق الأبد للشهداء حياةُ قربٍ ، واستدامةُ رزقٍ ، وللصالحين نسيمُ روحٍ ، واسترواحُ ريحان ، ومعارفُ[٧] جنَّة نعيم ، فبفناء

---

(١) في (ح) وحدها : (بادية) بدل (بإذنه) .
(٢) في « بهجة الأسرار » (ص ٣٨٦) : (باب المعاينة) .
(٣) في « روض الرياحين » (٢/ ٩٠) : (وعيناً يدرك بها أنوار الروح) .
(٤) في « بهجة الأسرار » (ص ٣٨٦) : (المكنونات) .
(٥) في « بهجة الأسرار » (ص ٣٨٧) : (واستهلاك المفني) .
(٦) في « بهجة الأسرار » (ص ٣٨٦) : (طي القدم) .
(٧) **العَرْف** : الرائحة مطلقاً ، وأكثر ما يستعمل في الطيِّبة منها . « المعجم الوسيط » (ع ر ف) .

القربِ في عين المشاهدة كان عقلاً ، وباضمحلال العلمِ في بحرِ الجمع كان روحاً ، وباستهلاك الفناء في بحر الأزل كان سرّاً[١] ، وباستغراقِ الوجود في طيِّ القدم كان ذرّاً ، وباستعدام البقاء في برقِ الأبد كان ذاتاً كاملة الوجود ، وتامَّة التقويم ، فبالعقل ثبت الإيمان ، وبالروح يثبتُ الخطاب ، وبالسرِّ فُهم الأمر ، وبالذرِّ ظهر الحكم ، وبالذاتِ وقعتِ الحركة ، فالحركةُ ظاهرُ الحكم ، والحكمُ ظاهرُ الأمر ، والأمرُ ظاهرُ الخطاب ، والخطابُ ظاهرُ الإيمان ، والإيمانُ ظاهرُ الصفات ، والصفاتُ ظاهرُ الذات ، فالإيمانُ بصيرةُ العقل ، والسرُّ بصيرة الروح ، والأمرُ بصيرةُ الحُكم ، والحكمُ بصيرة الحركة ، وذلك حقيقة ما يكشف للعارف المنتهي في درجة المعرفة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**العلومُ ثلاثةٌ** : علمٌ من الله تعالىٰ ؛ وهو العلمُ بالأمر والنهي ، والأحكام والحدود ، وعلمٌ مع الله تعالىٰ ؛ وهو علمُ الخوف والرجاء ، والمحبة والشوق ، وعلمٌ بالله تعالىٰ ؛ وهو علمٌ بنعوته وصفاته ، وعلمُ الظاهر علمُ الطريق ، وعلمُ الباطن علمُ المنزل ، وعلمُ الحكم علمُ الشرع ، وكلُّ باطنٍ لا يُقيمه ظاهرٌ فهو باطل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أصلُ العقل الصمتُ ، وباطنُهُ كتمانُ الأسرار ، وظاهرُهُ الاقتداءُ بالسُّنة) .

وكان يقول : (من وقع في أولياءِ الله تعالى ابتلاه اللهُ تعالىٰ بانعقادِ لسانه عن النُّطق بالشهادتين عند الموت) .

ولقد كان شخصٌ من أكابر بلدنا يقعُ في الفقراء ، فحضرتْهُ الوفاةُ ، فقالوا له : قل : لا إلـٰه إلا الله ، فقال : لا أستطيعُ ، فعلمتُ من أين أُتي ، فدخلتُ الحضرةَ ، وجعلتُ أترضَّىٰ خاطرَهُم حتىٰ رضوا عنه ، فأُطلق لسانُه ، وأسألُ اللهَ تعالىٰ قبولَ توبته .

ورأىٰ رضي الله عنه رجلاً يحدِّقُ إلى امرأةٍ ببصره ، فنهاه ، فلم ينته ، فقال : اللهم ؛ أعمِ بصرَه ، فعميَ في الحال ، فجاء بعد سبعةِ أيام ، وتابَ واستغفر ، فقال

---

(١) في « بهجة الأسرار » (ص) : (المغني) بدل (الفناء) .

الشيخ : اللهم ؛ ردَّ عليه بصرَهُ إلا في معاصيك ، فردَّ اللهُ عليه بصرَهُ في الحال ، وكان إذا أرادَ أن ينظرَ بعد ذلك إلىٰ محرَّمٍ حُجب عنه بصرُهُ ، ثم يعودُ إليه .

وجاءه أعمىٰ ، فقال : أنا ذو عيال ، وقد عَجَزْتُ عن الكسبِ ، فقال : اللهم ؛ نوِّرْ عليه بصرَهُ ، فخرجَ من المسجد بصيراً ، وبعد عشرين سنة مات بصيراً .

سكن رضي الله عنه سِنجار ، واستوطَنها إلىٰ أن ماتَ بها مُسناً ، وقبرُهُ بها ظاهر يُزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٧٧) الشيخ حياة بن قيس الحرَّاني رضي الله عنه[١]

هو من أجلاء المشايخ ، وعظماءِ العارفين ، وأعيانِ المحقِّقين .

صاحبُ الكرامات والمقامات ، والهممِ الفخيمة ، والبدايات العظيمة .

صاحب الفتح السَّني ، والكشفِ الجلي ، حتىٰ حُلَّ به مشكلاتُ أحوالِ القوم .

وهو أحدُ الأربعة الذين يتصرَّفون في قبورهم بأرض العراق[٢] .

وكان أهلُ حرَّان يَستسقون به فيُسقون[٣] ، رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (لا يكون الرجل معدوداً من المتمكِّنين حتىٰ لا يُطفئ نورُ معرفته نور ورعه) .

---

(١) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣٩٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ١٨١) ، و« بقية روض الرياحين » (ص ٩٣) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١١٥) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ٢٧٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٠٨) (٢٧٧) .

(٢) في « بهجة الأسرار » (ص ٣٩٣) : (قال الشيخ القرشي : رأيت أربعةً من المشايخ يتصرَّفون في قبورهم كتصرُّفِ الأحياء : الشيخ معروف الكرخي ، والشيخ محيي الدين عبد القادر ، والشيخ عقيلاً المنبجي ، والشيخ حياة بن قيس الحراني) .

(٣) **حرَّان** : بلدة شمال شرق سورية ، قال ياقوت في « معجم البلدان » (٢/ ٢٣٥) : (بينها وبين الرُّها يوم ، وبين الرقة يومان) .

وكان يقول : (**حقيقةُ الوفاء** : إفاقةُ السرِّ عن رقدة الغفلات[١] ، وفراغُ الهمم عن جميع الكائنات) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أحبَّ أن يَرىٰ خوفَ الله تعالىٰ في قلبه ، ويُكاشفَ بأحوال الصدِّيقين . فلا يأكل إلا حلالاً ، ولا يعمل إلا في سُنَّةٍ أو فريضة ، وما حُرِمَ مَنْ حُرِمَ عن الوصولِ ومشاهدة الملكوت إلا بشيئين : سُوءِ الطعمة ، وأذى الخلق) .

وكان رضي الله عنه يقول : (تعرَّضْ لرقَّةِ القلب بمجالسةِ أهلِ الذكر ، واستجلبْ نورَ القلبِ بدوام الجدِّ) .

وكان يقول : (من علامة المريد الصادقِ ألا يفترَ عن ذكره ، ولا يملَّ من حقِّه ، ويلزمَ السُّنة والفريضة ، فالسُّنَّةُ تركُ الدنيا ، والفريضةُ صحبةُ الحقِّ جلَّ وعلا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (اجعلِ الزُّهدَ عبادتَكَ ، واحذرْ أن تجعلَهُ حرفتك) .

وكان يقول : (المحبَّةُ سمتُ الطائفة ، وعنوانُ الطريقة يتوصَّل بها إلىٰ لقاء المحبوب) .

سكن رضي الله تعالى عنه حرَّان[٢] ، واستوطنها إلىٰ أن **مات بها سنة إحدىٰ وثمانين وخمس مئة** ، ودفن بظاهرها ، وقبرُهُ ثَمَّ ظاهرٌ يُزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٧٨) الشيخ رسلان الدمشقي رضي الله عنه[٣]

هو من أكابرِ مشايخِ الشام ، وأعيانِ العارفين ، وصدورِ البارعين .

صاحبُ الإشارات العالية ، والهممِ السامية ، والأنفاسِ الصادقة ، والكراماتِ الخارقة ، والتصريف النافذ .

---

(١) في النسخ : (إقامة) بدل (إفاقة) ، والمثبت من « بهجة الأسرار » (ص ٣٩٣) .

(٢) انظر نسبه في مصادر ترجمته .

(٣) انظر « بهجة الأسرار » (ص ٣٩٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٣٧٩) ، و« بقية روض الرياحين » (ص ٩٨) ، و« الوافي بالوفيات » (٨/ ٣٤٥) ، و« قلائد الجواهر » (ص ٦٧) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٤١٤) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤٠٨) (٢٧٨) .

وانتهت إليه تربيةُ المريدين بالشام ، واحترمَهُ العلماءُ والمشايخ ، وبجَّلوه ، وقصده الزائرون من كلِّ فجٍّ .

ومن كلامه رضي الله عنه : (مشاهدة العارفِ تُفيده تمكينَ التحكيم في الجمعِ ، وبروزَ التفرقة في الاطلاع ؛ لأن العارفَ واصلٌ ، إلا أنه تردُ عليه أسرارُ الله تعالىٰ جملةً كلِّيةً ، فهو مُصطلمٌ بأنوارها ، مستغرَقٌ في بحارها ، مُستهلَكٌ في تنزيلها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (العارفُ من جعل الله تعالىٰ قلبه لوحاً مَنقوشاً بأسرار الموجودات ، وبإمداده بأنوار حقِّ اليقين يُدركُ حقائقَ تلك السُّطور على اختلاف أطوارها ، ويُدركُ أسرارَ الأفعال ، فلا تتحرَّكُ حركةً ظاهرةً أو باطنةً في المُلك والملكوت إلا ويَكشفُ اللهُ تعالىٰ له عن بصيرةِ إيمانه ، وعينِ عيانه ، فيشهدها علماً وكشفاً ، وهـٰذا هو الذي يصعد بسرِّهِ في أكوان الملكوت كالشمس ، فلا يُطاقُ النظرُ إليه ، وصفتُهُ : أن يكملَ الأعمال بالعلم ، والأحوالَ بالسرِّ .

وهو علىٰ ثلاثة أقسام : حاضرٌ ، وغائبٌ ، وغريب ؛ فالحاضر : بلطائف العلم ، والغائب : بشواهد الحقيقة ، والغريبُ : هو من انقطعَ السببُ بينه وبين من سواه ، فمن قابلَهُ بغير نفسِه احترقَ .

وحقيقةُ الغربة : سقوطُ الأين ، ومحو الرَّسمِ قال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ١٠٠] .

وعلامته : أن يكشفَ له تعالى الأسبابَ ، ويرفعَ عنه الحجاب ، ويُطلعَهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ بواطنِ الأمور كشفاً وفِراسة ، فبالكشفِ يُدركُها جملةً ، وبالفِراسة يُدركها تفصيلاً علىٰ أصل الوضع ، وحقيقةِ الرسم ؛ فيخاطبُ الأرواحَ من حيث وَضْعُها ، ويخاطبُ الأجسامَ من حيث تركيبُها ، ويُشيرُ إلى العلمِ برموزِ الإشارة ، ويفهم كشف العبارة) .

وكان يقول : (الحدَّةُ مفتاحُ كلِّ شرٍّ ، والغضبُ يُقيمك في مقام ذُلِّ الاعتذار) .

وكان رضي الله عنه يقول : (مكارمُ الأخلاق : العفوُ عند المقدرة ، والتواضعُ من غير الذلَّة ، والعطاءُ بغير منَّة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا قدرتَ علىٰ عدوِّك فاجعلِ العفوَ عنه شُكراً لقدرتك عليه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الكريمُ من احتملَ الأذىٰ ، ولم يشكُ عند البلوىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أَحسنُ المكارم عفو المقتدر ، وجود المفتقر) .

وكان يقول : (سببُ **الغضب** : هجومُ ما تكرهُهُ النفسُ عليها ممَّن هو [دونها ، **وسبب الحزن** : هجوم ما تكرهُهُ النفسُ ممَّن هو][1] فوقها ؛ فإن الغضبَ يتحرَّكُ من باطن الإنسان إلىٰ ظاهره ، والحزنُ يتحرَّكُ من ظاهر الإنسان إلىٰ باطنه ، فيحدثُ عن الحزن المرضُ والأسقام ، وعن الغضب السطوةُ والانتقام) .

قال الشيخُ تقيُّ الدين السُّبْكيُّ رحمه الله تعالىٰ : (وحضرتُ سماعاً فيه الشيخ رسلان ، فأنشدَ القوَّالُ شيئاً ، فكان الشيخُ رسلان رضي الله عنه يثبُ في الهواء ، ويدورُ فيه دورات ، ثم ينزلُ إلى الأرض يسيراً يسيراً ، يفعل ذلك مراراً ، والحاضرون يشاهدونه ، فلما استقرَّ على الأرض أسندَ ظهرَه إلىٰ شجرةِ تين في تلك الدار ، قد يبستْ ، وقطعت الحمل مدة سنين ، فأورقتْ واخضرَّت وأينعت ، وحملتِ التينَ في تلك السنة)[2] .

سكن رضي الله عنه دمشق ، واستوطنَها إلىٰ أن ماتَ بها مُسنّاً[3] ، ودفن بظاهرها ، وقبرُهُ ثَمَّ ظاهر يُزار .

ولما أن حُمِلَ نعشُه علىٰ أعناق الرجال جاءتْ طيورٌ خضر ، وعكفت علىٰ نعشِه ، رضي الله عنه .

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من « بهجة الأسرار » (ص٤٠١) .

(٢) توفي الشيخ رسلان الدمشقي كما في « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٣٨٠) سنة (٥٥٠هـ) ، وتوفي الشيخ تقي الدين السبكي كما في « طبقات الشافعية الكبرى » (١٠/٣١٦) سنة (٧٥٦هـ) ، وذكر القصة اليافعي في « خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر » دون التعرض لذكر التقي السبكي ، فلعل هناك وهماً ، والله تعالى أعلم .

(٣) أجمعت المصادر علىٰ وفاته في القرن السادس ، قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٢/ ٣٨٠) : (مات في حدود سنة خمسين وخمس مئة) .

ومنهم :

(٢٧٩) الشيخ أبو مَدْين المغربي رضي الله عنه[1]

هو من أعيان مشايخ المغرب ، وصدورِ المقربين ، وشهرتُهُ تُغني عن تعريفه ، **واسمه** : شعيب ، وولدُهُ مَدين هو المدفون بمصر ، بجامع الشيخ عبد القادر الدَّشْطوطي ببركة القرع خارج السُّور ، مما يلي شرقي مصر ، وعليه قبَّةٌ عظيمة ، وقبره يُزار .

وأما والده : فهو مدفونٌ بتِلِمْسان بأرض المغرب في جبَّانة العبادلة ، وقد ناهز الثمانين ، وقبرُهُ ثَمَّ ظاهرٌ يُزار .

وكان سببُ دخوله تِلِمْسان : أنَّ أميرَ المؤمنين لمَّا بلغه خبرُهُ أمر بإحضاره من بِجَاية ليتبرَّكَ به ، فلما وصلَ إلىٰ تِلِمْسان قال : ما لنا وللسلطان ؟! الليلةَ نزورُ الإخوان ، ثم نزل ، واستقبلَ القبلة ، وتشهَّد ، وقال : ها قد جئتُ ، ها قد جئتُ ، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه : ٨٤] ، ثم قال : اللهُ الحيُّ ، وفاضت روحه رضي الله عنه .

قال الشيخ أبو الحجاج الأقصري : سمعتُ شيخنا عبدَ الرزاق رضي الله عنه يقول : لقيتُ أبا العباس الخضر عليه السلام سنة ثمانين وخمس مئة ، فسألته عن شيخنا أبي مدين ، فقال : هو إمامُ الصدِّيقين في هـٰذا الوقت ، وسرُّه من الإرادة ، ذاك آتاه الله تعالىٰ مفتاحاً من السرِّ المصون بحجاب القدس ، ما في هـٰذه الساعةِ أَجمعُ لأسرارِ المُرسلين منه .

ثم مات أبو مَدْين رضي الله عنه بعد ذلك بيسير .

وذكر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في « الفتوحات » قال : (ذهبتُ أنا وبعض

---

(١) **اسمه** : شعيب بن الحسن ، وانظر ترجمته في : « بهجة الأسرار » (ص ٤٠٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٢١٩) ، و« الوافي بالوفيات » (١٦/ ١٦٣) ، و« روض الرياحين » (٢/ ١٠٢) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١٠٨) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢٣٧) ، ولابن قنفذ كتاب عنه وعن أصحابه اسمه : « أنس الفقير وعزُّ الحقير » ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٣٧) (٢٥١) .

الأبدال إلىٰ جبلِ قاف[١] ، فمررنا بالحيَّةِ المُحدقةِ به ، فقال لي البدلُ : سلِّمْ عليها ؛ فإنها ستردُّ عليك السلام ، فسلَّمنا عليها ، فردَّتْ ، ثم قالتْ : من أيِّ البلاد ؟ فقلنا : من بِجَاية ، فقالت : ما حالُ أبي مَدْين مع أهلها ؟ فقلنا لها : يَرمونه بالزندقة ، فقالت : عجباً واللهِ لبني آدم ! واللهِ ؛ ما كنتُ أظنُّ أن الله عز وجل يوالي عبداً من عبيده ، فيكرهُهُ أحدٌ ، فقلنا لها : ومن أَعلمَكَ به ؟ فقالت : يا سبحان الله ! وهل على الأرض دابَّةٌ تجهلُهُ ؟! إنه واللهِ ممن اتَّخذَهُ الله تعالىٰ وليّاً ، وأنزلَ محبَّتَه في قلوب العباد ، فلا يَكرهُهُ إلا كافرٌ أو منافق)[٢] انتهىٰ .

قلت : وأجمعتِ المشايخُ علىٰ تعظيمه وإجلاله ، وتأدَّبوا بين يديه ، وكان ظَريفاً جميلاً ، مُتواضعاً زاهداً ، ورعاً محققاً ، مُشتملاً علىٰ كرمِ الأخلاق رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (ليسَ للقلب إلا وجهةٌ واحدةٌ ، متىٰ توجَّهَ إليها حُجب عن غيرها) .

وكان يقول : (الجمعُ ما أسقطَ تفرقتَك ، ومحا إشارتَكَ ، والوصولُ استغراقُ أوصافك ، وتلاشي نعوتك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الغيرةُ ألا تَعرف ولا تُعرف) .

وكان يقول : (أغنى الأغنياء من أبدىٰ له الحقُّ حقيقةً من حقِّه ، وأفقرُ الفقراء من سترَ الحقُّ حقَّه عنه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الخالي من الأنسِ والشوق فاقدُ المحبة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من خرجَ إلى الخلقِ قبل وجود حقيقةٍ تدعوه إلىٰ ذلك . . فهو مفتونٌ ، وكلُّ من رأيتَهُ يدَّعي مع اللهِ حالاً لا يكونُ علىٰ ظاهرِهِ منه شاهدٌ فاحذره) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا ظهرَ الحقُّ لم يبقَ معه غيرُهُ) .

---

(١) تقدم التعريف به (١/ ٤٩٦) .

(٢) الفتوحات المكية (٢/ ٩٠٢) .

وكان يقول : (من تحقَّقَ بعين العبودية نظرَ أفعالَه بعين الرياء ، وأحوالَه بعين الدعوىٰ ، وأقوالَه بعين الافتراء) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما وصلَ إلىٰ صريحِ الحرية من بقي عليه من نفسه بقيَّةٌ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (شاهدْ مشاهدتَهُ لك ، ولا تشاهدْ مُشاهدتَك له) .

كان رضي الله عنه يقول : (القريبُ مسرورٌ بقربه ، والمحبُّ معذَّبٌ بحبِّه) .

وكان يقول : (الفقرُ أمارةٌ على التوحيد ، ودلالةٌ على التفريد ، وحقيقةُ الفقر ألا تشاهدَ سواه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الفقرُ نورٌ ما دمتَ تَسترُهُ ، فإذا أظهرتَهُ ذهبَ نورُه) .

وكان يقول : (من كان الأخذُ أحبَّ إليه من الإعطاء فما شمَّ للفقر رائحةً) .

وكان يقول : (الإخلاصُ : أن يغيبَ عنك الخلقُ في مشاهدة الحقِّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من نظرَ إلى المكوَّنات نَظَرَ إرادةٍ وشهوة حُجب عن العبرة فيها ، والانتفاعِ بها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من عرفَ أحداً لم يعرفِ الأحد ، والحقُّ ما بان عنه أحدٌ من حيث العلم والقدرة ، ولا اتَّصل به أحدٌ من حيث الذات والصفات) .

وكان يقول : (من لم يصلحْ لمعرفته شغلَهُ برؤية أعماله ، ومن سمعَ منه بلَّغَ عنه) .

وكان يقول : (من لم يخلعِ العذارَ لم تُرفع له الأستار) .

وكان يقول : (الحقُّ لا يراه أحدٌ إلا مات ، فمن لم يمتْ لم يرَ الحقَّ) .

وكان يقول في نهيهم عن صحبةِ الأحداث : (الحدثُ هو المستقبلُ للأمر ، والمبتدئ في الطريق هو الذي لم يجرِّبِ الأمور ، ولم يثبتْ له فيها قدمٌ ، وإن كان ابنَ سبعين سنة) .

وقيل : أراد بالأحداث ما سوى الله تعالىٰ من المخلوقات .

قلت : والمرادُ صحبتهم من غيرِ إرشادٍ وتعليم ، وإلا فإرشادُ مثلِ هـٰؤلاء هو المطلوبُ من كلِّ فقيرٍ .

وكان يقول : (الإخلاصُ ما خفي على النفسِ درايتُهُ ، وعلى المَلَكِ كتابتُه ، وعلى الشيطانِ غوايتُه ، وعلى الهوىٰ إمالته) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إيَّاكم والمحاكماتِ قبل إحكام الطريق ، وتمكُّنِ الأحوال ؛ فإنها تقطعُ بكم عن درجات الكمال) .

وكان يقول : (كلُّ فقيرٍ لا يعرفُ زيادته ونقصه في كلِّ نَفَسٍ فليس بفقير) .

وكان يقول : (الفقرُ فخر ، والعلمُ غنمٌ ، والصمتُ نجاةٌ ، والإياسُ راحةٌ ، والزهدُ عافيةٌ ، ونسيانُ الحقِّ طرفةَ عينٍ خيانة) .

وكان يقول : (الحضورُ مع الحقِّ جنةٌ ، والغيبةُ عنه نار ، والقربُ منه لذَّةٌ ، والبعدُ عنه حسرةٌ ، والأنسُ به حياة ، والاستيحاش منه موتٌ) .

وكان يقول : (طلبُ الإرادة قبلَ تصحيحِ التوبة غفلةٌ) .

وكان يقول : (من قطعَ موصولاً بربِّهِ قُطع به ، ومن أَشغل مَشغولاً بربِّهِ أدركه المقتُ في الوقت) .

ومكث رضي الله عنه سنةً في بيته لا يخرجُ إلا للجمعة ، فاجتمعَ الناس علىٰ باب داره ، وطلبوا منه أن يتكلَّمَ عليهم ، فلما ألزموه خرجَ ، فرأىٰ عصافيرَ علىٰ سِدرةٍ في الدار ، فلما رأتْهُ فرَّتْ ، فرجع ، وقال : لو صلحتُ للحديث عليكم لم تفرَّ مني الطيورُ ، ثم رجع ، وجلس في البيتِ سنةً أُخرىٰ ، ثم جاؤوا إليه ، فخرجَ ، فلم تفرَّ منه الطيورُ ، فتكلَّمَ على الناس ، ونزلتِ الطيورُ تضربُ بأجنحتها وتصفِّقُ حتىٰ ماتَ منها طائفةٌ ، ومات رجلٌ من الحاضرين .

وكان يقول : (كلُّ بدلٍ في قبضة العارف ؛ لأنَّ مُلْكَ البدلِ من السماء إلى الأرض ، ومُلْكَ العارف من العرش إلى الثرىٰ) .

وكان الله تعالىٰ قد أذلَّ له الوحوش ، ومرَّ يوماً علىٰ حمارٍ والسَّبُعُ قد أكلَ نصفَهُ ، وصاحبُهُ ينظرُ إليه من بعيدٍ لا يستطيعُ أن يقربَ منه ، فقال لصاحب الحمار : تعالَ ،

فذهبَ به إلى الأسد ، وقال له : أمسكْ بأذنِ الأسد ، واستعملْه مكانَ حمارك ، فأخذ بأذنه وركبَهُ ، وصار يستعملُهُ سنين موضع حماره حتىٰ ماتَ .

وقيل له مرَّةً في المنام : ما حقيقةُ سرِّك في توحيدك ؟ فقال : (سرِّي مسرورٌ بأسرارٍ تستمدُّ من البحار الإلـٰهية ، التي لا ينبغي بثُّها لغيرِ أهلها ؛ إذِ الإشارةُ تعجز عن وصفها ، وأبتِ الغيرةُ الإلـٰهية إلا أن تسترَها ، وهي أسرارٌ محيطةٌ بالوجود ، لا يدركُها إلا من كان وطنُهُ مفقوداً ، وكان في عالم الحقيقةِ بسرِّهِ موجوداً ، يتقلَّبُ في الحياة الأبدية ، وهو بسرِّهِ طائرٌ في فضاء الملكوت ، ويسرحُ في سُرادقات الجبروت ، وقد تخلَّقَ بالأسماء والصفات ، وفنيَ عنها بمشاهدةِ الذات ؛ هناك قراري ووطني ، وقرةُ عيني ومسكني ، والحقُّ تعالىٰ في غنىً عن الكلِّ ، قد أظهرَ في وجودي بدائعَ قدرته ، وأقبلَ عليَّ بالحفظ والتوفيق ، وكشفَ لي عن مكنون التحقيقِ ، فحياتي قائمةٌ بالوحدانية ، وإشاراتي إلى الفردانية ، فروحي راسخٌ في علم الغيب ، يقول لي : ما لكَ يا شعيب ؟! كل يومٍ جديد على العبيد ، ولدينا مزيد) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٨٠) أبو محمد عبد الرحيم المغربي القِناويُّ رضي الله عنه[١]

هو من أجلاء مشايخ مصر المشهورين ، وعظماءِ العارفين .

صاحبُ الكرامات الخارقة ، والأنفاسِ الصادقة ، له المحلُّ الأرفعُ من مراتب القرب ، والمورد العذب من مناهل الوصل .

وهو أحدُ من جمعَ اللهُ له بين علمي الشريعة والحقيقة ، وآتاه مفتاحاً من علمِ السرِّ المصون ، وكنزاً من معرفة الكتاب والحكمة .

وكان إذا سمع المؤذن يقول : أشهدُ أن لا إلـه إلا الله يقول هو : شهدنا بما شاهدنا ، وويل لمن كذبَ على الله تعالىٰ .

---

(١) انظر « الطالع السعيد » (ص ٢٩٧) ، و« بهجة الأسرار » (ص ٤١٦) ، و« روض الرياحين » (٢/ ١١٢) ، و« الوافي بالوفيات » (١٨/ ٣٢٠) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢٦٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤١٠) (٢٧٩) .

ومن كلامه رضي الله عنه : (أدركتُ فهمَ جميع صفات الله تعالىٰ[1] ، إلا صفة السمع) .

وكان يقول : (المتكلِّمون كلُّهم يدندنون[2] حول عرشِ الحقِّ ، لا يصلون إليه) .

وكان يقول : (قطعُ العلائق يقطعِ بحر الفقد[3] ، وظهورُ مقامِ العبد بعدمِ الالتفات إلى السِّوىٰ ، وثقةُ القلبِ بترتيب القدر السابق) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**التجريدُ** : نسيان الزمنين حكماً ، والذهولُ عن الكونين حالاً ، وغضُّ البصر عن الأين وقتاً حتىٰ تنقلبَ الأكوانُ باطناً لظاهرٍ ، ومتحرِّكاً لساكنٍ ، فيسكن القلبُ بتمكينِ القدر علىٰ قطع الحكم ، والابتهاجِ بمنفسحات الموارد ، وانشراحِ الصدور بصورِ الأكوان مع ثبوت المقام بعد التلوين ، ورسوخ التمكين ، فتكون السماءُ له رداءً ، والأرض له بساطاً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**الهيبةُ في القلب لعظمةِ الله تعالىٰ** : هو طمسُ أبصار البصائر عن مشاهدته بمن سواه حسّاً ، فلا يرىٰ إلا بأنوار الجلال ، ولا يرى إلا بسواطع الجمال) .

وكان يقول : (**الرِّضا** : سكونُ القلب تحت مجاري الأقدار بنفي التفرقة حالاً ، وعلم التوحيد جمعاً ، فيشهدُ القدرةَ بالقادر ، والأمرَ بالآمر ، وذلك يلزمُهُ في كلِّ حالٍ من الأحوال) .

وكان رضي الله عنه يقول : (التمكين هو شهودُ العلم كشفاً ، ورجوعُ الأحوال إليه قهراً ، والتصرُّفُ بالقادح حكماً ، وكمالُ الأمر شرعاً) .

---

(١) قوله : (أدركت فهم جميع صفات) كذا في (ج ، و) ، وفي باقي النسخ و« بهجة الأسرار » (ص ٤١٧) : (أدركت جميع صفات) .

(٢) في (أ ، ب ، ج ، د) : (يذبذبون) ، وفي « بهجة الأسرار » (ص ٤١٧) : (مذبذبون) .

(٣) في « بهجة الأسرار » (ص ٤١٨) : (محو الفقد) ، وفي « روض الرياحين » (٢/ ١١٤) : (يمحق الفقد) .

وكان يقول : (في الجوع صفاءُ الأسرار في استغراقِ الأذكار) .

وكان يقول : (**الشوقُ** : هو استغراقٌ في مبادئ الذكر طرباً ، ثم الغيبةُ في توسُّط الذكر شكراً ، ثم الحضورُ في أواخر الذكر صحواً ، فهو بين استغراقٍ بهمة ، وغيبةٍ تزعجه ، وحضورٍ ينعشه ، ثلث الوقت للمشتاق استغراقٌ ، وثلثُهُ غيبةٌ ، وثلثه حضور) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**الحياةُ** : أن يحيا القلبُ بنور الكشف ، فيدرك سرَّ الحقِّ الذي برزت به الأكوانُ في اختلاف أطوارها) .

وحُكيَ : أنه نزلَ يوماً في حلقة الشيخ شبحٌ من الجوِّ لا يَدري الحاضرون ما هو ، فأطرق الشيخُ ساعةً ، ثم ارتفعَ الشبحُ إلى السماء ، فسألوه عنه ، فقال : هـٰذا مَلَكٌ وقعتْ منه هفوةٌ ، فسقط علينا ليستشفعَ بنا ، فقبلَ اللهُ شفاعتَنا فيه ، فارتفع .

وكان الشيخ إذا شاوره إنسانٌ في شيءٍ يقول : أَمهلني حتىٰ أستأذنَ لك فيه جبريل عليه السلام ، فيمهله ساعةً ، ثم يقول له : افعل أو لا تفعل ، علىٰ حسبِ ما يقولُ جبريل .

قلت : ومراده بجبريل : صاحب فعلته هو من الملائكة ، لا جبريلَ الأنبياء عليهم السلام ، والله أعلم .

وكان إذا قال لعاميٍّ : يا فلان ؛ تكلَّمْ على العلماء ، فيتكلَّمُ عليهم في معاني الآيات والأحاديث ، حتىٰ لو كان هناك عشرةُ آلاف محبرة لكَلَّتْ عنه ، ثم يقول له : اسكت ، فلا يجدُ ذلك العاميُّ معه كلمةً واحدة من تلك العلوم ، رضي الله عنه .

وكان بعضُ العارفين رضي الله عنه يقول : (لو كنتُ حاضراً عند وفاة الشيخ عبد الرحيم ما مكَّنتُهم من دفنه ؛ بل كنتُ أتركُهُ فوق ظهرَ الأرض ، فكلُّ من نظرَ إليه نطقَ بالحكمة) .

توفي رضي الله عنه بقِنا بصعيدِ مصر[١] ، وقبرُهُ بها مشهورٌ يزار .

---

(١) قِنا : مدينة بالصعيد ، بينها وبين قوص يوم واحد ، وربَّما كتب بعضُهم : (إقنا) بالألف مكسورة . « معجم البلدان » (٤/ ٣٩٩) .

ومرَّ عليه مرَّةً كلبٌ ، فقام له إجلالاً ، فقيل له في ذلك ، فقال : رأيت في عنقِهِ خيطاً أزرق من زِيِّ الفقراء .

وقال له مرَّةً رجلٌ : أوصني ، فقال : كن في الفقراء كتيسِ الغنمِ مع الغنم ؛ يعني : لا ينطقُ مع عدم غفلته عن مصالحهم ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٨١) الشيخ أبو العباس أحمد الملثَّم رضي الله عنه[1]

هو من أجلاء مشايخ مصر ومحقِّقيهم ، قصده الناسُ بالزيارة من سائر الأقطار ، وتأدَّبَ علماءُ مصر بين يديه ، وكان أبوه مَلِكاً بالمشرق .

وكان له مكاشفاتٌ عجيبة في مستقبل الزمان ، فكان لا يُخبِر بشيءٍ إلا جاء كما قال ، ويقول : أنا ما أتكلَّمُ باختياري .

وكان يقفُ يتمنَّىٰ ، فإن أعطوه شيئاً تصدَّقَ به على الفقراء .

وكان الناسُ مختلفين في عمره ؛ فمنهم من يقول : هـٰذا من قومِ يونس عليه السلام ، ومنهم من يقول : إنه رأى الإمامَ الشافعيَّ رضي الله عنه وصلىٰ خلفَه بمصر ،

---

(١) انظر « الطالع السعيد » (ص ١٣١) ، و« طبقات السبكي » (٨/ ٣٥) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٣٧٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤١٤) (٢٨٣) .
ومزج الشعراني رحمه الله بين رجلين ؛ أحدهما : (أحمد بن محمد أبو العباس الملثم) الذي مات بقوص سنة (٦٧٢هـ) ، وبين (أحمد الملثم) الذي مات بمصر ودفن خارج باب الفتوح ، قال المناوي في « طبقاته » (٢/ ٣٧٩) : (واعلم أني تبعت في الترجمة الأولى السبكي في « طبقاته » والأدفوي في « طالعه » وعبد الغفار ؛ فإنهم ذكروا هـٰكذا ، وذُكر أنه دفن في قوص ، وفي الثانية الشعراوي ، وذكر أنه دفن بمصر ، خارج باب الفتوح ، فظننتهما اثنين ، ثم غلب علىٰ ظني أنهما واحد ، وهو المدفون بقُوص ، وإن الوهم من أحد المترجمين ، وزَعْمُ أنه بمصر غلط) ، قال النبهاني في « جامع كرامات الأولياء » (١/ ٣٠٩) : (والظاهر أنهما رجلان ، اتفقا في الاسم ، وإلا فأين قوص في أقصى الصعيد ، وأين الحسينيّة في مصر المحروسة ؟! وهـٰذا مما لا يجوز أن يقع فيه خلاف بين الشعراني والمناوي ، وكلاهما من مصر ، والله أعلم) .

ومنهم من يقول : إنه رأى القاهرةَ وهي أخصاص .

قال الشيخ عبد الغفار القوصي رضي الله عنه[١] : فسألتُه عن ذلك ، فقال : عمري الآن نحو أربع مئة سنة .

وكان أهلُ مصر لا يمنعون حريمَهم منه في الرؤية والخلوة ، فأنكرَ عليه بعضُ الفقهاء ، فقال : يا فقيه ؛ اشتغل بنفسِك ؛ فإنه بقي من عمرِك سبعةُ أيام وتموت ، فكان كما قال .

وكان يلبس ما وجدَ ، فمرَّةً عِمامةَ صوفٍ خضراء ، ومرةً بيضاء ، ومرةً جبَّةَ فرجية ، ومرَّةً مرقعةَ ، لا ينضبطُ علىٰ حالٍ .

وأنكر عليه مرةً قاضٍ ، وكتب فيه محضراً بتكفيره ، ووضع القاضي المحضرَ في صندوقه إلىٰ بكرة النهار يدعوه للشرع ، فجاء بكرةَ النهار ، فلم يجدِ المحضرَ ، ومفتاحُ الصندوق معه ، فأخرجَ الشيخُ المحضرَ ، وقال : الذي قدرَ علىٰ أخذِ المحضر من صندوقك قادرٌ علىٰ أخذ إيمانك من قلبك ، فتاب القاضي ، وخافَ ، ورجع عما كان أراده .

توفي رضي الله عنه في حدود الست مئة[٢] ، ودفن بالحسينية بمصر المحروسة ، وقبرُهُ في مسجدٍ يزار .

وسمُّوه ثلاث مراتٍ ليموتَ ، فعافاه الله تعالىٰ منه ؛ وذلك لشدَّةِ ما كانوا يُنكرون عليه .

وكان رضي الله عنه يقول : (لم تكنِ الأقطابُ أقطاباً ، والأوتادُ أوتاداً ، والأولياءُ أولياءَ . . إلا بتعظيمهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ومعرفتهم به ، وإجلالهم لشريعته ، وقيامِهم بآدابه) .

---

(١) هو الشيخ عبد الغفار بن أحمد ابن نوح ، له : « الوحيد في سلوك أهل التوحيد » وهو مخطوط ، قال الشيخ عبد الغفار : وقد سألته عن صلاته خلف الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، فقال : صليت خلف الشافعي محمد بن إدريس ؟ فتبسَّمَ وقال : في النوم يا فتىٰ وهو يضحك . انظر « الطالع السعيد » (ص ١٣٢) .

(٢) توفي سنة (٦٧٢هـ) ، ودفن بالأقصر ، ثم حوِّل إلىٰ قوص .

وكان يقول : (بلغني عن سيِّدي أحمد بنِ الرفاعي رضي الله عنه أنه كان يقول : إذا استولى الحقُّ سبحانه وتعالىٰ علىٰ قلب عبدٍ ذهب ما من العبد ، وبقي ما من الله تعالىٰ ، فيبقى العبدُ كالفخارِ في ابتداء النشأةِ لا حراكَ له من حيث نفسُهُ ، وإنما حراكُهُ من الذي يُحرِّكُه ، ولا اختيارَ له ، ولا إرادة ، ولا علم ، ولا عمل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا امتلأ القلبُ من النورِ دُكَّ كلُّ حجابٍ بين العبد وبين الله تعالىٰ) والله أعلم .

ومنهم :

(٢٨٢) أبو الحجَّاج الأَقْصُرِي رضي الله عنه[١]

كان جليل المقدار ، كبيرَ الشأن ، كان مجرَّداً .

وكان شيخه الشيخُ عبد الرزاق ـ الذي بالإسكندرية قبرُه ـ من أجلِّ أصحابِ سيدي الشيخ أبي مدين المغربي .

وله كلامٌ عالٍ في الطريق ، وزاويتُه وضريحه بالأقصر من صعيد مصر الأعلىٰ[٢] .

ومناقبه مشهورة رضي الله عنه ؛ منها : أنَّ شخصاً من الأمراء المشهورين في عصره أنكرَ عليه ، فقال له : تُنكر على الفقراء وأنت رقَّاصٌ عند فلان ! فما ماتَ ذلك الرجلُ حتىٰ صارَ رقَّاصاً لسوء أدبه واعتقاده .

وكان رضي الله عنه يقول : (من رأيتموه يطلبُ الطريق فدلُّوه علينا ، فإن كان صادقاً فعلينا وصولُهُ ، وإن كان غافلاً طردناه وأبعدناه لئلا يتلفَ المريدين ؛ فإنه لا يصلُ إلى المحبوب من هو بغيرِهِ محجوب) .

قال خادمُهُ الشيخ أبو زكريا التميمي : طلبَ شخصٌ من مريدي أبي الحجاج الأَقْصُري قتل شيخِهِ مرات ، فلم يقدرْ ، وكان يعتقدُ أنه ينالُ مقامَهُ بقتله حين رآه

---

(١) انظر « الطالع السعيد » (ص ٧٢٢) ، و« طبقات ابن الملقن » (ص ٤٨٠) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٣٦٥ ، ٤/ ١١٨) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤١١) (٢٨٠) .

(٢) قوله : (بالأقصر) كذا في (و) وحدها ، وفي باقي النسخ : (بالأقصرين) .

محجوباً بشيخه ، فأخبروا الشيخَ بذلك ، فقال : يا ولدي ؛ هـٰذا من الشيطان ، إذا قتلتَ شيخَك غضبَ اللهُ عليك ، فكيف يُعطيك مقامه ؟!

قلت : وقد بلغنا ذلك عن واحدٍ من أصحاب سيدي أبي السُّعود الجارحي رضي الله عنه ، وهربَ الشيخُ منه ، والله أعلم .

وحكىٰ أبو العباس الطائفي قال : (دخلتُ على الشيخِ أبي الحجَّاج الأَقْصُريِّ يوماً ، فرأيتُ له عينين فوق الحاجبين) .

وكان يقول : (كنت أجيءُ أنا وأخي أبو الحسن بن الصائغ بإسكندرية إلىٰ شيخنا[١] ، فأرىٰ مقامي يعلو مقامه ، فأقول : اللهم ؛ أعلِ مقامَه فوق مقامي ، وكان الآخر إذا رأىٰ مقامَهُ أعلىٰ من مقامي يقول في دُعائه كذلك ، هـٰكذا درجةُ الإخوان لا حسدَ بينهم ، ولا حقد) .

وقيل له مرةً : من شيخُك ؟ فقال : شيخي أبو جَعْران[٢] ، فظنُّوا أنَّه يمزح ، فقال : لستُ أمزح ، فقيل له : كيف ؟! فقال : كنت ليلةً من ليالي الشتاء سهران ، وإذا بأبي جَعْران يصعدُ منارةَ السِّراج فيزلقُ ، ويرجع لكونها ملساء ، فعددتُ عليه تلك الليلة سبع مئة مرة وهو لا يرجعُ ، فقلتُ في نفسي : سبع مئة وقعة ولا يرجع ، فخرجتُ إلىٰ صلاة الصبح ، ثم رجعتُ فإذا هو جالسٌ فوق المنارة بجنب الفتيلة ، فأخذتُ من ذلك ما أخذت .

وكان رضي الله عنه يقول : كنتُ في بدايتي أذكر : (لا إلـٰه إلا الله) لا أغفلُ ، فقالتْ لي نفسي مرَّةً : من ربُّك ؟ فقلت : ربِّي الله ، فقالت لي : لا ، ليس لك ربٌّ إلا أنا ، فإنَّ حقيقةَ الربوبية امتثالُك العبودية ، فأنا أقول لك : أَطعمني تُطعمني ، نَمْ تَنَمْ ، قم تقم ، امشِ تمشي ، اسمعْ تسمع ، ابطشْ تبطش ، فأنت تمتثلُ أوامري كلَّها ، فإذاً أنا ربُّك ، وأنت عبدي .

---

(١) انظر ترجمة أبي الحسن بن الصائغ في « رسالة صفي الدين » المعروف بابن أبي المنصور (ص٥٧) ، و« طبقات ابن الملقن » (ص ٣٤٩) .

(٢) **أبو جَعْران** : كنية الجُعل ؛ وهي دويبة سوداء صغيرة تألف المواضع الندية ، وهي من الخنافس . « معجم متن اللغة » (ج ع ل) .

قال : فبقيتُ متفكِّراً في ذلك ، فظهرت لي عينٌ من الشريعة ، فقالتْ لي : جالدْها بكتاب الله تعالىٰ ، فإذا قالت لك : نم ، فقل لها : ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات : ١٧] ، وإذا قالتْ لك : كُلْ قل : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ [الأعراف : ٣١] ، وإذا قالتْ : امشِ قل : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء : ٣٧] ، وإذا قالتْ لك : ابطش قل : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩] ، فقلتُ لتلك الحقيقة : فما لي إذا فعلتُ ذلك ؟ فقالت : أخلعُ عليك خلعَ المتَّقين ، وأتوِّجُك بتاج العارفين ، وأمنطقُك بمنطقة الصدِّيقين ، وأقلِّدُك بقلائد المحقِّقين ، وأنادي عليك في سوق المحبين : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ . . . ﴾ الآية [التوبة : ١١٢]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يقدحُ عدم الاجتماع بالشيخِ في محبَّتِهِ ؛ فإنَّنا نحبُّ الله تعالىٰ ورسولَهُ والصحابةَ والتابعين ، وما رأيناهم ؛ وذلك لأنَّ صورةَ المعتقدات إذا ظهرتْ لا تحتاجُ إلىٰ صورةِ الأشخاص ، بخلاف صورةِ الأشخاص إذا ظهرتْ تحتاجُ إلىٰ صورةِ المعتقدات ، فإذا حصلَ الجمعُ بينهما فذلك كمالٌ حقيقيٌّ) .

قلت : وفي هـٰذا دليلٌ عظيمٌ لأهل الخرقِ من الأحمدية ، والرفاعية ، والبرهانية[1] ، والقادرية ، ولا عبرة بمن يُنكر عليهم ويقولون : هـٰؤلاء أمواتٌ لا ينطقون ؛ فإنَّ الاقتداء حقيقةً إنما هو بأقوالِهم وأحوالهم المنقولةِ إلينا ، فافهم .

قال الشيخ يعيشُ بنُ محمود أحدُ أصحاب أبي الحجَّاج : جئتُ أنا والقليب السخاوي ، وشخصٌ آخر إلىٰ زيارة الشيخ بعد الصُّبح ، فوقفنا بالبابِ متأدِّبين ، وإذا بالخادمِ قد خرج ، فقال : يدخل يعيش والقليب ، ويروح هـٰذا العلقُ يستحمُّ ؛ فإنه جنبٌ ، قال : فدخلنا وقد هُدَّت أركانُنا من الهيبة ، فوجدنا الشيخَ مُتَّكئاً ، ثم قال الشيخُ عن الشاب : ليستغفرْ ويدخل ، فقال يعيش : دستور ، حضر شيءٌ في لسان حالنا وحال هـٰذا الشاب علىٰ لسان حال القادوس[2] ، فقال الشيخ : قل ، فقلتُ : [من الزجل]

---

(١) **البرهانية** : نسبة إلىٰ سيدي إبراهيم الدسوقي .

(٢) **القادُوس** : وعاء خزفي كالجرة تنتظم منه ومن أمثاله سلسلةٌ تديرها الناعورة ، فتغرِفُ الماء من البئر إلى المزرعة . « المعجم الوسيط » (ق د س) .

المليح قلبي عليه يخفق	لا يمرُّ مَنْ يبصرُه يَعْشَق
مسكين عبدُك القادوس كسر	صار شقف من بعد ما قد هُجر
إن تجدْ له بالوصالِ ينجبرْ	ويعودُ غصنُ السُّرور مورقْ
قد بلي القادوسُ بهمٍّ طويل	ممتلي الراس ودمعُه يَسيل
قد ربطَ بالطونس والسحيل	وجميعه بالحبال موثق
وألفُ كرة في النهار يَغرق	ما تراه نازلا علىٰ قمته
وحبل ناشوش في رقبته	قد عجز وتناقصت همَّته
له رفيقٌ بقليل يسبق	له سنين يجري وما يلحق

فقامَ الشيخ وتواجد ودار ، وجعلَ يقول : لي سنين أجري وما ألحق .

رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٨٣) الشيخ كمال الدين بن عبد الظاهر رضي الله عنه[١]

صحب أصحاب الشيخ أبي الحجَّاج الأَقصُري رضي الله عنه حين كان بقُوص .

وتجرَّدَ وهو في بدايته[٢] ، ثم رجعَ إلى الثياب والزِّراعات ، وغيرها .

ثم صحب الشيخ إبراهيم بن معضاد الجَعْبري المدفون بباب النصر من القاهرة المحروسة .

ثم أقام بإخميم ، وبها مات علىٰ حالةٍ شريفة جليلة لطيفة ، مُتظاهراً بالنعم ، والغِنىٰ عن الناس ، رضي الله عنه .

---

(١) هو علي بن محمد بن جعفر ابن عبد الظاهر ، وانظر ترجمته في « الطالع السعيد » (ص ٣٩٢) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١٠/ ١٣٠) ، و« الدرر الكامنة » (٣/ ١١) ، و« طبقات ابن الملقن » (ص ٤٦٠) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٤٨٢) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤١٣) (٢٨١) .

(٢) انظر المقدمات .

ومنهم :

(٢٨٤) الشيخ قطب الدِّين القَسْطلاني رضي الله عنه[١]

كان بالقاهرة يُدرِّسُ في علمَيِ الظاهر والباطن ، ويدعو الناسَ إلى الله تعالىٰ .

وكان يلبسُ الخرقةَ من طريق السُّهْرَوردي .

ومنهم :

(٢٨٥) الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه[٢]

كان رضي الله عنه جليلَ المقدار ، وكان يعظِّم الفقراءَ أشدَّ التعظيم ، ويقول : إنَّهم قد انتسبوا إلى الله تعالىٰ .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما رأينا أحداً قطُّ أنكرَ على الفقراء ، وأساءَ بهم الظنَّ إلا ومات على أسوأ حال) .

وكان رضي الله عنه يقول : (احتقارُ الفقراء سببٌ لارتكاب الرذائل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من غضَّ من عارفٍ بالله أو وليٍّ لله ضُرب في قلبه ، ولا يموتُ حتَّىٰ يفسدَ معتقدُهُ) .

وكان رضي الله عنه كثيراً ما يجتمعُ بالخضر عليه السلام .

وكان يطبخ طعامَ القمحِ كثيراً ، فقيل له في ذلك ، فقال رضي الله عنه : إنَّ الخَضِرَ عليه السلام زارني ليلةً ، فقال : اطبخْ لي شوربةَ قمحٍ ، فلم أزلْ أحبُّها لمحبَّةِ الخضرِ عليه السلام لها .

---

(١) انظر « فوات الوفيات » (٣/ ٣١٠) ، و« الوافي بالوفيات » (٢/ ١٣٢) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ١٨) ، و« طبقات المناوي » (٤/ ٥١٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤١٤) (٢٨٢) .

(٢) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم . انظر ترجمته في « وفيات الأعيان » (٤/ ٣٠٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٤٠٠) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٢٨٣ ، ٤/ ١٨٥ ، ٥٥٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤١٦) (٢٨٤) .

وكان رضي الله عنه يشترطُ علىٰ أصحابِهِ ألا يطبخوا في بيوتهم إلا لوناً واحداً حتىٰ لا يتميَّزَ أحدٌ علىٰ أحد .

فاتَّفقَ أنَّ أحدَ أصحابه قال لزوجته : ما تشتهي حتىٰ نشتريه تطبخيه ؟ فقالت : شاورِ ابنتك ، فقال لابنته : أيَّ شيءٍ تشتهين ؟ قالت : ما تقدرُ علىٰ شهوتي ، فقال : بل أقدرُ عليها ، ولو تكونُ بألفِ دينار ، وقال : لا بدَّ تُخبريني بها ، فقالت : تزوِّجْني للقرشيِّ ، وكان الشيخُ رضي الله عنه أعمىٰ أجذمَ لا ترضىٰ بمثلِهِ النساءُ ، قال : فجئتُ إلى القرشيِّ وأخبرتُهُ ، فقال : اطلبوا القاضي ، فجاء القاضي ، وعقدوا عليها ، وأصلحوا شأنها ، وأحضروها عند الشيخ ، فلما خرجتِ النسوةُ دخلَ الشيخ إلى المرحاض ، وخرجَ وهو شابٌّ جميلُ الصورة أمردُ ، بثيابٍ حسنة ، وروائحَ طيبةٍ ، فسترتْ وجهها منه حياءً ، فقال : لا تستري ، أنا القرشيُّ ، فقالت : ما أنت القرشيُّ ، فحلف لها بالله تعالىٰ ، فقالت له : ما هـٰذا الحال ؟! فقال لها : أبقىٰ معك علىٰ هـٰذا الحال ومع غيرك علىٰ تلك الحالة ، ولـٰكنْ لا تُخبري بذلك أحداً حتىٰ أموتَ ، فقالت : نعم ، ثم قالت : بل أختارُ حالتَكَ التي تكون بها بين الناس من الجذام والعمىٰ ، فقال لها : جزاك اللهُ خيراً ، فلم تزلْ معه علىٰ تلك الحالة .

وكان يضعُ شيئاً تحت أقدامه ينزلُ فيه الصديد ، فكانت رضي الله عنها إذا خرجتْ من الحمَّامِ جاءتْ فشربت ذلك الصديدَ عِوضاً عن الماء ، فلما قُبِضَ الشيخُ رضي الله عنه حكتْ للناسِ أحواله ، وكانت حرمتُها بين الفقراء كحرمةِ الشيخ في حالِ حياته .

وكان رضي الله عنه يقول : (الزمِ العبوديةَ وآدابَها ، ولا تطلبْ بها الوصولَ إليه ؛ فإنه إذا أرادَكَ له أوصلَكَ إليه ، وأيُّ عملٍ خلص لك حتىٰ تطلبَ به الوصول ؟!) .

وكان يقول : أبتِ البشريةُ أن تتوجَّهَ إلى الله تعالىٰ إلا في الشدائد ، فقيل له في ذلك ، فقال : عطشتُ مرَّةً في طريقِ الحاجِّ ، فقلتُ لخادمي : اغرفْ لي من البحرِ المالح ، فغرفَ لي ماءً حلواً ، فلما ذهبتِ الضرورةُ غرفت فإذا هو مالح .

وكان يقول : (لا يكونُ الابتلاءُ إلا في الفحول من الرجال) .

وأخبار القرشي كثيرةٌ مشهورة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٨٦) الشيخ محمد بن أبي جمرة رضي الله عنه[١]

وهو غير عبد الله بن أبي جمرة[٢] .

وكان رضي الله عنه كبيرَ الشأن ، مقبوضَ الظاهر ، معمورَ الباطن ، غلبتْ عليه آثارُ صفةِ الجلال ، كان معظِّماً للشرعِ ، قائماً بشرائعه وبشعائره .

وأنكروا عليه في دعواه رؤيةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظةً ، وعقدوا له مجلساً ، فأقام في بيتِهِ لا يخرجُ إلا لصلاةِ الجمعة ، وماتَ المنكرون عليه علىٰ أسوأ حال ، وعرفوا بركته .

ودفن رحمه الله تعالىٰ بالقَرَافة بمصر ، وقبرُهُ بها ظاهر يُزار .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يفهمُ عنك إلا من أشرقَ فيه ما أشرقَ فيك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لما كان العلماءُ والأولياء ورثةَ الرُّسل والأنبياء . . فلا بدَّ من حصولِ فتراتٍ تقعُ بين العالِم والعالِم ، والوليِّ والوليِّ ، فإذا اندرستْ طريقةُ الداعي أتىٰ بعد زمانٍ من يُجدِّدُها ، ولما كان يحصلُ في فتراتِ الأنبياء عبادةُ الأصنام من دون الله . . كذلك يقعُ في فتراتِ الأولياء عبادةُ الأهواء والبدع ، وتبديل الأفعال بالأقوال ، وغيرُ ذلك مما يشهدُهُ أربابُ القلوب المنيرة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو قدرتُ أن أقتلَ من يقول : لا موجودَ إلا الله فعلتُ ، فما يقولُ هـٰذا في بوله وغائطه ، وعجزِه عن دفع الآلام عن نفسه ، وشرطُ الإلـٰه أن يكونُ قادراً ، فكيف يقولُ أنا عينُ الحقِّ ؟! هـٰذا من أضلِّ الضلال) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو تدبَّرَ الفقيهُ في قراءته لاحترقَ بأنوار القرآن ، وهامَ علىٰ وجهه ، وتركَ الطعامَ والشراب والنوم ، وغير ذلك) .

---

(١) انظر « طبقات المناوي » (٢/ ٥٤٧) ، وفيه : (حبرة) : بموحدة تحتية ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤١٧) (٢٨٥) .

(٢) ستأتي ترجمته : (٣/ ٤٣٢) (٢٩٦) .

وكان إذا رأىٰ فدَّانَ القصبِ مثلا يقول : (يجيء منه كذا كذا قنطار عسل ، وكذا وكذا قنطار سكر ، فلا يزيد ولا ينقص عما قال) .

وطلب السلطانُ لما زاره أن يَبني له رباطاً ، فأخذ بيد السُّلطانَ وأدخلَه جامعَ ابنِ طولون[1] ، وقال : هٰذا الجامعُ كلُّه لي ، أجلسُ في أيِّ مكان شئتُ منه ، فسكت السلطان .

وكان يقول : (لا ينبغي للفقيرِ أن يطأَ زوجتَهُ إذا حملتْ إلا لغرضٍ صحيحٍ ؛ من إعفافها أو إعفافه ، ولا ينبغي له وطؤها لمجرَّدِ الشهوة ؛ فإن ذلك نقصٌ في الفقير) .

وكان يقول : (إيَّاكم والإنكارَ على الناس فيما يحتملُ التأويل ؛ فإني رأيتُ فقيهاً أنكرَ علىٰ فقيرٍ صنعةَ الخيال مع المحبظين ، فأخرج الفقيرُ للفقيه باباً في الخيال ، وأجلسَ الفقيه علىٰ دكانٍ ، وجاء الفيلُ فلفَّه بزلُّومته ، وضربَ به الأرض ، فمات ، فأصبح الفقيه ، فوقع له ذلك ، ودفنوه آخر النهار)[2] .

وقال : مررت يوماً علىٰ مارسِ قمح ، وإذا صبيٌّ يقطفُ من السنابل ، ويضعُه في قفَّتِهِ ، فقلت له : خلِّ يا ولدي زرعَ الناس ، فقال : ومَنْ أين ثبتَ عندك أنه زرع الناس ، واللهِ ؛ إنه زرع أبي وحده[3] ، فخجلتُ بين الفقراء من كلامه ، وقلتُ له : جزاكَ اللهُ يا ولدي عني خيراً ، أدَّبتني حين فاتني التأديب .

وكان رضي الله عنه يقول : (**ثلاثةٌ لا يفلحون في الغالب** : ابنُ الشيخ ، وزوجتُهُ ، وخادمه ؛ **أما ابنُه** : فإنه يفتحُ عينَهُ علىٰ تقبيل المريدين يدَهُ ، وحمله علىٰ أعناقهم ، والتبرُّك به ، ويُطيعونه في كلِّ ما يطلبُهُ ، فتكبرُ نفسُه ، ويرضع من حبِّ الرياسة من صغره ، فتتوالىٰ عليه الصفاتُ المُظلمة ، فلا يؤثِّرُ فيه وعظُ واعظٍ ، ويتجرَّأ على الأكابر ، ويَنفي مشيختَهم عليه ، فإن جاء صالحاً فاقَ والده ، وانتفع بوالدِهِ أكثر من كلِّ

---

(١) **جامع ابن طولون** : موضعه يعرف بجبل يشكر ، وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء ، وقيل : إن موسىٰ عليه السلام ناجىٰ ربَّه عليه بكلمات ، وابتدأ في بناء هٰذا الجامع أحمد بن طولون بعد بناء القطائع في سنة (٢٦٣هـ) . انظر « الخطط المقريزية » (٣٦/٤) .

(٢) انظر الخبر والحاشية عليه في « الطبقات الوسطىٰ » (٤١٨/٣) .

(٣) في (أ ، و ، ز) : (أبي وجدي) .

أحدٍ ، **وأما الزوجةُ** : فإنها ترى الشيخَ بعين الأزواج لا بعين الولاية ، فتعتقدُ أنَّه محتاجٌ إليها في الشهوة ، فإنْ نوَّرَ اللهُ تعالىٰ بصرَها ، ورأته بعين الولاية . . انتفعتْ به قبلَ كلِّ أحدٍ لملاصقتِها له ليلاً ونهاراً ، **وأما الخادم** : فلتكرار رؤيةِ الشيخ ، واطِّلاعه علىٰ أحوالِهِ من المأكل والمشرب والمنام ؛ ولذلك قالوا : لا ينبغي للشيخ أن يأكلَ مع المريدِ ، ولا يُجالسَه إلا عند ضرورةٍ ؛ خوفاً على المريد من سقوطِ حرمته من قلبه ، فيُحرم بركةَ الشيخ وصحبتَهُ[1] ، فإن نظرَ الخادمُ إلى الشيخ بالتعظيم انتفع به كذلك وأفلح أكثر من غيره ، رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(٢٨٧) الشيخ عبد الغفار القُوصي رضي الله عنه[2]

صاحب كتاب « الوحيد في علم التوحيد »[3] .

كان رضي الله عنه جامعاً بين الشريعة والحقيقة ، أمَّاراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، يَبيع نفسَهُ في طاعةِ الله تعالىٰ .

ويُحكىٰ : أنه أكلَ مع ولده يقطيناً ، فقال لولده : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يحبُّ اليقطين ، فقال : ما هٰذا إلا قذارة ، فسلَّ السيفَ ، وضربَ عنقَ ولده ، وقدَّمَ غرضَ الشارعِ صلى الله عليه وسلم علىٰ ثمرة فؤاده[4] .

---

(١) قوله : (فيحرم بركة الشيخ وصحبته) من (ح) وحدها ، وفي باقي النسخ : (فيحرم بركة الصحبة) .

(٢) انظر « الطالع السعيد » (ص ٣٢٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١٠/ ٨٧) ، و« الوافي بالوفيات » (١٩/ ٢٧) ، و« طبقات الأولياء » (ص ٤٤٨) ، و« الدرر الكامنة » (٢/ ٣٨٥) ، و« المنهل الصافي » (٧/ ٣١١) ، و« طبقات المناوي » (٣/ ٤٨ ، ٤/ ٤٣٠) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٤١٩) (٢٨٦) .

(٣) كتاب « الوحيد في سلوك أهل طريق التوحيد والتصديق والإيمان بأولياء الله في كل زمان » يشتمل علىٰ حكايات مَنْ صحبه ، وأخبار من رآه ، وما بلغه عن الأقطاب والأوتاد في كل إقليم من البلاد ، ألَّفه (سنة ٧٠٨هـ) بثغر الإسكندرية ، وانظر « كشف الظنون » (٢/ ٢٠٠٥) .

(٤) لم تذكر هٰذه القصة الكتب المعتمدة في ترجمته .

ومن كلامه رضي الله عنه [1] : [من الوافر]

فـؤادٌ لا يَقـرُّ لـهُ قَـرارُ ... وأجفـانٌ مـدامعُهَـا غـزارُ

وليـلٌ طـالَ بـالأنكـادِ حتَّـىٰ ... ظننـتُ الليـلَ ليـسَ لـهُ نهـارُ

ولِـمْ لا والتُّقـىٰ حُلَّـتْ عُـراهُ ... وبـانَ علـى بنيـهِ الإنكسـارُ

لِيبكِ معِي علَى الدينِ البواكِي ... فقـدْ أضحـتْ مـواطنَـهُ قِفـارُ

وقـدْ هُـدَّتْ قـواعـدُهُ اعتـداءً ... وزالَ بـذاكُـمُ عنـهُ الـوقـارُ

وأصبـحَ لا تُقـامُ لـهُ حـدودٌ ... وأمسَـىٰ لا تَبِيـنُ لـهُ شعـارُ

وعـادَ كمَـا بـدَا فينَـا غـريبـاً ... هنـالِـكَ مـا لـهُ فِي الخلـقِ جـارُ

فقـدْ نقضُـوا عهـودهـمُ جِهـاراً ... وأسـرَوا فِـي العـداوةِ ثـمَّ سـارُوا

إلىٰ آخر ما قال .

مات رضي الله عنه سنة نيف وسبعين وست مئة [2] .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلامُ المُنكرين علىٰ أهلِ الله تعالىٰ كنفخةِ ناموسة علىٰ جبلٍ ، فكما لا يزيلُ الجبلَ نفخةُ الناموسة كذلك لا يتزلزلُ الكاملُ بكلامِ الناس فيه) .

وكان يقول : (السماعُ من بقيةٍ بقيتْ على الكامل ، فلو صارَ أكملَ ما تحرَّك ، وقد استمعَ السُّهرورديُّ ، والقُرشي ، وأضرابُهما) .

قال : ولما وشوا بذي النُّون المِصري رضي الله عنه إلىٰ بعض الخلفاء ، وادَّعوا أنَّه زنديق . . قال له الخليفة : ما هـٰذا الكلام الذي يُقال فيك ؟! فقال : ما هو ؟ فقال : قالوا : إنك تقول كما يقولُ الحسينُ الحلاج ! فقال : لا أعرفُ ذلك إلا عند السماع ؛ فأرسلْ خلفَ قوَّالٍ ينشدُ شيئاً حتىٰ أريكم ، فأنشد بين يديه ، فانتفخَ ذو النون حتىٰ بقي كالفيل ، وقطرتْ كلُّ شعرةٍ منه الدم ، فقال الخليفة : ما هـٰذا عن باطلٍ ، ثم أكرمَهُ

---

(١) وسبب هـٰذه الأبيات أنه أنكر منكراً في بلده ، فصدر مرسوم بنفيه إلىٰ مصر ، وألا يطلع إلى الصعيد ، فمات منفياً .

(٢) كذا في النسخ ، ولعل الصواب : أنه توفي بمصر في الثامن من ذي القعدة سنة ثمانٍ وسبع مئة . انظر « الطالع السعيد » (ص ٣٢٦) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١٠/ ٨٨) .

وردَّه إلىٰ مصر مُكرماً ، وكان إذ ذاك مقيماً بإخميم .

وحُكي : أنَّ سهل بنَ عبد الله التُّستريَّ رضي الله عنه قال : (التوبةُ فرضٌ علىٰ كلِّ عبدٍ في كلِّ نَفَسٍ ، فأنكرَ عليه أهلُ بلده ، وكفَّروه حتىٰ خرجَ من تُستر إلى البصرة ، وماتَ بها ، هـٰذا مع علمِ سهل واجتهاده وعلوِّ شأنه) .

قال : وكذلك شهدوا على الجُنيد رضي الله عنه بالكفر مِراراً ، حتىٰ تستَّرَ بالفقه ، واختفىٰ مع علمه ومعرفته ، وهـٰذا من أعجبِ العجائب ، وتقدَّم جملةٌ من ذلك في مقدِّمةِ هـٰذا الكتاب[١] ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٨٨) الشيخ أبو الحسن بن الصباغ رضي الله عنه[٢]

كان من أجلِّ أصحاب سيدي الشيخ عبدِ الرحيم القِناوي .

وكان يخرجُ علىٰ أصحابه ويقول لهم : أفيكم من إذا أرادَ اللهُ تعالىٰ أن يُحدِثَ في العالم حَدَثاً أعلمَهُ به قبل حدوثه ؟! فيقولون : لا ، فيقول : ابكوا علىٰ قلوبٍ محجوبةٍ عن الله عز وجل .

ونزل رضي الله عنه مرَّةً كنزاً ، فوجد فيه سبعةَ أرادب ذهباً[٣] ، فأخذ منها سبعةَ دنانير ، وقال : لم يُؤذنْ لي في أخذ شيءٍ غير ذلك .

وكان يقول : (لا ينبغي لشيخِ رباطِ الفقراءِ أن يدعَ الشبابَ المُرْدَ يُقيمون عنده إذا خافَ من إقامتهم مفسدةً علىٰ بعضِ الفقراء ، لا سيما جميل الصورة من الشباب ، اللهم إلا أن يكونَ الشابُّ غائباً عن طُرق الفساد ، مُقبلاً علىٰ عبادةِ

---

(١) انظر (١/١١٨) .

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٢/٥٨) ، و« الطالع السعيد » (ص ٣٨٣) ، و« الوافي بالوفيات » (٢١/٧٧) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١٣٠) ، و« طبقات المناوي » (٢/٤٦٠ ، ٤/١٢٣) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٤٢٠) (٢٨٧) .

(٣) **الإِرْدَبُّ** : كيل لأهل مصر ، يسع (٢٤) صاعاً بصاع النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، يختلف باختلاف البلدان ، وهو بين (١٧٩) ليتراً وبين (٢٨٢) ليتراً . « متن اللغة » (ر د ب) .

ربِّه ، لا يتفرَّغُ للهوِ ولا للعب ، بشرط أن يتولَّى الشيخُ أمرَهُ في الخدمة بنفسه دون نقيبِ الفقراء ، إلا أن يكونَ النقيبُ مُتمكِّناً في نفسه ، يبعدُ عنه الفساد) .

وقال : (لا ينبغي للشابِّ أن يجلسَ في وسط الحلقةِ مع الرجال ، إنما يجلسُ خلفَ الحلقة ، ولا يواجه الناسَ بوجهِهِ ، ولا يُخالطُ أحداً من الفقراء حتىٰ يلتحي) .

وكان رضي الله عنه إذا جاءه شابٌّ جميلُ الصورة ينزعُ ثيابه ، ويُلبسُه الخيش ، والمرقعات .

وحُكي : أنَّ شخصاً أراد أن يفعلَ فاحشةً في أمردَ في مقبرةِ الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه ، فصاح الشيخُ من داخل القبر : أما تستحي من الله يا فقير ؟! رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٨٩) الشيخ أبو السعود بن أبي العشائر بن شعبان بن الطيب الباذبِيني رضي الله عنه(١)

بلدةٌ بقربِ واسط بالعراق ، رضي الله عنه .

هو من أجلاء مشايخ مصر المحروسة .

وكان السُّلطانُ ينزلُ إلىٰ زيارته .

وتخرَّجَ بصحبته سيِّدي داود المغربي ، وسيدي شرف الدين ، وسيدي خضر الكردي ، ومشايخ لا يُحصون .

وكان يُسمع عند خلعِ نعليه أَنينٌ كأنين المريض ، فسُئل رضي الله عنه عن ذلك ، فقال : هي النفسُ نخلعُها عند النعال إذا اجتمعنا بالناس خشيةَ التكبر .

---

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٣/١٤٨) ، و« طبقات ابن الملقن » (ص ٤٠٦) ، و« طبقات المناوي » (٢/٣٥٩) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/٤٢١) (٢٨٨) ، **وباذبِين** : بكسر الباء الموحدة وياء ساكنة ونون : قرية كبيرة كالبلد ، تحت واسط ، علىٰ ضفة دجلة . « معجم البلدان » (١/٣١٨) .

وصامَ في المهد رضي الله عنه .

مات رضي الله عنه بالقاهرة في يوم الأحد تاسعِ شوال سنة أربعٍ وأربعين وست مئة ، ودُفن من يومه بسفح الجبل المقطَّم .

ومن كلامه رضي الله عنه : (ينبغي للسَّالك الصادقِ في سلوكه أن يجعلَ كتابَهُ قلبَهُ) .

وكان يقول : (من كان الطلبُ شغلَه ، يُوشكُ ألا يضلَّ عن طريق الله تعالىٰ ، ومن كان المطلوبُ شغلَه يُوشك ألا يقفَ ، فالطلبُ شغلُ الظاهر ، والمطلوبُ شغل الباطن ، ولا يستقيمُ ظاهرٌ إلا بباطن ، ولا يسلمُ ظاهرٌ إلا بباطن) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا ينصحكُ من لا ينصحُ نفسَه ، ولا تأمنِ الغشَّ ممن غشَّ نفسه) .

وكان يقول : (من رأيتَهُ يميلُ إليك لأجلِ نفعِهِ منك فاتَّهمْه) .

وكان يقول : (من ذكَّرك بالدنيا ومدحَها عندك ففرَّ منه ، ومن كان سبباً لغفلتِكَ عن مولاك فأعرضْ عنه ، وعليك بحسم مادةِ الخواطر المشغلة التي يتولَّدُ منها محبَّةُ الدنيا ، وإذا صدرَ منها خاطرٌ فأعرضْ عنه ، واشتغلْ بذكرِهِ عز وجل عن ذلك الخاطر) .

وكان يقول : (احذر أن تساكن الخاطر ، فيتولَّدُ من الخاطرِ همٌّ ، وربما غفلتَ عن الهمِّ ، فيتولَّدُ منه إرادةٌ ، وربَّما قويتِ الإرادةُ ، فصار هوىً غالباً ، فإذا صار هوىً غالباً ضعفَ القلبُ ، وذهبَ نورُه ، وربما تلفَ بالكلِّية ، وانعزلَ عنه العقلُ ، وصار كأنَّ عليه غطاءً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (عليك بالاشتغالِ بالله تعالىٰ ، فإن عجزتَ عن الاشتغال به فعليك بالاشتغال بطاعة الله تعالىٰ ، ولا أرىٰ لك عذراً في عدمِ الاشتغال بطاعته ؛ لأنها أولُ درجات الترقي) .

وكان رضي الله عنه يقول : (صلاحُ القلب في التوحيد والصدق ، وفسادُهُ في الشرك والرياء ، وعلامةُ صدقِ التوحيد : شهودُ واحدٍ ليس معه ثان ، مع عدم الخوف

والرجاء إلا من الله تعالىٰ ، وأما الصدقُ : فهو التجرُّدُ عن الكلِّ ، ومحوُ كلِّ ذاتٍ ظهرت ، وفقدُ كلِّ صفةٍ بطنت ، فإذا رأيتَ ميلَ قلبك إلى الخلق فانفِ عن قلبك الشرك ، وإذا رأيتَ ميلَ قلبك إلى الدُّنيا فانفِ عن قلبك الشكَّ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (عليك بالإحسانِ إلىٰ رعيَّتِك ، والرعيةُ خصوصٌ وعمومٌ ؛ فالعموم : العبدُ والأمَةُ والولد ، والخصوصُ : ما وراء ذلك ، فعليك بروحِكَ ، ثم بسرِّك ، ثم بقلبِكَ ، ثم بعقلك ، ثم بجسدك ، ثم بنفسك .

فالروحُ تُطالبُكَ بالشوقِ وسرعةِ السيرِ إليه من غير فتور ، والسرُّ يطالبُكَ بأن تُخفي سرَّك ، والقلبُ يطالبك بالذِّكر له والمراقبة ، وأن تنسىٰ نفسَك وسواه في ذكرك ، والعقلُ يُطالبك بالتسليم إليه ، والموافقة له ، وأن تكون مع مولاك علىٰ نفسك وسواك ، والجسدُ يطالبُك بالخدمة له ، وخلوصِ الطاعة ، والنفسُ تُطالبك بكفِّها ، وعجزها عن كلِّ ما مالتْ إليه، وحبسها وتقييدها ، وألا تصحبها ، ولا تستصحبها) .

وكان يقول : (إيَّاكَ أن تغفلَ عن مولاك ، وعما تعبَّدك به مولاك ، أو تشتغل بما تعبَّدك به عمن تعبَّدك به بالعبادة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا لم تُعْنَ بنفسك[١] فغيرُك أَحرىٰ أن يضيِّعَ نفسَك)[٢] .

وكان يقول : (أستغفرُ اللهَ من تقصيري في كلِّ عبادةٍ عددَ أنفاسي) .

وكان يقول : (لو استغفرتُ اللهَ عز وجل بصدقٍ وإخلاصٍ منذ ابتداءِ الخلق إلى انتهاء الخلق من غيرِ فتورِ نَفَسٍ واحدٍ من أنفاسي . . ما وفَّى استغفاري بنَفَسٍ واحدٍ غفلتُ فيه عن الله عز وجل ، فكيف وأنفاسي كثيرةٌ ، واستغفاري خالٍ عن الصدق والإخلاص ؟! فقد بانَ نقصي وتقصيري ، وإذا كانتْ أنفاسي ذنوباً ، واستغفاري يحتاجُ إلى استغفارٍ ، إلىٰ ما لا نهاية له ، فكيف حالي ؟! نسأل الله المغفرة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الأخلاقُ الشريفةُ كلُّها تنشأ من القلوب ، والأخلاقُ الذميمة كلُّها تنشأ من النفوس ؛ فالصادقُ في الطلب يشرعُ في رياضة نفسِهِ وطهارةِ قلبه

---

(١) في (و ، ز) : (تَعفَّ) بدل (تعن) .
(٢) في النسخ : (نفسه) بدل (نفسك) .

حتىٰ تتبدَّلَ أخلاقُهُ ، فيبدِّل الشكَّ بالتصديق ، والشِّركَ بالتوحيد ، والمنازعةَ بالتسليم ، والسخطَ والاعتراض بالرضا والتفويض ، والغفلة بالمراقبة ، والتفرقة بالجمعية ، والغِلظةَ باللين واللطف ، ورؤيةَ عيوبِ الناس بالغضِّ عنها ، ورؤية المحاسن والقسوة بالرحمة ، والغلَّ والحقد بالنصيحة ، والإدلالَ بالخوف وخوف التحويل ، ويرىٰ أنه ما وفَّىٰ حقَّ الله تعالىٰ في ساعةٍ من الساعات ، ولا قامَ بشكر ما أعطاه من فعلِ الخيرات ، وحينئذٍ تتحقَّقُ عبوديتُهُ ، ويصفو توحيدُهُ ، ويطيبُ عيشُهُ ، ويعيش مع الله تعالىٰ عيشَ أهلِ الجنان في الجنان ، وهـٰذه أخلاق الأنبياء والصدِّيقين ، والأولياء والصالحين ، والعلماء العاملين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لم يصلْ أولياءُ الله تعالىٰ إلىٰ ما وصلوا بكثرةِ الأعمال ، وإنما وصلوا إليه بالأدب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما دامتِ النفسُ باقيةً بأخلاقها وصفاتها فحركاتُ العبدِ كلُّها متابعةٌ لخواطرها ؛ وهي شيئان : إما للخلق ، وذلك شركٌ ، أو لراحة النفس ، وذلك هوىً ، فالشركُ لا يتركُ التوحيدَ يصفو ، والهوىٰ لا يتركُ العبوديةَ تصفو ، وما لم يشتغل السَّالكُ بإضعافِ هـٰذا العدوِّ الذي بين جنبيه لا يصحُّ له قدمٌ ، ولو أتىٰ بأعمالٍ تسدُّ الخافقين ، والرَّجلُ كلُّ الرجلِ مَنْ داوى الأمراض من خارج ، وشرعَ في قلعِ أصولها من الباطن ، حتىٰ يصفو وقتُهُ ، ويطيب ذكرُهُ ، ويدومُ أنسُه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يجبُ على السالك إذا رأىٰ من نفسِهِ خُلقاً سيئاً ؛ من كِبْرٍ ، أو شركٍ ، أو بُخلٍ ، أو سوءِ ظنٍّ بأحدٍ . أن يُدخلَ نفسَهُ في ضدِّ ما دعت إليه ، ثم يُقبلَ علىٰ ذكر الله تعالىٰ ، ويستنجدَ بحولِهِ وقوَّته ، ومجاهداته ؛ فتضعفُ أخلاقُ نفسه ، ويكثرُ نورُ قلبه ، فيُنزلُ الحقُّ تعالىٰ ذرَّةً من محبَّتِهِ ، فيترك الأشياءَ بلا مكابدةٍ ، ويقطعُ كلَّ مألوفٍ بلا مجاهدة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**الأصولُ التي يَبني عليها المريدُ أمرَه أربعةٌ** : اشتغالُ اللِّسان مع حضور القلب بذكره ، وجبرُ القلبِ علىٰ مراقبته ، ومخالفةُ النَّفسِ والهوىٰ من أجله ، وتصفيةُ اللقمة لعبوديته ؛ وهي القطبُ ، وبها تزكو الجوارحُ ، ويصفو القلبُ ، فيعطي النفسَ حظَّها من المأكل والمشرب ، ويمنعُها ما يُطغيها منه ؛ لأنها

أمانةُ الله عز وجل عند العبد ، وهي مطيَّتُهُ التي يسيرُ عليها ، فظلمُها كظلم الغير ؛ بل هو أشدُّ ؛ لما وردَ في خلودِ قاتلِ نفسِه دونَ قاتل غيره[١] ، **والإكسيرُ الذي يقلبُ الأعيان ذهباً خالصاً هو الإكثارُ من الذكرِ مع الإخلاص)** .

وكان رضي الله عنه يقول : (المراقبةُ لله عز وجل هي المفتاحُ لكلِّ سعادةٍ ، وهي طريقُ الراحة المختصرة ، وبها يطهرُ القلبُ ، وتندحضُ النفس ، ويقوى الأُنسُ فينزل الحبُّ ، ويحصل الصدق ؛ وهو الحارسُ الذي لا ينام ، والقيُّومُ الذي لا يغفلُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يجبُ علىٰ كلِّ عبدٍ أن يُدخلَ نفسَه في كلِّ شيءٍ يغمُّها ويسوؤها حتىٰ ترجعَ مطيعةً له ؛ فإنها هي العقبةُ التي تعبَّدَ اللهُ الخلقَ باقتحامها ، وهي حجابُ العبد عن مولاه ، وما دامَ لها حركةٌ لا يصفو الوقتُ ، وما دام لها خاطرٌ لا يصفو الذكر ، وبقاءُ النفس هو الذي صعَّبَ على العلماء الإخلاصَ في تعليمهم ؛ فإنَّ النفسَ إذا استولتْ على القلوب أسرتها ، وصارتِ الولايةُ لها ، فإن تحرَّكتْ تحرَّكَ القلبُ لها ، وإن سكنتْ سكنَ من أجلها ، وحبُّ الدنيا والرياسة لا يخرجُ قطُّ من قلبِ العبدِ مع وجودها ، فكيف يدَّعي عاقلٌ حالاً بينه وبين الله عز وجل مع استيلائها ؟! أم كيف يصحُّ لعابدٍ أن يُخلصَ في عبادته ، وهو غيرُ عالمٍ بآفاتها ؟! فإنَّ الهوىٰ روحُها ، والشيطانَ خادمُها ، والشركَ مركوزٌ في طبعها ، ومنازعةَ الحقِّ والاعتراضَ عليه مجبولٌ في خلقتِها ، وسوءَ الظنِّ وما ينتجُ من الكِبْرِ والدعوىٰ ، وقلَّةِ الاحترام شيمتُها ، ومحبَّةَ الصيت والاشتهار حياتُها ، ويكثر تعداد آفاتها ، وهي التي تُحبُّ أن تُعبدَ كما يُعبدُ مولاها ، وتُعظَّمَ كما يُعظَّمُ ربُّها ، فكيف يقربُ عبدٌ من مولاه مع بقائها ومصالحتها ؟! ومن أشفقَ عليها لا يفلحُ أبداً .

فيجبُ على الصادقِ أن كلَّ ما تمقتُهُ النفوسُ يعانقه ، وكلَّ ما تميلُ إليه يفارقه ،

---

(١) روى البخاري (٥٧٧٨) ، ومسلم (١٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « منْ تردَّىٰ منْ جبلٍ فقتلَ نفسَهُ ، فهوَ في نارِ جهنمَ يتردَّىٰ فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومنْ تحسَّىٰ سُمّاً فقتلَ نفسَهُ فسُمُّهُ في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجَّأُ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » .

ويَقْبَلُ من الذَّامِّين ذمَّهم فيه ، ويقولُ للمادحين : ما مدحتموه من وراء حجاب ، ويقول لنفسِه في كلِّ نَفَسٍ : لا قرَّبَ اللهُ مرادَك ، وأبعدَ مرامَك ، فنعوذُ بالله من أرضٍ ينبتُ فيها نزاهةُ النفوس ؛ فإنَّ من لمح نزاهتَها ، أو رأىٰ لها قدراً ، أو علمَ أنَّ في الوجود أخسَّ من نفسه . . فما عرفَ نفسه ، فكيف يُنزِّهُها ، أو يغضبُ لها ، أو يؤذي مُسلماً لأجلها ؟! فيجبُ اجتنابها كالسُّمِّ ، وما دامت في وجهِ القلب لا يصلُ إلى القلب خيرٌ ؛ لأنَّها ترسٌ في وجهه ، وكلَّما قويتْ على القلب زادَ شرُّه ، ونقصَ خيرُهُ ، وما بقيَ منها بقيةٌ فالشيطانُ لا ينعزلُ عنها ، والخواطرُ المذمومة لا تنقطع منها) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يجبُ على السالك ألا يشتغلَ بالكلِّية بمقاومة نفسه ؛ فإنَّ من اشتغلَ بمقاومتها أوقفَتْهُ ، كما أنَّ من أهملها ركبَتْهُ ، بل يخدعُها ؛ بأن يُعطيها راحةً دون راحة ، ثم ينتقلُ إلىٰ أقلَّ من ذلك ، ومَنْ قاومها وصارَ خصمَها شغلَتْهُ ، ومن أخذَها بالخدعِ ، ولم يتابعْ هواها تبعتْهُ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا لبَّستِ النفسُ علىٰ مريدٍ حالَها ، وادَّعتِ التركَ للدنيا ، وأنَّ عملها وعلمها وتعليمها خالصٌ لله تعالىٰ . . فيجب عليه أن يزنَها بالميزانِ التي لا تنخرم ، والمعيارِ الذي لا يظلم ، وهو تصوير ذمِّها بعد مدحها ، وردِّها بعد قبولها ، والإعراض عنها بعد الإقبالِ عليها ، وذُلِّها بعد عزِّها ، وإهانتِها بعد إكرامها ، فإن وجد عندها التغيُّرَ والانعصار فقد بقي عليه من نفسِهِ بقيَّةٌ يجبُ عليه مجاهدتُها ، ولا يجوزُ له الاسترسالُ معها ، وليعلمْ حين التغيُّرِ أنه واقفٌ مع نفسه ، عابدٌ لها ، معينٌ لها علىٰ حصول آفاتها ، وصاحبُ هٰذا الحال بعيدٌ من الله عز وجل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ المريدَ متىٰ تركَ مجاهدةَ نفسه ، ولم يجذبْها توثَّبَتْ أخلاقُها ، وعجز عن الخروج عنها ، وكأنه في كلِّ يومٍ يبني علىٰ ذلك الأساس ، ويشيدُهُ في كلِّ لحظةٍ حتىٰ يموتَ بدائه وحسرته ؛ فإنه قلَّ من شيَّد لنفسِه الجاه والصيت فأمكنَهُ الخروجُ عنه ، فيجب عليه أن يستغيثَ بربِّه عز وجل ، وينكِّسَ رأسه ، ويعتذرَ إليه ، ويسكتَ عن كلِّ دعوىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلُّ من بقي له عدوٌّ يخافُ أن يشمتَ به ، فإنما هو لبقاء نفسه ، ولبقاءِ حبِّ الدنيا في قلبه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من أعرضَ الخلقُ عنه ، فتغيَّرَ منه شعرةٌ واحدة فهو واقفٌ معهم ، مشركٌ بربِّه عز وجل ، ومَنْ ابتُليَ بكلِّ مرضٍ ، فتغيَّرَ منه شعرةٌ واحدة . . فهو واقفٌ مع نفسِهِ في حجابٍ عن ربِّه ، ومن تغيَّرَ في حالِ الذُّلِّ ، ولم يكنْ كما كان في حالِ العزِّ فهو محبٌّ للدنيا ، بعيدٌ من ربِّه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلُّ ما أغفلَ القلوبَ عن ذكره تعالىٰ فهو دنيا ، وكلُّ ما أوقفَ القلوبَ عن طلبه فهو دنيا ، وكلُّ ما أنزل الهمَّ بالقلب فهو دنيا) .

وكتب رضي الله عنه رسالةً إلىٰ بعض إخوانه : (السلام عليك يا أخي ورحمةُ الله وبركاته ، وبعد : فقد سألتني أيُّها الأخُ أنْ أدعوَ لك ، والعبدُ أقلُّ من أن يُجابَ له دعاء ، ولـٰكن ندعو لك امتثالاً فأقول : ألهمك اللهُ ـ يا أخي ـ ذكرَهُ ، وأوزعَك شكرَه[١] ، ورضَّاك بقدره ، ولا أخلاك من توفيقه ومعونته ، ولا وكلَكَ إلىٰ نفسِك ، ولا إلىٰ أحدٍ من خليقته ، وجعلَكَ ممن وفَّىٰ بعهدِهِ ، وصدقَ في قوله وفعله ، وجعلك ممن أرادَ اللهَ عز وجل وجدَّ في الطلبِ بالصدق والأدب ، وأراد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالمتابعة والتصديق ، وأرادَ الدارَ الآخرة بالأعمال الصالحة ، واحتمال الأذىٰ ، وترك الأذىٰ .

وجعلَكَ من المُستهترين[٢] ـ أي : المواظبين ـ لذكر الله تعالى ، الوجلين من خشية الله تعالى ، المُخلصين لله عز وجل ، الموحِّدين لله عز وجل ، المصدِّقين لله ، المُؤثِرين لله تعالىٰ علىٰ أنفسِهم ، المقدِّمين حقَّه علىٰ حقوقهم ، الذين خلتْ بواطنُهم من الحقد ، وقلوبُهم من سِواه ، ولم يطلبوا من مولاهم سوى الدِّين ، الذين لا يستأثرون ، ولا يزاحمون ولا يتخصَّصون ، ولسوىٰ مولاهم لا يُريدون ، وبغيره لا يفرحون ، وعلىٰ فقدِ غيره لا يحزنون ، الذين هم علىٰ جميع أمَّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم يُشفقون ، وبهم يَرفقون ، الذين يَنصحون المسلمين ولا يقبِّحون ، ويعرفون ولا يعنِّفون ، وعن عيبِ من فيه العيب يُغمضون ويسترون ، ولعورات المسلمين لا يَتبعون ، الذين هم للهِ تعالىٰ في جميعِ الحركات والسكنات يُراقبون ،

---

(١) **أوزعك** : ألهمك .

(٢) استهتر بالشيء : فُتن به ولزمه غير مبالٍ بنقدٍ ولا موعظة .

الذين غضبُهم لله تعالىٰ من غيرِ حقدٍ ، ولا تمني سوء ، ورضاهم لله عز وجل من غيرِ هوىً .

الذين لا يأمرون إلا بما أمرتْ به الشريعة ، ولا يُنكرون إلا ما أنكرتِ الشريعة علىٰ حسب طاقتهم ، الذين لا تأخذُهم في الله لومةُ لائمٍ ، الذين يُبغضون الظُّلمَ من الظالم ، ويَمقتون الظالمَ ولا يعظِّمونه ، ويسألون الله تعالىٰ تعجيز الظلمة[1] حتىٰ لا يظلمون ، ويتوب اللهُ عليهم حتىٰ يتوبون ، الذين بما أنزل الله تعالىٰ وقولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يحكمون ، الزاهدين في الدنيا والخلق ، المقبلين بكلِّيتهم على الحقِّ ، الذين لا يَرون من مولاهم إلا ما يرضونه ويستحسنونه ، ولا يرونَ من نفوسهم إلا ما يكرهونه ويستوحشونه .

وجعلك يا أخي من الموحِّدين الذين لا شركَ عندهم ، المنزِّهين الذين لا تُهمة عندهم ، المصدِّقين الذين لا شكَّ عندهم ، الذاكرين الذين لا نِسيان عندهم ، الطالبين الذين لا فتورَ عندهم ، المتَّبِعين الذين لا ابتداعَ عندهم ، المؤثرين الذين لا شفقةَ علىٰ نفوسهم عندهم ، الزاهدين الذين لا ميلَ إلى السِّوىٰ عندهم ، المُسَلِّمين الذين لا منازعةَ عندهم ، الراضين الذين لا سخطَ عندهم ، الراحمين للخلق ولا غلظةَ عندهم ، الناصحين الذين لا مُصانعة عندهم[2] ، الذين الخوفُ ملازمُهم ، والعظمةُ نصبَ أعينهم ، الذين لا يخطرُ ببالهم كيفيةٌ ولا خيال .

وجعلك يا أخي من المخالطين للطَّاعة[3] ، التاركين للعادة ، الذين لا يرضيهم سوىٰ مولاهم ولا يُرضون نفوسَهم ، وأرواحُهم له ولا سواه ، الذين لا يحقدون ، ولا يبغضون ، ويقتفون أثرَ الشارع ، وبه يقتدون ، وعلىٰ جميع أصحابه يترحَّمون ، وللقرابة يوادُّون ، وبفضلِ السَّلف يعترفون ، الذين لا يُبدِّعون المسلمين بآرائهم ولا بأهوائهم ، ولا يفسِّقون الذين خلتْ بواطنهم من ظنِّ السُّوء أو تمنِّيه لمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، الذين ليس في بواطنهم إلا الشفقةُ والرحمة .

---

(١) في (ح) وحدها : (هجير الظلمة) ، والمثبت من باقي النسخ .

(٢) **المصانعة** : المداهنة .

(٣) في (و) : (المخاطبين بالطاعة) ، وفي (ز) : (المخاطبين للطاعة) .

الذين لا تعجبُهم زينةُ الدنيا ، ولا يرون عزيزَها عزيزاً ، ولا غنيَّها غنياً ، ولا مَلِكها ملكاً ، ولا المستريحَ فيها مُستريحاً ، ولا الصحيح فيها معافىً ، الذين يَرحمون من أخذ الدنيا بحذافيرها ؛ لأنه ما معه شيءٌ ، الذين يُطالبون نفوسَهم بالحقوق ، ولا يُطالبون لنفوسهم ، الذين لا يلحقهم همٌّ لأجلِ مقسوم ، ولا خوفٌ من مخلوق .

الذين باينوا صفاتهم حتى انغمرتْ ، ونفوا أخلاقهم[١] حتىٰ ذهبت ، وخالفوا نفوسَهم حتىٰ عدمَتْ ، الذين يُحبِّبون اللهَ عز وجل إلىٰ خلقِه ، ويذكِّرونهم نعمَه ، ويحبِّبون خلقَه إليه بحثِّهم علىٰ طاعته ، والاعترافِ بنعمته ، والاعتذار من تقصيرهم في خدمته ، الذين أيديهم مقبوضةٌ عن أموال الناس ، وجوارحُهم مكفوفةٌ عن أذى المسلمين ، والمسلمون معهم في راحةٍ ، الذين لا يُقابلون عن السُّوءِ إلا عفواً وصفحاً ، آمين اللهم آمين) انتهىٰ ، والله أعلم .

قلت : وجميعُ هـٰذه الرسالة من أخلاقِ الكُمَّل ، وما رأيتُ في لسان الأولياء أوسعَ أخلاقاً منه ، ومن سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله عنهما .

ومنهم :

(٢٩٠) الشيخ العارف بالله تعالىٰ سيِّدي إبراهيم القُرشيُّ الدُّسوقي رضي الله عنه[٢]

هو من أجلاء مشايخ الفقراء أصحابِ الخرق .

وكان من صدور المقرَّبين ، وكان صاحبَ كراماتٍ ظاهرة ، ومقاماتٍ فاخرة ، وسرائرَ زاهرةٍ[٣] ، وبصائرَ باهرة ، وأحوالٍ خارقة ، وأنفاسٍ صادقة ، وهممٍ عالية ،

---

(١) في (أ ، د ، ط) : (نقَّوا) بدل (نفوا) .

(٢) انظر « تاج العروس » (د س ق) و« طبقات المناوي » (٢/ ٣٢٠) ، و« خطط مبارك » (١٦/ ٧) ، وسترد ترجمته ثانية في « الطبقات الوسطىٰ » (٣/ ٣٥٧) (٢٥٤) .

ودسوق : بلدة جليلة ، مركز قسم من مديرية الغربية على الشاطئ الشرقي لبحر الرشيد . « خطط مبارك » .

(٣) في (أ ، هـ ، ح) : (وسرائر ظاهرة) .

كورتبٍ سنية ، ومناظرَ بهيةٍ ، وإشاراتٍ نورانية ، ونفحاتٍ روحانية ، وأسرارٍ ملكوتية ، ومحاضراتٍ قدسية .

له المعراجُ الأعلىٰ في المعارف ، والمنهاجُ الأسنىٰ في الحقائق ، والطورُ الأرفع في المعالي ، والقدمُ الرَّاسخُ في أحوال النهايات ، واليدُ البيضاء في علوم الموارد ، والباعُ الطويل في التصريفِ النافذ ، والكشفُ الخارق عن حقائق الآيات ، والفتحُ المضاعف في معنى المشاهدات .

وهو أحدُ من أظهرَهُ اللهُ عز وجل إلى الوجود وأبرزَهُ ؛ رحمةً للخلق ، وأوقعَ له القبولَ التامَّ عند الخاصِّ والعام ، وصرَّفه في العالم ، ومكَّنه في أحكام الولاية ، وقلبَ له الأعيان ، وخرقَ له العادات ، وأنطقَهُ بالمغيَّبات ، وأظهرَ علىٰ يديه العجائب ، وصوَّمَهُ في المهد ، رضي الله عنه .

وله كلامٌ كثيرٌ عالٍ علىٰ لسان أهل الطريق .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من لم يكنْ مُجتهداً في بدايته لا يَفلحُ له مريدٌ ؛ فإنه إنْ نامَ نام مريدُهُ ، وإنْ قامَ قامَ مريده ، وإن أمرَ الناسَ بالعبادة وهو بطَّالٌ ، أو توَّبَهم عن الباطل وهو يفعله . . ضحكوا عليه ، ولم يسمعوا منه) .

وكان ينشدُ كثيراً ـ إذا قيلَ له : انصحنا وأرشدنا ـ قولَ بعضهم :

لا تعذلينَ الحرائرَ حتىٰ تكوني مثلهنَّ   يقبح علىٰ معلولةٍ تَصفْ دوا للناس

وكان رضي الله عنه يقول : (يجبُ على المُريد ألا يتكلَّم قطُّ إلا بدستور شيخه إن كان جسمُه حاضراً[١] ، وإن كان غائباً يستأذنُهُ بالقلب ؛ وذلك حتىٰ يترقَّىٰ إلى الوصولِ إلىٰ هـٰذا المقام في حقِّ ربِّه عز وجل ؛ فإنَّ الشيخَ إذا رأى المريدَ يُراعيه هـٰذه المراعاة ربَّاه بلطيفِ الشراب ، وأَسقاه من ماءِ التربية ، ولاحظَهُ بالسرِّ المعنوي [الإلـٰهي][٢] ، فيا سعادةَ من أحسنَ الأدبَ مع مربِّيه ، ويا شقاوة من أساء) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من عاملَ الله تعالىٰ بالسرائر جعله على الأسرَّة

---

(١) **دستور شيخه** : إذن شيخه .

(٢) ترددت النسخ بين : (الإلي) و(الآلي) و(الأولي) .

والحظائر ، ومن خلصَ نظرُهُ من الاعتكاس سلمَ من الالتباس) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من غابَ بقلبِهِ في حضرة ربّه لا يُكلَّفُ في غيبته ، فإذا خرجَ إلىٰ عالمِ الشهادة قضىٰ ما فاته ، وهـٰذا حالُ المبتدئين ، أما حالُ الكُمَّل فلا يجري عليهم هـٰذا الحكم ، بل يُردُّون لأداءِ فرضهم وسننهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لم يكن متشرّعاً متحقّقاً نظيفاً عفيفاً شريفاً فليس من أولادي ، ولو كان ابني لصلبي ، وكلُّ من كانَ من المريدين مُلازماً للشريعة والحقيقة والطريقة ، والديانة والصيانة ، والزهد والورع ، وقلة الطمع . . فهو ولدي ، وإن كان من أقصى البلاد) .

وقيل له مرَّةً : ما تُريد ؟ فقال : أريدُ ما يُريدُ اللهُ عز وجل .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما كلُّ مَنْ وقفَ يعرفُ لذَّةَ الوقوف ، ولا كلُّ من خدمَ يعرفُ آداب الخدمة ؛ ولذلك قُطع بكثيرٍ من الناس مع شدَّةِ اجتهادهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (سألتُكم بالله يا أولادي أن تكونوا خائفين من الله تعالىٰ ؛ فإنكم غنمُ السكين ، وكباشُ الفناء ، وخراف العلف ، يا من تَنُّورُ شِواهم قد أُوهج ، ويا مَنِ السكينُ لهم تُحدُّ وتجرب ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا ﴾ [التحريم : ٦]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يكملُ الفقيرُ حتىٰ يكونَ محبّاً لجميع الناس ، مُشفقاً عليهم ، ساتراً لعوراتهم ؛ فإنِ ادَّعى الكمالَ وهو علىٰ خلافِ ما ذكرناه فهو كاذب) .

وكان يقول : (لا تُنكروا علىٰ فقيرٍ حاله ، ولا لباسَهُ ، ولا طعامَه ، ولا علىٰ أيِّ حالةٍ كان ، ولا علىٰ أيِّ ثوبٍ يلبس ، ولا إنكارَ علىٰ أحدٍ إلا إنِ ارتكبَ محظوراً صرَّحت به الشريعة ؛ وذلك : أنَّ الإنكارَ يُورث الوحشةَ ، والوحشةُ سببٌ لانقطاع العبد عن ربّه عز وجل ؛ فإن الناسَ خاصٌّ وخاصُّ الخاص ، ومبتدئٌ ومنتهٍ ، ومتشبِّهٌ ومتحقِّقٌ ، ويرحمُ الله تعالى البعضَ بالبعض ، والقويُّ ما يقدرُ أن يَمشي مع الضعيف وعكسه ، والفقراءُ غيث ، وهو سيف ، فإذا ضحكَ الفقيرُ في وجه أحدِكم فاحذروه ، ولا تُخالطوه إلا بالأدب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الشريعةُ أصلٌ ، والحقيقةُ فرعٌ ؛ فالشريعةُ جامعةٌ لكلِّ علمٍ مشروع ، والحقيقةُ جامعةٌ لكلِّ علمٍ خفي ، وجميعُ المقامات مندرجةٌ فيهما) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يجبُ على المريد أن يأخذَ من العلم ما يجبُ عليه في تأدية فرضه ونفله ، ولا يشتغل بالفصاحة والبلاغة ؛ فإن ذلك شغلٌ له عن مُراده ، بل يفحصُ عن آثار الصالحين في العمل ، ويواظبُ على الذكر) .

وكان يقول : (الرجالُ : منهم رجلٌ ، ونصفُ رجل ، وربعُ رجلٍ ، ورجلٌ كامل ، وبالغ ، ومدرك ، وواصل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (توبةُ الخواصِّ محوٌ لكلِّ ما سوى الله تعالىٰ ، ولا يتطلَّعون إلىٰ عملٍ ولا قولٍ ، يتوبون عن أن يختلجَ في أسرارِهم : « أن لي » أو يتوهَّمون : « أن عندي » ، ويخشون من قول « أنا » فهم يُراعون الخطرات) .

وكان يقول : (يا مُريدي ؛ اجمعْ همَّةَ العزم ، وقَوِّ شدَّة الحزم ؛ لتعرفَ الطريق بالإدراك لا بالوصف ، فأيُّ مقامٍ وقفتَ فيه كان حجاباً لك ؛ بلِ ارفضْ كلَّ ما يحجبك عن مولاك ؛ فإن كلَّ ما دون الله تعالىٰ باطل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الأغراض تورث الإعراض) .

وكان يقول : (دعني يا ولدي من البطالات ، وتجرَّدْ من قالبك إلىٰ قلبك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (احذر يا أخي أن تدَّعي أن لك معاملةً خالصةً أو حالاً ، واعلم : أنَّك إنْ صمتَ فهو الذي صوَّمَك ، وإن قمتَ فهو الذي أقامك ، وإن عملتَ فهو الذي استعملك ، وإن رأيتَ فهو الذي أَراك ، وإن شربتَ شرابَ القوم فهو الذي أسقاك ، وإن اتَّقيتَ فهو الذي وقاك ، وإن ارتفعتَ فهو الذي رقَّىٰ منزلتَك[1] ، وإنْ نلتَ فهو الذي نوَّلك ، وليس لك في الوسط شيءٌ إلا أن تعترفَ بأنك عاصٍ ، ما لك حسنةٌ واحدة ، وهو صحيح ، من أين لك حسنةٌ وهو الذي أحسنَ إليك ؟! وهو الحاكمُ فيك ، إن شاء قبلَكَ ، وإن شاءَ ردَّك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ولدُ القلبِ خيرٌ من ولد الصُّلب ، فولدُ الصُّلب له إرثُ الظاهر من الميراث ، وولدُ القلب له إرثُ الباطنِ من السرِّ) .

وكان يقول : (من أُدخلَ دار الفردانية ، وكُشِفَ له عن الجلالِ والعظمة . . يبقى هو

---

(١) في (و) : (وإن ارتقيت فهو الذي رقاك) .

بلا هو ، فحينئذٍ يبقىٰ زماناً ما فانياً ، ثم يعودُ في حفظِ الله تعالىٰ وكلاءتِهِ ، سواءً حضرَ أو غاب ، ولا يبقىٰ له حظٌّ في كرامات ولا كلام ، ولا نظامِ نفساني ، وخلصَ لجانب العبودية المحضة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أصحابُ العطاء كثيرٌ ، وأهلُ هٰذا الزمان ما بقي عندهم إلا المنافسةُ ؛ إما يَسألون عن معنى الصفات ، أو معنى الأسماء ، أو معنىٰ مقطَّعات حروف المعجم ، وهٰذا لا يليقُ بالمبتدئ السؤالُ عنه ، وأما المتمكِّنُ فله أن يلوِّحَ بذلك لمن يستحقُّ ؛ فإنَّ علمَها طريقةُ الكشفِ لا غير ، وأما منِ اشتغلَ بحفظ كلام الناس ، أو جمعِ الحقائق ولسانِ المتكلِّمين في الطريق والطرائق . . فمتىٰ يعيشُ عمراً آخرَ حتىٰ يفرغَ من عمرِ الفناء إلىٰ عمرِ البقاء ؟! فإنَّ القومَ كانوا محبين ، وكلٌّ منهم يتكلَّمُ بلسان محبَّته وذوقه ، فهو كلامٌ لا يُحصر ، وبحرٌ غرقَ فيه خلقٌ كثير ، ولا وصلَ أحدٌ إلىٰ قعره ، ولا إلىٰ ساحله ، وإنما يذكرُ العارفُ كلامَ غيره تستُّراً علىٰ نفسه ، أو تنفيساً لما يجدُهُ من ضيق الكتمان ، آه آه آه ! ولقد شهدَ اللهُ العظيمُ أني ما أتكلَّمُ قطُّ أو أخطُّ في قرطاس إلا وأتوخَّىٰ أن يكونَ ذلك شاغلاً أو بياناً لمعنًىٰ غامض على الناس لا غير ، فإنَّ الصدقَ قد ذهبَ من أكثر الناس) .

وكان رضي الله عنه يقول : (جميعُ المعبِّرين ، والمؤوِّلين ، والمتكلِّمين في علمِ التوحيد والتفسير لم يصلوا إلىٰ عشرِ معشارِ معرفةِ كُنْهِ إدراكِ معرفة معنىٰ حرفٍ واحدٍ من حروف القرآن العظيم) .

وكان يقول : (أولُ الطريق الخروجُ عن النفسِ ، والتلف ، والضيق ، والحظ ؛ فإن الفلاحَ والنجاحَ والصلاح والهدىٰ والأرباح لا تصحُّ إلا لمن تركَ الحظَّ ، وقابل الأذىٰ والشرَّ بالاحتمال والخير ، ووسَّع خُلُقَه ، والفقيرُ لا يكونُ له يدٌ ، ولا لسانٌ ، ولا كلام ، ولا صلفٌ ، ولا شطحٌ ، ولا فعلٌ رديء ، ولا يصرفه عن محبوبه صارفٌ ، ولا تردُّه السيوف والمتالف) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أكلُ الحرام يُوقف العمل ، ويُوهن الدِّين ، وقولُ الحرام يُفسدُ على المبتدئ عملَهُ ، والطعامُ الحرامُ يُفسدُ على العامل عملَهُ ، ومعاشرةُ أهل الأدناس تُورث الظُّلمة للبصر والبصيرة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ الله عز وجل يحبُّ من عباده أخوفَهم منه ، وأطهرَهم قلباً ، وفرجاً ، ولساناً ، وعيناً ، ويداً ، وأعفَّهم وأعفاهم وأكرمَهم ، وأكثرهم ذكراً ، وأوسعهم صدراً) .

وكان يقول : (من كانَ في الحضرة نظرَ الدنيا والآخرة) .

وكان يقول : (إيَّاكم والدعواتِ الكاذبةَ ؛ فإنها تسوِّد الوجه ، وتعمي البصيرة ، وإياكم ومؤاخاةَ النساء ، وإطلاقَ البصر في رؤيتهن ، والقول بالمُشاهد ، والمشي مع الأحداث في الطرقات ؛ فإن هـٰذا كلَّه نفوسٌ وشهوات ، ومن أحدث في طريق القوم ما ليس فيها فليس هو منَّا ولا فينا ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧]) .

وكان رضي الله عنه يتكلَّمُ بالعجمي والسرياني والعبراني والزنجي ، وسائر لغاتِ الطيور والوحش .

وكتب رضي الله عنه إلىٰ بعض مُريديه بعد السلام : (وإنني أحبُّ الولدَ ، وباطني خليٌّ من الحقدِ والحسد ، ولا بباطني شطا ، ولا حريق لظىٰ ، ولا لوىٰ لطىٰ ، ولا جوىٰ من مضىٰ ، ولا مضض غضا ، ولا نكص بضا ، ولا سقط نطا ، ولا ثطب عطا ، ولا عطل حظا ، ولا شنب شرىٰ ، ولا سلب شيا ، ولا عتب فجا ، ولا سمداد ولا سند ضدا ، ولا مدح رضا ، ولا سطف رضا حرا ، ولا حتف حرا ، ولا حنس خيس ، ولا حفص عفص ، ولا خفض خنس ، ولا حولد كنس ، ولا عس كنس ، ولا عسعس خدس ، ولا حيقل خندس ، ولا سمطاريس ، ولا عيطافيس ، ولا هطا مرش ، ولا سطا مريش ، ولا شوش أرش ، ولا ركاش قوش ، ولا سملاد نوس ، ولا كتباد سمطلول الروس ، ولا لوس عكموس ، ولا انفداد أفاد ، ولا تمداد أنكاد ، ولا بهداد ، ولا شهداد ، ولا بدَّ من عون ، وما لنا فعل إلا في الخير ، والنوال) . انتهىٰ[١] .

وكتب إلىٰ بعض مريديه أيضاً : (سلامٌ على العرائس المحشورة في ظلِّ وابل الرحمة .

---

(١) هناك اختلاف في النسخ في بعض الكلمات ، تم الإعراض عنها ؛ لعدم إمكانية الترجيح ، وكذا فيما سيأتي .

وبعد : فإنَّ شجرة القلوبِ إذا هُزَّتْ فاح منها شذاً يغذِّي الروح ، فيستنشقُ من لا عنده زكمٌ ، فتبدو له أنوارٌ وعلومٌ مختلفة ، مانعة محجوبة ، معلومةٌ لا معلومة ، معروفةٌ لا معروفة ، غريبة عجيبة ، سهلةٌ شطة ، فائقة طعم ورائحة ، وشم ميم محلٍّ جميل جمل جهد راب علوب نغط نبوط هربط سهبط حرموط غميطا غلب عمن عسب غلب عرماد علمود علىٰ عروس علماس سرود قدقد فرسم صباع صبغ صبوغ بنوب جهمل جما يد حر بوعس قنبود سماع نباع سرنوع ختلوف كداف كروف كمتوف شهدا سهنبيل ختلولف ختوف رصص مامنٰ قمن قرفنيود سعىٰ طبوطا طابرطا كمط ، كهرجة جهد بيد قيلودات كهلودات كيكل كلوب فافهم مبرم وقرم منعم وأخبر سهدم سوس سفيوس كلا فيدلا تهتر عن عنيلا سعسد سج تزيد ، ولا تتكوكع زند حدام هدام سكهدل . وقد سطَّرنا لك يا ولدي تحفةً سنية ، ودرَّةً مضية ، ربانيةً سريانيةً ، شمسية قمريةً ، كواكب درية ، وأنجم خفية علوية ، وإنما تصفحُ المبهم المغلق المغرب الذي سرُّه مغطّىً بالرموز) انتهىٰ .

وكتب رضي الله عنه إلىٰ بعض مريديه أيضاً : (سلامٌ إنْ هبَّ الحلوب المفتق ، أو الصَّبا المعبق ، أو الضُّحى المرونق ، أو الشمس المتحفة ، أو الأضحية المعترفة في الأبرجة المعونقة ، والمجبرة المحونقة ، والمسرة المحتوطفة ، واللطيفات المختلفة المستوجنة ، والأرايج والأرياح ، المقولجة المستودجة فالشهار ، والأنهار المستوطج ، والصفو المزرورق أو المقتودج ، والفتوع ، والسنبابول ، والسربايور ، والشوشاند ، والشربوشاسع ، والبرقوا شاند تفهم يا ولدي ، فإن كلامَ المغرب لا يُشاكلُ المعرب ، وما ليس من لغةِ العرب لا يفهمه إلا من له قلبٌ ، أو فهَّمَهُ الربُّ ، ولا إنكارَ علىٰ علماء الحقيقة ، وهم يتكلَّمون بكلِّ لسان ، ولهم لسنٌ عجام) .

وكتب رضي الله عنه سلاماً إلىٰ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسله مع الحُجَّاج : (سلامٌ علىٰ أمير حي المحيا ، جميل المعنىٰ ، سخي المراشف ، أرخى المعاطف ، كريم الخلق ، سنيِّ الصدق ، عرفوط الوقت ، وردساني الفهم ، ثاقب المرحب ، محبول الرحب ، قطابة النفل ، قيدوح النماطة ، ليدوح النباطة ، سرسا مع الوحب ، نهدياني الوعب ، نهبساني الحداقة ، سهبري النساقة، أمور الرموز ، عموز

النهوز ، سلاحات أفق ، فردفانية أمق ، شوامق اليرامق حيدر فرقيد ، وفرغاط الأسباط ، ومبيط البساط الكرقولية ، والقدد القيلولية ، إن حدول شذول ، وإن عرذل خردل ، السبل السبل يبط العقود النماحة النياحة ، جاجوي نبا كلكوي سبا ، مقطعات حمم ، ومحكمات حكيم بدائع لوايع إن شدت أنشدت عنيقبات رسمانية ناتوتية نابهتنية بابلية أرس أرسون كمين كبيوت ناتون نون ، وجيم ونقطة تنعيم ازمح همدج تنسج هيج دهبر رعبوت قيداف قيدوف عرائس مجليات شعشانية على قطط النبط لا النمط ، والبعد لا الشطط ، فلاق القندم خلاق الزيدم ، وأبقى الهندم إن طاطا فطاوما ، وإن تعاطى فاستبرق ، يسمع عنين النبك ، وعنين التبك من أوباح فوائد ، وأدراح قلائد ليش من لفظ قس الأيادي ، ولا له بها أيادي نهدبانية البهاسبهانية الربا قل تيشلقت بالنباهة أبيا ، وتعطرفت بالسياحة عببا طرايقا ، عجنبا عرائفها جبا ، إن تمادى تمدى ، وإن بعد أعدد لفظة بارق لحظة حاذق ، إن ينشد فرد قوينة قد أعدت بالرشطاط من قروربان ، وحرموزان كروم المرتبلاه ، ولا أشباه ألم تك ، والدتك ، والدتك) . انتهى .

وكان رضي الله عنه يقول : (عليك بالعمل ، وإياك وشقشقةَ اللِّسان بالكلام في الطريق دون التخلُّق بأخلاق أهلها .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يجوعُ حتى شدَّ الحجرَ على بطنه ، وقام حتى تفطَّرتْ قدماه ، ثم تبعه أكابرُ الصحابة رضي الله عنهم على ذلك ؛ فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا تَنَهَّدَ يُشمُّ لكبده رائحةُ الكبد المشوي ، وأنفقَ مالَهُ في سبيل الله كلَّهُ ، وكان عمر بنُ الخطاب رضي الله عنه شديدَ العمل والكدِّ ، حتى رقعَ دلقَهُ بالجلود ، ولفَّ رأسَه بقطعة خيشٍ ، وكان عثمانُ رضي الله عنه يختمُ القرآن قائماً كلَّ ليلةٍ على أقدامه ، وكان عليٌّ رضي الله عنه من زهَّاد الصحابة ومجاهديهم حتى فتحَ أكثرَ بلاد الإسلام .

هؤلاء خواصُّ الصحابة رضي الله عنهم مع قربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كان عملهم ، هذا كان اجتهادُهم ، وزهدهم ، وجوعهم ، فأحكموا الحقيقةَ والشريعة ، ولا تفرِّطوا إن أردتُمْ أن تكونوا يُقتدى بكم ، وما سُمِّيتِ الحقيقة

حقيقةً إلا لكونها تُحقِّق الأمورَ بالأعمال ، وتنتج الحقائق من بحر الشريعة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما دام لسانُك يذوقُ الحرامَ فلا تطمعُ أن تذوقَ شيئاً من الحكم والمعارف) .

وكان رضي الله عنه يقول : (للباصرِ في العين بصرٌ ، وللقلب لسانٌ يدقُّ عن الإدراك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أحببْهُ يحبَّك أهلُ الأرضين والسماء ، وأَطعْهُ يُطعْ لك الجنَّ والإنس ، ويجفَّ لك البحرَ والماء ، ويطعْ لك الهواء) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ عليك بالتخلُّقِ بأخلاق الأولياء لتنال السعادة ، وأما إذا أخذتَ ورقةَ الإجازة ، وصرت كلٌّ من نازعك تقول : هـٰذه إجازتي بالمشيخة دون التخلُّق . فإنَّ ذلك لا شيءَ ، إنما هو حظُّ نفسٍ ، لـٰكنِ اقرأ الإجازةَ ، واعملْ بما فيها من الوصايا ، وهناك تحصلُ على الفائدة ، ويحصلُ لك الاصطفاء[1] ، وهـٰذه طريقُ مدارج الأولياء قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل إلىٰ آخر الدنيا) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا اشتغلَ المريدُ بالفصاحة والبلاغة فقد تُودِّعَ منه في الطريق ، وما اشتغلَ أحدٌ بذلك إلا وقُطِعَ به ، وأما حكاياتُ الصالحين وصفاتُهم ، فمطالعتُها للمُريد جندٌ من جنود الله تعالىٰ ما لم يقنعْ بها في الطريق) .

وكان يقول : (**العلمُ كلُّه مجموعٌ في حرفين** : أن يعرفَ العبودية ، ويعبدَه ، فمن فعل ذلك فقد أدركَ الشريعة والحقيقة ، وليس في هـٰذا تعطيلُ العلماء ، بل العلم أُسٌّ للعمل ، وإنما قلنا ذلك من أجل قول الله تعالىٰ : ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ ﴾ [المزمل : ٢٠] ، ولكلِّ فرقةٍ منهاج ، وإلا فقد يجمعُ اللهُ العلمَ والعملَ في رجلٍ واحد ، يُفيد الناسَ كلَّ الفوائد ، فالشريعةُ هي الشجرةُ ، والحقيقةُ هي الثمرة) .

وكان يقول : (الطريقُ إلى الله تعالىٰ تُفني الجلاد ، وتُفتِّتُ الأكباد ، وتُضني الأجساد ، وتدفعُ السهاد ، وتُسقمُ القلبَ ، وتُذيب الفؤاد ، فإذا ارتفعَ الحجابُ سُمِع الخطاب ، وقُرِأَ من اللَّوح المحفوظ الرموز ، واطَّلعَ علىٰ معانٍ دقَّتْ ، وشَرِبَ بأوانٍ

---

(١) في (ح) وحدها : (الاكتفاء) بدل (الاصطفاء) .

رقَّتْ ، فكان مع قلبه ، ثم يكونُ مع مُقلِّبِه لا مع قلبه ؛ لأن اللهَ يَحولُ بين المرء وقلبه ، فإذا خرج عن الكلِّ طالَ لسانُه بلا لسان ، مع شدَّةِ اجتهاده وأعماله الظاهرة ، ثم الباطنة ، ثم بعد ذلك لا حركةَ ولا كلام ، ولا تَسمعُ إلا همساً ؛ إنما هو سمتٌ بلا حسٍّ ، ثم يصفو من صفاءِ الصفاء ، ووفاء الوفاء ، ويخلصُ من إخلاص الإخلاص في الإخلاص للإخلاص ، ثم يتقرَّبُ بما يكونُ به جليساً ؛ فإن المجالسةَ لها آدابٌ أخرُ خاصَّةٌ يعرفُها العارفون) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا كمل العارفُ في مقام العرفان أورثه اللهُ علماً بلا واسطة ، وأخذَ العلومَ المكتوبةَ في ألواح المعاني ، ففهمَ رموزَها ، وعرفَ كنوزَها ، وفكَّ طِلَسمَها ، وعلمَ اسمها ورسمها ، وأطلعَهُ اللهُ تعالىٰ على العلوم المودعةِ في النقط ، ولولا خوفُ الإنكار لنطقوا بما يُبهر العقول ، وكذلك لهم من إشارةِ العبارة عباراتٌ معجمة ، وألسنٌ مختلفة ، وكذلك لهم في معاني الحروف ، والقطع والوصل ، والهمز والشكل ، والنصب والرفع ما لا يُحصر ، ولا يَطَّلعُ عليه إلا هم .

وكذلك لهم الاطِّلاعُ علىٰ ما هو مكتوبٌ علىٰ أوراق الشجر ، والماء ، والهواء ، وما في البرِّ والبحر ، وما هو مكتوبٌ علىٰ صفحة قبَّةِ خيمةِ السماء ، وما في جباه الإنس والجان ممَّا يقعُ لهم في الدنيا والآخرة .

وكذلك لهم الاطِّلاعُ علىٰ ما هو مكتوبٌ بلا كتابةٍ من جميع ما فوق الفوق ، وما تحت التحت ، ولا عجبَ من حكيمٍ يتلقَّىٰ علماً من حكيمٍ عليم ؛ فإنَّ مواهبَ السرِّ اللدنِّي قد ظهرَ بعضُها في قصَّة موسىٰ والخضر عليهما السلام) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من الأولياءِ من لا يَدري الخطاب ولا الجواب ، فهو كالحجارةِ مودعة أسراراً ، ناطقة بلسان حالٍ ، صامتة عن الكلام ، مودعة من غوامض الأسرار والعطاء مفرق ؛ فمنهم عارفٌ ، ومحبٌّ ، ومشغوف ، وذاكرٌ ، ومفكر ، ومعتبر ، وناطق ، وصامت ، ومستغرق ، وصائم ، وقائم ، وصائم مفطر ، وصائم صائن ، وصائم صائم ، وقائم دائم ، ونائم واصل ، وواصل سهران ، وواقف ذاهل ، وداهش واهن ، وواهم ، وباكٍ ، وباسم ، ومقبوض ، وضاحك ، وخائف ، ومختلط ، ومختبط ، ومولَّه ، ومتولِّه ، وصائح ، ونائح ، ومجموع بجميعه ،

وجمعه ، إن خرج عن إياهما انتفع ، ومنهم من مزَّقَ الثيابَ حين حقَّق وتاب ، وغلب عليه الحالُ ، ويرحم اللهُ البعضَ بالبعض) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا أولادي ، طوبىٰ لمن وصلَ إلىٰ حال يقرِّب العبادِ من الله تعالىٰ ، ثم وقفَ يدعوهم إليها ، فكونوا داعين إلى الله تعالىٰ بإذنِ الله تعالىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (رأسُ مال المريد المحبَّةُ والتسليم ، وإلقاءُ عصا المعاندة والمخالفة ، والسكونُ تحت مُراد شيخه وأمره ، فإذا كان المريدُ كلَّ يومٍ في زيادةِ محبَّةٍ وتسليم سلم من القطعِ ؛ فإنَّ عوارضَ الطريق ، وعقباتِ الالتفاتات والإرادات هي التي تقطعُ عن الإمداد ، وتحجبُ عن الوصول) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا أولادي ؛ إذا لم يحسنْ أحدُكم أن يعاملَ مولاه فلا يقع[1] في أحوالٍ لا يدريها ؛ فإنَّ القومَ تارةً يتكلَّمون بلسان التمزيق ، وتارةً بلسان التحقيق ، بحسب الحضراتِ التي يدخلونَها ، وأنت يا ولدي لم تذقْ حالَهم ، ولا تمزَّقتَ ، ولا دخلتَ حضراتهم ، فمن أين لك أنَّهم على الضلال ؟! أفتعوم يا ولدي البحرَ ولست بعوَّام ؟! ثم إذا غرقتَ فقد متَّ ميتةً جاهلية ؛ لأنَّك ألقيتَ نفسك للمهالك ، والحقُّ قد حرَّم عليك ذلك ، بلِ الواجبُ عليك يا ولدي : أن تطلبَ دعاءَ القوم ، وتلتمسَ بركاتهم ، هـٰذا إذا لم تجدْ قدرةً علىٰ عملهم ، فإن وجدتَ قدرةً علىٰ ذلك سعدْتَ أبدَ الآبدين .

واعلم : يا ولدي أنَّ ألسنَ القوم إذا دخلوا الحضرات مختلفةٌ ، وفي إشاراتِهم وكلماتهم ما يُفهم ، ومنها ما لا يُفهم ، وكذلك من أحوالهم ما يُعبَّر عنه ، ومنها ما لا يُعبَّرُ عنه ، وكذلك في أسرارِهم ما لا يصلُ إليه مؤوِّلٌ ، ولا مُعبِّرٌ ، ولا مطَّلعٌ ، ولا مفسِّر ؛ لأنَّ أسرارَهم موضعُ سرِّ الله تعالىٰ ، وقد عجزَ القومُ عن معرفة أسرار الله تعالىٰ في أنفسهم ، فكيف في غيرهم ؟! فيجبُ عليك يا ولدي التسليمُ لله في أمرِ القوم ، وحسنُ الظن بهم لا غير ؛ فإني ناصحٌ لك يا ولدي ، وإذا رميتَ من يحبُّه الله تعالىٰ بالبهتان والزور ، وتجرَّأتَ علىٰ من قرَّبه اللهُ تعالىٰ . أبغضكَ الله تعالىٰ ومقتك ،

---

(١) في (ح) وحدها : (يقطع) .

فلا تفلحُ بعد ذلك أبداً ، ولو كنتَ علىٰ عبادة الثقلين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من قامَ في الأسحارِ ، ولزم فيها الاستغفار كشفَ اللهُ له عن الأنوار ، وأُسقيَ من دنِّ الدُّنوِّ من خمارِ الخمار ، وأُطلعتْ في قلبه شموسُ المعاني والأقمار ، فيا ولدَ قلبي ؛ اعملْ بما قلته لك تكنْ من المفلحين) .

وكان يقول : (كم مَنْ يتلو الاسمَ الأعظم ولا يدريه ، ولا يفهم معناه ، وما لمسَ الأولياءُ الشجرةَ فأثمرتْ إلا به ، ولا سال الماءُ من صخرةٍ إلا به ، ولا سُخِّرت الوحوش لوليٍّ إلا به ، ولا سأل وليٌّ القطرَ فنزلَ إلا به ، ولا أحيا الموتىٰ إلا به) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يكونُ الرجلُ غوَّاصاً في الطريق حتىٰ يفرَّ من قلبه ، وسرِّه ، وعمله ، وهمِّه ، وفكره ، وكلِّ ما يخطرُ بباله ، غير ربِّه ، فآه آه لو كُشِفَ الحجابُ عن الأثواب ! وأبصرَ الأعمى الحرفَ الذي ليس بحرفٍ ولا ظرف ، وفك ما خفي من الغمض ، وفتح قفل القفل ، وفكَّ أزرار المزرور ، فوا شوقاه لصاحبِ تلك الحضرات ! مع أن الشوق لا يكون إلا للبعيد) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلُّ من تحجُبُه أعمالُه وأقواله عن درك ما شاء فهو محجوبٌ عن مقام التوحيد ومقام التفريد ، ولا يُزَفُّ الوليُّ إلىٰ ربِّه حتىٰ يتركَ الوقوفَ مع سواه من مقامٍ أو درجة) .

وكان يقول : (إن أردتَ أن تجتمعَ علىٰ ربِّك فطهِّرْ باطنَك وضميرَك من الخبث ، والنية الرديئة ، والإضمار بالسوء لأحدٍ من خلق الله عز وجل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إيَّاك يا ولدي أن تقبلَ فتوىٰ إبليسَ لك في الرُّخصِ ، فتعملَ بها بعد عملك بالعزائم ؛ فإنه إنما يأمرُكَ بالغيِّ والبغي في حجَّةِ رُخصةِ الشرع ، لا سيما إن أوقعك في محظورٍ ، ثم قال لك : هـٰذا مقدور ، أيش كنت أنت ؟! فإنك تهلك بالكلية .

واعلم يا ولدي : أن الله تعالىٰ ما أمركَ إلا باتِّباع نبيِّه صلى الله عليه وسلم ، وقد نهاك عن كلِّ شيءٍ يؤذيك في الدنيا والآخرة ، فما بالك تُخالفه ؟!

وإن كنتَ يا ولدي تقنعُ بورقةٍ تزعمُ أنها إجازةٌ فإنما إجازتُكَ حسنُ سيرتك ،

وإخلاصُ سريرتك ، **وشرطُ المُجازِ** : أن يكونَ أبعدَ الناس عن الآثام ، كثيرَ القيام والصيام ، مواظباً علىٰ ذكر الله تعالىٰ على الدوام ؛ فإنَّ العبدَ كلَّما خدمَ قدَّمَهُ سيِّدهُ علىٰ بقيَّة العبيد ، فهٰذه هي الإجازةُ الحقيقية ، وأما إذا ادَّعيتَ المشيخةَ ، وعصيتَ ربَّك قال لك : أفٍّ لك ، أما تستحيي ؟! أين دعواك القُرب منَّا ؟! أين غسلُكَ أثوابَك المدنَّسةَ لمجالستنا ؟! كم توعي في بطنك من الحرام ! كم تنقلُ أقدامَك إلى الآثام ! كم تنام وأحبابي قد صفُّوا الأقدام ! أنت مدَّعٍ كذَّاب ، والسلام) .

وكان يقول : (اللهُ خصمُ كلِّ مَنْ شهرَ نفسه بطريقتنا ولم يقمْ بحقِّها ، واستهزَأَ بنا) .

وكان يقول : (من خان لا كان ، ومن لم يتَّعظْ بكلامنا فلا يمشي في ركابنا ، ولا يلمَّ بنا ، ولا نحبُّ من أولادنا إلا الشاطرَ المليحَ الشمائل ، وذلك حتى يصلحُ لوضع السرِّ فيه) .

فيا أولادي ؛ ناشدتُكم اللهَ تعالىٰ : لا تسوِّئوا طريقي ، ولا تلعبوا في تحقيقي ، ولا تدلِّسوا ، ولا تلبِّسوا ، وأَخلصوا تتخلَّصوا ، فكما اجتبيناكم واخترناكم[1] ، فلا تكدِّروا علينا ، ولا ترموا طريقنا بالكلام ، وكما وفَّينا لكم حقَّكم في التربية والنصح ، فوفُّوا لنا بالاستماع والاتِّعاظ ، وإنَّما أمرتُكم بما أمركم به ربُّكم ، فهو أمرُ الله لا أمري ، فإن نقضتم العهدَ فإنَّما هو عهدُ الله ، وإن كنتم لا تأخذون منَّا إلا أوراقاً فلا حاجةَ لنا بكم) .

وكان يقول : (بايعتُ الله تعالىٰ علىٰ أني لا ألتمسُ أموالَكم ، ولا آخذُ تراثكم ، ولا أدنِّسُ خرقتي بما في أيديكم ، فاسمعوا وأطيعوا ، وعلىٰ أموالكم الأمان مني ، ومن جماعتي الذين خلصوا معي ، وأسأل الله تعالىٰ أن يلحقَ بقيَّةَ أولادي بمن خلصَ معي ، ويجعلَهم مثلهم ، فيشفقون علىٰ إخوانهم ، وينصحونهم مع تجنُّب أموالهم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لم يزعمْ أن هلكتَهُ في طاعته فهو هالكٌ ؛ فإنَّ طاعتنا من جملة فضله ، وما لنا في الوسطِ شيءٌ) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ احذر أن تقول : « أنا » فإنَّ الله يُعجزُ المدَّعين ، ولو

---

(١) في (هـ ، ط) : (أحببناكم) بدل (اجتبيناكم) .

كنتَ علىٰ عملِ الثقلين هبطْتَ ، أو صاحبَ منزلةٍ سقطتَ) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ لو وجدنا إلى الخلوةِ سبيلاً ، أو وجدنا إلى الانقطاعِ عن أعين الناس من سبيلٍ . . لفعلنا ؛ فإنَّ القلبَ في هـٰذا الزمان متعوبٌ ، والكبدَ كلَّ وقتٍ يذوب ، فأين الملجأ ؟ وأين المفرُّ من أهل هـٰذا الزمان ؟ زمانٌ كثرَ فيه القالُ والقيل ، ولـٰكن الذي بلانا بأهلِهِ يدبِّرنا ويُعيننا بحولهِ وقوته) .

وكان يقول : (من غفلَ عن مناقشةِ نفسِه تلف ، وإن لم يسارعْ إلى المناقشة كُشف) .

وكان يقول : (ما ابتلى اللهُ عز وجل الفقيرَ بأمرٍ إلا وهو يُريد أن يرقِّيَه إلىٰ منازل الرجال ، فإنْ صبرَ وكظم الغيظ وحلمَ ، وعفا وتكرَّمَ . . رقَّاه ، وإلا أوقفه وطرده) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يعصي أحدُكم ربَّهُ عز وجل ، ويمرُّ على الهوام الضعيفة . . إلا وتودُّ أنَّ الله تعالىٰ يعطيها قوةً لتبطش به ؛ غيرةً علىٰ جناب الحقِّ تعالىٰ ، ولا يمرُّ على الطيور والوحوش إلا ويستعيذون بالله تعالىٰ من رؤيته ، ولا يردُ ماءً إلا ويودُّ ألا يَشربَهُ ، ولا يمرُّ في الهواء إلا ويودُّ ألا يكون مرَّ به) .

وكان يقول : (كيف تطلبون أنَّ اللهَ تعالىٰ يُنبتُ لكم الزرعَ ، أو يدرُّ لكم الضرعَ وأنتم تسلُّونَ السيوفَ علىٰ أحدٍ من هـٰذه الأمة المحمَّدية ، وتلطِّخون الحرابَ من دمائهم ؟!) .

وكان يقول : (إذا صدقَ الفقيرُ في الإقبال على الله تعالى انقلبتْ له الأضدادُ ، فعاد من كان يسبُّهُ يحبُّه ، ومن كان يُقاطعه يُواصله ، ومن كان لا يشتهيه يُثني عليه ، ولا يصيرُ يكرهُهُ إلا مجرمٌ أو منافق) .

وكان يقول : (ما قطعَ مريدٌ وِرْدَهُ يوماً إلا قطعَ اللهُ عنه الإمداد ذلك اليوم .

واعلم يا ولدي : أنَّ طريقنا هـٰذه طريقُ تحقيقٍ وتصديق ، وجهدٍ وعمل ، وتنزُّهٍ وغضِّ بصر ، وطهارة يدٍ وفرج ولسان ، فمن خالفَ شيئاً من أفعالها رفضتْهُ الطريقُ طوعاً أو كرهاً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا حاملَ القرآن ؛ لا تفرحْ بحمله حتىٰ تنظرَ هل عملتَ به أم لا ؛ فإنَّ الله عز وجل يقول : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ ﴾ [الجمعة : ٥] ، ولا تخرجُ عن كونك حماراً إلا إن عملتَ بجميعِ ما فيه ، ولم يكنْ منه حرفٌ واحد يشهدُ عليك) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ كم غرور ! كم لهو ! كم زهو ! كم لعب ! كم غي ! كم هوىٰ ! كم افتراء ! كم نكد ! كم غدر ! كم سهو ! كم نسيان ! كم غفلة ! كم زلة ! كم إجرام ! كم زور ! كم فتور ! كم تسمعون ولا تتَّعظون ! ما أنتم إلا كالأموات) .

وكان يقول : (لو فتح الحقُّ تعالىٰ عن قلوبكم أقفالَ السدد لاطَّلعتم علىٰ ما في القرآنِ من العجائب والحكم ، والمعاني والعلوم ، واستغنيتم عن النظرِ في سواه ؛ فإنَّ فيه جميعَ ما رقم في صفحات الوجود ، قال تعالىٰ : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، ومن فهَّمه اللهُ تعالىٰ في كتابه أعطاه تأويلَ كلِّ حرفٍ منه ، وما هو ، وما معناه ، وما سببُ كلِّ حرفٍ ، وما صفةُ كلِّ حرفٍ ، وعلم المكتوب من الحروف في العلوي والسفلي ، والعرش والكرسي ، والسماء والماء ، والفلك والهواء ، والأرض والثرىٰ) .

وكان يقول : (إذا كان المقتدي بالشرائع والكتاب واقفاً بين الأمر والنهي . . كان فتحُهُ حقيقيّاً ، حتىٰ يفكُّ به كلَّ مشكلٍ ، ويحلُّ به كلَّ طِلسمٍ ، ويعرفَ به كلَّ مُبهمٍ ، وأما إذا كان فتحُه حفظَ كلامٍ وترتيب ، وصفَّ مقاماتٍ . . فذلك ليس بفتحٍ ، إنما هو حجابٌ له عن إدراك الإدراك ، وعن مشاهدة علوم الحقِّ ، وليس مَنْ وصفَ كمن عرف وحمل ، ونطقَ بلسان العرفان ، وكم مَنْ حملتْهُ العنايةُ حتىٰ شاهد ! ومع ذلك فلو سُئل عن وصفِ المقامات ما وصفها .

ومقصودي لجميعِ أولادي : أن يكونوا ذائقينَ لا وصَّافين ، وأن يأخذوا العلومَ من معادنِها الربَّانية ، لا من الصدور والطروس ؛ فإنَّ القومَ إنَّما تكلَّموا عما ذاقوا ، وقلوبُهم كانت ملآنةً بعطاء الله تعالىٰ ومواهبِهِ ، ففاضتْ منها قطراتٌ من ماء الحياة التي فيها ، فانفجرتْ علومُهم عن عينِ عين عين عن عين عن حاصل ماء الحياة ، وأما الوصَّافُ فإنما هو حاكٍ عن حال غيره ، وعند التخلُّقِ والفائدة لا يجدُ نقطةً ولا ذرَّةً من ذوق

القوم ، ويُنادىٰ عليه : هـٰذا الذي قنعَ بالقشور في دار الغرور ، ولقد أدركنا رجالاً وأحدُهم يستحي أن يذكرَ مقاماً لم يصلْ إليه ، ولو نُشِرَ بالمناشير ما وصفه .

فيا جميعَ أولادي ؛ إذا سألكم أحدٌ عن التصوف مثلاً ، أو عن المعرفة والمحبة فلا تُجيبوه قطُّ بلسانِ قالكم حتىٰ يبرزَ لكم من صدق معاملتكم ما برز للقومِ ، فيكون كلامُكم عن حاصلٍ وعن محصول ، فإذا قام أحدُكم بالأوامر الدينية ، وصَدَقَ في العملِ ترجم لسانُهُ بالفوائد التي أثمرتْ من صدقه ، وكلُّ من ادَّعى الصدقَ والإخلاص ولم يحصلْ عنده ثمرةُ الأدب والتواضع . . فهو كاذبٌ ، وعملُه رياءٌ وسمعةٌ ، لا يُثمر له إلا الكِبْر والعُجب ، والنفاق وسوء الأخلاق شاء أم أبىٰ) .

وكان يقول : (ليسَ التصوفُ لبسَ الصوف ، إنما الصوفُ من بعض شعار التصوف ؛ فإنَّ دقيقَ التصوف ، ورقيقَ صفاته ، ورونقَ بهجة ترقِّيه لا يحصلُ إلا بالتدريج ، فإذا وصلَ الصوفيُّ إلىٰ حقيقةِ التصوف المعنوي لا يرضىٰ بلبسِ ما خشنَ ؛ لأنَّه وصلَ إلىٰ مقامات اللطافة ، وخرجَ عن مقامات الرُّعونة ، وعاد ظاهرُهُ الحسيُّ في باطنه الآلي ، واجتمعَ بعد فرقةٍ ، وقُذف فيه جذوةُ نارِ الاحتراق ، فعاد الماءُ يحرقُه ، والثلجُ والبرد يقوِّي ضرامَهُ ، والقميصُ الرقيق لا يستطيع حمله للطافة سرِّه ، وزوال كثافته ، بخلاف المريدِ في بدايته ، يلبس الخشنَ ، ويأكل الخشن ؛ ليؤدِّبَ نفسَهُ ، وتخضعَ لمولاها ، ويحصلَ لصاحبها تمهيدٌ للمقامات التي يترقَّىٰ إليها ، فكلما رقَّ الحجاب ثقلتِ الثياب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا ولد قلبي ؛ اجمعْ همَّة العزم ؛ لتعرفَ معنى الطريق بالإدراك لا بالوصف ، وكلُّ مقامٍ وقفتَ فيه حجبك عن مولاك ، وكلُّ ما دون الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، وكتابه العزيز باطلٌ ؛ وذلك لأنَّ الأغراض تورث الإعراض) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا ولد قلبي ؛ تجرَّدْ من قالبك إلىٰ قلبك ، والزمِ الصمتَ عن الاشتغال بما لا فائدةَ لك فيه من الجدال والنقل ، وزُخرفِ القول ، وصمِّمِ العزم ، واركبْ جوادَ الطريق ، واحتمِ حميةً قبل الشربة تكن باطناً ، ولا تشربْ إلا شراباً يكونُ فيه صحو وسكر .

آه آه ما أحلىٰ هـٰذه الطريق ! ما أسناها ! ما أمرَّها ! ما أقتلها ! ما أحلاها ! ما أحياها ! ما أصعبها ! ما أكبدها ! ما أكثر مصائدها ! ما أصعب مواردها ! ما أعجب واردها ! ما أعمق بحرها ! ما أكثر أسدها ! ما أكثر مددها ! ما أكثر عقاربها وحيَّاتها ! فبالله يا أولادي لا تتفرَّقوا ، واجتمعوا يحمكم اللهُ تعالىٰ من الآفات ببركة أستاذكم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كيف تطلبُ ليلىٰ وأنتَ ليلاً ونهاراً مع عذَّالها ولوَّامها ، والمنكرين علىٰ أهلِ حضرتها ، والمعترضين عليهم ، والخائنين لعهودهم ؟! إنما تبرزُ ليلىٰ لمن تهتَّكَ فيها ، ولم يقبلْ عذلَ عذَّالها ، ولم يسمعْ لكلامِ المنكرين علىٰ أهل حضرتها ، وليلىٰ لا تحبُّ من يحبُّ سواها ، أو يخطرُ في سرِّه محبَّةٌ لسواها ، إنما تحبُّ من كان بشرابها ثملان ، ولهان ذهلان ، غرقان نشوان ، هيمان حتىٰ لو اجتمع الثقلان علىٰ أن يَلْوُوا قلبَه عنها ، وأن يحلُّوا عقدةَ عهدِها معه . . ما استطاعوا ، فانظر حالَك يا ولدي) .

وكان يقول : (يا أولاد قلبي ؛ لا تُجالسوا أربابَ المحال ، وزخرفِ الأقوال ، ولقلقةِ اللسان ، وجالسوا مَنْ هو مقبلٌ علىٰ ربِّه حتىٰ أخذتْ منه الطريق ، ودققه التمزيق ، وتفرَّقَ عنه كلُّ صديق ، حتىٰ عاد كالخلال ، وذابَ جسمُه من تجرُّعِ شراب سموم الطريق ، وصارَ نومُه أفضلَ من عبادة غيره ؛ لأنَّه في نومِهِ في حضرةِ ربِّه ، وربَّما كان العابدُ في عبادته مع نفسه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (عليكم بتصديقِ القوم في كلِّ ما يدَّعون ، فقد أفلحَ المصدقون ، وخاب المستهزئون ؛ فإن الله تعالىٰ يقذفُ في سرِّ خواصِّ عباده ما لا يطَّلعُ عليه مَلَكٌ مقرَّبٌ ، ولا نبيٌّ مرسل ، ولا بَدَلٌ ، ولا صدِّيق ، ولا وليٌّ ، ما أنا قلتُ هـٰذا من عندي ، إنَّما هو من كلام أهل العلم بالله تعالىٰ ، فما للعاقلِ إلا التسليم ، وإلا فاتوه وفاتهم ، وحُرِمَ فوائدَهم ، وخَسِرَ الدارين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**علامةُ المريد الصادقِ** : أن يكونَ سائراً في الطريق ليلاً ونهاراً ، غدوّاً وأبكاراً ، لا مقيلَ له ولا هدوَّ ، جوادُهُ قد فرغَ من اللحم ، وامتلأَ من الشجاعة والهمِّ ، قد شفَّ مطيتَهُ السُّرىٰ ، وأسقمَها البرىٰ ، لا يقيِّدُ همَّتَهُ مُقيِّدٌ[1] ،

---

(١) ترددت النسخ بين : (يقيد ، مقيد) و(يفند ، مفند) .

ولا يهولُهُ مهلكٌ ، ولا تردُّه ضرباتُ الصوارم ، ولا يفشلهُ شيطانٌ غويٌّ ، ولا ماردٌ جنّيٌّ .

كلٌّ من خاصمَهُ في محبوبه عادَ مخصوصاً ، لا يهدأ ، ولا ينام ، ولا يضحىٰ ؛ بلِ الدَّهر كله له سرىً حتىٰ يدخلَ خيام ليلىٰ ، ويضعَ خدَّه علىٰ أطناب الخيام ، فإذا سمعَ الخطاب بالترحيب من الأحباب انتعشَ وطاب ، وسمعَ القائل يقول : هناك استرحْ ، يا طالما قطعتَ براري وقفاراً ، وجبالاً وبحاراً ، وظلاماً وناراً ، يا طولَ ما تعبتَ وتعنَّيتَ ! ويا طولَ ما رجعَ غيرُك من الطريق وجئتَ ! فأكرمَ الله تعالىٰ مثواك ، ولا خيَّبَ مسعاك ، أنت اليوم ضيفٌ عندنا ، ويومنا لا انقضاءَ له أبدَ الآبدين ، ودهرَ الداهرين) .

وكان يقول : (**من شأنِ الفقير** : ألا يكونَ عنده حسدٌ ولا غيبة ، ولا بغيٌ ولا مخادعةٌ ، ولا مُكابرة ولا مماراة ، ولا ممالقةٌ ولا مكاذبة ، ولا مثاقلة ، ولا كِبرٌ ولا عُجب ، ولا ترفٌ ولا افتخار ، ولا شطحٌ ، ولا حظوظ نفس ، ولا تصدُّرٌ في المجالس ، ولا رؤيةُ نفسٍ علىٰ أخيه ، ولا جدال ، ولا امتحان ، ولا تنقيصٌ ، ولا سوء ظنٍّ بأحدٍ من أهل الطريق ، ولا ممن تزيَّقَ بالزيق ، ولا يقدحُ قطُّ في صاحبِ خرقةٍ إلا إن خالف صريحَ الكتاب والسنة اختياراً) .

وكان يقول : (**من شرط الفقير** : ألا يكونَ عنده التفاتٌ إلىٰ مراعاة المخلوقين له في الحرمة والجاه ، والقيام والقعود ، والقبول والإعراض ، وغير ذلك من الأحوال الظاهرة ؛ لأنه لا يراعي إلا اللهَ تعالىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما دام أنا وأنت فلا حبَّ ، إنَّما الحبُّ التمازجُ ، واختلاطُ الأرواح بالأجساد) .

وكان يقول : (ليس أحدٌ من القوم مبتدعاً ، إنما هم متَّبعون في الأدبِ لسيِّدِ الأمم ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ ﴾ [النور : ٢٧] ، فلقد كان أحدُهم بعد نزولها إذا وقفَ يقول : نعم ، ثلاث مرات ، فإن أُذنَ له ، وإلا رجع من حيث أتىٰ) .

وكان يقول : (كان السلفُ يخافون من آفاتِ الاجتماع ؛ فلذلك آثروا العزلةَ إلا في صلاة الجماعة ، وحضورِ مجالس العلم التي لا رياءَ فيها ولا جدال ، ولا عُجبَ ولا مداراة ، والسلامةُ من هـٰذه الأمور في زماننا هـٰذا قلَّ أن تُوجدَ ، فعليك بالوحدة بعد معرفةِ ما أوجبَ الله تعالىٰ عليك ؛ فإنك يا ولدي في القرن السابع الذين أكثرُهم يجعلون شريعةَ السَّالك قدحاً في الشريعة ، وحقيقةَ المحبّة بدعاً في الطريقة ، كأنهم ما علموا قطُّ عطاءَ الله ومواهبَ مددِ الله ، وخوارقَ عجائبه ، بل رأوا من سوءِ حالهم أنَّ بابَ العطاء قد أُغلق ، فمن اعتقدَ ذلك فإنَّما هو معترضٌ على الله تعالىٰ في فعله ، ونعوذُ بالله من التعرُّضِ ؛ فإنه لا بدَّ لأهل حضرته تعالىٰ من التمييزِ عن المُعرضين عنها ؛ ليشتاقَ المعرضون إليها حين يرون الخوارقَ تقعُ علىٰ يد أوليائه ، فما أجهلَ من جهل قدر الفقراء ، وما أعماه ! أيش يُقال في قومٍ كلهم طالبون لله تعالىٰ ، أيُنكر عليهم مسلمٌ ؟! كلا والله) .

وقيل للجُنيد رضي الله عنه : إن قوماً يتواجدون ويتمايلون ، قال : (دعهم مع الله تعالىٰ يفرحون ، ولا تُنكر إلا على العصيان المصرَّح به في الشريعة ، أمَّا هـٰؤلاء القوم فقد قطعت الطريقُ أكبادهم ، ومزَّق التعبُ والنَّصَبُ أمعاءهم ، وضاقوا ذرعاً ، فلا حرجَ عليهم إذا تنفَّسوا مداواةً لحالهم ، ولو ذقتَ يا أخي مذاقَهم لعذرتهم في صياحهم ، وشقِّ ثيابهم ، فالله يُلهم أولادي سلوكَ سبيل الرشاد ؛ إنه سميع مجيب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (قلَّةُ معرفة أخلاقِ القوم من الحرمان ؛ لأن خرقَ سياج الأدب معهم يؤدي إلى العطب ، والبابُ مفتوح ما غلق ، إلا أنَّ القومَ واقفون بباب الله ، والجواب منادمات في الغيب بالغيب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أسلمُ التفسير ما كان مرويّاً عن السلف ، وأنكرُهُ ما فُتح به على القلوبِ في كلِّ عصرٍ ، ولولا محرِّكٌ يُحرِّك قلوبَنا لما نطقت إلا بما وردَ عن السلف ، فإذا حرَّك قلوبَنا واردٌ استفتحنا بابَ ربِّنا واستأذناه ، وسألناه الفهمَ في كلامه ، فنتكلمُ في ذلك الوقت بقدرِ ما يفتحُهُ علىٰ قلوبنا ، فسلِّموا لنا تسلموا ؛ فإننا فخارة فارغةٌ ، والعلمُ علمُ الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (فيضُ الربوبية إذا فاضَ أغنىٰ عن الاجتهاد ؛ فإنَّ صاحبَ الجهد

قاصرٌ ما لم يقرأْ من لوحِ المعاني سرَّ عطاء القادر ، فقد يُعطي المولىٰ من يكون قاصراً ما لم يُعطِ أصحابَ المحابر ، وليس مطلوبُ القوم إلا هو ، فإذا حصلوا علىٰ معرفته عَرفوا بتعريفه كلَّ شيءٍ من غير تعبٍ ولا نصب ، ثم إذا صحَّتْ له المعرفةُ فلا حجابَ له بعد ذلك ، إلا إن خُذلَ ، نسألُ الله السلامة) .

وكان يقول : (من فنيَ في الفناء بقي في البقاء ، والفناءُ من الحُجب ، إلا أن يكونَ فناءَ الباطل كما قال بعضُهم : أفنىٰ موسىٰ عن موسىٰ حتىٰ عادَ هو المتكلِّمَ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من لم يكن عنده شفقةٌ علىٰ خلق الله لا يرقىٰ مراقيَ أهل الله تعالىٰ ، وقد وردَ : أنَّ موسىٰ عليه السلام لما رعى الغنمَ لم يضربْ واحدةً بعصاه منهن ، ولا جوَّعها ، ولا آذاها ، فلما علمَ الله تعالىٰ قوَّةَ شفقتِهِ علىٰ غنمه بعثه الله نبيّاً ، وجعله كليماً راعياً لبني إسرائيل ، وناجاه ؛ فمن أعزَّ الخلقَ وأشفقَ عليهم ترقَّىٰ إلىٰ مراتبِ الرجال ، والسلام) .

وكان رضي الله عنه يقول : (واللهِ ؛ لو هاجرَ الناسُ مهاجرةً صحيحة ودخلوا تحت الأوامرِ . لاستغنوا عن الأشياخ ، ولـٰكن جاؤوا إلى الطريق بعللٍ وأمراض ، فاحتاجوا إلىٰ حكيمٍ) .

وكان إذا أخذَ العهدَ علىٰ فقيرٍ يقول له : (يا فلان ؛ اسلكْ طريقَ النُّسك علىٰ كتاب الله تعالىٰ ، وسنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإقامِ الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج إلىٰ بيت الله الحرام ، واتِّباع جميع الأوامر المشروعة ، والأخبار المرضية ، والاحتفال بطاعة الله تعالىٰ قولاً ، وفعلاً ، واعتقاداً ، ولا تنظر يا ولدي إلىٰ زخارفِ الدنيا ومطاياها ، وملابسها وقماشها ، ورياشها وحظوظها ، واتَّبع نبيَّك محمداً صلى الله عليه وسلم في أخلاقه ، فإن لم تستطعْ فاتَّبعْ خلقَ شيخك ، فإن نزلتَ عن ذلك هلكتَ يا ولدي .

واعلمْ : أنَّ التوبةَ ما هي بكتابةِ درجِ ورق ، ولا هي كلامٌ من غير عمل ، إنما التوبةُ العزمُ على ارتكاب ما الموتُ دونه ، صفَّ أقدامك يا ولدي في حندس الليل البهيم ، ولا تكنْ ممن يشتغلُ بالبطالة ، ويزعمُ أنه من أهلِ الطريقة ، ومن استهزأ بالأشياء استهزأتْ به ، والسلام) .

وجاءه فقيرٌ يطلب أن يلبسَ الخرقة من الشيخ ، فنظر إليه وقال : (يا ولدي ؛ التلبيس في الأمور ما هو جيد ، لا يصلحُ لبسُ الخرقة إلا لمن درسته الأيام ، وقطعته الطريقُ بجهدها ، وأخلصَ في معاملته ، وقرأ معاني رموزِ القوم ، ونظر في أخبارهم ، وعرَف مقصودَهم في سائر حركاتهم وسكناتهم ، وأسفارهم ، وخلواتهم وجلواتهم ، فإن كنتَ صادقاً فلا تكن مجَّاناً ولا لعَّاباً ، ولا صبي العقل ، فما الأمر بقولِ العبد : « تبتُ إلى الله تعالىٰ » باللفظ دون القلب ، ولا بكتابةِ الورقِ والدرج ، وإنما الأمرُ توبةُ العبد عن أن يلحظَ الأكوانَ بعيني قلبه ، أو يُراعي غيرَ مولاه ، فإذا صحَّ للفقير هـٰذا الأمرُ ، فهناك يصلحُ للترقِّي في مقامات الرجال) .

وكان رضي الله عنه يقول : (قوتُ المبتدئ الجوع ، ومطرُهُ الدموع ، ووطرُهُ الرجوع ، يصوم حتىٰ يرقَّ ويلينَ ، وتدخلَ الرِّقةُ قلبَهُ ، وتفتحَ مسامع لبِّهِ ، ويزولَ الوقرُ من سمعه ، فيسمعَ بأذنٍ وقلبٍ كلامَ القرآن ومواعظه ، وأما من أكلَ ونام ، ولغا في الكلام وترخَّص ، وقال : ليس علىٰ فاعلِ ذلك ملام فإنه لا يجيءُ منه شيءٌ ، والسلام) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما بُنيت طريقُنا هـٰذه إلا على التيار والنار ، والبحرِ الهدَّار ، والجوع والاصفرار ، ما هي تمشدقك ، ولا بالفُشار[1] ، دعني ، فما وجدتُ من أولادي واحداً اقتفىٰ آثارَ الرجال ، ولا صلحَ أن يكونَ محلاً للأسرار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم من هـٰذا الزمانِ الغرَّار) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الفقيرُ كالسلطان مهابةً ، وكالعبد الذليل تواضعاً ومهانةً) .

قلت : وإنما كان كالسلطان لعفَّتِهِ ، وتركِ إسقاطه نفسه ، وكثرةِ صفحه وعفوه ، وكرم نفسه ، وعدم منَّتِهِ ، وغير ذلك ، بل هو أحقُّ بالهيبة من السلطان ؛ لأنه جليسُ الحقِّ ، وربما لا يكونُ السُّلطانُ يصلحُ لمجالسةِ الحقِّ ؛ لكونه أخذَ المرتبةَ بالسيف ، أو يكون مبتدعاً ، أو غير ذلك ، والله أعلم .

---

(١) **الفُشار** : كلام تستعمله العامة بمعنى الهذيان .

وكان رضي الله عنه يقول : (الشيخُ حكيم المريد ، فإذا لم يعملِ المريضُ بقولِ الحكيم لا يحصلُ له شفاء) .

وكان يقول : (مذ صرفنا همَمَنا إليه أغنانا عما سواه ، إنَّا لا نعرفُ قطُّ إبليسَ اللعين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (خلوةُ الفقير سجَّادتُهُ ، وجلوتُهُ سرُّهُ وسريرته) .

وكان يقول : (يجبُ علىٰ تالي القرآن العظيم أن يطهِّرَ فمَه للتلاوة من اللغط والنطق الفاحش ، ولا يأكلِ إلا حلالاً صرفاً ؛ قوتَ الوقت من غير سرف ، فإن أكلَ حراماً أساءَ الأدب ، ويعطِّرَ ثيابَه وبدنه ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يتعطَّرُ لذلك ، حتىٰ كان إذا لمسَ صبياً يمكث يفوح الطيب منه زماناً ، وكان وبيصُ المسكِ يلمعُ من مفرقه صلى الله عليه وسلم) .

وكان يقول : (الغِيبةُ فاكهةُ القرَّاء ، وضيافةُ الفسَّاق ، وبستانُ الملوك ، ومراتعُ النسوان ، ومزابلُ الأتقياء) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا ولدي ؛ لا تودعنَّ كلامي إلا عند من كان منَّا ، وأحبَّ أن يسلكَ طريقنا ، ولا تلقِهِ إلا لمحبٍّ محقٍّ يدخلُ تحت طيِّنا ، وينقادُ لنا ، فإنَّ ذكرَ الكلام لغير أهله عورةٌ) .

وكان يقول : (طريقنا هـٰذه ما هي طريق تمليق ، بل هي طريقُ تحقيق ، وصدق وتصديق ، وموتٌ وكدٌّ ، وجهدٌ وشدٌّ ، وحزم وكرم ، وكسرُ نفسٍ من غير دعوىٰ ، واتِّضاعٌ وخضوع ، وذلَّةٌ وفِراسة ، ورقوم وعلوم ، فيا أولادي ؛ إذا عملتم بموعظتي ، وعادتْ إشارتي كلُّها فيكم كانت إجازتي مطهَّرةً ، مكمَّلةً بالسرِّ والمعنىٰ ، فإن المقامات ما هي محجوبةٌ عنكم إلا بكم) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يكونُ الفقيرُ فقيراً حتىٰ يكونَ حمَّالاً للأذىٰ من جميع الخلائق ؛ إكراماً لمن هم عبيده سبحانه وتعالىٰ ، فلا يُؤذي من يُؤذيه ، ولا يتحدَّثُ فيما لا يعنيه ، ولا يشمتُ بمصيبةٍ ، ولا يذكرُ أحداً بغيبةٍ ، وَرِعاً عن المحرَّمات ، موقوفاً عن الشبهات ، إذا بُليَ صبر ، وإذا قدرَ غفر ، غضيضُ الطرف ،

يعمرُ الأرضَ بجسده ، والسماءَ بقلبه ، طريقُهُ الكظمُ ، والبذل ، والإيثار ، والعفو والصفحُ ، والاحتمال لكلِّ من يتحدَّثُ فيه بما لا يرضيه) .

وكان يقول : (وا غوثاه من أهلِ هـٰذا الزمان ، واللهِ ؛ لو كان في العمرِ مهلةٌ لسكنت في أَكَمِ الجبال[1] ، وبطون أودية الوحوش ، فإنَّ الرجلَ الآن بين هـٰؤلاء الناس في أشدِّ جهادٍ ؛ قلوبٌ شاردة ، وأحوالٌ مائلة ، وشهواتٌ غالبة ، قد عَدموا الصدقَ في الأحوال ، وكيف يقدرُ الضعيفُ علىٰ صون الروح من عشرتهم والودِّ لهم ؟! وغضِّ بصره عن رؤية عوراتهم ليلاً ونهاراً ؟! ويصبر معهم علىٰ كلِّ فتنةٍ وشهوة وأذىً من غير أن يُقابلهم بمثله ؟! هـٰذا لا يُطيقه إلا الصالحون) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كم من واقفٍ في الماء وهو عطشان لهفان ـ أعني : إذا لم يحصلْ له الصدقُ في طلب مولاه ـ بل عَبَدَ ربَّه علىٰ علَّةٍ ، فاعملوا بالإخلاص لترووا من ظمأِ العطشِ ؛ فإنَّ طريقَ الله تعالىٰ لا تُنالُ إلا بقتلِ الأنفس وذبحها بسيف المخالفة) .

وكان يقول : (كيف يدَّعي أحدُكم أنَّه مريدٌ لطريق الله تعالىٰ ، وهو ينامُ وقت الغنائم ، ووقتَ فتح الخزائن ، ووقت نشرِ العلوم ، وإظهار الرقوم ، ووقتَ تجلِّي الحيِّ القيوم ؟! ياكذَّابون ؛ ما تستحيون من الدَّعاوي الكاذبة وهِممُكم راقدة ، وعزائمكم خامدة ، ما هـٰكذا دَرَجَ أهلُ الطريق ، فاللهُ تعالىٰ يُلهم جميعَ أولادي طريقَ الفلاح ، آمين) .

وكان يقول : (ليس الزُّهدُ خروجَ العبد عن الشيءِ ، إنما الزهدُ أن يكونَ داخلاً في إمارته أو صنعته وقلبُهُ خارجٌ حائل ، ذاكرٌ فاكر ، حائر مجاهدٌ ، مرابطٌ مخمولُ الذكر ، مُشتغلاً بذكر الله عز وجل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا أولادي ؛ عليكم بشراب القهوة القَرْقَفية

---

(١) **الأكم** محركة ، وبضمتين ، جمع أكمة : التل من القُفِّ من حجارة واحدة ، أو هي دون الجبال ، أو الموضع يكون أشدَّ ارتفاعاً مما حوله . « القاموس المحيط » (أ ك م) .

واستعمالها[١] ، فوعزَّتِهِ وجلاله ؛ من صدقَ منكم وأخلصَ لا يمسُّ أحداً إلا نبعت فيه الحكمة ، وحصلَ عنده السكر عن هٰذه الدار .

يا أولادي ؛ الدنيا كحلقةٍ بين أعينِ أهل التمكين ؛ قومٌ يمشون إلى الأقطار ، وقومٌ تأتي إليهم الأقطار[٢] ، لا أحبُّ من أولادي إلا من أراه يترقَّىٰ في كلِّ ساعةٍ من مقامٍ إلىٰ مقام ، فهناك تقرُّ عيني ، وهناك يصيرُ يُنتفعُ به .

يا ولدي ؛ إن أردتَ أن يُسْمَعَ دعاؤك فاحفظْ كلامَكَ ولسانك عن الناس ، وعن تناولِ الشُّبهات ، يا ولدي ؛ إن شككتَ في قولي فاعملْ بما أقولُ لك ، وجرِّبْ نفسَك شيئاً بعد شيءٍ تعرفْ صدقَ قولي ؛ فمن ثَبَتَ ثُبِّتَ ، ومن أَطاع أُطيع ، فإذا أَطعتَ مولاكَ أطاعَ لك الماءَ والنار ، والهواء والخطوة ، والإنس والجن) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا تفيدُ الخلوةُ إلا إن كانتْ بإشارةِ شيخٍ ، وإلا ففسادُها أكثرُ من صلاحها) .

وكان يقول : (لا يحقُّ لك أن تأمرَ غيرَك إلا إن كانتِ الشريعة تزكِّيك بوقوفك علىٰ حدودها) .

وكان يقول : (**الجسدُ ثلاثةُ أقسام** : قلبٌ ، ولسانٌ ، وأعضاء ؛ فاللِّسان والأعضاء وُكِّلَ بهما ملائكةٌ ، والقلبُ تولاه الله تعالىٰ) .

وجاءه رجلٌ فقال : أُريدُ أن أسلك طريقَ الحقيقة ، فقال : يا ولدي ؛ الزمْ أولاً طريقَ النُّسك علىٰ كتاب الله تعالىٰ ، وسُنَّةِ رسوله صلى الله عليه وسلم المرضيَّةِ الزاهرة الباهرة ، التي نورُها جلا الظُّلم ، وأنارَ بطاحَ مكة والمدينةِ ، والشام ومصر ، والعراق واليمن ، والمشرق والمغرب ، والأفق العلوي والسُّفلي ، فإذا عملتَ بها انقدح لك منها علم الحقائق والأسرار ، فاسلكْ يا أخي كما قلتُ لك على التدريج شيئاً بعد شيءٍ ، والله يحفظُك إن صدقت .

---

(١) **القَرْقَف** : في الأصل الخمر ، واستعمالها هنا مجاز .

(٢) في (هـ) وحدها : (الأقطاب) بدل (الأقطار) في الموضعين .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما ثمَّ عملٌ أزكىٰ ولا أنورُ ، ولا أكثرُ فائدةً من علمِ أهل الله عز وجل ؛ فإنَّ الذرةَ منه تَرجحُ علىٰ جبالٍ مِنْ عمل غيرهم ؛ لخلوِّهِ من العلل ، وأيضاً فإنَّ عملَ القوم بقلوبهم وأبدانهم ، وعملَ غيرِهم بأبدانهم دون قلوبهم ؛ ولذلك لا يزدادون بكثرةِ الطَّاعات إلا كِبراً وعُجباً) .

وكان يقول : (لو خشعَ قلبُك يا ولدي في صلاتك لاختلطَ عقلُك ، وذهبَ لبُّك ، ولم تقدرْ أن تقرأَ سورةً واحدة من كتاب الله تعالىٰ في تلك الحضرة ؛ فإنَّ موسىٰ عليه السلام خرَّ صعقاً يتخبَّطُ كالطير المذبوح حين تجلَّىٰ له مقدارُ جزءٍ واحدٍ من تسعةٍ وتسعين جزءاً من سَمِّ الخِياط ، وهـٰذا التجلِّي واقعٌ لكلِّ مُصلٍّ لو عقل كما عقلَ موسىٰ عليه السلام) .

وكان يقول : (أهلُ الشريعة يُبطلون الصلاةَ باللَّحن الفاحش ، وأهلُ الحقيقة يُبطلون الصلاة بالخُلُقِ الفاحش ، فإذا كان في باطنِهِ حقدٌ أو حسدٌ ، أو سوءُ ظنٍّ بأحدٍ ، أو محبةٌ للدنيا . . فصلاته باطلةٌ ؛ لأنَّ أهلَ هـٰذه الأخلاق في حجابٍ عن شهود عظمة الله تعالىٰ في الصلاة ، ومن كان قلبُهُ مَحجوباً فما صلَّىٰ ؛ لأنَّ الصلاةَ صلةٌ بالله تعالىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا ولد قلبي ؛ تجنَّبْ معاشرةَ أُولي الأقوال والجدال ، ولا تتخذْ أحداً منهم صاحباً ، وجالسْ من جمعَ بين الشريعة والحقيقة ؛ فإنه أعونُ لك علىٰ سلوكك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنْ كنتَ ولدي حقّاً ، ومتَّبعي صدقاً فأخلصِ الرِّقَّ لله تعالىٰ ، واجعلْ واعظَكَ من قلبك ، وكنْ عمَّالاً ، ولا تلتمسْ لأحد درهماً ، فإن هـٰذه طريقي ، ومن أحبَّني سلكَ معي فيها ؛ فإنَّ الفقيرَ الصادقَ هو الذي يُطعِمُ ولا يُطعَمُ ، ويُعطي ولا يُعطىٰ ، ولا يلتمس الدنيا ولا شيئاً من عروضها ؛ فإن الرِّشا في الطريق حرامٌ ، وشيخُكم قد بايعَ الله تعالىٰ ألا يأخذَ لأحدٍ فلساً ولا درهماً ، وإنما آمُركم بذلك لله لا لغرضٍ ، ولا لأمرٍ دنيوي ، ولا لأثاثٍ ، وليس دعوىٰ ، إنما المرادُ سلامةُ الذمَّةِ من الخلل في نُصح الإخوان .

واعلموا يا جميع أولادي : أنَّ من استحسنَ في طريقي أخذَ شيءٍ حين لعب به هواه ، وسوَّلَتْ له نفسُه . . فقد خرجَ عن طريق شيخه .

يا أولادي ؛ أوساخُ الدنيا تسوِّدُ القلوب ، وتُوقفُ المطلوب ، وتُكتبُ بها الذنوب ، وإني غيرُ راضٍ عمن أخذَ في إجازةٍ فَلساً واحداً ، ومن طلبَ الدنيا بإلباسِ الفقراء الخرقةَ مقتَهُ الله تعالىٰ ، ولو ذهبَ إلىٰ أعمال الدنيا ، واحترفَ لنفسِهِ وعياله كان خيراً له ، وطريقي إنَّما هي طريقُ تحقيقٍ وتصديق ، وتمزيقٍ وتدقيق ، وإني أبرأُ إلى الله تعالىٰ ممن يأخذُ على الطريقِ عَرَضاً من الدنيا ، ويتلفُ طريقي من بعدي ، ويأكلُ الدنيا بالدِّين ، ويخالفُ ما كنتُ عليه أنا وأصحابي ، اللهم ، إن كان هٰؤلاء الأصحابُ خلفي يفعلون خلافَ طريقتي ؛ فلا تُهلكني بذنوبهم ، إنَّ اللهَ لا يحبُّ الفقيرَ الذي يبيع سرَّه ، أو يأكلُ عليه لقمة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أحبُّ يا ولدي أن تكونَ متنسِّكاً لا تحيدُ ، خاشعاً خاضعاً حمَّالاً لكلِّ هول ، سكران من حبِّ مولاه ، لا التفاتَ له إلىٰ زوجةٍ ، ولا إلىٰ ولدٍ ، ولا أخٍ ، ولا صاحبٍ ، ولا وظيفةٍ دنيوية ، ولا يلتفتُ لسوىٰ مولاه) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ إن صحَّ عهدُك معي فأنا منك قريبٌ غيرُ بعيد ، وأنا في ذهنك ، وأنا في سمعك ، وأنا في طرفك ، وأنا في جميعِ حواسِّك الظاهرةِ والباطنة ، وإن لم يصحَّ لك عهدٌ لا تشهدُ مني إلا البعد) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما أرضى اللعبَ لأحدٍ من خلق الله تعالىٰ فكيف أرضاه لأحدٍ من أولادي ؟! فإذا أخذتَ يا ولدي وصيتي بالقبولِ وجهدتَ في سرِّك ، وراقبتَهُ ، وسمعتَ كلامَ شيخك ولو كنتَ بالمشرق وهو بالمغرب ، ورأيتَ شبحَ شخصِهِ ، فمهما وردَ عليك من مشكلاتِ سرِّك أو شيءٍ تستخيرُ فيه ربَّك ، أو أحدٍ يقصدُك بأذىً ، أو غير ذلك . . فوجِّه شيخَك ، وصفِّ سرَّك ، وأطبقْ عينَ حسِّك ، وافتحْ عينَ قلبك ؛ فإنَّك ترىٰ شيخَك ، وتستشيرُهُ في جميعِ أمورك ، وتطلبُ منه حاجتَكَ ، فمهما قالَ لك فاقبلْه منه وامتثلْه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا ولدي ؛ إذا كنتَ تصومُ الدهر ، وتقومُ الليل ،

ولك سريرةٌ طاهرةٌ ، ومعاملةٌ خالصة . . فلا تدَّعِ ولا [تقلْ][(١)] إلا : إنك عاصٍ مفلسٌ لا غير ، واحذرْ من غرورِ النفس وزورها ، فكم تلفَ من ذلك فقير !) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنْ كنتَ تطلبُ أن تكونَ من أولادي فقمْ قياماً دائماً ، وجاهدْ جهاداً ملازماً ، ولا تملَّ ، ولا تولِّ ، ولا ترخَّصْ لنفسك في تركِ الاشتغال بالعبادة في حجَّة خوف الملل ؛ فإنَّ الناقدَ بصير ، والنفسَ من شأنها التلبيس علىٰ صاحبها) .

وكان يقول : (ليسَ كل من تزيَّا بزيِّ القوم ينفعُه زِيُّه أو درجُهُ أو خرقته ؛ فإن هـٰذه أمورٌ ظاهرة ، والقومُ إنما عملُهم جوَّاني ؛ إذ بذلك يرقون إلىٰ مراقي الرجال ، وما رأينا أحداً لبسَ جبَّةً أو كُتبَ له إجازةٌ فبلغَ مبلغ الرجال بذلك قطُّ ، بل فِعلُ ذلك يوقفُ المريدَ عن طلب المزيد[(٢)] ، والأمرُ ليس له قرار) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ إذا طلبتم أن تَغتابوا أحداً فاغتابوا والديكم ؛ فإنهما أحقُّ بحسناتكم من غيرِهما) .

وكان يقول : (إن اللهَ تعالىٰ يطَّلعُ علىٰ قلوب عباده في اليوم والليلة اثنتين وسبعين مرة ، فنظِّفوا يا أولادي محلَّ نظرِ ربِّكم ، واجعلوه طاهراً مطهَّراً ، حسناً نقياً ، زاهراً نيِّراً ، صادقاً خالصاً ؛ لترتعَ في رياض القُرب ، ويظهر فيها النورُ ؛ فإن الإناءَ إن لم يكن شفَّافاً لا يظهرُ للفتيلة فيه نور) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ انقشْ علىٰ صفيحة صفحة لوحِ خدِّك توراةَ درسك ، وإنجيلَ فهمك ، ومزاميرَ ذكرك ، وزبورَ صفوتك ، وفرقان تفريقك ، ومجموع جمعك ، واشتغلْ بأفنان حضورك ، ومراقبة رقيبك ، واشتغل بنفسك عن القيل والقال ، ولا تلتفتْ قطُّ إلىٰ صحبةِ من يتكرَّمُ بضياع أوقاته وأنفاسه في الغفلات ؛ فإن صحبتَهُ هلاكٌ لك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا ولدي ؛ صحِّحْ عزماتِ عزمك ، واتركْ تخيُّلاتِ

---

(١) في النسخ : (ولا تقول) ، والصواب ما أثبت .

(٢) في (ح) وحدها : (المراد) بدل (المزيد) .

وهمك ، ولجْ بحرَ الحقائق ، وسلِّم الأمرَ لله ، واقتدِ واقتفِ أوامر شيخك ، وألقِ عصاك ، ولا تطلبْ خبرَ نفسك من غيرك ، بلِ اعملْ حتىٰ تنكشفَ لك حقائقُك « من عرفَ نفسَه عرفَ ربَّه »)[1] .

وكان يقول : إذا عملَ الفقير علىٰ نسقِ الاتِّباع الشرعيِّ تروْحَنَتْ نفسُه ، وصارت روحانيةً لطيفةً نورانيةً ، تجولُ جولان السرِّ ، والقلب ، والمعنىٰ .

ومعنىٰ قولنا : « نسق الاتباع الشرعي » : نحو قوله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يجب على المريدِ أن يُطهِّرَ أعضاءَه عن الغفلات والفتورِ عن ذكر الله كما يجبُ تطهيرُها عن المعاصي من باب : « حسنات الأبرار سيئات المقربين »)[2] .

وكان يقول : (لا ينبغي لحاملِ القرآن العظيم أن يدنِّسَ فمَه بكلامِ حرام ، ولا أكلِ حرام في عرضِ مؤمن ، ولا مؤمنة ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ . . . ﴾ الآية [النور : ٢٣] ، ومثالُ من ينطقُ بالقرآن العظيم مع تدنُّسِ فمه بغيبة أو نميمةٍ أو بهتان . . مثالُ من وضع المصحفَ في قاذورةٍ ، وقد قال العلماء بكفره) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ لا يُسِرَّ أحدُكم سريرةً سيئةً ؛ فإنَّ الله تعالىٰ سيُظهرُ ما كنتم تكتمون ، وما كنتم تُخفون ، وما كنتم تَستترون ، ويُناديٰ عليكم بالصريخ والتوبيخ : فلانٌ عملَ كذا وكذا ، وكان يَستترُ من الناس ، ولا يَستترُ من الله تعالىٰ ،

---

(١) قال العجلوني في « كشف الخفا » (٢/ ٢٦٢) : (قال النووي : ليس بثابت ، وقال أبو المظفر بن السمعاني في « القواطع » [٢/ ٦٠] : إنه لا يُعرف مرفوعاً ، وإنما يُحكىٰ عن يحيى بن معاذ الرازي ، وقال ابن الغرس : لـكن كتب الصوفية مشحونة به ، يسوقونه مساق الحديث كالشيخ ابن عربي وغيره) .

(٢) قال العجلوني في « كشف الخفا » (١/ ٣٥٧) : (هو من كلام أبي سعيد الخراز كما رواه ابن عساكر في ترجمته ، وعدَّه بعضهم حديثاً ، وليس كذلك ، وعزاه الزركشي في « لقطته » للجنيد) .

فلانٌ كان يرتكبُ المحارم والقبائحَ ويُظهر للناسِ الصلاح زوراً وبهتاناً ، فلانٌ كان يُطلق بصرَه إلى النساء ويدَّعي أنها نظرةُ فجأة ، وهو يعطف طرفه ويميلُ ، كأنَّه لصٌّ سارق ، فيا فضيحةَ من تزيَّا بزيِّ الفقراء وخالفَ طريقهم ، فيا أولادي جميعكم ؛ إنما كلامي مواعظُ وتذكيرٌ ، وتحذيرٌ ، وترغيب لمن يتأدَّب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا أولادي ؛ لا تصحبوا غيرَ شيخكم ، واصبروا علىٰ جفاه ؛ فإنَّه ربَّما امتحنكم ليُريدَ بكم الخيرَ ، وأن تكونوا محلاً لأسراره ، ومطلعاً لأنواره ؛ ليرقِّيَكم بذلك إلىٰ معرفة الله عز وجل ، فمن اشتغلَ قلبُه بمحبَّةِ شيخه رقَّاه الله إلىٰ محبته عز وجل ، ولولا أنَّ الشيخَ سُلَّمٌ لترقية المريدين لمقتَ اللهُ تعالىٰ كلَّ قلبٍ وجَدَ فيه محبةً لسواه ؛ فإن الله تعالىٰ غيور) .

وكان يقول : (يا أولاد قلبي ؛ إن أردتم أن تُنادَوْا يوم المنَّةِ بـ ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر : ٢٧] فليكنْ طعامُكم الذِّكرَ ، وقولُكم الفكرَ ، وخلوتُكم الأنسَ ، واشتغالكم بالله تعالىٰ ، لا لخوفِ عقابٍ ، ولا رجاءِ ثوابٍ ، ولا بدَّ لكلِّ علمٍ من معلِّمٍ ، ونحن ننتظر من فيضِ ما أفاضَ الله علينا ، ولا نعرفُ غيرَ طريق ربِّنا ، وثَمَّ علمٌ مكسوبٌ من الكتب ، وعلمٌ موهوبٌ من قبل ربِّنا) .

وكان يقول : (المراقبُ لا يتفرَّغُ لطلبِ المكاسب ، وكلُّ من ادَّعى الحبَّ ولم يُفنِهِ الحبُّ فهو لا شيء) .

وكان يقول : (إذا تجلَّىٰ عروسُ الكلام في رتبة الإلهام طلعتْ شموسُ المعارف ، وتجلَّى البدرُ المنير في الليل البهيم ، فهم سكرى الظواهر ، صحوى البواطن والضمائر ، إذا جنَّ عليهم الليلُ باتوا قائمين ، فإذا هبَّ عليهم نسيمُ السحر مالوا مُستغفرين ، فلما رجعوا عند الفجر بالأجر نادىٰ منادي الهجر : يا خيبة النائمين) .

وكان يقول : (من لم ينخلعْ من طرزه[1] ، ويخرجْ عن نفسه ، ويأتي هو بلا هو . . لا يجدُ عند ذلك هو ، وقد بالغتُ لكم جهدي في النُّصح ، فإن اتَّبعتم أَفلحتم) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ البسْ قميصَ الفقر النظيف الظريف ، ما الأمر بلبس

---

(١) في (هـ ، ط) : (طوره) .

الثياب ، ولا بسكنى القباب والخانقات ، ولا بالزوايا ، ولا بلبس العبايات ، ولا بلبس القباء الأزرق ، ولا حفِّ الشوارب ، ولا بلبس الصوف ، ولا بالنعل المخصوف ، إنما الفقرُ أن تُخلصَ عملك كلَّه في قلبك ، وتلبسَ ثوبَ صدقِ عزمك ، وتحتزم بحزام إيمانك ، فإذا كان عملُكَ كلُّه في قلبك كان فائدةً وربحاً ، وأضرمَ نارَ القلب ، وأَحرقَ الحشا ، وامتلأ القلبُ خوفاً من الله تعالىٰ ، ومحبَّةً له ، فما رقيقُ الثياب حينئذٍ ، وما خشنها ؟! فإذا قويتْ في القلبِ الأنوارُ لم يطقْ صاحبُهُ حملَ ثوبٍ رقيق ، ولا إزار) .

قلت : وهـٰذا سببُ تركِ بعض القوم لبس الثياب من مجاذيب وصحاة ، والله أعلم .

قال الشيخ رضي الله عنه : (فإن تهتَّكَ هـٰذا فلا يلام ، وإن صاحَ أو باح فقد حُملَ عنه الملام ، وإن رُشَّ عليه الماءُ في ليالي الأربعينيات فلا يزيدُهُ إلا ضراماً ، وكلُّ شيءٍ نزلَ باطنَه من الطعام والماء نارَ واستنار ، فيا أولاديَ ؛ الفقراء كلُّهم عندي ملاح ، فليكونوا عندكم كذلك ، فاحذروا الإنكار) .

وكان رضي الله عنه يقول : (خاصُّ الخاصِّ من أهل الخصوصية جعلوا زواياهم قلوبَهم ، ولبسَهم تقواهم وخوفَهم من ربِّهم ومولاهم ، قد رفضوا الكرامات ، ولم يرضوا بها ، وخرجوا عنها ؛ لعلمهم أنَّها من ثمرةِ أعمالهم ، فلم يَطيروا في الهواء ، ولم يَمشوا علىٰ ماء ، ولم تسخَّرْ لهم الهوام ، ولم تُبصبصْ لهم الأسودُ[١] ، ولم يَضربوا رجلَهم بالأرض فتنفجرَ ماءً ، ولا مسُّوا أجذمَ ولا أبرص فبرئ ، ولا غير ذلك ، فخرجوا من الدنيا وأجورُهم موفورةٌ ، رضي الله عنهم أجمعين) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا أولادي ؛ عمرُكم في انتهاب ، وأجلُكم في اقتراب ، وقد طُويت الدنيا ، وجِيء أوَّلُها عند آخرها ، فالسعادةُ كلُّ السعادة لمن طوىٰ منكم صحيفته كلَّ يوم مضمَّخةً مُعنبرة ، ممسَّكةً معطَّرة بأعمالِهِ الزكية ، وشيمِهِ المرضية ، والشقاوةُ كلُّ الشقاوةِ لمن طوىٰ منكم صحيفتَه كلَّ يومٍ علىٰ زلاتٍ ، وقبائحَ عظيماتٍ .

---

(١) **بصبص** : أي : حرَّك ذنبه .

يا أولادي ؛ كأنكم بالساهرة وقد مُدَّتْ ، وبالجبال وقد دُكَّتْ ، وبالحجارة وقد صاحت ، وبالحصىٰ وهو يقطر دماً ، فبادروا واعملوا ، ولا تسوفوا تندموا ، هٰذه وصيتي لكم ، وهديتي إليكم) .

وكان يقول : (إنما قالوا : « حسناتُ الأبرار سيِّئات المقرَّبين »[1] ؛ لأنَّ المقرَّبَ يُراعي الخطرات واللحظات ، ويعدُّ ذلك من الهفوات ، ويفتِّشُ علىٰ هواجس النفوس ، ويراقبُ خروجَ أنفاسه ، ويخافُ من حسناته كما يخاف المذنب من سيئاته ، والأبرار لا يقدرون علىٰ هٰذا الحال ، وأيضاً فالمقرَّبُ لا يقول عند شرابه : أواه ! ولا : ما أحلاه ! ولا يصفِّقُ بكفٍّ ، ولا يصرخ ، ولا يشقُّ ، ولا يضرب برأسه الحجر ، ولا يهيم ، ولا يمشي على الماء ، ولا يقفزُ في الهواء ، فلما لم يقعْ منه شيءٌ من ذلك أثبتَهُ أهلُ الطريق ، ونفوا مَن فعل ذلك لقلَّة ثبوته على الواردات ، مع أنهم سلَّموا له حاله لغلبتِهِ عليه ، وجعلوا حسناتِهِ سيِّئاتٍ ، مع أنَّ المقرَّبين ليس لهم سيئات ، إنما هي محاسباتٌ عاليات نفيسات) .

وكان يقول : (كيف يدَّعي أحدُكم أنه من الصالحين وهو يقعُ في الأفعال الرديَّة ، ويأكلُ طعامَ المكاسين ، وأهلِ الرِّشا ، والربا ، والظلمة ، وأعوانهم ؟! وكيف يَدَّعي أنه من الصالحين ، وهو يقع في الكذب ، والغيبة ، والوقيعة في الناس ، وفي أعراضهم ؟! وكيف يطلبُ أن يُكتبَ عند الله صادقاً ، أو وليّاً ، أو حبيباً ، أو زكيّاً أو رضيّاً ، وهو يقعُ في شيءٍ من المناهي ؟! ولعمري ؛ هٰذا إلى الآن لم يتبْ ، فكيف يدَّعي الطريقَ ، أو يتوِّبُ غيره ؟!) .

وكان يقول : (إن أردتَ يا ولدي أن تفهمَ أسرارَ القرآن العظيم فاقتلْ نفسَ دعواك ، واذبحْ شبحَ قولك ، واطرحْ نفسَ نفسيتك تحت قدَمِ أقدامك ، وعفِّرْ خدَّيك على الثرىٰ ، واشهدْ أن نفسَك قبضةٌ من تراب ، واعترفْ بكثرة ذنوبك ، وخفْ أن يَردَّ عليك عبادتك ، وقلْ : يا ترىٰ ، مثلي يُقبل منه عملٌ ؟! فإذا كنتَ علىٰ هٰذا الوصف فيرجىٰ لك أن تشمَّ رائحةً من معاني كلام ربِّك ، وإلا فبابُ الفهم عنك مغلقٌ .

---

(١) مرَّ الكلام عليه (١/ ٥٨٥) .

وعزَّةِ ربِّي ؛ إنَّ كلَّ حرفٍ من القرآن العظيم يعجزُ عن تفسيره الثقلان ، ولو اجتمعَ الخلقُ كلُّهم أن يعلموا معنىٰ « ب » بعقولهم لعجزوا ، وما لأحدٍ من ذاتِ نفسه شيءٌ قلَّ ولا جلَّ ، وإن لم يكنِ الله تعالىٰ معلِّم العبد ، وإلا فهو عائمٌ في البحر ، مزكومٌ محجوب ، لا شمَّ ، ولا لمَّ ، ولا علم ، ولا حسَّ ، ومن لم يذقْ مقامَ القوم ، ويَرىٰ ويشاهد لم يحسنْ أن يصفَ بحراً لا قرار له ، أو يترجمَ عن ساحلٍ لا آخر له ، أو يعومَ في قعرِ التخوم ، أو يصلَ إلى النون ، أو يُدركَ معاني السرِّ المصون ، وأما إذا أعطىٰ عبدَهُ علم ذلك فلا مانع) .

وكان رضي الله عنه يقول : (شرابُ القوم لا يشربُهُ مَنْ في قلبه عكرُ دنس ، ولا بقايا غلس ، ولا حظوظٌ نفسانية ، ولا دعاوىٰ شيطانية ، ولا كِبرُ ترف ، ولا نفس ثائرة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كم من علمٍ يسمعه مَنْ لا يفهمه فيتلفه ؛ ولذلك أُخذتِ العهودُ على العلماء ألا يُودعوا العلمَ إلا عند من له عقلٌ عاقل ، وفهمٌ ثاقب) .

وكان يقول : (الصحيحُ من قول العلماء : أنَّ العقل في القلب ؛ لحديث : « إنَّ في الجسدِ مُضغةً »[1] ، ولـٰكن إذا فكَّرتَ في كُنْه العقل وجدتَ الرأسَ يدبِّرُ أمرَ الدنيا ، ووجدتَ القلبَ يُدبِّرُ أمرَ الآخرة ، فمن جاهدَ شاهد ، ومن رقدَ تباعد) .

وكان يقول : (ليس أحدٌ يَقدُمُ في الطريق بكبرِ سِنِّهِ ، وتقادمِ عهده ، إنما يقدُمُ بفتحِهِ ، ومع هـٰذا فمن فُتح عليه منكم فلا يَرىٰ نفسَه علىٰ من لم يُفتح عليه ، وتأمَّلْ يا ولدي إبليسَ اللعين ، لمَّا رأىٰ نفسَه علىٰ آدم عليه السلام ، وقال : أنا أقدمُ منه ، وأكثرُ عبادةً ونوراً . كيف لعنه الله تعالىٰ ، وطرده) .

وكان يقول : (يجبُ علىٰ حامل القرآن ألا يملأَ جوفَه حراماً ، ولا يلبس حراماً ، فإن فعلَ ذلك لعنه القرآنُ من جوفه ، وقال : لعنةُ الله علىٰ من لم يجلَّ كلامَ الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يكونَ ولدي فليحبسْ نفسَه في قُمقم الشريعة ، وليختمْ

---

(١) رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

عليها بخاتم الحقيقة ، وليقتلْها بسيف المجاهدة وتجرُّعِ المرارات ، ومن رأىٰ أنَّ له عملاً سقطَ من عين ربِّه ، وحُرِمَ من ملاحظته) .

وكان يقول : (العارف يرىٰ حسناتِه ذنوباً ، ولو آخذه الله تعالىٰ بتقصيره فيها لكان عدلاً) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ اطلبوا العلمَ ولا تقفوا ، ولا تسأموا ؛ فإنَّ الله تعالىٰ قال لسيِّد المرسلين : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] ، فكيف بنا ونحن مساكينُ في أضعفِ حالٍ ، وآخرِ زمانٍ ؟! وسببُ طلب الزيادة من العلمِ إنَّما هي للأدب ؛ يعني : اطلب الزيادةَ من العلم لتزداد معي أدباً علىٰ أدبك ، ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الأنعام : ٩١]) .

وكان رضي الله عنه يقول إذا ألبسَ مريداً الخرقة : (اعلمْ يا ولدي ؛ أنَّ صحة هـٰذه الطريق ، وقاعدتَها ، ومجلاها ، ومحكمَها الجوعُ ، فإن أردتَ السعادةَ فعليك بالجوع ، ولا تأكل إلا علىٰ فاقةٍ ؛ فإنَّ الجوعَ يغسلُ من الجسد موضعَ إبليس ، فيا ولدي ؛ تريد شربةً بلا حمية ، هـٰذا لا يكون) .

وكان يقول : (اتَّقوا فِراسة المؤمن أن ينظر بواطنكم بنور الله تعالىٰ ، فيجدُ فيها ما يُسخطُ الله تعالىٰ[1] ، فإنْ أحببتَ يا ولدي أن تسمعَ ، وتبصر ، وتعقل . . فعِ وأوعِ في باطنك الفوائدَ ، ولا تقنع ببوسِ اليد ، ولا بالرياسة ، ولا يكملُ الفقيرُ إلا إنْ تكلَّمَ بمعاني الحقيقة ذوقاً لا نقلاً ، وفعلاً لا قولاً ، وتجلَّىٰ في باطنه تجلية الأصفياء بالسرِّ والمعنىٰ ، فتغنَّىٰ وتكلَّم بالحكم ، ونطقَ بالمعجم ، وبالسرِّ المكتَّمِ ، واطَّلعَ وحقَّق ، فما ينطقُ إلا صدقاً ، ولا ينطق إلا حقّاً ، وعند ذلك يصحُّ له أن يدعو الخلقَ إلى الله تعالىٰ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا ولد قلبي ؛ كنْ علىٰ حذرٍ من الدخلاء ، والدخيل السوء ، وإن عاينتَ من أخيك عنفاً أو حسداً فعاشرْهُ بالمعروف ، واحفظْ نفسك عنه ، وأمَّا صديقُكَ فإنْ صدَّقَك فاحفظْه ، وما للمرءِ يا ولدي إلا أن يكونَ علىٰ حذرٍ من

---

(١) إشارة إلىٰ حديث رواه الترمذي (٣١٢٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

جميع البشر ؛ فإنَّا في آخر زمان ، وقد قلَّ النُّصح حتىٰ لا تكادُ تنظر ناصحاً ، وعادَ من تُولِيه سروراً يوليك نكداً وشروراً ، ومن ترفعُهُ يسعىٰ أن يضعك ، ومن لم تحسنْ إليه يسيء إليك ، بل ثَمَّ مَنْ تُحسنُ إليه يُسيء إليك ، ومَنْ تُشفقُ عليه يودُّ لو على الرِّماحِ رماك ، أو على الشوك داسك ، ومن تنفعُهُ يضرُّك ، ومن تُوليه معروفاً يُوليك جفاءً ، ومن توصلُهُ يقطعُك ، ومن تُطعمُه يحرمك ، ومن تُقدِّمُهُ إن استطاع أخَّرك ، ومن تُربِّيه يقول : أنا الذي ربَّيْتُك ، ومن تُخلصُ له يغشُّك ، ومن تهشُّ له يكشُّ ، فوا عجباً للدنيا ولأهلها !

وإذا كان النفاقُ ما خلا في أيام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكيف يخلو في قرن سابع ؟! فاستعملْ يا ولدي الوحدةَ عن أهل السوء ، والكسبَ من أهل الخير ، وإن استطعتَ ألا تصحبَ من تتعبُ في صحبته فافعل ؛ فإنك إن صحبته ندمتَ علىٰ صحبته ، وقد نصحتُك يا ولدي ، وأمَّا أهلُ التمكين في هـٰذا الزمان فقد تَركوا أخلاقَ الأراذل من الناس ، وغفروا لهم أفعالَهم ، وغضُّوا أبصارهم عن نقائصهم ، وصمُّوا آذانهم عن سماع أقوالهم ، وتركوا الكلَّ لله ، وطلبوا من الله تعالىٰ لأهلِ هـٰذا الزمان عفواً شاملاً ، وقابلوا سيئاتهم بالحسنات ، ومضرَّاتهم بالمسرَّات والمبرات) .

قلت : ويشهدُ لأهل التمكين قولُه صلى الله عليه وسلم : « ومنْ لا يُلائمُكمْ فبيعُوهُ ، ولا تُعذِّبُوا خَلْقَ اللهِ »[1] ، وفيما فعله أهلُ التمكين دليلٌ لغلق باب السلوك في هـٰذا الزمان من باب أولىٰ ؛ لأن معالجة أهله تشغلُ الفقيرَ عن مهمات نفسه من غيرِ ثمرة ، كما هو مُشاهد ، واللهُ أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (المريدُ مع شيخه علىٰ صورةِ الميت ، لا حركةَ ولا كلام ، ولا يقدرُ أن يتحدَّثَ بين يديه إلا بإذنه ، ولا يعملُ شيئاً إلا بإذنه ؛ من زواجٍ ، أو سفر ، أو خروجٍ ، أو دخول ، أو عزلة ، أو مخالطة ، أو اشتغالٍ بعلم ، أو قرآن أو ذكر ، أو خدمةٍ في الزاوية ، أو غير ذلك .

هكذا كانت طريقُ السلف والخلف مع أشياخهم ؛ فإنَّ الشيخَ هو والدُ السرِّ ،

---

(١) رواه أبو داود (٥١٥٧) عن سيدنا المعرُور بن سُويد رحمه الله تعالىٰ ، وأصل الحديث في الصحيحين .

ويجبُ على الولدِ عدمُ العقوق لوالده ، ولا نعرفُ للعقوق ضابطاً نضبطه به ، إنما الأمرُ عامٌّ في سائر الأحوال ، وما جعلوه إلا كالميت بين يدي الغاسل ، فعليك يا ولدي بطاعةِ والدك ، وقدِّمه على والدِ الجسم ؛ فإنَّ والد السرِّ أنفعُ من والد الظهر ؛ لأنه يأخذُ الولدَ قطعةَ حديدٍ جامدٍ ، فيسبكه ويُذيبُهُ ويقطره ، ويُلقي عليه من سرِّ الصنعةِ سرّاً ، فيجعله ذهباً إبريزاً ، فاسمع يا ولدي تنتفعْ .

وكثيرٌ من الفقراء صحبوا أشياخَهم حتى ماتوا ولم يَنتفعوا ؛ لعدمِ الأدب ، وبعضُهم مُقتوا ، آه من صدود الرجال ! ومن صحبة الأضداد ! ومن سماع المريد للمحال !) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أنا موسى عليه السلام في مناجاته ، أنا عليٌّ رضي الله عنه في حملاته ، أنا كلُّ وليٍّ في الأرض خلعتُهُ بيدي ، أُلبسُ منهم مَنْ شئتُ ، أنا في السماء شاهدتُ ربِّي ، وعلى الكرسيِّ خاطبته ، أنا بيدي أبوابُ النارِ غلَّقتُها ، وبيدي جنةُ الفردوس فتحتها ، مَن زارني أسكنتُهُ جنَّة الفردوس .

واعلم يا ولدي ؛ أنَّ أولياء الله تعالى الذين ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] متَّصلون بالله ، وما كان وليٌّ متَّصلاً بالله تعالى إلا وهو يُناجي ربَّه كما كان موسى عليه السلام يُناجي ربَّه ، وما من وليٍّ لله تعالى إلا ويحملُ على الكفار كما كان عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه يحملُ .

وقد كنتُ أنا وأولياء الله تعالى أشياخاً في الأزل ، بين يدي القديم الأزل ، وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الله عز وجل خلقني من نور رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اجتماعنا على الدرَّة البيضاء ، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخلعَ على جميع الأولياء بيدي ، فخلعتُ عليهم بيدي ، وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا إبراهيم ؛ أنت نقيبٌ عليهم ، فكنتُ أنا وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخي عبدُ القادر خلفي ، وابنُ الرفاعي خلفَ عبد القادر ، ثم التفتَ إليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لي : يا إبراهيم ؛ سِرْ إلى مالكٍ ، وقلْ له يغلق النيران ، وسِرْ إلى رضوان ، وقل له يفتح الجنان ، ففعل مالكٌ ما أُمر به ، ورضوان ما أُمر به) ، وأطال في معاني هـٰذا الكلام .

ثم قال رضي الله عنه : (وما يعلمُ ما قلتُهُ إلا من انخلعَ من كثافة حُجبه ، وصارَ مُرَوْحناً كالملائكة) .

قلت : وهـٰذا الكلامُ من مقامِ الاستطالة ، تُعطي الرتبةُ صاحبَها أن ينطقَ بما ينطق ، وقد سبقه إلىٰ نحو ذلك الشيخُ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه وغيره ، فلا ينبغي مخالفته إلا بنصٍّ صريح ، والسلام .

وهو إبراهيمُ بن أبي المجد بن قريش بن محمد بن أبي النجا بن زين العابدين بن عبد الخالق بن محمد أبي الطيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبي القاسم بن جعفر الزكي بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي الزاهد زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي ، رضي الله عنهم أجمعين .

تفقَّه علىٰ مذهب الإمام الشافعيِّ رضي الله عنه ، ثم اقتفىٰ آثارَ السادة الصوفية ، وجلس في مرتبة الشيخوخية ، وحمل الرايةَ البيضاء ، وعاشَ من العمر ثلاثاً وأربعين سنة ، ولم يغفلْ قطُّ عن المجاهدة للنفس والهوىٰ والشيطان حتىٰ **ماتَ سنة ستٍّ وسبعين وست مئة** ، رضي الله عنه .

ومن نظمه رضي الله عنه هـٰذه الأبيات : [من الطويل]

سقانيَ محبوبِي بكأسِ المحبَّةِ ... فتِهتُ عنِ العشَّاقِ سُكراً بخَلوتِي

ولاحَ لَنَا نورُ الجلالةِ لوْ أضَا ... لصُمِّ الجبالِ الرَّاسياتِ لدُكَّتِ

وكنتُ أنَا السَّاقِي لمنْ كانَ حاضراً ... أطُوفُ عليهمْ كَرَّةً بعدَ كرةِ

ونادمنِي سرّاً بسرٍّ وحكمةٍ ... وأنَّ رسولَ اللهِ شيخِي وقُدوتِي

وعاهدنِي عهداً حفظتُ لعهدِهِ ... وعشتُ وثيقاً صادقاً بمحبتِي

وحكَّمَني فِي سائرِ الأرضِ كلِّها ... وفي الجنِّ والأشباحِ والْمَرَديَّةِ

وفِي أرضِ صينِ الصينِ والشرقِ كلِّها ... لأقصَىٰ بلادِ اللهِ صَحَّتْ ولايتِي

أنَا الحرفُ لا أقرَا لكلِّ مناظرٍ ... وكلُّ الورَىٰ منْ أمرِ ربِّي رعيتِي

وكمْ عالمٍ قدْ جاءَنا وهْوَ منكِرٌ ... فصارَ بفضلِ اللهِ منْ أهلِ خِرقتِي

ومَا قلتُ هـٰذَا القولَ فخراً وإنمَا ... أتَى الإذْنُ كيْلا يجهلونَ طريقتِي

وله أيضاً عفا الله عنَّا به : [من الطويل]

تجلَّىٰ ليَ المحبوبُ فِي كلِّ وجهةٍ ... فشاهدتُهُ فِي كلِّ معنىً وصورةِ
وخاطبنِي منِّي بكشفِ سرائرِي ... وسارَرَني سرّاً بسرِّ سريرتِي(١)
فقالَ أتدرِي منْ أنَا قلتُ أنتَ يَا ... مُناىَ أنَا إذْ كنتَ أنتَ حقيقتِي
فقالَ كذاكَ الأمرُ لكنهُ إذَا ... تَعيَّنَتِ الأشياءُ كنتَ كنُسختِي
فأوصلتُ ذاتِي باتحادِي بذاتِهِ ... بغيرِ حُلولٍ بلْ بتحقيقِ نسبتِي
فصرتُ فناءً فِي بقاءٍ مؤبَّدٍ ... لذاتٍ بدَيمومِيَّةٍ سرمديَّةِ
وغيَّبَنِي(٢) عنِّي فأصبحتُ سائلاً ... لذاتيَ عنْ ذاتِي لذاتي بغيبتِي(٣)
وأنظرُ في مرآةِ ذاتِي مشاهداً ... لذاتي بذاتِي وهْيَ غايةُ بُغْيتِي
فأغدُو وأمرِي بينَ أمرينِ واقفٌ ... علوميَ تمحُوني ووهمِيَ مُثبتِي
خبَأتُ لهُ فِي جنةِ القلبِ منزلاً ... ترفَّعَ عنْ دعْدٍ وهنْدٍ وَعَلوةِ
أنَا ذلكَ القطبُ المباركُ أمرُهُ ... فإنَّ مدارَ الكلِّ منْ حولِ ذُروتي
أنَا شمسُ إشراقِ العقولِ ولمْ أفلْ ... ولا غبتُ إلا عنْ قلوبٍ عَميَّةِ
يرونيَ فِي المرآةِ وهْيَ صديَّةٌ ... وليسَ يرونِي بالمِرَاةِ الصَّقيلةِ
وبِي قامتِ الأنباءُ فِي كلِّ أمةٍ ... بمختلفِ الآراءِ والكلُّ أمتِي
ولا جامعٌ إلا ولِي فيهِ منبرٌ ... وفِي حضرةِ المختارِ فزتُ ببُغيتِي
ومَا شهدَتْ عينِي سوَىٰ عينِ ذاتِها ... لأنَّ سواهَا لا يُلِمُّ بفِكرتِي
بذاتِي تقومُ الذاتُ فِي كلِّ ذُروةٍ ... أُجددُ فيهَا حُلَّةً بعدَ حُلَّةِ
فلَيلىٰ وهندٌ والرَّبابُ وزينبٌ ... وعَليَا وسلمَىٰ بعدَها وبُثينة
عباراتُ أَسماءٍ بغيرِ حقيقةٍ ... ومَا لوَّحوا بالقصدِ إلا بصُورتِي

---

(١) البيت في (ب ، ج) :
وخاطبَني منِّي بكشفِ سرائرِي ... فقالَ أتدرِي منْ أنَا قلتُ مُنيتِي
(٢) في (أ ، د ، و ، ز) : (وغيبتني) .
(٣) في نسخة من نسخ الاستئناس : (لشغلي) بدل (لذاتي) .

نعمْ نَشْأتِي فِي الحبِّ منْ قبلِ آدمٍ وسرِّيَ فِي الأكوانِ منْ قبلِ نَشْأتِي
أنَا كنتُ فِي العلياءِ معْ نورِ أحمدٍ علَى الدُّرةِ البيضاءِ فِي خَلْوِتَي
أنَا كنتُ فِي رؤيَا الذَّبيحِ فِداءَهُ بلطفِ عِنايَاتٍ وعَينِ حقيقةِ
أنَا كنتُ معْ إدريسَ لمَّا أتَى العُلا وأُسكنَ فِي الفردوسِ أنعمِ بُقعةِ
أنَا كنتُ معْ عيسَىٰ على المهدِ ناطقاً وأَعطيتُ داوداً حلاوةَ نَغْمةِ
أنَا كنتُ معْ نوحٍ بمَا شهدَ الورَىٰ بحاراً وطُوفاناً علىٰ كفِّ قُدرةِ
أنَا القطبُ شيخُ الوقتِ فِي كلِّ حالةٍ أنَا العبدُ إبراهيمُ شيخُ الطريقةِ

قلت : وجميعُ ما فيه استطالةٌ من هـٰذه الأبيات إنما هو بلسانِ الأرواح ، ولا يعرفُهُ إلا من شهدَ صدورَ الأرواح من أين جاءتْ ، وإلىٰ أين تذهبُ ، وكونها كالعضو الواحد من المؤمن إذا اشتكىٰ فيه ألماً تداعىٰ له سائرُ الجسدِ ، وذلك خاصٌّ بالكامل المحمدي ، لا يعرفُهُ غيره ، وقد كان سهلُ بنُ عبد الله التُّستريُّ رضي الله عنه يقول : (أعرفُ تلامذتي من يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، وأعرفُ من كان في ذلك الموقفِ عن يميني ، ومن كان عن شمالي ، ولم أزلْ من ذلك اليوم أُربِّي تلامذتي وهم في الأصلاب ، لم يحتجبوا عني إلىٰ وقتي هـٰذا) ، ونقله ابن العربي رضي الله عنه في « الفتوحات » .

وكان رضي الله عنه يقول : (أَشهدني اللهُ تعالىٰ ما في العُلا وأنا ابنُ ستِّ سنين ، ونظرتُ في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثماني سنين ، وفككتُ طِلَّسمَ السماء وأنا ابنُ تسع سنين ، ورأيتُ في السَّبعِ المثاني حرفاً معجماً حارَ فيه الجنُّ والإنس ، ففهمتُهُ وحمدتُ الله تعالىٰ علىٰ معرفته ، وحرَّكتُ ما سكَن ، وسكَّنتُ ما تحرَّكَ بإذن الله تعالىٰ وأنا ابنُ أربع عشرة سنة ، والحمد لله رب العالمين) .

هـٰذا ما لخَّصتُهُ من كتاب « الجوهرة » له رضي الله عنه ، وهو مجلدٌ ضخم .

